



رَحَابُ الْوَسْطَاءِ اسْمَاءُ

مراجعة وتعليق
الدكتور عبد الشارف فتح أسدي
الأستاذ بجامعة الأزهر وأم القرى سابقاً

إعداد وترجمة
الدكتور عرفات كامل العسوي

المكتبة المصرية الحديث

رجال ونساء أسلموا ..

أكثر من مائة شخصية - على حلقات

ترقبوا ..

شخصيات الحلقة الثانية

- | | |
|----------------------------|-------------------------------------|
| فاطمة هيرين | وليم بيرشل بشير بيكارد |
| حسين رؤوف | آمنة ناكامورا وأختها |
| اللورد هيدلى الفاروق | محمد عبد الله (دونالد ركويل سابقاً) |
| محمد أسد | فاطمة تزفسكن |
| الدكتور عبد الكريم جرمانوس | بيجى رودريك |
| جوليوس ورفر | محمد ضياء الرحمن الأعظمى |
| عبد الله آرشيبالد هاملتون | أحمد عبد الله كوبسيل |

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلام الله:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران: ١٩]

﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾

[آل عمران: ٨٥]

﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأْتَمَا يصْعَدُ فِي

السَّمَاءِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥]

﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ ﴾ [الزمر: ٢٢]

رِحَابُ وَنِسَاءُ إِسْلَامٍ

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الجديدة

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

رقم الايداع بدار الكتب

٢٠٠١ / ٩٤٤١

I. S. B.N. الترقيم الدولي

977-209-069-4:

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو نقله على أي نحو سواء بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة الناشر على هذا كتابة ومقدمات.

الناشر : المكتب المصري الحديث

البريد الإلكتروني : almaktabalmasry@hotmail.com

القاهرة : ٢ شارع شريف عمارة اللواء ت : ٣٩٣٤١٢٧

الأسكندرية : ٧ شارع نوبار المنشية ت : ٤٨٤٦٦٠٢

المطابع : طريق مصر - اسكندرية الزراعي ك ١٠ ت : ٤٤٤١٠٧٠ / ٧٤

حِجَابُ النِّسَاءِ اسْمًا وَرَأْسًا

إعداد وترجمة

الدكتورة عرفات كامل عسّي

مراجعة وتعليق

الدكتور عبد الشارف فتح أسدي سعيد
الأستاذ بجامعة الأزهر وأم القرى سابقاً

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية
مكتبة عربية
شراء

المكتبة المصرية الحديثة

رقم التسجيل ٧٢٠٩٧

تصميم الغلاف
ناصر حامد

المطبعة العراقية بريشة الفنان
مصطفى عمري

مقدمة الطبعة الجديدة

يسرني بعد طول غياب أن أعود إلى قراء سلسلة (رجال ونساء أسلموا) بإعادة طباعة السلسلة مرة أخرى، بعد سنوات من بدء صدورها قبل نيف وثلاثين عاماً. والفضل يعود في ذلك بعد الله تعالى للأخ الكبير الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد الذي أبدى في زيارة له إلى كندا، واجتماعي به بقدر من الله، رغبة في إعادة طباعة السلسلة، وبدا منه تشجيع كبير.

إنها سلسلة أبدية لا تنتهي فهي غيض من فيض في قافلة الناس الذين شاء الله لهم الهداية، وسيظل هذا التيار يتضاعف وينمو حتى يعم الإسلام - إن شاء الله - المعمورة بأسرها، حسبما وعد الله تعالى، وبشر رسول الله ﷺ.

ولئن كان إسهامنا المتواضع لا يعدو قطرة من بحر خضم، فإننا بكل تواضع نتشبت بهذه القطرة لعل الله يتقبلها، ويبارك فيها، ويقينا بها عذابه، ويكرمنا بثوابه وعظيم جزائه.

وَاللَّهُ مِنْ وَرَاءِ الْقُضْبَةِ هُوَ خَيْرٌ بَدَأَ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

د. عرفات العشي

(كندا - تورنتو - غرة المحرم ١٤٢٢ هـ)



بَيْنَ يَدَيْ هَذِهِ الطَّبَعَةِ الجَدِيدَةِ يَقَامُ الذِّكْوَرُ عَبْدَ السَّارِفِاحِ اللهُ سَعِيدًا

الحمد لله الذى هدانا للإسلام وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.

ويعد:

فهذه سلسلة نادرة من قصص الرجال والنساء الذين شرح الله صدورهم للإسلام، وأسعدهم به فى الدنيا، وهو المأمول دائماً أن يسعدنا وإياهم بالإسلام فى ظلال رضوانه وجناته يوم الدين.

وسيجد القارئ فى هذه القصص العجيبة آيات بينات من تدبير الله لعباده، والعبر النافعة، والأفكار المنيرة، فضلاً عن الدراسات العميقة، والنظرات الصائبة، التى هدى الله إليها هذه الأفواج المتتابعة التى لا ينقطع مددها، ولا يحصى عددها، على امتداد القارات، وعلى اختلاف اللغات والثقافات، وتباين الأعمار والمستويات.

وقد كانت لى قصة قديمة مع هذه السلسلة الذهبية:

فقد حصلت على خمسة أجزاء من الطبعة الكويتية منذ أكثر من عشرين سنة، وقد أعجبت بها، واستوعبت قراءتها، وكنت دائب التنبيه على فوائدها فى دروسى ومحاضراتى، حين أريد تنبيه المسلمين أنفسهم إلى عظمة الإسلام دين الله الحق، وكيف سكب فى قلوب الحيارى والضائعين - من شتى الأمم - السكينة والطمأنينة، ووجدوا فيه شاطئ النجاة والسلامة بعد طول شرود فى بحار المذاهب المتلاطمة، وركام العقائد والأفكار المتضاربة!!

وقد شكأ لى كثيرون بأنهم لا يجدون هذه السلسلة، رغم كثرة البحث عنها، بل لم أستطع أنا الحصول على بقية أجزاءها بعد مغادرتى مدينة الرياض منذ عشرين سنة.

ثم شاء الله الحكيم فى تدبيره أن أقوم بجولة دعوية طويلة فى أرجاء الولايات المتحدة الأمريكية وكندا فى شهر رجب ١٤٢١هـ (أيلول ٢٠٠٠م)، وكان مما زرناه مدينة (تورنتو) بكندا فقابلت جامع هذه السلسلة و مترجمها: (د. عرفات العشى)، وكان أول ما سألته عن هذه السلسلة، وعلمت منه أنها بلغت عشرة أجزاء، وأنها ترجمت إلى الإنجليزية، فشكوت له ندرة الطبعة العربية، فقال: إنها نفذت منذ سنين طويلة، وحبذا لو طبعتموها فى القاهرة، وقد رحبت بذلك لما أرى فى هذه السلسلة من فوائد جمة للمسلمين أنفسهم، حتى يزدادوا بصراً بعظمة المنهاج الإلهى الذى هداهم الله إليه، وشرفهم به من غير كد ولا تعب.

ومن هناك بدأت قصة هذه الطبعة الجديدة:

فقد أمدنى المؤلف - تبعاً - بجميع أجزائها بعد عودتى إلى القاهرة، وعكفت على مراجعتها، وتصحيح بعض ما فيها، والتعليق الضرورى عليها، ووضع عناوين فرعية فى داخل كثير من قصصها لمزيد من الإيضاح وتركيز الإفادة، وحذف بعض المعلومات التى لا تتناسب مع هذه الطبعة الجديدة، وتعديل مواقع بعض القصص لمزيد من التناسب والبيان، وكذلك ترقيم القصص ترقياً متسلسلاً ليسهل الإحالة إليها، أو الرجوع لها.

لذلك نرجو أن تكون هذه الطبعة الجديدة قد جاءت على هيئة أتم وأوفى، خدمة للغرض التى سيقى من أجله، وهو خدمة الإسلام والمسلمين فى المقام الأول، وليس الدخول فى جدليات فارغة يثيرها بعض المحترفين من أهل المذاهب المخالفة لدين الله، المجافية للحق والفضرة، التى أشقت أبناءها أنفسهم، ففروا منها إلى الإسلام العظيم، يلتمسون لأنفسهم الخير والنجاة، فهنيئاً لهم هداية الله وتوفيقه الجليل، ونسأله سبحانه أن يهدينا جميعاً إلى الصراط المستقيم.

نظرة موضوعية وخطوط مشتركة

حين قرأت هذه القصص الكثيرة خرجت بخطوط جامعة مشتركة بين أصحابها جميعاً، رغم اختلافهم - قبل إسلامهم - زماناً ومكاناً، وسناً وثقافة، ولغة وعقيدة ومذهباً... الخ.

ومن هذه الخطوط المشتركة الجامعة :

أولاً: الإيمان بوحداية الله تعالى هو فطرة إلهية فطر الله الناس عليها، وهي تغلب ما عداها من موروثات البشر. وتحريفات المضلين، وكان هذا في غالب القصص هو المفتاح الذي حرك النفوس والقلوب، حتى انتهت بهؤلاء السعداء إلى الإسلام دين الفطرة، متخطية كل العقبات التي تقف في طريقها.

ولذلك فكل مذهب أو دين يقوم على الشرك والوثنية هو ظلام مضاد للحق والفطرة، ولا بد أن ينفض عنه أتباعه عند أول بادرة من العلم الصحيح، أو التفكير السليم.

ثانياً: في كل هذه القصص نجد الشك، والحيرة، والقلق العاصف ينتاب الرجال والنساء، فإذا اكتشفوا الإسلام انسكبت في نفوسهم وقلوبهم السكينة والطمأنينة، وامتلات جوانبهم بالرضا والسلام الداخلي مصداقاً لقول الله تعالى:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

ثالثاً: تشمل هذه القصص رجالاً ونساء من كل الطبقات ابتداء من علماء الدين، والمادة، والطبيعة، والذرة، والمفكرين والأدباء والفلاسفة، وانتهاء بالأفراد العاديين من كل لون.

والملاحظ أن جميعهم كانوا من أذكى الناس عقلاً وفهماً، وأن أحداً منهم لم يسلم إلا بعد بحث وتدقيق، وفحص ودراسة، بل سجل كثير منهم ضرورياً عجيبة من التحليل والموازنة، وأفكاراً غاية في الجودة والدقة والترتيب، ولعلمهم لهذا كانت لديهم تلك القدرة الحاسمة للترفة الواضحة بين ما درسوه عن عظمة الإسلام، وبين ما عليه كثير من المسلمين المعاصرين من تخلف واضطراب، لقد فهموا أن هذا سببه عدم تطبيق الإسلام تطبيقاً صحيحاً، فاستمروا على الهداية العظمى التي شرح الله صدورهم لها، بل تحولوا دعاة يذكرون المسلمين بوجوب تطبيق دينهم الحق.

ومن هذا يتبين أن إسلام هؤلاء هو اعتقاد واقتناع، وإيمان خالص، لا مدخل فيه للخداع، أو الإكراه، أو المصالح الشخصية وغيرها.

رابعاً: سجل هؤلاء المهتدون إعجابهم المطلق بالشمول الإسلامى لكل نواحي الحياة الدينية والدينية، المادية والروحية، السياسية والاجتماعية والاقتصادية ... الخ.

وكان هذا الاكتشاف أحد الأسباب المؤثرة فى جذب كثير منهم إلى الإسلام، أو التى أدت إلى ثباتهم على الإسلام بعد دخوله، لأنه يلبي الحاجات الفطرية لكل منهم، ويناسب شخصيته رغم تعدد البيئات، والقوميات، والعقائد، والعوائد السابقة لكل منهم.

إن كثيراً منهم يسجل انبهاره بصلاة الجماعة، وصلاة الجمعة، وقدرة الإسلام على إقامة مجتمع تسوده قيم الإخاء، والمساواة، وعدم التفريق بين الألوان والأجناس، لقد تحول كل هذا إلى واقع عملى تطبيقى، بينما كان ذلك فى غير الإسلام شعارات جوفاء، وألفاظاً رنانة ليس لها برنامج عملى فى واقع الحياة.

خامساً: معظم هؤلاء المهتدين نجحوا فى تشخيص الداء المدمر فى جسم الحضارة الغربية المعاصرة، والخلل الرهيب فى نمط «التدين» الذى قدمته إليها الكنائس المتعددة، والذى يقوم على ما وصفه به أحدهم من «سلبية الإيمان» والفشل الذريع فى تحقيق أى تقدم روحى حقيقى رغم البريق الحضارى، والتفوق العلمى والصناعى، الذى أدى إلى تفاقم مشكلات الإنسان، بإغراقه فى مزيد من الشهوات المادية، والملذات الجنسية، والتبذل الوجدانى، والقسوة والأنانية، التى باتت تنخر كالسوس فى كيان الحضارة الفارهة!!!

سادساً: من الخطوط المشتركة ذات الأهمية البالغة فى هذه القصص بيان الأثر الجميل للصدقة النبيلة، والمناقشة الهادئة، والقُدوة الحسنة، والدعوة اللطيفة، أو الهدية الخالصة، أو العلاقة الفردية والاجتماعية القائمة على المحبة والمودة، فإن لذلك كله آثاراً بالغة فى دعوة الناس إلى دين الله الحق المبين.

يقول النبى ﷺ: « لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق » رواه مسلم.

وفى هذه القصص أهدى طالب مسلم لصديقه الأمريكى مصحفاً باللغة العربية التى

لا يعرفها ، ومع ذلك انتهى به القَدْر إلى السعادة العظمى بدخول الإسلام (انظر القصة رقم: ٧) وغير ذلك كثير في بقية القصص، ولذلك ينبغي أن يتنبه المسلمون في كل مكان إلى هذا المعنى الجميل في الدعوة إلى الله تعالى.

سابعاً: معظم القصص تسجل (ظاهرة) مريرة، وهي: جهل أصحابها المطلق بالإسلام قبل معرفته، أو كراهيته كراهية شديدة بتأثير الدعاية الحاقدة على دين الله تعالى في الهند، أو في الغرب عامة من جراء الأكاذيب التي أذاعتها الكنيسة الكاثوليكية الجاهلة وأمثالها، وكذلك بفعل اليهود أعداء الوحي الإلهي من قديم، وأعداء كل رسول بعثه الله إليهم أو إلى غيرهم!!

والمسلمون مطالبون في كل مكان أن يكونوا خير عنوان لدينهم العظيم، حتى يردوا بأخلاقهم مزاعم الكذابين، الذين شحنوا نفوس الأمم بغاية الحقد والبغضاء للإسلام والمسلمين، والله من ورائهم محيط.

ثامناً: معظم هذه القصص حرص المؤلف - جزاه الله خيراً - على توثيقها بذكر مراجعها، أو بيان أنها نتيجة لقاء شخصي مع صاحبها، أو أرسلت إليه من أصحابها أنفسهم، أو كتبها ألصق الناس بهم، ونحو ذلك من ضروب التوثيق العلمي، الذي يحمل على الاطمئنان إليها، والثقة بها، وبيعدها عن ذلك اللون من المنشورات التي تقوم على الأكاذيب، وتلفيق القصص، خدمة لمذاهب وعقائد متهافتة، متناقضة، لا تستند إلا على أكاذيب من جنسها، فيفضح الله الباطل من طرفيه، والله لا يصلح عمل المفسدين!!

وبعد:

فإن الإسلام دين الله لعباده في كل العصور، وعلى لسان كل رسول، وقد زكى رسالته الخاتمة فقال تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾

[المائدة: ٣].

وهذه القصص جميعاً شهادة عالمية بأن هذا الدين الذي جاء به محمد ﷺ هو الحق من عند الله، وأنه هو المتفرد بالصحة والحفظ من الله تعالى، ولذلك ينحاز إليه عقلاء الأمم وسعداء البشر في كل الأجيال.

وفى هذا تذكرة للمسلمين قبل غيرهم بمقدار النعمة الإلهية التي أهديت إليهم، ليقوموا بحققها عملاً وبلاغاً للعالمين، والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فهذه باقة من القصص الإسلامية وفق الله إلى جمعها وترجمتها، أقدمها اليوم للجيل الجديد من قراء العربية ليتبينوا ما هم فيه من نعمة الهدى والإيمان بدين الإسلام الحنيف، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ما معناه: لا يعرف الإسلام من لا يعرف الجاهلية، وأخشى ما كان يخشاه الخليفة الفاروق أن ينشأ المسلمون لا يعلمون من أمر الجاهلية شيئاً، فلا يعرف الشيء إلا بضده، قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]، فهناك الليل والنهار، والذكر والأنثى، والشمس والقمر، والظلام والنور، كذلك هناك الهدى والضلال، والسعادة والشقاء، والجنة والنار... إلخ، ولقد قالها ربي بن عامر لرستم أحد أمراء الجاهلية (الفارسي). حين سأله رستم: ما الذي جاء بكم؟ قال ربي بن عامر: إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

ربّ قائل يقول: إن المسلمين اليوم بعيدون عن الإسلام بعداً كبيراً، إلا أن أعداداً كبيرة من الناس في الشرق والغرب في أفريقيا وآسيا وأمريكا وأوروبا تدخل في هذا الدين أفواجا، فتؤمن به وتجاهد في سبيل إقامته في أنفسها وفيمن حولها فما سبب ذلك يا ترى؟ مع أن نشاط الدعوة الإسلامية محدود، وجنودها قلائل وإمكاناتها ضئيلة؟ قال أحد العلماء: أن السبب يكمن في الإسلام ذاته؛ هذا الدين الخالد الذي أنزله الله وتكفل

بحفظه واستمراره، ولقد عرف أعداء الإسلام هذه الصفة الربانية فكرسوا جهودهم لتشويهه وطمس حقائقه، وأصدروا مئات الكتب لذلك وطبعوا القرآن محرفاً، ولكن دون جدوى وصدق الله العظيم: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿ وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

هذا هو التفسير الحقيقي لما نسمعه كثيراً من قصص يحير الفكر ويثير الدهشة، ولنضرب لذلك بعض الأمثلة من التاريخ القديم والحديث:

ها هي جحافل التتار تكتسح البلاد الإسلامية فلا تبقى ولا تذر ثم يشاء الله لهم الهداية فيهتدى ملوكهم ويسلمون وينتصر دين الله على جيروتهم فيخضعهم ويقودهم إلى طاعة ربهم، وما قصة الأتراك السلاجقة منا بعيد. هذا فيما مضى.

أما في العصر الحديث فهناك أمثلة فردية كثيرة. يحدثك بعض الناس عن مستشرق ماكر، وعالم فذ يستخدم علمه ودهاءه في الكيد للإسلام والمسلمين فيدس السم في الدسم، ويظهر الباطل حقاً ويفعل ويفعل، وبين عشية وضحاها تسمع أنه أشهر إسلامه وأصبح على ثغرة من ثغور المسلمين يدافع عنهم، ويرد كيد عدوهم ويذب عن حياضهم، فتعجب وتقول: سبحان الله! ولكنه الدين الإلهي العظيم، الذي أنزل بهذه القوة منذ الوهلة الأولى فأحل الأخوة والتواد محل العداوة والغضاء، وفي هذا المعنى يذكر الله تعالى المؤمنين في كتابه العزيز فيقول جل شأنه ﴿ وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وبين يديك أخی القارئ مجموعة من هذه الأمثلة الحديثة مختارة من بين مئات القصص التي لا تقع تحت الحصر، عسى الله أن ينفع بها إنه سميع مجيب، ولا أنسى أن أقدم شكرى وامتنانى إلى كل من ساهم معى فى إخراجها وإعدادها وجمعها، كما أتوجه بالدعاء إلى الله أن يهدى قومى إلى دينه إنه ولى ذلك والقادر عليه. وأخص بالشكر الأخت المسلمة والكاتبة الإسلامية الكبيرة مريم جميلة التى تفضلت مشكورة بتزويدى بقصة إسلامها، كما أتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ الكبير والمجاهد الفاضل الدكتور عيسى عبده إبراهيم الذى زودنى بقصة إسلام والده المرحوم الدكتور عبده

إبراهيم نصر الله ثراه، كما أشكر الأستاذ الشيخ محمد المجذوب - المدرس بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة الذي تفضل بالإسهام بقصة «هدى» المسلمة الفرنسية وهي القصة التي سبق أن نشرها في مجلة حضارة الإسلام الغراء.

كما أتوجه بشكري الجزيل إلى أخي وأستاذي الشيخ عبد الله العقيل الذي بذل جهده المبارك لتشجيع إصدار هذه السلسلة.

وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِذِي مَيْرَتَيْنِ

د. عرفات العشي

الكويت في ٢٦ جمادى الأولى ١٣٨٨ هـ

٢٠ آب (أغسطس) ١٩٦٨ م

ألمانيا:

أ. محمد صديق
مُسلِمُ ألماني

قام صاحب هذه القصة بزيارة الكويت عام ١٩٦٦
وأجريت معه مقابلة هذه هي خلاصتها

س: نحب أن نتعرف بكم:

ج: اسمي محمد صديق، ولدت في عام ١٩٤٤ في مدينة برلين بألمانيا الغربية،
وذهبت إلى المدرسة مدة عشر سنوات ثم دخلت مصرفاً كي أصبح كاتباً فيه، وفي غضون
ذلك بدأت صلتى بالإسلام لأول مرة، فاعتنقت الإسلام في عام ١٩٦٢، وكان لدى رغبة
في الدراسة الجامعية ولذلك فبعد أن أنهيت دراستي في المصرف وبعد أن أصبحت كاتباً
عدت إلى المدرسة وقضيت فيها ثلاث سنوات، حتى حصلت على شهادتي النهائية التي
تخولني حق الدراسة في أي جامعة، وآمل أن أدرس الشريعة الإسلامية في كلية
الشريعة بدمشق.

س: لماذا اعتنقت الإسلام؟

ج: في عام ١٩٦١ دعاني مسلم ألماني إلى اجتماع لبعض المسلمين في برلين وفي
ذلك المساء رأيت لأول مرة صلاة الجماعة في الإسلام، ورغم أنني كنت أضحك في بداية
الأمر من شكل الصلاة، فإن هذه الصورة ذاتها هي التي جعلتني أفكر في الإسلام، فقد
أردت أن أعرف لماذا يقوم هؤلاء الناس بالصلاة بهذه الكيفية؟ فاستنتجت أنها خير
سبيل يختاره الإنسان لعبادة خالقه، فبدأت وأنا ما زلت بروتستانتياً في أداء الصلاة
بالكيفية الإسلامية، وكنت في ذلك الحين في السادسة عشرة من العمر، وهي المرحلة
التي كنت أبحث فيها عن الحقيقة والمعرفة، فبدأت أدرس الأديان بصفة عامة والإسلام
على وجه الخصوص، فأيقنت في غضون دراستي أن دنيا تفكيرى وإحساسى أقرب
للإسلام منه للنصرانية، وبالتدرج اكتشفت أن الإسلام كمنهج حياة كان ينسجم من كافة

الوجوه مع فطرتي البشرية.. واستطيع هنا أن أضرب مثالا نظرياً وآخر عملياً، فمثلاً: عندما درست وجهة النظر الإسلامية حول النبي عيسى عليه السلام عرفت أنني لم يحدث قط أن آمنت بأن عيسى عليه السلام ابن الله، كما عرفت فيما بعد من أستاذ بروتستانتى أن عددا كبيرا من النصرى - حوالى ٨٠٪ - أقرب إلى الإسلام منهم إلى النصرانية فى هذه الناحية على الأقل من عقيدتهم.

أما من الناحية العملية فحتى قبل إسلامى كنت أنفر من الخمر والرقص وما شابه ذلك من الأمور التى عرفت فيما بعد أنها محرمة فى الإسلام، وهكذا كان الإسلام بالنسبة لى كعملية اكتشافى لفطرتى ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

س: لماذا تريد دراسة الشريعة الإسلامية وما أهدافك من وراء هذه الدراسة؟

ج: من تجاربى فى ألمانيا وغيرها من البلاد الأوروبية اقتنعت أن الحركة الإسلامية فى أوروبا وفى ألمانيا بصفة خاصة بحاجة ماسة إلى متفرغين للعمل الإسلامى، لأنه حتى الآن فإن جانبنا كبيراً من كافة أنواع النشاط الإسلامى يقع على عاتق جمعيات الطلبة المسلمين هناك، وبطبيعة الحال فإن الأخ القادم إلى ديار الغرب باحثاً عن المعرفة لا يستطيع أن يقضى كل ما لديه من وقت فى العمل الإسلامى، إذ يستطيع هؤلاء الطلاب أن يقضوا ساعة أو ساعتين يومياً فى الدعوة، ولكن لا بد من وجود أخ يستطيع أن ينظم، وهذا التنظيم يحتاج إلى متفرغ، ومعرفتى بالإسلام حسب المصادر التى توفرت لى لا تعتبر كافية لملء هذه الوظيفة، ولذلك أريد دراسة الإسلام فى جامعة إسلامية أولاً: كى أتمكن من الإسهام بثقافتى فى الحركة الإسلامية فى أوروبا، وأنا مقتنع بالطبع أن الإسلام اليوم فى أمس الحاجة إلى متخصصين فى ميادين أخرى، ولكن التخصص فى أى ناحية أخرى لن يمكننى من التفرغ لتنظيم الجمعيات الإسلامية فى ألمانيا، ومعنى هذا إننا بحاجة إلى مفكرين كما إننا بحاجة إلى جنود للدعوة الإسلامية، وأحب أن أكون من النوع الأخير.

س: ما هى نواحي النشاط الإسلامى فى ألمانيا؟

ج: إن النشاط الإسلامى فى ألمانيا حديث العهد جداً، فقد تأسست جمعيات الطلبة

المسلمين فى غضون الثمانى أو العشر سنوات الماضية، فكان هناك نشاطات محلية ومنذ أربع سنوات فقط بدأت هذه الجمعيات المحلية تشكل منظمات على مستويات أشمل كاتحاد الطلبة المسلمين فى إنجلترا، واتحاد الطلبة المسلمين بأوروبا، فقد تأسس كل منهما منذ أربع سنوات فقط، وتعتبر أوجه نشاطهما حتى الآن محدودة للغاية، وسبب ذلك هو الحاجة إلى التنظيم، وتآلف نشاطات الجمعيات الإسلامية المحلية من إقامة الشعائر الدينية والقاء المحاضرات الأسبوعية للمسلمين والندوات العامة وحلقات النقاش لغير المسلمين، كما شرعت بعض الجمعيات فى إنشاء مدارس الجمعة لأبناء المسلمين، كما أن هناك عدداً صغيراً من المطبوعات الإسلامية باللغة المحلية، كذلك تجرى الاحتفالات الإسلامية، كما بدأت الجمعيات مؤخراً فى عقد الاجتماعات الأسبوعية وأعتقد إننا سنستفيد كثيراً من إنشاء مراكز صغيرة فى كل جامعة وأعنى بهذه المراكز استئجار شقة أو بيت صغير يتألف من غرفة للصلاة ومكتبة وغرف أخرى تكفى لثمانية أو عشرة من الأخوة على الأقل للعيش معاً، وتأليف مجموعة للقيام بشتى نواحي النشاط الإسلامى.

س: ما هو انطباعك عن المسلمين فى العالم الإسلامى؟

ج: اعتدت منذ عام ١٩٦٢ أن أقوم كل عام بزيارة لبعض الأقطار الإسلامية، وإذا تذكرت معنى الزيارة أستطيع أن أقول إن زيارتى الأولى فقط هى التى رضيت عنها، ذلك لأننى قضيت معظم الوقت من هذه الرحلة فى بلدة صغيرة بالأردن وكانت الحياة العامة فى هذه البلدة فى ذلك الوقت على الأقل قد أعطتني فكرة جزئية عن خلق المسلمين فى حياتهم العامة، وسرعان ما تلاشت هذه الصورة عندما شاهدت أماكن أخرى، كما شاهدت هذه البلدة ذاتها بعد بضع سنين، وأستطيع أن أقول بصفة عامة أن مظاهر الحياة العامة فى بعض الأقطار الإسلامية تتنافى مع ما جاء به الدين الإسلامى.

س: ما دور الحركة الإسلامية فى الغرب؟

ج: إننى أعتقد أن وجود حركة إسلامية منظمة تنظيماً دقيقاً فى ديار الغرب يمكن أن يلعب دوراً بارزاً فى العالم الإسلامى المعاصر، وذلك لسببين: الأول أننا كمسلمين نشطين يمكننا أن نعمل للإسلام فى البلاد الغربية بقدر أكبر من الحرية عنه فى معظم

البلاد الإسلامية المعاصرة، فبينما يتعرض المرء لصعوبات كبيرة إبان عمله للإسلام فى بعض البلاد الإسلامية، فإنه يكون فى مأمن من مثل هذه الأخطار على حياته الشخصية، والسبب الثانى هو أن كثيرا من الطلبة الدارسين فى الغرب سيلعبون دورا فعلا فى الحياة العامة فى بلادهم بعد عودتهم إليها، فلو عاد عدد من هؤلاء إلى بلادهم كمسلمين ممتازين سيؤدى ذلك إلى خير الإسلام فى المستقبل القريب، ومعنى ذلك أن قيام حركة إسلامية منظمة فى الغرب مهم جدا لمستقبل الإسلام.

س: ما موقف المسلم فى أوروبا من الحضارة الغربية؟

ج: إن موقف المهتمين إلى الإسلام من الحضارة الغربية موقف سلبي، فكثير منهم اختاروا الإسلام منهجا لحياتهم لأنهم لم يجدوا سبيلا آخر لحل مشكلاتهم فى ضوء اعتبارهم أن الإنسان من مخلوقات الله، والحضارة الغربية تضع حلا لمشاكل الحياة المادية فحسب، وقد أقر هذه الحقيقة المسلمون وغير المسلمين فى أوروبا ونحن نشاهد الأثر المدمر للحضارة الغربية على الحياة الإنسانية، فقد تحطمت الأسرة كما جمدت صلات المودة بين الأفراد، فضاعت على المجتمع فرصة حل مشكلات أفرادها بصورة إنسانية صحيحة، لذلك كان لزاما علينا أن نقول بأننا إذا شئنا أن نكون بشرا بحق نتصرف تصرفات إنسانية فلا بد لنا أن نعرض عن التقليد الأعمى للحضارة الغربية، وبطبيعة الحال هناك مسلمون فى الغرب والشرق على السواء يعربون عن إعجابهم بالحضارة الغربية ويحاكونها محاكاة عمياء، فعليهم أن يتذكروا ما قاله برتراند راسل الفيلسوف الإنجليزى الذى نال جائزة الدولة، فقد كتب فى أحد مؤلفاته بأن الناس فى الغرب غير قادرين على تطوير الجانب الإنسانى من الحياة بنفس الكمية التى تتقدم بها الناحية المادية، وإن كل خطوة إلى الأمام فى المخترعات المادية هى خطوة نحو فناء الإنسان، وليس معنى ذلك أننا لا بد أن نرفض كافة المخترعات الغربية، ولا أن ننكر العلم الذى أحرزه الغرب فى عدة ميادين من الحياة العلمية، ولكن علينا أن نكون دائما على يقظة. فلا نلقى بأنفسنا تحت زحمة هذه الحضارة، بل نأخذ منها ما ينسجم وإسلامنا ونلقى عن كاهلنا عقننا وفسادها. وهذا الأمر ممكن لو آمننا بالإسلام عن بينة وهدى.



انجلترا:

٢- عائشة برجت هوني

فتاة انجليزية تعمل مدرّسة في مدرسة عليا في نيجيريا. وفيما يلي نص المقابلة التي أجريت معها ونشرت في بعض المجلات الإسلامية باللغتين الانجليزية والأوردية.

س: متى اهتديت إلى الإسلام وكم كان سنك في ذلك الحين؟
عائشة: منذ ثلاث سنوات ونصف أضاء الله قلبي بنور الإسلام. وكنت أبلغ من العمر واحدا وعشرين عاما.

س: هل لك أن تحدثينا عن كيفية اعتناقك لهذا الدين الحنيف؟

عائشة: نشأت في أسرة انجليزية لا تختلف عن عامة البيوت الانجليزية من الناحية الدينية. فقد كانت أمي نصرانية لا تؤدى الشعائر الدينية النصرانية ولم يكن والدي يؤمن بأى دين من الأديان. وقضيت مرحلة الطفولة في إحدى المدارس الدينية التابعة للكنيسة فتعلمت كافة الموضوعات التي تدرس فيها. إلا أن محادثاتنا لم تكن تمت للدين بصلة. فلا أذكر أنني سمعت في منزلي في أى يوم من أيام طفولتى أى ذكر لاسم الله. ولم أكن مقتنعة ببعض المبادئ الرئيسية فى الديانة النصرانية وخاصة فكرة التثليث ومبدأ تكفير الذنوب الذى يزعم أن الله أو المسيح قد قدم نفسه فدية للناس فرضى أن يصلب تكفيراً عن جميع ذنوبهم. ورغم ما سمعته من مناقشات حول هذه المعتقدات لم أقتنع بشئ من ذلك وشعرت أن كل ما سمعته لا يمثل إلا جانبا واحداً من الحقيقة. وكنت أريد أن أعرف الحق كاملاً غير منقوص. صحيح إن مدرستى التى قضيت فيها طفولتى كانت نصرانية إلا إننى تخرجت منها غير مؤمنة.

حيرة في شئ المذاهب:

كنت شغوفة بالفلسفة وكانت لدى رغبة شديدة فى التوصل إلى الحقيقة. فلما بلغت

نشرت هذه القصة بالانجليزية فى مجلة العرفان الباكستانية.

من العمر خمسة عشر عاماً طالعت كتاب «طاوته شنج» وكان عبارة عن مجموعة من الكتابات القديمة حول فلسفة «طاو» الصينية. فتأثرت بأفكاره، ثم حدث أن عثرت على بعض المعلومات اليسيرة عن الديانة البوذية فقررت أن أتعمق في دراسة هذين المبدئين الفيلسوفين كليهما. فشرعت في تعلم اللغة الصينية ولم يكن ذلك بالأمر الهين على فتاة مثلى في الخامسة عشر من العمر بلا نقود ولا إمكانيات. لذلك سافرت إلى كندا بعد أن بلغت من العمر سبعة عشر عاماً. فاشتغلت لمدة سنتين جمعت خلالها نقوداً تكفي لإكمال دراستي. وكان برنامجي يتلخص في الحصول على الشهادة الثانوية ودخول الجامعة لتعلم اللغة الصينية. وعندما كنت في كندا تعلمت الفلسفة الهندوكية وقرأت الكتب الهندوكية المقدسة. وكانت المبادئ الثلاثة التي كنت أعرفها في ذلك الحين هي الطاوية والهندوكية والبوذية. صحيح إن تلك المبادئ تتميز بالجمال والعمق والسمو إلا إنها لم تشبع عقلي ولم ترض مشاعري. فقد فشلت هذه المبادئ فشلاً ذريعاً في الاستقرار أو الثبات في هذا الكون الفسيح وفي الحياة اليومية التي يعيشها الناس بعضهم مع بعض. فهي تغفل جانباً أو آخر من جوانب الحياة إغفالاً تاماً. فقد كان مؤسس الديانة الطاوية مثلاً يهيم على وجهه في الأماكن النائية من العالم في صورة راهب أو متصوف. كذلك ترك بوذا زوجته وأهله وخرج باحثاً عن الحقيقة. والكتب الهندوكية أخلاقية من أساسها. ولكن هل يكفي أن تكون التصورات البشرية للحياة الاجتماعية مجرد هلوسة لا أساس لها من الحقيقة؟ إن هذا التساؤل قد حيرني .. فلم يكن بوسعي الإيمان بأى من هذه المبادئ الثلاثة. ولكن بمؤمن إذن؟ وما الهدف من الحياة؟ هل الحياة صدفة كما يزعم بعض الناس؟ ويمرور الزمن ازداد القلق والحيرة بصورة لم أكن أذوق معها طعماً للنوم ليالي بأكملها. لذلك لم يعد هناك أى جدوى من نجاحي في امتحان الثانوية ودخولي الجامعة لدراسة اللغة الصينية. صحيح إنني حققت رغبتى في تعلم اللغة الصينية ولكن الحقيقة التي كنت أبحث عنها كانت لا تزال بعيدة نائية ...

التَّعَرَّفُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ:

وبعد التحاقى بالجامعة أتاحت لى فرصة التعرف على المسلمين، ولم أكن قبل ذلك قد قرأت أو سمعت شيئاً عن الإسلام، بل الحقيقة إننى كنت كسائر الغربيين أكنُّ أحقاداً

وشكوكاً وشبهات حول الإسلام. فشرح لى الطلاب المسلمون فى الجامعة مبادئ دينهم الأساسية بكل هدوء وموعظة حسنة. وأجابوا على كافة اعتراضاتى كما أهدوا لى بعض الكتب لمطاعتها. فكنت فى مستهل الأم أقلب صفحات هذه الكتب بصورة سريعة فى أوقات فراغى واعتبرت ذلك مجرد تسلية وترفيه لى، ثم حدث تغير مفاجئ عندما شرعت فى قراءة فقرات من هذه الكتب، فقد أخذت الشبهات العالقة فى نفسى حول الإسلام تتلاشى شيئاً فشيئاً، وانكبت على قراءتها بصورة جدية، فأذهلنى أسلوبها فى العرض وطريقتها الجديدة فى الشرح والتعليق، وتأثرت غاية التأثر بمنطق المناقشة التى تناولت بها فكرة الخالق والمخلوق والحياة بعد الموت، ثم أهدى لى هولاء الطلاب المسلمون نسخة من ترجمة معانى القرآن باللغة الإنجليزية. ولن أستطيع مهما حاولت، أن أصف الأثر الذى تركه القرآن فى قلبى، فلم أكد انتهى من قراءة السورة الثالثة من القرآن حتى وجدتنى ساجدة لخالق هذا الكون. فكانت هذه أول صلاة لى فى الإسلام. ومنذ ذلك الحين وأنا مسلمة والحمد لله، فقد اعتنقت الإسلام بعد أقل من ثلاثة أشهر من بدء سماعى بهذا الدين، لذلك لم أكن أعرف منه إلا أركانه الأساسية. فأخذت أوجه أسئلة كثيرة لإخوانى المسلمين وأناقشهم فى تفصيلاتها.

وكثيراً ما يسألنى الناس عن الدوافع الرئيسية التى أدت إلى اعتناقى للإسلام. فأجيب بأنه ليس من اليسير على أن أقدم إجابة مرضية لذلك. فالإسلام فى تصورى وكما يراه أحد الأوروبيين المسلمين كمثال نموذج هندسى بديع كامل يكمل كل جزء من أجزائه بقية الأجزاء الأخرى ويكمن سر جماله فى انسجام هذه الأجزاء وتلازمها. وهذه الخاصية الإسلامية هى التى تمارس تأثيرها العميق فى النفس الإنسانية. فإذا تأملنا تصور الإسلام العميق لعموم الأشياء والأهداف والدوافع والأفعال وتفسيراته للحكمة الإسلامية فإن ذلك يثير دهشتنا، وإذا نظرت إلى أحكام الإسلام وتفصيلاته وجدت فيها خير هاد لحياة اجتماعية نظيفة تنبثق من قيم خلقية صحيحة. فالمسلم مثلاً يذكر اسم الله فى مبدأ كل عمل. ومن هنا يتم الترابط بين حياته اليومية ودينه فتتوزن الحياة وتنسجم.

س : كيف كان أثر اعتناقك للإسلام بالنسبة لأسرتك وأصدقائك؟

ج: لم يبد والداى اهتماماً كبيراً لذلك فى مبدأ الأمر. فحسبوا أن ذلك مجرد هواية

أمارسها، كالحصان الخشبي مثلاً، أو كـرغبتى السابقة فى تعلم اللغة الصينية وإننى سرعان ما يخفف حماسى ثم أنساها بمرور الزمن. ولكن الأيام أثبتت خطأ تفكيرهما. فقد رسخت عقيدتى لدرجة تخطت معها مرحلة التفكير وامتدت إلى التأثير فى عاداتى وتصرفاتى بل غيرت أسلوب حياتى. عند ذلك أخذ والداى يعريان عن أسفهما لما سببت لهما من مضايقات بامتناعى عن الخمر ولحم الخنزير. كما كرها مشاهدتى ملفوفة فى غطاء رأسى والاحتفاظ بهذه الهيئة فى غدواتى وروحاتى، والحقيقة أنهم كانوا يوجهون جل اهتمامهم إلى ما يقوله الناس عنى، ولم يكن يهمهم أمر الاعتقاد والإيمان، إلا أن أصدقائى الانجليز كانوا على النقيض من ذلك، فقد كانوا يتمتعون بمقدرة كبيرة على المناقشة والجدل، وكانوا يقبلون كل شىء يثبت بالدليل العقلى، وعندما كنت أحدثهم عن التصور الإسلامى ومقوماته فى الحياة الاجتماعية كانوا يسلمون بحكمته وسموه. وذات مرة حدثت مناقشة بينى وبين بعض الأصدقاء حول موضوع تعدد الزوجات فى الإسلام والحدود التى فرضها الله فيها. فشرحت لهم وجهة النظر الإسلامية وقارنت ذلك بما يقابله فى الحضارة الغربية فاقتنع الجميع أن التعدد الإسلامى يعتبر أفضل حل لبعض جوانب الحياة الزوجية.

س : هل واجهت مشكلة أو مضايقة ما على أثر اعتناقك الإسلام؟

ج: إن ضعفاء العقول من غير المسلمين يضمرون تزمناً شديداً ضد الإسلام. فكثيراً ما يهزأون بالمسلمين ولو لم يفعلوا ذلك أمامهم لمزوهم من وراء ظهورهم. ومن ناحية أخرى لا يختص هؤلاء الجهلاء الجهلة مع الملحدين والكفرة بل يحترمونهم لما يضمرون لهم من حرية فكرية زائفة! أما الإسلام والمسلمون فيسببون لهم ضيقاً شديداً! ورغم ذلك كله أقول بإننى لم أواجه أية صعوبة تذكر فى هذا السبيل، ولعل مرد ذلك إلى إننى طالبة جامعية فى معهد الدراسات الشرقية والإفريقية فلم أكن أحتك إلا بأناس يعرفون شيئاً عن الديانات والعقائد. إلا إننى أشعر بما يقاسيه كثير من المسلمين. فالمسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

س : هل لى إن أسألك عن مستوى ثقافتك الإسلامية؟

ج: اقتصررت دراستى للإسلام على الكتب التى وصلت إليها يدي. كما تعلمت كثيراً من أسئلتى التى وجهتها لبعض العلماء المسلمين ومن مناقشتى لبعض المسلمين فى

شتى الأماكن. وفي العام الماضى تعلمت التصور الإسلامى الصحيح والفلسفة الغربية من طالب سودانى كان يعقد اجتماعاً أسبوعياً يؤمه فى العادة عشرة أشخاص، حيث كنا نقرأ الترجمات المهمة لمعانى القرآن الكريم ونقارنها بالنص العربى كما نناقش كل آية حسب فهمنا لها. ويؤسفى أن أذكر إنه بعد سفر هذا الأخ السودانى لم أجد أحداً فى لندن لديه من العلم والحماس ما يدفعه إلى مواصلة هذا العمل بصفة مستمرة.

س : هل تعتقدون أن الإسلام يمكن أن يؤثر فى الحضارة الحديثة بأى شكل من الأشكال؟ وما نوع هذا التأثير؟

ج: يعيش العالم الغربى اليوم فى ظلام، وليس هناك أى بصيص من الأمل فى قيام الحضارة الغربية بتوفير سبيل لتخليص الروح والنفس. فكل من يعرف الوضع الحقيقى للمجتمعات الغربية يلمس هذا القلق والحيرة العالمية، التى تختفى خلف بريق التقدم والأبداع المادى الزائف. فالناس فى الغرب «والشرق» يبحثون عن مخلص من العقبات التى تحيق بهم. ولكنهم لا يرون منها مخرجاً. فبحثهم عقيم. وليس أمامهم إلا أن يواصلوا سيرهم نحو جحيم الفناء والكارثة. لكن الانسجام اللطيف فى الإسلام بين مستلزمات الجسد ومتطلبات الروح يمكن أن يمارس تأثيراً قوياً فى أيامنا هذه. ويوسعه أن يبين للحضارة الغربية السبيل المؤدى إلى الفلاح والخلاص الحقيقين، وأن يقدم للرجل الغربى التصور الحقيقى للحياة، وأن يقنعه بالجهد فى سبيل مرضاة الله بما من شأنه أن يضمن له الفوز فى الآخرة، نسأل الله أن يقدر لنا النجاح فى الحياة الدنيا والآخرة.

س : ما خير سبيل فى رأيك لنشر الإسلام؟

ج: قبل أن نحرص على نشر الإسلام لابد أن ترتفع بحياتنا وأفعالنا إلى المستوى اللائق بديننا. قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢] فإذا أصبحنا دعاة مخلصين للإسلام فلا داعى للقلق على شىء. فلا بد لنا أن نفهم الإسلام فهماً حقيقياً وكاملاً. وعندها فقط وتطبيق ما نفهم نكون دعاة للإسلام بمعنى الكلمة. فتسهل علينا حينئذ الإجابة على كافة الاستفسارات والاعتراضات

ونكون قدوة عملية لما ندعو الناس إليه . ولا شك أن توفر الكتب الإسلامية الناضجة يفيد كثيراً فى تحقيق ذلك. فأثر الكتاب أبلغ بكثير من أثر المناقشة والجدل. ولسوء الحظ ليس هناك كتب إسلامية كثيرة باللغة الانجليزية(*) وختاماً أؤكد أهمية القدوة الصالحة. فمن واجبنا أن نكون نماذج حية لما يأمرنا به القرآن.

س : هل هناك عقبات خاصة تعترض سبيل المسلمين فى بريطانيا بالذات؟ وما هذه العقبات؟

ج: إذا قامت أسرة إنجليزية بكامل أفرادها باعتراف الإسلام، تتلاشى جميع المشكلات وتعيش بسلام لأنها تطبق منهاج الحياة الاجتماعية فى الإسلام ولكن عندما يهتدى إلى الإسلام شخص واحد فقط - شاب أو فتاة غير متزوجة فى أسرة غير مسلمة - فلا بد أن يواجه كل منهما صعوبات جمّة. ولا بد أن يشعر باستمرار أن المجتمع البريطانى وبيئته العامة ليس مجتمعهم ولا بيئتهم. ولما كان الواحد منهما يعيش فى مجتمع جاهلى لذلك لا يد أن يواجه كثيراً من المشقة فى إقامة الصلاة والصوم فى الأوقات المحددة لذلك، أما الأسر المسلمة فلا يشكل ذلك أية مشكلة بالنسبة لها. ولكننا نحن المسلمين فى بريطانيا بحاجة ماسة إلى علماء يمثلون الحضارة الإسلامية قولاً وعملاً، ويعينون المهتدين إلى الإسلام على فهم القرآن والسنة. فكثير من هؤلاء يريد أن يفهم الإسلام ولكنه يعدم الوسيلة لذلك. ومما يؤسف له أن المراكز الإسلامية فى لندن لا تفعل شيئاً من ذلك بل يقتصر الأمر على الطلبة المسلمين دون غيرهم، وهؤلاء ليس لديهم الوقت الكافى للقيام بهذه المهمة.

ولا بد أن أنوه فى ختام حديثى إلى ما لاحظته من إعجاب الشباب المسلم الناشئ بمنجزات الغرب الزائفة، فخدعوا ببريقها وعموا عن زيفها. كما أود أن أسجل هنا حبنى الشديد للعلاقات الأسرية المتينة والحياة العشائرية الاجتماعية التى يتمتع بها المسلمون. فلو قارناها بالحياة الاجتماعية الغربية لظهر لنا سموها ورفعتها. حبذا لو قامت حياة اجتماعية إسلامية بالمعنى الصحيح. لأنها هى الحياة الرائعة!

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ مُخْلِصِينَ وَقَدْ لِمَا يُرْضِيهِ الرَّسُولُ آمِينَ

(*) الناشر: بيدى استعداده لتوفير الكتب الإسلامية ولن شاء عليه مراسلة الناشر، وكذلك الرجوع إلى المراكز الإسلامية المنشور أسماؤها وعنوانها.

٣. هُدَى

(بريت غير سابقاً)

قصة من بلجيكا

مقتطف من مجلة حضارة الإسلام العدد السادس يناير ١٩٦٤ م

- ١ -

على مقربة من جامعة بروكسل، حيث شارع (١٠، فيلا ١٩) وفي حي فخم يجاور بحيرتى (اكسل) الرائعتين، يقع ذلك البناء الذى شاء القدر أن يكون مركز الدائرة فى أحداث هذه القصة..

مَنْزِلٌ وَجَيْرَانٌ :

هذا البناء الأنيق ذو المدخل الواحد، يتألف من طابقين فى الأعلى أعدا للأجرة، ثم طبقة أرضية استقلت بها الأسرة المالكة للبناء، وكانت أثناء ذلك تتكون من السيدة (نيلى) التى أوغلت فى العقد السادس وقرينها السيد (بلانشار) الموظف المتقاعد الذى لعله لا يسبقها بأكثر من خمس سنوات، وإن كان ظاهرهما يخدع الناظر عن حقيقة عمرهما، فلا يقدر لهما معاً أكثر من العقد الخامس، ومرد ذلك إلى تلك الحياة الهنيئة التى يعيشانها، بل يصنعانها بحسن تفاهمهما وتديبرهما.. وإنها لحياة هادئة لينة، يطبعها التهذيب الرفيع والرغبة فى إيثار الكلمة الطيبة. ولا شك أن للتربية المدنية العريقة أثرها العميق فى هذا اللون من الحياة، يضاف إليها أن الزوجين يعتمدان فى معيشتهم بالدرجة الأولى على ما يتقاضيانه من أجور للطابقين العلويين، ومن شأن أمر كهذا أن يجعلهما شديدي الحرص على مرضاة النزلاء أياً كان لونهم وجنسياتهم.. مما جعل المستأجرين أنفسهم شديدي الارتياح إلى جوارهما، فلا يكاد النزول يفارق ملكهما إلا إذا اضطره إلى ذلك سفر أو هجرة... ولهذه الميزة كان نزلا الطابق الثانى - من

❖ ساهم بهذه القصة الأستاذ محمد المجذوب - وهى قصة واقعية بأشخاصها وأحداثها.

الطلاب السوريين - على أتم الرضى بمجاورة هذين المخلوقين، إذ يجدان في هدوئهما وحسن معاملتهما الجو الذى تتطلبه دراستهما، وطريقة حياتهما، التى تخالف إلى حد بعيد طريقة الكثيرين من أبناء بلدتها...

أما الدور الأول من هذا البناء فقد أصبح من حظ شخصين من الأوروبيين ظلا حتى الآن، على الرغم من مرور ستة أشهر على سكناهما، مجهولين، لا يعرف أحد فى البناء كله من أمرهما شيئاً، سوى أن أحدهما امرأة فرنسية من مواليد بلجيكا اسمها (بوليت غيو)، وأن ثانيهما رجل هولندى يرجح أنه بغير عمل، لأنه قلما يغادر الدار، إلا يوم الأحد، حيث يخرج مع هذه المرأة فى رحلة تستغرق أكثر النهار، وقليل من الناس يعرف اسمه.

ولقد عرف النزيلان جنسية هذين الجارين المجهولين عن طريق صاحبة الدار، التى كان لا بد لها عند تأجيرهما من أن تعرف بعض الأشياء الضرورية عنهما، ومن ذلك عمل المرأة التى سجلت بجانب اسمها أنها تقوم بمهمة (سكرتيرة) لمدير القسم الخاص بسيارات (فولكس فاجن) من شركة (اتيره ن) لصناعة السيارات...

ويدافع من الفضول الشرقى سأل عدنان - وهو أصغر الأخوين الطالبين - صاحبة الدار عما إذا كان ذلك الرجل الهولندى زوج المرأة.. فنفت ذلك، وذكرتته بأن هذا الأمر لا يهمها، بل لا يهم سواهما، وكل ما يعينها منهما هو أن يكونا جارين مهذبين، وأن يؤديا أجرة الدار تامة فى الموعد المعين.. وكلا الأمرين مؤمنان على أكمل وجه...

وكان مألوقاً أن يتلاقى الأخوان وهذه الجارة الفرنسية معظم الأيام، على مدخل الدار السفلى، أو أثناء الدرج فلا يكون بينهم أكثر من تحية طائفة تفرضها المجاملة. دون أن تجر وراءها كلمة واحدة.. على كثرة ما تكررت..

تَبْرِجُ الْجَاهِلِيَّةِ:

على أن أكثر ما يلفت النظر فى هذه المرأة هو عنايتها الصارخة بزینتها اليومية، فهى بالرغم من أنها لا تستطيع حجب سننها الناطقة بما فوق الأربعين، لا تكاد تفارق الدار إلى عملها فى الصباح إلا بعد أن ينال كل عضو من جسمها حصته من التبرج الغالى.. ومع أن التبرج فى الحياة الأوروبية هو الطابع الرئيسى فى المرأة.. تفتت به

لتفجر الكمين المتماسك من رغبة الرجل، غير أنه فى هذه المرأة يعدو المألوف من ذلك.. إذ لا تعرف فيه حدًا للاعتدال، فالأحمر الذى تقتنع منه الأوروبية بالقليل على حافة الشفتين، يتجاوز عندها المجال الذى حدده العرف، حتى يصيغ مساحة أبعد حولها.. والشوب الذى ترك واجب الستر حتى أصبحت وظيفته مجرد الإغراء.. قد بات على جسدها أقرب إلى (تبان) السباحة، فلا يستتر بمقدار ما يجسّم.. حتى نظارتها ذاتا الإطار الذهبى الأنيق لا تستعملهما لتعديل النظر بمقدار ما تريد منهما الإثارة...!

وبأوجز تعبير: كانت المرأة انموذجًا من الاستهتار الذى لا يقيم وزنًا لأى مقياس أو تقدير...

ومع ذلك كله فهى ترم بالطالين وزائريهما، كما ترم بالآخرين من الناس فى الشارع والترام والسيارة والشركة نفسها متجاهلة الجميع، لا تثبت نظرها فى وجه، إلا بمقدار ما يتطلب الموقف.. فكأن غرضها الوحيد من ذلك الاستهتار هو فقط اجتذاب الأبصار، وإثارة الفضول دون أى شىء آخر...!

- ٢ -

هَدِيَّةٌ وَزِيَارَةٌ :

وحدث ذات يوم أن محمداً، وهو أكبر الطالين، قد عاد من أجازته الصيفية فى دمشق، ليستأنف دراسته بقسم الدكتوراه فى الكيمياء الصيدلية، وكدأبهما فى مثل هذه المناسبة كان عليه أن يخص جيرانه بنعوض الهدايا الشرقية، فملاً لصاحبى البناء طبقاً من الحلوى، ثم مضى بمثله إلى جاريهما الجديدين المجهولين.. وعلى مدخل الدور وقف يضغط الجرس، وينتظر.. ولما أطلت الجارة الفرنسية تتعرف الطارق فوجئت بما لم تتوقع.. وجمدت قليلاً قبل أن ترد تحيته ثم سألت فى لهجة لم تخل من الاستغراب:

ماذا؟

ومد محمد يده بالطبق الشهى، وهو يقول إنها هدية صغيرة من حلويات دمشق، قدمت مثلها إلى جيراننا الآخرين، فهل تتكرمين بقبولها؟

وسكب محمد هذه الكلمات فى عبارة فرنسية أنيقة، اختار لها الكلمات المناسبة،

وانثالت على لسانه فى صوت حىى سرعان ما بعث الاطمئنان فى قلب المرأة، فتناولت الهدية شاكرة، ودعته إلى الدخول وألحت بذلك، فلم يسعه إلا الاستجابة.. واتخذ مجلسه إلى يمين الهولندى الذى قدمته إليه باسم رفيقها السيد (..... ؟ ...) والذى لم يعره إلا قليلا جداً من الاهتمام، إذ سرعان ما عاد إلى محفظة الصور التى بيده يقلب فيها النظر..

ودخلت بالهدية إلى غرفة الطعام، ثم عادت ومعها صحيفة فضية يعلوها قرح صغير مذهب.. وانحنت وهى تقدمه إليه.. ولكن محمداً وضع يده على صدره وهو يعتذر، سأكون شاكراً إذا أعفيتنى.

- ولكنها خمر جيدة من أحسن أنواع الكونياك.

- لا أشك فى حسن ذوقك.. ولكنى لا أشرب الخمر..

- لماذا؟

- مسلم!..!

وانزلقت الكلمة فى عفوية مزوجة بالدهشة وجمدت عيناها لحظة على وجه ضيفها، إنها تريد أن تتبين خصائص هذه الكلمة الغريبة من خلال ملامحه وقسماته.

الإسلام المجهول:

ولم تشأ أن تخرج الفتى بالإلحاح.. فوضعت الكأس فى الصفحة الفضية على النضد النصفى، ثم أخذت مجلسها فى مقعد مجاور، وجعلت تنظر إليه، وهى تقول: الإسلام! هذا شىء أذكر أنى قرأت عنه فى بعض الكتب.. وقد أعجبنى منه دعوته إلى النظافة.

فقال محمد: إن النظافة فى الإسلام من الصفات الأساسية.. ولكنى أرجو مع ذلك أن يكون الكتاب الذى قرأته عنه من الكتب النظيفة، التى لا تعتمد تشويه الحق.

ويظهر أن حرارة اللهجة التى مازجت كلمات الفتى قد استهوت مشاعر المرأة فعقبت تقول: الحق أننى لم أقرأ الكثير عن هذا الدين الشرقى، ولم أتعمد البحث عن مضمونه.. حتى أننى لا أذكر بالضبط أين قرأت عنه.

وكان محمد يستمع إلى تلك العبارة، وهو يجيل بصره في الكتب المنضودة بأناقة على رفوف الخزانة التي بجانبه، فقال دون أن يحول بصره عنها: يبدو أن السيدين مولعان بالمطالعة.. وفي الكتب الفلسفية بخاصة؟!..

فلم ينبس الرجل بحرف.. واكتفى بزم شفثيه كأنه يرفض المشاركة في الحديث.. أو يشير إلى عدم اهتمامه بالمطالعة، ولكن المرأة أجابت: المطالعة أحب هواياتي.. وخاصة في الفلسفة والأدب..

الهدية الثانية :

قال: هل ترغيبين في قراءة شيء عن الإسلام؟.. لدى كتاب بالفرنسية ذو أسلوب أدبي معجب.. وفيه كثير من الحقائق الموضوعية عن هذا الدين.. الإلهي.

وتعمد استخدام كلمة (الإلهي) ليجعلها مقابل كلمة (الشرقي) التي وردت في تعبيرها.. وقد عنى بإخراجها في نبرات خاصة تلفت الانتباه.. فلم تتردد أن قالت: سأكون شاكرة إذا أعرتني هذا الكتاب ما دمت واثقاً من موضوعيته..

ولم يشأ أن يؤخر الأمر فاستأذن ليأتياها به.. وما هي إلا دقيقتان حتى أقبل عليها.. وهو يقول: إنه مقدمة لكتاب ضخّم ألفه مصري أسمه (عبدالله دراز) بعنوان (أخلاق القرآن).. لينال به إجازة الدكتوراه من باريس^(١).

وقبل أن يغادر باب المنزل للمرة الأخيرة التفت إلى المرأة يقول: لعل سؤالاً ما يخطر في بالك أثناء قراءته.. فلو كتبت ذلك لكان فرصة حسنة لبذل ما نستطيعه من الخدمة.

- ٣ -

إخوان ونشطاء مبارك :

كانت شقة محمد وأخيه عدنان أشبه بمكتبة الجامعة، يرتادها العديد من الطلاب العرب في مختلف أوقات النهار.. وقد تطور أمرها أخيراً حتى أصبح بين روادها

(١) الدكتور محمد عبدالله دراز كان من كبار علماء الأزهر الشريف، توفي في (لاهور) الباكستانية ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨ م أثناء مشاركته في مؤتمر إسلامي، وقد ترجم كتابه إلى اللغة العربية تحت عنوان: (دستور الأخلاق في القرآن).

الأفريقي الأسود، والهندي الأحمر، والألباني الأبيض.. وبذلك لم يقف دور الشقة عند حدود المذاكرات الجامعية، بل تجاوزها إلى المدارس الإسلامية، والعبادات الجماعية وطبيعي أن هؤلاء الرواد لم يكونوا من طبقة الطلاب وحدها بل تعددت هوياتهم كما تعددت جنسياتهم، ففيهم الطالب والعامل والتاجر.. والفقير والشرى يفدون إلى الدار من أنحاء العاصمة، ليتعاونوا على فهم دينهم، وتجديد عقيدتهم، والبحث في شئون شعوبهم وأوطانهم.. وقد رأوا أن يخصصوا يوماً من الأسبوع يتلاقون فيه على حصص منظمة من الدراسة والعبادة، فخصص للقرآن، وأخرى للحديث، ومثلها للفقه، ووقت خاص لبعض المؤلفات الإسلامية الحديثة.. وفترات خاصة للاستحمام، وللعبادة.. وهكذا كان يوم الاثنين من كل أسبوع هو اليوم الجامع لهؤلاء الرفاق، يتزودون منه بما يعوزهم لبقية الأيام، ويتهيئون له بالأفكار الجديدة، والأسئلة العديدة..

وفي جو هذه الاجتماعات يتعذر على من يحضرها لأول مرة أن يعرف مؤسسيتها ودعاتها، لأن روح الأخوة لا تدع مجالاً لأي تمييز بين الواحد والآخر، لكن القدامى منهم يعلمون أن الأخوين الدمشقيين محمداً وعدناناً.. هما نقطة الإنطلاق والارتكاز في هذا التجمع، وقد بدأ جهدهما في نطاق العمل القومي بعقد المؤتمرات الطلابية للدعوة إلى قضايا الوطن العربي.. ولمجابهة الدسائس الصهيونية، ولكن سرعان ما ألفوا أنفسهم أمام خيبة محزنه، إذ وجدوا هذه المؤتمرات لا تتجاوز حدود الجعجعة إلا قليلاً، وكثيراً ما تبدأ حتى تستحيل معارك تلعب فيها الأيدي والمقاعد وقناني الشمبانيا.. ثم يخيم عليها الصمت، ويعقب الصمت النسيان.. فلا حركة.. ولا بركة.. وكأن الله قد كون هذين الفتيين ضرباً مميزاً من الناس، فهما ينظران إلى الحياة من خلال الواجب والمثل التي جاء بها من دمشق، وقلما تمضى عليهما ليلة دون أن يحاسبا نفسيهما على ما صنعا في نهارهما، وطبيعي أن مثل هذه النفوس يستعصى انقيادها إلى مثل هاتيك التمثيليات، التي لا حصيلة لها سوى التنافس المؤسف على أمجاد وهمية لا وجود لها خارج أذهان الفارغين.. ومن هنا كان عليهما أن يشقا لنفسيهما طريقاً آخر إلى عمل مثمر، ينسجم مع أخلاقيهما التي لم تألف الانحراف عن سبيل الحق.. وهكذا انتهيا إلى الاتفاق على مخطط مدروس، ذي شعبتين: أولاهما ذاتية تتركز في تعهد نفسيهما بالجهاد المتصل، سواء في حقل الدراسة، أو التهذيب الروحي، حتى يحصناهما من تلك

المفاسد.. التى تكتسح الكثرة من مواطنيهم فى مختلف أقطار أوروبا.. أما ثانيتهما فموضوعية وبالأصح إنسانية تستهدف تنظيم الطاقات الإسلامية فى نفوس الشباب المؤمن، ليس فقط فى بروكسل، بل فى أى مكان يمكن أن يتاح لهما الاتصال به فى بلجيكا وخارجها.. وقد امتلأت نفساهما يقيناً بأن هذا هو الطريق الأمثل لخدمة القضايا العربية، وللمبارزة الدعاية الصهيونية فى مختلف الميادين، لأن الفرد الذى سيعمل فى نطاق هذا المخطط لن تصرفه شهوة عن الواجب، ولن يراوده الكسل لصدده عن مواصلة الجهد: مهما يطول طريقه..

ومنذ ذلك اليوم بدأ نشاطهما فى نفسيهما والأقربين من رفاقهما.. ثم مضوا جميعاً متعاونين فى توسيع مجالات هذا النشاط، حتى استطاعوا أن ينقلوا خطواتهم الأولى فى سبيل إنشاء المركز الإسلامى الذى يحلمون به.. وكان ذلك حين أحرزوا موافقة الحكومة البلجيكية على إعطائهم البناء الخاص بالحكومة التركية فى معرض بروكسل.. وهو البناء الذى أنشئ على صورة المسجد بقبته ومنارته، ثم أصبح فارغاً معطلا بعد انقضاء العرض.. وها هم أولاء يعدون عدتهم منذ اليوم ليقيموا فيه صلاة عيد الفطر الذى بات موعده وشيكاً.. ثم ليجعلوه فيما بعد مسرح نشاطهم الذى لم يعد بمتسع له البيت..

وقد أصبح لديهم مكتبة متنقلة تحتوى طائفة من أنفس الكتب الإسلامية بالعربية وغيرها، وتقدم بطريق الاستعارة للرجال والنساء على سواء.. ولقيت حركتهم عطفاً مشجعاً لدى بعض السفارات الإسلامية، وبخاصة سفارة السنغال التى يقوم على رأسها رجل من أصح المسلمين عقيدة وغيره، يحيط به قلة من الموظفين لا يقلون عنه حباً للإسلام، واهتماماً بشؤون المسلمين، ولم تعد حركتهم محصورة فى حدود المسلمين وحدهم، بل بدأت الاتصال بعناصر مثقفة من البلجيكيين والأوروبيين أنفسهم، وها هو ذا عدد منهم نساء ورجالا يحضرون اجتماعاتهم الأسبوعية، ليستمعوا إلى معانى القرآن والحديث، وليشاركوا فى مناقشة الأفكار المختلفة التى تقرأ فى بعض هذه الاجتماعات عن الإسلام والمسلمين.

وفى هذه الغمرة من العمل الدائب كاد محمد ينسى تلك الجارة الفرنسية والكتاب الذى أعارها إياه، لولا ذلك اللقاء اليومى الذى يذكرهم بها عند مدخل البناء، أو على الدرج المشترك، فلا يزيد عن تحية يوردها ثم يمضى كل فى طريقه دون سؤال.. ولكن حدث اليوم شىء جديد لم يعهد مثله منذ حلت هذه المرأة ورفيقها مكانها من هذا البناء..

الانقلاب الكبير:

كان اليوم هو الأثنين، موعد الاجتماع الأسبوعى، وبينما الشقة مكتظة بالرواد مائنين غرفها الثلاث وردهتها الواسعة، إذا بصوت الفرنسية يقتحم عليهم الشقة صاعداً من تحت.. وفيه تعنيف يصل إلى مستوى الإهانة، موجهاً إلى الرفيق الهولندى.. دعنى.. إلى متى تمص مالى، وأنت لاصق بمقعدي كالعنكبوت؟!.. لم أعد أطيق رؤيتك.. ويرتفع صوت الهولندى خلال ذلك، ولكن فى لغة خليط لا يكاد يفهم منها شىء.. ثم لم تلبث الضجة أن همدت وأعقبها وقع أقدام الرجل يهبط السلم وهو يقذف باللعنات مميناً وشمالاً..

ولم يستطع محمد إلا أن يستكشف النبأ فهبط إلى الدور الأرضى يستوضح السيدة (نيلى بلانشار مالكة البناء) الأمر فإذا هى تخبره أن هذه الفرنسية بدأت تضيق بوجود ذلك الرفيق منذ أكثر من شهر.. وقد أعلمتها أمس أنها قد تضطر قريباً لمغادرة المنزل إلى شقة صغيرة تكفيها وحدها..

ويبدو أنها قد تخلت عن الرجل.. فهى إذن على وشك الانتقال من البناء كله..!

وكأن محمداً وجد فى هذا الخبر الشىء الذى هو بحاجة إليه.. فلم يتمالك أن قال لصاحبة البناء: «بوسع هذه الجارة أن تحتل مكاننا إذا كانت تؤثر شقة صغيرة.. على أن نزل نحن إلى مكانها.. لأننا بحاجة كما ترين لدار أوسع..»

ولم تر المرأة مانعاً من تحقيق هذا المقترح فوافقت بسرعة.. وأخذت طريقها إلى فوق وهى تقول لمحمد: ذلك خير لكم ولنا.. لأننا لا نتوقع جاراً أطيب منها..

وعاد الإخوان مساء ليجدا كل شيء قد تم على ما يرام بل فوق المرام.. لقد بدلت الدار بالدار، ورتبت أشياءهما، من كتب وثياب وحقائب وما إلى ذلك مما يملك المسافر، فى أمكنتها المناسبة من المنزل الجديد.. وكانت الدار بأثاثها الأسمى الفاخر غاية فى الأناقة التى يحلم بها طالب فى منزل أجرة (بانسيون).. فاستشعرا روح الهناءة، ووقفا هنيهة يخططان للاجتماعات المقبلة.. ولم ينسيا أن يخصصا قاعدة مناسبة لصلاة الجماعة وقيام الليل المشترك فى أوقاته الأسبوعية.. وأشد ما أدهشهم منظر بياضهم مغسولا مطوياً، وثيابهم منظفة مكوية، وقد نسقت على مشاجبها فى الخزائن! فقدرا فضل الجيران الذين نهضوا بهذا العبء متبرعين، وهما بالهبوط إلى الدور الأرضى ليشكرا السئدين على جهدهما المبرور، ولكنهما فوجئا بالجرس يدق، ولما فتح الباب أطلت منه المرأة الفرنسية تحييهما، وتساءلها إذا كانت ثمة من خدمة أخرى تستطيع تقديمها لهما؟ عند ذلك شكرها الإخوان ودعواها للدخول.

واستجابت المرأة لدعوتهما، فجلست لترشف قدح الشاى الذى صب لها.. وقالت رداً على الثناء الذى وجهاه إليها.. لم أفعل شيئاً كبيراً.. لقد وجدت نفسى فى فراغ الأحد، وكان لا بد من نقل أمتعتى إلى داركما الأولى كما اتفقنا، فبدلاً من أن أعود فارغة إلى فوق فى كل مرة كنت أحمل بعض أمتعتكما فى طريقي، بمساعدة الجارة الكريمة صاحبة البناء، ثم وجدت لدى بقية من فراغ فسليت نفسى بإنجاز بعض الأشياء التى قد يضيق وقتكما عن إنجازها فى الوقت المناسب.

قال عدنان: ولكن هذا كثير أيتها الجارة المحترمة..

قال محمد: لقد وضعنا بذلك تحت عبء من الفضل قد نعجز عن مكافأته.. وهنا أثبتت نظرها قليلاً فى وجه الفتى الذى صبغه الحياء، وبرق ببوارد الشعور بالجميل.. ثم قالت: «بل لعل الأمر على العكس.. ولو علمت ما أحدث كتابك - الذى أعرتنى - فى نفسى لأدركت أنك أنت المتفضل..»

الإسلام العَظِيمُ :

وفجأة وثب إلى خيال محمد صورة تلك الليلة التي طواها وراء ستة أشهر، وتذكر الكتاب الذى أعارها إياه.. فقال: أرجو أن يكون وقتك قد اتسع لقراءة الكتاب!

- لقد أعدت قراءته خمس مرات..

- وبالطبع كتبت ملاحظاتك عليه..!

- الملاحظات كثيرة.. ولكنى لم أكتب واحدة منها خارج قلبى.. أجل.. لقد نقشت انطباعاتى بالكتاب هنا.. على صفحة قلبى التى لا تقبل المحو.

وسكنت وسكت الفتیان يفكران بما يسمعان.. وينظر كل منهما إلى الآخر دون كلام.. حتى عادت المرأة تقول: كنت أحسب أن تجارى الماضى كانت كافية لصرفى نهائياً عن أى تفكير دينى.. ولكن هذا الكتاب قد كشف لى بشكل مباغت أننى على أتم الجهل بجوهر الدين، وأننى لأول مرة أجد نفسى فى مواجهة الحقائق الإلهية، التى قضيت شطراً كبيراً من عمري فى البحث عنها بغير طائل..

قال عدنان: ذلك حال طبيعى.. فالقلب الإنسانى كالقفل الدقيق لا يستجيب إلا إلى مفتاحه وليست الحقائق الإلهية إلا ذلك المفتاح..

- تمثيل رائع.. واستطيع القول بنتيجة خبراتى الشخصية أن هذه الحقائق هى وحدها التى تروى عطش القلب الضائع فى صحراء المجهول.. وكل تفكير دينى مجرد عنها هو كالماء الملح لا يزيد النفس الظامئة إلا تلهفا واحتراقاً..

وفى غير تعمد انسرب بصر محمد يجول فى مظهر هذه المرأة، كأنه يفتش عن الدليل الذى يؤكد أنها جادة فى الذى تقوله، فإذا هو يصطدم بالواقع.. الواقع البعيد عن كل صلة بهذه الحقائق..!

إن الأحمر الذى يغرق شفثيها.. والركبتين تشدان النظر إلى ما وراءهما فى إغراء وقح.. والضغط الصارخ الذى يلصق الثوب القزم بكل جزء من أنحاء هذا الجسم المصنوع.. والذى لا يزال محتفظاً بالكثير من مغريات الفتنة.. كل أولئك من شأنه أن

يفرغ كلامها المحكم من كل معنى جاد.. وبخاصة فى مقياسه هو الذى لا يستطيع التفريق بين الفضائل الروحية وسلوك مدعيها.. ولذلك لم يستطع منع وجهه من ابتسامة خفيفة لا يفوت الذكى ما وراءها!!

وعادت الفرنسية إلى الكلام: «لقد اطمأن عقلى وقلبى إلى هذا الدين.. وأريد أن أسألكما عن السبيل إلى اعتناقه..»؟

قال محمد: إن مجرد الاقتناع به اعتناقه.. ويبقى إعلان ذلك بالشهادتين أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله..

- فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، لأننى مقتنعة من قديم بهذه الحقيقة وأما رسالة محمد فلا ينكرها إلا كافر بعقله، أو كاره للحق.. فهل أنا إذن مسلمة الآن؟
دينٌ ودينًا:

- بالتأكيد.. ولكن هناك مشكلة..

- مشكلة.. وما هى؟

- هى إن الإسلام نظام كامل.. يؤخذ جملة لا تفارق.. وهو يفرض على معتنقه سلوكاً معيناً، ومظهراً خاصاً، وخلقاً مميزاً بحيث يمثل فى شخصه المتميز، الخطوط العملية الكبرى لحقيقته الإلهية.

- أدركت هذا من سلوككم.. الذى أعطانى فى الواقع كثيراً من التفسيرات التى لم يتسع لها الكتاب.. لقد سئمت الأديان التى تفصل بين السلوك الشخصى والمعبد.. وتتساهل حتى فى الفضائل الرئيسية: فلا تتورع عن استخدام المسابح المختلطة، والملاهى العابثة، والمراقص المنكرة، كوسيلة لاستبقاء الرباط بينهما وبين الشباب الطائش.. وكرهت من رجال هذه الأديان بوجه خاص وقوفهم فى نطاق الطقوس الرمزية داخل حدود المعبد، فيفصلون بذلك بين المعبد والشارع، إذ يفصلون بين لحظات العبادة وبقية الحياة، فيكتفون من المتدين أن يظل على صلة بمعبدهم ولو ساعة فى الأسبوع، ثم لاعليه بعد ذلك أن ينطلق وراء غرائزه فى سباق محموم لا يعترف بأية رقابة لعين الله،

ولا أية مسئولية تجاهه.. ! وذلك بخلاف الإسلام الذى تبين لى أنه من الشمول بحيث يعتبر الأرض كلها معبداً، وكل عمل صالح عبادة ما دام المؤمن يأتیه وهو مستهدف رضوان به.. ومن هنا كان المسلم الحق صورة صحيحة للإسلام.. وهو لا شك سعيد بذلك، لأنه لا يستشعر أى تناقض بينه وبين قوانين الطبيعة من حوله وفى داخله، بل إنه ليشعر بدليل ذلك بأتم الانسحاب بينه وبين الحياة وأن كل شذوذ عن موجبات هذا الدين مؤد إلى شقائه، لأنه تصادم مع مبادئ الحياة نفسها..

وأمسكت قليلاً تحدث فى ما بين يديها دون تركيز على شىء بعينه، وقد غرق البهو كله فى صمت عميق، وأطرق كل من الفتيتين مثلها يسبح فى غمرة هذه المعانى، التى فتحت أمام نفسيهما آفاقاً مانعة، يخيل إليهما أنهما يستشرفانها لأول مرة.

دينُ الفِطْرَةِ :

وقطعت الصمت كرة أخرى لتقول: «من أجل ذلك استجابت نفسى كلها لهذا الإسلام، إذ وجدت فيه دعوة الله المتجاوبة مع أعماق الفطرة الإنسانية.. وقد صممت على أن أخضع جميع تصرفاتى إلى أحكامه..»

ولم يشأ محمد أن يؤخر ملاحظاته أو يجمجم بها فقال: ولو قضت هذه الأحكام بتغيير نظام حياتك كله!؟

وفى تصميم قاطع أجابت: وما فائدتى من الإسلام إذا هو لم يغير طريقتى فى الحياة!.. وهل تظن أننى كنت راضية عن نفسى.. ونظام حياتى.. وعن أى شىء مما حولى!؟

ثق أيها الجار الكريم أننى كنت إنسانة ضائعة، بل غريقة يتلاعب بها تيار المجتمع على كره منها ولم تكن تصرفاتى الشخصية جميعها إلا محاولة للهروب من الواقع الحائر، الذى تفرضه على حضارة لا أؤمن بها لأنها حضارة عوراء، لا ترى من الإنسان إلا جانبه الجسدى، ولا تقييم وزناً لأى ظمأ داخلى خارج نطاق المادة، ولقد كان لقائى بك ليلة الهدية أول صدمة شدتنى إلى الاتجاه الآخر.. ثم جاء كتاب الدكتور دراز فدفعنى شوطاً بعيداً فى هذا الطريق وكان لطريقة حياتكم فى هذا الجوار الطيب أثرها العملى

فى صيرورتى إلى هذا التقرير المطمئن.. وأنا اليوم بما أدركته من هذا الدين أشعر بأننى عشرت على نفسى ووجدت حقيقتى، ووضعت قدمى فى الطريق السوى.. فكيف لا أخضع وجودى كله لحقائق الإسلام، وهو الذى أنقذنى من ذلك التمزق، وهدانى السبيل بعد ذلك الضياع الوبيل..

تَكَالِيفُ وَعَقَبَاتُ الطَّرِيقِ :

وعقب عدنان على ذلك قائلاً: ولكن عناء جديداً ينتظر القابض على هذا الدين.. لعل أهون منه قبض الجمر.. أنه يفرض تطهير الجسد كما يفرض تطهير داخله سواء بسواء.. ويتطلب من المسلمة بوجه خاص التخلص نهائياً من مثل هذه الثياب إلى أشكال أخرى تتم بها الحشمة، دون تضيق ولا تقصير ولا خلاعة.. حتى الشعر لا يأذن بظهوره لأجنبى.. وهناك صلوات خمس فى كل يوم وليلة لا مندوح من أدائها.. ثم صيام رمضان الذى نحن فيه هذه الأيام.. ثم كف النفس عن كل شهوة حرمها الله.. كالخمر والرقص المختلط، والخلوة بالأجنبى.. وأقل ما يجره هذا لاتجاه هو أن تصبحى هزأة لدى الذين سيرون منك كل هذا التغيير دون مسوغ مقنع..

وكف عن الكلام ليرى أثره فى نفسها فإذا هى تقول: أما هذه الثياب فستتغير فى أسرع وقت.. وفى الصلوات الخمس فرص سعيدة يتاح لى فيها أن أروى ظمأ قلبى إلى مناجاة الله.. وسأجد فى الصيام دون ريب متعة رائعة، إذ تعرفنى حاجة الإنسان إلى نعم الله التى ألفت ألا يعيرها تفكيراً.. ولقد مجت نفسى تلك الشهوات التى لم تزدى إلا استشعاراً للفراغ الروحى الذى طالما عانيته.. أما هزء الناس فقد توقعته، ووطنت نفسى على احتمال كل شىء..

ولم يبق لدى الفتيتين ما يقولانه بإزاء هذا الإصرار الحاسم.. فاكتفيا بأن قدما إليها الأوراق التى كتب فيها بالفرنسية صيغ الوضوء والصلاة.. وما لا مندوحة عن معرفته للمسلم المبتدى..

ثم قال محمد: سنكون جميعنا مسرورين باستقبالك أصيل كل اثنين، إذا شئت أن تحضرى معنا بعض الدراسات والعبادات، وسترحب بك أخوات من السنغال وألبانيا وأندونيسيا وأنحاء أخرى من العالم..

كان أول شيء قامت به (هدى) - وهو الاسم الذي أخارته بوليت غيو الفرنسية لشخصيتها الجديدة - أن دخلت في صباح اليوم التالي على مدير الشركة البلجيكي فقالت له: لدى خبر أرى من واجبي اطلاعك عليه لكي لا يفاجئك..

وابتسم المدير لسكرتيرته في لطف أبوى وقال:

ابتداء من الغد سترون تغييراً بل انقلاباً في حياتي كلها، وأول ما تلمحونه من ذلك في ثيابي التي ستكون أدنى إلى أردية الرواهب..

- لعلك راغبة في اللجوء إلى الدير!

- كلا.. لا شيء من ذلك.. إنما قررت أن أكون مسلمة..

- مسلمة.. وهل يعنى ذلك أن تتركى الكاثوليكية؟

- هو ذاك لأن الإسلام شيء غير النصرانية المعروفة كلها.. وسأعرفك به عندما

تريد..

- ولكن الإسلام كما قرأت وكما أخبرنا بعض القسس يحترق المرأة.. ويجعلها قعيدة

بيتها لا تصلح لأى عمل..!

- ذلك من دسائس أعداء الإسلام الذى لا تعرفه مع الأسف إلا عن طريقهم.. أما

الواقع فهو أن المرأة لم تسترد اعتبارها الإنسانى إلا فى ظل الإسلام.. وقد لبثت أحقاباً

لا تعدو منزلة الشياطين فى حكم رجال الكنيسة، حتى هبت على أوروبا نفحات الحضارة

الإسلامية عن طريق الاندلس والحروب الصليبية، فإذا رجال الكنيسة يعدلون رأيهم فى

المرأة ثم لا يزالون يعدلون حتى انتهوا إلى الاعتراف ببعض حقوقها التى قررها الإسلام

منذ أربعة عشر قرناً.. ومهما يكن فذلك بحث نرجئه إلى وقته المناسب.. ولكن هذا لن

يؤثر على إخلاصى فى عملى بل سيزيدنى رغبة فيه واتقناً له، لأننى بذلك أحقق أحد

تعاليم دينى الجديد..

ولم ير المدير فى أمر سكرتيرته أى أمر ذى بال، ما دام إسلامها لن يحول دون

استمرارها على عملها بالنشاط المعتاد نفسه.. وقلب شفثيه ويديه وهو يقول لها: ذلك

أمر يخصك ولا يهمنى..

ثم مضت هدى إلى زملائها من مستخدمي الشركة، تنقل إليهم النبأ فى لهجة مثقلة بالجد.. وأكدت لهم جميعاً أنهم ينكرون غداً مظهرها الجديد لأنه مخالف لمألوفهم، ولكنها ترجو منهم أن يدعوها وشأنها، وأن يكونوا على أتم الثقة بأن عقلها لم يتغير، وأنها لن تسبب شيئاً من الازعاج..

ثم مضت هدى إلى زملائها من مستخدمي الشركة، تنقل إليهم النبأ فى لهجة مثقلة بالجد.. وأكدت لهم جميعاً أنهم ينكرون غداً مظهرها الجديد لأنه مخالف لمألوفهم، ولكنها ترجو منهم أن يدعوها وشأنها، وأن يكونوا على أتم الثقة بأن عقلها لم يتغير، وأنها لن تسبب شيئاً من الازعاج..

وجاء اليوم الثانى.. وغادرت هدى الشقة إلى عملها اليومى فى زيبها الإسلامى الجديد، الذى أعدته لها أختها فاطمة الإندونيسية: ثوب صابغ أبيض يمتد من أعلى النحر إلى أسفل الساق وقد اتسع حتى لا يمثل أى عضو تحته، وخمار زبدى اللون أدير على الرأس، وحول العنق، بصورة لا أنيقة فيها ولا سذاجة، وفى القدمين المجوربتين حذاء قليل الارتفاع لا يوحى بأى إغراء أو تبذل.. وقد تعمدت أن تكون نظارتها من اللون الأسود، لتستطيع حجب تأثيرها من الأشياء المزعجة التى تتوقع أن تراها أثناء اليوم وربما كان أغرب ظواهرها هو هذا الوجه الذى تقابل به الناس لأول مرة منذ ثلاثين سنة ونيف خالياً من كل أثر للزينة أو الطلاء.. فلا أبيض، ولا دهان، ولا أحمر اللهم إلا حمرة الخجل الذى غشى وجهها جميعاً بلون ساحر...!

المواجهَةُ الصَّعْبَةُ :

وفى سيارة الشركة، التى اعتادت أن تمر بها كل صباح، تلقت أول صدمة.. وذلك حين انصبَّت عليها أحداث العمال والمستخدمين فاغرى الأفواه من الدهشة.. لا تكاد أعينهم تصدق أن هذه هى سكرتيرة المدير... وحتى الرجال والفتيات الذين أنبأتهم خبرها بالأمس لم يتمكنوا من كتمان دهشتهم فراحوا يتغامزون ويتهامسون وهم يسارقونها النظر.. وفى هذه الغمرة من المفاجآت لم تلاحظ مدى أن أحداً رد عليها تحيتها، كأنهم لم يسمعوها أو كأنهم شغلوا عن الرد بهذا المنظر.. حتى جعلت تراجع نفسها فلا تدرى أألقت تحيتها أم صرفها انشغال فكرها عن ذلك..

ولم تتمالك رعدة سرت في جسدها وهي تستقبل هذه المفاجأة، ثم غلبها الضعف فإذا دمعتان كبيرتان تتدرجان على خديها، فتسرع إلى مسحهما بمنديل صغير كانت تشغل أصابعها بلمسه وتقليبه..

وودت لو تطير بها السيارة لتخلص من هذا الجو.. وقد قررت أن تلوذ بغرفتها فلا تغادرها إلا لضرورة قاهرة، وأن تتجنب هذه الأنظار فلا تخالط أصحابها إلا بعد أن يألفوا منظرها الغريب!

ولكن سرعان ما خاب فأل المسكينة إذ ما كادت تهبط من السيارة إلى داخل مكتبها حتى فوجئت بالمدير، يطل عليها من الباب الخاص، ليقلب نظره طويلا في هذا الزى الذى لمحّه عن بعد.. والذى سمع المستخدمين يتهامون بشأنها..

وانتبه المدير إلى موقفه فلم يسعه إلا أن يتكلم أسعدت صباحاً أيتها الآتسة.. أرجو ألا تجدى ما يزعجك طوال اليوم...

وأدركت ما يريد، وتذكرت كلمات عدنان.. وتصميمها السابق، فردت تحيته بكل ما استطاعت من لطف ثم قالت: ليثق حضرة المدير أن لا شيء يزعجنى.. لأننى مطمئنة إلى أن مسلكى هو الأفضل.. وكل استغراب له إنما يرجع إلى بعد المستغربين عن فهم الحقائق الإلهية..

ولم يجب المدير بشيء.. وترك لشفتيه أن تتمتما ببعض الكلمات الغامضة.. ثم انسحب إلى مكتبه...

الصَّبْرُ الْمَرِيرُ:

وانتفعت هدى بتصميمها، وتذكرت أيضا أن الإسلام يستحق منها أكثر من هذه المزعجات.. أنه غريب في بروكسل كغريته من قبل في مكة.. ولقد تلقى أتباعه الأولون، بين اخوتهم الكافرين به، ألوان العذاب فى سبيله، قبل أن تحتل مكانته الطبيعية فى وطنه الأول، فلم لا تحتل هى اليوم بعض ذلك العذاب؟.. فى سبيل تعريفه إلى الناس فى هذا البلد البعيد عن روحه وحقائقه!!

.. واستمرت حياة هدى على هذا المنوال أياماً طوالا.. لقيت أثناءها الأمرين من

فضول الناس.. فلم تجتز شارعاً، ولم تطأ حانوتاً، ولم تركب حافلة، ولم تدخل مركز الشركة إلا سمعت الهمس، ورأت الغمز واللمز.. وقابلت ذلك كله بجلد هائل.. ولكنها ما تكاد تخلو إلى نفسها في بيتها حتى تستسلم إلى بكاء طويل ونشيج محرق..!

وجاءت صاحبة البناء ذات يوم إلى دار الطلاب، لتخبرهم أن جارتهم التي من حقها أن تكون سعيدة في عيد ميلادها اليوم قد أغلقت عليها بابها لتخرط في بكاء حزين.

وهبطوا: عدنان ومحمد والبلجيكية لاستطلاع خبرها.. وبعدها أكثر من دقيقة استجابت لدعوة الجرس وفتحت لهم الباب، فدخل الفتیان إلى الردهة ليأخذوا مكانهما بانتظارها.. ولما عادت نحوهما في رداء الاستقبال، كان أثر الدمع لا يزال بارزاً من تحت نظارتها السوداءوين.. ورحبت بهم في صوت لم تستطع إخلاءه من أثر البكاء..

وتكلم محمد في كثير من التحفظ: لقد كثرت أحزانك في هذه الأيام.. ولا بد أنها نتيجة لوضعك الجديد، ولما يواجهك بسببه من مزعجات.. وكان الأولى أن تقابلي ذلك بالصبر الذي وراءه الأجر..

وأنها أحست في تلك العبارة ما حرك أشجانها من جديد، فلم تستطع منع عينيها من الدمع.. وترددت ملياً تغالب نفسها، وتسترد أنفاسها، حتى استطاعت أن تستأنف «.. حقاً إنها لأحداث مزعجة تلك التي أصادفها في كل مكان.. ولكنها لا تزيدني إلا شعوراً بالرضا وإشفاقاً على هؤلاء المساكين الذين لا يعلمون ما يعملون.. ولعل كثيراً من دموعي وأحزاني لا تعدو أن تكون تعبيراً عن الغبطة الروحية التي تستغرقني، عندما أشعر بأنني أتحمّل بعض التضحية في سبيل الله.. غير أن أخوف ما يخيفني هو أن يكون البعض الآخر من هذه الدموع والأحزان نتيجة لضعف خفي في قوتي الروحية..»

وتهدج صوتها، ثم عاقها النشيج عن متابعة الكلام.. فامسكت لتمسح دموعها وتهدى أعصابها.

ورأى محمد أن يساعدها على هواجسها فقال: إن مثل هذه الظاهرة تبدو جلية في جميع الذين هدوا إلى الإسلام من أخواتنا الأوروبيين، وهذا إسماعيل الذي كان اسمه روجيه، كثيراً ما تتهيج مشاعره حتى لا يجد راحة لقلبه في غير البكاء.. وهذا كما

يبدو لى نتيجة رهافة بالغة فى العواطف، ولدتها الأسواق الروحية والتأمل المستديم فى معانى القرآن الحكيم.. وهنا رفعت هدى بصرها إلى محدثها وقد شاع فى وجهها بشر خفى، ثم قالت وفى صوتها رنة السعادة: «لكم يسرنى أن يكون استنتاجك مصيباً أيها الأخ.. الحق أنتى أحس فى قلبى رقة لم أعهد لها قبل إسلامى.. وكثيراً ما يطغى على هذا الشعور حتى أغيب فى فيضه عن كل شىء، إلا تلك الإشارات السماوية التى اكتشفتها كل يوم فى الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية..»

الثَّابَاتُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ

وتوقفت قليلاً كأنما أعترضها خاطر مفاجئ.. ثم قالت: لقد عرضت على أختى بنت سفير السنغال أن أترك الشركة إلى سفارتهم، لأجد الجو الإسلامى الذى يريحنى من مضايقات المخالفين.. فترددت أولاً، ثم رأيت أن أقبل هذا العرض وإن كان دخله دون مرتبى الأول، إلا إنه سيوفر لى من الراحة النفسية ما أنا فى ميسس الحاجة إليه.. وفى هذه المناسبة أقول لكما إننى قررت الاكتفاء بالضرورة من دخلى لأجعل ما يزيد عن حاجتى فى خدمة الدعوة، ولمساعدة الفقراء من لاجئى الألبان المسلمين... وسوف أفتح منزلى لاستقبال أطفال هؤلاء الذين تضطر أمهاتهم إلى تركهم للعمل أثناء النهار.. وعندى اقتراح آخر هو أن تتخذ من هذا المنزل مركزاً خاصاً لاجتماعات نسائية أسبوعية، تضم المسلمات وغير المسلمات، من المثقفات الأوروبيات اللواتى نأنس فيهن رغبة فى الحق، وقدرة على فهمه..

وكان الساعة قد بلغت الخامسة مساءً.. فتذكر الأخوان موعدهما مع بعض زملائهما الجامعيين من البلجيك والهولنديين، فأستأذنا بالخروج لاستقبالهم، بعد أن اتفقا مع هدى على جميع النقاط التى أثارتها.. ووضعوا لكل منها الترتيب المناسب.



٤. ركس انجرام (*)

(أشهر مخبر سينمائي في هولبرود)

ولدت في اسكتلندا لأب وأم إنجليزين، ولم أر أبى الذى قتل فى حرب البوير عام ١٩٠٠م وما زلت طفلاً، ومرت الأيام ونحن نعيش عيشاً رغيداً حتى قامت الحرب العظمى الأولى عام ١٩١٤م فتطوعت فى الجيش وركبت البحر إلى فرنسا وانضمت إلى فرقة الفرسان وتقاذفتنى ميادين القتال كأنها ديار الجحيم، وقضيت فى الميدان الغربى فترة رأيت فيها من أهوال الحرب وفضائنها، ما لا طاقة لى بوصفه، وفى أواخر عام ١٩١٨، وبعد أن أمضيت أربع سنوات فى هذا الجحيم عدت فوجدت أمى قد ماتت، وأخوتى الثلاثة قد قتلوا فى الحرب، فهمت على وجهى، ورحت أطوف الدنيا فجست خلال الهند والصين واليابان ولم أجد ما أقطع به الوقت سوى دراسة اللغات والديانات، وفى سوريا تعلمت اللغة العربية ودرست مختلف الأديان فلم أجد مثل ما وجدت من العزاء والطمأنينة فى مطالعة القرآن الكريم طالعته مراراً وتعمنت فى معانيه وأشربت به روحى فرأيت فيه عذوبة وروعة ولم يكن يوم يمر بى دون أن أتلو آياته.

رُؤْيَا عَجِيبَةٌ:

وفى الثلاثينات قدمت إلى الإسكندرية وهمت على وجهى حتى وصلت إلى دمنهور وعلى شاطئ ترعة هناك رقدت وفى أثناء نومى رأيت دخاناً يتصاعد من الأرض حتى يتكاثف فى السماء، وينعقد وقد أضاء نوراً عجيباً ثم تكونت منه كلمة «الإسلام» وصحوت وكلمة الإسلام لا تزال ملء ناظرى وحواسى، وما كنت أفكر من قبل فى اعتناق الإسلام، وشعرت للمرة الأولى براحة وطمأنينة، وفى الطريق ما مررت بقروى إلا أقرأتى السلام ودعانى للطعام، وبذل جهده فى إكرامى واستضافتى فى منزله. أنا غريب وهم شراقيون أختلف عنهم طبعاً ودينا فما بالهم يسارعون إلى إكرامى؟ أنا الذى رأيت كيف يرتاب الناس من بعضهم. ولو أنك مررت على فلاح فى أوربا، وأقرأته السلام

(*) أخذت هذه القصة من صحيفة الدعوة السعودية بعد إدخال تعديلات طفيفة عليها.

فهل يكرمك مثل هذا الإكرام؟ وإذا وجدت رجلاً يأكل ووقفت إلى جانبه، فهل هو يشركك طعامه عن طيب خاطر؟ وهل إذا قرعت باباً يفتح لك على مصراعيه فتتزل ضيفاً كريماً؟؟ تواردت هذه الخواطر على نفسى، وحاولت الإجابة عنها وعند ذلك علمت أن «الإسلام» هو الذى جعل تلك النفوس سامية كريمة.

ونمت مرة أخرى ورأيت عمود الدخان ينقلب حروقاً من ضوء تتجمع فتكون كلمة «الإسلام» وأفقت وقد أيقنت أن الله اختار لى الإسلام ديناً وشعرت براحة عجيبة، فى أن أعتنق هذا الدين، دين الشفقة والحنو والإيثار.

ولكن لماذا اسلمت، لماذا اتخذت الإسلام ديناً؟

ذلك لأنى أعتقد أن الإسلام هو الدين الذى يدخل السلام والسكينة إلى النفس، ويلهم الإنسان العزاء وراحة البال والسلوى فى هذه الحياة، وقد تسربت روح الإسلام إلى نفسى فشعرت بنعمة الإيمان بالقضاء الإلهى، وعدم المبالاة بالمؤثرات المادية من لذة وألم.

أَسَلَّتْ بَعْدَ مَجْثِ طَوِيلٍ:

إنى لم أقدم على هذا التغيير لمجرد خاطر وقتى طراً على فكرى، بل إنى قد درست الدين الإسلامى عدة سنين، ولم اتخذه ديناً إلا بعد بحث قلبى عميق، وتحليل نفسى طويل، لم أغير دينى إلا لكى أجد الراحة من ضجيج الحياة الجنونى، ولأنعم بالسكينة فى ظلال الهدوء والتأمل بعيداً عن متاعب الهموم والمحن التى يسببها التكالب على الكسب والتهالك على المال، الذى أصبح اليوم معبود البشر والاهم، ولأخلص نفسى من براثن الإغراء وخدع الحياة الباطلة، والشراب والمخدرات وجنون فرقة الجاز. أسلمت لكى أنقذ ذهنى وعقلى وحياتى من الهدم والتدمير.

أذكر أننى ذات مرة - وأنا أعمل مصوراً سينمائياً - كان على أن التقط شريطاً سينمائياً لرجل عربى طويل مهيب يقف فى رأس مثذنة ويؤذن للصلاة. وبينما كان يفعل ذلك... وأنا أقف جانباً، أرقب ما يفعل، كان صوته فى ارتفاعه وانخفاضه ينفذ إلى أعماق قلبى..

ولما انتهينا من التصوير دعوت هذا العربى إلى مكتبى وأخذت أسأله عن دقائق الديانة الإسلامية، واعتنقت الإسلام بعد ذلك، وأخذت أصلى معه وشعرت بقناعة النفس

تغمرنى رويداً رويداً، وبدأت أشعر بالسعادة وأكره كل الرغائب التي كانت تأسر نفسي.
الاستسلام لله:

وكان بعد ذلك أن جاء اليوم الذي اعتقدت فيه أنى لا أستطيع أن أوفق بين عملي السينمائي وديانتى الإسلامية ولا بد أن يذهب أحدهما، فأيهما؟ وكان ثمة عراك نفسى شديد. هل أضحي بعملى ومستقبلى من أجل دينى؟ أم بدينى من أجل مستقبلى؟ هكذا بقيت أسهر الليلة بعد الليلة راقداً فى فراشى وعيناي مفتوحتان حتى الصباح، أفكر فى حل هذه المشكلة، حتى جاعنى الرد من الله.

يجب أن أترك عملى السينمائي وأبتعد عن أخاديع «هوليوود» ومغرياتها، ولقد كان ذلك مؤلماً لى عندما كنت أقوم بعمل شريط سينمائي فى (نيس) فقد قمت ذات ليلة أصلى وبقيت أصلى مدة طويلة، فزادت قوتى، واشتدت عزمى، وفى اليوم التالى أدت ظهري لعملى، وأعطيت جسمى ونفسى وحياتى للإسلام.

وأنا اليوم ابن الإسلام وإنى سعيد أكثر مما كنت فى أى يوم من أيام حياتى وفى مدينتى الغربية ومع ثيابى الغربية. سعيد كمؤمن يدين بالإسلام الخالد الذى هو أكمل دين سماوى ارتضاه الله للبشرية.

تعلیق:

فى سنة ١٩٢٨م فوجئت الأوساط الفنية فى (هوليوود) وغيرها، بنبأ عجيب جداً هو إسلام «ركس إنجرام»، وكان من أنجح المخرجين السينمائيين فى ذلك الزمن، بل ربما كان أنجحهم على الإطلاق، وقد وصفت جريدة السياسة الأسبوعية الصادرة فى القاهرة بتاريخ ١٣ فبراير ١٩٢٨ نبأ إسلام «ركس إنجرام» أكبر مخرج سينما توغرافى فى العالم، وأكبر أقطاب صناعة السينما، الذى أقلع تمام الإقلاع عن كل ما حرم الله، واصطفى بعض المسلمين فى فرنسا ليعلموه أحكام الدين، فى القصر الذى اشتراه خصيصاً فى مدينة (نيس) ليعيش فيه حيث نفذ إلى قلبه أول قبس من نور الإسلام فى هذه المدينة الفرنسية. (انظر كتاب: الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين، للمستشار محمد عزت الطهطاوى).



أمريكا:

٥ . مريم جيميلة (*)
(مارجريت ماكرس سابقاً)
من اليهودية إلى الإسلام

بدأ اهتمامي بالإسلام وأنا طفلة في العاشرة من عمري سنة ١٩٤٤م عندما كنت أتردد على إحدى مدارس الأحد اليهودية. فقد سحرتني العلاقة التاريخية بين اليهود والعرب. وتعلمت من كتب الدراسة اليهودية أن إبراهيم عليه السلام كان أباً للعرب واليهود على السواء. وقرأت كيف رحبت أسبانيا المسلمة بعد ذلك بقرون باليهود الذين كانوا عرضة للاضطهاد النصراني في أوروبا العصور الوسطى، فاستحالت معه حياتهم إلى جحيم لا يطاق، وكيف أدى سمو أخلاق هذه الحضارة العربية الإسلامية ذاتها إلى تحفيز الثقافة العبرية لتبلغ ذروة منجزاتها، فدفعتني تفكيري الساذج حينئذ وجهلى التام بحقيقة الحركة الصهيونية إلى الظن بأن اليهود قد أخذوا الآن يعودون إلى فلسطين لتدعيم أوأصر القربى الوثيقة في الدين والثقافة بينهم وبين أبناء عموماتهم العرب الساميين. وحسبت أن كلا من اليهود والعرب سيتعاونون على إقامة عصر ذهبي جديد من الحضارة في الشرق الأوسط.

وبالرغم من إعجابي بدراسة التاريخ اليهودي فقد أحسست بالشقاء التام في مدرسة الأحد. وكنت في تلك الآونة مرهفة الإحساس بمشاعر الشعب اليهودي في أوروبا حيث كان يتعرض لمصير مفرع على يد النازيين. وصدمني ما لاحظته من عدم اهتمام زملائي في المدرسة وعدم اكتراث آبائهم بالدين اليهودي وأخذهم له مأخذ الهزل. فقد اعتاد الأولاد أثناء الصلاة في المعبد أن يقرأوا قصاصات مضحكة كانوا يخفونها في كتب الصلاة ويضحكون إلى درجة الاستهزاء بالطقوس الدينية. وبلغوا درجة من الفوضى وعدم النظام بحيث عجز أساتذتهم عن تنظيمهم وكانوا يعانون كثيراً في ضبط الفصول. ولم يكن جو الاهتمام بالدين في البيت بأفضل من هذا بكثير. فقد كانت شقيقتي الكبرى تمقت مدرسة الأحد إلى درجة تضطر والدتي إلى جرها بالغضب من فراشها كل

(*) هذه ترجمة عربية لقصة إسلام السيدة مريم جميلة تفضلت بإرسالها للمترجم.

صباح ولم تذهب فى يوم من الأيام إلى المدرسة إلا وهى تغالب الدموع معربة عن سخطها الشديد. وأخيراً نفذ صبر والذى فسمحوا لأختى بترك المدرسة. وفى أعظم الأعياد اليهودية المقدسة كنا نؤخذ أنا وشقيقتى من المدرسة ونذهب فى رحلات عائلية وحفلات مرحة نقضيها فى المطاعم الأنيقة بدلاً من حضور الصلاة فى المعبد وصيام اليوم الكبير (Yom Kippur). وسرعان ما استطعت وشقيقتى إقناع والدينا بإحساسنا بالشقاء فى مدرسة الأحد فالتحق الاثنان بمنظمة إنسانية لا أدوية^(١) (ملحده) كانت تعرف بحركة الثقافة الأخلاقية.

دين الإلحاد:

تأسست حركة الثقافة الأخلاقية فى أواخر القرن التاسع عشر على يد فليكس أدلار (Felix Adler) الذى اقتنع بدين جديد ظن أنه الدين الوحيد الذى يناسب العلم الحديث وذلك أثناء استعداده لنيل شهادة «حبر». ويتلخص هذا الدين المزعوم فى الإيمان بنسبية القيم الأخلاقية وكونها من صنع البشر، وعبث الاعتقاد بأية فلسفة أو دين يؤمن بما وراء الطبيعة. وكنت أذهب كل أسبوع إلى مدرسة الأحد التابعة لحركة الثقافة الأخلاقية منذ أن كان عمري أحد عشر عاماً إلى أن تخرجت منها وأنا فى الخامسة عشر من العمر. وفى هذه المدرسة آمنت إيماناً كاملاً بآراء الحركة ونظرت إلى كافة الأديان التقليدية نظرة ازدراء واحتقار.

لقد بقيت تحت تأثير الفلسفة الإنسانية طوال فترة المراهقة حتى إذا اكتملت مداركى الفكرية لم أعد أرضى بالإلحاد. فشرعت من جديد أبحث عن ذاتى. فالتحقت بطائفة بهائية^(٢) بنيويورك فترة من الزمان كانت تسمى قافلة الشرق والغرب بقيادة رجل فارسي يدعى ميرزا أحمد صهراب - توفى عام ١٩٥٨ وقد أخبرنى أنه كان يعمل سكرتيراً لعبد البهاء أحد مؤسسى الحركة البهائية. وأعجبتنى البهائية بصفة مبدئية تبعاً لأصلها الإسلامى ودعوتها بوحدة بنى الإنسان إلا أننى هجرتها بعد ذلك بعام واحد وأنا أحس بخيبة أمل مريرة عندما إكتشفت مدى فشلها فى تطبيق هذا المبدأ.

(١) اللادوية تقول بأنها لا تفهم الوحي وتنكر الرسائل السماوية. المترجم.

(٢) البهائية: نسبة إلى بهاء الله، الذى زعم أنه هو الله، وهى طائفة منحرفة نبتت فى إيران، وهى تعنى معتقياً من كثير من التكليف الشرعية فى الإسلام كالصلاة والصوم وغيرها، لذلك لم تعد جزءاً من جسم الأمة الإسلامية. انظر رسالة البهائية للأستاذ محب الدين الخطيب - رحمه الله.

تجربيات اليهود:

وفى الثامنة عشر من عمرى أصبحت عضواً فى فرع محلى لحركة شباب صهيونية دينية تعرف باسم ميزراشى هاتزائير (Mizrachi Hatzair) ثم انفصلت عنها بعد ذلك بخمسة أشهر وكلى استياء من حقيقة الدعوة الصهيونية التى اكتشفت أنها تجعل العداء بين اليهود والعرب أمراً مستحكماً لا يمكن تلافيه. وعندما أصبحت فى العشرين من عمرى وكنت حينئذ طالبة فى جامعة نيويورك كانت إحدى الدورات المرشحة لى تحت عنوان «اليهودية فى الإسلام» للبروفيسور الحبر إبراهيم إسحق كاتش رئيس قسم الدراسات العبرية فى الجامعة. وكان لا يأل جهداً فى إقناع تلامذته - وكلهم من اليهود الذين يطمح كثير منهم أن يصبح حبراً - بأن الإسلام مشتق من اليهودية. وكان كتابنا المقرر وهو من تأليفه^(١) يأخذ كل آية من القرآن ويسعى جاهداً فى تتبع أصلها اليهودى المزعوم. وبالرغم من أن هدفه الحقيقى هو أن يثبت لطلابه استعلاء اليهودية على الإسلام فقد أقنعنى بعكس ذلك تماماً. فقد نفرت من تأويله للدار الآخرة التى يصورها القرآن الكريم بعبارات خية للغاية وتحريفه لها بأنها تعنى حق اليهود الباطل فى العودة إلى فلسطين. وكان تصورى لإله اليهود كما ذكر فى العهد القديم وفى كتاب الصلاة عند اليهود مشوهاً وغير لائق فقد بدا لى الله فى صورة وكيل مقاطعة دنيوية. وكنت اعتقد أن الخلط بين القومية الضيقة والدين قد أدى إلى افقار اليهودية روحياً إلى الأبد. وأحسست أن الانعزال الشديد للديانة اليهودية له صلة كبيرة بحملات الاضطهاد التى تعرض لها اليهود خلال مراحل تاريخهم. وقلت بأنه ربما كان من الممكن تفادى هذه المأسى لو أن اليهود كانوا ينافسون بقوة العقائد الأخرى فى كسب المهتمين الجدد. وسرعان ما تكشفت لى أن الصهيونية لم تكن سوى مزيج من الناحيتين العنصرية والقبيلية للديانة اليهودية مضافاً إليها القومية العلمانية الحديثة. وازداد تصورى للصهيونية سوءاً عندما علمت أن قليلاً من زعمائها - على فرض وجود هذا القليل - كانوا يتمسكون بالديانة اليهودية. وأنه ربما لا يوجد أى بلد فى العالم ينظر إلى الديانة اليهودية التقليدية باحتقار وازدراء مثلما تفعل إسرائيل. وعندما علمت أن معظم القادة اليهود البارزين فى أمريكا يساندون الصهيونية بلا تحفظ ولا تؤنبهم ضمائرهم بسبب

(١) «اليهودية فى الإسلام» للمؤلف نفسه.

الظلم الصارخ الذي يتجرعه الفلسطينيون العرب عندها لم أعد اعتبر نفسي يهودية حقاً.

أَهْدَيْتُ إِلَى الْإِسْلَامِ:

وفى صبيحة يوم من أيام نوفمبر عام ١٩٥٤ جادل البروفسور كاتشى فى محاضرتة بمنطق لا يقبل الدحض أن التوحيد الذى نادى به موسى عليه السلام والقوانين الإلهية التى نزلت عليه فى سيناء لايد أن تكون أساساً ضرورياً لكافة القيم الخلقية العليا. فإذا كانت الأخلاق من صنع البشر وحدهم كما كانت تزعم حركة الثقافة الأخلاقية وغيرها من الفلسفات اللادرية والملحدة، فيمكن أن تتغير بمجرد الهوى ووفقاً لما يقتضيه الظرف والمصلحة. فتكون النتيجة الفوضى الكاملة التى تؤدى إلى فساد الفرد والجماعة. ثم أضاف البروفسور كاتش قائلاً أن الإيمان باليوم الآخر كما نص عليه الأخبار فى التلمود لم يكن مجرد تفكير إدارى ولكنه ضرورة أخلاقية. وقال بأنه لا يملك الاستعداد النفسى للتضحية بالمتاع الزائل وتحمل الصعوبات والمشاق لبلوغ الخير السرمدى - لا يملك ذلك الاستعداد إلا من كان يؤمن إيماناً عميقاً بأن كلا منا سيقف أمام الله يوم القيامة ليحاسبه عما عمل فى حياته الدنيا فيكافئه أو يعاقبه بحسب عمله.

بينما كان البروفسور كاتش يمشى فى محاضرتة بهذا المنطق كنت أقارن بين ما قرأت فى العهد القديم والتلمود وبين ما يذكره القرآن والحديث. وعندها ظهر لى قصور اليهودية وعيبها فاهتديت إلى الإسلام. ومع إنى أردت أن أصبح مسلمة منذ عام ١٩٥٤ إلا أن أسرتى تمكنت من إقناعى باجتناى ذلك وحذرتنى بأن الإسلام سيؤدى إلى تعقيد حياتى لأنه ليس جزءاً من الحياة الأمريكية كاليهودية والنصرانية. ونبئت أن الإسلام سيجعلنى غريبة عن أسرتى وعزلنى عن المجتمع. ولم يكن إيمانى فى ذلك الحين من القوة بحيث يصمد أمام هذه الضغوط. ونتيجة لهذا وعلى أثر الصراع الداخلى الذى كان يعتمل فى صدرى، أصبحت مريضة إلى درجة جعلتنى أقطع دراستى فى الكلية قبل التخرج بأمد طويل فلم أحصل قط على أى دبلوم. وبقيت طوال العامين التاليين طريحة الفراش فى البيت تحت العناية الطبية الخاصة وحالتى تنتقل من سيىء إلى أسوأ.

وعندما ينس والداى من شفائى حجزونى فى الفترة الواقعة بين عام ١٩٥٧ - ١٩٥٩

فى المستشفيات الخاصة والعامه حيث آليت على نفسى أن أعتنق الإسلام إذا قدر لى الشفاء والخروج من المستشفى.

وبعد أن سمح لى بالعودة إلى البيت استنفذت كافة الفرص التى تمكبنى من الالتقاء بالمسلمين فى مدينة نيويورك. وكان من حسن طالعى أن تعرفت على مجموعة من خيرة الرجال والنساء الذين يطمح أى امرىء أن يلتقى بهم. كما شرعت فى كتابة مقالات فى المجلات الإسلامية وأجريت مراسلات واسعة النطاق مع القادة المسلمين فى كافة أنحاء العالم. فراسلت المرحوم الشيخ بشير الإبراهيمى رئيس العلماء فى الجزائر والدكتور محمد البهى الأستاذ بالأزهر والدكتور محمود حب الله الذى كان مديراً للمركز الإسلامى فى واشنطن فى ذلك الحين والدكتور محمد حميد الله فى باريس والدكتور سعيد رمضان مدير المركز الإسلامى فى جنيف ومولانا السيد أبا الأعلى المودودى.

دَفَاعٌ عَنْ أَصْلِ الْعَقِيدَةِ :

لقد وجدت حتى قبل اعتناقى الرسمى للإسلام أن كيان العقيدة فى العالم المعاصر يتعرض لتهديد خطير من قبل ما يسمى بحركة التجديد التى تهدف إلى إفساد تعاليم الدين بفلسفات «إصلاحات» من صنع البشر. وكنت مقتنعة بأنه إذا نجح دعاة التجديد هؤلاء فلن يبقى أى أثر لأصل العقيدة وجوهرها. فقد شاهدت بأمر عيني وأنا طفلة كيف أفسد المتحررون فى أسرتى ما كان فى وقت ما ديناً سماوياً منزلاً. وحيث أننى كنت يهودية المولد والمنشأ فقد شاهدت مدى بطلان محاولة التوفيق بين الدين وأية بيئة ملحده. فقد فشلت اليهودية الجديدة فى الحيلولة دون الذوبان الثقافى لليهود الذين كنت أعرفهم وليس ذلك فحسب بل أدى التجديد إلى دفع عملية الاستيعاب هذه.. ونتيجة لذلك لم يبق لليهود إلا أسماءهم اليهودية ولم يكن أحد منهم متدينياً بصورة تستحق الذكر وظلت الخيانة الفكرية والنفاق والسطحية التى تميزت بها اليهودية الجديدة تجرية حية طوال عهد طفولتى.. وعلمت حتى فى ذلك السن المبكر أن مثل هذا التوفيق الفاتر لا يمكن أن يطمح أبداً فى الحفاظ على ولاء اتباعه ناهيك عن ولاء أبنائهم. وكما كان فزعى شديداً حينما وجدت هذا الخطر نفسه بين المسلمين. لقد كانت صدمتى عظيمة حين وجدت فى صلب الأمة المسلمة علماء وقادة سياسيين يرتكبون نفس الآثام التى من أجلها لعن الله اليهود فى القرآن الكريم! فأقسمت أن أكرس كافة جهودى الأدبية

لمحاربة هذا الخطر من الداخل قبل فوات الأوان وقد أيقنت أن الله لن ينجينا من الكوارث وسيكتب علينا مصيراً ماثلاً للمصير الذي ذاق اليهود وباله ما لم نخلص في التوبة إلى الله ونغير ما بأنفسنا.

لذلك كتب مولانا المودودي في أول رسالة بعثها لي في يناير ١٩٦٦ قائلاً: لقد شعرت وأنا أتصفح مقالاتك كأني أقرأ أفكارى، وآمل أن يكون إحساسك كذلك عندما تتاح لك فرصة تعلم اللغة الأوردية ودراسة مؤلفاتى. فبالرغم من عدم وجود تعارف سابق بيننا فلا شك أن هذه المشاركة والتجانس الفكرى المتبادل بيننا قد نجم بصورة مباشرة عن الحقيقة بأن كلا منا قد استقى الهامه من مصدر واحد بعينه ألا وهو الإسلام! **كَيْفَ اكشَيْفَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمَ وَمَدَى أثره فِي حَيَاتِي :**

اكتشفت القرآن الكريم بطريقة متعرجة أوردتني إلى شعاب غريبة، إلا أنني لم أحس قط بالأسى أو الندم على تجاربي ما دامت نهاية المطاف جديرة بذلك كله إلى درجة كبيرة.

كنت أمتع في طفولتي بأذن موسيقية مرهفة، وكان لي شغف خاص بالأوبرات والسيمفونيات الكلاسيكية التي تعتبر من مظاهر الثقافة العالية في الغرب، وكانت الموسيقى هي الموضوع المفضل بالنسبة لي في المدرسة، فأبدعت فيها أيما إبداع، وحدث من قبيل الصدفة المحضة أن استمعت إلى الموسيقى العربية من جهاز الراديو فأبهجني سماعها لدرجة أنني قررت الاستماع إلى المزيد، وبمجرد سماعي للموسيقى العربية لم أعد أكثرث لسماع الموسيقى الغربية، وأخذت ألح على والدي حتى أخذني والدي في النهاية إلى الجناح السوري من مدينة نيويورك حيث اشترت مجموعة من أسطوانات ترتيل سورة مريم من القرآن الكريم بصوت أم كلثوم، كان ذلك في عام ١٩٤٧. وكنت في ذلك الحين معجبة بصوتها الجميل في تلاوة تلك الفقرات من القرآن الكريم بشعور فياض، وهكذا كان إصغائي لهذه التسجيلات سبباً في حبي لسماع الصوت العربي رغم أنني لم أكن أفهمه، فلولا هذا التذوق للموسيقى العربية التي تبدو نشازاً بالنسبة للرجل الغربي لما كان من الممكن أن أحب التلاوة، فكان والداي وأقربائى وجيراننا يعتبرون

العربية وموسيقاها غريبة للغاية وكانت بغیضة إلى آذانهم لدرجة أنهم كانوا يطالبونني بإغلاق كافة الأبواب والنوافذ في غرفتي كلما أردت أن أستمع للأسطوانات العربية خشية أن أزعجهم.

القرآن بَدَل الموسیقی :

وبعد أن أعتنقت الإسلام في عام ١٩٦١ كنت أجلس مأسورة في مسجد نيويورك أستمع إلى تلاوة القارئ المصري الشهير عبد الباسط الساعية تلو الأخرى.

وفي يوم من الأيام لم يشغل الإمام تلك التسجيلات قبل صلاة الجمعة كالمعتاد. وكان بين المصلين ضيف خاص. فنظرت فإذا بشاب أسود قصير نحيل البدن رث الثياب عرفنا بنفسه كطالب من زنجبار. ولكنه ما أن استهل تلاوة القرآن حتى أيقنت أنني لم أستمع قط لمثل تلك التلاوة الرائعة!! ولا حتى من عبد الباسط، فقد وهب هذا الشاب الأفريقي الغامض صوتاً ذهبياً جعلني أقول في نفسي: لا بد أن يلاًلأ رضى الله عنه كان يملك مثل هذا الصوت الندي!

ذكرت في قصة إسلامي إنني عندما بلغت العاشرة من عمري بدأت أحس بميل نحو قراءة جميع المؤلفات التي تقع عليها يداي عن العرب سواء في مدرستي أو في المكتبات العامة في المنطقة التي كنت أعيش فيها. وكنت أميل بشكل خاص إلى الكتب التي تتناول العلاقات التاريخية بين اليهود والعرب. ثم مضت تسع سنوات أخرى حتى ورد بخاطري إشباع حبي لمعرفة القرآن الكريم. ومع ذلك بدأت أشعر بصورة تدريجية أن الإسلام هو الذي رفع العرب من مجرد قبائل صحراوية همجية وجعلهم سادة الدنيا. كان ذلك عندما كنت في نهاية مرحلة المراهقة. ولم أفكر قط في قراءة القرآن الكريم بنفسى حتى تشوقت لمعرفة كيفية حدوث هذا الانقلاب العجيب وأسبابه.

الكاذب أعداء الإسلام:

وفي صيف عام ١٩٥٣ ارهقت نفسي في الكلية فتجشمت دورة سريعة ذات موضوعات كثيرة. وفي شهر أغسطس من ذلك العام سقطت ضحية المرض واضطرت إلى وقف كل جهد يهدف إلى إكمال الفصل الدراسي. وفي إحدى الأمسيات، بينما

كانت أُمى تستعد للذهاب إلى المكتبة العامة سألتنى عن حاجتى إلى مطالعة أى كتاب؟ فطلبت منها نسخة من القرآن الكريم. فعادت بعد ساعة ومعها نسخة من ترجمة معانى القرآن لمبشر وعالم نصرانى عاش فى القرن الثامن عشر وهو جورج سيل. فلم أفهم منها إلا القدر اليسير تبعاً للغتها الركيكة وامتلائها بالتعليقات الكثيرة من البيضاوى والزمخشرى المنتزعة من سياقها وذلك بقصد دحض النص القرآنى من وجهة النظر النصرانية. وفى ذلك الحين كان عقلى الناقد النمو يعتبر القرآن مجرد روايات مشوهة محرفة للقصص المعروفة فى الإنجيل.

ولم يكن بوسعى أن أبتعد عن التأثير بالقرآن بالرغم من أن انطباعاتى الأولى عنه كانت سلبية. فقد أخذت أقرأه بصورة مستمرة طيلة ثلاثة أيام بلياليها. وعندما فرغت من قراءته كانت جميع قواى قد استنزفت. ورغم إننى كنت فى التاسعة عشر من عمري شعرت بضعف شديد كما لو كنت امرأة فى الثمانين! ولم استرد كامل قواى أو نشاطى بعد ذلك!

ترجمة أمية لمعاني القرآن:

وهكذا ظللت أحمل فكرة هزيلة عن القرآن الكريم حتى كان يوم من الأيام عندما عثرت فى إحدى المكتبات على نسخة رخيصة من ترجمة القرآن لمحمد مرمادوك بكتال^(١). فما أن فتحت ذلك الكتاب حتى شعرت أنه وحى من السماء! فقد جرفنى أسلوبه الفصيح. يقول السيد بكتال فى الفقرة الأولى من مقدمته ما يلى:

«إن الغاية من هذا العمل هى أن يقدم للقراء الإنجليز ما يؤمن المسلمون فى العالم كله بأنه معنى كلمات القرآن وأن يعرفهم بطبيعة ذلك الكتاب بأسلوب لائق مركز آخذاً بعين الاعتبار ما يحتاج إليه المسلمون الناطقون بالإنجليزية، ويمكن القول بأنه لا يمكن القيام بترجمة أى كتاب سماوى ترجمة منصفة على يد شخص لا يؤمن به وحياً بل يكفر برسالته، وهذه هى أول ترجمة الإنجليزية يقدمها رجل انجليزى مسلم فبعض الترجمات تتضمن تعليقات معادية للمسلمين وجميعها تقريبا تستخدم أسلوباً يشعر المسلمون بتفاهته على الفور.

(١) ستأتى قصة إسلامه فى هذا الكتاب برقم ١٠٠

لا يمكن ترجمة القرآن، هذا هو اعتقاد المشايخ القدماء كما أنه عقيدة الكاتب الحالي، وهذه محاولة لترجمة معانى القرآن الحرفية وقد بذلت كل ما فى وسعى لانتقاء الألفاظ المناسبة ولكن ثمرة العمل ليست القرآن العظيم تلك المعجزة الفريدة الخالدة التى يجهش الناس بدموع الفرح والسعادة لمجرد سماعها، وما هذه الترجمة إلا محاولة لتقديم معانى القرآن مع شىء من سحره وروعته إلى قراء الإنجليزية، ولا يمكن لها بحال من الأحوال أن تحل محل القرآن باللغة العربية ولا هى مقصودة لتحقيق ذلك...»

حينئذ عرفت السر الذى يجعل ترجمة جورج سيل جائزة، ومن ثمة انصرفت عن قراءة ترجمته ولم اقرأ أية ترجمة أخرى للقرآن الكريم بقلم غير المسلمين، واكتشفت بعد مطالعة ترجمة بكثال، ترجمات إنجليزية أخرى ليوسف على ومحمد على اللاهورى ومولانا عبد الماجد داريابادى. وسرعان ما شعرت بالضيق من تعليقات عبدالله يوسف على ومحمد على اللاهورى تبعاً لأسلوبهما الاعتذارى ومحاولاتهما الغربية لتأويل ما يتعارض من القرآن مع الفلسفات الحديثة والتصورات العلمية المتقلبة. كما أن ترجمتهما للنص كانت ضعيفة فى نظرى، وبالرغم من محاولة السيد عبدالماجد داريابادى صوغ ترجمته للقرآن بأسلوب مبتذل على منوال نسخة الملك جيمس للكتاب المقدس، مما أزعجنى إلى درجة كبيرة، إلا أننى وجدت تعليقه رائعاً وخاصة فى تلك الفقرات التى عالج فيها الأديان المقارنة، فتعلمت منها الشىء الكثير، وعلى الرغم من ذلك ظلت ترجمة بكثال أحب الترجمات إلى نفسى ولم أجد حتى الآن أية ترجمة إنجليزية تضارعها فى فصاحتها وقوة أسلوبها ورزانتها، فمعظم الترجمات الأخرى تخطىء فتستخدم كلمة (God) للدلالة على الذات الإلهية، أما بكثال فيستخدم كلمة «الله» من أول ترجمته إلى آخرها، وهذا يجعل دعوة الإسلام قارس تأثيراً قويا على القارئ الغربى، وكنت احتفظ فى أحلك أيام حياتى التى استمرت عدة سنوات فى المستشفى بنسخة عادية من ترجمة بكثال لا أفارقها أبداً بل أقرأها المرة تلو الأخرى حتى أننى استهلكت نصف دسنة من النسخ، جزى الله عنى بكثال خيراً الجزاء وأجزل له العطاء لتيسيره تعلم القرآن وجعله فى متناول الناس فى إنجلترا وأمريكا فيعلم الله أنه لولاه لما تمكنت من فهم القرآن وتعلمه.

السنة النبوية بعد القرآن؛

ثم خرجت من المستشفى في عام ١٩٥٩ فأخذت أقضى معظم أوقات فراغى فى قراءة الكتب عن الإسلام وذلك فى الجناح الشرقى لمكتبة نيويورك العامة وهناك عثرت على ترجمة انجليزية لمشكاة المصابيح مؤلفة من أربعة مجلدات ضخمة قام بترجمتها الحاج فضل الرحمن - من كلكتا، عندئذ أيقنت أنه لن يتسنى لى فهم القرآن فهماً مناسباً وتفصيلاً ما لم أتعلم شيئاً من الحديث النبوى الشريف فكيف يمكن فهم كلام الله فهماً صحيحاً ما لم يكن ذلك فى إطار تصور النبى الكريم الذى أنزل عليه القرآن وعلى ضوء سيرته؟ وكل من يكفر بالحديث يكفر بالقرآن لأن هذا الوحي السماوى ينص بوضوح على أنه لا يتحقق التسليم الكامل لله ما لم نسلم ونذعن إذعانا كاملاً لما جاء به النبى الكريم عليه الصلاة والسلام.

وعندما قرأت المشكاة بدأت أؤمن بأن القرآن وحى من السماء، والسبب فى اقتناعى بأن القرآن لا بد أن يكون من عند الله لا من عند محمد ﷺ تلك الإجابات المرضية المقنعة التى يوردها الله رداً على كافة الأسئلة المهمة فى الحياة والتى لم أعثر لها على إجابة فى أى كتاب آخر.

الدارُ الآخرةُ :

كنت فى طفولتى شديدة الخوف من الموت وخاصة عندما كنت أفكر فى موتى أنا حتى أننى كنت أحياناً أستصرخ والدى فى منتصف الليل على أثر رؤيتى لكابوس مخيف عن الموت، وعندما كنت أسألهم لماذا يجب أن أموت وماذا يمكن أن يحدث بعد الموت؟ كان كل ما يقولانه لى هو أن من واجبى أن أسلم بالأمر المحتم وأن الموت بعيد وحيث إن العلوم الطبية فى تقدم دائم فربما أعيش مئة عام! وكان والدى وبقية أفراد أسرتى وجميع أصدقائنا يهزأون من أى تفكير فى الآخرة ويقولون بأنها خرافة محضة، وأن الإيمان بيوم القيامة والجزاء فى الجنة والعقاب فى النار ضرب من الأفكار البالية من مخلفات العصور القديمة، وعبثاً حاولت التنقيب فى الفصول الكثيرة للعهد القديم للعشور على تصور واضح لا لبس فيه بالنسبة للدار الآخرة فجميع الأنبياء والبطارقة والحكماء فى الكتاب المقدس يلاقون جزاءهم أو عقوبتهم فى الحياة الدنيا فحسب، مثال

ذلك قصة أيوب عليه السلام فقد قضى على فلذات كبده وأحبابه بالموت كما جرد من أملاكه وأصيب بمرض خبيث لاختبار قوة إيمانه، فأخذ أيوب يشكو بشه وهمه إلى الله ويناجي ربه قائلاً: لماذا تجعلنى أقاسى وأنا رجل تقى صالح؟! وفى نهاية القصة يعرض الله عليه كافة خسائره الأرضية وليس هناك أى ذكر لأية نتائج فى الدار الآخرة.

أكاذيب اليهود:

صحيح أننى وجدت مفهوم الدار الآخرة محدداً فى العهد الجديد إلا إنها كانت فى نظرى غامضة لا تشبع تطلعى إذا قورنت بما جاء عنها فى القرآن الكريم، ولم أجد أية إجابة على مسألة الموت فى اليهودية التقليدية، فالتلمود يقول: بأنه الحياة الدنيا فى أسوأ صورها أفضل من الموت فى أشرف مقاماته، وكانت فلسفة والدى تتلخص فى أن على الواحد منا أن يتجنب التفكير فى الموت وأن يتمتع ببهاج الحياة بأقصى ما يستطيع فالغاية من الوجود الإنسانى فى رأيهم هى المتعة والبهجة التى تتحقق عن طريق الافصاح عن المواهب الشخصية لكل إنسان، كما تتمثل فى حب الرجل لأسرته وعلاقاته الوثيقة بأصدقائه بالإضافة إلى الحياة الهنيئة والانغماس فى شتى الشهوات التى تيسرها الحياة فى أمريكا بصورة كبيرة، وهم يدعون إلى هذا المنهج السطحي فى الحياة لضمان سعادتهم وثروتهم واستمرارها، ولقد علمتنى التجارب المريرة أن الانغماس فى شهوات الجسد وملذاته لا يؤدي إلا إلى مزيد من من الشقاء ولا يتحقق أى عمل كبير يستحق الذكر إلا بالعناء والتضحية بالنفس.

كنت أطلع دائماً منذ طفولتى المبكرة جداً إلى تحقيق أمور مهمة تستحق الذكر، وكنت أريد قبل كل شيء أن أضمن قبل دنو أجلى أننى لم أنفق حياتى سدى، ولم أقترف أعمالاً آثمة ولم أسلك سبلاً عابثة، كما أننى كنت طوال حياتى أميل إلى الجِد، وأبغض اللهو والعبث وهما الصفتان الغالبتان فى الحضارة المعاصرة.

وذات مرة سبب لى والدى انزعاجاً كبيراً باعتقاده بعدم وجود قيم دائمة، وقوله بأنه ما دام كل شيء فى العصر الحديث يتغير باستمرار فالأفضل الإذعان للتيارات الحاضرة واعتبارها أمورها محتمة وتكييف النفس على منوالها، أما أنا فكنت متلهفة للوصول إلى أمر يبقى أبداً الدهر.

الْقُرْآنُ نُورٌ:

والقرآن الكريم هو الذى علمنى أن هذا الأمل ممكن الوصول إليه فلا يضيع عمل صالح يقصد به رضوان الله تعالى، وحتى إذا لم يجن الإنسان ثمرة عمله الصالح فى الدنيا فجزاؤه موفور فى الدار الآخرة، ومن ناحية أخرى يرشدنا القرآن الكريم إلى أن الذين لا يلتزمون بأى اعتبار خلقى ويجرون وراء المتاع العاجل واللياقة الاجتماعية ويريدون أن يكونوا أحرارا فى اقرار ما يشاؤون بصرف النظر عن الكسب الديوى أو الرفاهية التى يحققونها، هؤلاء هم الخاسرون يوم القيامة مهما تمتعوا فى هذه الحياة الدنيا الفانية.

والإسلام يوصينا بترك كافة الأعمال العابثة التافهة التى تصرفنا عن غايتنا فى تكريس جل اهتمامنا للتهوض بحقوق الله وحقوق عباده علينا، وقد لقيت تعاليم القرآن هذه وما يفسرها من أحاديث نبوية شريفة انسجما كاملا مع مزاجى، وعندما اعتنقت الإسلام كان والداى وأقربائى وأصدقائى يعتبرون أننى متعصبة لأننى لم أكن أفكر ولا أتحدث عن شيء آخر غير ذلك، فالدين فى نظرهم مسألة شخصية يمكن أن ينمى كهواية من الهوايات، ولكن بمجرد قراءتى للقرآن الكريم عملت أن الإسلام ليس مجرد هواية من الهوايات أبداً ولا هو مجرد أمر ثانوى فى الحياة بل هو الحياة ذاتها!

الْفِرَارُ مِنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ:

منذ عهد مراهقتى المبكرة إلى أن هاجرت إلى الباكستان فى الثامنة والعشرين من عمري لم أكن فتاة اجتماعية ناجحة، فكنت شابة جادة منهمة بين أكوام الكتب فى المكتبة، أكره السينما وأبغض الرقص والموسيقى الصاخبة ولم أكن استمتع بالمواعيد الغرامية والحفلات المختلطة، ولم أكن أكثرث بالقصص العاطفية والبهرجة وأدوات التجميل الصناعية والمجوهرات والأزياء الأنيقة، لذلك كنت غريبة.

وهكذا هاجرت إلى باكستان بعد أن فررت من مستقبل مظلم فى أمريكا التى لا مكان فيها لفتاة مثلى، ومع أن باكستان قد تلطخت بشيء من قذارة أوروبا وأمريكا إلا أنه لا يزال فيها عدد كاف من الباكستانيين المسلمين الذين يكونون بيئة إسلامية صالحة

تمكن الإنسان من العيش وفقاً لتعاليم الإسلام. ولا بد لى أن أعترف أنني لا أستطيع فى بعض الأحيان أن أطبق بعض ما يأمر به الإسلام، ومع ذلك فلا أنغمس فى تأويل القرآن والسنة وتأويلات ما أنزل الله بها من سلطان تبريراً لعجزى وتقصيرى، بل أسارع إلى الاستغفار وإصلاح أخطائى كلما أذنبت. والسرفى سعادتى التى أحس بها فى حياتى الجديدة هو أن الإسلام يقدر الصفات والأمزجة الفطرية التى يسخر منها المجتمع الغربى ويستهزئ بها!!^(١).



(١) بقى أن نذكر أن السيدة مريم جميلة تزوجت رجلاً باكستانياً متديناً، كما أنها تقضى معظم وقت فراغها فى التأليف الإسلامى، فلها عدد من الكتب أهمها: «الإسلام بين العقيدة والتطبيق»، «والإسلام ومذهب التجديد»، وقصة لاجئ فلسطينى بعنوان «أحمد خليل» وغير ذلك من المؤلفات التى كتبتها باللغة الإنجليزية، كما أنها تحرر مقالات كثيرة فى الصحف والمجلات الإسلامية الناطقة بالإنجليزية.

أوروبًا:

٦. يَعْقُوبُ رَيْمُونْدُ

لِمَاذَا أَسَلْتُكَ...؟

لقد وجدت ثلاثة فروق جذرية بين النصرانية والإسلام ساهمت في اقتناعي بصدق الإسلام.

الفارق الأول هو: أن النصرانية في الوقت الذي تقر وتعترف فيه بكافة الأنبياء قبلها تجرد عيسى من النبوة وترفعه إلى مرتبة الألوهية، كما تنكر نبوة محمد عليه الصلاة والسلام بالكلية. فلم أجد لذلك أي مبرر. إذ أن حضرة النبي محمد ﷺ يؤمن بجميع الأنبياء السابقين، ويؤكد أن الرسالة السماوية التي أنزلت إليه هي الرسالة السماوية الوحيدة التي لا تزال محفوظة لم تمس بسوء.

أما الفارق الثاني فهو أن النصرانية تنادى بالنظرية القائلة بأن عيسى ابن الله وأنه طرف في التثليث المقدس. وبذلك يكون عيسى في نظرها إلهًا وابن الله في وقت واحد بما يتعذر فهمه. كما أن هذه النظرية تناقض التعاليم التي نادى بها موسى وإبراهيم. فقد علما الناس بأن يعبدوا إلهًا واحدًا لا شريك له. كذلك نجم عن التصور بأن عيسى ابن الله نتيجة أخرى هي إقامة الفوارق بين الأنبياء وتقسيمهم إلى بشر وآلهة!

وأما الفارق الثالث فهو أن النصرانية تجعل الكنيسة وسيطاً بين الناس وربهم، فهي تقول لك: اقترف ما شئت من الآثام والكنيسة تعفو عنك وتضمن لك الخلاص والنجاة. ومن هنا فالخالق في تصور النصرانية ليس مختاراً يفعل ما يشاء بل لا بد للكنيسة أن تقوده - سبحانه - يوم القيامة.

قد وجدت لحسن الحظ تصويماً لهذه الفكرة المضحكة وتصحيحاً لها في الإسلام. فالدين الإسلامي يبين أن الله وحده لا شريك له هو الذي سيقضى يوم القيامة في الأعمال التي اكتسبها كل ذكر وأنثى في حياتهم الدنيا دون أي تدخل أو نفوذ من أية جهة من الجهات. وهذه صفة طبيعية لازمة للخالق تظهر بجلاء لكل ذي فكر صحيح.

ثم سألت نفسى: أين الاستقرار والثبات بالنسبة للدين الذى تظل فيه تعاليمه عرضة للتعديلات المستمرة حسب ما تقتضيه العادات المتغيرة المتقلبة؟ وآخر مثال على هذه التعديلات هو مجلس الفاتيكان الثانى. إذ يتضح من هذا أن الديانة النصرانية تقدم عادات البشر وتقاليدهم وتضعها فى منزلة أسمى من إرادة الله. أما فى الإسلام فكلمة الله وإرادة الله هى الأسمى.

ومما زاد فى إقصائى عن النصرانية إلى جانب ما قدم، ما لاحظته بأن أساليب الحياة المادية البحتة التى انتشرت فى أوروبا وأميركا الشمالية فى الأوقات الحاضرة قد أدت إلى تحطيم أبسط القيم الإنسانية تحطيماً كاملاً. فینحصر اهتمام الناس فى الأقطار الأوروبية والأميركية فى تحقيق هدف واحد فى الحياة وهو تأمين مزيد من وسائل الراحة المادية بصرف النظر عن العزاء النفسى والروحى. فترى كل واحد منهم يلهث وراء ملذاته الشخصية. كما ينعدم الإحساس بالأخوة بين الإنسان وأخيه الإنسان.

لقد اختفت فكرة رعاية شؤون المجتمع وأصبحت النزعة الفردية هى الفلسفة الغالبة المسيطرة فى هذا القرن العشرين. تلك صورة مؤسفة أرسمها عن بنى وطنى إلا أن واجبى كمسلم هو الذى دفعنى إلى البيان لأخوتى المسلمين فى الأقطار الشرقية كيف كانت الأتانية الحاضرة فى أوروبا وأميركا نتيجة لتصورهما الخاطئ لحقيقة الخالق.

أدعو الله أن يأتى اليوم الذى يصبح الإسلام الدين الوحيد فى كافة القارات فى العالم. وأننى موقن بالإجابة إن شاء الله.



أمريكا:

٧. استريد هيرما سمارت

كَيْفَ اعْتَنَقْتُ الْإِسْلَامَ وَإِذَا...؟

يبدأ الأخ سمارت قصته بقوله:

دعيت لإبداء الأسباب حول اعتناقي الإسلام ويسعدني كثيراً أن ألبى رغبة أولئك الذين ساعدوني في سلوك طريق طويل وشاق، وإن شاء الله سيرشدونني أكثر ونحن معا على الدرب.. قد تبدو هذه العبارة مبتذلة يقولها كل من يعتنق ديناً أو مذهباً سياسياً جديداً، ولتعديل هذا الرأي اسمحوا لي أن أبين أن مجرد ذكر كلمة «مسلم جديد» يؤلني كثيراً، فهذا التعبير فيما أعتقد يحمل في اللغة الإنجليزية معنى خبيثاً، فيشير إلى ذلك المسكين العاجز فالحمد لله الذي خلصنا منه، وأنا لا أعتبر نفسي مسكيناً بحال من الأحوال، فقد نشأت في ربوع حكمة قديمة هي أن الله يعين هؤلاء الذين يعينون أنفسهم، كما أن من العسير عليّ أن أصوغ مبادئ الدينية في كلمات.

البداية:

بدأت القصة منذ ثلاث سنوات عندما كنت ملتحقاً بجامعة إلينوي (Illinois University) بالولايات المتحدة الأمريكية فقد التقيت حينئذ بمسلم مصري قدم لي نسخة من القرآن الكريم هدية في عيد ميلادي، وما ألتني كثيراً أنه كان مكتوباً باللغة العربية وكنت شاباً أميركياً، فتحمست لمعرفة ما فيه، وكنت طالباً أدرس اللغات وأعتقد بضرورة قراءة ما يقوله الآخرون في لغاتهم، وهنا قررت لأسباب ثقافية بحثة في ذلك الحين أن أتعلم اللغة العربية كي أتمكن من قراءة «كتابي الصغير المقدس»، كما كنت أسميه، وكنت أؤمن باحترام كتب الأديان كلها رغم أن هذا الموقف لا يمثل النظرة النصرانية، وما زلت أذكر بعض المناقشات التي نشبت بيني وبين أصدقائي النصارى، وبقي القرآن في جيبي ملفوفاً بمعطفي كيلا يتسخ فحملته معي حيثما رحلت بالرغم من عدم فهمي لكلمة واحدة منه...

الصُّحْبَةُ الصَّالِحَةُ:

ومضى الزمن فانتقلت إلى الجالية العربية في جامعة الينوى وكنت أدعى دائماً للاشتراك في شؤون الأسرة الجامعية العربية. وأداء المهمات التي كنت أستمتع بها حتى أنني كنت أبدى احترامى وعرفانى بالجميل لاعتبارهم لى أحد أفراد الأسرة فقد بذلت وقتى وما لدى من مهارات قليلة للمساعدة متى لزمتم، ويسرنى أنى كنت سائناً فى كثير من النزوات التى رتبها أعضاء الاتحاد العربى، وكنت أشترك فى إعداد الطعام وتناوله كذلك، كما شاركت فى إقامة المعارض فى الأسبوع الدولى للمعارض، وكنت مرشداً فى اللغة الألمانية لصديق كان يستعد لاختبارات لغوية مطلوبة ضمن برنامج الجامعة لنيل درجة الدكتوراه، وقد أتقن ذلك تماماً. ولم يقف الأمر عند حد استمتاعى كثيراً بأداء هذا النشاط بل كسبت مزيداً من التمعن والفهم للعقلية الإسلامية من الذين اتصلت بهم. صحيح أن النصرانية تنادى بالشفقة وأن يكون المرء حارساً لأخيه، ولكن إذا قورنت هذه العبارة بأخلاق مسلمى (الينوى) وأعمالهم ومدى عطفهم على بعضهم البعض وعلى الآخرين فإنها تبدو عبارة جوفاء، وسأذكر أمثلة لذلك: فَمَنْ غير المسلم يتبرع بتوصيلى إلى البيت وسط عاصفة ممطرة. وقد علمت فيما بعد أنه تلقى رسالة من عائلته نبأ وفاة والده؟.

ومن غير المسلم يجمع التبرعات لأخيه المسلم الذى استنزف أمواله كى يتسنى له دراسة سنة أخرى لإنهاء إجازة الدكتوراه؟

ومن غير المسلمين يساعدون أخوا لهم على نقل أغراضه التى ملأت ثلاث سيارات عندما طلب إليه إخلاء البيت فجأة؟ وقد قام بهذه العملية حوالى ثمانية عشر مسلماً. وعلى الرغم من ملاحظتى لكل هذه الحقائق فإنى لم أفعل شيئاً سوى أننى كنت استمع لراديو القاهرة عند دعوتى إلى تناول الغداء مع بعض الأصحاب فى بيت صديق فتذوقت القرآن الكريم، وكنت فى ذلك الحين عضواً فى معسكر نصرانى أحضر الصلوات دوماً فى الكنيسة أيام الآحاد.

نَأْمَلُكَ فِي النَّاقِضَاتِ حَوْلِي:

ولا أذكر الوقت والمكان الذى بدأت أتدبر فيه التناقضات الظاهرة فى النصرانية فقد

بدا لى فى أحد الأيام أن الإيمان بشالوت الآلهة لا يمكن أن يتناسب مع مبادئى. وعبثا حاولت فهم الكتب النصرانية فقلبت ما قيل فيها بالنسبة لميلاد العذراء ولكن دون جدوى. وتساءلت كيف قثلت روح عيد الحصاد فى حمامة؟! واحتشدت التساؤلات الكثيرة فى مخيلتى لذلك شرعت فى الاستفسار من أصدقائى عن دينهم، كما أخذت فى حضور الندوات التى يعقدها المسلمون بانتظام فى جامعة الينوى فاكتشفت أن الله واحد لا شريك له لم يلد ولم يولد. وعرفت ذلك بمساعدة أصدقائى المسلمين وبفضل الردود التى ترد فى الندوات كما اكتشفت أن هذه الحقيقة مسجلة فى القرآن الكريم. وبعد بحث عثرت على الآية التى تقول ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤] وهكذا وضعت المسيح فى موضعه الصحيح من تصورى، لمكانته كنبى من أنبياء الله المرسلين، كما اصطدمت منذ زمن مع العرف النصرانى السائد باعتبار القسيس وسيطا بين الله والناس مع أن لدى الثقة الكاملة التى أستطيع بها أداء الصلاة. ولم أصدق حكمة الصلب أبداً، فلأى شىء يموت إنسان ضحية أخطاء وذنوب يرتكبها آخرون؟ إن الأمثلة الملموسة حول مغزى هذا الموضوع لا أصدقها، لماذا لا توجد الوثائق؟ لماذا لم يكتب أى شىء عن حياة المسيح حتى مر وقت طويل بعد وفاته، فكل ما هو موجود الآن هو من قبيل الروايات، لقد كان بإمكان الكنيسة النصرانية أن تكتم سر تلفيق الأباطور قسطنطين مدة ألف عام، مما حدا بالأسقف الروسى باعتباره أول سلطة بابوية لم يدع لحضور مؤتمر فينيقيا إلى كشف السر. هذه مسألة تاريخية كما أن التاريخ يشهد بقيام الكنيسة بالسماح لأسقف ما ينز بتزوير الجريمة، ولكنها لم تعترف بذلك إلى قرابة عام ١٨٠٠م ولم يكن بوسع الكنيسة تقديم وثيقة أصلية تثبت أن المسيح ابن الله، فلا وجود لمثل هذه الوثيقة. لذلك بدأت أفكر وأتساءل.

الاتحاد الإسلامى:

وفى إبريل عام ١٩٦٣ شعر المسلمون فى جامعة الينوى بالحاجة إلى هيئة تقرهم وتربط بعضهم ببعض وتثبت حيوية الإسلام والمسلمين، فقاموا بتأسيس اتحاد. وقد وجهت لى الدعوة لحضور جلسات افتتاح الاتحاد. فرأيت لأول مرة كيف استطاع المسلمون من مختلف الجنسيات أن يعملوا معاً فى هيئة واحدة على مستوى البرلمان. ولا

أكتمكم أننى تأثرت بهذه المبادرة الطيبة غاية التأثر. وقد لقيت ترحيباً كبيراً من المشتركين حتى أنهم منحونى عضوية فخرية فى الاتحاد. وبعد بضعة أشهر انتقلت إلى كاليفورنيا وكلى تصميم على أن أدمم الاتحاد ما وسعنى ذلك. وقبل وداعهم لى ابتهجت كثيراً بدعوتهم لى لحضور حفلة غداء جمعتنى بعضو مخلص من أعضاء الاتحاد، وهو مهسس عبقرى غادرنا للقيام بالتدريس فى جامعة ستانفورد لمدة عام واحد.

دُجُولى فى الأمة الإسلامىة:

ثم استأنفت دراستى فى كاليفورنيا وبعد الفترة الصيفية فى عام ١٩٦٤ فى بركلى وجدت لدى وقتاً كافياً لتابعة قراءتى فشرعت جاداً بقراءة الكتب السماوية، وبعد أن أقنعت نفسى تركت المعتقدات النصرانية التى ولدت وعمدت فيها وطلبت الانتساب إلى الكتلة العظيمة من البشر ألا وهى الأمة الإسلامىة، كان ذلك بفضل الله وهده ثم بمساعدة الاتحاد وعلى الأخص رئيس الاتحاد فى ذلك الحين.

أحمد الله العلى القدير الواحد الأحد الذى أنار طريقى ببصيص من النور يوحد من شجرة مباركة هى نعمة الإيمان بالله. وأتوجه بالشكر لأعضاء الاتحاد فى أميركا ورئيسه الذين قدموا لى كل عون ممكن وأعربوا عن استعدادهم لمساعدتى أثناء بحثى الطويل عن الحقيقة، فهناك اعتبارات كثيرة تحتاج إلى استفسار كالعرف والذوق والنظام.. الخ، لم يكونوا يألون أى جهد فى وسعهم. كما تنشأ أسئلة كثيرة أخرى. فأنا أوافق ارسطو فى قوله «إن معرفتى بجهلى هو حكمتى الوحيدة» وإن شاء الله سأجد لأسئلتى أجوبة واضحة.



٨. بشير أحمد عبد الرحمن باتيل ❖

هَكَذَا هَدَانِي اللَّهُ إِلَى الْإِسْلَامِ:

يسرنى أن أبلغكم أننى اعتنقت الإسلام بفضل من الله وهده يوم الجمعة الرابع عشر من يوليو ١٩٦٧ حينما ذهبت بهدوء إلى المحكمة الشرعية ووقعت شهادة اعتراف خطية أمام القاضى ، قررت فيها أننى أعتنق الإسلام وأعرب عن إيمانى العميق بالله الواحد الأحد وأشهد أن محمدا ﷺ رسول الله، وإننى سأبذل قصارى جهدى لاتباع الإسلام الصحيح بدراسة القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة دراسة استيعاب وفهم وتطبيق. واتخذت لنفسى اسما جديدا هو بشير أحمد عبدالرحمن باتيل بدلا من اسمى السابق: راميش شاندر. ب. باتيل.

بِحَثِّ طَوِيلِ الْأَمَدِ:

جاء اعتناقى للإسلام ثمرة بحث طويل الأمد فى أعماق نفسى وفى خارجها فكان تأكيدا لفطرتى ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم : ٣٠] ومع ذلك فربما لم يكن من اللازم أن أحس بالحاجة إلى اعتناق الإسلام صراحة فقد كنت أسير على هديه فى ذات نفسى من حيث هو عقيدة وصلاح. فمشيئة الله هى التى هدتنى إلى اعتناقه وهو وحده الذى يعلم سر هذا الحادث.

هناك عوامل أخلاقية، و روحية واجتماعية متعددة لعبت دورها فى اهتدائى إلى الاسلام ومن العسير على أن أشرح كل شىء فى اللحظة الراهنة إلا أننى أأمل أن أكتب المزيد فى المستقبل.

ولدت فى الهند فى عام ١٩٢٩ وسط أسرة هندوكية عريقة ذات شرف وثقافة .. ونشأت فى ظل تقاليد العقيدة الهندوكية العليا. وآلمنى أشد الإيلام ما شاهدته من إيمان العقيدة الهندوكية بألهة كثيرة، وعبادتها لها من خلال أحجار وصور وإيمانها ❖ هذه ترجمة عربية للقصة التى زودنى بها الأخ بشير أحمد عبدالرحمن باتيل باللغة الانجليزية.

بأنهار مقدسة تغسل فيها الآثام، واعتقادها بالبرهمية - وهي عقيدة الرهبان الذين بوسعهم أن يساوموا الآلهة لمنح الخلاص لزيائنتهم الدينيين، ثم ما تميزت به من ألوان التفرقة الطائفية وتكبرها واتباعها الهوى لا فى المجتمع فحسب بل فى المجال الدينى كذلك. كل هذه الأمور جعلتني أضيق بها ذرعاً قلباً وقالباً فشرعت بهدى من فطرتى أعلق أهمية أكبر على الاستقامة فى السلوك. إلا أن هذا لم يشبع القوة الدافعة فى نفسى. وكنت أحس بالسلام النفسى المؤقت تبعاً لأعمال الخير التى كنت أعملها من أجل الإنسان مجردة عن أى تعصب للطائفة أو اللون أو العقيدة أو المكانة أو الحالة أو الجنسية. ورغم ذلك كنت أحس بحاجة فى نفسى. لقد أرادت نفسى أن تعرف الحقيقة بالنسبة لمخالق هذا الكون وسر الخلق. وفى جانب الحياة الظاهرة كنت أحس إحساساً عميقاً بالمأسى الاجتماعية والسياسية، والاقتصادية والروحية التى تتعرض لها البشرية المكافحة. ولما شعرت بخيبة الأمل فى قرارة نفسى أخذت أبحث عن مذهب سياسى بوسعه أن يحل المشكلات الإنسانية فى هذه الدنيا، وحسبت أن الخدمة الاجتماعية ترضى اعتقادى بأن خدمة الإنسان خدمة لله.

سِرَابُ الشِّيوعِيَّةِ :

فاتجهت إلى الشيوعية وسرت فترة فى حياتى تعمقت خلالها فى المذهب الشيوعى أكثر فأكثر، وبينما كنت أدرس هذا المذهب وأطبقه أخذت إيمانى بالله يتلاشى تدريجياً وأخذت القيم الروحية تفقد وزنها أمام الحجج العقلية المحدودة. ومرت سنوات حُرمت خلالها من الإيمان بالله اللهم إلا إيمانى بالعدالة والاستقامة. ولكنى أحسست فى أعماق نفسى بالشقاء الكامل. كأن روحى كانت تصرخ لحرمانها من اندفاعها الفطرى للانضمام إلى الروح العلوية. وجاء الوقت الذى لم يستطع فيه عقلى المتعثر أن يقنع قلبى الذى كان فى لهفة شديدة إلى مبدأ حق يؤمن به. فقد عجزت الحياة المادية والخلقية والفكرية عن تحقيق السلام النفسى. وكانت روحى متعطشة لمبدأ روحى يحقق لها ما تصبو إليه من سلام.

ثم عاد لى إيمانى المفقود بإلهى من جديد وهو ما كنت أحس أنه روح قائمة بذاتها سامية تملأ الكون. ولكن كيف السبيل إلى الإحساس بوجوده؟ إذ أن العقل يغيّر الشعور والإحساس ومن هنا أصبحت بحاجة إلى منهج ومنار هدى يقودنى إلى الشعور

بالنور الرباني. فبدأت من جديد أبحث وأنقب في ملتي الهندوكية الواسعة التي ولدت في أحضانها، وأخذت أقرأ عن النصرانية والبوذية والجينية «Jainism»، واليهودية وديانة السيخ والزرادشتية والفلسفة الصينية القديمة والبهائية والتصوف وأخيراً بدأت أدرس الإسلام. الذي كنت أحسن دوماً بميل نفسي قوى يدفعني إليه. وكان من عاداتي أن ألتقى برجال متدينين ورجال دين يمثلون مختلف النحل باحثاً عن الصراط العملي المستقيم. ودفعتنى دراستي للكتب والمناهج المختلفة إلى الجزم بأن كافة الديانات السماوية قد أنزلت على الناس في أوقات وأماكن معينة حملها إليهم أكثرهم صلاحاً لهداية البشرية إلى معرفة إله الكون الواحد. وإن كل دين من الأديان السماوية المتعاقبة قد أخذ بيد الإنسانية المعذبة وقادها تجاه مرحلة أسمى من سابقتها. واتفقت جميع الأديان السماوية في فهمها لغاية الوجود الإنساني وهي الاعتصام بالنور الألهي، فمهما يكن المنهج الذي يسلكه الإنسان فلا بد أن يحقق غاية وجوده الإنساني شريطة أن يتوفر له الفهم الصحيح كما يتوقف ذلك على مدى ما يرثه ويتوسع فيه من فهم لصفات الذات الألهية. وظلت النفس الإنسانية تشوق لهذه الغاية التي جاء بها الدين بمعناه الصحيح. فلم يحدث قط أن عاش الإنسان بلا دين ما دامت لديه روحه الفطرية. ومن هنا كان المطلوب من الإنسان أن يفهم وأن يسلك النهج الصحيح الذي بلغ الكمال حتى يتناسب والحاجة الراهنة.

الإسلامُ منَهاجُ الحَيَاةِ :

هذه بعض الخواطر التي كانت تدور في خلدي وأنا أقلب الكتب المقدسة عند مختلف الأديان.

لقد أيقنت أن الإسلام هو المنهج الذي يحقق هذه الغاية، فهو يمتاز بالبساطة والواقعية والاستعلاء والحساسية والشمول. فالإسلام يحترم كافة الأديان ويوقر جميع الأنبياء والقديسين والحكماء. قال تعالى: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦].

فهل هناك أبلغ من هذا الدليل على شمول الإسلام وعقيدته وإيمانه بالله الواحد

الأحد؟ وهل أفضل من قول الله تعالى كبرهان على ختم التنزيل: قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وقوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

كل هذه الحقائق بالإضافة إلى الإحساس الداخلى ودعوة الله فى أعماق نفسى، كل ذلك دفعنى إلى اعتناق الإسلام، هذا الدين الذى فسره القرآن وطبقه النبى الكرم محمد ﷺ فكان نموذجاً رائعاً لتخليص الإنسانية «من شقائها».

هذه هى العقيدة التى رضى بها عقلى وتجلت لفكرى وحببت إلى قلبى فبددت كافة الشبهات والشورور.

دَعْوَةٌ إِلَى الْمُسْلِمِينَ:

إننى أعمل الآن لدى حكومة تنزانيا كموظف فى التربية، فأنا الآن رئيس قسم اللغة الإنجليزية والتاريخ فى إحدى المدارس الثانوية المحلية، كما أننى أدرس الإنجليزية فى الفرع المحلى لمعهد تربية الراشدين التابع لجامعة دار السلام. ويوجد فى دار السلام ست مدارس ثانوية منها مدرسة للبنات، أربعة من هذه المدارس نصرانية تبشيرية، وبالرغم من عدم وجود أية تفرقة دينية هنا فى تنزانيا، وبالرغم من أن الطلاب يرفعون حسب مواهبهم وتحصيلهم إلا أننى أعتقد أن الطلاب المسلمين لا تزيد نسبتهم فى هذه المدارس عن ٢٠٪ من مجموع الطلاب، والمسلمون يشكلون أغلبية السكان هنا فى تنزانيا إلا أن حالة التعليم بين المسلمين مؤسفة ومحزنة. وربما كان السبب كامنا فى جهلهم بحقيقة الإسلام وروحه، وفى الإغراء المادى للثقافة الغربية والديانة النصرانية. إن الجهل بكافة أشكاله الفكرية والروحية والاجتماعية والثقافية هو مصدر كافة ألوان الشقاء وخيبة الأمل التى يعانى منها المسلمون سواء فى هذا البلد أو غيره، والعلاج لا يكون إلا بإصلاح النفوس من الداخل، وصدق القائل:

«أقيموا دولة الإسلام فى نفوسكم تقم على أرضكم».

إن الإسلام فى أيامنا هذه يحتاج إلى وحدة الصف الداخلى، والتنظيم لمحاربة شياطين الجهالة، وتبديد الآفات التى تعمل من الداخل أولاً، فإذا لم نعالج الصف من الداخل فلا ينتظر منا أن نعيش لنحى مجد الإسلام القديم ونجعله الحقيقة السرمدية، فلم يحدث أن

تمكنت أمة من تحقيق فوز دائم ما لم تتضافر جميع جهودها المعنوية والمادية والروحية فتصبح عنصراً واحداً، إن قوة الإسلام في ذاته، في خصائصه الروحية وشموله، وهذا هو سر غلبته في النهاية. فإلى متى يظل الباطل والهوى الفانى والمتاع المادى يستعبد روح الحق وإشراقه في نفس الإنسان؟ فإذا تحققت هذه الروح للمسلم فلن يفكر في شيء إلا في الفوز وعندها ستأتى البشرية الضائعة في الشرق أو في الغرب، في الشمال أو الجنوب ستأتى صاغرة مطأطئة رأسها للإسلام تنشد الخلاص وتسارع للوصول إلى دار الخلد والخروج من الدنيا الفانية.

الأمَلُ لِلْبَاجِثِينَ عَنِ الْحَقِّ:

كثير من الناس في الوقت الحاضر يبحثون عن النور ولكنهم لا يعرفون له سبيلاً بسبب جهلهم وتحيزهم. وكثير آخرون عشروا عليه إلا إنهم تعوزهم الشجاعة الأدبية للتخلي عن الارتباط العاطفى، وربما كانوا يعانون من شبهات في ذات أنفسهم تحول دون انضمامهم إلى الإسلام وثقافته وسيلعب الزمن والروح دورهما ولكن الذى يمكننا القيام به نحن المسلمين هو التمهيد لهذا الوقت. ولذلك فالباحثون عن النور جزء من مسئوليتنا.

إننى أفكر حالياً في وضع خطة لبعث الإسلام من الداخل ونشر النور بين الناس وعلى الأخص بين هؤلاء الأخوة الذين فشلت المادية والإبداع العلمى في توفير السلام النفسى لهم. وها أنذا استعد فكرياً ومادياً وروحياً كى أتمكن من القيام بدورى الذى أرجو أن يقدره الله لى. لا بد أن أتعلم اللغة العربية لأزداد تعمقاً في فهم الإسلام. لا بد أن أعيش بالإسلام حتى أحس به من الداخل والخارج. لا بد أن أسعى لاكتشاف السبل التى تمكننى من الإعداد لهذا الهدف ولا بد أن أكتب وأعمل بنشاط لخدمة الدين والإنسانية.

فإذا اعتقدت - أيها القارئ الكريم بصحة اتجاهى، يمكنك أن تنقل أفكارى وآرائى للآخرين من أشخاص ومعاهد لها اهتمامات مماثلة. والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.



نيجيريا:

٩. إبراهيم نياس نواجي

منصّر يعنق الإسلام

زار الكويت في مطلع عام (١٩٦٨م) داعية مسلم من نييجيريا الشرقية هو الحاج إبراهيم نياس نواجي مدير المركز الإسلامي في أفيكبو بنييجيريا الشرقية، وكان الهدف من الزيارة مناقشة المسلمين في البلاد العربية لتقديم المساعدات المادية والمعنوية إلى إخوانهم المسلمين في نييجيريا، ومما هو جدير بالذكر أنه روى لنا طرفاً من قصة إسلامه نورده فيما يلي:

كان الحاج إبراهيم نياس نواجي مبشراً نصرانياً يشرف على كنيسة في شرق نييجيريا. وكان اسمه (نيوجي) ثم أراد الله له الهداية فأسلم على يد أصحاب الطريقة التيجانية - وهي طريقة صوفية لها اتباعها في أفريقيا، وسمى نفسه إبراهيم نياس تشبهاً بصاحب الطريقة التيجانية في السنغال. فأصبح صوفياً يعتزل الحياة العامة. ثم التقى بتاجر مسلم في نييجيريا من أصل شامى أخذ يدعو إلى التحول إلى داعية مسلم في نييجيريا بدلاً من حياة الاعتكاف والدروشة ويقول: لأن يهدى الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم. وبعد محاولات كثيرة وبعد أخذ ورد كان يحتج بقوله ينقصنا المال. فيجيبه التاجر المسلم: خذ ما شئت من مالى ولا تعتبره عقبة في طريقك. فما كان من إبراهيم نياس إلا أن وافق وأخذ شيئاً من المال وأخذ يعمل للدعوة الإسلامية. فأسلم على يديه ستة آلاف شخص كانوا يسكنون قريته التي كان يعمل فيها مبشراً نصرانياً كما ذكرنا.

وسرعان ما فكر إبراهيم نياس في إنشاء مسجد للدعوة الإسلامية. فالتفت حوله فلم يجد إلا الكنيسة الخاوية التي هجرها سكان البلدة على أثر إسلامهم. فأخذ يعمل على تحويلها إلى مسجد. ولما باءت محاولاته بالفشل حض أتباعه على إحراقها. فما كان منهم إلا أن أحرقوها. ومن هنا ثارت ضجة هائلة في الصحف النصرانية وأعتقل الحاج إبراهيم نياس هو وزوجته التي أسلمت معه، ثم قَدِمَ للمحاكمة فدافع عن نفسه بأن

الكنيسة بنيت من ماله هو ومن أموال أهل بلدته الذين أسلموا^(١)، فأسقط في يد القاضى. ولما عجز عن إثبات إدانته حكم عليه بغرامة مالية لمخالفته وأمر البلدية بهدمه الكنيسة دون استئذائها. فدفعت الغرامة بعد أن قضى هو وزوجته فى السجن بضع سنين صبر خلالها على دينه وكان بمثابة جلاء لروحه ونفسه.

خرج إبراهيم نياس من السجن وهو أشد عزماً وأصلب عوداً وأقوى إيماناً. فأخذ يعمل على إقامة مسجد فى أفيكبو وقاد حملة لجمع التبرعات. وبنى المسجد الذى كان يحلم به. وهكذا انطلق بدعوته حتى كثر عدد الذين هداهم الله على يديه. ثم اتسعت دائرة نشاطه فأخذ يعمل على إنشاء مركز إسلامى إلى جانب المسجد. وقام بجولة فى العالم الإسلامى لجمع التبرعات وكسب التأييد لمشروعه. فمرّ بالكويت حيث حصل على خمسة عشر ألف دينار. وبعد أن أكمل جولته عاد إلى بلاده فرحاً مسروراً وسرعان ما شيد المركز الإسلامى ووضع حجر الأساس لبناء مستشفى للمسلمين. وانتشرت الدعوة الإسلامية على يديه حتى بلغ عدد المسلمين فى شرق نيچيريا حوالى مئة وخمسين ألفاً كلهم من الأيوو - القبيلة النصرانية هناك-.

شرح أعداء الإسلام فى الكيد لهذا الداعية الجديد. وخافوا على مستقبل شرق نيچيريا الغنية بمواردها الطبيعية. وأخذوا يحذرون بأنه إذا لم يوقف النشاط الإسلامى فلم يمتد وقت طويل حتى يصبح أغلبية السكان من المسلمين. وما يجدر ذكره أن السفارة الإسرائيلية فى نيچيريا بعثت إلى إبراهيم نياس وهو فى لحظة كان يحتاج فيها إلى المال، بعثت له رجلاً منافقاً يظهر إسلامه فقال له: إن السفارة الإسرائيلية على استعداد لمنحك ٥٥ ألف دولار شريطة أن تصبح قاديانياً. فما كان من إبراهيم نياس إلا أن رفض ذلك وقال: إن معى ربي يغينى عنك وعنهما.

وبينما كانت دائرة نشاط الحاج إبراهيم نياس تتسع وتتسع وبينما كان عدد المسلمين يتزايد أعلنت نيچيريا الشرقية انشقاقها عن نيچيريا الاتحادية. واشتعلت نار حرب ضروس بينها وبين المسئولين فى الحكومة الاتحادية. فبدأت مرحلة حساسة دقيقة من

(١) الإسلام دين السلام، ولذلك ما كان ينبغى أن تحرق الكنيسة، وإنما يحاول أصحابها تحويلها بالحكمة والصبر، ولعل عذرهم هو أنهم حديثو عهد بالإسلام، ثم هم أصحاب الكنيسة الخالية، ومع ذلك لا يصح إحراق دور العبادة بمثل هذه الشبهة، والله أعلم.

حياة إبراهيم نياس ودعوته الإسلامية. وشعر أعداء الإسلام أن الفرصة قد أصبحت مواتية للقضاء عليه. فما كان منهم إلا أن حضوا الحكومة الانفصالية على مطالبة المسلمين بالتطوع في صفوف الجيش لقتال إخوانهم في نيجيريا الاتحادية والدفاع عن بيافرا - وهذا اسم نيجيريا الشرقية بعد الانفصال - فما كان من المسلمين إلا أن رفضوا. وكان على رأسهم إبراهيم نياس. فأصدرت حكومة بيافرا العسكرية أمرا بمصادرة أملاكهم وفي مقدمتها المسجد والمركز الإسلامى. وأخذ رجال الجيش ينكلون بالمسلمين حتى قتل خلق كثير. وفر الباقون إلى لاجوس عاصمة نيجيريا الاتحادية. ومما يؤسف له أن عدد اللاجئين المسلمين الذين وصلوا إلى لاجوس قد بلغ حوالى تسعة آلاف لاجئ مسلم مجردين من أموالهم وممتلكاتهم. وهم يستصرخون العالم الإسلامى كى يهب لإنقاذهم. فيا ليت قومى يعلمون!

بالرغم من كل هذه النكبات لم تفتتر عزيمة الحاج إبراهيم نياس نواجى وها هو ذا يناشد المسلمين فى كل مكان لمساعدة إخوانهم المنكوبين. ويقوم بجولة فى أنحاء العالم الإسلامى لتعويض الخسائر والمضى قدماً فى الدعوة الإسلامية دونما خوف أو وجل. والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.



كندا:

١٠. عبد الرحمن باركر

إن السيد عبد الرحمن باركر رجل دخل في الإسلام وهجر النصرانية وهو من أصل كندى وأستاذ اللغة الأوردية بجامعة مجل في كندا، وبناء على طلب من رئيس اتحاد الجمعيات التبشيرية الإسلامية نهض ليخاطب المستمعين ويشرح الظروف التي أدت إلى إسلامه، فتحدث باللغة الأوردية بطلاقة تامة.

فقال بأنه في صغره اكتشف أن نصف الكرة الغربي تشيع فيه المادية ولم يأبه النصراني ولا اليهود بالدين، وكان والده رجلاً ملحداً اعتاد أن يقول: بأنه إذا كان الله موجوداً فكيف يستطيع أن يهتم بصلاة كل فرد من مخلوقاته الذين لا يأتي عليهم الحصر والذين يعيشون في كافة الأجرام السماوية؟ إلا أن باركر الشاب كان مهتماً بدراسة الدين وكان حريصاً على اكتشاف العقيدة الصادقة فأذن له أبوه أن يختار لنفسه اعتناق أى دين من الأديان، ومن ثمة شرع السيد باركر يبحث عن العقيدة الحقة، فأجرى دراسة مقارنة للأديان المختلفة بما في ذلك الهندوكية، ولما كان الإسلام قد اتخذ صورة مشوهة في الغرب وحيث إنه يوصف بأنه دين البرابرة الأجلاف الذين يهيمنون بقطع رؤوس النصراني فإنه لم يبذل أية محاولة جادة لدراسته، ولكنه لم يجد ملجأ في النهاية إلا في الدين الإسلامي.

و ذات مرة بينما كان في (الكهنؤ) لقيه طالب مسلم يعتنق الشيوعية وقال له: «إذا أردت أن تشاهد أكبر رجل محافظ على الدين في العالم فتعالى معى إلى والدى» فذهب السيد باركر لمشاهدة والد زميله الطالب فوجده شيخاً وقوراً للغاية يشع من وجهه نور الإيمان وشفافية الروح فأهدى إلى السيد باركر ترجمة إنجليزية لمعانى القرآن الكريم. وسارت عجلة الزمن وأخذ السيد باركر يجرى بحثاً في لغة هندية معينة في أشد

المقاطعات الهندية تأخراً، وفي أحد الأيام وبينما كان يبحث عن كتاب مشوق يقرأه عشر في حقيبة عفشه على الترجمة الإنجليزية لمعاني القرآن، ولما لم يكن معه كتاب آخر غيرها أكب على قراءتها، وما أن قرأ عدة صفحات حتى أسره جمال الكتاب وحكمته، وعندما انتهى من قراءة الترجمة اقتنع بصدق الإسلام ولم يكن حينئذ أى داع للتأخير، فذهب لتوه إلى لكهنؤ ودخل في الإسلام على يد ذات الرجل الريانى الذى أهدى إليه الترجمة.. وقال السيد باركر بأن الناس في الغرب ينظرون إلى الإسلام من خلال المسلمين فيرون أن نسبة كبيرة من المسلمين لا يعلقون أهمية كبيرة على النظافة ويظنون على قذارتهم، فيتهم الغربيون الإسلام بذلك، فقد يكون بعض المسلمين كذلك فعلا إلا أن الإسلام دين النظافة، وقال بأن الإسلام يتضمن كل ما هو خير، وأن من واجب المسلمين اليوم أن يكونوا صوراَ صادقة لإسلامهم، ودعا الشبان المسلمين الذاهبين إلى ديار الغرب أن يتفقوا جزءاً من وقتهم للتعريف بالإسلام في كافة أنحاء العالم.



١١- الدكتور عبده إبراهيم (*)

(تعريف فى سطور)

- هو المرحوم الدكتور عبده إبراهيم، ابن إبراهيم أفندى عبد الملاك من حى الظاهر بالقاهرة.
- ولد فى عام ١٨٨٤ ميلادية.
- وصل إلى المرحلة الثانوية (ولها شأن فى تاريخ حياته) بين عامى ١٨٩٦ - ١٩٠٠.
- درس الطب بالقصر العينى خمسة أعوام ولهذه المرحلة (بدورها) شأن فى تاريخ حياته، وكان ذلك بين عامى ١٩٠٠ - ١٩٠٥.
- التحق بالوظيفة العامة من سنة ١٩٠٥.
- تزوج فى صيف سنة ١٩٠٦.
- رزق بابنه الأول فى يوليو سنة ١٩٠٧.
- ورزق بابنه الثانى فى يناير سنة ١٩٠٩.
- ولكل من الابن الأول والابن الثانى شأن فى تاريخ حياته.
- كان أول عهده بالوظيفة العامة بمصلحة السجون (طبيب السجن) بين عامى ١٩٠٥-١٩١٠.
- وكان آخر عهده بالوظيفة العامة بوزارة الصحة (طبيب مركز) بالسنبلاوين دقهلية بين عامى ١٩١٠-١٩١٤، ثم طبيب مركز ههيا (الشرقية) بين عامى ١٩١٤-١٩١٨.

(*) هذه القصة كتبها الدكتور عيسى عبده إبراهيم الذى كان له فى هذه القصة شأن مهم وطريف يبدأ منذ ولادته.

- توفى إلى رحمة الله بالقاهرة فى شهر يونيه سنة ١٩١٨ بحمى التيفوس، وكانت العدوى قد انتقلت إليه أثناء عمله فى المخيمات التى يعزل فيها المرضى، وكان الوباء قد انتشر فى بعض مواقع الشرقية بسبب تحركات الجنود الذين حشدتهم الحلفاء فى الحرب الكبرى (١٩١٤-١٩١٨) .

- ظن الطبيب بحكم الممارسة المتصلة أن الخطر الذى يهدده غير يسير (ولعله أحس أيضاً بدنو الأجل، فقد كان صالحاً يرحمه الله) ولذلك أقفل الدار والعيادة الخاصة واضطرب أسرته كلها (زوجة وأربعة أبناء وطفلة فى الشهر الثانى من عمرها) وشغل ديواناً بالدرجة الثانية بالقطار، واعتزل هو وأسرته جميع الركاب لوقاية الناس من احتمال العدوى.. وفى القاهرة بحى السيدة زينب بجنينة قاميش فى منزل صهره المرحوم الشيخ عبدالحميد مصطفى عكف الأطباء على علاجه أو متابعة المرض، ستة أيام.. وافاه بعدها الأجل يوم ١٨/٦/١٩١٨ بعد المغرب بقليل.. وكان من بين الأطباء الذين باشروا العلاج المرحوم محمد توفيق صدقى والمرحوم محمد عبدالحى، والمرحوم محمد رضا.. ودفن فى مقابر أصهاره بقرافة الإمام الشافعى بالقاهرة.

القصة كاملة :

فى أواخر القرن التاسع عشر كان «الخواجة» إبراهيم أفندى عبدالملاك يعيش فى حى الظاهر بالقاهرة، ومن حوله أسرة كبيرة العدد من الأقرباء والأصهار.. فقد كان التقليد المتبع هو تجمع الأصول والفروع فى مساكن متقاربة (فى مصر وفى غيرها من البلاد العربية) كما كان بعض الأحياء يميز بأن سكانه من القبط القدامى فى مصر.. ومن هذه الأحياء حى الظاهر.. وقد شغل الخواجة إبراهيم عبدالملاك منزلاً متوسطاً (رقم ٧٢ شارع الظاهر) أما لقب «خواجة» فقد كان يطلق على وجهاء القبط ورجال الأعمال.. ومنهم إبراهيم أفندى الذى احترف تجارة الجملة والوكالة بالعمولة، واتخذ مقراً له بحى الجمالية حيث يقضى يومه كله.. ولا يستقر فى الدار إلا يوماً واحداً فى الأسبوع هو الأحد.. وفى هذا اليوم تجتمع الأسرة من حول مائدة الغداء.. ويحرص البعيدون عن حى الظاهر من أفراد الأسرة المقيمين بالقاهرة على هذا الاجتماع العائلى الدورى (ولهذه الجزئية صلة بموضوعنا).

رزق الحاجة إبراهيم عبدالملاك أربعة أبناء هم: عبده ونسيم وفهيم وسليم.. بالإضافة إلى عدد من البنات، وحرص على تعليم الأولاد فألحقهم بالمدارس ووفّر لكل منهم في دوره كل ما يلزمه.. وكان ولده الأكبر «عبده» مجتهداً فلم يتخلف سنة واحدة حتى وصل إلى السنة الثالثة الثانوية.. حين صادفته ظروف خاصة ترتب عليها أن بقى للإعادة.

فكيف تخلف التلميذ المجتهد «عبده إبراهيم» في امتحان البكالوريا ولم يعهد عليه ضعف أو تراخ.. فضلاً عن الرسوب في الامتحان؟ هذا هو أول الطريق إلى صلب الموضوع.

زَمَلَةُ الدَّرَاسَةِ :

اتبع بعض نظار المدارس الثانوية في أواخر القرن قبل الماضي (أعني التاسع عشر الميلادي) أسلوب الخلايا العلمية التي تقوم على أسس من التآلف بين الطلاب.. دون تحديد عدد معين ودون محاولة الربط بين خلية وأخرى.. إذ كان القصد هو مجرد التجمع في «صحبة» أو «شلة» أو «ربع» ليكون نشاطهم العلمي والاجتماعي أصلح من الناحية التربوية.. مما لو ترك الفرد في سن المراهقة وأول النضج.. وحيداً في نزهته حبساً في حجرة الاستذكار بداره.

وهكذا اجتمع محمد توفيق صدقي، وأحمد نجيب برادة، وعبده إبراهيم في خلية واحدة، تألف أفرادها من أول الدراسة الثانوية.. وما وصل ثلاثتهم إلى السنة الثالثة حتى كانت المودة تشد بعضهم إلى بعض.. وسنشير إلى كل منهم فيما يلي باسم واحد توخياً للإيجاز فنقول:

صدقي - برادة - عبده.

كان صدقي أيسر حالا وتقع داره في (جنينة لاظ) المتاخمة (لجنينة قاميش) بحي السيدة، وللدار منظر في الداخل إلى اليسار.. تكاد تنفصل هي ومنافعها عن البيت كله.. ومرة أخرى نكرر القول بأن هذه الإشارة لها ما بعدها.

أما برادة فقد كان رقيق الحال كفله عمه بعد وفاة أبيه.. فلم يكن الصحب يغشون دار

عمه هذا بالحلمية إلا نادراً.. وكانت الدار فسيحة على الطراز القديم ولها صحن فيه بئر ودلو.

وكانت دار عبده (بالظاهر) بعيدة عن السيدة زينب وعن الحلمية بمسافة طويلة.. بمعايير ذلك العهد فضلاً عن وقوع حجرته الخاصة في الطابق الثالث مع الأسرة.. وهكذا اضطلحت العوامل على تفضيل «منظرة» صدقى للقاء بقصد الاستذكار وما يصحبه من صخب الشباب أحياناً.. وزاد من قيمة هذه المنظرة قريبا من مواقع المدارس الثانوية ثم المدارس العليا.

أول الطريق :

لكن الأصحاب الثلاثة كانوا يغشون دار العم «برادة» بالحلمية أحياناً.. وفيها الصحن والبئر والدلو.. فإذا وجبت الصلاة قام صدقى وبرادة وتوضأ كل منهما بدوره.. ثم أقاما الصلاة.. ومن دونهما عبده يرقب بعض الوقت ويتشاغل عنهما بالنظر في أوراقه ما أمكنه ذلك.. ويتكرر هذه المواقف (من وقت لآخر) خلال السنتين الأولى والثانية من الدراسة الثانوية قام في نفس عبده تساؤل عنيف عن سلوك صاحبيه.. ما شأنهما؟ وأفضى إليهما بقلقه من وجود خلاف بينهم كجماعة متحابية ومتماسكة في أمر جوهرى كهذا، وبخاصة وأن هذا الخلف لم يكن باختيارهم.. وإنما بحكم التوارث وحسب فهو لا يفعل فعلهم لأنه جاء إلى هذه الحياة الدنيا في أسرة نصرانية.. ولو كان مثلهم من أسرة مسلمة لما كان الخلاف، ثم إنهما كذلك لا يذهبان إلى الكنيسة في يوم الأحد ولا يفكران في شيء من ذلك لأنهما ولدا في محيط إسلامى.. قال عبده فيما يرويه برادة (رحمه الله الذى عاش طويلاً بعد صاحبيه) قال عبده: ليس هذا هو الشأن بين إخوة جمع بينهم رباط العلم.. وإنه لمن الإخلال بواجب المودة الخالصة من شوائب المادة أن تستمر الحال هكذا.. فإما أن يكونا هما مخدوعين وإما أن يكون هو جاهلاً بما يؤمنون به. ثم نهض عبده من مجلسه وتقدم إلى البئر.. وتبعه صاحباه وقال: أريانى كيف تفعلان وأعينانى كما تتعاونان فى إخراج الماء وصبه.. ثم أجرى الماء على يديه ووجهه

وذراعيه وقدميه فى تجربة بدائية لا تهدف إلا للوقوف على شىء ما.. أو على بعض هذا الشىء المجهول له: ما حكمة صب الماء على أعضاء من الجسم مع التكرار.. ومن التجربة لاحظ أن أول الآثار التى أحاطت به قدر من اليقظة والانتباه نتيجة لصب الماء البارد الذى يرفعه الدلو من بطن البئر.. ثم تأمل نظافة الأيدي ومنافذ الوجه والقدمين، وقال: يبدو لى أن فى الأمر سرًا.. فما هذا الذى تصنعان عبث صغير.. بل أرى من ورائه بعض المعانى التى يحجبها عنى جهلى بدينكما فحدثانى عن حكمة الوضوء وعن حكمة القيام والقعود الذين تصنعان فى دأب وتكرار.

الْبَحْثُ عَنِ الْحَقِيقَةِ:

لم يكن صاحبه من العلم بمنزلة تؤهلها لإجابة شافية.. قال: أنتما مقلدان وأنا مقلد.. ولا خير فىنا، فهلا تعاهدنا على البحث فى حقائق الدين وأسباب ما نحن فيه من خلاف!! فكان العهد الذى أخلص له كل من صدقى وعبده.. إخلاصاً صرفهما معظم السنة الثالثة الثانوية عن دروسهما واقتصد بركادة فى الوفاء بالعهد لأنه كان يشعر بأن حاجته الكبرى قد كانت إلى اختصار الضيافة التى فرضتها الأحداث على عمه، وهكذا استغرق الشابان فى الإطلاع على ما وصلت إليه يدهما من المراجع الباحثة فى الدين.. وتوفر الثالث على دروسه قبل كل شىء فحصل وحده على شهادة البكالوريا ورسب صاحبه وبقيا للإعادة، وقيل فى تفسير هذه الظاهرة المفاجئة فى حياة كل من صدقى وعبده.. ما قيل وتهامس الأهل بأنهما أغرقا أو غلبت عليهما الأهواء.

وجد صدقى أن ثقافته فى الدين لا تذكر، وشعر بأن وصفه بأنه يقلد هو أقل ما يقال فى حقه.. فتعلق بدراسات شتى تقر به من المعرفة.. وبدأ يهتم بأخبار ندوات العلوم الدينية ومجالسها والمحاضرات العامة، ومن هنا نشأت بينه وبين المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا علاقة زادت على الأيام ثباتاً وعمقاً.. وكان عبده يصحبه أحياناً إلى هذه المجالس.. وينصرف إلى التأمل والموازنة بين ما حوته المراجع التى تتكلم عن الأديان من زاوية ومن أخرى، ودخل فى مرحلة الشك من أمر اتباعه لدين معين بمجرد تتابع الأجيال.. ونال من الهم ما لم يكن منه خلاص إلا بمزيد من البحث والتأمل.. وانقضى

عام الإعادة. والتحق الصديقان بمدرسة الطب وزاد اقترابهما من الوفاء بالعهد.. بقدر ما انشغل بركادة بدراسة القانون إذ كان طالباً بمدرسة الحقوق من تاريخ حصوله على البكالوريا.

لم ينفرط عقد الصحاب الثلاثة ولا تنكر أحدهم للموثق الذي واثقوه.. وإنما اقترب اثنان منهما بحكم الزمالة وبعد الثالث بحكم تفرده بتخصص قائم بذاته.

وكانت تجرية الرسوب مريرة.. فاعتزم الصحابيان أن ينصرفا عن كل راحة أو لهو برئ.. وأن يقسما الوقت والجهد بين علوم الطب وعلوم الدين.

وانتقلا من المقدمات التي تدور حول وظائف الأعضاء ونحوها إلى ما هو أدخل في اختصاصهما حتى حصلا على قدر من المعرفة بجسم الإنسان من دراسة التشريح، وكان عبده (بوجه خاص) ينهل من المراجع العلمية ليرتوي.. لا لكي يحصل على إجازة تفتح له باب الوظيفة أو الكسب من المهنة.. كان يعانى من ظمأ هائل لا يطفئه إلا شيء من العلم بحقائق هذا الكون.. ولو فى بعض ما احتواه.

كان يصعد النظر فى السماء ويدور ببصره إلى هذه الأجرام من حوله التي لا يحصيها عد الإنسان قطعاً.. ثم يرتد البصر حسيراً إذ تقوم بينه وبين حقائق هذه السماء الدنيا حجب من الجهل التام بفرع من المعرفة لا يستطيع أن يقترب منه.. ثم يعود إلى جسم الإنسان، وقد تهيأت له ظروف الإمعان فى دقائقه والغوص فى خفاياه.. فيشبع نهمه إلى المعرفة هنا لعله يدرك من دراسة هذا المخلوق الذى يسمى «الإنسان» شيئاً لا يزال يجهله.. هو قدرة من خلق الإنسان على هذه الصورة، وقد كانت فى نظره صورة مذهلة.. تدل على قدرة لا تحيط بها الأبصار.. وتعلقت آماله بأن يكون حقاً أن البصائر تدرکہا.. وهنا بدأ يفكر فى أن الظواهرات المادية التي سمع عنها كالتجسد والميلاد وأكل الطعام والصلب.. يجوز أن تكون كلها أو بعضها مقبولة من حيث المبدأ.. إذا أضيفت إلى جسم الإنسان الحادث الزائل عن الوجود.. أما إضافة شيء منها إلى من خلق.. فهذا أمر يدمغه حكم العقل بالفساد، وتآباه الفطرة السليمة فضلاً عن القوة العاقلة المدبرة.

الفرار إلى الإسلام:

قال محدثي (المرحوم أحمد نجيب برادة) لم يكن الإسلام بعيداً عن صاحبنا وزميلنا عبده مذ توفر على دراسة الأديان قدر اجتهاده في آخر عهده بالدراسة الثانوية وأول عهده بدراسة الطب.. ولكن دراسة التشريح نحو من عشرين شهراً نقلته من حال إلى حال.. فقد تملكه خوف من لقاء الله وهو في تروده وجهالته بحقيقة التوحيد، والبعث والثواب والعقاب.. فاجتمع إلى صاحبيه وقال: بأنه آمن بالذي هما عليه، وبأنه سيبدأ باتخاذ ما هو مستقر من إجراء للتوثيق والشهر.

فزع صاحبه من هذه العجلة وقال: بينك وبين التخرج ومدة الامتياز عامان ونصف عام.. وهذا الذي تقدم عليه ستكون له آثار شديدة على والدك وأسرتك.. ستطرد من الدار وتحارب.. وستعرض مستقبلك للبوراء، وقد أمرنا ديننا بالحكمة وبالتعقل.. والرأى عندنا أن تسكت وأن تستخفي بدينك الذي تريد أن تعتنقه حتى تتخرج وتكون لك وظيفة ثم إنك في حاجة إلى مزيد من الدراسة والله يعلم إن كنت صادقاً فيما تدعيه فأنت عنده مقبول إن صحت نيتك.. دون توثيق ودون شهر حتى تكون العلاتية مأمونة.

تطبيق ومَعَانَاة:

رضخ «عبده» للرأى الذي اتفق عليه صاحبه ووضح له ما في العجلة من مجازفة، وكنتم إيمانه زمناً ثم عاد يتصرف دون الرجوع إلى صاحبيه حتى لا يشيرا بما لا يحبه ويرضاه، فعكف على القرآن يتلو آيات منه كلما وجد فراغاً، وحرص على أن يكون في جيبه دائماً، وبدأ يؤدي من الصلوات ما يتييسر له أداؤه في خفاء خارج البيت أحياناً وفي حجرته الخاصة أحياناً.. ومضى عامان إلا قليلاً وبدأت مدة الامتياز (وهي أقل من عام) وحل شهر رمضان فاعتزم طبيب الامتياز أمراً، وما عاد يستشير أحداً.

تخلف عن حضور الغداء من يوم الأحد على عادته وعادة الأسرة كلها.. وسأل عنه أبوه ظهراً وعصراً ومساءً حتى جاء في ساعة متأخرة وقيل له بأن الأسرة كلها قلقة لهذا التخلف.. وذهبت بهم الظنون كل مذهب.. قال إن الأعمال في «الاستقبال» كانت وفيرة على غير المألوف، واعتذر بعض زملائه فقضى اليوم كله في مواجهة حالات عاجلة.

وجاء الأحد الذى يليه.. وتوقف الخواجة إبراهيم عن أن يذوق طعاماً حتى يصل ابنه الطبيب.. وطال انتظاره ساعات ثم قام إلى فراشه وقد داخله همّ لا يعرف مأتاه.. أو يعرف.. ولكنه يفرع بآماله إلى الكذب..

وفى الليل وصل طبيب الامتياز وعليه من آثار الاجهاد ما يظنه شفيعاً.. واتجه لحجرتة وتبعته أمه.. قالت إن أباك لم يذق طعاماً لأنه يكره أن يكون مكانك خالياً من غداء الأحد فهلا ترفقت بنفسك فيما تقبله من واجبات الزملاء، وهل ترفقت بوالدك وقد تقدمت به السن؟

قال يا أماه.. وحشد من صنوف المعاذير ما يظنه مقنعاً.. وهما لا يزالان فى حوار وإذا بالتومرجى يقف بالباب ويطلب «الدكتور» على عجل لوقوع حادث كبير زادت بسببه الحالات وتعين استدعاء الأطباء من الراحة.. كان ذلك فى منتصف الليل.. ولما يضى على عودة صاحبنا «عبده إبراهيم» من الخارج ساعتان قضاها فى حوار هادئ ومرير مع أمه.. فطلب منها أن تعينه على إبدال ملابسه والمضى فوراً مع التومرجى.. الذى بقى بالباب ثم انصرفا ولف المكان سكون ينبئ بقرب هبوب العاصفة.

وفى الليلة التالية جاء من يوقظ الطبيب الشاب فى منتصف الليل لأن الطبيب النويتجى اعتذر فجأة.. ويعدها تكرر الطلب فى جوف الليل من جديد.. مرة بعد أخرى وتنوعت الأعذار حتى جاء الأحد الثالث.. وأبوه يتابع ولا يتكلم.. فقد غشيه من الهم غاشية لا قبل له بها.. وعلى مائدة الغداء جلس ذاهلاً ينتظر ساعات.. ثم تحامل على نفسه وأعانته بنوه حتى جلس فى مقعد مقابل لدخل الدار وعينه شاخصة فى كل قادم.. وانقضت ساعات وساعات حتى قارب الليل أن ينتصف، وقد غرقت الدار فى سكون حزين.

حوار شمة العاصفة :

وأقبل الطبيب الذى تخلف عن غداء الأحد ثلاثاً متواليات.. وألقى أباه لدى مدخل الدار فتمالك نفسه وحياه.. قال أبوه من غير أن يرد التحية: أين كنت طول هذا اليوم؟ قال: بالمستشفى كعادتى ثم جلس على مقربة، وساد الصمت فترة حتى تمالك الرجل

نفسه وقال فى هدوء مصطنع: يا بنى.. لم يعد الأمر خافياً وإنى محدثك بما اجتمع عندنا من دلالات خلال العامين الأخيرين... واعلم أن الظنون التى أحاطت بى تكاد تقتلنى فحدثنى بحقيقة الخبر واصلقنى القول.. فإن اليقين فى حد ذاته أرحم مما أنا فيه أيا كان هذا اليقين.

قال الطبيب الشاب: إنى محدثك بالصدق يا أبى.. فما هى هذه الظنون والدلالات التى تشير إليها؟

قال الوالد: كتاب المسلمين وجده (المكوجى) فى جيبك من نحو عامين.. وهذا هو.. انظر إليه ألا يخصك هذا الكتاب؟

سكت الطبيب لحظة ثم قال: بلى يخصنى.

عاد الوالد يقول: وأخوك «سليم» زعم أنه رآك من ثقب الباب وأنت تقوم وتقعده على غير هيئة الصلاة عندنا وحدّث أمه فكذبتّه ونهرته.. ثم راقبتك هى.. حتى ثبت عندها صدق مقالة أخيك فهل تفعل هذا حقاً حين تخلو إلى نفسك فى هذه الدار؟

سكت الطبيب وقد بدا له أن الأمر جد ما بعده جد.. وعاد الوالد يقول: لقد أصابنى من هذا ما لا قبل لى باحتماله.. ولكنى آثرت الصمت وحملت هذا كله على حيك للبحث والتنقيب حتى كان الأحد الذى مضى من ثلاثة أسابيع والذى بعده وهذا اليوم حين اتصل غيابك النهار كله وتكرر خروجك فى الليل.. لقد ظننت أن هذا التصرف الغريب من جانبك له صلة بالشهر الجارى الذى يصومه المسلمون.. فهل أنت تفعل فعلهم.. أم هذه كلها مصادفات؟

فوجئ طبيب الامتياز الغارق فى التدريب والبحث العلمى.. بهذا الموقف الذى انتهى إليه بإصراره على ممارسة العبادات قبل أن يكون حراً فى حياته الخاصة كما نصحه أصحابه.. وأمام المفاجأة رأى أن يفرغ من حالة القلق.. فأقبل على والده وقال: لقد وعدتك بأن أكون صادقاً.. وما أردت أن أخفى عنك أمراً مصيره إلى العلاتية حتماً.. وإنما أردت أن أؤخر حديثى إليك فى هذا الشأن حتى تخف واجباتى بالمستشفى (ثم

سكت لحظة.. عاد بعدها يقول) ولكن مادمت تريد أن تستعجل هذا الأمر.. فاعلم أنني وجدت الدين الإسلامي حقاً واقتنعت بأنه قد بعث به نبي كريم.. كالذين بعثوا من قبل.

وقاطعه أبوه مستفهماً: ودينك الذى عليه آباؤك وأجدادك؟

قال: أى ضير يمس الأديان السابقة إذا جاء دين جديد يتمم الذى جاءت به الرسل من قبل؟

عاد أبوه متسائلاً: هل تعرف ما تتكلم عنه.. أم أن فى الأمر سرأً نجھله..؟ لعلك على صلة بفتاة مسلمة اشترطت عليك أن تدخل دينها..؟ وهذا أمر جائز الوقوع.. ويحدث من وقت لآخر.. ولكن أن تدعى العلم بالأديان وأنها واحد كما تقول فهذا جهل فاضح بتعاليم دينك.. إن المسلمين لا يعرفون الأتانيم ولا يؤمنون بالرب المخلص «أبانا يسوع الذى فى السماء» وهم لا يعترفون بالمسيح الحى.. وهم.. وهم.. ثم استمر الوالد يعظ ولده وهو يظن بأنه يجهل حقائقه.. فصبر الطبيب برهة حتى أتم والده الحديث.. وتقدم منه خطوة.. وقد استجمع ما تفرق من نفسه لحظة المفاجأة.. ثم ابتسم لأبيه وقال:

يا أبى.. لقد درست هذا كله وأنا فى المرحلة الثانوية ومعذرة إذا قلت لك بأن وقتك لا يسمح بالتعمق فى شىء من ذلك.. فأنت مشغول بكسب معاشنا جميعاً.. وأنا أكبر أبنائك ولا أزال عبثاً عليك إلى وقتنا هذا.. إننى أقدر جهادك من أجلنا وأحبك لما أنت فيه من فناء فى سبيل المحافظة علينا.. وإن أقل ما أسديه إليك من معروف أن أتولى عنك دراسة هذا الخلاف بين الأديان.. وقد فعلت وأنا كبير الأمل أن يهديك الله إلى الدين الحق.. فتنجوا من عذاب الآخرة.. ولا أظن أن والدتى تتخلف عنك أو أخوتى يختارون طريقاً غير التى يختار.. هذا الأمل كبير، يا والدى: هو الذى تعلقت به نفسى لأننى أكره أن أخالفكم إلى طريق النجاة وأن تنتهى همتى عند إنقاذ نفسى وحسب.. إننى إذن جاحد فضلك على..

صبر الوالد.. ما صبر.. ثم انفجر فى ولده الذى تحول إلى داعية وهو لا يزال أمامه - فى تقديره الخاص - فى موقف المتهم.. صبر الوالد حتى نفذ صبره.. ولم يبق إلا أن ينفجر فى ثورة عارمة.. أيقظت من فى الدار.. وإذا به يلعن اليوم الذى رأى فيه وجه

ولد عاق جريء فى ضلاله.. وأحاط به بنوه وزوجته يهدئون من روعه وقد اشتد به الغضب.. ولا يزال يهدر بالشتائم وينذر بالويل والثبور.. وما من سبب واضح.. فالدار خالية منه.. فما سر هذه الثورة العارمة؟

إلى أين؟!

كان الطبيب قد أدرك فى لمح البصر (بعد أن فرغ من حديثه عن الأمل الذى يعيش من أجله) أدرك أنه قد ارتكب عدة أخطاء.. لا خطأ واحداً.. فاندفع إلى خارج الدار لا يلوى على شىء.. وما حمل قرطاساً ولا قلماً ولا أى شىء من لوازمه.. وفى لحظات.. وجد نفسه فى الطريق العام.. وسار مجدداً لعله يبتعد عن حى الظاهر كله.. وقد خشى أن يلاحقه أبوه أو بعض إخوته.. وإذ أوغل فى الطريق واقترب من حى ساهر كما اعتاد الناس فى شهر رمضان.. أحس بالحاجة الملحة إلى شىء من الهدوء.. لعله يلتقط أنفاسه.. وصادفه مقهى عامر بالرواد.. فانتحى منه ناحية وجلس يتأمل أحداث هذه الساعة من الزمان.. كيف بدأت وكيف انتهت.. ثم تحسس جيبه ليعلم كم قرشاً حواه.. وقفزت أمامه أسئلة شديدة الإلحاح الكتب والمراجع ومذكراته الخاصة.. وملابسه ولوازمه كطبيب؟ كلها فى حجرته الخاصة التى لم يقترب منها فى ليلته هذه.. مجرد اقتراب.. فماذا يكون من أمره فى غد، وفيما بقى من شهور حتى يستكمل مؤهله العلمى؟ ومن ثم يلتحق بوظيفة تعينه على الحياة!!

أزمة الأصحاب:

أدرك الموقف على حقيقته.. بعد قليل من التأمل.. واتجه من فوره إلى بيت صدقى ووصله آخر الليل، ولكن السهر فى رمضان شجعه على المضى حتى قابل صاحبه وأفضى إليه بتفصيل ما كان.

قال صدقى: هذه حجرتك من الآن (وهى المنظرة التى اعتادوا اللقاء فيها) وفى غد إن شاء الله تعالى فى طريقنا إلى المستشفى ننظر فى هذا الموقف المفاجئ.

قال محدثى بأن عبده إبراهيم كان منقطع الصلة بالحياة العامة تماماً.. لانصرافه التام إلى الدرس والتحصيل لمهنته... وللدين الذى أعتنقه.. وكانت لهذه الحال آثار فى

حياته الخاصة من يوم أن خرج من دار أبيه إلى أواخر أيامه.. بما فى ذلك اختيار الوظيفة والبيئة التى تحيط بها.

وكان لزاماً أن يجتمع الأصحاب الثلاثة فى اليوم التالى، وأن يتدارسوا الموقف واحتمالاته ومنها: ثورة الخواجة إبراهيم على صدقى وبرادة، وملاحقته لولده عبده.. فضلاً عن تسامع الأحياء القريبة من مسرح الأحداث بهذا الأمر.. فسيكون فى حى الظاهر لغط وشائعات.. وسيكون فى حى السيدة زينب نظير ذلك.. ثم تتسع الدوائر من حول هذين القطبين وتنتشر التعليقات والأقاصيص.. ولكن الخطر القريب هو الصدام المرتقب بين الخواجة إبراهيم وبين صاحبين صدقى وبرادة.. قالاً لزميلهما: لقد تسرعت فى تصرفاتك الخاصة، وأخطأت بما ظننته من قدرة على هداية أبيك ومن بعده بقية أهلك.. وأوقعتنا جميعاً فى مأزق ما كان أغنانا عنه.

والطبيب الشاب.. ساكن هادئ.. يذكر قول الله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدَىٰ مِنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدَىٰ مَنْ يَشَاءُ﴾ وبوده أن يراجع النص الكريم ونظائره وما تُحمل عليه الآية من تأويل وتفسير.. وكأنما هو فى أمن تام كما كان إلى أمس القريب.. أمن تام من الحاجة إلى أبسط ضرورات الحياة.

قال محدثى (المرحوم أحمد نجيب برادة المحامى) وكان ذلك فى بعض المناسبات فى العقد الخامس من القرن العشرين.. قال: بأنه اجتزأ من موارده ثلاثة جنيهاً فرنسية «ونتو» شهرياً وخصصها لصاحبه «عبده» واستمرت الحال كذلك عشرة أشهر حتى اكتمل الدين ثلاثين (ونتو).. ردها الطبيب بعد استقراره فى أول وظيفة.. قال محدثى بأنه كان عندئذ أيسرهم حالاً بعد أن كان الأرق حالاً.. فقد سبق إلى التخرج قبلهم.. وأدخر ونشط إلى أداء بعض الأعمال الخاصة بالإضافة للوظيفة.. ومن ثم كان الأقدار على التمويل فى هذه الأزمنة التى واجهها الأصحاب الثلاثة.. أما صدقى فقد كان إسهامه بالمأوى أسبق من إسهام برادة، وأما أدوات المهنة ومراجع الدراسة واللوازم الخاصة.. فقد خرجت من يدهم جميعاً ولا سبيل إلى تعويضها زمناً قد يطول.

بقى الخطر الكبير.. خطر المواجهة، وعنه قال صاحبان: لا شأن لنا بذلك.. أنت صاحب فكرة الدعوة إلى دين الله ولما تخرج من دينك القديم بعد.. ولقد نصحن لك فلم تستمع إلينا.. ونحن نرفض التدخل فيما ستمر به من أحداث.. وجاء الغيورون على

مستقبل الطبيب الشاب من أهله الأقربين والبعيدين.. ويحثوا عنه فى مكان وجوده، ولم يرهقهم البحث.. فهو لم يغير مكانه من منظره الأضياف بمنزل صدقى بشارع الرصافة بجنينة لاذ.. لقد كان هذا الأمر معروفاً لهم جميعاً من وقت التحاقه بالدراسة الثانوية، وتوافد الغيورون زرافات ووحداً وتكرر الحديث وتواكبت الملاحقة.. حتى ظن بأن هذا الفعل يشبه المؤامرة على مستقبله الذى يوشك أن يبدأ على نحو يرضيه.

مُواجَهَاتٌ وَمُجَادَلَاتٌ:

قال: ما حاجتكم وما هدفكم؟ قال: أرشدكم (وهو خاله) يا بنى أنك فرد مرموق فى أسرتنا وفى جملة القبط كلهم.. خلقاً وحسن سمعة.. ثم أنك توشك أن تكون طبيباً، وهذا الذى فعلت خسارة لنا لا نطيعها فضلاً عن أنه فضيحة وعار لأسرتك وللنصارى فى مصر وفى غيرها فهلا استمعت إلينا؟

قال: إنى مستمع إليك لعلى أصل معكم إلى حل يحفظ لكم ولى أوقاتنا ومصالحنا.. بدلاً من هذه الملاحقة التى لا تجدى.

قال أرشدكم: إن أباك يدعوك إلى الاستماع لكلمة الحق من رجال الدين فهم أقدر على تبيان أوجه الضلال الذى أوقعك فيها خصوم ديننا.

قال: ما أوقعنى أحد.. فافهموا عنى هذا وإنما هدانى رب العالمين.

قال قائل منهم: إن كنت مؤمناً بفعلتك هذه عن بينة وحجة.. فما عليك إلا أن تواجه علماءنا.

قال: لكم ما تريدون.. وإذ سئل عن المهلة التى يطلبها قال: بل أى موعد تضربون، وتم الاتفاق على تحديد يوم أحد قريب من مجلسهم هذا.. وانطلقت الأسرة إلى البحث والموازنة بين فريق من الكهان وعلماء اللاهوت لاختيار أكثرهم إطلاعاً على دقائق الدين والموازنات بين الفرق والنحل على أساس أن صاحبهم الذى ترك دينهم إنما فتن عن دينه الحق.. وكان الموعد فى دار أبيه الخواجة إبراهيم، وأنفق عن سخاء لإنقاذ ولده الأكبر مما هو فيه أو مما هو مقدم عليه.

حضر الطبيب الشاب منفرداً أمام جمع كبير.. ودارت المناقشات حتى ارتفع النهار

ثم استؤنفت لتمتد إلى أوائل الليل.. وبلغ الجهد من الفريقين ما بلغه.. وتوقف الطبيب عن تقديم إجابة مقنعة في أمور ثلاثة.. حسبت عليه إلا أن يدلى بجديد من الأسانيد.. ولكنه مرهق وعلمه محدود.. فطلب مهلة أسبوع واحد.. وإذا كانت لجنة الإرشاد كذلك مرهقة.. فقد استجابت واعتبرت الجلسة ممتدة إلى الأحد الذي يليه..

حجج الإسلام :

لجأ الطبيب إلى المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا، وكان يختلف إلى مجلسه من وقت لآخر.. ونفض إليه جملة الخبر فين له ما غاب عنه وأمهه بالأدلة من الكتب القديمة.. إذ لا يحتج عند لجنة الإرشاد بما جاء بعد عيسى عليه السلام.. ثم إن الشيخ رحمه الله.. زوده بأسئلة مضادة... يثيرها حين يفرغ من الأمور التي توقف دون جلاتها أو إثباتها.. وجاءت الجلسة الحاسمة.. فبدأت هادئة والكل ينصت لما يدور من قرع الحجمة بالحجة.. والنصوص حاضرة تتلى من مراجعها على مسمع من الجميع.. فلم يعد كبير مجال للتهوين من تصرف الطبيب الشاب على أساس أنه رأى فرد ضال.. كما لم يبق مجال للقول بأنه واقع تحت عوامل الإغراء التي يقع فيها بعض الناس.. وأدركت لجنة الإرشاد أن الأمر جد.. فشددت النكير.. ولكنها وجدت لكل سؤال جواباً.. ثم ووجهت بأسئلة مضادة أجابت عنها بعبارات تلوكها الألسن في غير وعى أو تعقل.. وواجهها الطبيب بنصوص متعارضة في الأناجيل وبعترافات لفريق من علماء أهل الكتاب.. الذين اعتنقوا الإسلام مع تحديد الزمان والمكان.. وإذا بهم من جنسيات شتى.. ومن مستويات علمية لا يسهل التشكيك فيها.. وأردف هذا كله.. برأى عالم في اللاهوت يدحض رأى زميل له بشأن حقيقة الإسلام وثالث يسفه رأى الثانى.. ورابع يسخر من سابقه حتى وضع لكل ذى عيتين أن رفض الإسلام لم يكن عن بينة عند أى من هؤلاء..

كان الحديث يدور عن التجسد والأقانيم الثلاثة.. وسابقة القول بالبنوة عند بعض اليهود.. وجرأة أهل الكتاب على جملة الأنبياء وانحذارهم في هذا الأمر إلى مستوى من الإسفاف لم تعرفه البشرية.. ودعوى أبوة الجسد ليوسف النجار.. وقول فريق من

النصارى عن مريم ابنة عمران قولاً كبيراً ووقائع الصلب فى كتب الرومان واليهود وتضارب أقوالهم بشأن الحادث وبشأن القيامة.. ثم عن الإسلام دار الحديث عن حقيقة الوحي والقرآن.. وحيرة أهل الكتاب من أمر إعجازه وتصديقه لما جاءت به الكتب من قبل وصدق الأنبياء بأنه لا رسول من بعده.. ولم يكن الطبيب يصدر فى أقواله عن رأى من عنده أو نص من حفظه.. وإنما كان يبسط الأسانيد العلمية وينسب القول إلى قائلة من كبار علماء الدين.. وبخاصة الكتابيين.

فوجئت لجنة الإرشاد والهداية بهذا التحول فى أسبوع واحد.. وأيقنت أن هذا الطبيب يعرف طريقه إلى الاستعداد لمواجهة الشبهات وما اصطلح بتسميته «الأسرار» فأنهت جلسة الصباح وعقدت اجتماعاً مغلقاً تداولت فيه.. وخرجت إلى الجمع بقرار.. واتجهت الظنون إلى أن يكون القرار استئناف العمل بعد الظهيرة.. أو التأجيل أسوة بما حدث فى الأسبوع السابق.. ولكن هذا الجمع الحاشد فوجئ بقرار لا يبرره موقف الفريقين.. فالقضايا معلقة والأسئلة لا تزال على الشفاه حائرة. والكل فى شوق إلى متابعة هذا الجدل حتى ينكشف أمر هذا الفرد الذى تخلف عن السير فى موكب آبائه وأجداده.. وقد جاء من فحول العلماء ومن خبراء التبشير كل مقتدر على انقاذ هذا الشاب من ضلاله!! وإنه لأمر يعنى جميع الحضور.. ولا يعنى الخواجة إبراهيم وحده.

عَجْزُهُ طَرَدَ مِنَ الرَّحْمَةِ الْمَرْغُومَةِ:

ولكن اللجنة رأت غير ذلك.. فأعلن رئيسها أنه بعد المداولة السرية.. أيقنت اللجنة بأن عبده إبراهيم بن الخواجة إبراهيم أفندى عبدالملاك.. من أسرة كذا التابعة لكنيسة كذا.. قد حلت عليه اللعنة الأبدية لهذه الكنيسة.. وأنه مطرود من رحمة أبينا يسوع المسيح.. مخلصنا وراعينا.. وأنه، وأنه، إلى آخر ما لا يجوز إغفاله فى تصريح تاريخي كهذا.. له عندهم أصول وقواعد.

وما كاد الحبر الكبير يلقى بيانه وقد تعلقت الأنفاس من رهبة الموقف.. حتى حل الهرج والمرج محل السكون والوقار.. وارتفع الصخب فجأة.. بأخلاق من الأصوات فهذا

نحيب وذاك نواح.. وهؤلاء رجال أفزعهم المصير الذى ينتظر فتى كان من خيرة شبابهم.. وتلك النسوة تجمع بين البكاء وبين أقبح الأصوات.

أَكَلُوا السُّحْتِ بِاسْمِ الدِّينِ:

وإذا بالطبيب الشاب يشهد للمرة الثانية موقفا مزعجاً فى نفس المكان.. لقد فوجئ بقرار «المحكمة» قبل تمام المحاكمة.. ولذلك بقى فى مكانه مشدوها.. حال التلاوة.. وإذ بدأ الهرج والتدافع بالأيدى وبالمناكب.. تسلل من مجلسه إلى خارج الدار.. ثم إلى مسكنه المتواضع.. وقد قللكه شعور لم يكن يحس به من قبل.. ذلك أنه رأى لأول مرة.. رجال الدين الذين يتخذون من الهداية والإرشاد وسيلة لكسب المعاش يتصرفون على نحو أذهله.. فخالطه شعور بالعطف على عامة الناس الذين يلتمسون عندهم الرشاد.. قال الطبيب لصاحبيه: لقد احترمت هؤلاء الناس حين ثبتوا ودافعوا عن أمور خيل إليهم أنها صواب.. وكان ذلك فى أول لقاء معهم.. ولكن حقيقة أمرهم تكشفت لى فى المجلس الثانى.. حين فرّوا من الميدان مخافة أن ينكشف ما هم عليه من جهل وصغار فهم يأكلون السحت.. ويجعلون رزقهم أنهم يكذبون.. ألا ساء ما يزررون.

قال صاحباه: أو لم يكف ما لقيناه من تطلعك إلى دعوة الناس للرشاد، وأنت لم تفرغ بعد من تثبيت أقدامك.. ثم نصحاه بالتوفر على ما بقى من مراحل للحصول على الإجازة العلمية ومن ثم الوظيفة التى يقيم بها أوده.. وقد كان.. فانقطع لهذا الأمر بضعة أشهر حتى تخرج طبيبا يمارس المهنة.. ونظر من حوله باحثا عن مجتمع يأنس به أو يأنس إليه.. فوجد النصارى حاقدين ووجد من المسلمين ترقباً فى حذر فرغب فى البعد عن الناس، طلباً للهدوء ولزهد من الإطلاع، ولم يجد خيراً من خدمة السجون.. وبدأ حياته العملية عام ١٩٠٥ طبيباً لبعض السجون بمديرية الجيزة، وهكذا تهيأ له البعد عن الناس جميعاً وإن كان على مقربة من القاهرة.. حيث نشأ وحيث مرت به أحداث لا يحوها مر الزمان.. كان يقضى ساعات العمل بمكتبه وله دار ملحقة بالمبنى ذاته ومن حولها حديقة مناسبة، فكان يقضى أوقات الفراغ بين القراءة حيناً وخدمة هذه الرقعة الصغيرة من الأرض.. وخيل إليه أنها أرحب من القاهرة وما حولها.. وجد فى

سكون الليل واقفار الجو المحيط بالسجن من علامات الحياة.. سكناً لم يجده في المدينة الصاخبة.. ثم عرف واعظ السجن وخالط المسجونين كإنسان يحس بالآلام غيره من الناس..

قال محدثي: ولعله كان في وحشة شديدة في دخيلة نفسه، ولذلك غلب عليه العطف على من ضاق بهم المجتمع وضاقوا به.. وتحولت الوظيفة في تقديره من معاش يطلبه إلى رياضة نفسية وتأمل.. ومضى عام وبعض عام.. وهو لا يرى صاحبيه إلا نادراً.. بل لا يرى الناس إلا في حدود البيئة الموحشة التي احتوت ليله ونهاره في نظام رتيب.

خطبة ثم فسح مزرعج :

وفي غضون هذا العام الأول أشار إلى زميله صدقي أنه يريد أن يستقر في دار وأسرة.. فإن رزقه الله بزوجة صالحة فإن حديقة السجن تكون في تقديره من جنات الحياة قال صدقي: أما هذا فمطلب عسير.. ذلك أن طالب الزواج لم يتواضع في طلبه.. بل غالى كثيراً فيما أملاه من شروط.. وصاحبه يقلب كفيه عجباً من أطماع ولد آدم.. وصارحه بأن شروطه هذه لا تقبل من مسلم أصيل.. فكيف به هو والناس لا تعرف من أمره إلا ما تتسامع به المجالس.. وإذ تكرر الطلب وتكرر التنبيه.. لم يجد طالب الزواج بدأً من تفويض صاحبه وله أن يغفل بعض الشروط.. ذلك أن لهذا الصاحب زوجة.. وهي التي تتصل ببعض الأسر، وتراعى ما هو مفضل من الأوصاف.. وأخيراً تمت الخطبة غيابياً في مجلس ضم الرجال.. واستند الخاطب إلى أوصاف مطربة حدثه بها زميله صدقي نقلاً عن زوجته.. وتحدد موعد للعقد ومن بعده يكون الزفاف.. وإذا بحادث يقع.. وكانت له أبعد الآثار في حياة طبيبنا الشاب.

كان الدكتور عبده إبراهيم في زيارة زميله الدكتور صدقي، ذات يوم، بعد الخطبة بزمناً قصيراً.. وقد جلسا في منظر الضيوف التي احتلتها زمنا كما رأينا.. وإذا بانقلاب مفاجئ في هذه الحى الهادئ الساكن.. وإذا باستغاثات تشق عنان السماء.. فما الخبر؟ شاب ألقى بنفسه من النافذة قاصداً الانتحار لأنه رسب في الامتحان.. ولم يكن أولى من الطبيبين بتقديم الجموع التي زحمت المكان فقاما بالإسعاف وصاحبا الفتى المنتحر..

وقد أخطأه الموت لأن النافذة لم تكن على ارتفاع كبير.. وكان من حوله نساء يندبن وبيكين رغم توكيد الطبييين بأنه لا خطر على حياة المصاب.. وفي غمرة هذه الفوضى المفاجئة همس صدقى فى أذن زميله.. أن أنظر إلى يمينك بهذه شقيقة المصاب وهى خطيبتك.. فنظر.. وبعد قليل انتهت مهزلة الشاب المنتحر وعاد الحى إلى سكونه.. إلا أن عبده إبراهيم.. عادت إليه همومه أشد مما كانت فى أى وقت مضى.. قال لزميله صدقى: أفكنت تعلم من أمر هذه الخطيبة ما أخفيته عنى؟ أم خدعتك زوجك وجئت تخدعنى؟.. وقامت بين الصديقين مناقشة حادة لم يقتصد فيها طالب الزواج.. قال هذه عانس شوها.. هذه مارذ يفوقنى طولاً وعرضاً، هذه داكنة اللون وقد قلت إنها خمرية وكان طلبى البياض.. وهذه.. وهذه.. فما كان من الدكتور صدقى إلا أن ضاق بصاحبه.. وافترقا على خلاف.

عاد طبيب السحن إلى صاحبه بعد يوم (على غير عادته) وأنذره بأن هذه الخطيبة مفسوخة.. بل هى فاسدة من أساسها لأنه خدع بما نقل إليه من أوصاف.. واشتد الخلاف.. فقد عز على صدقى أن يكلف زوجه بنقل الخبر.. واستحال عليه أن يقنع صاحبه بقبول ما جرت به المقادير.. ووجد أن مصاحبه لزميله هذا لا تعود عليه إلا بالمتاعب.. وانصرف عبده إبراهيم غاضباً ومعلناً سخطه على ما كان من غش وإيهام، وأعلن أنه لن يقترب من هذه الدار التى دخلها خاطباً.. وأسقط فى يد زميله.. ومرت الأيام.. الخاطب لا يظهر واقترب موعد العقد.. ولم يجد صدقى بدأ من تكليف زوجته بنقل الخبر على أيسر صورة مستطاعة.. قالت إن الطبيب الخاطب نقل فجأة إلى الحدود وقد ذهب إلى السودان.. ويبدو أن ظروفه هذه تجعله غير صالح.. ثم إنه سافر بالفعل وألغى موعد العقد.

قامت الدنيا من خلال صدقى، فى الحى الذى يعيش فيه.. ومن قبله عاشت أسرته عشرات السنين.. وما عرف عنه قبل هذا الحادث أن يكون عابثاً بسمعة جيرانه.. فقد أشاعت أسرة الخطيبة أنها اكتشفت فى الخاطب ما لا تحب أن تتكلم عنه.. فهو كافر متلاعب وله زوجة من دينه الأسمى.. ولذلك رفض وطرد.. وما كان للدكتور صدقى أن يتعرض لأسرة كريمة على نحو ما فعل.. وما كان له أن يبعث بزوجه خاطبة لمن هذه صفاته.. ولا يستطيع أن يدعى الجهل بحقيقة الأمر لأن الخاطب زميله.. ولأن

صدقى قدمه لرجال الأسرة على أنه من أصحابه المقربين نحو عشر سنوات، ولذلك يعرفه ويضمنه.. فكيف يتضح بعد ذلك أنه كان مخادعا؟! وما أكثر ما قيل حتى اضطر الطبيب إلى التوارى عن الناس طويلا، والشائعات لا تهدأ.. وأسرة الخطيبة لا تترفق فى الانتقام.. وفى هذا العهد المبكر من القرن العشرين (أوائل عام ١٩٠٦) كانت الأسرة المسلمة شديدة المحافظة وكان الرأى المحلى فى الأحياء القديمة شديد الحساسية وقاسياً فى ملاحقة المنحرف.. ولذلك أصاب الصديقين جميعا من هذا العدول عن عقد الزواج ضرر بالغ فى السمعة واحترام الأهل والجيران.. وتناهدت الأخبار إلى شيوخ الحى وأفاضل السكان.. وهم النقباء كأمر واقع وأن لم يلتمسوا من الناس أصواتهم على نحو ما استجد من الربع الثانى للقرن العشرين.

ندخل شيوخ الحى :

كان الشيخ عبدالحميد مصطفى أحد الرجال البارزين .. درس العلم فى الأزهر الشريف حتى خيف على بصره فتوقف بأمر الأطباء.. واشتغل بمقاولات المباني ولقى فى عمله توفيقاً وكان كريماً فى حياته الخاصة وفى معاملاته وصلاته بالناس.. ولذلك انتهت إليه الأنبياء على أنها عبث صغير من شباب غير مسئول يستهين بكرامة أسرة محافظة ويعرض سمعة فتاة شريفة للقبل والقال.. بما أقدم عليه هذا الشاب من معلومات كاذبة أدت إلى فشل الزواج.. ولئن كان فسخ الخطبة قد جاء من جانب العروس وأهلها إلا أن الضرر وقع على أية حالة.. ويجب أن يحاسب هذان المستهتران بأقدار الكرام من أهل الحى.. وفى كل يوم رواية وفى كل دار ثرثرة لا تريد أن تنتهى.. حتى اقتنع الشيخ عبد الحميد بأنه مطالب بأن يتخذ إجراء ما لتهدئة الخواطر الثائرة.. فأرسل فى طلب الدكتور صدقى وكان بمنزلة الابن لأنه زميل لبعض أبناء الشيخ عبد الحميد ولوجود علاقات وثيقة بين الأسترتين من جيل سابق.. ولكن صدقى غير موجود نهاراً وغير موجود ليلاً.. لأن مقابلة كبار رجال الأسرة أو الحى.. كانت لها رهبة فى نفوس الشباب عندئذ.. وكان صدقى يعلم الحقيقة كاملة ولكن لا يستطيع أن ينفى الحظ السىء فى كل ما حدث.. وأنه كان الواسطة.. وإذ أمعن الدكتور صدقى فى تجنب مقابلة الشيخ.. ازداد هذا تمسكاً بطلبه.. وداخلته الشكوك فى تصرف هذا الولد الذى كان يظنه صالحاً.. حتى وقع

الدكتور صدقى بين يدى الشيخ وهو فى الطريق العام... ولم يبق مفر من المواجهة والحساب.

جَوَارِصَعْب:

قال الشيخ: كيف فعلت هذا يا صدقى وأنت الآن طبيب يؤتمن على خصائص الناس.. وقد يعرف من أسرار البيوت ما لا يعرفه غيره بحكم ممارسة المهنة.. أية بداهة هذه؟ وفى أهلك وعشيرتك؟؟ لبئس ما صنعت.. وصبر الطبيب الناشئ فى الحى على قسوة أحد شيوخه.. إذ كانت له فى نفسه منزلة الوالد.. صبر حتى استراح الشيخ إلى أنه قد أثخنه بالجراح جزاء فعلته التى ألقت الجيرة كلها فى أتون من الغضب.

قال الشيخ: ألا تجيب؟... فرفع رأسه وصوته وقال: هل تاذن لى يا عماءه بأن أتكلم؟؟ قال الشيخ: على أن تصدقنى الحديث.. وإنى أحذرك من محاولة خداعى كما فعلت مع أسرة فلان، وما عاد الأمر سراً!!

قال صدقى: بل أصدقك القول يا عم.. فما كنت كاذباً ولا مخادعاً.. وستجد بنفسك أننى لم أتغير عمّن عرفت وكل الذى أرجوه أن تمنحنى الصبر حتى أتم حديثى.. ثم أحكم على وعلى زميلى.. وحكمك العدل..

ثم إن صدقى سرد التاريخ كله بإيجاز.. حتى إذا وصل إلى أحداث الخطبة والعدول.. لم يتردد فى ذلك التفصيلات.. واعترف بأنه تحت إلحاح صديقه وحاجته إلى الاستقرار وفى مواجهة الصعاب العملية التى يلاقيها إن هو بحث له عن فتاة وأخرى حتى يصادف من يرتاح إليها.. فقد سمح لنفسه إن يهون من الفروق الكبيرة بين أوصاف الخطيبة وبين ما تخيله طالب الزواج.. وما قصد من تصرفه هذا إلا أن يجد حلاً لمعضلة عسيرة.. إذ الحق أنه من العسير أن أجد أسرة تحترم نفسها وتقبل مصاهرته.. فلا هو من بيت ذى حسب قديم ولا هو من ملتنا ولا هو غنى.. ومع ذلك يضع الشروط ولا يقتصد.. ولا يجد من يعاونه فى إنجاز هذا الأمر الجوهري إلا خاصة أصدقائه.. ولا أعرف إلا نفسى وصاحبى برأدة..

قال صدقى: هذه هى جملة القول يا عم.. وما كتمت عنكم شيئاً.. ونحن جميعاً (ثلاثتنا) نُجَلِّك ونحترمك ونؤكد لك أننا ما اجتمعنا إلا على الخير.. ولا قصدنا إيذاء أحد من الناس فضلاً عن فتاة من حقها أن تجد رجلاً جديراً بها.. وأن زميلى عبده كفء لها وزيادة.. ولكنه ضاق بها إذ رآها.. كما حدثتك.. وقامت بينى وبينه مشاحنات لم يتسامع بها الناس.. وإنما تسامع الناس بما أطلقتها أسرة الفتاة من شائعات.. ونحن نلتزم الصمت.. لعل فى الهجوم علينا ما يهدىء من الغضب ويهدد لنسيان هذه القصة كلها.. فقد غلب عليها سوء الحظ وحسب.

قال الشيخ: ولكن لماذا تياس من محاولة اختيار فتاة تصلح له وتقف عند من وصفت وهى لا تشبه اختيار صاحبك كما تقول؟

قال صدقى: إنه اليأس من أن تقبل أية أسرة كريمة مصاهرة زميلى!! ولو كان فى أسرتى فتاة تنطبق عليها الصفات التى يريدونها.. لما وجدت الطريق معبداً لإنجاح مسعاه.. رغم وساطتى..

سُبْحَانَ مُقَلَّبِ الْقُلُوبِ:

قال الشيخ: ولكنك تذكره فى حديثك معى.. وكأنما تعدّه ملكاً أو ولياً من أولياء الله.. فكيف تعجز عن تقديمه للناس.. وهذا تقديرك له؟

قال صدقى: إن تقديرى له يستند إلى صحبة طويلة.. قرابة عشرة أعوام فى كل حال يكون عليها الشباب من إقبال على الدرس.. أو انصراف إلى اللهو البرى.. وكنا نقضى معظم ساعات النهار والليل فى الاستذكار وفى البحث من الدراسة الثانوية إلى الطب إلى وقتنا هذا.. ولئن كان صديقنا بركة على الدرب ذاته إلا أن زمالة الطب ربطت بيننا نحن الاثنين فوق ما كانت الحال ونحن أصحاب ثلاثة.. ولذلك من العسير أن أطلب من الناس أو أن أتوقع منهم تقديراً كتقديرى القائم على معرفة حقيقة أمره فى مدى طويل..

سكت الشيخ قليلاً ثم عاد يتساءل: ما اسمه الآن؟ قال صدقى: «عبده إبراهيم».
قال الشيخ: وقبل أن يشهر إسلامه؟ أجب صدقى: «عبده إبراهيم». فتوقف الشيخ

لحظة واستأنف قائلاً: عجيب.. عجيب أمر صاحبك هذا، أفلا يتخذ اسماً يدل على فضل الله عليه أن هداه؟

قال صدقي: هذه فعلاً واحدة من نظراته الخاصة إلى ما هو فيه من شأن جد خطير.. ولقد نصحه بعض المحبين له، بأن يتخذ اسماً علماً شاهداً على إسلامه.. فاعتذر بأن الإيمان الحق إنما يستقر في القلوب وتصدقه الأعمال.. وما هو لافتات كعناوين الكتب والمتاجر.. وما هو بشعارات عالية الصوت جوفاء.. وإنى لأجل الهداية التي أنعم بها ربي على.. أن أنزل بها إلى مستوى شبيه بالدعاية وطلب الشهرة.. في أمر لا يغنى فيه إلا الصدق الصدوق..

توقف الشيخ قليلاً.. ثم قال: يا صدقي.. آتني بصديقك هذا من فورك.. وتعال معه.. قالها وقد سرى عنه ما كان فيه من غضب وما بدأ به من تهديد ووعيد.. واطمأنت نفس صدقي إلى أنه كسب سنداً وأنه لا يسهل بعد اليوم أن يهاجمه المهاجمون..

كانت غاية الفرحة التي غمرت الطبيب الشاب صدقي من هذه المقابلة.. أنه استطاع أن يقنع الشيخ ببراءته وبراعة صاحبه.. وما درى أن هذا اللقاء قد كان نقطة تحول كبرى في حياة صاحبه.

جاء الموعد والتقى الطبيبان بالشيخ.. وكان تعارف أعقبته مقابلات.. وفيها سأل الشيخ والدكتور عبده إبراهيم يجيب.. ثم تتشعب الأبحاث ويفيض الطبيب الذي آمن في سرد بعض الأدلة التي ملكت عليه كل المدارك.. وبخاصة حين تقدم في دراسة الطب ورأى في جسم الإنسان آيات على قدرة الخالق جل وعلا.

ثم رأى صدقي أنه من الخير ألا يطمع كثيراً في تلطف الشيخ وهو في حكم والده.. وبحسبه هو وصاحبه أنهما وجدا فيه رجلاً فاضلاً ومنصفاً أسكت المتخرصين ومروجي الشائعات.

ومضى بعض الوقت.. وكل في مشاغله.. حتى أرسل الشيخ إلى ولده صدقي يدعوه.. ويسأله: لماذا تباعد اللقاء بيننا؟ قال مراعاة لحقكم علينا.. فحسبنا ما أخذنا

من وقتكم وما لقيناه من عطف.. قال الشيخ: ما أحسنت التقدير.. إننى آنس إلى حديث صاحبك لأنه على سنة الأولين.. والحق أنه كسب إعجابى واحترامى.. وكان مثل هذا القول مفاجأة لصدقى.. وما وسعه إلا أن يشكر وأن يصل ما انقطع من الزيارات.

ذهب صدقى إلى عبده.. وقال له: يا زميلى إننى لا أصدق ما أرى وأسمع.. إننى فى حيرة ودهشة.. ولكن لعل الله يريد أن يحدث بعد ذلك أمراً!! قال صاحبه: ما وراءك؟ قال صدقى: إنه الشيخ يا عبده، إنه الشيخ.. لقد كسبت مودته وإعجابه إلى حد أنه يطلب منك ألا تنقطع عن زيارته.. ثم شررد بنظراته كأنه مأخوذ بأمر خطير.. وسكت. حتى ارتاب صاحبه فى الحال المتقلبة.. وسأله ما بالك يا صدقى.. أتراك بالغت فى وصف ما لقيته من عمنا الشيخ الفاضل؟! قال لا بل الأمر أجل فيما أظن.. والعلم عند الله.. ثم لاذ بالصمت.

وفى لقاء جديد وثان وثالث ظهر للطيبين معاً أن العالم الجليل والوجيه فى قومه عبد الحميد مصطفى.. يحسن اللقاء ويشجع على مزيد من البحث فى قصة الإيمان عن يقين حتى بدا لصدقى أن يصارح صديقه بما يدور فى ذهنه من أيام.. فقال: أصغ إلى يا عبده.. إن هذا رجل كبير فى حيننا.. وأنت رأيت بنفسك كيف يحيطك بالمودة وأنت فى مجلسه.. وقبل أن يلقاك كان ساخطاً على من أجلك وكان لا يطيق أن يسمع بأنك تظهر فى هذا الحى.. كعابر سبيل.. من فرط ما نسب إلينا جميعاً.. قال عبده: وبعد.. ماذا تريد أن تقول؟

تردد صدقى بعض الوقت ثم قال: إنى أراك قادراً على كسب ثقة الشيخ ومحبتة كواحد من أولاده.. ولئن وصلت إلى هذا الحد من النجاح.. فإن مشكلتك الكبرى تجد أحسن الحلول.

ضاق الدكتور عبده بهذه الإشارات البعيدة.. فقال لزميله: كم من الوقت أضعنا فى تأملاتك وفى الفروض والاحتمالات التى أراها تشغلك.. فماذا تريد أن تقول؟

قال صدقى: إن للشيخ ابنة فى سن الزواج.. وهى كالتى تخيلت أنت ووصفت.. ولئن

قدر لك أن تحافظ على مودته واحترامه لك.. على نحو ما أرى فى اجتماعاتنا الأخيرة.. فإنه لا يرفضك خاطباً.. فيما أظن.

قال صاحبه: ما أراك إلا جننت.. أى أمل هذا الذى يراودك، على أى أساس يجوز لى أن أفتح صديقاً فاضلاً كهذا فى أمر المصاهرة ونحن حديثو عهد بالتعارف.. ولى فى الحى تاريخ حافل.. هذا بالإضافة إلى قرب العهد بمأساة الخطبة الأولى.. لا يا صدقى.. أنا لا أفكر فى خطوة، كهذه.. وأرجوك أن تتزن.. حتى لا تكون التجربة الثانية أقسى من الأولى.. وما زالا يقلبان الآراء حتى قررا إشراك صاحبهما القديم «برادة» ثم اتفق ثلاثتهم على أن الخطوة الأولى لا تكون من الخاطب بل من صاحبه.. وفى حدود التعرف على مدى الاستجابة أو الفتور من ناحية اقتراح كهذا.. وكانت زيارات غاب عنها الدكتور عبده.. ثم ظهر من جديد وتقدم خاطباً وأجيب.. وبدأت فى حياته وفى حياة الشيخ صعب ما كانت فى الحساب.

الزوجة الصالحة:

تسامع الناس بأن القبطى الذى سخر من أسرة كذا قد أوقع الشيخ فى حبال سحره وحصل على وعد بالمصاهرة.. وكان لرب الأسرة فى هذا العهد هيبة عالية.. ولكن زوجة الشيخ ثارت ثورة عارمة وانطلقت إلى أهلها غاضبة.. واجتمعت الأسرة بأصولها ويفروعها وألحت على الشيخ أن يراجع نفسه فيما صدر عنه من وعد بالقبول.. وبدأت الشائعات وتوافد الخاطبون ومعهم الشفعاء لإنقاذ الموقف.. أى لتعطيل هذه المصاهرة.. حتى ضاق الشيخ بما تكرر من الجرأة على مكانته من الأسرة.. فعجل بال عقد وبالزفاف جميعاً.. فى ليلة أحاط بها الغموض والترقب من جانب المستريين من أمر هذا الطبيب الشاب.. وساعد على فتور المناسبة ومفارقتها للمألوف.. أن الزوج حضر منفرداً.. لا يصحبه من أهله أحد، على الإطلاق.. وأن والدة العروس قاطعت الحفل، وجاملها أهلها.. والشيخ مصرّ وماض فى طريقه.. وأخيراً عاد للحى هدوء مشوب بالقلق.. بعد سفر الزوجين إلى مقرهما الملحق بسجن «طرّة» من أعمال مديرية الجيزة فى ذلك العهد (عام ١٩٠٦).

المولود الجديد والعاصفة الجديدة:

ومضى عام.. وإذا بالعروس تعود إلى دار أبيها.. فى مناسبة الوضع.. ورزقت بولدها الأول فى ١٩٠٧/٧/٢٧.. وفى يوم أو بعض يوم.. حضر الطبيب الوالد مهنتاً.. وأحضر معه شهادة الميلاد.. وقد أثبت فيها اسم ولده الأول «عيسى» وأقبل على زوجته يرشدها إلى ما ينبغى من احتياطات.. وفى ساعات عاد إلى مقر عمله فى «طرة» وخلت الأسرة إلى هذا الموقف الجديد.. وإذا بالشيخ الذى أحب صهره.. يضرب كفاً بكف.. ويقول: واعجباً.. أليس فى الأسماء التى خلقها الرحمن اسم جدير بهذا المخلوق... إلا هذا الاسم.. استغفر الله العظيم.. قالها ثلاثاً.. واعتكف فى داره لا يرى أحداً.. وأما زوجته فقد كانت تغالب دموعها.. لما تحقق من ظنها البصير بهذا الطبيب وأساليبه.. كانت تغالب دموعها حتى لا تفجع ابنتها فيما انتهت إليه حالها وما جناه عليها أبوها بغفلته وعناده. وفى اليوم السابع أضيئت الشموع ذراً للرماد فى العيون.. وتمويهاً على الأم البائسة التى ارتبطت بزوج قبيل بأنه أسلم وحسن إسلامه.. وإذا به يعلن فى غير موازية أنه مخلص لماضيه.. لا ينسأه.. ولم ينقض اليوم السابع حتى أحاطت بأسرة الشيخ موجة من الهم.. فوق الذى تجمع من قبل.. ذلك أن جاء البشير من أسرة الظاهر يهنئ الوالدة بولدها عيسى.. ولم يكن من قبل ود ولا اتصال.. فكانت هذه التهنئة ذات معان غير خافية.. فتماسك الشيخ واصطنع الثبات اصطناعاً.. حتى كان الغد.. فخرج من الفجر.. يريد صهره فى داره قبل أن يخرج من داره إلى العمل.

قال الشيخ: ما هذا الذى فعلت يا سيدى الدكتور؟؟

لقد سكتنا على التزامك بعد اعتناق الإسلام.. نفس الاسم الذى عرفت به من قبل.. وأحسننا الظن بما سقته من حجج كانت تبدو صادقة.. ولكن.. هذه الفعلة الشنعاء، فى حالتك الخاصة!! أفلا تعلم أن اختيارك لهذا الاسم يتضمن من المعانى ما لا يخفى على أحد؟ ألم تسمع بأنباء التهانى التى بعث بها أبوك وماتنطوى عليه من سخرية بعقولنا وشماتة بمصير ابنتى البريئة.. التى جنيت عليها؟

ظل الشيخ يهدر غاضباً.. وكانت الدماء تندفع حمراء قانية من صدره إلى الجبين..

والطبيب يستمع هادئاً ساكناً.. وقد أشرق برأسه حتى قمر العاصفة.. ولكن حالة الشيخ كانت تنبئ بأنه يعاني من خيبة في الرجال قوضت ما كان فيه من اطمئنان إلى هذه الرابطة.. التي أكثر الناصحون بالحذر منها.. وكان فزعه من التطورات المحتملة يصد من بعض العواصف التي تهتاجه.. فقد قال بصريح العبارة: «وبعد، بماذا تفجعنى الأيام من ناحيتك في الغد القريب والبعيد... بعد الذى فعلت؟» حتى إذا استفد من الجهد ما أضناه.. توقف لاهثاً.. وقال: يا أخى ويا بنى.. ما أسأت إليك حتى تجنى على ما جنيت؟؟ وأياً كان جوابك.. أفلم يكن من الواجب أن تستشيرنى فى أمر يمس سمعتى ومكانتى بين الناس.. إن كنت ترضاه لنفسك؟

قال الطبيب الناشئ لعمه: إن كنت قد فرغت من كل ما تحب لى أن أسمعك منك.. فسأتكلم.. وإن أردت أن تزيدنى إيلاًماً فأنا بين يديك.. ما تغيرت.. فأنت صهرى وعمى وأبى.. وليس لى من الناس من هو أقرب إلى منك.. وستجدنى طوع أمرك فيما تظنه صواباً.. وسأقبل حكمك أيّاً كان.. فهلا منحتنى بعض الصبر.. لعلى أحدثك بما عندى؟

كانت لهجة الطبيب هادئة.. رغم ما صبه عليه صهره من لوم وتقريع.. ورغم شناعة الصورة التي رسمها صهره.. من فزع أحاط بالأسرة وأحداث جسام توشك أن تعصف بالجميع.. فلا الطبيب ناج بفعلته هذه، ولا أصهاره سعداء بما يمكن أن ينزلوه به من انتقام لسمعتهم التي ألحق بها خزيًا ما بعده خزي.. هكذا كانت الصورة التي ارتسمت فى جو من المصارحة التي تهيأت للشيخ وقد انفرد بصهره. ومع كل هذا القتام ظل الطبيب هادئاً ثابتاً وظلت لهجته فى إطار من التوقير الواجب للشيخ وإن قسا الشيخ فى حملته، ثم قال وقد تمالك بعض زمام نفسه النائرة:

- تكلم.. قل ما عندك.. ولا تخفى عنى شيئاً.. واعلم أنك قد ألقىتنى فى الجحيم.. جزاء صنيعى معك.. فابتسم الطبيب وهو يقول: كأنك لا تريدنى يا عم أن أتكلم!!

قال: بل إنى مصغ إليك.. والله يعيننى على ما أنا فيه..

قال الطبيب الناشئ: إن بينى وبين ربى عهداً لا يعلمه إلا هو.. وإنى أسير على الدرب لا أحميد.. وما وجدت من ربى إلا الفضل يتلوه الفضل.. وفى ظنى (والعلم عند الله جل شأنه) أن هذا الحادث الذى أفرعكم حتى آذيتمونى هو أكبر نعمة من الله بها على بعد نعمة الإسلام.

تمتم الشيخ فى صوت حزين: أكبر نعمة؟ اللهم إنك أنت السلام ومنك السلام.. اللهم أفرغ على صبراً من عندك.. فلا حول لى ولا قوة بهذا البلاء.

عاد الطبيب يقول: نعم.. قد يكون هذا التتابع فى الأحداث بشيراً لى بأن الله قد سمع منى الدعاء واستجاب.. له الحمد فى الأولى والآخر.

.. ثم استطرده يقول: إننى يا سيدى حين تمسكت بالاسم الذى اختاره أبى وهو كما تعرف «عبده» تعلق رجائى بأن يمتد بى الأجل.. حتى أكون كفتناً لزوجة صالحة من بيت طيب.. وأن أرزق منها مولوداً يكون أول أبنائى وأن أدعوه «عيسى» وقد تحقق هذا كله بفضل من الله ونعمة.

قاطعته الشيخ محتداً: وأى فضل تريد أن تراه فى كل ما ذكرت؟

فارتفع صوت الطبيب فيما يشبه الغضب.. وقال يا سيدى صبراً.. ما أتممت بعد!!! ثم استطرده يقول.. إلى هنا ينصرف الحديث إلى أمور وقعت.. وكلنا يراها ماثلة فى بساطة ويسر بحيث إنها لا تستوقف النظر.. ولكنى رأيتها من قبل آمالاً ترتفع إليها يداى بالدعاء.. فى عديد من الليالى الحالكة التى أحاطت بى لبضع سنوات مضت.. وأن الله الذى أنعم على بهذا كله.. لأكرم من أن يرد ما بقى لى من رجاء..

قال الشيخ: وما هذا الرجاء؟

قال الطبيب: إنه رجاء إن شئت وإنه عهد وميثاق إذا أمعنا النظر.. لقد عاهدت ربى إن رزقنى بهذا الصبى لأحرصن على تنشئته نشأة صالحة ولأدعون له بطول العمر.. وبالتوفيق إلى ما فيه رضاء الله.. وبأن يكون له فى حياته ومن بعد حياته أحسن الذكر على السنة العباد..

ضاق الشيخ بأحلام هذا الولد الحدث.. وقاطعه.. قائلاً: وأى والد لا يرجو لولده مثل

ذلك؟ وأية صلة بين هذا الرجاء وذلك الميثاق وبين اختيار اسم المسيح عيسى ابن مريم ليكون علماً على ولدك الذي تريد له ما تقول؟؟

عيسى عبدُه لا أبنه :

قال يا عم.. إننى لا أحصى ثناءً على ربي ولا أقدر على حمده كفاء ما أنعم به على.. ولذلك جعلت من وجود هذا الولد.. شهادة تنبض بالحياة.. وما بقيت له الحياة.. بأن «عيسى» «عبد» وما هو بولده.. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.. فكلما ذكره الذاكرون غائباً أو حاضراً.. حياً أو ميتاً.. كان ذكرهم هذه شهادة منى بين يدي الله جلّ وعلا.. بأن «عيسى» «عبد».. ولقد استجاب ربي لأول الدعاء وها هو المخلوق الصغير حقيقة ماثلة بين يدي. وشهادة منى بما آمنت به.. وأن الذى أسبغ على هذه النعمة الكبرى.. لقادر على أن يمد فى أجله وأن يهديه سواء السبيل حتى يكون أهلاً لحمل هذه الشهادة.. التى فرقت فى حياتى الخاصة بين ضلال كنت فيه وهداية أرجو أن تزيد..

ظل الشيخ صامتاً مطرّقاً.. وكأنا يقلّب النظر فى قول ما مرّ بخاطره أنه سيسمع شيئاً منه.. فاستطرد الطبيب حديثه بلهجة المطمئن الواثق.... قال: يا عم.. إن الغيب من ضنائن الرحمن وأنا لا ندرى أكون هذا الصبى صالحاً أم غير صالح.. ولا ندرى هل كتب له من العمر ما يطول، أم كانت الأخرى.. ولكنى أعلم من الله أنه ما خذلتنى وما أسلمنى لأمر لا أجبه.. مذ سرى فى أطرافى هذه الشوق إلى الوضوء.. وأنا بعد صبى لا أميز بين عقيدة وأخرى.. وأن قلبى يحدثنى بأن الله قد استجاب لكل ما دعوت.. وسيكون من حياة هذا الصبى وذكره بين الناس نور يفيض على فى قبرى.. ويقضى عنى بعض حق الله على.. حق الحمد والثناء عليه.. فى حياتى ومن بهذا الأجيال تجبى.. وفى كل منها يتكاثر القول الحق.. بأن «عيسى» «عبد» فهذا ما آمنت به وصدقت.. هذا ما أريد له أن يجرى على السنة الخلق من بعدى.. ما بقى لهذا الصبى ولذريته ذكر بين الناس^(١).. قال هذا وسكت.. لعل الشيخ يخرج من صمته.. ولكنه كان سابقاً فى

(١) لقد حقق الله تعالى أمل هذا الوالد، ورجاءه فيه، إذ صار «عيسى عبده» من أنشط دعاة الإسلام وكان له أعظم الآثار فى الدعوة إلى إبراز علم (الاقتصاد الإسلامى)، وقد انتهى إلى العمل أستاذاً بالمعهد العالى للدعوة الإسلامية بالرياض، وتوفى بها سنة ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) وأكرمته الله فدفن بالمدينة المنورة.

ملكوت الله.. فعاد الطبيب يقول: ثم إنى دعوتُ الله أن يرزقني ولدًا ثانيًا.. ولا حرج على فضل الله.. ولئن استجاب بمنه وكرمه فسيكون ولدي الثاني «محمدًا».

خرج الشيخ من صمته فجأة وهو يكرّر مقالة صهره.. ثم حمد الله وأثنى عليه، وصلى على المبعوث رحمة للعالمين.. وكأنما سرى عنه بما سمع آخرًا.. فتبدلت حاله من الهم والقلق.. إلى كثير من الرجاء أن تكون أحداث الأيام الأخيرة وهماً تجسم وتفاقم في جو من القيل والقال... ولكنه ظلّ صامتًا.. وعاد إلى أطرافه.. فقال الطبيب الشاب.. يا عم: إذا فرغت من الشهادة التي أرجو أن تكون شفيعى عند الواحد الأحد.. على نحو ما عاهدت عليه ربي.. فأى الأسماء بعد ذلك يكون أحق بالاختيار. فى حالتى هذه..؟ أوليس من تمام الإيمان.. شهادة أنه لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله.. وإنى لأرجو الله العلى القدير أن يكون حفيدك الثانى «محمد عبده» ثم ضحك قائلاً.. إن زوجتى الودود الولود... وأن غداً لناظره قريب.. ولئن كانت أمالى فيما دعوت به لولدى الأول رهينة بحجب الغيب فى عشرات السنين.. أو تزيد.. فإن تسمية الولد الثانى.. احتمال إن شاء الله قريب..

قام الشيخ عن المجلس ليخلو إلى نفسه طويلاً.. بين صلاة وتسبيح.. وقال لصهره قم لعملك يرعاك الله.. وسأراك إذا انصرفت.

وفى طريق الشيخ إلى القطار.. أمضى لحظات مع صهره فى مكتبه.. وحدثه هامساً.. قال: يا بنى إنى عائد إلى مصر.. والله يعلم ما أنا فيه... إنك تعيش فى جو من الصفاء لا تعيش فيه كثرة الناس، وإن أعمالك وأقوالك لا يفهمها إلا من حاط دين الله من جميع جوانبه.. وما أقلهم فى زماننا.. ثم سكت لحظة.. وعاد يقول: لقد أتعبتني مذ عرفتك، ولا أخالك إلا هكذا ما حييت.. عفا الله عنك. ثم شدّ على يده مودعاً.. وقال: على أننى لا أضيق بيوم التقينا فيه.. ولا أتمنى غير الذى جرت به المقادير.. ثم انصرف..

عاد الشيخ إلى داره وأقبل على ابنته وحفيده.. إقبالاً غير مرتقب وطفق يبالغ فى

الإكرام والتدليل حتى ظنت الأسرة أنه يعتمد إلى تغطية ما كان من هزة عنيفة بالأمس القريب.. حين وصلت التهاني من حى الظاهر.. ظنت الأسرة أن الشيخ يخاف على ابنته، ويريد أن يوهمها بأنه راض.. ولكن صهره الطبيب جاء بعد ذلك زائراً.. فأحاطه بالرعاية مرة بعد أخرى.. حتى جاء اليوم الذى اصطحب فيه أسرته.. وإذا بها قد غدت.. حين قرر الشيخ أن تكون «سيدة» (وهى الجارية المفضلة فى الدار) عضواً فى أسرة الطبيب من يومها هذا لا تفارق الصغير ولا يفارقها.. ولا تكلف بعمل إلا رعايته.. وخلع عليها الشيخ خلعة فى هذه المناسبة.. جرت هذه الأحداث سراعاً.. وأسرته الشيخ لا تدرى كيف تبدلت الحال.. ومرت الأيام والشهور.. ولا جديد حتى نسيت العاصفة التى هبت مع قدوم الولد الأول.. وفى يناير ١٩٠٩ أقام الشيخ حفلاً جامعاً للأسرة وللأصدقاء تكريماً لحفيده «محمد».

قال محدثى أنه سمع من الخواجة إبراهيم عبد الملاك.. إنه ما رأى فى حياته يوماً أشد هولاً عليه من يوم الأحد الذى أعلن فيه رجال الكنيسة طرد ولده الأكبر من رحمة يسوع.. وبقيت صورته حاضرة أمام ناظريه.. وهو يهرول مسرعاً إلى خارج الدار والهيئة المقدسة تعلن أنه مفقود مفقود.. قال الخواجة إبراهيم «إن هذا اليوم كان أكثر الأيام حلقة كسواد الليل البهيم.. وهذه الصورة كانت لا تفارقنى لأنها أتعمس ما رأيت.. حتى جاءنى الخبر بأن ولدى «عبد» الطبيب الناجح.. يدعو ولده الثانى محمداً.. فكانت القاضية.. على ما بقى من أمل أو رجاء».

ومضت شهور فيما يشبه الاستقرار.. سكنت أسرة الشيخ عن نشر مخاوفها وإشاعة الشكوك.. ويئست أسرة الخواجة إبراهيم من السراب الذى بدأ حين سمعوا بمولد الابن الأول.. وانصرف كل إلى شأنه الخاص بعد طول اهتمام بالطبيب الشاب وقصته.. حتى كان صيف هذا العام (١٩٠٩) والأسرة الصغيرة فى حياتها الوادعة.. على مقربة من سجن طرة.. والوقت بعد الظهيرة.. والحرقاظ.. والطبيب أنهى عمله وعاد إلى داره.. وإذا بواحد من مساعديه يصعد الدرج مسرعاً ويقترب منه.. ليلقى إليه كلاماً بصوت منخفض..

الزِيَارَةُ الْمَفَاجِئَةُ:

بدأ على وجه الطبيب أنه لا يكاد يصدق.. ثم رفع صوته متسائلاً: أين هو؟؟ قال إنه بباب الدار فنزل من فوره وعاد ومعه ضيف من القاهرة..

كان هذا الضيف هو الخواجة إبراهيم والد الطبيب.. وصل فجأة وبعد قطيعة تامة ومتصلة.. مذ كان ولده فى فترة الامتياز بقصر العينى.. فانسحبت الزوجة والمربية والطفلان إلى داخل الدار.. وبقي الطبيب ووالده لا يجدان ما يقال.. بعد أن تبادلوا ما هو مألوف من تحية ومجاملة فى اقتضاب.

قال الطبيب: كيف حال أمى وإخوتى.. وكيف حالك يا أبى؟

وإذ هم الوالد بالجواب.. احتبست الألفاظ فى صدره واعتمد رأسه بين يديه لحظة ثم انهارت بقية المقاومة التى كان يعانيتها من وقت مضى.. ثم انفجر كالثاكلات.. ولم يحاول ولده أن يمنعه بل تركه برهة يفرج فيها من همومه.. وأخلى له المكان..

أقبل الطبيب على أبيه حين عاوده الهدوء.. وقال ماذا بك يا أبى.. وكيف أمى وإخوتى؟

قال الوالد إنهم بخير.. نحمد الرب.. ولكن أباك على حافة الهاوية!!

قال الطبيب: هون عليك وأشركنى فيما يؤودك حمله.. لعلى أكون فى عونك..

قال الوالد: لهذا جئت.. ولا أخفى عنك أننى ما سعيت إليك إلا وقد انسدت الدنيا كلها فى وجهى.. وكادت الفضيحة أن تحطم حياتى.. ثم سكت لحظة عاد بعدها يقول وقد تهدج صوته من جديد.. يا عبده: إن البيت الذى ولدت فيه ونشأت حتى أمتت معظم دراسة الطب.. هذا البيت الذى بأوينا ويتسع لأسرتنا كلها.. سيباع بأبخس الأثمان أمام دائرة البيوع بالمحكمة المختلطة وفاء لدين استحق للبنك.. كان الدين صغيرا ولكن «الفوايظ»^(١) ومصاريف التقاضى ضاعفته.. والأمر لله.. ظل الطبيب ساكنا يتأمل هذا الحديث المفاجئ.. وعاد والده يقول: وأختك يا عبده.. أختك «ماريجوه» ابنتى الكبرى.. سيكون أكليلها بعد أسبوع واحد.. ولا أعلم كيف أوارى فضيحتى المالية وطردى من البيت.. عن أصهارى الذين يحسنون بى الظن.. وأى مصير سيكون مصير شقيقاتك الأخريات إذا خابت الأولى لإفلاسى.. وإذ ذكر الرجل ابنته الكبرى وفرحتها المهددة دون أن تدرى.. وإذ ذكر بعدها بقية البنات والأولاد.. وما هم معرضون له جميعا من اضطراب لكراء المساكن واحدا بعد الآخر.. على غير ما هو مألوف

(١) يعنى الفوائد الربوية، والعامه فى مصر ينطقونها هكذا: (الفوايظ) تغليظا لحرمتها وتحقيرا لها.

عندهم وعند آبائهم لأجيال مضت.. أظلمت الدنيا فى وجه الرجل وخانته قواه.. وعاد يبكى وينتحب.. حتى رجاء ولده أن يتجلد حتى يتم الحديث.. وسأله كم تبلغ القيمة؟

قال الوالد ثمانمائة جنيه.. والبيت يساوى أضعاف هذه القيمة ولكن جلسات البيع يسودها جو من المناورات والاحتكار البشع.. وإن موظفى البنك أنفسهم يحيطون مثل هذه البيوع بإجراءات جهنمية.. تكفل لهم توجيه البيوع.. على هواهم..

قال الطبيب.. إن هذا عجيب!! أوليست المحاكم تقوم من أجل الحق والعدل.. فضحك الوالد فى مرارة.. قال: يا بنى إنك تعيش فى برجك العاجى.. بعيدا عما يدور فى الأسواق من ظلم وفساد.. إن الدين الصغير يكفى للإطاحة بثروة كبيرة.. خاصة إذا وصل الأمر إلى دائرة البيوع، حيث يدفع المبلغ المحكوم به كاملا، نقداً وعداً فى الجلسة.. العلنية.. ومن حول هذه الجلسة الثابتة المواعيد زبانية عتاة.. يتسمعون الأخبار ويتعرفون على كل واحد للمزاد.. حتى ينسحب أو يخضع لتنظيم جائر يحصر البيوع فى عدد من المحترفين.. وهؤلاء بطول الممارسة.. كونوا ثروات كبيرة وأموالهم الحاضرة فى جيوبهم تكفى فى كل جلسة.. لتوجيه البيوع لصالحهم.. وكما ذكرت لك.. إنهم يتصلون بموظفى البنوك ويعلمون من أسرار الناس ما ينتفعون به فى الإجهاز على من يقع فى أيديهم.. فى أنسب الأوقات..

قال الطبيب: لماذا لا تدفع جانباً من الدين ثم تتدبر فى أمر التسوية الشاملة.. فى فسحة من الوقت..؟ وكأنما شعر الوالد أن ولده لا يريد أن يمد يد المساعدة.. فقال بشيء من نفاذ الصبر: يا بنى يا عبده.. قلت لك إن هذا كله قد فات أو أنه.. إننى أواجه حكما بنزع الملكية وفاء لدين مقداره كذا.. وإن قلم الكتاب يحصى الأصل (والفايظ) والمصاريف.. وما من رقيب.. وإن سمسارة السوء والكسب الحرام، وسادتهم من المرابين يملكون الجلسة وكأنها عمل خاص بهم.. والقضاء لا يستطيع أن يحسم الداء الذى بدأ ينتشر فى الآونة الأخيرة.. وما هذا البيت الذى يحزننى فقدته إلا شيئا تافها بين يدي هؤلاء الدهاة ولكنه مأوانا وملاذنا من قرن مضى.. ثم سكت فيما يشبه اليأس وعاد بعد لحظات يقول: عفوا يا بنى.. لقد أفسدت عليك وقت الراحة.. والجو شديد الحرارة.. ولكن عذرى واضح لك.. وبقيت كلمة أخيرة، أقولها وأنا واثق من أن جميع إخوتك يؤيدونها راضين.. يا عبده: أنت أولى من الغريب فتعال معى فى جلسة البيوع واشتر

أنت البيت قبل جلسة المزاد لقاء دفع قسيمة الحكم كاملة.. فلا يضع الغريب يده على دارنا ويسىء إلى أبيك وسائر أفراد أسرته.

أَخْلَاقُ الْإِسْلَامِ :

قال الطبيب لأبيه: وهذا ظنك بي يا أبى؟ أن أستفيد مما أنت فيه من ضيق؟!!

قال الوالد: ما قصدت شيئاً من ذلك أبداً.. وإنما أقول: أنت أولى من الغريب.. ثم إنك لا تلقى بأهلك إلى الطريق العام إن قصروا فى دفع الأيجار.. ثم إن لك أسرة خاصة الآن.. ولها حق على مالك.. هذا ما قصدت فلا تزدنى أماً.. وبحسبى ما أنا فيه..

قال الطبيب.. لا عليك.. اصبر يا والدى وأذن لى بترك برهة قصيرة.. ودخل إلى حجرته الخاصة.. ثم عاد يحمل شيئاً فى يده كأكياس الصيارفة.. ودفعه إلى أبيه.. وقال هذه ثمانمائة جنيه ذهباً.. هى لك يا والدى تصرف فيها كيف تشاء.. دهش الوالد من هذا التحول من الجدال إلى الفعل الناجز.. وسأل فى تكرار: والدار، متى تحضر لاتخاذ إجراءات نقل الملكية إليك؟ قال: لا حاجة لى بها إلا أن تبقى دارك أنت.. فأنت والد الجميع ومن مركز فى الظاهر وفى الجمالية.. تستمد الأسرة كلها تقدير الناس.. وإنه ليسرنى أن يبقى أبى محل ثقة الناس واحترامهم.

وضع الوالد صرة المال بجواره على «الكنبة» وأطرق وهو يقلب عصاه بين يديه.. ويقول فى صوت خافت تتجاوب فيه أصداً من الشعور بالحنج وبالصغار.. «ماذا فعلت بك وأنا قادر عليك؟.. وماذا فعلت بي وأنت قادر على؟» وتساقط الدمع من عينيه فى صمت ذليل.. حتى رق له قلب ولده فى كباته!!

وانصرف الخواجة إبراهيم عبد الملاك يحمل الصرة.. ونجا من ضائقة كادت تعصف به.. وعاد الطبيب إلى داره بعد فترة قصيرة قضاه فى وداع أبيه إلى أن تحرك القطار.. عاد الطبيب وهو يبنى نفسه بساعة من النوم العميق.. ولكنه أخطأ الحساب وأسرف فى الأمل!!

ثَوْرَةٌ وَعَضَبٌ :

دخل الدار التى تركها من برهة قصيرة.. وقد كانت هادئة ساكنة.. فإذا بها مسرح

لأحداث تجرى سراعاً.. «سيدة» المريية عاكفة على صرة ضخمة من لوازم الدار وملابس الصغار والكبار.. تنسق شيئاً من فوق أشياء.. وإلى جوارها صرة أخرى فرغت من شد وثاقها.. والصغيران قد وضعاً في ثياب الزينة والزبارات. والزوجة تذهب وتجيء من ركن في الدار إلى درج يؤدي للسطح.. وهي في غدوها ورواحها تنقل الأشياء وترفع بعضها وتضع بعضها آخر.. لا تلتفت لهذا القادم إلى داره يريد شيئاً من الراحة بعدما كان بين الظهيرة وعصر ذلك اليوم من أحداث مفاجئة.

ظل الطبيب يرقب هذه الحركة الناشطة.. وسكت عن السؤال بعد أن وضع له أن أهل الدار قد صاموا عن الكلام.. وأنهم قد اعتزموا أمراً.. ظل يرقب ويرقب.. حتى رفعت المريية أصغر الولدين إلى كتفها وأمسكت بيد الأكبر.. ورفعت المريية صرة بعد أخرى.. وكان مزاج العصر في الطبقة الوسطى أن تكون لكل دار مجموعة فاخرة أو متواضعة من الصرات.. لنقل الملابس والحاجيات الصغيرة الأحجام.. ويقال للصرة في جميع الأوساط «بقجة» أما شنطة السفر فقد تأخر انتشارها إلى عهد طويل بعد الذي عاشته هذه الأحداث.. واستعد الركب للرحيل وتقدمت الزوجة نحو الباب وهي ثابتة على صمتها.. وفي عينيها أثر واضح لدمع تغاليه.. وجاءت المريية من خلفها.. والطبيب الذي أجهده عمل اليوم ولقاء بعده مشير.. ساكن في ضيق وصبر.. إذ لم يكن الوقت مناسباً حتى لإعلان الغضب عليه.. وإن أبسط قواعد الرحمة تكفل له الإمهال.. حتى يستعيد من طاقاته ما تبده.. ولكن هكذا كانت الحال عندما عاد..

تقدم الطبيب خطوة إلى مدخل الدار واعترض سبيل زوجته وهي توشك أن تنصرف.. فتوقفت. قال إلى أين؟؟ ولا جواب.. والصغير على كتفها والمريية تحمل الأثقال.. والزوج لا يتحول عن مدخل الدار.. وهذه حال لا يطول الصبر عليها فهبطت الأحمال والأثقال إلى أرض الصالة وتقدمت الزوجة من زوجها قائلة: لا تعترض طريقي.. قال حتى أعرف إلى أين؟ قالت إلى بيت أبي.. وهل لى بيت سواه! قال هذا بيتك وهو أحق بك وبأبنائنا.. قالت كنت واهمة كما أنت واهم الآن.. قال كيف؟ قالت إن ما بيننا قد انتهى.. فعاد يسأل: والأسباب؟ قالت ما من سبب ولا غضب.. ويكفى أن تعلم أنك مجنون.. وأنا لا أعاشر المجانين!!

لم يكن الطبيب قد سمع من زوجته الوديعه المهذبة كلاماً كهذا في أشد الأيام التي مرت بهما.. وبدا له أنها في حالة من الثورة النفسية لا يؤمن معها نقاش أو جدال فلجأ

إلى الحكمة.. وخلقى بينها وبين مدخل الدار.. وقبع فى زاوية من «الكنبة» يرقب التطورات.

انفجرت براكين الغضب الكامن فى أعماق الزوجة وأغراها سكوتة.. قالت: إنك مجنون.. تصبح وتمسى لا تذكر إلا الموت.. وأنه قريب من الآدمى ولا حديث لك إذا خلونا سوى التوصية بولديك.. فكيف أعمل بوصاياك وكيف أقوم على تنشئة ولديك إن كنت تتلف المال بهذه البساطة؟ وهو تدبير ما انقضى من عمرك فى الوظيفة وفى المهنة جميعا.. ثم سكتت تغالب دمعها حتى ملكها الغضب من جديد.. قالت: وإلى من دفعت المال؟ إلى من يحترم أصهارك ويحب ولديك؟ إلى من يؤمن على تربيتهما من بعدك إذا وافاك الأجل صغيراً كما تقول؟ ثم أقبلت على زوجها وجلست فى مواجهته وعلا صوتها وهى تقول: لقد نظرت فى خزانتنا.. فما وجدت إلا حفنة من الدراهم.. وكل ما عندنا من مال للزمن ذهب به أبوك.. فمن أبوك هذا؟ أليس هو الذى طردك من الدار ليلاً.. كما تقول.. وأغرى بك الكنيسة تلاحقك!! أليس هو الذى قاطعك خمس سنوات أو تزيد.. لا يعنى بشيء من أمرك إلا أن يكون شامتاً فيك أو ساخراً منك ومنا نحن الذين آويناك؟

ظلت الزوجة فى غضبتها الجامحة.. والزوج يلوذ بالصمت.. وقد شعر بأن حق الوالد قد كان مرعياً.. ولكن ما بال الحقوق الأخرى!! كانت الزوجة تصب جام غضبها وهو غارق فى تأمل الموقف من جديد.. ويسائل نفسه: ترى هل أصبت فى كل شيء، أم فاتتنى أشياء؟؟!!

لم تجد الزوجة بدا من المضى فيما أعلنته من هجر الدار إلى بيت أبيها.. ولم تجد بدا من السكوت بعد أن أفرغت ما عندها من عبارات اللوم والتسفيه.. لما وقع فيه زوجها من تبيد مال مشترك بينه وبين عياله.. وظل الطبيب يغير حراك.. حتى انصرف الجمع الصغير وهدأت الدار.. فاتجه إلى حجرته الخاصة.. وقد بلغ منه الإجهاد.

زِيَارَةُ الشَّيْخِ:

ومضى يومان.. وفى الصباح الباكر من اليوم الثالث.. إذا بصهره يدخل عليه فى

بشاشة ورضا. ومعه أسرته التي ثارت عليه وقاطعته.. وكانت الزوجة تتجنب النظر إليه وتختصر في رد المقال.. وانسحب النساء والصغار وبقي الشيخ وصهره يتجادبان أطراف الحديث في هدوء يسوده كثير من الوثام.

قال الشيخ: ما عرفت على ابنتي أنها كاذبة.. وإنى لأحمد الله على ذلك حمدا كثيرا.. ولقد قصت على كل ما جرى في هذه الأيام الأخيرة.. وكل الذي وجهته إليك من أقوال كما وصفت تصرفك معها.. ورأت بعد أن سكت عنها الغضب أنها أخطأت.. من الألف إلى الياء..

ضحك الطبيب الشاب.. وقال ما أظنها جرأت على أن تنقل إليك ما أقلت به في وجهي من قصائد المدح والثناء!! قال الشيخ يجوز أنها اقتصرت في هذا الأمر.. حياء مما صنعت ولكن القدر الذي اعترفت به كان كافيا لإدانتها والحكم ببراءتك.. وما بك من حاجة إلى إحصاء المزيد من الحيشيات.. ثم أن الشيخ ترك هذا التبسط في القول ونقل الحديث إلى أمر الموازنة بين واجبات الزوج نحو أسرته الصغيرة الناشئة وما يواجهها من أدوار في الحياة تتطلب الحرص والحذر.. هذا من ناحية.. ومن ناحية أخرى واجباته نحو أهله بوجه عام وأبويه بوجه خاص..

وكأنما كان يمهد لابتداء رأيه فيما وقع على ابنته وولديها من غبن واضح.. ثم استأنف الحديث بعبارة أكثر صراحة.. قال الشيخ: وفي حالتك يا دكتور عبده.. أنت أدري الناس بما حدث.. ثم إن والدك هذا قاطعك سنوات.. ولم يظهر فجأة إلا ليستدر عطفك عليه وهو في محنة تمس البيت كله!! وبأى حق يطلب منك إنقاذ بيته ومستقبل ابنته وقد فرق بينك وبينهم الدين؟! فأنت لا ترث أباك ولا أمك ولا أحدا من قرابتك.. وهم جميعا لا يرثون!!

حُكْمُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

كان الطبيب مطرقا وهو يستمع.. ثم رفع رأسه وهو يجيب على هذا التساؤل.. وقال: بحق الوصية التي فرضها له الملك الديان.. بحق الكتاب الذي آمنت به وجعلته وسيلتي إلى رضا خالقي.. الذي هداني.. أو ليس من كلام الله جل وعلا قوله تعالى:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَنْتُمْ كُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨].. توقف الطيب برهة.. ثم استأنف الحديث وهو يقول: وآيات سورة لقمان.. أليست تزيد التوصية تفصيلا.. ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَيْهِمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ إِلَهِ تَمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَنْتُمْ كُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٤، ١٥].

ساد الصمت برهة وكل من الرجلين يتدبر النص الكريم ويستعيد الوقائع التي مرت تباعا في الأعوام العشرة الماضية.. مذ كان عبده إبراهيم لا يزال بالمرحلة الثانوية وما تلا ذلك من أحداث.. ثم عاد الطيب يقول: هذا القول يتلوه كل مسلم ويؤمن به.. ما في ذلك من ريب.. ولكن حدثني بريك يا شيخ عبد الحميد وأنت رجل علم وتجربة.. أليست ترى معنى أن هذه الآيات تأخذ بناصيتي وبناصية كل عبد هداه الله من بين فئة كبيرة على ضلال؟

ظل الشيخ ساكناً لا يبدىء ولا يعيد.. واستأنف الطيب قوله: لقد جاهداني.. وأشهد الله.. ولعل أبي كان أشد قسوة.. ولكن أمي كانت تراقبني وقهد لمن يراقبني وتغري بي أبي ظنا منها بأن هذه الملاحقة فيها الخير لي.. وقد ربط الله برحمته على قلبي فما أطعتهما.. وضربت بيننا الأيام حجابا من مشاغل الحياة ومن ضيق النفوس بالقييل والقال.. وما أظنني على صواب فيما كان من قطيعة.. لأن الله جل وعلا يقول ﴿وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾ فأى معروف هذا إن كنت أصر على قطع ما بيني وبين أبوي..؟ ثم ارتفع صوته وهو يقول: وأى معروف هذا لو أن أبي عاد من زيارتي دون أن أنقذه.. وبقي المال راكدا في خزانتي؟ أتظن يا شيخ عبد الحميد أن المال هو الذي يصلح من شأن العيال بعد فقد عائلهم؟ أنت تعلم أن الأمر على خلاف ذلك.. وأن الحق هو ما أنبأنا به الرحمن حين قال في سورة الكهف ﴿وكان أبوهما صالحا﴾.

بقي الشيخ ملازما الصمت والإطراق.. وعاد الطيب يقول فيما يشبه الاستفهام: أو

لا ترى معى يا شيخ عبد الحميد أن مجيء أبى إلى دارى بعد أن سمع بمولد محمد.. قد كان من جانبه كركوب أشد الأهوال وأقساها؟؟.. أو لا ترى أن هذا السعى من جانبه.. إلى بيت ولده الذى عرف حقيقة أمره، هو نصر من عند الله لى..؟

إننى لا أنكر أن التصرف الذى صدر عنى قد مس حقوق أبنائى وزوجتى.. ولكن المبادرة كانت قضاء لا فكاك منه.. ومع ذلك سننظر فيما تأتى به المقادير إن شاء الله تعالى.. قال هذا وقد اعتزم فى نفسه أمرا..

قام الشيخ يريد الانصراف.. وإذا بابنته تعترض على ذلك.. وتتشبث به.. فرفع عصاه.. ولكن الزوج أسرع.. وقال ما هكذا يكون الاقناع.. قال الشيخ لابنته: يا هذه.. إنك لا تدرين شيئا، إنك لا تعرفين مع من تعيشين.. فاحمدى الله أن هيا لك ما أنت فيه..

- كان هذا الموقف فاصلا بين عهد لا يخلو من قلق وارتياب وبين عهد ساده الاطمئنان إلى دخيلة الطبيب الشاب وصدق إسلامه وحرصه على اتباع أحكام الدين الحق.. فزاد قربه من الأسرة ومن الناس.. واتجه إلى الخروج من العزلة التى كان يرتاح إليها فى خدمة السجون.. والتحق بوزارة الصحة.. فكان طبيبا لمركز السنبلوين نحو أربعة أعوام، ثم قضى مثلها فى مركز ههيا.. حتى وافاه الأجل فى شهر يونيو سنة ١٩١٨.

- رزق من العقب، بعد من تقدم ذكرهما، باثنين هما محمود وإبراهيم.. وقبيل وفاته رزق بابنته الوحيدة «عليه» قال وهو ينتظر المولود الخامس.. هو على أو هى عليه.

- ومن خصاله رحمه الله.. حرصه على تربية أبنائه بنفسه رغم مشاغله الكثيرة.. فهو يحاسبهم على نشاطهم العلمى يوما بيوم، ويقرئهم القرآن فى يوم الجمعة من كل أسبوع.. ويمتحنهم فيما حفظوه.. وكان يتحدث إليهم باللغة العربية الفصحى فى كل شئونهم.. ما كان منها يتصل بالدراسة وما كان هينا من شئون الحياة اليومية.. ويصلى بهم إماما حين تجب الصلاة وهو بينهم.. وفى مجال الرياضة البدنية وفلاحة البستان الصغير الملحق بالدار.. كان يشرف عليهم ويسهم بمقدار.

- وفى حياته العملية والاجتماعية.. لم يكن له عديد من الأصدقاء.. وإنما كان

يفرض احترامه على الناس بسلوكه.. روى لى من لا أتهم.. قال إن الدكتور عبده وجد إهمالا بالغاً بالشئون الصحية لواحد من المساجد فى قرية تقع فى اختصاصه.. فنبه إلى النتائج الخطرة التى تترتب على تلوث الماء، ومن ثم نقل العدوى، وطلب من العمدة أن ينصح الناس بأن يكون حضورهم للمسجد بعد أن يتطهروا فى بيوتهم.. وبأن يتركوا الدورة حتى يعاد بناؤها كما ينبغى.. ولكن بيوت الفلاحين لا تسعف بشيء من ذلك.. وادراكهم لمعنى العدوى وآثارها لا يدعوهم إلى تأمل نصائح الطبيب وتقديرها.. فما استجابوا لشيء منها.. وظنوا أن الخلاص من تدخله ميسور بطريق أيسر.. وفى تفتيش تال.. كانت الحال أسوأ.. واتصل الطبيب بالمركز تليفونيا وطلب من الإدارة أن تتدخل بالقوة الجبرية لانهاء توصياته.. وكان لابد من مرور وقت كاف لوصول هذه القوة بقيادة المعاون.. وفى هذه الأثناء.. أكد العمدة أنهم يقدرون تعب الطبيب وغيرته وعلمه والتمس منه باسم الأهالى ألا يمضى فى الإجراءات التى بدأها.. وأيد العمدة أقواله والتمس منه بشيء دسه فى جيب الطبيب.. يقول الراوية: لم يحدث مثل ذلك إلا نادراً.. وأن تصرف الرجل فى أمثال هذه المواقف.. له دلالات.. فماذا فعل الدكتور عبده.. والسلطات الإدارية بالطريق.. وكل من المعاون والمأمور يحرص على مودته ولا يتردد فى أحكام الحلقات من حول العمدة ومن شاركه فى فعلته هذه!!

نادى الطبيب شيخ البلد وفريقاً من رجال القرية يرقبون تطور الأحداث وأقبل عليهم فى هدوء.. وقال يا أهل البلد.. اعلّموا أن عمدتكم قد حاول أن يشتري سكوتى عن اهماله الخطير فى حقكم.. بما لا حق لى فيه.. فهو مالكم.. وأنتم به أولى ومسجدكم أحق به إن كنتم لقيمة المساجد واعين.. ولمقدار الخطر المحيق بكم مقدرين.. ألا فاعلموا أننى لا أبغى إلا رضاء الله جل وعلا بالمحافظة على طهارة بيته.. وإنى لأرجو أن تسمحو لى بحكم الصلاة الجامعة التى تربط بين كل مسلم وأخيه المسلم فى هذا المسجد وفى كل مسجد.. أن يكون لى من الثواب نصيب.

ثم التفت الدكتور عبده إلى عمدة البلد.. وقال له: هذا مالك، عفا الله عنك، وهذا قدر ضئيل أسهم به.. ولا أبرح مكانى هذا حتى أرى ما أنتم صانعون.. فإن أصغيتم لصوت العقل فإن أحداً منكم لا يمسه سوء.

قال محدثى: بادر بعض المتحمسين فبسط غطاء رأسه على الأرض.. والقى فيه بكل

ما كان فى جيبه.. وتنافس الغنى والفقير.. وانطلق بعض من شهد الاجتماع إلى دارة ليعود بشيء يقدمه.. وتسامعت القرية بالخبر.. فما بقى من رجل فى القرية لم يلق فى المال المرصود للمسجد بقليل أو كثير.. وإذا بالنفقة التى ظنها المسئولون عن القرية.. مانعة.. إذا بها تجمع فى ساعة أو بعض ساعة.. ووصلت قوة من المركز تسأل عن الواقعة وظروفها.. وفيما كان استدعاؤها.. وتولى طبيب المركز.. (أو مفتش الصحة كما كانوا يقولون) وقرر فى المحضر الرسمى.. أنه أخذ على العمدة تقصيره فى طهارة المسجد.. وإذا أثبت العمدة حسن نيته وأن ما منعه لم يكن إلا العجز المالى للقرية.. فقد عدل الطبيب عن شكواه وأثبت فى المحضر القيمة التى جمعت والهيئة التى اختارها الأهالى من بينهم لتنفيذ التوصيات الصحية.

ولئن كان هذا المثل بالغ التواضع إذا قيس بالقدر الذى جمعته القرية.. إلا أنه كبير القدر بدوافعه وأهدافه.. ثم أنه مثل صالح لسلوك الموظف العام.. إذا كان سليم العقيدة، مراقباً لله تعالى فى أقواله وأفعاله.



كوريا الجنوبية:

١٢- عبد القوي روسينج أوك (بطل رياضي)

عبد القوي روسينج أوك بطل رياضة الكوندو الكوري، مسلم قوي كما يدل على ذلك اسمه، فهو يتمثل الحديث الشريف الذي يقول فيه الرسول ﷺ: «المسلم القوي خير وأحب إلى الله من المسلم الضعيف، وفي كل خير».

وقد يتساءل المرء: هل هناك مسلمون ونشاط إسلامي في كوريا؟ والجواب: بالفعل هناك نشاط إسلامي ناشيء في كوريا الجنوبية. ففي مدينة (سول) العاصمة التي يقدر عدد سكانها بحوالي أربعة ملايين نسمة هناك مسجد كبير في قلب العاصمة، وهناك اتحاد مسلمي كوريا الذي يضم نخبة ممتازة من الشباب المسلم، وهناك مجلة كوريا إسلام هيرالد.

ومن أهم العاملين للإسلام في كوريا شيخ باكستاني مسلم يدعى: (سيد محمد جميل) الذي تجاوز السبعين من العمر، والذي يزور كوريا من حين لآخر فيهدى على يديه مئات الناس هناك.

لَمْ يَكُنْ لَهُ دِينٌ !!

بدأ لقاءنا بالأخ عبد القوي بسؤاله عن رياضة (الكوندو)؟ وهل تشبه (الكاراتيه)؟ فأجاب بقوله: إنها تعتمد اعتماداً كبيراً على (الكاراتيه) ولكنها تستغل كل مفاصل وأعضاء الجسم في الدفاع عن النفس.

ثم سئل عن دينه السابق فأجاب: لم يكن لي دين من قبل، إلا إن الإنسانية في سائر الجهات وفي جميع الأوقات تحس في وجدانها بالحاجة إلى التعلق بسلطان غيبي فوق ما في الكون من قوة ومن أسباب، وإن هذا الشعور قد أوجد عندها نوعاً من التدين المطلق، أي التعبد الفطري لرب تتعلق به في كل ما تحتاج إليه، ولكن قد يجد الإنسان أن هذا الرب تقوم حوله الشكوك، ويجد أن هذا الدين المتبع في مجتمعه لا يهدى إلى

سواء السبيل، وهذا ما لمستته في كل المعتقدات التي تعرفت عليها ما عدا دين الإسلام الخفيف.

الإيمانُ باللهِ فِطْرَةٌ أصيْلَةٌ :

ثم كان السؤال التالي للأخ عبد القوي: هل تعتقد أن فطرة التدين نابعة من حاجات بيولوجية وفسولوجية يتصور معها الإنسان الضعيف أن للكون إلها؟ ثم إذا تقدمت عقليته لم يعد يشعر بمبرر للاعتراف بالألوهية مثلما يردد بعض الملحدون اليوم؟ وما تعليقك على ذلك؟ فأجاب بقوله: لقد ساد هذا الاعتقاد على أثر انتشار نظرية دارون التي تتحدث عن أصل الأنواع ثم ظهرت الفلسفة المادية الإلحادية، ولكن لا يستطيع عاقل أن يصدق ما يقوله الملحدون ويفسرون أصل الكون بأنه نتيجة الخلق الذاتي، وأن الانتخاب الطبيعي هو سبب النشوء والارتقاء، إذ كيف نتصور قيام هذه الحياة بكافة صورها وأشكالها التي تتعدى الحصر في البر والبحر والجو وفي الإنسان والحيوان والنبات والجماد.. كيف يمكن أن تنشأ هذه المخلوقات من تلقاء نفسها؟ هذا منطق مغلوط يأباه العقل السليم وتأباه الفطرة، ولا تردده إلا جهات متآمرة على البشرية وعلى الأديان كلها!!

ويضيف الأخ عبد القوي قائلاً: ليس الخوف من الطبيعة وحده هو الباعث على التدين، لأن الإنسان المعاصر لم يتخل عن فطرة التدين رغم تحرره من الخوف، ولن تحل النظريات العلمية والفلسفية الحديثة مهما بلغت من التقدم محل الإيمان بالله تبارك وتعالى واليوم الآخر، ولا تؤدي وظيفة هذه العقيدة في إصلاح النفوس والمجتمعات وتحقيق الخير للأمم والشعوب.

الطَبِيعَةُ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ :

ولعل من المناسب هنا أن نضيف بأن الفارق الجوهرى بين موقف الإسلام من الطبيعة وموقف العلماء الماديين المعاصرين منها هو أن الإسلام يعتبر الطبيعة صديقاً من أصدقاء الإنسان فهي من مخلوقات الله، وهي تسبِّح الله مع الإنسان، لذلك يأمر الإسلام أتباعه بالتفكير في ملكوت الله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ فلا خوف في الإسلام من الطبيعة، وإنما صداقة ومودة، ورغم ذلك فقد أدى هذا التصور الإسلامى إلى

معرفة الخالق سبحانه وتعالى، أما العلم الحديث القائم على المادية فهو في الحقيقة ثمرة طبيعية من ثمار تلك النظرة المتخلفة إلى الطبيعة والخوف منها، لأن العلم الحديث يعتقد أنه في صراع مع الطبيعة وأن عليه التغلب عليها، ومن هنا كانت هذه النظرة نتيجة خاطئة لمقدمات مغلوطة.

يقول الأخ عبد القوي: لقد أدركت أن الدين يهدي الفرد إلى معرفة الأشياء، ويدلّه على أقوم السبل وأوضحها للوصول إلى خير الدنيا والآخرة، فهو المنطلق الذي يرشد الفطرة الإنسانية لتحقيق الصعود في مجالات الرقي ومعارج التقدم في مختلف أنواع المعرفة والحضارة.

الإيمانُ بالله رُوحُ الحَيَاةِ :

ثم سئل الأخ عبد القوي: ما أثر الإيمان بالله في حياتك؟ فأجاب: إن الحياة بدون الإيمان بالله كالحياة في جزيرة موحشة، والحياة مع الإيمان خروج من ضراوة الظلام إلى حنان النور، ومن غيبوبة الفكر إلى صحوة العقل، لقد كنت كاليتيم الذي لا يجد من يؤويه فأصبحت بالإيمان أشعر بالدفء لانتمائي إلى أسرة تملك كنزاً لا يفنى وأعنى به الإيمان بخالق هذا الكون، الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

ثم كان السؤال التالي :

أنت نجم عالمي تملأ الأضواء حياتك ومع ذلك شعرت بحاجتك إلى الإيمان بالله فما هي الأسباب التي دعتك إلى ذلك؟

يقول الأخ عبد القوي جواباً على السؤال:

رغم كل تلك الأضواء وهذه الشهرة كنت أعيش في فراغ، ولم تستطع تلك الشهرة أن تبعد عني حالات القلق والسأم وشعرت أنه لا بد من شيء يملأ القلب، ويشعرنى أن هناك ما هو أعلى من هذه الحياة وأكثر قدسية منها، وأنقى من الوجود نفسه، فلم أكن أشعر بمتعة النفس مهما نالت من الشهوات، كنت أفكر في دين يملأ قلبي بالحب والإيمان والطمأنينة.

- وهل وجدت ضالتك في الإسلام؟

الإسلام غاية حياتي :

نعم، لقد وجدت في الإسلام ضالتي المنشودة وسعدت به، وشدت رحالي إلى القاهرة بعد اعتناقي الإسلام راغباً في التزود بتعاليم الإسلام وعلومه وفقه الدين والدنيا، لقد قدمت أوراقى لجامعة القاهرة وأخذت أدرس الاقتصاد والعلوم السياسية قسم الدراسات العليا، كما بدأت أتعلم اللغة العربية لا لكى أكون مجيداً لها للتخاطب فحسب، بل أريد أن أدرس القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، حتى أكون داعية للإسلام فى وطنى كوريا.

ثم سئل الأخ عبد القوى عن أثر الإسلام فى حياته؟

فقال: إن الإسلام دين يزرع فى القلب الإيمان بالخالق سبحانه وتعالى، ومتى آمن الإنسان بالخالق تمسك بمبادئ الإيمان التى أمر الله بها، والتى طبقها ونفذها الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام.

الرياضة تربية وإرادة :

وبصفة الأخ عبد القوى بطلاً فى رياضة (الكوندو) وجّه له السؤال التالى:

هل عملت على نشر رياضة الكوندو بين الشباب المسلم؟ فأجاب بقوله:

لقد حرصت منذ أن وصلت إلى القاهرة على زيارة الأندية الرياضية، كما أساهم فعلاً فى تدريب الشباب على هذه الرياضة التى بدأت تنتشر ويتسابق العالم فيها، وهذه الرياضة تنفر من العنف رغم أنها عنيفة لأنها ضد المعتدين، فهى لا تستخدم إلا فى حالات الدفاع عن النفس إذا كان المدافع عن نفسه أعزلاً من السلاح وكان المعتدى مسلحاً.

ولما كان الأخ عبد القوى نحيف الجسم ضامره سئل عن مدى استطاعته القيام بهذه الرياضة الشاقة؟ فقال: أنا لا أغادر غرفتى كل صباح يومياً إلا بعد تدريب نفسى على قوة الإرادة، وطريقة ضبط النفس والتنفس الصحى، وتحريك كل جزء من جسمى وتدريب كل عضلة، وضبط شهوة النفس عند حد معين فى المأكل والمشرب والتصرف الخاص والعام.

بعد ذلك وجهنا للأخ عبد القوي السؤال المثير التالي:

يقال أنك تستطيع مواجهة ثلاثين رجلاً بمفردك، وتستطيع التغلب عليهم بهذه الرياضة فهل هذا صحيح؟ فأجاب بقوله:

نعم، ولكن اعتمادى لا يكون على تلك الحركات بل على العقل الذى تدرب على استغلال نقاط الضعف فى مفاصل الجسم البشرى، وعلى التدريب الشاق المتواصل.

الْأَخْلَاقُ وَالْمَثَلُ الْعُلِيَّا :

ثم سئل الأخ عبد القوي عن وضع الإسلام والمسلمين فى منطقة شرق آسيا فقال: أحب أن أوضح أن أبناء شرق آسيا لم تلوثهم المدنية الحديثة، وقد يتوصل بعضهم إلى درجات عالية من العلم الحديث والتكنولوجيا، ولكن يظل الواحد منهم ثابتاً على معتقداته الدينية، كما يتميز أبناء هذه المنطقة بالحكمة، ويعشقون الخلق الرفيع ويقدرون المثل العليا، ولكى نحظى باحترام هذه الأقسام وحبها ينبغى أن نكون مثلاً طيباً للتمسك بالأخلاق الكريمة، والإسلام يقول: الدين حسن الخلق كما جاء فى معنى الحديث الشريف، فإذا طبق المسلمون ذلك كانوا بحق خير دعاية للإسلام.

تَعْلِيْقُ الْمَوْلَفِ :

وبعد، فهذا الحوار مع الأخ عبد القوي يستدعى التعليق من ناحيتين:

الأولى، أن الإسلام الذى يسعى إلى السمو بروح الإنسان ويقوى صلته بالله وبالدار الآخرة، لا يهمل فى الوقت ذاته جسم هذا الإنسان، والعبادات فى الإسلام أساسها نظافة البدن وطهارته، حتى إن على المسلم أن يتزين عند كل صلاة، ومن هنا وجد الأخ عبد القوي مكاناً مناسباً له فى هذا الدين.

والناحية الثانية، هى أن كوريا الجنوبية بدأ كثير من أبنائها يتجه إلى الإسلام، فهناك مئات العمال الكوريين يعملون فى شركات للمقاولات فى العالم العربى وكثير منهم مسلمون، كما أن هناك مؤلفات عن الإسلام باللغة الكورية، ومن أبرز المسلمين الكوريين الحاج (صبرى سوه)، فهناك بداية نهضة إسلامية فى كوريا تحتاج إلى رعاية والله غالب على أمره.

انجلترا:

١٣- رودا جوردون أمين

هذه قصة امرأة إنجليزية تلقت تعليمها في مدارس الكنيسة الإنجليزية، وكانت تعتقد أن الإسلام دين الوثنيين، وأن الدين المسيحي هو الدين الحق الوحيد. تقول الأخت رودا جوردون أمين في مقابلة لها مع مجلة إسلامية:

فن وأساطير:

ما أصعب أن يكتشف المرء حقيقة دين من الأديان، إنك إذا تلمست البساطة والعدوية اللتين يتحلى بهما تمثال منحوت على البوابة الغربية لكاتدرائية شارتر، أو تتبعت الأقواس الشاهقة فوق صحن كنيسة إميان، فإنك بلا شك تقتبس نفساً من الإلهام الدينى لهؤلاء الفنانين الغوطيين. ولكنك إذا تأملت المعالم الأخرى فلا تملك إلا أن تنفر من الأساطير التي تعبر عنها، والشياطين التي تنتظر المتهورين ذوى الوجوه كوجوه الخنازير من المخلوقات التي هي دون مرتبة البشر، تلك المخلوقات التي تقطن البلاد الشريرة خارج نطاق المسيحية، هذا هو التناقض الهائل في الفن المنحوت بين ما يمثل المسيحية وما يمثل كل ما هو خارجها.

صُبُورَةٌ وَهَمِيَّةٌ عَنِ الْإِسْلَامِ:

وتضيف الأخت رودا قائلة:

صحيح أن الناس في الشرق والغرب قد أصبحوا الآن أكثر تعرفاً على معتقدات ومبادئ بعضهم بعضاً إلى أن ظلال العصور الوسطى لا تزال قابعة في مؤخرة الصور التي نرسمها عن بعضنا البعض، فالفكرة التي يكونها كثير منا نحن الغربيين عن الدين الإسلام بالذات، والتي يفرسها نظامنا التعليمي، لا تزال باطلة خيالية وهمية، وقد ساعدت بعض المؤلفات في الآونة الأخيرة على تبديد الشبهات، إلا أنني أنا شخصياً، وكنت أذهب إلى المدرسة قبل الحرب العالمية الثانية أشهد بما يلي بكل أمانة:

في أيام مراهقتي لم أتلق أي تعليم رسمي في الدين المقارن، بل تعلمت أن الدين

المسيحي هو الدين المقارن، بل تعلمت أن الدين المسيحي هو الدين الحق الوحيد، وأن الكنيسة الإنجليزية - دون سائر الكنائس الأخرى - هي الكنيسة الصحيحة كذلك.

ثم تقول الأخت رودا: وما يبعث على السرور أن هناك في الوقت الحاضر، حركة لتحقيق الوحدة بين شتى الكنائس، كما أن عدداً متزايداً من الأفراد يبحثون عن فهم متبادل بين الأديان الكبرى، فمنذ أشهر قليلة مثلاً، جاء أعضاء أمريكيون في جمعية الأصدقاء إلى هذا الجزء من العالم الذي يسمى الشرق الأوسط بالنسبة لموقعه من الغرب، والذي يجب أن يدعى كما يقول الأستاذ أرنولد توينبي في محاضراته التي ألقاها هنا في الآونة الأخيرة: «المركز»، مركز العالم القديم على الأقل، هؤلاء الأعضاء قدموا إلى البلاد الإسلامية لمقابلة قادة الفكر الإسلامي لإجراء حوار معهم، يهدف إلى تحقيق فهم أفضل بين الأديان.

وكان السؤال التالي للأخت رودا: هل تعتقدين بوحدة الأديان الكبرى في العالم؟

فأجابت بقوله: هناك في الواقع اعتقاد متزايد، أشارك في الإيمان به، بوحدة رسالات الأديان الكبرى، وحدة أخفتها العداوات والشبهات التي أوجدها الإنسان نفسه. وهذا الاعتقاد ليس جديداً، فقد نادى به محمد عبده عندما قال: إن الدين في جوهره واحد، وأن جميع الأنبياء يؤمنون بدين واحد، وأن جمال أي شخص لا يتمثل في الدين الذي يعتنقه رسمياً، بقدر ما يتمثل في كيفية تفسيره وفهمه لهذا الدين، وكيفية تصرفه تجاه ذلك التفسير وهذا الفهم.

لِمَاذَا اخْتَرَّتْ الْإِسْلَامُ؟

ولك أن تسأل لماذا اخترت الإسلام بالذات؟ لِمَ لَمْ أنضم إلى الحركة الإنسانية الجديدة التي ظهرت مؤخراً؟ أو إلى المحاولات العلمانية التي تسعى إلى رؤية عالمية؟ والجواب هو تماماً كما لو فقدتُ عقداً من اللاكئي الحقيقية في تراب غرفة مهمل، فأنا أفضل أن أبحث عنه في هذا التراب، وأسعى جاهدة لإزالة ما علق به وصقله بعناية، بدلاً من أن أندفع لشراء عقد من اللاكئي الصناعية ذات البريق الكاذب، واللاكئي هي الحكمة المتجمعة من خبرة الإنسان وتجاربه الدينية.

ثم توضح الأخت رودا الفارق في نظرها بين الدين والعلم فتقول: إن الدين، والأخلاق

بصورة عامة، لا تتطور بنفس الطريقة التي يتطور بها العلم، صحيح أن العلم يجمع حصيلة الخبرات أيضا في إطار خبراته وطريقته، إلا أنه يمضى قدماً في مراحل واضحة ممكنة من استبعاد ونبذ نظرياته السابقة بشكل صارم متيقن، وقد ظهرت هذه الحقيقة في بعض الأحيان بشكل درامى كما حدث في تطور علم أصل الكون من جهة، وفي علم الفيزياء النووية من جهة أخرى. فنظريات الماضى بالنسبة للعلم ليس لها فى الغالب إلا قيمة تاريخية بحتة.

ثم تقول: صحيح أن الدين قد تطور من المراحل البدائية لعبادة الطبيعة والسحر^(١)، إلا أن تقدمنا فى مجال الأخلاق منذ عهد الأنبياء لا يزال موضع خلاف، فإذا عرّفنا الدين بأنه إدراك للحقائق الأخلاقية، واتباع للحياة الطيبة، فلا يمكن أن نجد أننا فى حالة سعيدة من التقدم المستمر كما هو الحال بالنسبة للعلم، فقد عاشت هذه الحياة الطيبة الخيرة نماذج من العصور السابقة، ويمكننا أن نتعلم منهم كما نتعلم من أفضل معاصرنا، ويدهى أننا فى وضع دقيق الآن بالنسبة لأخلاقنا التى لم تتطور بشكل يوازى قوة أسلحتنا.

وتضيف قائلة، لذلك لا مبرر لنا أن ننبد رسالات الأنبياء مثلما نبذنا جانباً علم أصل الكون عند بطليموس، أو محاولات تفسير الطيف قبل تطور الأجهزة الذرية لقياس ذلك، فالحياة الطيبة أشد صعوبة فى تحقيقها من التقدم العلمى، نستطيع بعلمنا أن نصنع لآلى صناعية مزيفة، ولكننا لا يمكن أن نصنع لآلى الحكمة الحقيقية، لذلك كان من الأفضل لنا أن نجمع الجواهر الحقيقية التى منحنا إياها الأنبياء، وهى الرسالات القيمة للتجارب الدينية المقنعة والرؤية الخلقية والوحي المنزل من السماء.

ثم تقول: وبالإضافة إلى ذلك كله شعرت بحاجة داخلية إلى عقيدة تستند إلى العقل، وقد سعى الإمام محمد عبده إلى توحيد الأديان فى ظل الإسلام، فقال بأن أديان التوحيد الكبرى عبارة عن سلسلة لوحى سماوى مستمر، وهو بذلك أراد أن يعقد صلحاً بين الأديان الكبرى فى العالم، والإسلام يبدو لى بأنه يعبر عن هذه الوحدة، فهو يعلن أن موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام هم جميعاً رسل الله الواحد سبحانه.

(١) الذى تطور فى مراحل هو أديان البشر التى اخترعوها، أما الدين الإلهى الذى جاءت به الرسل فقد بدأ منذ آدم عليه السلام على غاية الكمال.

دينُ العقلِ والفِطْرَةِ:

وهذه بعض الأركان الأساسية في الإسلام وجدتها مقنعة ومنسجمة مع العقل:
١- إن الإسلام يعلن بطريقة لا لبس فيها أن الله واحد لا شريك له، ولا يدع أى مجال لأى تعقيد أو شك فى هذه القضية المهمة.

٢- إن رسالة الإسلام موجهة للناس كافة، وهذه ثمرة من ثمار التوحيد.

٣- إن الإسلام دين التسامح، فمن الواضح أن المسلمين لهم سجل حافل بالتسامح أكثر من اتباع كافة الديانات الأخرى، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر محاكم التفتيش فى أسبانيا، وكيف كان اليهود مضطهدين من قبل النصارى فى العصور الوسطى، ولكنهم فى الوقت ذاته كانوا يتمتعون بحرية العقيدة فى ظل الحكم الإسلامى، ويساهمون فى تطور الحضارة والثقافة. وشاهدنا على ذلك ابن ميمونة اليهودى. ولعمري إن التسامح هو التربة الخصبة لوحدة الإنسانية.

٤- إن الإسلام يخاطب العقل ويدعو إلى طلب العلم، فكثير من آيات القرآن الكريم تدعو إلى النظر فى آيات الله فى الخلق، وهنا نجد وحدة بين العقيدة والمنطق ودمجاً بين النواميس الطبيعية والقوانين الأخلاقية، وهذا يدعونى إلى مناقشة المعجزات.

فتنزيل القرآن بالوحي يُعتبر معجزة تماماً كالوحي السابق الذى نزل على الأنبياء السابقين، كما أن آيات الله فى الكون هى أيضاً معجزات فى الخلق ذاته، وفى رأى أن معجزة الخلق ذاتها هى أعظم المعجزات. لأن من المناسب أن تعتقد أن الله يجرى نواميس الكون حسبما خلقها لا العكس، ونحن فى لحظات الوعى الشديد المتيقظ نحس أن الطبيعة التى ألقناها من حولنا هى من أعظم المعجزات، ابتداءً بأشعة الشمس التى توقظنا فى كل يوم جديد، إلى النملة الصغيرة التى نجدها فى السكر.

ظُرُوفٌ وَمُقَدِّمَاتٌ لِإِسْلَامِي:

ثم تقول: سأذكر الآن بعض الظروف التى ساهمت فى إعدادى وتهيئتى لقبول دين غير معروف من قبل لى، وفى البلد الذى ولدت فيه:

أولاً: ولدت ونشأت فى الصين، وقامت مربية بوزية بالعناية بى، وكانت طيبة كأى

امرأة مسيحية تماماً، وتعلمت لفترة من الزمن بين أطفال من مختلف الجنسيات والأديان.

ثانياً: رغم أن والديّ كانا أعضاء في الكنيسة الاسكتلندية المعمدانية حيث قاما بتعميدي، فلم يكونا متدينين بالمفهوم الضيق للكلمة؛ اعتقد أنهما كانا متدينين بأفضل ما يمكن أن تحمله هذه الكلمة من معان. وقد علماني دوماً أنا وإخوتي أن علينا أن نحترم أديان الآخرين التي تختلف عن ديننا، وأن هناك أناساً طيبين خارج الكنيسة تماماً كما هو موجود داخلها.

ثالثاً: في الجامعة تعلمت شيئاً من الشجاعة الأدبية فتساءلت عن المعتقدات السائدة؟ وأعربت عن شكوكي التي كانت تساورني، بعد أن كنت أخفيها حتى عن نفسي؛ لقد أحببت شخصية المسيح وتعاليمه، إلا أنني لم استرح فكرياً لقصة التضحية التي لم يكن منها بد من جانب الرب من أجل أن ينقذنا، وكثير من الطلاب في الجامعة أعلنوا عدم إيمانهم لأنهم نظروا إلى المسيح كرجل فحسب، رجل يحب قومَه مثل غاندي^(١)، وفي الجامعة أيضاً كان هناك طلاب لهم عقائد أخرى، وكان من بين أصدقائي فتاة باكستانية مسلمة تدعى عقيلة بيرلاس كانت تحدثني عن دينها بأسلوب مقبول تماماً، وفي الجامعة تعرفت علي الإسلام من خلال هذه الفتاة ومن دراستي العلمية أيضاً، وتزوجت رجلاً مسلماً إلا أنني لم أرض أن أسلم لإسلامه، وظللت في حذر وترقب حتى أسلمت عن اقتناع فألفت كتابي «سبع سنوات في الشمس» خصصت جزءاً منه للتحدث عن الإسلام.

وبهذه الطريقة التدريجية كان إسلامي، فاخترت العقل والنور حين اخترت الإسلام.



(١) شتان بين المسيح عيسى بن مريم رسول الله، وبين غاندي الزعيم الهندي الذي كان يدافع عن عبادة الهندوس للبقرة، وكلاهما بشر خلقه الله.

١٤ - عثمانُ عبْد الله

(بريشا بنكمرت سابقاً)

بريشا بنكمرت من رجال التربية والتعليم بمملكة تايلاند. نشأ في أسرة بوذية يتمسك أفرادها بتعاليم وفلسفة بوذا، ويحرصون على الانخراط في سلك الرهبنة لفترات معينة من حياتهم، ورغم تفاني هذه الأسرة في الأخذ بمبادئ بوذا وفلسفته التي لم يتبق منها غير الأساطير والخرافات - وهذا هو شأن الوثنية في جميع مراحلها وأطوارها - لم يطمئن بريشا إلى هذه الديانة، ولم يأبه بالضجة التي يثيرها الرهبان في بيت والده، من أن باستطاعتهم كشف عالم الروح وما فيه من خوارق، وأنهم بفضل هذا الاتصال يستطيعون الإتيان بالعجائب من شفاء المرضى وتأليف القلوب، وإطفاء نار الكراهية بين المتباغضين، وجلب الرزق، وجمع الحبيب بحبيبه. وهي أمور يعجز عنها، في زعمهم، رجال الدين في أية ملة أخرى.

لم يصدق بريشا كل ذلك، وطالما وجه الأسئلة إلى والده وإلى الرهبان من حوله لمعرفة أصول ديانته، ودورها في الحياة. فكان جوابهم الدائم له: إذا أردت المعرفة فانخرط في سلك الرهبنة.

الرَّهْبَانِيَّةُ الْمَتَمَوِّتَةُ:

ولكن بريشا الشاب لم يكن يرتاح لهذا الجواب، إذ لم تكن لديه الرغبة في أن يصبح راهباً ولو لفترة وجيزة، فهو يكره أن يصير كهولاً الكسالى العاطلين الذين يعيشون على هامش الحياة، لا همّ لهم إلا حمل الأواني الفخارية، والخروج بها من معابدهم كل يوم قبل شروق الشمس ثم الوقوف على جانبي الطريق يتلمسون الهبات من الشيوخ والمسنين والنساء الذين يملأونها بالأرز المسلوق والسّمك المجفف.

والشيء الذي هباً للشباب بريشا الابتعاد عن ديانته أكثر من ذلك وفاة والده، الذي

فقد الرهبان بموته محسناً كريماً. وانقطعت صلتهم بأهل البيت عندما أكمل بريشا دراسته، واستلم وظيفة بإحدى المدن البعيدة عن ولايته. وكان له إخوة صغار زغب يرعاهم وينفق عليهم.

وهكذا أدى العبء الثقيل الملقى على عاتق بريشا ومسئوليته نحو أسرته إلى ابتعاده عن المجتمعات، وقضائه وقت فراغه في البيت مع إخوته يناقشهم فيما درسوه ويشرح لهم ما صعب عليهم من الدروس والمسائل.. في تلك الآونة كان يخلو أحياناً إلى نفسه فيتأمل هذا الكون الفسيح، وما فيه من نظام بديع وجمال متسق. فلا يملك أن يتساءل: أحقاً أن الطبيعة كما يقولون أوجدت نفسها بالصدفة؟!!

دين البشرية:

ومن هنا حبت إليه دراسة الأديان، والبحث عن الدين الذي يجدر أن يكون «دين البشرية ودين الحياة» كما يصفه.

ويتحدث بريشا في مقال نشرته له مجلة الرابطة الإسلامية التي تصدر في بانكوك باللغة التايلاندية فيقول:

«لقد ظلمت أبحث عن الدين الذي يصح أن نقول بحق إنه دين البشرية، وأحمد الله إذ أنار لي طريق الهدى فرأيت الحق، وانشرح صدري للإسلام».

وفي ٢٤ يناير ١٩٧١م أعلنت إسلامي وغيرت اسمي من بريشا بنكمرت إلى عثمان عبد الله.

موقف البوذيين:

وما أن علم البوزيون بإسلامي حتى أقبلت جموعهم إلى بيتي وأخذوا يتساءلون بنوع من التهكم والسخرية:

كيف يكون الإسلام خيراً من دينك ودين آبائك...؟! ألا ترى المسلمين هنا، وما هم عليه من فرقة وتخلف وجهل؟! ماذا رأيت من فضيلة في الإسلام حتى دعيتك نفسك لاعتناقه؟! ألا يكفيك مظهر المسلمين في بلادنا؟

فكان جوابى لكل هذه التساؤلات:

لا تعجلوا على يا قوم، فالإسلام دين السلام والمساواة والحرية، والأخاء والكرامة والعزة. يظهر ذلك جلياً فى أحكامه ومبادئه وآدابه. فالصوم فى الإسلام ليس كالصوم فى الأديان الأخرى، لأن مشكلة الإنسان ليست فى أن يكبت مطالب جسده، وأن يتغلب عليها حتى تكون أقرب إلى العدم منها إلى الوجود. فهذا أمر ممكن بالمران والتعود ومستطاع، فشهوة الجنس مثلاً يمكن استثصالها باستئصال المذاكير، وشهوة الطعام والشراب بالحرمان، مثلما يفعل الرهبان حتى يصير جسد الواحد منهم أشبه بهيكل عظمى متحرك، ولكنهم مع ذلك لم يتركوا بذلك أى أثر لهم فى الحياة كبشر درجوا على وجه هذه البسيطة وعمروا ما أمكنهم عمرانه فيها، بل انصرفوا عن ذلك فى عجز وحسرة.

دينُ الفِطْرَةِ:

لذلك فالإسلام، الذى هو دين الفطرة، لم يرض للمؤمنين به هذا السلوك السلبى الانعزالى، ولم يشرعه لهم. بل عدل مطالب الجسد وهذبها، ولم يكبتها.. ونفى الغريزة وعلاها ولم يستأصلها ورسم الطريق السوى للسير بها نحو الكمال.

فالصوم فى الإسلام تعويد للنفس على الصبر والجهاد ضد الشهوات الآثمة المحرمة، ومراقبة الله فى السر والعلن؛ واستشعار لطعم الحرمان والجوع كى يعطف الصائم على المحرومين. كما أن فى الصوم فرصة لإعطاء الجسم راحة من التخمة. فالصوم مفيد للشخص فى صحته وروحه وعقله، وللمجتمع فى تقاربه وتعاونه واتحاده. كما أن الصوم فى الإسلام يعود الإنسان على عدم الإسراف أو التطلع لما فى يد الغير لأنه قد تعود أن يستغنى بما فى جسمه سحابة النهار كله، وتدريب على الاكتفاء بما لديه شهراً كاملاً. وهذا ضرب من محاربة الجشع والإسراف وخلق لروح جديدة من الاكتفاء الذاتى وهو مبدأ اقتصادى عام.

وجملة القول إن الصوم فى الإسلام ليس حرماناً من تناول الحلال الطيب مأكولاً أو مشروباً، ولا انهماكاً فى تناوله بلا حساب. فكلا الطرفين دميم. وخيرهما ما هو وسط.

أما الزكاة.. فلم أجد ديناً وضع لها تشريعاً شاملاً كالإسلام، والمجتمع الإسلامي الذي يحرص على إخراج الزكاة يخلو من الفقر والحرمان والتشرد، ولا يشعر اليتامى فيه ولا الأرمال بضيق العيش أو نكد الحياة.

إنني أتصور لو أن العالم كله اهتدى إلى الإسلام لما بقى على ظهر الأرض جائع أو محروم أو شقى. والمجتمع المسلم الذي يلتزم بأحكام الإسلام وأدابه مجتمع نظيف سعيد تنعدم فيه الجرائم بكافة ألوانها. ورغم الصعوبات التي تعترض طريقي والمضايقات التي ألقاها فإنني أتجمل بالصبر ولا أتهرب من مواجهة من يلقاني لعلمي أن الهداية الربانية جلت قلبى، وأن واجبى الصمود فى وجه الأعاصير ليتسنى لى القدرة على خوض ميدان الدعوة إلى الإسلام بروح من الحب والعزم والسلام والرحمة، ولكى أستطيع بذل الجهد الممكن فى الدعوة إلى الإسلام... ذلك الدين الذى اقتضت العناية الإلهية أن يكون الدين العام الخالد للبشرية بمختلف ألوانها وأجناسها ولغاتهما حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

نشرت قصة إسلام الأخ عثمان فى العدد ٣٤ من مجلة «الرابطة الإسلامية» الصادر فى بانكوك - تايلاند بتاريخ فبراير ١٩٧١م

فهرس الجزء الأول

الموضوع	الصفحة
تقديم المؤلف	٥
تقديم المراجع	٦
بين يدي هذا الكتاب	١٢
١- محمد صديق (مسلم ألماني)	١٥
٢- عائشة برجت هوني	١٩
٣- هدى (قصة من بلجيكا)	٢٥
٤- ركس انجرام (مخرج من هوليد)	٤٣
٥- مريم جميلة (مارجريت ماركوس سابقًا)	٤٦
٦- يعقوب ريموند	٥٩
٧- استريد هيرما سمارت	٦١
٨- بشير أحمد عبد الرحمن باتيل	٦٥
٩- إبراهيم نياس نواجي	٧٠
١٠- عبد الرحمن باركر	٧٣
١١- الدكتور عبده إبراهيم	٧٥
١٢- عبد القوى روسينج أوك (بطل رياضي)	١١٥
١٣- رودا جورردون أمين	١٢٠
١٤- بريشا بنكمرت	١٢٥

• هذا الكتاب •

الإسلام دين الله إلى جميع خلقه وهو فطرة الله التي فطر الناس عليها والإنسان خلق من روح وجسد وقد طغت اليوم الماديات على الروحانيات فأصابت البشرية بأمراض اليأس والمعجز واضطرابات نفسية شتى.

وقد جاء هذا الكتاب يروي قصصاً واقعية عن رجال ونساء أسلموا.. فقد ولدوا بعيداً عن ديار الإسلام بل ونشأوا في مجتمعات تتعصب ضد الإسلام وتشوهه إلا أنهم لفضلوا المادية الزائفة وصدقوا مع أنفسهم فتفجرت من صدورهم ينابيع الهداية إلى الدين الحق فأسلموا بعد إيمان ودراسة واقتناع وهذا الكتاب موجه إلى المسلمين في المقام الأول الذين وجدوا الإسلام والعربية بين أيديهم أمراً هيناً سهلاً ففرضوا فيه . فعند مطالعة قصص هؤلاء الذين أسلموا نرى كم العناء والجهد الذي بذلوه ليصلوا إلى الإسلام.

وهذه كلمات جاءت على لسان فتاة إنجليزية أسلمت : "يعيش العالم الغربي اليوم في ظلام دامس وليس هناك أي بصيص أمل في قيام الحضارة الغربية بتوفير سبيل لتخليص الروح والنفوس .. والإنسجام اللطيف في الإسلام بين مستلزمات الجسد ومتطلبات الروح يمكن أن يمارس تأثيراً قوياً في أيامنا هذه ويوسعه أن يبين للحضارة الغربية السبيل المؤدى للفلاح والخلاص الحقيقيين".

مهسس

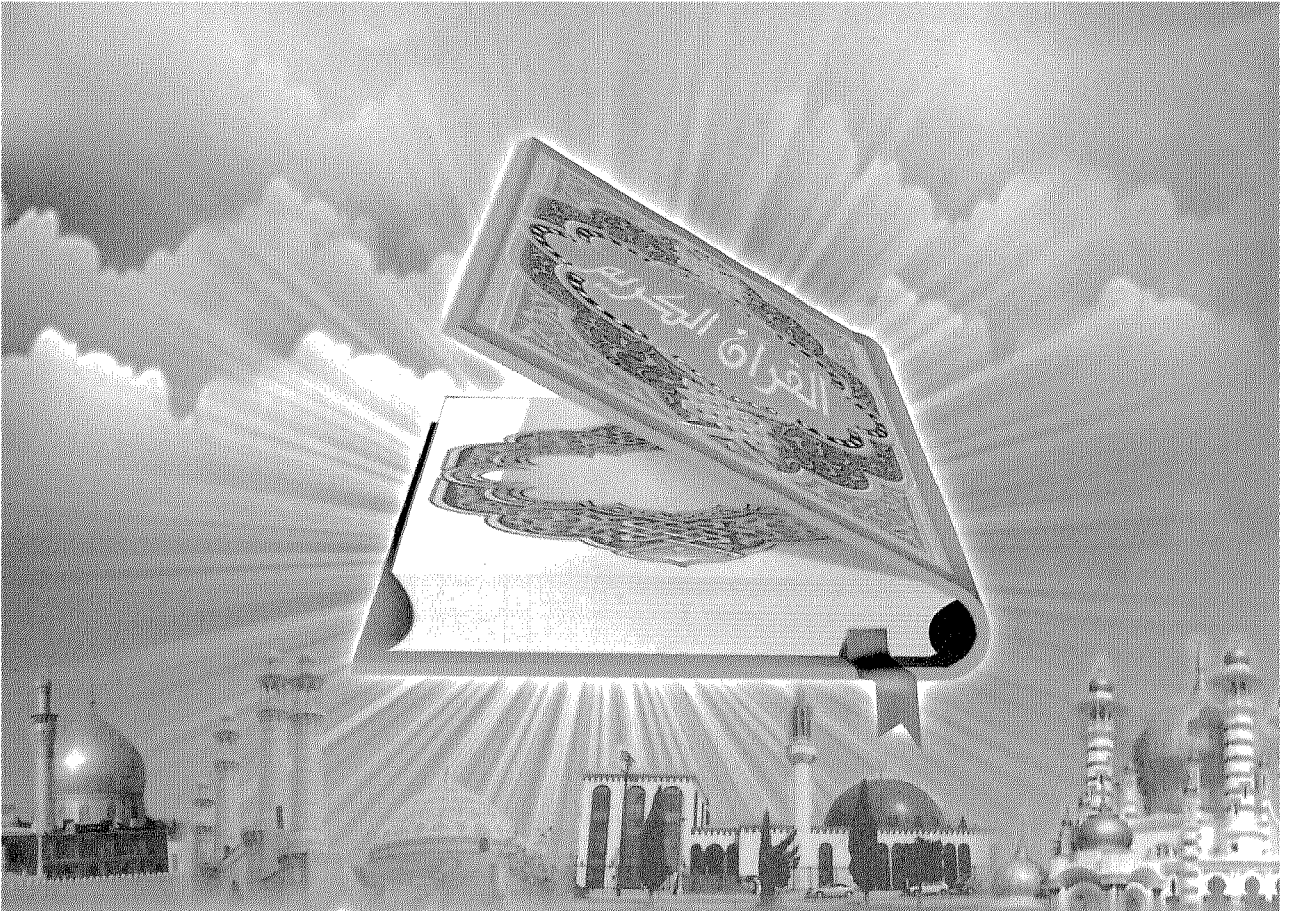
عبد الرحمن محمد يحيى

Bibliotheca Alexandrina



0353398





رَحَائِلُ وَتَسَائِلُ اسْتِوَارِ

مُرَاجَعَةٌ وَتَعْلِيقٌ
الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد
الأستاذ بجامعة الأزهر وأم القرى سابقاً

إعداد وترجمة
الدكتور عرفات كامل عسّي

المكتبة المصرية الحديثة

رجال ونساء أسلموا ..

أكثر من مائة شخصية - على حلقات

ترقبوا ..

شخصيات المائة الثالثة

- | | |
|---------------------------|------------------------------|
| ✽ ميخائيل هيمز | ✽ ك.ل. جاويا |
| ✽ عمر أمين شوارك | ✽ أحمد زيتوني |
| ✽ فرانسيس سترين | ✽ فاطمة سي لامير |
| ✽ الحاج إبراهيم خليل أحمد | ✽ توماس محمد كلايتون |
| ✽ قمر الدين عبد الله | ✽ عبد العزيز كانجولي |
| ✽ جميلة قرار | ✽ عبد الله بنيامين |
| ✽ خليل شاه | ✽ كريم عبد الجبار |
| ✽ زيتب تورا | ✽ خالد. س. برونديش |
| ✽ على يول | ✽ الحاج أحمد بن عبد الله |
| ✽ دونالد. س. روكويل | ✽ محمد ظاهر |
| ✽ السيد إحسان شاه | ✽ الدكتور م. ح. دوراني |
| ✽ الحاج ولي محمد | ✽ الدكتور شوقي هوتاكي |
| ✽ السيدة ماري أوليفر | ✽ (مالكولم إكس) أو مالك شياز |

مقدمة للصفحات التالية

بقلم د. عيسى عبده (*)

الحمد لله القائل في محكم آياته ﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٠] ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله المبعوث رحمة للعالمين ،

أما بعد: فقد طلب المؤلف أن أكتب كلمة بين يدي هذه الصفحات التالية من المادة التى يجمعها .. عن رجال ونساء أسلموا.. فبادرت إلى الصفحات الأولى أستزيد من إمعان النظر فيها ، وقد كنت قرأتها حال ظهورها .. ثم عكفت على مادة هذه الصفحات التالية التى يجدها القارئ بين يديه .. وكان غرضى من الرجوع إلى أول السلسلة أن أصحب المؤلف الفاضل فى خطواته الريبية من جديد ، لعلى أجد فى هذا المنهج مزيدا من القربى إلى هذه الجماعة الصالحة التى رضى الله عنها فتمسكت بحبله المتين، بعد أن كاد كل فرد منها أن « تهوى به الريح فى مكان سحيق» .

طبيعى أن أحدثك هنا عن هذه القصص التالية دون غيرها ، ولكن أمراً مهما دعانى إلى ذكر ما تقدم بيانه.. وذلك أنى رجوت المؤلف الفاضل أن يحرص فى الطبعة الثانية للسلسلة من أولها ، إن شاء الله تعالى ، على أن يتبع كل بيان أو تقرير قصة عن هؤلاء الذين أسلموا .. بتعقيب يبسط الموجز ، حيثما ينبغى الشرح والإطناب .. ويرجع بالسلوك أو بالرأى الذى يبديه من اعتنق الاسلام ، إلى أصل ثابت فى الكتاب والسنة أو اجتهاد سليم يلقى على الأصول الثابتة بيانا يزيدنا وضوحا فى هذا الزمان المتأخر.. وقد عرف كل غيور على دين الله ، أن انصراف الأمة عنه قد أقام حجبا من الظلمة بين النفوس اللاهية وبين هذه البصائر الخالدة ..

وإذ دعوت صاحب السلسلة إلى الأخذ بهذا المنهج .. فقد كان لزاما أن أضرب

(*) انظر قصة إسلام والده، وسبب تسمية الابن باسم (عيسى) فى القصة رقم (١١) سابقاً

الأمثال فى تقديمى هذا .. أما التعقيب الوافى فىئى أدعو الله أن يجعله ميسرا للمؤلف بعد أن يصل بالجمع والترتيب إلى مرحلة مناسبة .. فلن يتوقف الدخول فى دين الله طواعية واختيارا .. ولن تنفذ مادة هذا القصص الراشد إن شاء الله رب العالمين .

وبعد فقد نظرت فى أصول الكتاب مليا .. واستمعت لكل راوية وهو يعرض الدوافع التى حملته على اعتناق الإسلام .. وأفدت من ذلك دروسا يهمنى أن أضعها بين يدى القارئ .. لأنها وثيقة الصلة بما نلمحه من يقظة فى مفتح هذا القرن الخامس عشر من تاريخ الإسلام .

ومن هذه الدروس ما يتصل بالجهود الجماعية للمسلمين .. كاختيار الأساليب المقبولة عند الأوروبي والأمريكى وغيرهما ، فى زمننا هذا .. وخطورة الفرقة القائمة بين المسلمين والعزلة التى يعيش فيها من اعتنق الإسلام ويقى فى بيئة أصبحت غريبة عليه .. كما أصبح هو غريبا فيها ، بعد أن عاش فى ظلها طويلا .. هذا من ناحية .. ومن ناحية أخرى تجدد دروسا أقرب إلى تركيز عقيدة الفرد وتهذيب سلوكه وتدعيم روابط الأسرة .. وليس عجيبا أن ينتبه الباحث فى الإسلام عن اقتناع ، إلى أمر لا ينتبه إليه المسلم بالميراث وبالتقليد .. وإذ نعرض لأهم القصص تباعا سنرى بوضوح ما فى تفكير كل واحد من هؤلاء المهتمين من اتزان ، وما فى سلوكهم من رشاد يرتضيه العبد الصالح لنفسه .. ثم نختم القول بما يصح اعتباره توصية للأمة الاسلامية مجتمعة حال مواجهتها لتيارات الإلحاد الجارفة وحال قيامها بالواجب نحو الداخلين تباعا فى دين الله .



جاء ذكر السيدة (فاطمة هيرين) فى رأس القائمة التى بلغت أربع عشرة حالة .. (١) والسيدة فاطمة ألمانية حباها الله بنفس واعية .. إذ بدأت تنظر ما حولها وهى لاتزال بين العاشرة والعشرين .. وبعد ذلك بقليل اعتنقت الإسلام .. وفى قصتها أمر جد خطير .. ذلك أنها كرهت رجال الكنيسة لسبب يصعب على الفتاة الغربية أن تتحمس

(١) يقصد الدكتور عيسى عبده الحالات التى تناولها بالتعليق حسب تقسيم حلقات الكتاب فى الطبعة القديمة.

له وهى فى سن الشباب الجامح، وفى بيئة غرقت فى الرذيلة تحت ستار يقال له النضج والواقعية .. قالت السيدة فاطمة بإنها فزعت من مسلك رجال الدين ووصفت الكنيسة من أجل ذلك بأنها « متهاونة مساومة » ونسبت إليها أنها تتنكر لمبادئها وتعاليمها من أجل الإبقاء على سلطانها، وما يكفله من أجر ومن مركز فى المجتمع الذى تعيش فيه.

ونريد أن نقف عند هذه الجزئية وحدها دون التعرض لأحداث القصة .. فهى فى مكانها من هذا الكتاب .. قالت السيدة فاطمة إن المجتمع الغربى هوى إلى الحضيض حين سلم بأن الزواج (من الناحية الواقعية) لا يكون ناجحاً إلا بعد التجربة ، حتى يطمئن كل من الزوجين إلى وجود قدر كاف من الانسجام فى الاتصال الجنسى .. وإلا فإن التجربة تفشل وتنتقل الأجساد من ابتذال إلى ابتذال .. وإلى هنا لاتريد السيدة الفاضلة أن تقف طويلاً .. بل تخطت هذا كله إلى موقف الكنيسة .. فهى (من الناحية النظرية) تدعو إلى العفة وطهارة النفوس والأبدان .. ولكن بحسب كل من الفاعل والفاعلة أن يعترف بالخطيئة للقس حتى يقيم للمعترف صلاة أو صلاتين .. وبهذا يكون خلاص النفس مما وقعت فيه من الإثم .. ويستعيد البدن طهارته بما تردى فيه من فوضى البهيمية!!

لم تقتنع السيدة فاطمة بما تدعيه الكنيسة من قدرة على الغفران، ودمغتها بأن سلوكها هذا له دوافع من المصلحة الخاصة .. للإبقاء على سلطان هذا الهيكل الجاثم فوق مجتمع يظن أنه يتبع ديناً سماوياً .. فكرهت هذا الأمر وقالت بأنها فقدت إيمانها بالكنيسة وخاب رجاؤها .. بعد أن ظنت أنها المنقذ من ضلالة الإلحاد وقد فرضت عليها تعاليم منذ أن كانت فى الحادية عشرة من عمرها (سنة ١٩٤٥) وقد احتلت القوات الروسية شرق المانيا .. فلا الإلحاد أرضاها ولا الكنيسة ارتفعت إلى المستوى الذى ظنته للقائمين على رسالات السماء .. وكان لقاؤها مع رجل ألماني اعتنق الإسلام ، وهى فى الثالثة والعشرين ، خاتمة المطاف فى مراحل البحث ، كما كان هذا اللقاء أول الطريق إلى الدين الحق .. وهذا كله مبسوط بين يديك فى موضعه .. ولكننا هنا سنقف عند أمر لم تعرض له السيدة ، وفيه أصل هذا الفساد الذى غرق فيه أدياء المقدره على محو

السيئات وتبرئة ساحة المرتكبين لأكبر الكبائر.. وذلك أن إقامة الصلاة لمحو الخطيئة لها أصل لا ينتسب إلى النصرانية بسبب على الإطلاق.. ونريد هنا بالنصرانية .. التعاليم الصحيحة التي جاء بها السيد المسيح وعرفناها من القرآن الكريم ..

أما هذه الإضافات التي جاء بها تجار صكوك الغفران وصلوات البراءة من الخطيئة.. فهي من النصرانية الرومية التي ابتدعها المحترفون للهداية بوصفها مهنة، وكل ذلك من وقت مبكر .. منذ أن وصل بعض أتباع السيد المسيح إلى روما بعد رفعه إلى السماء . هنالك دعا هؤلاء الأتباع أهل روما إلى اعتناق النصرانية .. فما تنصر الروم ولكن النصرى تروموا(١) ومنذ ذلك العهد .. ودين الأمم الغربية لا ينتمى إلى المسيح .. بل هو نصرانية رومية .. وفيها فرق ومذاهب وكنائس وأناجيل إلى آخر ما هو مشهور عند الباحثين .

ولكن الذى يعنينا فى موقف السيدة فاطمة التى حكمت بفطرتها السليمة .. بما حكمت به على الكنيسة .. أن التقاليد المتبعة عند العابدين والعبادات ، الزاهدين فى الدنيا الواهيين أنفسهم للمخلص .. هى الأصل فى هذا الفسق الشامل الذى تردت فيه أمم كثيرة فى الغرب وفى الشرق .. يقول القاضى عبد الجبار ما يلى بالنص : «ومثل صنيع بولص مع الروم فى مساعدتهم على دينهم ومفارقة دين المسيح ، صنع (مانى) القس ، وهو رئيس المثانينة» ثم يقول فى موضع تال :«وكان يكتب من مانى عبد اليسوع .. كما كان بولص يكتب ، وكان يتشبه به ويقفو أثره » ثم يقول أيضا : «ومن سيرتهم أن النساء الديرانيات العابدات ومن انقطع إلى البيع والعبادة .. يظفن على العزاب والرهبان ويخرجن إلى الحصون التى فيها الرجال العزاب .. يبحن لهم أنفسهن ابتغاء وجه الله والآخرة والرحمة بالعزاب ، ومن فعل هذا منهن كان عندهم مشكورا محمودا على هذا الفعل ويدعى له ، ويقال لها : لاينسى لك المسيح هذه الرأفة والرحمة»(٢) ؟

(١) هذه العبارة مستفادة من كتاب تثبيت دلائل النبوة للقاضى عبد الجبار بن أحمد الهمزاني (المتوفى سنة ٤١٥هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان (الجزء الأول).

(٢) المرجع السابق من صفحة ١٦٩ إلى صفحة ١٧١.

انتشر هذا الفساد فى روما وما حولها كما انتشر فى الشرق الأوسط إلى بلاد
الفرس.. على تفصيل يجده الباحث فى مظانه.. ولقد افتن كل من العابدين والعبادات..
حتى قادمهم الشيطان إلى الربط بين عقيدة التثليث وبين هذا التمدل إلى أسفل
سافلين.. وذلك أن بعض العمالقة الشرهين من العابدين كان يختص نفسه بثلاث من
العبادات.. ويوهمهن بأن هذا الارتباط الجنسى الثلاثى هو من قبيل تجسيد العقيدة فى
فعل ملموس.. وأن البركة مضاعفة والثواب أعظم!!

كتب باحث بريطانى طرفا من المخازى التى تكشف عند إعادة تخطيط بعض المواقع
فى أوروبا فى أول العهد بالثورة الصناعية.. وظهرت رواسب هذا النشاط الجنسى فى
قلب أوروبا^(١) ومن ذلك فى فرنسا لعهد نابليون حين وجد المنقبون - عن غير قصد -
عظام الأطفال الذين كانوا يوءدون حال الولادة فى الأديرة.. إذ الأمهات مشغولات
بالعبادة.. والآباء لا يعينهم من أمر الاتصال الجنسى إلا فعل البهائم.. ثم إن القضية
كلها محفوفة بسر من أسرار البركات.. التى قصد بها وجه الله والآخرة على نحو ما
تقدم ذكره.. فلا عجب أن جاء القرن التاسع عشر.. وفيه اندفاع إلى تشغيل الجنسين
وإلى مزيد من الاختلاط.. لاجب أن أفلت الزمام حتى عم اليأس.. وسلمت الكنيسة
بما سلمت به مستندة إلى التقاليد الثابتة وراضخة للأمر الواقع.. وإلا فإن الكنيسة التى
لا تمنح البراءة من الذنب.. أو التى تعجز عن محو الخطيئة بعد ممارسة الاتصال الجنسى
.. هذه الكنيسة العاجزة تفقد علة وجودها ومن ثم يفقد رجالها أرزاقهم.. والحق أن
دعوى الدخول فى التجارب العملية بقصد ضمان الانسجام.. ليست أسوأ من دعوى
الرحمة وابتغاء وجه الله والآخرة فيما عمد إليه العابدون والعبادات من القرون الأولى
للنصرانية الرومية.. !!

وإنما قصدت بهذا التعقيب الوجيز على عبارة واحدة من كلام السيدة فاطمة هيرين..
أن أنبه الشباب المسلم إلى خطورة التقدمية التى يريدونها صورة من مجتمعات الكفار..
كما قصدت إلى نفي هذا الفساد عن رسالة السيد المسيح.. وما كانت هذه الرذائل

(١) راجع كتاب «الطلاق» لمؤلفه كيتشن "Divorce by Kitchen".

المدسوسة على دين سماوى .. إلا « رومية فى نشأتها وفرقتها .. وفى كنائسها .. وإذ يرتد كل هذا الفساد إلى أصله الرومى فإن منطق الأحداث يكون مفهوماً » .

وعلى الرغم من هذه الإطالة فى الكلام عن القصة الأولى بقى أمر جدير بالذكر.. ذلك أن الزوجين (فاطمة وزوجها) وجدا أن المعيشة فى وطنهما تفرض عليهما بعض التنازلات والمضايقات.. وهذا قول مهم ينبهنا إلى أخطار يتعرض لها الشباب المسلم إذ يغترب ويعيش فى أوساط لا تؤمن بالدين الحق .. كما كانت معيشة هذين الزوجين شاقة فى بلدهما (ألمانيا) ولذلك هاجرا إلى الباكستان ..



وعند القصة التالية .. للسيد حسين رؤوف .. سيقف القارئ مرة بعد أخرى ليرى كيف يكون البحث الجاد من أجل التمييز بين الجواهر الأصيل وبين الزيف الكاذب.. لقد درس بعض المذاهب النصرانية ودرس الفلسفات والبوذية وغير ذلك.. وترك الإسلام جانباً على الرغم من أنه عاش فى الشرق وخالط العرب والمسلمين .. ثم يثير من عنده هذا التساؤل..لأنه يعلم أن القارئ يريد عنه جواباً: كيف درس الكثير من الملل والنحل وترك الإسلام حتى جاء اهتمامه به مصادفة؟.. قال السيد حسين رؤوف بأنه اكتفى فى أول الأمر بنظرة عابرة إلى الإسلام.. ثم تركه جانباً.. وقال بأن السبب هو أنه قرأ القرآن بقلم الكاتب رودويل RODWELL!! وترك القارئ ليفهم ما يشاء ..وهذه مقالة حق نطق بها السيد حسين رؤوف أثابه الله ..

إن القرآن الكريم قد امتدت إليه أيدي العابثين الأدعياء ونقلوه أو ترجموه نصاً كما يزعمون.. أو نقلوا معانيه كما يدعى المرجفون.. ومن نتاج عصرنا هذا قول جديد.. قال قائل منهم إننا نترجم التفسير ولا نترجم القرآن.. واشترط بعض الناس أن يبلغ التفسير ثلاثة أمثال النص حتى تكون الترجمة جائزة!! ولقد بلغت التراجم ما يزيد على مائتين بعشرات اللغات.. وهى فى الإنجليزية وحدها تزيد على خمسين.. وما رأيت جرأة على كتاب الله كهذه الجرأة.. يستوى فى ذلك أن يكون النقل عن النص العربى أو عن ترجمة سابقة إلى لغة أخرى.. ويستوى فى ذلك أن يكون النقل بالنص أو بالمعنى وأن يكون

الناقل كافرا أو غير كافر.. فهذا كله اعتداء على كلام الله وحجب لما فيه من صور الإعجاز وما تفرد به من الحق.. ولا يتسع المجال لأكثر من هذه الإشارة.. إن هي إلا تحية إلى أخ في الله.. اعتنق الإسلام حديثا ويصارحنا بأنه ما أبطأ به السعى إلى الدين الحق إلا أنه قرأ كتاب رودويل..

وسيجد القارئ في قصة تالية ، أن السيد «وليم بيرشيل بشير بيكار» قد تأثر بترجمة فرنسية .. وجهته إلى مزيد من البحث .. ومثل هذه الحالات لاتنقض الذي قرره السيد حسين رؤوف .. بل تؤيده .. فلو أن المسلمين عرضوا تعاليم الاسلام وأحكامه ونظمه وآدابه وتاريخه بكل لغة مقروءة .. لأفادوا الباحثين عن الهداية وقربوا إليهم من المفاهيم ما يحجب إليهم الاستماع إلى كلام الله جل شأنه ، ومن ثم يكون انتشار لغة القرآن .. وفي هذا تفصيل تحدث فيه السلف الصالح ومنهم الإمام الشافعي .. رضى الله عنه .. فلينظر إذن قارئ هذه الفصول إلى مثل هذه المواقف التي يمر بها الدارسون للأديان طلبا للهداية .



ثم تتابع نظرات هؤلاء المهتمين .. ولكل منهم نظرة فاحصة ، وفيها خير كثير .. يقول اللورد هيدلي - الذي اعتنق الاسلام وهو في الثامنة والخمسين من العمر - بأن النصراني مطالب بأن يفكر بعقيدة التثليث.. هذا إن أراد الخلاص .. فإن ناقش في ذلك فهو مهدد باللعنة الأبدية .. ولقد فطن اللورد هيدلي إلى ضعف هذا القول الذي يستند للتهديد وحده ويتساءل عن هذا الإله الذي يهتز في وجوده أو في حقيقته لمجرد إنكار مبدأ التثليث؟ ولذلك ينتقم ممن يناقشه مجرد مناقشة .. ومن أهم أقواله إن جمًّا غفيراً من الناس قد أسلموا لله في أعماق نفوسهم، ولكنهم يخافون الجهر بما اهتمدوا إليه.. وفي مثل هذا المعنى يقول أحمد شوقي:

«إن الشجاعة في القلوب كثيرة

ورأيت شجعان العقول قليلا»



ومن خير ما قاله «محمد أسد» من النمسا.. أنه أدخل نفسه فى إطار فكرى من الإسلام الصحيح وجعل يوازن بين عظمة المسلمين فى عصورهم الزاهية.. وبين هوان الأجيال المتأخرة والمعاصرة.. ودرس وحلل.. ثم انتهى إلى أن هذا الهوان لم يكن إلا نتيجة لهجر المسلمين أصول دينهم وتطبيقاته.. حتى عاد الإسلام التقدمى المعاصر جسدا بغير روح.. والحق أننا نعترض على كل قول يشير إلى التقدم والتطوير فى شريعة الله جل شأنه لعلها تساير العصر كما يزعمون.. نعترض على كل قول من هذا القبيل ونراه ضلالاً مبيناً.. لأن الإسلام قد جاء كاملاً ومصدره مفارق لقدرات البشر.. وكل محاولة للتقدمية فى هذا المجال لا تصدر إلا عن جهالة أو حرب على دين الله.



ومن خير ما قاله «عبد الله ارشيبالد هاملتون» أنه عاش من أجل أمنية واحدة.. هى أن يحقق السلام بين شخصه الضعيف الفانى وبين خالقه الذى آمن به وهو لا يزال فى أول الشباب.. وقد سعى جهده واتبع كلا من الكنيسة الإنجليزية وكنيسة روما دون جدوى.. ثم لفت نظره إلى الإسلام أمور منها أنه ثابت على الزمان رغم الهجوم والظعن.. حقدًا وحسدًا.. وأنه يعترف لصاحب التفوق بحقه فى ثمرة هذا التفوق ويحرص على تنظيم التراحم بين الناس ويجعل الكسب اجتهادا وبذلا وتضحية.. ولا يقر الفرر والصدفة كما فى القمار واليانصيب..



وإذا رجعنا مرة أخرى إلى فضليات النساء اللاتى اعتنقن الإسلام عن دراسة واقتناع فسنجد اثنتين من اليابان ، وهما ابنتان لوالد سبقهما إلى الإسلام.. ولكنهما لم يتابعا أباهما تقليدا.. بل قلبا الامر على وجوهه وانصرفت عنايتهما إلى حقوق المرأة فى هذا الدين الخاتم.. وقد قيل لهما من قبل (افتراء على الله) بأن الإسلام لايسوى بين الرجال والنساء.. وإذا بآية واحدة من سورة الأحزاب تكشف لهما ما يروجه خصوم الإسلام من مقتريات .



ويقول دونالد ركويل (الأمريكي) بأن الإسلام ملك عليه نفسه لتفرده بالخصائص الكبرى .. ومنها : بساطة العقيدة ووضوحها فلا ألغاز ولا تعقيدات ولا أسرار .. ومنها قرب المخلوق من الخالق فلا وساطة ولا كهانة .. وقد ركز القول على أمر له خطورته .. حين تسأل: كيف يمنح العبد العاجز ما يشاء من بركة ومغفرة ، وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا خيراً؟ .. واشتد إعجابه بنظام الزكاة وما فيه من تكافل .



وهذه سيدة من تشيكوسلوفاكيا اسمها فاطمة تزفسكن.. تواجه قضية اختيار الدين الصحيح بأسلوب حكيم.. تقول بحسب الباحث أن يواجه سؤالاً واحداً.. مواجهة علمية صريحة ومنصفة.. وإذا به يتخذ القرار الصواب.. أما هذا السؤال فهو: أكان النبي (عليه الصلاة والسلام) مفكراً أو فيلسوفاً يجئ بهذا الدين من عنده، أم كان عبداً اختاره الله ليتلقى الوحي من لدن رب العباد؟

وأشارت بدورها إلى المفارقة الخطيرة بين واقع المسلمين وعظمة الدين الذي يدعون اتباعه.. ونعت على مسلمي هذا الزمان أن وسائلهم للتعريف بالدين هي وسائل عاجزة.. وزادت أن المسلمين أنفسهم في حاجة إلى من يوضح لهم أمور دينهم.. ونبهت إلى أن الأمة الإسلامية تعيش اليوم في ظل اخلاط من الثقافات، وإن صد المؤثرات الغربية عن تراثهم واجب مقدم على غيره.. ودعت إلى الإكثار من المراكز الإسلامية في كل أرض، حتى يجد النفر القليل الذي يعتنق الإسلام في هذه البيئات الغربية واحة يأوي إليها من ضاق بالجوارح الخائف الذي يحيط به.

ومما قالت إنه تحسن الظن بسلامة العقيدة عند جماعات المسلمين ولذلك هي مطمئنة إلى أن صرح هذه الأمة سيظل عالياً وإن تكاثرت عليه عوامل الضعف والوهن.. وهذا قول له خطورته.. ونريد أن نحمله على التمنى أو الدعاء.. وحسب، وإلا فتحن نرى أن العقيدة إن صحت وسلمت من كل زيغ وانحراف، فإن السلوك الظاهر والسلوك الباطن لا يخرجان عن إطار الشريعة.. وترتب على ذلك أن الخطوة الأولى، حين يأذن الله جل شأنه بصلاح حال المسلمين، هي تركيز العقيدة وتثبيتها في وضوح واستقامة.



ومن أفراد هذا الجمع الصالح رجل ولد فى بيت إنجليزى هندى إبان الحكم البريطانى للهند.. وتلقى تعليمه فى مدارس التبشير حيث كانت دراسة الدين إجبارية.. وقد اتبع هذا الباحث أسلوب الموازنة بين نص وآخر.. كما ربط بين القواعد التى يدعو الإنجيل إلى الأخذ بها وبين النتائج الحتمية.. وفى هذا يقول «لو أن المستمسكين بالنصرانية طبقوا تعاليم الإنجيل فى عموم.. لقضوا على الحضارة» ويقول فى موضع آخر «أن هذه التعاليم لا تناسب البشر فى نشاطهم الدائب.. وقد تصلح لناسك منقطع عن الدنيا، ولكن لو أرادت حكومة معاصرة أن تسن من القوانين الوضعية نظاماً يقع فى إطار هذه التعاليم لا نقلبت الحياة فوضى وغلب الشر وغاض الحياء والخير جميعاً.. ولو أن أمة من الأمم ارتضت هذه التعاليم، اختياراً، والتزمت تطبيقها لوصلت إلى النتيجة ذاتها»..

لذلك ضاق هذا الباحث بقواعد وبنصوص لا تصلح للتطبيق.. كما ضاق بما هو شائع فى العالم النصرانى، من الفصل بين الدين فى ناحية وكل من السياسة والعلم فى ناحية أخرى، مما أدى إلى ظهور فلسفات باثرة كفلسفة (ميكيافيلى).. وظهور مذاهب ليس لها ضابط.. مما دمج القرون الأخيرة بإنها عصور تزاحمت فيها الفلسفات والأفكار والآراء فى جميع النظم.. ما كان منها فى الاجتماع والحكم والسياسة والاقتصاد والأسرة والتربية.. إلى آخر ما يتعين توافره فى شمول وثبات لكى يصل المجتمع البشرى إلى شىء من الاستقرار.. ثم إنه يورد نصوصاً من بعض الأناجيل تحض النصرانى على أن يكون له سيف.. كناية عن القوة والغلبة، ثم يستطرد ليقول: بأن السيد المسيح لم يعلم أتباعه.. حتى ولا كيف يستخدمون هذا السيف!!

ويترقى الباحث فى مدارج التحليل الدقيق حين يقول: وهكذا أدت هذه التعاليم التى تجمع بين الغموض والتعارض والنقص إلى أن النصرانى أصبح يجد دافعاً من الخلافات المادية الزائلة لكى يبطش بأخيه النصرانى.. ووجدت الكنيسة ألف حجة وحجة لتبرير قتل الأبرياء من الشعوب النصرانية بأسلحة النصارى أنفسهم.. وأصبحت الكنيسة أداة فى أيدي المستعمرين الذين يتجرون بما فى الأرض من طبيبات وبما عليها من الناس.. ثم يضرب الأمثال.. ويقول بأن الكنيسة التى تقوم أساساً على بث الرحمة والتعاطف.. أيدت الغزاة فى إبادة الشعوب الآمنة فى كل أرض امتدت إليها أنظار المغامرين..

وزحفت جيوش الأمم النصرانية على الكثير من شعوب آسيا وأفريقيا ونيوزيلندا وأمريكا الشمالية وأستراليا.. فأبادت السكان الأصليين.. فإن بقيت منهم جماعات لا حول لها ولا قوة.. حصرتهم في الوهاد والجبال والصحارى.. يقول الباحث: هكذا كانت حال الكنيسة في الأجيال التي مضت.. وهكذا حالها اليوم..

وتأبى النفس الزكية لهذا السيد (بيجى رودريك) أن ينسب إلى أى دين سماوى هذا الطغيان الهمجى.. ثم يقول بأن نقطة التحول فى حياته الخاصة جاءت حين أسقطت الولايات المتحدة قنبلتين من القنابل الذرية على الشعب المدنى الآمن فى اليابان.. ويقول بأنه تابع هذه المسألة وحرص على جمع الإحصاءات عن الوفيات والمشوهين، وأكثر من الإطلاع على تفصيلات الوصف الذى نشر عن هذا السلاح الجهنمى.. وما انتشر بسببه من المأسى التى حصدت النفوس تدريجاً، وأنزلت بأقوام أبرياء عذاباً ليس له ضريب.. ثم يقول بأن جرائم الجيش الأمريكى فى اليابان كانت مادة الدراسة والتأمل فى حياته الخاصة.. وفى عديد من الليالى.. حتى امتلأت نفسه بالفزع مما وصلت إليه جرائم البشر.. وينتقل الباحث مرة أخرى إلى مستويات رفيعة من دقة التحليل والإنصاف حين يتابع جهود شعب متحضر حضارة مادية مذهلة و متمسك - فيما يزعم - بدين السيد المسيح، ويوازن بين سلوك هذا الشعب وبين تعاليم الدين السمح.. ويقف عند أمور بالغة الدلالة.. ويقول بأنه بعد هذا العذاب الذى أنزلته الولايات المتحدة بالشعب اليابانى أطلقت عليه جموعاً غفيرة من العسكريين ومن المبشرين.. لاحتلال الأرض والموارد والنفوس جميعاً.. وتعلقت آمال الساسة بأن تؤدى هذه الخطة إلى تنصير عدد كبير من سكان اليابان، ليكونوا عوناً على تدعيم الاحتلال!!

ثم يعود الباحث إلى نظراته الهادئة العميقة ليقرر بأنه إذ يخلو إلى نفسه، فإنه يسترجع الذى سمع وقرأ عن المجتمعات غير النصرانية.. ومنها عبدة الأوثان.. ويسترجع الوصف التقليدى لكل شعب لا يتبع كنائس هذا الزمان.. بأنه شعب من الكفار.. ثم يوازن بين الذى سمع وقرأ، وبين واقع الحال الذى رآه رأى العين.. فإذا به يجد من التراحم والإنسانية فى أوساط الوثنيين، ما لا يجده عن الأمم المتحضرة المقتدرة.. التى تنتمى ظلماً إلى دين جاء بالفضيلة وبالتسامح!!

وفى غمار هذه الدراسات الواعية، التقى بصديق مسلم يفهم دينه، فكانت النقطة الثانية والأخيرة من نقاط التحول عن الظلام والخيرة والفرع.. إلى الرجاء ومن بعده الإيمان.. وفى حديث هذا العبد الصالح عن الإسلام رصانة فى غير وعورة.. يقول بأنه مما أعجبه فى هذا الدين أنه يجمع بين المثالية والواقعية، وأن الفرد يستطيع أن يكون عابداً ومقبولاً عند الله.. دون أن يتكلف الحرمان عن عمد من متاع الحياة الدنيا فى إطار دقيق من التقنين والتنظيم.. وأن الفرد من عامة الناس كالفردي من أصحاب السلطان وحملة الأمانات.. فالكل يلتزم بمجموعة من القواعد لا تحيد.. وقال بأنه لا أثر فى الإسلام للكهانة والكهنوت وامتيازات من يقال لهم فى غير الإسلام بأنهم رجال الدين.. وأنه لا فصل بين الأولى والآخرة.. وأن المسلمين يحرصون على إقامة العدل فى أرضهم وفى المعاملات الدولية.. ثم يقول بأنه.. والحالة هذه.. لا يبقى مجال للتمييز العنصرى ولا لحروب البطش والاستغلال والاستعمار.. كما أنه لا يبقى مجال للصراع الطبقي وإثارة بعض الناس على بعض آخر.. فى داخل الأمة الواحدة وفى شمول وعموم للشعوب قاطبة.. ولم يغفل هذا الباحث عن بعض القواعد الخاصة الثابتة فى التراث الخالد.. فضرب مثلاً من قوانين الحرب كما أقرها الإسلام.. ووازن بين ما فيها من ضوابط وشهامة وإنسانية وترفع عن إيذاء الضعيف والمرأة والعايد وطالب الأمان.. هذا من جهة.. وبين وحشية قوانين الحروب المتبعة عند أكثر البلاد حضارة كما يظن الواهمون.. وتكلم عن تدمير المستشفيات وضرب المعابد لتوهين عزيمته المدينين غير المشتركين فى القتال.. وفى هذا المجال إضافات يندى لها جبين الزمان.. لما حمل من أضرار البشر وذنوبه.. فمع انتشار الحروب الصغيرة والكبيرة استجدت تقاليد.. من الانحلال الخلقى إلى إنطلاق الغرائز الدنيا.. فهذا تنظيم للتجسس وتخريب الذمم قبل الصراع وفى إبانته ومن بعده.. وهذا تنظيم للبيغاء العلنى الرسمى على نطاق واسع فى صفوف المقاتلين.. تحت ستار مفضوح.. يقال له الترفيه!!

وفى آخر المطاف.. رفع الباحث نظره إلى طائفة من القمم الشامخات فى تعاليم هذا الدين المتين.. وهى فى مكانها من فوق أصول راسخات.. فتكلم عن الأخوة فى الإسلام وعن معايير التفاضل على أسس من النفع لكل الناس.. وتكلم عن أنه لا إكراه فى الدين..



وبعد : فقد آن للقارئ أن يستمع إلى أصول هذه الخلقان الزكية فى نفوس مطهرة مؤمنة.. بعد أن طال استماعه إلى أصداء تجاوبت فى نفس قارئ واحد أتيح له أن يجلس ساعة من الزمان إلى هؤلاء المصدقين بيوم الدين.

وأنة ليطيب لكل غيور على الإسلام أن ينظر إلى جملة هذه الباقية من الأفكار المستنيرة.. وأن يرى فيها توصيات عامة شاملة.. هى التى أشرت إليها فى أول الحديث.. ومن ذلك أمور تكرر ذكرها وخرجت من نطاق الاهتمام الشخصى للفرد إلى الحرص على نشر الهداية فى أوسع المجالات.. وأخص هذه الأمور:

- عجز الأساليب المتبعة فى الدعوة إلى الإسلام.. على الرغم من مواجهتها لأكثر الجهود تنظيمياً وسخاء من عند المبشرين ومن يؤيدهم.

- حاجة البلاد المتقدمة فى الفنون والصناعات إلى منهج قويم لا يعطل مواكب الإبداع والإتقان.. ولا يتركها طليقة من قيود الفضيلة والتراحم والإنسانية.

- ضرورة النظر فى حاضر المسلمين وتبعده عن الإسلام الصحيح.. ووضع حد لهذه الحالة التى أنزلت بالأمّة عوامل الفرقة والفسل، حتى أصبحت جماعات المسلمين تبعاً لطواغيت البشر.. من الفراعنة ومن المفسدين فى الأرض!!

- خطورة الفصل بين أحكام الدين والنشاط الدنيوى وضرورة الانتباه إلى الحق الذى طال إغفاله.. وهو أن الرسالة الخاتمة قد جاءت مهيمنة على كل رسالة سابقة، وجاءت بصائر للناس فى يقظتهم وفى منامهم.. فى أمورهم الخاصة وعلاقة بعضهم ببعض، فى أضييق الدوائر كالأسرة الواحدة والجار بالجنب.. وفى أوسع الدوائر التى تشمل الأمّة كما تشمل سائر الشعوب..

كما جاءت هذه الرسالة بصائر للناس فى أمور المعاش والمعاد جميعاً.. يوم يقوم الناس لرب العالمين..

وما قصدت إلى الاحاطة ولا التوفية.. إن هى إلا تذكرة.. بين يدي الأصول التى فاضت بها نفوس زاكية طاهرة.

عيسى عبيده



ألمانيا:

١٥- فاطمة هيرين Fatima Heeren

هذه قصة فتاة ألمانية اعتنقت الإسلام بعد أن عاشت في ظل البلاد الشيوعية الملحدة، ثم انتقلت إلى الكنيسة النصرانية فلم تقتنع فطرتها السليمة بالطقوس الدينية النصرانية المعقدة، فما كان منها إلا أن اهتدت إلى الإسلام، وتزوجت من رجل ألماني مُسلم، وفيما يلي تفاصيل قصتها كما ترويها هي مترجمة عن مجلة «مسلم أفريكا» الصادرة في جوهانسبرج - جنوب أفريقيا العدد الأول المجلد الأول - ديسمبر ١٩٦٧م. المترجم

البِدَالِيَّةُ:

عندما انتهت الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥ كنت طالبة في الحادية عشرة من عمري، وكان والداي ينشئان أبناءهما - وهم ابنتان وولدان - وفق المثل الاشتراكية القومية وهذا أمر طبيعي إذ كان والدي قائداً في الجيش. ومن ثم كانت لدينا فكرة عن وجود الله، ولكنه كان بالنسبة إلينا شيئاً نائياً للغاية، أعظم بكثير من أن يهتم بأمر الناس وشئونهم اليومية، كان الله في مخيلتنا شخصاً خلق سنن الطبيعة منذ ملايين السنين، وهذه القوانين أوجدت بدورها الكائنات البشرية بمحض الصدفة في أغلب الظن.

مُثَلِّزَاتُة:

كانت النصرانية العقيدة الوحيدة التي واجهتنا في الحقيقة. وكانت تقدم لنا على أنها «أفيون الشعوب» وأنها عقيدة قطع الغنم لا تتحرك إلا بالخشية من الموت. وكنا نفهم أن كل إنسان مستول عن نفسه وحسب، وأنه حر التصرف بها كيفما يشاء مادام ذلك لا يؤذي الآخرين. وكنا نتصور أن الضمير هو النبراس الوحيد الذي يهديننا. وكانت القومية خلال السنوات التي سبقت الحرب وفي أثنائها وسيلة ممتازة لدفع الألمان وتشجيعهم إلى بذل أقصى الجهود. فكان همنا الوحيد الذي نسير قدما في بذل مهجنا الغالية من أجله

هو الوطن الأم. وعندما وضعت الحرب أوزارها لم تمزق بلادنا فحسب وإنما تبعثرت عظمة أمتنا وتبددت كافة المثل التي كانت تبذل الأرواح من أجلها.

وأحسب أن من الضروري أن أصف الجو السائد في البلاد التي انحدرت منها. كثير من الناس لا يسعدون مثلى بطريقة المجتمع الحديث لكنهم مع ذلك يزعمون أنهم سعداء، وعندما يفيقون بعد ليلة بهيجة يقضونها في الرقص والسكر فإنهم يشعرون بفراغ يملأ صدورهم ولا سبيل إلى مغالبتة بتعليل النفس بمزيد من الرقص والشراب أو المغازلة في الأمسيات التالية. لقد أيقنت أن الضمير الفردى والمثل الإنسانية المتعارف عليها في المجتمع لا تكفى وحدها لتكون مشاعل هداية اهتدى بها في حياتي. فلم أكن أحس بالسعادة الحقة وأنا أتمتع بالنعيم الميسور لى من غير أن أوجه الشكر لأحد على كل هذا الخير الذى شملنى. فاحتفظت بدفتر لتسجيل مذكراتى اليومية ووجدتني مرة أسجل فيه العبارة التالية: «لقد كان يوماً بهيجاً فشكراً لك كثيراً يا رب!».

وأحسست في مبدأ الأمر بالخجل بينى وبين نفسى، لكننى أيقنت بعد ذلك أنه لا يكفينى مجرد الإيمان بالله لا يهتم إلا بنواميس الطبيعة، فتوقد حب الله فى نفسى، وكنت أهدف باسم الله، حتى علمت أن من واجبى أن أعمل على التماسه وأن أبحث عن سبيل إلى شكره وعبادته.

كَنِيسَةُ مُتَهَاوِنَةٍ مُسَاوِمَةٍ:

كان السبيل الوحيد إلى تلك الغاية فى ذلك الحين مقتصراً على العقيدة النصرانية، فأخذت أحضر دروساً لدى أحد القسس وقرأت بعض الكتب النصرانية كما حضرت صلوات فى الكنيسة، ولكنى لم أستطع أن ازدد من الله قريباً، فأشار القسيس على أن أعتنق النصرانية وأن أذهب إلى العشاء الربانى، وقال: لأنك حين تمارسين الديانة النصرانية فسوف تعثرين على سبيلك إلى الله بكل تأكيد، فاتبعت مشورته ولكنى لم أوفق فى تحقيق السلام الحقيقى لعقلى، وأبلغ شىء أدى إلى تثبيط عزيمتى هو أنه لا مناص لنا نحن النصارى من الرضا بتنازلات فى عقيدتنا من أجل أن نحيا فى مجتمعنا، فالكنيسة على استعداد دائم لعمل مساومات فى سبيل المحافظة على

سلطانها فى مجتمعنا، ولنضرب لذلك مثلاً واحداً: تقول الكنيسة إن العلاقات الجنسية يجب ألا تبدأ إلا بعد الزواج على اسم الله، إلا أنه يكاد لا يوجد أحد من الرجال أو النساء فى الغرب (يرضى بشراء القطة فى حقيبتها)، وهذا مثل دارج معناه أن يدخل المرء الحياة الزوجية دون أن يجرب قبل ذلك مدى انسجام الشريكين جنسياً مع بعضهما البعض. والقسيس على استعداد دائم لتبرئة ساحة كل من يعترف بهذه الخطيئة حال أداء صلاة أو صلاتين. لم يكن بوسعى أبداً أن أؤمن بكنيسة تتهاون بهذه المسائل المهمة إلى هذا الحد، بل كنت أتطلع إلى مبدأ كامل حقاً أعتصم به كصراط لحياتى. وبهذه الشكوك لم أستطع أن أقرب من الله حتى فى وقت ركوعى فى الكنيسة.

وكنت فى الثالثة والعشرين من عمري حين قابلت لأول مرة الرجل الذى كان من المقدر له أن يكون زوجى بعد سنتين من ذلك الحين، وكان رجلاً عادياً لا فرق بينه وبين أى رجل ألمانى آخر إلا أنه عندما أخبرنى بأنه اعتنق الإسلام قبل سبع سنوات دهشت إلى درجة كبيرة، جعلتنى أتلهف لمعرفة السبب الذى من أجله اختار رجل مثقف مثله هذا السبيل، وهو حاصل على درجة الدكتوراه فى الفلسفة.

مَا هُوَ الْإِسْلَامُ...؟

أخذ زوجى يشرح لى معنى الإسلام فقال: بأن الله ليس رب المسلمين وحدهم، وإنما هذه الكلمة «الله» ترادف معنى «الألوهية» عندنا، وأن المسلمين يؤمنون بوحداية الخالق المطلقة وأنهم لا يعبدون نبيهم محمداً - عليه الصلاة والسلام - مثلما يفعل النصارى إذ يعبدون المسيح عيسى، وأن كلمة «الإسلام» معناها الإذعان الكامل لله الواحد الأحد، وقال لى: إن جميع الكائنات من أناسى وحيوانات وغيرها هو مسلم بالضرورة من وجهة النظر الإسلامية، بمعنى أنهم لا يد أن يذعنوا ويسلموا لنواميس الله، فإن لم يفعلوا فهم مهددون بالفناء، وأضاف قائلاً: إن الإنسان وحده بصرف النظر عن إسلام بدنه طوعاً أو كرهاً، قد رزقه الله حرية الإرادة والاختيار ليقرر ما إذا كان يريد أن يكون مسلماً فى حياته الروحية والبدنية على السواء، فإن فعل ذلك وعاش وفق ما ينص عليه هذا القرآن فإنه حينئذ يتصل بالله، وسيجد مع المخلوقات الأخرى الانسجام

والسلام النفسى فى الحياة الدنيا، كما سيلقى السعادة فى الدار الآخرة، أما إذا تمرد على سنن الله المبينة لنا بجلاء وروعة لا مثيل لها فى القرآن الكريم فإنه خاسر فى هذه الحياة الدنيا وفى الآخرة، وتعلمت من زوجى كذلك أن الإسلام ليس بالدين الجديد، إذ أن القرآن فى الحقيقة هو الكتاب الوحيد المنزه من كل زيغ أو شائبة، وهو آخر كتاب سماوى ضمن سلسلة طويلة من الكتب أبرزها الوحي المنزل فى التوراة والإنجيل.

وهكذا أشرفت أمام ناظرى آفاق عالم جديد. فشرعت تحت توجيه زوجى بقراءة الكتب المعدودة المتوفرة عن الإسلام باللغة الألمانية، وأعنى بها الكتب المعدودة المتوفرة من وجهة النظر الإسلامية، وكان من أهمها كتاب محمد أسد^(١) «الطريق إلى مكة» فقد كان مصدر إلهام كبير بالنسبة لى، وبعد زواجنا ببضعة أشهر تعلمت كيف أقيم الصلاة باللغة العربية، كما تعلمت كيف أصوم، ودرست القرآن الكريم كل ذلك قبل أن أعتنق الإسلام فى عام ١٩٦٠. وكنت أريد أن أستوثق من نفسى بأننى أستطيع أن أقوم بواجباتى الإسلامية. لقد ملأت حكمة القرآن نفسى بالحب والإعجاب، ولكن قرة عينى فى الصلاة فقد أحسست إحساساً قوياً أن الله معى وأنا أقف خاشعة بين يديه أرتل القرآن وأصلى.

الهجرة إلى باكستان:

لقد اتفقت مع زوجى أن معيشتنا كمسلمين فى بلد غربى تضطرننا إلى كثير من التنازلات. فليس الإسلام مجرد دين بالمفهوم الشائع، وإنما هو منهج حياة كامل لا يمكن تطبيقه فى أنقى صورته إلا فى مجتمع مسلم، ولما كان كل منا قد اختار هذا الدين عن طواعية كاملة فإننا لم نرد إسلاماً فاتراً ضعيفاً، لذلك وبعد انتظار طويل سنحت لنا فرصة فى عام ١٩٦٢ للهجرة إلى باكستان بعد أن وفرنا نقوداً تكفى لتغطية نفقات الرحلة^(٢).

(١) انظر قصة إسلامه رقم (١٨) من هذا الكتاب.

(٢) علمت من الأستاذ غلام محمد - أمير الجماعة الإسلامية فرع كراتشى - أنها قد عادت مع زوجها إلى ميونيخ فى ألمانيا الغربية، وهى تعيش عيشة إسلامية بسيطة، وقد زارهما وسر أبلغ السرور، وزودنى بعنوانهما للمراسلة.

تَطْيِيقُ الْإِسْلَامِ مَعَ الرِّضَا النَّفْسِيِّ:

شرعت فى إقامة الصلوات الخمس بانتظام. فتعلمت أن الصلاة ليست أمراً يؤدى كيفما اتفق، ولكنها فى الحقيقة نظام لا بد أن يصاغ اليوم كله على منواله، وقررت أن ألتزم الحجاب الإسلامى فتعلمت أن أرى بالوضع الذى يجلس فيه زوجى مع إخوانه فى الدين يتجاذب وإياهم أطراف الحديث النير، فى الوقت الذى أعد لهم الشاى وأقدمه عند الباب دون أن أعرف الأشخاص الذين أعددت لهم ذلك، وبدلاً من الذهاب إلى الأسواق تعودت أن أمكث فى البيت لمطالعة الكتب الإسلامية باللغة الإنجليزية، كما أخذت أصوم واعتدت أن أحضّر وجبات الطعام دون أن أذوقها رغم شدة الجوع والعطش فى بعض الأحيان. وتعلمت أن أحب نبينا محمداً ﷺ وصحابته من خلال قراءة لكتب الحديث النبوى الشريف. فقد أصبحوا فى نظرى شخصيات بشرية حية لا مجرد نماذج تاريخية معجبة، كما غدت أمثلة العطف والشجاعة والتفانى والصلاح التى ضربها هؤلاء الأولون فى حياتهم البشرية نجوم هداية لى، فأصبح من الجلى الواضح أمامى كيف أشكل حياتى بصورة تجعلنى من الطيبين الراضين فى هذه الحياة الدنيا، وهى المكان الذى يقرر سلوكنا فيه نوع الجزاء الذى سنلقاه فى الدار الآخرة.

الرَّدُّ عَلَى الْمُنْهَجِمِينَ:

إذا كان المتحاملون على الإسلام يقولون بأن من الهمجية أن يتخذ الرجل الواحد لنفسه عدداً من الزوجات فهل لهم أن يبينوا لى الخير الكامن فى تصرفاتهم عندما يتخذ الزوج لنفسه خليلات إلى جانب زوجته؟! وهو أمر شائع فى الغرب بصورة تفوق انتشار زواج التعدد فى الأقطار المسلمة، وإذا كانوا يزعمون أنه لا ضرر فى تعاطيهم للكحول فهل لهم أن يفسروا سبب الشقاء الذى تحدثه هذه العادة فى الغرب؟! وإذا كانوا يقولون بأن الصوم يضعف القوة العاملة والأحوال الصحية للأمة فليلقوا نظرة إلى المنجزات العظيمة التى حققها المؤمنون وخاصة فى شهر رمضان المبارك (١).

وليقروا التقارير المهمة التى سجلها الأطباء المسلمون مؤخراً حول تجاربهم الطبية مع

(١) كانت كثير من معارك الإسلام الفاصلة فى شهر رمضان كغزوة بدر الكبرى وغيرها.

المرضى الصائمين، فإن قالوا بأن فصل الجنسين عن بعضهما تأخرٌ فليقارنوا بين الشباب فى أى بلد مسلم والشباب فى أية أمة غربية، إذ أن الجريمة الخلقية بين الفتى والفتاة تعتبر استثناءً بين المسلمين، أما فى أوساط الغربيين فمن النادر جداً أن تجد زواجاً واحداً بين فتى وفتاة عفيفين، وإن زعم المتحاملون على الإسلام أن إقامة خمس صلوات فى كل يوم وليلة بلغة غير معروفة من قبل كثير من المؤمنين^(١) يعتبر مضيعة للوقت وصرفاً للجهد فى غير فائدة، فليبينوا لنا نظاماً واحداً فى الغرب يوحد بين الناس بطريقة أقوى وأسلم للجسم والروح من الشعائر التعبدية بين المسلمين، دعهم يثبتوا أن الغربيين ينجزون أعمالاً أكثر فائدة فى أوقات فراغهم من المسلم الذى يخصص ساعة كل يوم لإقامة الصلاة.

لقد صلح الإسلام منذ أربعة عشر قرناً أو يزيد ولا يزال كذلك فى زمننا شريطة أن نحمله دون تنازلات مشوهة، فالدين عند الله الإسلام. والإسلام يعلو ولا يُعلى عليه، ولقد أيقن كثير من الناس بهذه الحقيقة فى أيامنا هذه، وسوف يتعاونون إن شاء الله لبيانه للعالم المريض المعذب الشقى الذى يتطلع إليهم^(٢).



(١) وتعنى بذلك المسلمين من غير العرب الذين يقيمون الصلاة باللغة العربية وكثير منهم لا يعرفونها.
(٢) وبعد فهذه المرأة المسلمة الأخت فاطمة هى التى ترجمت بعض المؤلفات الإسلامية الحديثة إلى اللغة الألمانية إسهاماً منها فى نقل الفكر الإسلامى إلى أبناء جلدتها الألمان، وقامت إحدى المنظمات الإسلامية العالمية مشكورة بطباعة تلك الكتب، لتوزع بين الألمان كنتاج لجهد مؤمنة كانت من قبل من النصرى. فسبحان الله.. وعجبا لدين الله الذى يغزو القلوب فيحول الأعداء إلى أحياء، ويستحيل به الخصوم الألداء إلى رجال ونساء مؤمنين ومؤمنات يحملون هذا الدين إلى الناس كافة.

إنجلترا:

١٦- حَسِينُ رُوُوف Husain Rofe

هذه قصة إسلام رجل إنجليزي كان مصلحاً اجتماعياً عاش في أسرة أحد أركانها يهودى والآخر نصراني، فأتيحت له بذلك المقارنة العملية بين الديانتين، ثم وجد ضالته المنشودة في الإسلام.

عندما يقرر الناس اعتناق دين جديد غير الذي وضعته فيهم فيه ظروف الميلاد فإنهم يفعلون ذلك عادة على أساس عاطفي أو فلسفي أو اجتماعي، أما بالنسبة لي فقد كانت فطرتي تتطلع إلى عقيدة تلبى المطلبين الأخيرين، وكل ما عملته هو أنني قررت أن أدرس بدقة الدعاوى والكتب المقدسة والنتائج التي حققتها كافة الأديان الرئيسية في العالم.

ولدت لأبوين يمثلان الديانتين اليهودية والكاثوليكية - وهي إحدى الطوائف النصرانية - ونشأت وسط تقاليد الكنيسة الإنجليزية فعرفتها جيداً خلال السنوات التي كنت أحضر فيها الطقوس الدينية التي تتميز بها الحياة اليومية في المدارس الإنجليزية العامة، فشرعت في سن مبكر أقابل وأقارن بين التعاليم والشعائر التعبدية في الديانة اليهودية والديانة النصرانية، فدفعني وجداني إلى إنكار مذهب (التجسيد الإلهي) ومبدأ (الكفارة) الذي يمارسه القسس، كما أن عقلي لم يجد ضالته في كثير من الفروض الإنجيلية ولم يرض بانعدام وجود عقيدة حياة تقوم على المنطق، وهذا ما لاحظته في التصور التقليدي للذات الإلهية في أوساط الكنيسة الاعتيادية في إنجلترا النصرانية.

عَقَائِدُ أُخْرَى عَجِيبَةٌ:

وفي الديانة اليهودية وجدت تصوراً أكثر إجلالاً وتوقيراً للذات الإلهية مما هو في الديانة النصرانية، مع أن هذا التصور يخالف ما جاء في كتب الإنجيل. وقلت في نفسي: هذه عقيدة تحتفظ بحظ وافر من صفاتها ونقائنها الأصليين^(١)، فتعلمت منها

(١) عقيدة اليهود في الذات الإلهية بالغة السوء، لأنهم قالوا: «عزيز ابن الله»، وقالوا: «يد الله مغلولة».. إلخ ولكنها لم تبلغ التعقيد والضلال المطلق الذي بلغته عقيدة النصارى؛ وهذا سبب المدح النسبي لليهودية هنا.

الشيء الكثير، ولكنى أنكرت الشيء الكثير كذلك، إذ أن أتباع القواعد والتعاليم اليهودية كلها لا يدع لك من الوقت إلا النزر اليسير لإنجاز الأعمال الدنيوية، ولا مفر للعقل من أن يتركز وينهمك فى شكليات وطقوس لا نهاية لها، وأسوأ من ذلك كله أن الديانة اليهودية جاءت من أجل فئة قليلة من البشر مما أدى ضمناً إلى إيجاد هوة بين الفئات الاجتماعية المختلفة.

لقد حضرت الصلاة فى الكنيسة الإنجليزية وشاركت فى الطقوس الدينية التى تقيمها المعابد اليهودية، إلا أننى لم أعتنق قط أياً من الديانتين المذكورتين، إذ وجدت فى الكاثوليكية الرومية كثيراً من الغموض وإخضاع العباد لسلطان العباد، كما تكشف لى كثير من الضعف الذى لا يليق بالمكانة التى أعطيت للبابا وحاشيته والتى تقترب من التقديس.

ومن هنا التفتُ إلى الفلسفة الهندوكية وخاصة إلى تعاليم (Upanishads) أو بانيشادز وفيدانتا (Vedanta) الأخيرة، وهنا تعلمت الكثير كذلك واحترمت الكثير وأنكرت الكثير كذلك، فلم أجد حلاً للشروع الاجتماعى لدى فلسفة الهنادك، كما أن العقيدة الكهنوتية قد حُفَّت بميزات لا تقع تحت الحصر، هذا فى حين أن أحداً من أتباعها لم يمد يد العون لأى فقير مشرد لأنه يعتبر مصيره ناجماً عن خطئه هو، فإن صبر فى تحمله فقد تأتبه الحياة فى المستقبل بما هو خير، وهذه طريقة قاسية لإخضاع الجماهير وإذلالها، والظاهر أن الدين فى نظرها معناه فرض درجات كهنوتية قوية تستشهد بالله كلما لزم الأمر لتدلل على أن مشيئته تقتضى بقاء الأمور على حالها.

وأما البوذية فقد علمتنى الكثير عن العقل البشرى وقوانينه، وكشفت لى طريقة سهلة لفهم الكون بصورة قائل فى يسرها إجراء تجربة كيميائية شريطة أن أبذل التضحيات اللازمة، وهنا يوجد رد فعل لنظام العقيدة.

ولكنى لم أجد فى البوذية ولا فى الهندوكية أى تعليم خلقى، صحيح أننى تعلمت كيف أكتسب قوة خارقة تفوق طاقة البشر أو هكذا يعتبرها الجمهور، ولكن سرعان ما علمت أن هذا لا يعتبر دليلاً على السمو الروحانى بل يدل على مقدرة لإتقان علم معين

أو وسيلة للتسلية ذات مستوى أرفع بكثير من الرياضة الخلقية، وأعنى بذلك وسيلة لضبط المشاعر وتنظيم كافة الرغائب وإخضاعها كما كان موقف الفلاسفة الرواقيين. إلا أن مسألة وجود الله لم يجز بحثها أبداً، فليس هناك أدنى ذكر لمخالق هذا الكون كله، وإنما يقتصر الأمر في هذه الديانة على وجود منهج يتبعه المرء من أجل خلاص نفسه ولمساعدة الغير على تحقيق ذلك، وهنا توجد زاوية روحية لا تقتصر على مجرد التحكم في القوى البهيمية الفطرية، لقد كان بوسع البوذية أن تنقذ العالم نظرياً كما كان في مقدور النصرانية الأساسية التي آمن بها (تولستوى) أن تفعل ذلك بعد أن تقتصر على كلمات النبي عيسى - عليه السلام - وبعد تجريدها مما ران عليها من إضافات وتحريفات.

مِنْ أَجْلِ فِتَّةٍ قَلِيلَةٍ:

ولكن إذا كانت العقائد المجردة تستطيع أن تنقذ العالم نظرياً فلماذا فشلت في تحقيق ذلك في عالم الواقع؟

والجواب هو أنها كانت من أجل فئة قليلة من الناس ولم تكن للجماهير، فإذا أردنا أن نفهم النصرانية والبوذية كما تنص تعاليم مؤسسيها فإننا نجد كلا منهما تتحاشى المشكلات الاجتماعية لأنها لا تهتم بها. فقد كان كل من السيد المسيح عليه السلام وبوذا يدعو إلى هجر كافة الممتلكات وإفناء النفس الدنيا إفناءً كلياً في سبيل البحث عن الله، «لا تقاوم الشر» «لا تفكر في الغد» إنني أكنّ أعظم تقدير للذين يستطيعون اتباع هذا المنهج، وأنا واثق من أنه سيقودهم إلى الله^(١) ولكنني واثق كذلك أنه لن يتسنى للجماهير أن تطبقه، وأنه لا يستطيع أن يحسن حال الفلاح الجاهل، لهذا كانت قيمته الاجتماعية ضئيلة، إنه تعليم عظيم يصلح لعملاق روحى. ولكنه فاشل فشلاً ذريعاً بالنسبة لجماهير البشر، ولا يصلح لإحداث ثورة بين الجماهير تستهدف تحسين أحوالهم الروحية والفكرية والمادية خلال فترة وجيزة من الزمن.

(١) يقصد بذلك الافتراض وتقريب الأمور، لأن المسلم يعتقد ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ كما قال الله تعالى [سورة آل عمران: ١٩، ٨٥].

إِلَى الْإِسْلَامِ :

قد يكون الأمر مستغرباً إذا قلت إنني رغم حياتي في البلاد العربية فإن الدين الإسلامي لم ينل مني غير اهتمام عابر، كما أنني لم أفحصه فحصاً دقيقاً مثلما فعلت بالنسبة لكافة العقائد الأخرى في العالم، إلا أنني عندما أذكر أن معرفتي السابقة لهذا الدين كانت تقتصر على قراءتي لترجمة القرآن بالإنجليزية التي أعدها رودويل Rodwell حينئذ ينتهي العجب من عدم تحمسي للإسلام (١).

بعد ذلك بكثير التقيت بداعية مسلم معروف في لندن، ولاحظت فيما بعد أن معظم البلاد العربية لا تفعل شيئاً يذكر لاستقطاب غير المسلمين إلى الإسلام، ونشر تعاليمه في الأماكن التي يمكن فيها أن تؤتى أكلها الطيب. فكثيراً ما يقابل الرجل الأجنبي بالحذر وعدم الثقة حتى أصبحت ذلك صفة مميزة للسياسة الشرقية التي تتمثل في الإخفاء والتستر بدلاً من النشر والإعلان، ولم يمض وقت طويل حتى اكتشفت ضالتي المنشودة التي قضيت في البحث عنها سنين عدداً، كان ذلك في ظل التوجيه الذكي لرجل مسلم زودني بنسخة من القرآن مترجمة ومعلق عليها بقلم عالم مسلم، هذا بالإضافة إلى عدد كبير من المؤلفات النافعة الأخرى مما هبياً لي تصوراً حقيقياً عن الإسلام. ودعيت ذات يوم لمشاهدة الصلاة والمشاركة في تناول طعام الغداء الذي قدم عقب صلاة العيد، كان ذلك في عام ١٩٤٥م مما أتاح لي الفرصة لتأمل مجموعة دولية من المسلمين عن كثب، لم تكن تلك المجموعة من العرب ولا من أية قومية أخرى، وإنما كانت ثلثة تمثل مختلف أجناس الدنيا وطبقاتها الاجتماعية، وكانت فيها شتى ألوان البشر، فقد التقيت ضمن هذه المجموعة بأمير تركي كما لقيت أناساً يمكن اعتبارهم في الحياة العملية من طبقة الشحاذين، وجلس هؤلاء وأولئك جميعاً يتناولون طعام الغداء بعضهم مع بعض، ولم تبد من الأغنياء أية بادرة تنم عن التواضع المفتعل، كما لم تشم أية رائحة من النفاق المفرور بالنسبة للشعور بالمساواة التي كانت تنبعث من الرجال البيض وهم يتحدثون مع جيرانهم الزوج (٢) ولم تجر أية محاولة للانسحاب أو الانعزال

(١) انظر تعليق الدكتور عيسى عبده في المقدمة (ص ١٣٤)، ومعلوم أن ترجمة معاني القرآن لروذويل مليئة بالجهل، والتعصب، والافتراء على القرآن والإسلام.

(٢) في أمريكا مطاعم فخمة عليها لافتات كبيرة مكتوب عليها: ممنوع دخول الزوج والكلاب .

بالنفس عن بقية البشر، كما لم أشاهد أى تعاضم مضحك من قبل أحد منهم يتصنع الفضيلة ويخفى الأثرة.

إن المجال لا يتسع ها هنا لكى أصف كافة جوانب الحياة التى اكتشفتها فى ظل تعاليم الإسلام. وهذا شىء لم أعثر على مثله فى أى مكان آخر، وحسبى أن أقول إننى دخلت هذا الدين بعد تفكير وتأمل مناسب، وبعد دراسة جميع الأديان المهمة فى العالم دون أن أعتنق أى دين منها.

لهذا كله غدوت اليوم من المسلمين، ولكن ما سبق بيانه لا يبين سر اعتزازى بإسلامى. إذ أن هذا الإحساس بالفخر والاعتزاز لم يتم إلا بمرور الزمن وعن طريق التجربة.

لقد درست الثقافة الإسلامية فى جامعة إنجليزية وتعلمت للمرة الأولى أن هذه الثقافة ذاتها هى التى أخرجت أوروبا من عصور الظلام، وتعلمت من التاريخ كيف كان عدد كبير من أعظم الأمبراطوريات فى العالم امبراطوريات إسلامية، وأن جانباً كبيراً من العلم الحديث لا بد من الإقرار بأنه تراث إسلامى.

وعندما أقبل على الناس وقالوا لى بأننى اتخذت خطوة إلى الوراء، عندئذ ابتسمت من جهلهم وخلطهم بين العلة والمعلول، هل يحق للعالم أن يذم الإسلام تبعاً للعوامل الخارجية التى أنشأت الانحطاط الذى حدث فى بلاد المسلمين؟^(١) وهل يعتبر الفن فى عصر النهضة مثلاً أقل صدقاً لأن حوادث الإجهاض يجرى تصويرها اليوم فى العالم كله؟ وهل يجوز لنا وصم النصرانية بالبربرية المتعطشة للدماء بسبب محاكم التفتيش التى جرت فى العصور الوسطى فى أسبانيا؟ لا بد أن نسجل هنا أن أعظم العقليات وأكثرها نبوغاً قد أعريت فى كل العصور عن احترامها للثقافة الإسلامية^(٢) التى يخفى على الغرب كثير من جواهرها ولآئها.

(١) هذه إشارة إلى أن حال المسلمين اليوم لا يشجع الآخرين على الدخول فى الإسلام. وحسبى أن أردد هنا هذا الدعاء القرآنى (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) فالمسلمون اليوم يصدون عن دينهم، وليس لهم منه مع الأسف إلا الاسم. هذا بالنسبة لأكثرهم.

(٢) من ذلك أقوال كارليل وبرتادشو الإنجليزيين وإشادتهما بالإسلام. يقول برناردشو: إن أعظم شخصية عرفتها الدنيا هى شخصية محمد. ويقول: لو أن العالم احتكم اليوم إلى الإسلام لكان فى أحسن حال..

لقد سافرت إلى أقطار كثيرة في أنحاء العالم، وأتيحت لى فرصة كافية للملاحظة طريقة استقبال الأجانب في كل مكان، فلم أجد أحداً من أتباع الديانات الأخرى كالمسلمين في كرم ضيافتهم وعطفهم على الغرباء، المبرأ من كل مصلحة بصرف النظر عن رد الفعل المبدئي المتمثل أحياناً في الرغبة في مساعدة الغريب أو مسألة معرفة هويته واكتشاف المزايا والفوائد التي يمكن جنيها من ورائه، ومن الناحية الاقتصادية لا نجد كالمسلمين في تقارب الفروق بين غنيهم وفقيرهم بشكل لا يستدعى الفقراء إلى العمل على قلب نظام الحكم أو إشاعة الفوضى. لذلك لم يكن بوسع الشيوعية السوفيتية أن تشيع في أية دولة مسلمة (*)



(*) عن مجلة مسلم نيوز انترناشنال الباكستانية المسلمة - عدد أغسطس ١٩٦٨م الموافق جمادى الأولى ١٣٨٨هـ.

إنجلترا:

١٧- الشيخ رَحْمَةُ اللهِ الْفَارُوق (اللورد هيدلي سابقاً)

Lord Headley AI- Farooq "England"

تعريف في سطور

ولد اللورد هيدلي الفاروق في عام ١٨٥٥ وكان أميراً بريطانيا بارزا وسياسيا ومؤلفا. وكان تعليمه في جامعة كامبرج ثم أصبح أميراً في عام ١٨٧٧م. وخدم في الجيش فشغل رتبة كابتن ثم مقدم في الفيلق البريطاني الرابع. وعلى الرغم من كونه مهندسا بحكم المهنة فقد كان يتمتع بأذواق أدبية واسعة. وكان في وقت من الأوقات رئيساً لتحرير جريدة «سولزبوري»، كما كان مؤلفاً لعدد من الكتب أشهرها بعنوان «رجل غربي يصحو فيعتنق الإسلام» وقد اعتنق اللورد هيدلي الإسلام في ١٦ نوفمبر ١٩١٣ واتخذ لنفسه اسماً مسلماً هو الشيخ رحمة الله الفاروق في وقت كان المسلمون في أشد حالات الضعف والضياع، وكان كثير الأسفار فقد قام بزيارة للهند في عام ١٩٢٨. ولنتركه يحدثنا:

ثمرة تفكير:

ربما يظن بعض أصدقائي أنني تأثرت بالمسلمين. إلا أن ذلك ليس السبب في اعتناقي دين الإسلام. إذ أن معتقداتي الحاضرة ليست إلا ثمرة تفكير استمر سنوات عديدة. ولم تبدأ مناقشاتي الفعلية مع المثقفين المسلمين في موضوع الدين إلا منذ بضعة أسابيع خلت. ولست بحاجة إلى القول بأنني سعيد غاية السعادة إذ أجد أن جميع نظرياتى واستنتاجاتى تتفق تمام الاتفاق مع ما جاء به الإسلام. ينص القرآن الكريم على أن الاتجاه إلى اعتناق دين جديد لا بد أن يكون نابعاً من الاختيار الحر والحكم الذاتى الطبيعى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وهذا ما أشار إليه السيد المسيح عليه

السلام حين قال لأنصاره كما ورد في انجيل مارك ٦ - ٢٠: «ولكل إنسان الحق في عدم استقبالكم والامتناع عن سماعكم عندما ترحلون إلى هناك».

دَعْوَةٌ بِالْإِحْكَامِ:

إننى أعرف أمثلة كثيرة جداً قام فيها رجال من البروتستانت المتحمسين وظنوا أن من واجبهم زيارة منازل الروم الكاثوليك بغية كسب سكانها إلى الديانة البروتستانتية^(١). وهذا التصرف المزعج المنافى لأداب الجوار يعتبر بطبيعة الحال شنيعاً للغاية، وقد أدى كثيرا إلى إساءة المشاعر كما أثار النزاع وكاد يصم الدين بالاحتقار والسخرية، ويؤسفنى أن أذكر أن المبشرين النصارى قد سلكوا هذا المسلك كذلك مع إخوانهم المسلمين، ولكن لست أدري لماذا يسعى هؤلاء إلى تنصير من هم أنصار لعيسى عليه السلام أكثر منهم أنفسهم؟ أقول هذا عن علم لأن ما تتميز به العقيدة الإسلامية من إحسان وتسامح وسعة أفق أقرب إلى تعاليم عيسى عليه السلام من المعتقدات الضيقة الأفق التى تنادى بها الكنائس النصرانية المختلفة.

ولنضرب مثالا لذلك بالعقيدة الأثناسية «Athnasian Creed» التى تتناول مبدأ الثالث بطريقة محيرة للغاية، فهذه العقيدة التى تعتبر فى غاية الأهمية لمعالجتها لمبدأ أساسى من مبادئ الكنائس تصرح بوضوح تام أنها تمثل العقيدة الكاثوليكية، وأننا إذا لم نصدقها فسوف نموت إلى الأبد، ثم نسمع أننا لا بد أن نتدبر مبدأ التثليث إذا أردنا الخلاص، وبعبارة أخرى علينا أن نتأمل فكرة إله نخلع عليه صفة الرحمة والقوة، وفى ذات الوقت نتهمه بالظلم والقسوة، وهى صفات ننسبها إلى أشد الطغاة المتعطشين للدماء من بنى الإنسان. كأن الله العلى الكبير وهو الأول والمهيمن يمكن أن يتأثر بصورة من الصور برأى الإنسان الفانى المسكين فى مبدأ التثليث.

خذ مثالا آخر يدل على قلة الإحسان، تلقيت رسالة تناولت ميلى إلى الإسلام يخبرنى فيها مرسلها أننى إذا لم أؤمن بألوهية المسيح فلا سبيل إلى نجاتى، لم يحدث قط أن ظهرت لى مسألة ألوهية المسيح من الأهمية بـمكان بحيث توازى القضية التالية: «هل يبلغ المسيح رسالة ربه للناس؟» لو كنت أرتاب فى ذلك فلا بد أن أعانى كثيرا من

(١) البروتستانتية معناها المعارضة وهى طائفة دينية انشقت عن الكاثوليكية على يد مارتن لوثر الألمانى.

القلق، ولكنى والحمد لله معافى من كل ريب، وأمل أن يكون إيماني بالمسيح وتعاليمه المهمة قوياً راسخاً كإيمان أى مسلم أو نصراني آخر، وكما ذكرت وكررت كثيراً من قبل: إن الإسلام والنصرانية التي جاء بها المسيح نفسه عليه السلام توأمان لا يفصل بينهما إلا بعض التعاليم والاصطلاحات التي يمكن التجاوز فيها عن طيب خاطر.

عندما يطلب إلى الناس في أيامنا هذه الإيمان بمعتقدات جامدة متعصبة نجدهم يميلون إلى الإلحاد، ولكن بما لا شك فيه أن في صدورهم حينئذ إلى دين يتمشى مع العقل والعواطف الإنسانية، فهل سمعتم بمسلم يرتد إلى ملحد؟ ربما توجد بعض الحالات الشاذة ولكنى أشك في ذلك كثيراً.

مُسْلِمُونَ بِقُلُوبِهِمْ:

أعتقد أن هناك آفاً من الرجال والنساء مسلمون في أعماق قلوبهم، ولكن التقاليد والخوف من التعليقات الشديدة والرغبة في تجنب كل إزعاج أو تغيير، تتضافر كل هذه الأمور للحيلولة دون تصريحهم بالحقيقة الواقعة على رؤوس الأشهاد، وإنني إذ أتخذ هذه الخطوة أعلم تماماً أن كثيراً من أصدقائي وأقاربي ينظرون إلى متوهمين أنني خسرت روحى وأن لا أمل في الدعاء لى، مع أنني مازلت أو من بنفس العقائد التي آمنت بها منذ عشرين عاماً ولكن النطق الصريح بحقيقة أمرى هو الذى أفقدنى رأيهم الحسن.

بعد بيان بعض الأسباب التي من أجلها اعتنقت تعاليم الإسلام، وبعد أن شرحت للقراء أنني أعتبر نفسى بذلك العمل أقرب إلى النصرانية الحقّة مما كنت من قبل، فكلى أمل في أن يحذو الآخرون حذوى، فهي قدوة إلى الخير تجلب السعادة لكل من يعتبر من هذه الخطوة ويفهم أنها خطوة إلى الأمام. أما من يعادى النصرانية الحقّة فلا أمل فيه (*).



النمسا:

١٨- محمد أسد

(ليوبولد فايس) سابقاً

تَعْرِيفٌ فِي سُبُطُور:

ولد محمد أسد أو ليوبولد فايس (Lcopold Weiss)، كما كان اسمه قبل الإسلام في مدينة ليفو (Livow) بالنمسا، والتي أصبحت فيما بعد في بولندا - ولد في عام ١٩٠٠ ميلادية. ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره قام بزيارة الشرق الأوسط. وأصبح بعد ذلك مراسلا خارجيا شهيرا لـمجلة فرانكفورتر زايونج Frankfurter Zeitung وبعد دخوله في دين الإسلام تحول واشتغل في سائر أنحاء العالم الإسلامي من شمال أفريقيا غربا إلى أفغانستان شرقا. وقد أصبح محمد أسد واحدا من أبرز علماء المسلمين في عصرنا الحاضر بعد سنوات طويلة من الدراسة الجادة، ولما تم إنشاء دولة باكستان عين مديرا لقسم التعمير الإسلامي في بنجاب الغربية، ثم أصبح ممثل باكستان الدورى لدى الأمم المتحدة. وله مؤلفات باللغات الألمانية والانجليزية والعربية ومن أبرز كتبه: «الطريق إلى مكة» وقد ترجم إلى العربية، و«الطريق إلى الإسلام» تحدث فيه عن قصة إسلامه تفصيلا، وكتابه «الإسلام على مفترق الطرق» وهو على صغره من أجمل ما كتب عن الإسلام، وكتاب «نظام الحكم في الإسلام» وغيرها، كذلك أصدر مجلة شهرية سماها «عرفات». وله ترجمة معانى القرآن بالإنجليزية، ولندعه الآن يحدثنا عن جانب من قصة إسلامه ويستطيع من يريد الاستزادة من القراء الكرام أن يرجع إلى مقدمة كتابه الثانى «الإسلام على مفترق الطرق». وهو سياسى وصحفى ومؤلف. وقد كان آخر المطاف له الإقامة بمدينة طنجة بالمغرب حيث توفاه الله، رضى الله عنه وأرضاه.

بَدَايَةُ الطَّرِيقِ:

فى عام ١٩٢٢م تركت وطنى الأصلى النمسا وسافرت عبر أفريقيا وآسيا كمراسل خاص لبعض الصحف الأوروبية المهمة، ومنذ ذلك العام وما بعده قضيت معظم أوقاتي

فى بلاد الشرق الإسلامى. وكان شغفى بالشعوب التى خالطتها مقتصراً فى مبدأ الأمر على كونى أجنبياً، فرأيت أمام ناظرى نظاماً اجتماعياً وتصوراً للحياة يختلف اختلافاً جذرياً عن النظام الأوروبى، وأخذ يكبر فى نفسى منذ الوهلة الأولى شعور بالتعاطف الوجدانى مع التصور الحياتى الإسلامى الأكثر هدوءاً، بل لا بد أن أقول بأنه الأكثر إنسانية إذا قورن بأسلوب الحياة الخاطف فى سرعته، الآلى فى طريقته فى البلاد الأوروبية، وقادنى هذا الشعور شيئاً فشيئاً إلى التنقيب عن الأسباب الكامنة فى هذا التباين. فأصبحت مهتماً بالتعاليم الدينية لدى المسلمين.

لم يكن ذلك الاهتمام فى تلك الآونة على درجة من القوة بحيث يشدنى إلى اعتناق الإسلام، ولكنه فتح أمامى زاوية جديدة لمجتمع إنسانى متقدم منظم يتسم بحد أدنى من الصراع الداخلى، وحد أقصى من الإحساس الأخوى الصادق، إلا أن واقع الحياة الإسلامية فى العصر الحاضر قد بدا لى بعيداً غاية البعد عن الاحتمالات المثالية التى تزخر بها تعاليم الإسلام. فقد تحول كل ما فى الإسلام من تقدم وحركة إلى كسل وركود فى أوساط المسلمين، وحل ضيق الأفق وحب الحياة الهائثة الميسرة محل الكرم والاستعداد للبذل والتضحية.

بَيْنَ الْأَمْسِ وَالْيَوْمِ:

لقد دفعنى هذا الاكتشاف وتلك الحيرة الناجمة عن المفارقة الواضحة بين أمس واليوم إلى محاولة تناول المشكلة الماثلة أمامى من زاوية أكثر إخلاصاً، فتصورت أننى داخل إطار الإسلام. وكانت هذه تجربة فكرية محضة كشفت لى الحل الصحيح خلال فترة وجيزة. فقد أيقنت أن علة العلل فى انحلال المسلمين من الناحيتين الاجتماعيتين والثقافية تتمثل فى هجرهم روح التعاليم الإسلامية. فالإسلام موجود ولكنه فى نفوسهم جسد بلا روح، فنفس العنصر الذى تمثلت فيه قوة العالم الإسلامى قد أصبح اليوم مظنة ضعف هذا العالم، ولقد قام المجتمع الإسلامى بادىء ذى بدء على أسس دينية مجردة لذلك كان لزاماً أن يزدى ضعف الأسس إلى زعزعة البناء الثقافى، مما قد يؤدى إلى تلاشيهِ التام.

كَيْفَ يَحْجُرُ الْمَسْلُومُونَ دِينَهُمْ...؟

عجياً لأمر المسلمين! كلما تعمقت فى فهم الصفة التطبيقية الملموسة التى تتميز بها

التعاليم الإسلامية كلما اشتد تساؤلي: لماذا هجر المسلمون تطبيق هذه التعاليم في الحياة الواقعية؟ لقد بحثت هذه القضية مع كثير من المفكرين المسلمين في معظم الأقطار التي تقع بين الصحراء الليبية والپامير Pamirs وبين مضيق البسفور وبحر العرب، حتى غدت هذه القضية بمثابة عقدة تغلغت في نهاية المطاف في كافة اهتماماتي الفكرية الأخرى في عالم الإسلام، ثم اشتدت وطأة هذا التساؤل واطردت حتى أخذت أنا الرجل غير المسلم في بحثها مع المسلمين، وكأن من واجبي أن أدفع عن الإسلام إهمالهم وتكاسلهم.

كان هذا التقدم غير محسوس بالنسبة لي، إلى أن كان يوم من أيام خريف عام ١٩٢٥م عندما كنت في جبال أفغانستان إذ التفت إلى حاكم شاب من حكام إحدى المقاطعات الأفغانية وقال: «ولكنك مسلم. كل ما في الأمر أنك لا تعرف نفسك»، لقد هزنتى هذه العبارة ولكنني التزمت جانب الصمت، وعندما عدت ثانية إلى أوروبا في عام ١٩٢٦ رأيت أن النتيجة المنطقية الوحيدة لموقفى هي أن أعتنق الإسلام.

أكتفى بما ذكرت آنفاً عن الظروف التي أحاطت باعتناقى للإسلام. ومنذ ذلك الحين وأنا أسأل المرة تلو الأخرى: «لماذا أسلمت؟ ما الذى جذبك إلى الإسلام بصورة خاصة؟».

الإسلامُ البناءُ الشاملُ:

والحق أننى لا بد أن أعترف. أننى لا أملك إجابة شافية لذلك، فلم يجذبني إلى هذا الدين تعليم إسلامى معين وإنما الذى استقطبني إليه هو ذلك البناء العظيم الشامل المتناسق الذى يبلغ حداً لا يمكن وصفه، والذى يتضمن تعاليم خلقية كما يتضمن برنامج حياة واقعى، لست أدري حتى الآن أى جانب من الإسلام يستميلنى أكثر من غيره، لأن الإسلام فى نظرى بمثابة بناء هندسى بديع لا يشوّهه أى عيب، قد صممت كافة جزئياته وائتلفت يكمل بعضها البعض الآخر، ليس فيه زيادة أو نقصان مما أدى إلى التوازن المطلق والائتلاف المكين.

ربما يكون هذا الإحساس بأن كل شىء فى تعاليم الإسلام ومبادئه يقع فى مكانه المناسب هو الذى ترك أعظم الأثر فى نفسى، وقد تكون إلى جانبه مشاعر أخرى من العسير على الآن أن أحللها، والمسألة على كل حال عبارة عن قضية حب، والحب يتألف

من أمور شتى تدخل فيها رغباتنا وشعورنا بالوحشة وآمالنا السامية وعيوننا، كما تدخل فيها قوتنا وضعفنا . وكذلك الحال بالنسبة لى، فقد أتانى الإسلام متسللاً كالطيف حين يدخل منزلاً ما فى حلقة الليل المظلم. لكنه يختلف عن الطيف فى أنه دخل ليبقى إلى الأبد.

الإسلامُ أعظمُ قوَّة :

منذ أن أسلمت وأنا أسعى جاهداً لطلب أكبر قدر من العلم الإسلامى. فقد درست القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، كما درست لغة الإسلام وتاريخه وجانباً كبيراً مما كتب عنه وما كتب ضده، وأمضيت خمس سنوات ونيف فى الحجاز ونجد، كان معظمها فى المدينة المنورة على أمل أن أتذوق الحياة وسط البيئة الأصلية التى نبت فيها هذا الدين، حيث دعا إليه النبى العربى صلوات الله وسلامه عليه، ولما كانت الحجاز نقطة التقاء المسلمين من أقطار كثيرة فقد أمكننى أن أقارن بين معظم الآراء الدينية والاجتماعية المختلفة السائدة فى العالم الإسلامى فى أيامنا هذه، حتى أحدثت هذه الدراسات والمقارنات اعتقاداً راسخاً فى نفسى بأن الإسلام كظاهرة روحية اجتماعية لا يزال أعظم قوة دافعة عرفتها البشرية، رغم كافة السقطات التى ترجع إلى قصور المسلمين أنفسهم، لذلك أصبح همى الأول منصباً منذ ذلك الحين على قضية بعث الإسلام من جديد.



هنغارياً: "المجر"

١٩- الدكتور عبد الكريم جرمانوس
"مستشرق مجري"

تعريف في سطور

هو الحاج الدكتور عبد الكريم جرمانوس مستشرق هنغاري «مجري» معروف وعالم له شهرته في العالم، زار الهند في الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين واتصل بجامعة طاغور بعضاً من الوقت، ثم قدم إلى الجمعية المليية في نيودلهي حيث اعتنق الإسلام. والدكتور جرمانوس عالم في اللغويات فهو حجة في اللغة التركية، وأدبها، ولقد دخل في الإسلام عن طريق الدراسات الشرقية. وكان يعمل في الستينات أستاذاً ورئيس قسم الدراسات الشرقية والإسلامية في جامعة بودابست بهنغارياً. - المترجم.

في إحدى أمسيات الشتاء من عهد مراهنقتى كنت أطلع مجلة مصورة قديمة امتزجت فيها الأحداث الجارية في الواقع بالخيال كما انتشرت في صفحاتها أوصاف البلاد النائية. ومكثت برهة أقلب صفحات المجلة دون اهتمام. وفجأة استوقف نظري منظر خشبي رأيت فيه منازل ذات سقوف منبسطة تبرز من بينها هنا وهناك قباب مستديرة يزينها الهلال وسط سماء مظلمة. كما شاهدت رجالاً يجلسون القرفصاء على السطح وعليهم حلل غريبة وقد انتشرت ظلالهم في صفوف غامضة.

أبنيهاج ودراسات:

لقد ابتهج خيالي بهذه الصورة تبعاً لاختلافها الشديد عن المناظر الطبيعية المعتادة في أوروبا، فقد كانت منظرًا شقيماً في مكان ما من الشرق العربي حيث جلس أحد الرواة يقص على مستمعيه المثيرين قصصه المبهجة. وكانت الصورة حية بشكل جعلني أتخيل أنني أسمع صوته العذب وهو يسلينا: مستمعيه العرب الجالسين معه على السطح، وأنا الطالب البالغ من العمر ستة عشر عاماً - والجالس على كرسي مريح في بلادى هنغارياً -

لقد أحسست بشغف لم أستطع مقاومته لمعرفة ذلك النور الذى يصارع الظلمة فى الصورة.

من هنا بدأت أتعلم اللغة التركية، فعرفت أن اللغة الأدبية التركية لا تتضمن إلا قليلا من الكلمات التركية. فالشعر التركى غنى بالعناصر الفارسية والنثر العربى. فأخذت أعمل على إجادة هذه اللغات الثلاث حتى أدخل ذلك العالم الروحى الذى طلع على البشرية بهذا النور الساطع.

الانضال الأول : سَأَلُ لَأَعْدَاوَةٌ :

لقد كان من حسن طالعى أن أسافر فى إحدى الأجازات الصيفية إلى بلاد «البوسنا» وهى أقرب بلد شرقى مجاور لهنغاريا، وما أن نزلت فى أحد الفنادق حتى خرجت مندفعاً بغية مشاهدة المسلمين الأحياء الذين كانت لغتهم التركية تطلع على من خلال حروفها العربية المتشابكة، وذلك فى صفحات كتب النحو والصرف، وكان الزمان ليلا فسرعان ما اكتشفت فى الشوارع ذات الضوء الخافت مقهى متواضعاً جلس فيه رجلان من أهل «البوسنا» على مقاعد منخفضة «يكيفان». كان كل منهما يرتدى سروالا تقليدياً منتفخاً يمسكه حزام عريض مزين بالخناجر اللامعة ومعقود حول الخاصرة، كما أن لباس الرأس والحلة الغربية الشكل التى كان يرتديها كل منهما قد أكسبتهما مظهراً شرساً، فدخلت «القهوة خانة» - كما يسمونها - وقلبى يدق بشدة من الفزع وجلست بحذر فى ركن بعيد. فالتفت الرجلان نحوى بعيون يبدو فيها الاستغراب. وسرعان ما تذكرت القصص التى يتجمد الدم فى الشرايين من هول سماعها. تلك القصص التى كنت أطلعها فى كتب خيالية حول تعصب المسلمين. ولاحظت أنهما كانا يهتمان فيما بينهما وأن حضورى غير المنتظر هو موضوع همسهما. فما كان من خيالى الصبباني إلا أن تأجج بالرعب وقلت فى نفسى: لا بد أنهما ينويان أن يشهرا خنجريهما فى وجه «الكافر» الدخيل. وقنيت أن أخرج بسلام من هذا الجو المنذر بالخطر. ولكننى لم أجرؤ على الإتيان بأية حركة.

وبعد ثوان قليلة أتانى الخادم بفنجان من القهوة الزكية الرائحة وأوماً إلى مجلس الرجلين المخيفين، فأدرت وجهى الفزع نحوهما فما كان من أحدهما إلا أن أفشى سلاماً ودياً وعلى وجهه ابتسامة لطيفة، فجرت ابتسامة مفتعلة متلكئة على شفتى المرتعشتين، وقام الرجلان اللذان تصورت أنهما عدوآن واقتربا ببطء من منضدتى

الصغيرة، فثار فى قلبى المضطرب التساؤل التالى: ترى ماذا سيفعلان بى الآن؟ هل سيطردانى؟ لا بل لقد طرحا على سلاماً آخر، وجلس الرجلان من حولى وقدم لى أحدهما سيجارة، ولما أشعلتها لاحظت أن لباسهما العسكرى يخفى وراءه روحاً مضيافةً كريمة، فجمعت قوتى وخاطبتهما بلهجتى التركية البدائية: فكان ذلك الحديث كالعصا السحرية، إذ استنارت فى روح من المودة التى تشرف على الحب، وبدلاً من العداوة دعانى هذان الرجلان إلى زيارة بيتيهما، وبدلاً من الحناجر الزائفة المتوقعة غمرت بالتسامح، ذلك هو لقائى الشخصى بالمسلمين لأول مرة.

العلومُ الإسلاميَّةُ:

ثم مضت سنوات زاخرة بشتى الأحداث والأسفار والدراسات فتحت كل واحدة منها آفاقاً جديدة أمام ناظرى. فعبرت كافة الأقطار الأوروبية ودرست فى جامعة اسطنبول فأعجبت بروائع آسيا الصغرى وسوريا. وتعلمت اللغة التركية والفارسية والعربية وحصلت على كرسى الدراسات الإسلامية بجامعة بودابست. والتهمت كافة العلوم النظرية المختزنة عبر القرون كما طالعت آلاف الصحائف فى المؤلفات العلمية. ولكن روحى بقيت ظمأى. لقد وجدت خيط اربادنه «Ariadne»، الأخضر فى كتب العلم، ولكنى تشوقت إلى جنة التجربة الدينية ذات الخضرة السرمدية. لقد بلغ عقلى حد التشبع إلا أن روحى ظلت متعطشة. فجردت نفسى من كثير من المعارف التى حصلتها كى أستعيدها من خلال التجربة الباطنية بعد صهرها بنار الألم، كمثل الحديد الخام الذى تحيله قسوة البرودة المفاجئة إلى حديد صلب مطاوع.

رُويَاىِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ:

وفى إحدى الليالى رأيت النبى محمداً ﷺ أمامى. كانت لحيته الكثة محمرة بالحناء وكان رداؤه بسيطاً رائعاً تنبعث منه رائحة زكية. وقد أشرقت عيناه بإشعاع نورانى. فخاطبني بصوت رجولى قائلاً: «لماذا تكتنقك الهموم؟ إن الصراط المستقيم مبسوط أمامك كسطح الأرض المستوية يزينه الأمن. فسِرْ بخطى واثقة ثابتة مدعومة بقوة الإيمان».

فصحت متعجباً بلسان عربى فى ذلك المنام المؤثر قائلاً: «يا رسول الله! إنّه أمر

ميسر لك أنت الذى عبرت الطريق وهزمت جميع الأعداء، بعد أن دفعك الذكر الربانى فى سبيلك حتى تُوجت مساعيك بالنصر والفوز المبين، أما أنا فلا بد لى من أن أقاسى. ومن يدرى متى أجد راحتى!».

فنظر إلى نظرة جادة استغرق على إثرها فى تفكير عميق ولكنه عاد فتكلم بعد برهة، كان كلامه العربى من الوضوح بحيث كانت كل كلمة فيه تجلجل كأجراس الفضة، إن هذا الكلام النبوى الذى تضمن أوامر الله كان بمثابة حمل ثقيل ساحق فوق صدرى ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾﴾ [النبا: ٦-٩]. فتنهدت متألماً: «لا أستطيع أن أنام، لا أستطيع أن أحل الأسرار المغطاة بحجب كثيفة لا يمكن خرقها، فكن عونى يا محمد يا رسول الله أعنى!» ثم انطلقت من جوفى صرخة شديدة متقطعة. وارتقيت تحت وطأة الكابوس وقد كدت أن أختنق. وأصبحت أخشى من غضب النبى. ثم شعرت وكأننى وقعت فى أعماق سحيقة. وفجأة استيقظت. فوجدت الدم قد احتبس فى وجناتى، كما وجدت جسدى غارقاً فى العرق وكل عضو فيه يؤلمنى. ولفئنى صمت قاتل، ثم أحسست بالأسى الشديد والوحشة العظيمة.

المشهد العظيم فى صلاة الجمعة:

ثم كان يوم الجمعة التالى فشهد منظراً مشيراً للدهشة وذلك فى المسجد الجامع الكبير فى نيودلهى، حيث شوهد رجل غريب أشهب الشعر، شاحب الوجه يشق طريقه بين جماهير المصلين ومعه بعض الشيوخ. كنت ذلك الرجل، وعلى لباس هندي وعلى رأسى قبعة رامبوريه Rampuri صغيرة، وعلى صدرى أوسمة تركية أهديت لى من قبل السلاطين السابقين، فنظر إلى المؤمنون نظرة ملؤها الدهشة والاستغراب، واستمرت مجموعتنا الصغيرة فى اتجاهها إلى المحراب الذى يحيط به علماء أجلاء طاعنون فى السن، فاستقبلونى بالسلام رافعين أصواتهم، وجلست قريباً من المنبر وطوفت ببصرى أتأمل واجهة المسجد ذات الزخارف الجميلة.

لِحْظَةٌ مَعْظَمَةٌ وَمُسْلِمٌ جَدِيدٌ :

وفجأة رفع الأذان ووقف المكبرون في أماكن شتى من الرواق ينقلون النداء إلى أبعد ناحية في المسجد، ثم قام ما يقارب الأربعة آلاف رجل مثلما يقوم الجنود ملبيين هذا الأمر السماوي. واصطفوا في صفوف متقاربة وأقاموا الصلاة بخشوع تام، وكنت بينهم، فكانت لحظة مليئة بالتعظيم. وبعد انتهاء الخطبة والصلاة أخذ أحد المسلمين واسمه عبدالحى بيدى وقادنى إلى المنبر، لقد جاءت الحادثة العظيمة، فما أن وقفت على درجات المنبر حتى بدأ الحشد الهائل من الناس فى التحرك، وأخذ آلاف الرجال المعممين يتمتمون مع بعضهم البعض مشيرين إلى باستغراب. كما أحاط بى علماء ذوو لحى بيضاء ومسحونى بنظراتهم المشجعة فأيقظوا فى نفسى ثباتاً غير عادى، فأخذت أصدق ببطء إلى الدرجة السابعة من المنبر دون وجل، ومن فوقها استعرضت الجمهور المختلف الألوان وكان يزخر تحتى كالبحر تماما، كان الجالسون فى الصفوف الخلفية يمدون أعناقهم نحوى فكان ذلك يوحى بانتشار الحركة فى القاعة كلها، وقال بعض الجالسين بالقرب منى متعجبين: ما شاء الله! وكانت عيونهم تشع بنظرات المودة والحب.

ثم بدأت خطابى باللغة العربية فقلت: أيها السادة الكرام: لقد أتيت من بلاد نائية كى أحصل معرفة لم أستطع تحصيلها فى بلادى. جئتمكم لأقتبس منكم الإلهام فاستجبتم لذلك. وواصلت حديثى فتكلمت عن الدور الذى أداه الإسلام فى تاريخ العالم وعن الآية التى أودعها الله فى نبيه عليه الصلاة والسلام، وشرحت سبب تأخر المسلمين المعاصرين وكيف يستعيدون عزهم من جديد، وقلت بأن هناك قولاً إسلامياً مفاده أن كل شىء يتوقف على مشيئة الله، ولكن القرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] فبنيت حديثى على هذه الآية القرآنية وعرجت للشناء على حياة الصلاح والتقوى ومحاربة الشر. ثم جلست فتأثرت برد الفعل الساحر الذى تركه حديثى إذ أخذت عبارة «الله أكبر» تتردد بها جنبات المسجد. وكانت الإثارة شاملة، وكل ما أذكره أن «إسلام» - أحد المسلمين - دعانى إلى النزول عن المنبر وأمسك بعضدى حتى سحبنى خارج المسجد. فسألته عن سر هذه العجلة فلم يجب.

حَبُّ وَمَوَدَّةُ بَالِغَةٍ :

لقد وقف الرجال أمامي وأخذوا يعانقونني كما نظر إليّ كثير من المساكين نظرات ملؤها التوسل، وصاروا يتبركون بي وهموا أن يقبلوا رأسي، فقلت متعجباً: يا إلهي! لا تدع هذه النفوس البريئة ترفعني فوقها، فما أنا إلا دودة من دود الأرض، أو تائه يسير نحو النور عاجز لا حول لي ولا قوة مثل سائر المخلوقات البائسة. لقد أخرجتني تنهدات البراءة وآمالهم فشعرت وكأنني قد سرقت أو خدعت. فيا له من حمل ثقيل يوضع على كاهل الرجل السياسي مثلاً، حين يحوز على ثقة الناس حتى يجعلوه أملهم الذي يعينهم وصاروا يقدمونه على أنفسهم.

ثم جاء «إسلام» فخلصني من عناق إخواني الجدد، ووضعتني في مركبة وقادني إلى البيت، وفي اليوم التالي والأيام التي تلتها احتشد الناس لتهنئتي فجمعت من دفء المودة وارتفاع الروح المعنوية على أثر حبهم لي ما يكفيني طيلة حياتي الباقية(*) .



(*) مقتطفة من مجلة مسلم نيوز انترناشنال عدد يوليو ١٩٦٨م. الصادرة شهرياً في باكستان.

هنغاريا: "المجر"

٢٠- حَسَنُ وَوَفْرٌ (جوليس ووفر سابقاً)

هذه قصة شاب هنغاري يبلغ من العمر حين لقيته نيافا وثلاثين سنة وهو إنسان عاطفي للغاية حضر إلى الكويت وأجريت معه عدة لقاءات كانت السطور التالية ثمرة جلسة خلا فيها لنفسه فكتب هذه الخلجات . وهو متيم في حبه للبلاد العربية .

ولدت في بلاد المجر «هنغاريا» . ولم يمض وقت طويل على ولادتي حتى انفصل والداي بالطلاق. وعندما كبرت قليلا وجدت نفسي أتنقل بينهما وأستمع الى الشتائم والخلافات. ولم أسمع شيئا عن الله، اللهم إلا من الخدم. ثم ذهبت إلى المدرسة وكانت مدرسة بروتستانتية كما هو مذهبنا بينما كان مذهب الخدم الرومية الكاثوليكية لذلك تعلمت في المدرسة ديناً جديداً يغاير الدين الذي كنت أعرفه. إذ كان المعلمون في المدرسة يهاجمون المذهب الكاثوليكي جهاراً نهاراً ويقولون بأن الكاثوليك مخطئون خطأ فاحشاً. ومضى وقت طويل دون أن أعرف الصواب من الخطأ في حديث أساتذتي. وكنت في ذلك الحين فتى غضاً لا أفهم كثيراً من الأمور.

لقد تعودت أن أذهب إلى الكنيسة الكاثوليكية. فتعلمت منها الوصايا العشر التي أثرت في نفسي كثيراً لأنني كنت آخذ كل كلمة فيها مأخذ الجد. فقد اشتغل تفكيري بالوصية الأولى التي تقول: لا تتخذ آلهة غيري؛

مَنْ الْوَثْنِيُّ : ؟!

وفي المدرسة العليا درست شيئا عن الشعوب غير النصرانية كالعرب والأتراك وكانوا يلقبون بالوثنيين^(١). فقد عاش الترك في هنغاريا منذ حوالي مئة وخمسين عاما حتى

(١) اعتاد النصراني أن يسموا المسلمين بالوثنيين زعما منهم إن المسلمين يعبدون «الله» وهو أحد الأصنام التي اختارها لهم محمد. وهذه مغالطة كبيرة مقصودة كما هو واضح. فالمسلمون موحدون والنصراني هم الوثنيون حقا. المترجم.

خلفوا آثارا لا تنمحى فى البلاد، وتعلمنا كذلك أن الأتراك مسلمون وأن النبى محمد ﷺ هو مؤسس الإسلام - وكان الإسلام يلقب بالدين الوثنى الذى لا يؤمن بالمسيح- (١). كذلك يجد الدارس للأدب الهنغارى كثيرا من المؤلفات عن الأتراك والعصر التركى.

فى روائع الأدب الهنغارى يوصف الترك بأنهم بشر غريبو الأطوار متدينون. وقد أحببت الأتراك بعد أن قرأت إحدى روائع الأدب الهنغارى، وأحسست أننى واحد منهم بحيث أننى عندما كنت أشتري فى التمثيل كنت أنتقى دور أحد الباشاوات الأتراك أو دور شريف عربى.

وقلت فى نفسى: أريد أن أعرف لماذا نسمى هؤلاء الناس بالوثنيين؟ لماذا ندعوهم بالمسلمين؟ وما هو الإسلام؟ ثم وقعت الحرب العالمية الثانية وحدثت تطورات كثيرة أصبحت بلادى على أثرها ميداناً للمعركة وأخيراً جاء الاحتلال الروسى، فأحضر الروس معهم مبدأهم الإلحادى وهو الشيوعية. ومنعونا نحن الشبان من الذهاب إلى الكنيسة. وكنت كما ذكرت آنفاً شاباً بروتستنتياً أذهب إلى الكنيسة الكاثوليكية لإحساسى بأن القساوسة البروتستانت ينشرون الضلال والنفاق. كما أن الكاثوليكى يؤمن بالأب والابن والروح القدس، وفى الوقت ذاته يدعو إلى الإيمان بالله وحده. لم أستطع أن أفهم ذلك مما سبب لى إزعاجاً كبيراً.

وعندما تعمقت فى الكاثوليكية أكثر فأكثر أيقنت أننى لم أكن أسلك الطريق الصحيح، فتركتها إلى الأبد، ومضت سنوات أحسست خلالها بفراغ قاتل نسيت معه الصلاة بالكلية، وكنت أكتفى بالنظر فى السماء فتواجهنى الشمس القوية التى تغلغل البصر ولا تهدي إلى الرشد، ثم نظرت فى النجوم فلم أهتد. ثم أخذت أتدبر وأفكر. قلت فى نفسى:

«ماذا يحدث لو أننى تمددت على الأرض وأخذت ببساطة أصلى لله؟ هل يتغير حالى؟ هل أكون آثماً؟ أم أكون مصيباً؟ وماذا يمكن أن يقول الناس عنى؟ استمرت هذه الأفكار المحيرة تراودنى وتحيط بى سنوات طويلة حتى أننى شعرت ذات يوم ببؤس

(١) الإسلام يؤمن بنبوة المسيح بمعنى أن المسيح عيسى هو عبدالله ورسوله ولكن الإسلام ينكر ألوهية المسيح- المترجم.

وشقاء شديد لم أستطع معه النوم. فسجدت على الأرض إلى جوار فراشى وصليت لله. وكانت صلاتى بسيطة عبارة عن الدعاء التالى: «اللهم يا عزيز يا قوى! أمنت بك وحدك لا شريك لك. اللهم يا ذا الجلال يا من يملك زمام القيامة أعنى يارب». ولما فرغت من صلاتى شعرت أننى خفيف الحمل سعيد لا تثقلنى الهموم. فنمت طيلة الليل.

أسفار إلى بلاد المسلمين :

ثم حدثت الثورة الهنغارية فغادرت وطنى وسافرت إلى المجلترا. ومضت سنوات عديدة ولكن حيبى وإعجابى بالعرب والبلاد العربية لم ينته، ولما أتيت لى فرصة العمل على ظهر سفينة من السفن سافرت على ظهرها عبر قناة السويس والبحر الأحمر حتى وصلت إلى عدن ثم إلى استراليا. وكانت تجرية مشيرة للغاية قابلت خلالها العرب فأحسست منذ اللحظة الأولى أننى واحد منهم، كان قلبى يدق بشدة، وكنت أشعر أننى أصبحت إنساناً جديداً. ولم أكن أحس أننى فى بلد جديد وإنما شعرت أن هذه البلاد الغربية بلادى.

أحسست وكان التاريخ يحيط بى، ونظرت شمالي فوجدت شبه جزيرة سيناء والتفت إلى اليمين فرأيت مصر، فقلت: هذا هو موطنى. ولشدة تأثرى نسيت أننى على ظهر سفينة عابرة، إلا أننى لم أكن أعرف فى ذلك الحين عن الإسلام - دين العرب - إلا النزر اليسير. ولم أكن أشعر بالتعب رغم الإرهاق البدنى الكبير الذى ينتابنى ، ومن عمق هذه التجربة الحبيبة شعرت أن هذه الأرض والماء والهواء كلها لى، لأننى أنتمى إليها.

وسافرت السفينة مسرعة حتى كانت السعودية عن يسارى، تلك الأرض الطيبة المقدسة حيث تقع مكة المكرمة، ونادى مناد أن ها قد وصلنا إلى عدن. وكنت حتى تلك اللحظة لم أتحدث إلى أى عربى. وكانت عدن البلد الوحيد الذى استطعت فيه أن أخاطب العرب، وما ذلك إلا لتأخر السفينة وانتظارها فى ذلك البلد، وكنت أنادى الناس: «يا إخوتى!» لأننى لم أكن أحس أننى غريب عنهم. بل شعرت أنهم أهلى.

حياة محمد ﷺ :

كان عملي في السفينة معاوناً لبائع الكتب. وكنا نبيع كثيراً من المؤلفات. وفي أحد الأيام عندما كنا على مقربة من أستراليا أوصدنا المحل وانتقيت لنفسى كتاباً مسلياً كان بعنوان «حياة محمد» أخذت أطلعه. وكان كتاباً عظيم الأثر في نفسى إذ لم أستطع أن أتركه حتى فرغت من قراءته. ففهمت منه عن الإسلام ما كنت بحاجة إلى معرفته، وكان في نفسى حنين لا أستطيع أن أكتمه إلى الجزيرة العربية وبعد أن وصلنا إلى أستراليا ومكثنا فيها ما قدر لنا أن نمكث انطلقت السفينة عائدة إلى إنجلترا.

وهناك واجهت مصاعب جمة، كان لزاماً على أن أوفر لنفسى عملاً آخر ومسكناً وشغلنى ذلك حيناً من الدهر، إلا أن حنينى إلى بلاد العرب لم ينطفى، فاتصلت بهيئة الصليب الأحمر الدولية للعمل معها كمرض فى بلاد العرب، إلا أنه لم يسعبنى الحظ فى الحال، ومضى عام ونصف عام استطعت بعدها أن أذهب إلى السعودية ثم إلى بلاد اليمن.

أعلنت إسلامى :

لا أستطيع أن أصف مشاعرى حين وصلت إلى جدة، فقد بلغت قمة السعادة، إذ هممت أن أقبل ثراها، وفى جدة التقيت برجل أوروبى مسلم وجهت إليه كثيراً من الأسئلة عن الإسلام، فتعلمت منه الكثير، وعندها أعلنت إسلامى وآمنت بالدين الحق، وبذلك أصبحت إنساناً جديداً، لقد أحسست وكأننى ولدت من جديد.

لم يمض وقت طويل حتى سقطت فريسة المرض، فلم أستطع أن أتحمّل المناخ فى جدة، وهنا لم يكن بد من الرحيل عنها، فركبت السفينة وتوجهت إلى بيروت، وقضيت رحلة ممتعة حتى بلغت بيروت، ولما توجهت السفينة لتلقاء لندن أخذت أبكى طوال الوقت حتى بلغت جنيف، وفى شهر سبتمبر وصلنا إلى لندن فوجدنا المناخ بارداً شديداً البرودة هناك بحيث كنت أحتبس فى غرفتى الخاصة، وحاولت الاتصال بالمركز الإسلامى فى تلك المدينة ولكن دون جدوى، وعثرت على عمل فى مستشفى سبق لى أن عملت فيه.

ولما كان والدى يعيش فى كندا دعانى للسفر إلى تلك البلاد فلبيت الدعوة، وقد يعجب القارئ لو علم أننى كنت أشعر بالشقاء التام لا شىء إلا لأن جميع محاولاتي

للذهاب إلى بلاد العرب قد باءت بالفشل، وكندا بلاد بعيدة لا أستطيع بحال من الأحوال أن أوفر المال الذي أعطى به نفقات السفر إلى الشرق الأوسط، وما أن وصلت إلى كندا حتى عثرت في الحمال على عمل لى إلا أنني مرضت منذ اللحظة الأولى، وقضيت في المستشفيات فترة طويلة من الزمن، وكنت في تلك الأثناء أقرأ كتباً كثيرة عن الإسلام الحنيف.. وأخذت أبحث عن واحة للإسلام في تلك الديار، حتى عثرت في نهاية المطاف على عنوان في إحدى الصحف الكندية المحلية ألا وهو عنوان المركز الإسلامى الكندى فى أدمنتون (Edmonton) إلا أن تلك المدينة كانت تبعد حوالى ٣٠٠٠ كيلو مترا عن البلد الذى نزلت فيه، فماذا ترانى فعلت؟ لقد كتبت إلى إختوتى فى الإسلام فى أدمنتون فسرعان ما جاءنى ردهم بأن لى بعض الإخوة المسلمين فى مدينتى، فطفقت من فورى أبحث عنهم، وفى اليوم ذاته كنت فى طريقى إلى المركز الإسلامى فى مدينتى.

منذ ذلك الحين ذهب عنى الشقاء والشعور بالوحشة، فلم أعد وحيداً كما كنت من قبل، وفى ظل الإسلام تمتعت بالسلام النفسى، إذ أن هذا الدين السماوى يمنحنى القوة وها هى ذى حياتى اليومية قد غدت ميسرة للغاية، فقد سهل على أن أتجه بكل كيانى إلى الله عز وجل، وها أنذا قد حضرت إلى الكويت كى أعيش بين إختوتى فى الدين، ولا أريد أن أعود إلى أى بلد فى الدنيا، لا إلى أمريكا ولا أوروبا ولا أى مكان آخر، لأننى سعيد لقربى من الأراضى المقدسة، وكلما أقرأ المزيد عن الإسلام وعن رجالته أحس دوماً بأن هذا الدين هو الدين الحق، إننى أشعر أننى فى بلادى وبين أهلى، لذلك كله فأنا سعيد غاية السعادة(*) .



(*) هذه القصة من قم الأخ المسلم جوليبوس ورفر شخصياً وقد سلمها لى عندما كان يعمل ممرضاً لدى وزارة الصحة فى الكويت، ولكنه سافر إلى السعودية مؤخراً ثم جاءنى منه رسالة علمت منها أنه عاد إلى كندا. ثم وردتنى منه الرسائل تباعاً قال لى فى إحداها: أن الناس فى أمريكا يبحثون عن دين جديد، دين يتناسب مع الفطرة السليمة، فمنذ أسابيع خلت، حدثت ضجة فى الصحف الكندية. إذ أن إحدى كبرياتها قد أعدت مقابلة مع أربعة من صغار الشبان الكنديين، ثلاثة منهم نصارى يمثلون شتى الفرق ويهودى ووجهت لهم السؤال التالى: هل الله حى أم ميت؟ فأجاب الثلاثة النصارى بأنه ميت وقال اليهودى بأنه موجود ولكن لا شأن له به، كما هاجموا جميعاً الكنائس والمعابد التابعة لدينهم - المترجم.

إنجلترا:

٢١- عَمَّابْدُ أَرشِيبالد هاملتون

(أَرشِيبالد واتكنز هاملتون سابقاً)

(قارن في سلاح الدفاع الملكي البريطاني)

تعريف في سَطُور

عرف السيد عبد الله آرشيبالد هاملتون قبل إسلامه بلقب (سير شارلز إدوارد آرشيبالد واتكنز هاملتون) اعتنق الإسلام في العشرين من ديسمبر ١٩٢٣ وكان سياسياً إنجليزياً معروفاً. وكان قد نال لقب بارون من الدرجة الثانية في عام ١٩١٩. أما ميلاده فكان في العاشر من ديسمبر ١٨٧٦. وقد شغل منصب قائد في سلاح الدفاع الملكي البريطاني، كما كان رئيساً لجمعية سلسي للمحافظين. وفيما يلي حديثه الذي أنقله عن كتاب Islam Our Choice الصادر في باكستان عن أوقاف السيدة المسلمة عائشة بوانى وهو باللغة الإنجليزية:

لقد ظل جمال الإسلام ونقاؤه البسيط يشدني إليه دائماً منذ أن بلغت سن الرشد. ولم يكن بوسعي قط، رغم ولادتي ونشأتي في بيئة نصرانية، أن أؤمن بالجانب التعسفي من الكنيسة، وكنت على الدوام أقدم المنطق والعقل على الإيمان الأعلى المجرد. وبمرور الزمن تميت أن أعيش بسلام مع خالقي وأيقنت ألا فائدة لي من كلا الكنيستين الإنجليزية، وكنيسة روما على حد سواء.

أَصْبَحْتُ إِنْسَانًا حَقِيقِيًّا:

كان اعتناقي للدين الإسلام تلبية خالصة لما يمليه ضميري، ومنذ ذلك الحين وأنا أحس أنني غدت رجلاً أفضل وأصبحت إنساناً حقيقياً، ليس هناك أي دين من الأديان تعرض لمثل ما تعرض له الإسلام من إساءة على يد الجهلة والمتزمتين. ولكن ياليت قومي يعلمون!

إن الإسلام يمنح القوة للضعيف والغنى للفقير. وتنقسم البشرية في نظري إلى ثلاث طبقات: الأولى هي طبقة أولئك الذين حباهم الله من فضله وآتاهم ملكاً وثروة. والطبقة الثانية تتمثل في الذين لا مناص لهم من الكد والعمل لكسب قوتهم. وأخيراً هناك الحشد الهائل من المتعطشين أو الذين سقطوا على جانب الطريق بلا جريرة من أنفسهم.

هذا ويعترف الإسلام بالعقوبة والنبوغ والتميز الشخصي. فهو دين بناء وعمارة لا دين تخريب. فإن كان هناك على سبيل المثال رجل يملك أرضاً وهو على جانب من الثراء فلا يحتاج إلى فلاحه أرضه وقد تركها بوراً، فإذا انقضت مدة معينة على ذلك الحال تنتقل ملكيتها بصورة طبيعية إلى الأراضى العامة، وتنص الشريعة الإسلامية على أن ملكيتها تنتقل إلى يد أول رجل يقوم بزراعتها^(١).

والإسلام يحظر على معتنقيه لعب الميسر والانخراط في أية صفقة من صفقات اليانصيب، كما يحرم كافة المشروبات الكحولية ويمنع الربا الذي كان في حالات كثيرة سبباً في الأسى والشقاء الذي أصاب بنى الإنسان. لذلك فالإسلام يحول دون أى نوع من الاستغلال الدنيء قد يقترفه أحد الناس ضد التعساء.

ونحن المسلمين لا نؤمن بالقدرية ولا بالجزرية وإنما نؤمن بالقضاء والقدر، فالعقيدة بلا عمل تعتبر في رأينا أمراً لا وجود له، لأن العقيدة لا تكفى إذا لم نسع إلى تطبيقها في واقع حياتنا، كما نؤمن بأننا سنحاسب على أعمالنا في الحياة الدنيا وفي الآخرة. وعلى كل منا أن يتحمل أعباءه. فلا تزر وازرة وزر أخرى. والإسلام يؤمن بأن الإنسان يولد على الفطرة مبرأ من الذنوب. كما يقرر أن الرجل والمرأة ينحدران من نفس واحدة وجوهر واحد، وقد زودهما الله بمقدرات فكرية وروحية وخلقية متكافئة. ولا أحسب أنني بحاجة إلى الحديث كثيراً عن مبدأ الأخوة العالمية بين البشر في الإسلام، فهذه حقيقة مسلم بها إذ أن الأمير والحقير والغنى والفقير كلهم سواسية، وإننى ألمس دائماً هذه الروح الكريمة

(١) هذا بالنسبة للأرض الموات التي لا مالك لها، أما الأرض التي لها مالك فيجب أن يزرعها، أو يمنحها أخاه المسلم ليقوم بزراعتها مؤجرة، أو مزارعة، أو هبة.

بين إخوانى المسلمين كما أثق بحديثهم، فقد لقيت منهم كل معاملة عادلة كرجل عادى وأخ لهم كما تكرموا على أعظم الكرم واستضافوني أحسن الضيافة.
فأنا أشعر دائماً أننى واحد منهم.

مُوازَنَة مُهِمَّة :

وفى ختام كلمتى أقول: إنه بينما نجد أن الإسلام يهدى البشرية فى حياتها العملية اليومية، فإن ما يسمى بالنصرانية المعاصرة تعلم أتباعها بصفة غير مباشرة وفى مجال الواقع أن يعبدوا الله فى أيام الآحاد فحسب، وأن يفترسوا عباده ومخلوقاته فى بقية أيام الأسبوع.



إنجلترا:

٢٢- وليم بيرشيل بشير بيكارڊ

بَيْنَ يَدَيَّ كَلِمَةَ الْمُسْلِمِ الْجَدِيدِ:

إن صاحب هذه القصة مؤلف وكاتب مشهور. ومن بين مؤلفاته الأدبية بالإنجليزية «ليلي ومجنون» و«مغامرات القاسم» وكتاب «عالم جديد» وغيرها. وهو إنجليزى تخرج من كانتربرى Canterbury والقصة منقولة من المصدر السابق ذكره فى القصة السابقة.

قال رسول الله ﷺ ما معناه:

«يولد ابن آدم على الفطرة، وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» (١) صدق رسول الله ﷺ.

لقد مضت سنوات عديدة قبل أن أدرك هذه الحقيقة وأعنى بها ولادتى على الفطرة أى على الإسلام، ففى المدرسة والكلية كنت منهمكاً أكثر مما ينبغى بشئون اللحظة العابرة ومتطلباتها، ولست أعتبر حياتى فى تلك الحقبة من الزمن مشرقة إلا أنها كانت فى تقدم مستمر، فقد تعلمت فى البيئة النصرانية الحياة الطيبة، وكنت أبتهج عند تصور الله وتذكر العبادة والصلاح، وإذا كان ثمة شىء أعبده حينئذ فقد كان ذلك متمثلاً فى النبل والشجاعة.

وعلى أثر تخرجى من جامعة (كامبرج) ذهبت إلى أواسط أفريقيا وعينت فى إحدى

(١) معنى الحديث الشريف إن ابن آدم يولد على دين الإسلام - دين الفطرة - كما ورد فى الآية الكريمة ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢]. ومعنى بقية الحديث أن الأبوين هما اللذان يحولان دين أبائهما إما إلى اليهودية أو إلى النصرانية أو إلى المجوسية. المترجم.

الوظائف الإدارية فى محمية أوغندا، وقد عشت فى تلك البلاد حياة ممتعة مثيرة إلى درجة لم أكن أحلم بها من قبل فى بلادى إنكلترا، واضطرتنى الظروف إلى العيش بين إخوانى السود الذين أحبهم حباً جماً تبعاً لنظرتهم إلى الحياة التى اتصفت بالبهجة والبساطة، وكان الشرق يستهوينى بصورة دائمة، وكنت قد قرأت فى كامبرج قصص الليالى العربية (ألف ليلة وليلة) كما قرأتها وحيداً فى أفريقيا، كما أن حياة التجول التى قضيتها فى محمية أوغندا لم تجعل الشرق أقل معزة عندى.

أهوال الحروب:

ثم قامت الحرب العالمية الأولى فأودت بحياتى الهادئة، إذ أسرعت بالعودة إلى أوروبا وتدهورت صحتى. وما أن تم شفائى حتى قدمت طلباً للالتحاق بالجيش إلا أن طلبى قوبل بالرفض لأسباب صحية، فعوضت ذلك بأن التحقت بسلاح الفرسان المتطوعين فى الجيش، وتمكنت من النجاح فى الفحص الطبى واستلمت حلة عسكرية كجندى فى سلاح المشاة مما بعث السرور فى نفسى، وخدمت فى فرنسا فى الجبهة الغربية واشتركت فى معركة الصوم Somme التى وقعت فى عام ١٩١٧م فجرحت فيها وأصبحت أسير حرب، فسافرت عبر بلجيكا إلى ألمانيا وهناك نزلت المستشفى وفى ألمانيا شاهدت كثيراً من صور البؤس والألم الذى تعرض له بنو الإنسان وخاصة الروس الذين أهلكتهم الدوزنتاريا (Dysentery) وكنت على شفا الموت من شدة الجوع، ولما كنت أعانى من تمزق فى ذراعى الأيمن لم يلتئم جرحى فى الحال وإنما استغرق ذلك وقتاً طويلاً كنت خلاله عديم النفع بالنسبة للألمان، لذلك أرسلت إلى سويسرا للعلاج وإجراء عملية فى المستشفى.

ترجمة معانى القرآن:

وأذكر جيداً كيف كتبت رسالة إلى وطنى أثناء إقامتى فى ألمانيا طلبت فيها نسخة من ترجمة جورج سيل لمعانى القرآن (*).

(* وهى ترجمة محرفة بقلم أحد القسس. وخير ترجمة باللغة الإنجليزية بقلم محمد بكتال المؤلف الإنجليزي المسلم واسمها: (The Meanings of The Glorius Koran)، وانظر قصة إسلام (محمد بكتال) نفسه رقم (١٠٠).

وقد علمت في السنوات التالية أنه تم إرسالها لى ولكنها لم تصل بحال من الأحوال. ثم تماثلت للشفاء في سويسرا بعد أن أجريت عملية في الذراع والساق، وأصبح في مقدوري أن أخرج من المستشفى وأتجول، فابتعت نسخة من ترجمة سافارى (Savary) الفرنسية لعانى القرآن وهي أغلى ما أملك، فلقيت من مطالعتها أعظم متعة وابتهاجت بها كثيراً حتى غدوت وكان شعاع الحقيقة الخالد قد أشرق على بنوره المبارك، ولما لم تزل يدي اليمنى متعطلة أخذت أتدرب على كتابة القرآن بيدي اليسرى، وما يوضح مدى تعلقي بالقرآن أن من أعظم الذكريات الحية الياقية في نفسى من الليالى العربية قصة الشاب الذى تم اكتشافه وحيداً في مدينة الموتى، وهو جالس يقرأ القرآن من غير أن يحس بما كان يدور حوله.

آمَنْتُ بِاللَّهِ وَالْقُرْآنِ :

وفى تلك الأيام التى قضيتها في سويسرا كنت مستسلماً لله بكل معنى الكلمة، وبعبارة أخرى كنت مسلماً، ثم عدت إلى لندن في ديسمبر عام ١٩١٨ عقب توقيع اتفاقية الهدنة، وبعد ذلك بعامين أو ثلاثة أى في عام ١٩٢١ التحقت بدورة للدراسة الأدبية بجامعة لندن، وكانت اللغة العربية أحد الموضوعات التى وقع اختيارى عليها، فأخذت أستمع للمحاضرات التى ألقىت عن اللغة العربية في كلية الملك (Kings College)، وفى تلك الكلية وقف أستاذ اللغة العربية في أحد الأيام وهو المرحوم السيد بلشاه - وكان من العراق - فذكر في معرض دراستنا القرآن الكريم فقال: «سواء آمنت به أو لم تؤمن فلا بد أن تجده كتاباً ممتعاً للغاية جديراً بالدراسة» فكان جوابى على ذلك أن هتفت قائلاً: «آوه! ولكنى أومن به حقاً» فأدت هذه الملاحظة إلى إثارة الدهشة والاهتمام الشديد فى نفس الأستاذ. فدعانى بعد وقت قصير إلى مرافقته إلى المصلى الكائن فى نوطنج هيل جيت (Notting Hill Gate) .

إِنْضَمَامِي إِلَى أُمَّةِ الْإِسْلَامِ :

وأخذت بعدها أكثر من الذهاب إلى ذلك المصلى. وتعلمت المزيد عن الجانِب

التطبيقي في الإسلام حتى كان يوم رأس السنة الميلادية الجديدة في عام ١٩٢٢م حين أعلنت على الملأ انضمامي إلى أمة الإسلام. كان ذلك قبل أكثر من ربع قرن مضى^(١). ومنذ ذلك الحين وأنا أعيش عيشة إسلامية صرفة من الناحيتين النظرية والعملية وبالقدر الذي أستطيع، إن قوة الله وحكمته ورحمته لا حدود لها، وإن آفاق المعرفة تمتد أمامنا إلى ما وراء الأفق، وإنني على يقين تام بأن خير لباس يمكننا أن نرتديه في رحلتنا عبر هذه الحياة هو لباس الإسلام والخضوع لله، وأن نجعل الحمد فوق نواصينا وأن تكون محبة الله الواحد الأحد ملء قلوبنا.



(١) هذا بالنسبة لتاريخ كتابة هذه القصة من قبل صاحبها عام ١٩٤٩م تقريبًا، وهذا يدل على ثباته على الإسلام الذي دخله عن طواعية وفهم عميق.

اليابان:

٢٣- آمنة سعد ناكامورا وأختها (أمناك يابانيات تَسْقَنُ الإسلام)

كان السيد «ناكامورا» واسمه الإسلامي «سعد» أحد اليابانيين الستة الذين اعتنقوا الإسلام أثناء الفترة التي أقمناها في «النيجي» أشهر معبود لبوذيين في مدينة «أنزان» التي تبعد مائة كيلو متر جنوبى طوكيو.

نحو الإسلام:

وقد كان سعد هذا محمود السيرة ميسور الحال قوى التأثير في قرنته بمقاطعة «ينشى» وقد أثبت سعد ناكامورا فيما بعد أنه مسلم حقاً. ارتحل على حسابه الخاص إلى باكستان والهند ليتعلم الإسلام في مجاله العملى، وكان له ثلاث بنات إحداهن متزوجة من صاحب مطبعة، والأخريان ولعلهما توأمان، تدرسان معاً في جامعة طوكيو في السنوات الأخيرة قبيل التخرج، وكانت اللغة الإنجليزية هي موضوع تخصصهما المشترك، وكان سعد ناكامورا مهتماً جداً بشأن إسلام ابنتيه اللتين تدرسان في الجامعة، إذ قد يستفاد منهما كثيراً في نشر الإسلام بين اليابانيات، فكتب إلينا ذات مرة لكى نقابل الأختين وندعوهما إلى الإسلام، وحدد الموعد تلفونياً، وفي إحدى الأمسيات زرنا بيت صاحب المطبعة وقابلنا الأختين، بيد أننا وجدنا جو المنزل غير لائق بمهمتنا المقدسة، فالصور غير اللائقة منتشرة هنا وهناك على الجدران، وبرامج التلفزيون كذلك من الأمور التي لا توائم هذه الزيارة.

فأرجأنا الاجتماع بعد مقدمة قصيرة عن الإسلام ودعوناها إلى منزلنا لتناول الطعام فلبتا الدعوة بدون تردد إلى عشاء باكستانى فى يوم الجمعة التالى.. ذلك العشاء الذى اتخذناه وسيلة لمناقشة أخرى عن الإسلام. فالحاجى قائد جماعتنا المحترم، بجانب ما يتحلى به من صفات عجيبة فى عقله وقلبه، كان طاهياً ممتازاً جداً (للبلاد) وهو الطبق الباكستانى المشهور الذى جعلناه طعاماً دائماً عندما كنا نريد أن ندعو أصدقاءنا اليابانيين.

إشكالٌ مفاجيءٌ:

وحضرت الأختان ناكامورا فى الموعد المضروب. وكنا قد بسطنا المائدة قبل حضورهما ولكنهما أعلنتا حين وصولهما بأنهما لن تتناولوا أى شىء ما لم تعرفنا بادىء ذى بدء ماذا يقول الإسلام عن المرأة... وقد علمنا فيما بعد بأنه بعد مقابلتنا الأخيرة لهما قام أحد أعداء الإسلام بتسميم أذهانهما عن الدين الإلهى بإخبارهما أن الإسلام كان شديد القسوة على النساء، وأنهن لا يعاملن فى الإسلام على قدم المساواة مع الرجال من حيث الامتيازات والحقوق، إلى حد أنه حرمن كثيراً من مباحج الحياة الدنيا والآخرة، ولم نكن آنذاك مستعدين لمثل هذا التطور المفاجيء، وكانت التعليمات عندنا بأن نلجأ إلى الله عز وجل نسأله العون، لمواجهة هذه المفاجآت، وأظن أننا فعلنا ذلك.

هِدَايَةُ اللَّهِ:

فإذا بفكرة تفاجيء عقلى وإذا بى أقول للفتاتين: أتريدان أن تريا بنفسيكما ماذا قال الله عز وجل عن هذه المسألة؟ فأعلنتا قائلتين: سيكون ذلك جميلاً.. فذهبت بهدوء إلى رف الكتب وأمسكت بالقرآن المجيد ترجمة محمد بكثال، وطلبت من الأختين أن تقرأ معنى الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

لم يحدث من قبل أن مررت بتجربة رأيت فيها تأثير الكلمات الإلهية بهذه السرعة المدهشة على غير المسلمين مثلما رأيت على هاتين النفسين الطيبتين اللتين قالتا بتعجب: يا لها من مساواة تامة!!

ويدون أن أطيل الشرح أقول بأنهما استطاعتا أن تتحققا من أنه لا يوجد مانع فى الإسلام يعوق المرأة من الوصول إلى الذروة العليا من الفوز والتقدم. وعلى كل فإن من السخافة والحماقة أن يطالب أحد من النساء أو الرجال بالتساوى

مع النوع الآخر، فى العمل الذى لا يليق ولا يناسب الطرف الثانى، من حيث التركيب الفسيولوجى لأجسامهما، فإذا قام أى رجل بعمل بيتغى من وراثة الفوز بالجنة فليس هناك ما يمنع المرأة من أن تقوم بمثل هذا العمل بغية الفوز بالجنة.

ثم إن التوأمين طلبتا منا أن نذهب إلى الغرفة المجاورة وأن نتركهما وحدهما دقائق معدودة لتبادل الرأى والمشورة فأعطيناهما كافة التسهيلات، وإنه لمن أعظم سرورى فى الحياة أن الأختين عادتا بعد دقائق لتعلنا قولهما:

إِسْلَامُ الْإِخْتَيْنِ:

«لقد اقتنعنا أن الإسلام وحده هو الدين الحق وأننا نرجوكم قبولنا فى دين الإسلام قبل أن نتناول طعام العشاء». فكانت كلمة (الحمد لله) تتردد على شفتى كل واحد منا، وكان سرورنا لا تحده حدود حقاً. وبعد إجراء بعض الأمور الرسمية الضرورية طلب منهما قائدنا أن تكررنا الشهادتين فكررتاهما وكانتا متلهفتين على أن نختار لهما أسماء إسلامية، فأسمينا واحدة (آمنة) باسم أم الرسول ﷺ، وأما اسم الأخرى فقد غاب عن ذاكرتى الآن.

وعندما جلسنا جميعاً لتناول الطعام كانت الأطباق التى طهاها لنا الحاجى أشهى مذاقاً فى فمى ألف مرة من أى طبق ذقته من قبل (*).



(*) المتحدث هو أحد دعاة الإسلام فى اليابان وكان يدرس هناك ويقوم فى وقت فراغه بالدعوة الإسلامية بين اليابانيين، وقد كتب الكلمة السابقة ونشرها فى مجلة حضارة الإسلام الغراء العدد الثامن - السنة الرابعة - مارس ١٩٦٤ (صفحة ٥٠).

أمريكا:

٢٤- محمد عبد الله (*)
(دونالد ركويل سابقاً)

ولد السيد دونالد ركويل في تيلورفيل (Taylor Ville) بالولايات المتحدة الأمريكية، وتلقى علومه في مدرسة «سبرنج فيلد» (Spring Field) العليا بواشنطن. ثم أتم دراساته في جامعات واشنطن وكولومبيا حيث نال جوائز كثيرة، وهو شاعر وناقد أدبي وكاتب صحفى، وهو يشغل منصب رئيس تحرير مجلة «الشخصيات الإذاعية ج» وقد تسمى باسم محمد عبدالله بعد إسلامه تيمناً باسم الرسول ﷺ، ولماذ اعتنق الإسلام دونالد ركويل؟ فلندعه هو شخصياً يتكلم عن ظروف إسلامه قال:

لِمَاذَا اسَلَمْتُ...؟

لقد جذبني إلى الإسلام عوامل كثيرة، ودواع مختلفة لا أستطيع حصرها أو الوقوف عليها جميعاً، لأن منها الظاهر الجلى الذى لا يارى فيه إنسان، ومنها الباطن الخفى الذى يغوص فى أعماق الروح ويكمن فى خبايا الضمير، لقد قرأت عن الإسلام وقرأت القرآن وشيئاً من سيرة محمد بن عبد الله النبى الكريم. فلفت نظرى أشياء كثيرة:

محاسن الإسلام:

* لفت نظرى بساطة العقيدة الإسلامية وسهولتها، فليست هناك أسرار ولا ألغاز تؤمن بها ولا تناقضها، بل مرد الإيمان إلى العقل، والنظر فى ملكوت الله، وأن ما فى الكون من نظام بديع يهدى - ضرورة - إلى وجود إله متصرف له ﴿الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فإذا عرفت الله وأمنت بوجوده فالإسلام يقول لك إن الله أقرب إليك من حبل الوريد، والله يخبرك عن نفسه فيقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

(*) عن مجلة حضارة الإسلام العدد السابق.

فلا ضرورة من ثم إلى وسيط بينك وبين خالقك ولا حاجة بك إلى كاهن تعترف له فيقبل التوبة منك، أو هيكل لا تتم العبادة إلا فيه:

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

* وراعني حقًا، تلك السماحة التي يعامل بها الإسلام مخالفيه.. سماحة في السلم وسماحة في الحرب.. ولين بين مع أهل الكتاب من نصارى ويهود. والجانب الإنساني في الإسلام واضح ملموس في كل وصية من وصاياه وفي كل تشريع جاء به، فالناس وإن اختلفوا في حظوظ الدنيا ومتاعها متساوون أمام الله، لا فضل لأحد على آخر بسبب غنى أو جنس أو لون.. وإنما يتفاضلون بالتقوى. وللفقير والعاجز والمحتاج حقه المعلوم على القادرين يؤدونه زكاة واجبة.

* والإسلام لا يقعد بمتبعه عن ركب التقدم وال عمران بل يأمر الناس أن يأخذوا بالأسباب، كما قال النبي الكريم عليه الصلاة والسلام: «.. اعقلها وتوكل». وهو لا يحرم الإنسان الطيب من متاع الدنيا، كما قال تعالى:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧].

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

كثير من محاسن الإسلام في عقائده وعباداته ومعاملات - لا يمكنني حصره ها هنا - دعاني إلى اعتناق ذلك الدين. وإذا كان ما ينبغي أن أختتم به الكلام فهو تلك العظمة التي تطالع كل من يقرأ سيرة الرسول وتاريخه.. عظمة في الدعوة.. عظمة في الشخصية.. وعظمة في الجهاد... فلا جرم أن يكون محمد ﷺ خاتم النبيين. وقد أسميت نفسي «محمد عبد الله» تيمناً بتلك الشخصية الكريمة وإعجاباً بسجاياها الكاملة.

وبالله التوفيق



تَشِيكُوسِلُوفَاكِيَا:

٢٥- فاطمة تزفيسكن

أو (مونيكا) سابقاً

Fatima Zucsken

- مقدمة -

لقد كان من أثر احتكاك الطلبة المسلمين الذين يتابعون دراستهم العالية في ديار الغرب بالطلاب الأوربيين أن اعتنق عدد غير قليل من هؤلاء الإسلام، وفيما يلي قصة فتاة تشيكوسلوفاكية كانت تحمل اسم (مونيكا). وتدل هذه الظاهرة دلالة واضحة على مدى حاجة الناس إلى الإسلام الذي يحقق الأمن والسلام والسعادة لأرواحهم ونفوسهم، وأسْرهم ومجتمعاتهم، ويخرجهم من الظلمات إلى النور. كما تدل على قدرة الإسلام العجيبة على فتح مغاليق القلوب والعقول في كل زمان ومكان وفي كل الظروف، متى وجد من يحسن عرضه ومتى وجد من يجسده بسلوكه وأخلاقه وتصرفاته، والآن مع الأنسة فاطمة في قصة إسلامها(*) .

* * *

س : ما هو الاسم الجديد الذي وقع اختيارك عليه وماذا كان اسمك في السابق؟
ج: اسمي الجديد «فاطمة كزفسكن» Fatima Zucsken وكان اسمي النصراني مونيكا Monika .

س : كم هو عمرك وما عملك؟

ج: ولدت في ١٩٤٣/٩/٢ في نويتتشاين (Neutitachein) في تشيكوسلوفاكيا وعملتي هو الرسم الهندسي.

(*) نقلاً عن مجلة حضارة الإسلام، العدد الثاني، السنة الخامسة.

س: لماذا اعتنقت الإسلام؟

ج: عندما يواجه الأشخاص من البلاد غير الإسلامية السؤال التالي: هل كان محمد فيلسوفاً أم أنزل إليه الوحي من عند الله؟ وعندما تستقر أنفسهم على الشق الأخير من السؤال فتلك علامة مباشرة على رحمة الله بهم. أما بالنسبة للفرد ذاته فتلك نهاية بحث طويل، فطرياً كان أو إرادياً عن الطريق الموصل إلى الحقيقة والذي هو الحقيقة ذاتها. وفي نفس الوقت يبتدئ العبور السعيد لهذا الطريق الذي اختاره الله للوصول إليه.

الطَّرِيقُ الطَّوِيلُ وَهَدَايَةُ اللَّهِ:

لقد بدأ هذا الطريق الذي أوصلني الله من خلاله إلى الإسلام قبل أن أهتم بأمر هذا الدين بزمان طويل، منذ وقت مبكر وأنا أهتم بالاتجاهات الفلسفية والدينية المختلفة وأجمع عنها قدر ما أستطيع من المعلومات، ولا بد أن السبب في ذلك كان شعورى بحاجتى إلى شيء ما لا أستطيع تحديده، ولكنى كنت أعرف بفطرتى أن هذا الشيء موجود فى داخلى وأنى لابد أن أعثر عليه، واستطعت أن أقدر قيمة الحضارة الشرقية حق قدرها إلى حد كبير عن طريق دراستى للمذاهب المختلفة ورحلاتى الكثيرة التى قمت بها فى البلاد الأجنبية.

وكان اتصالى بالمسلمين فى ألمانيا دافعاً لى على الاهتمام بأمر هذا الدين، ولم تكن انطباعاتى المبدئية ممتازة بحال من الأحوال، فتعطل طريقى إلى المعرفة كثيراً لأن المسلمين الذين عرفتهم كانوا ممن ينتمون إلى الاتجاه التحفظى القديم، أو ممن كانوا لا يعرفون إلا الإسلام المشوه الذى يطبقه الناس فى بلاد الشرق، ورغم ذلك كنت معجبة بمستواهم الخلقى المرتفع بصفة عامة.

ولم يتبين لى الفرق الشاسع بين تعاليم الإسلام وبين كثير من العادات الشرقية إلا عندما دخلت عالم الإسلام الروحى عن طريق القرآن والكتابات الإسلامية وعن طريق محاضرة للأستاذ عمر ف. اهرنفلز (المسلم الألمانى). وقرأت فى القرآن الآية: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] فشعرت ببطء كيف يجذبنى الإسلام، وكانت تعاليمه تخاطب عقلى وفطرتى، وكان من أهم ما شدنى إلى النظام

الاجتماعى المثالى فى الإسلام تساوى جميع الأجناس والتسامح الذى لا حد له، والحرية التامة فى جميع المجالات الدنيوية والروحية، وكذلك الاعتراف بالحياة الدنيا من غير مبالغة، والاجتهاد فى طلب العلم الذى يعتبر فريضة على كل مسلم ومسلمة، وأعجبت بصورة عامة بالمكانة المرموقة التى أعطيت للمرأة. وأخيراً وليس آخراً أعجبت بالعلاقة المباشرة بين العبد وربّه.

ومن أجل أن أكون على بصيرة أخذت أتلو كتاب الله القرآن الكريم، إلا أننى كنت أقرأه بقلب مسلم إذ بدا لى فى غضون ذلك أن الإسلام وحده هو الطريق الذى علمه الله للناس منذ بدء الخليقة وأنه هو الحق.

س: ما هو تاريخ اعتناقك للإسلام؟

ج: دخلت الإسلام رسمياً بتاريخ ٢١/٤/١٩٦٣م.

س: ما الذى أعجبك فى الدين الإسلامى على وجه الخصوص؟

دينُ التَّكَامِلِ الرَّوْحِيِّ وَالْعَقْلِيِّ :

ج: فى اعتقادى أنه يصعب على أن أحدد نواحى معينة أعجبت بها من بين تعاليم الإسلام. إذ من العسير على المرء أن يفهم تفصيلات الإسلام وجزئياته ما لم يكن قد أحاط به بصفة كلية. فكل شىء فى الإسلام وثيق الصلة بالآخر. ولذا فإن المسلم المؤمن لا يمكنه أن يركز كل اهتمامه فى موضوع واحد فحسب، لأن القرآن الكريم يعالج كافة النواحى الدنيوية والروحية. وكل كلمة فيه على درجة كبيرة من الأهمية والسمو لأن كل كلمة فيه من عند الله سبحانه. ولذلك فإننى حين أحاول الإجابة عن هذا السؤال أعرف تماماً مقدار قصور إجابتى.

والمسألة تختلف إن كنت سأقصر إجابتى على المطالب الشخصية أو أجعلها تشمل كل ما ينظم حياتى فى المجتمع. أما ما يتعلق بى شخصياً فأكثر ما يهمنى من تعاليم دينى هو تلك المعلومات والقواعد التى تعيننى على تحقيق التكامل الروحى والعقلى أى الناحية الروحية والعقلية. أما ما يختص بواجباتى فى المجتمع فهنا تبرز أهمية المبادئ الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى الإسلام لأننى بفضل فهمى الجيد لهذه النواحى أستطيع أن أساهم فى العمل على تطبيق الإسلام تطبيقاً سليماً.

س: كيف كان رد الفعل بالنسبة لعائلتك وأصدقائك ومعارفك عندما اعتنقت الإسلام؟

ج: كان رد الفعل متنوعاً إلى درجة كبيرة، فكان اعتناقي للإسلام فرصة طيبة لأن أعرف أى الناس يهتم بى أكثر من اهتمامه بالأفكار المتحاملة الضيقة الأفق، أما والدتى فقد قالت لى والدموع فى عينيها: «إن سعادتك ورضاك يا بنيتى هما أعز شىء عندى» وأما جدتى فبعد دراسة قصيرة للإسلام تأكد لها أنه دين رائع وشىء لم تكن تتصور إمكان وجوده من قبل، إلا إن إحدى صديقاتى أعلنت بكل صراحة عن رأيها بقولها: «إنك لا شك قد جنت. وإننى أريد قطع علاقتى معك بالمرّة!»

وهكذا قابلتنى شتى أنواع المشاعر ابتداءً من التقدير المخلص لموقفى حتى العداة الصريح وبين هذا وذاك كثير من التهكم واللامبالاة.

س: ما هى أحسن وسيلة فى رأيك لنشر تعاليم الإسلام؟

ج: لا يوجد للأسف عند المسلمين حالياً إمكانيات كثيرة، وأبسط وسيلة يستطيع العامل للإسلام أو الطالب المسلم أن يستخدمها هى أن يكون مثلاً طيباً، كما يستطيع بالمظهر النظيف والخلق المهذب المتسامح والثبات على تطبيق الفرائض الدينية أن ينقل إلى غير المسلمين من حوله صورة إيجابية عن الإسلام. أما إذا أراد أحد من غير المسلمين المهتمين بمحاولة سبر أغوار العالم الروحى فى الإسلام فكثيراً ما تعجز إمكانات المسلمين فى هذا الصدد عن توفير السبيل له لذلك، وأعنى بذلك التبرية الإسلامية فى محيط إسلامى، لذلك ينبغى على كل أخ مسلم وأخت مسلمة أن يوطدا علاقتهما بأقرب جماعة إسلامية حيث يستطيعان أن يزداد علماً على يد أهل العلم من المسلمين وأن يرشدا غيرهما من المهتمين بهذا الدين.

وأفضل أساس يمكن أن يقوم عليه انتشار الإسلام بصورة مجدبة سريعة هو اتحاد الأقطار الإسلامية بعضها مع بعض، فعند ذلك تتوقف الدعاية المضادة للإسلام التى تنشرها الدول غير الإسلامية، لأنها ترى فجأة أمام عينيها قوة هائلة للعالم الإسلامى المتحد، ولأغراض سياسية بحتة ستعمل تلك الدول جاهدة على إنشاء علاقات طيبة مع

القوة الإسلامية الفتية، وبالمساعدات المالية يمكن أن تقام المساجد والمراكز الثقافية كما يمكن نشر ترجمات القرآن (١). والمؤلفات الإسلامية القيّمة لأن غالبية الترجمات والكتب المؤلفة عن الإسلام باللغات الأجنبية تميل إلى اتخاذ موقف عدائى من الدين الإسلامى.

إن واجب نشر الإسلام لا يقع على البلاد غير الإسلامية وإنما لابد أن يتم ذلك أولاً بين المسلمين، إذ لابد من وجود روح الإسلام الأصيلة فى نفوسهم حتى يتخذ تفكير المسلمين اتجاهاً جديداً مستنيراً، وعلى هذا الأساس يمكننا أن نحقق النجاح فى الدعوة.

هناك فرصة ذهبية لانتشار الإسلام فى العالم المعاصر، فالإسلام يشتمل على كافة الصفات التى تجعله بحق ديناً عالمياً سرمدياً يمكنه أن يحقق جميع المطالب الروحية والمادية لإنسان هذا العصر.

س: ما رأيك فى الحالة الحاضرة التى يعيشها المسلمون اليوم؟

ج: لقد سعيت إلى إبداء رأى فىهم فى الإجابات السابقة، وأقول هنا بإيجاز: إن حالة المسلمين المحزنة فى العالم لا تخفى عليّ أبداً، ولقد عرفت من دراستى لتاريخ الحضارة كيف صاروا إلى ما هم فيه اليوم. فقد كان المسلمون يخلطون العادات الجاهلية بالتقاليد والأخلاق الإسلامية، وكان من واجبهم أن يواجهوا مؤثرات العالم الغربى الذى سبب كثيراً من الاضطراب. ولكن الشعوب المسلمة بحمد الله لا تنقصها العقيدة وإنما تفتقر إلى القيادة الصالحة، والظاهر أن الحكومات فى البلاد الإسلامية تسعى عن قصد إلى تقليد الغرب تقليداً أعمى من أجل الوصول بشعوبها إلى عقيدة مادية لا ربانية بدلاً من العمل على إنشاء دولة إسلامية ربانية. لذلك فإنه ينبغى على جميع الشعوب المسلمة أن تساند الجماعة المسلمة التى تنهت إلى شر هذا التطور وتريد أن توحد البلاد الإسلامية على أساس ما أمر الله به.

(١) اتفق كثير من علماء المسلمين على أن ترجمة القرآن إلى أية لغة أخرى تعتبر أمراً لا ضرورة له، وإنما يمكن تفسير القرآن باللغات الأخرى. فالقرآن لا يمكن نقله أو ترجمته وحيداً لو يتجه الجهد لإعداد مؤلفات مبسطة للتعريف بالإسلام فى سائر اللغات، وكذلك لتيسير تعليم اللغة العربية لكل راغب حتى يزال الحاجز بين العالم والقرآن العظيم.

س : ما هو أملك وهدفك في الحياة؟

تَمَيُّزُ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ:

ج: إنى أود أن أدرس فى إحدى الجامعات الإسلامية عاجلاً أو آجلاً حتى أساهم بثقافتى الإسلامية التى أكتسبها فى نشر الدين الإسلامى الحنيف، كما أن لى رغبة عزيزة فى أن أبين للمرأة فى بلاد الشرق حقوقها الرفيعة الجميلة التى منحها الله إياها فى الدين الإسلامى، وأن أوضح لها مدى تميزها عن غيرها من النساء فى العالم بفضل تمتعها بهذه الحقوق، كما أود بعد عدة سنوات أن أتزوج من رجل مسلم يماثلنى فى انطباعى، وأن أكوّن عائلة مسلمة، وفيما عدا ذلك فجوابى عن السؤال الثالث يبين آمالى، وأننى أجتهد فى التعمق فى فهم أسرار القرآن الكريم.

س : ما الذى يحتاج إليه المسلمون فى أوروبا؟

ج: يحتاج المسلمون فى أوروبا إلى معونات أدبية ومالية.. معونة أدبية حتى لا يضعفوا فيقعوا صرعى أمام المغريات الخطيرة التى تقدمها لهم الحياة فى أوروبا، ومن واجب المسلمين جميعاً أن ينظموا أنفسهم فى جماعات، وكل جماعة ينبغى أن يكون لها إمام وهذا التنظيم يحتاج إلى العون المالى والأدبى، فبفضل هذه الجماعة يتماسك المسلمون ويتعاونون - بعضهم مع بعض - فى السراء والضراء. فلا بد فى كل مدينة من مسجد أو حجرة للصلاة يتجمع فيها المسلمون لإقامة الصلاة خمس مرات كل يوم، وقد يستطيع الموسرون منهم أن يساهموا فى ذلك بإنشاء عدد كبير من المساجد والمراكز الإسلامية الصغيرة فى أوروبا.



الهند:

٢٦- بيجمي رُودريك (*)

Peggy Radcrik - India

تجربيات الإنجيل:

ولدت في بيت إنجليزي إبان الحكم البريطاني لشبه الجزيرة الهندية. وتلقيت تعليمي المبكر في إحدى المدارس التبشيرية المسيحية حيث كانت الدراسة الدينية موضوعاً إجبارياً. فأعجبت بقصة السيد المسيح. إلا أنني أيقنت في وقت مبكر من حياتي أن تعاليم الإنجيل ليست صحيحة ولا صادقة^(١). فإذا شئنا أن نطبقها على نطاق واسع فعلى الحضارة الإنسانية السلام. وإليك بعض الأمثلة من تعاليم الإنجيل.

يقول إنجيل لوقا ما يلي على لسان السيد المسيح:

«وإذا جاءني أي إنسان لا يبغض والده وأمه وزوجته وأبناءه وإخوانه وأخواته بل ولا يبغض نفسه فلا يمكن له أن يكون تلميذي» لوقا ١٤ / ٢٦.

ويقول:

«وهكذا فإن أي واحد منكم كائناً من كان لا يضحى بكل ما لديه فإنه لا يمكن أن يكون تلميذي» ١٤ / ٣٣.

ونقرأ في إنجيل متى:

«لأن هناك بعض الأخصياء جاءوا على حالهم هذا منذ ولادتهم من بطون أمهاتهم، وهناك البعض الآخر أصبحوا كذلك على يد الناس، وهناك أخصياء جعلوا أنفسهم كذلك من أجل مملكة السماء، فمن استطاع أن يبلغها فليبلغها» متى ١٩ / ١٢.

* عن مجلة يقين انترناشنال النصف شهرية الصادرة في باكستان عدد ٢٢ نوفمبر ١٩٦٨.

(١) يقصد: التعاليم التي دخلها التحريف البشري لأننا نحن المسلمين نؤمن بصحة الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام.

ويقول المصدر نفسه:

« لا تحكم خشية أن يحكم عليك، لأنك ستحاكم بما تصدره من أحكام. وسيكال لك بالمكيال الذى تكيل به » متى ٧: ١-٢.

«ومن أجل ذلك لا تفكر فى الغد لأن الغد سيتولى التفكير فى شئون نفسه. وكفى اليوم ما به من الشرور» متى ٦ - ٣٤.

«ولكنى أقول لك: لا تقاوم الشر، وإنما من صفحك على خدك الأيمن فأدر له الآخر كذلك، وإذا أراد أحد الناس أن يحاكمك أمام القانون وينتزع معطفك فدعه يأخذ رداءك أيضا، ومن أجبرك على المسير ميلا واحدا فسر معه ميلين» متى ٥: ٣٩-٤١.

هذه التعاليم تصلح للقساوسة والنسك ولا تناسب الناس العاديين من رجال ونساء. فلو شاءت حكومة إحدى الدول الحديثة أن تطبق هذه المبادئ، أو حتى لو أراد أفراد معينون أن يتخذوا منها قانونًا لحياتهم فستكون النتيجة الفوضى والاستهتار بالقانون.

والأمر الثانى الذى لم يعجبني فى النصرانية هو الفصل بين الدين والسياسة. فقد نجم عن هذا قيام المذهب (الميكافيلى) فى الغرب.

قال السيد المسيح عيسى، كما يزعم إنجيل متى ١٠/٣٤:

« لا تحسب أنتى جئت بالسلام وإنما أتيت بسيف».

وينصح تلامذته بقوله:

« من لم يكن لديه سيف فليبع لباسه ويشتري سيفًا » لوقا ٢٢ / ٣٦.

القُوَّةُ البَاغِيَّةُ:

ورغم ذلك فإن السيد المسيح، كما جاء فى الأناجيل المختلفة، لم يعلم أتباعه الطريقة الصحيحة لاستخدام السيف. فكانت النتيجة أن كان السيف دائما فى يد أتباعه، لكنهم استعملوه فى الشر، فكثيرا ما استخدمه الصليبيون فى مضايقة وذبح السكان الأبرياء فى الأقطار غير المسيحية. بل لقد استخدم السيف فى بعض الأحيان من قبل طوائف نصرانية لقتال بعضها البعض باسم المسيح والنصرانية. لقد استخدم السيف على يد

الدول الاستعمارية بتأييد من الكنيسة ومباركتها فى سبيل قهر شعوب آسيا وإفريقيا واستغلالها، ومحو سكان نيوزيلندا الأصليين تماما، كما فعلت فى استراليا وأمريكا الشمالية.

ثم جاءت نقطة التحول فى حياتى عندما أسقط الأمريكيون القنابل الذرية على اليابانيين فى فوجازاكي وهيروشيما وذلك فى عام ١٩٤٥. وامتلات نفسى بالرعب والفرع عندما قرأت عن الوفاة الفظيعة لملايين البشر من الرجال والنساء والأطفال الأبرياء، وعندما علمت بالآلام الشديدة التى لا يمكن تصورها يقاسيها عدد لا حصر له من الناس الذين كان من سوء طالعمهم أن نجوا من الموت الفورى، وقضيت عدة ليال لا أذوق طعاماً للنوم بعد أن قرأت عن هذه الأحداث، فقد كنت أشعر بالأسى وأنا أقرأ عن جرائم الجيش الأمريكى المحتل فى اليابان!!

كنت أستنكر الغزو الذى قام به جيش عظيم من المبشرين النصرارى ضد الجزر اليابانية تحت سمع وبصر الجنرال (ماك آرثر) وذلك لاستعباد أرواح اليابانيين، وإنشاء طبقة من الخونة وأعنى بهم المنتصرين الذين من شأنهم أن يساندوا سادتهم البيض والرأسماليين ضد أبناء جلدتهم وبنى وطنهم!!

الحقائقُ تُكشَفُ :

وفى الكلية التقيت برجال ونساء ينتمون إلى عقائد شتى، وكنت قد أوهمت أن جميع الناس من غير النصرارى يعتبرون وثنيين، إلا أننى عندما دنوت منهم وأتيتحت لى الفرصة لفهمهم بدأت أحترم «الوثنيين» وأتباع الديانات الأخرى احتراماً حقيقياً، فقد وجدت تسامحاً ورحمة بين من يسمى بالوثنيين أكثر مما عرفت فى حياتى كلها بين النصرارى، وأصبحت بصورة خاصة صديقا لأحد المسلمين فأخذ يشرح لى مبادئ الإسلام، وسرعان ما أيقنت أن هذا الدين أكثر صلاحية من الديانة النصرانية، فالإيمان بوحداية الله فى الإسلام أقرب إلى العقل والمنطق من مبدأ التثليث النصرانى، كما أن وجهة النظر الإسلامية بأن جميع الأديان الكبرى فى العالم تنتمى إلى أصل سماوى واحد، تعتبر أقرب إلى المنطق والتسامح من موقف النصرارى الذى يصم بالوثنية كافة الديانات الأخرى!!

الإسلام دينٌ ودُنْيَا:

إن تعاليم الإسلام الخلقية تحقق امتزاجا تاما بين المثالية والواقعية. فبفضلها يستطيع الإنسان أن يعرف الله ويصبح ربانيا وهو يقوم بنشاطات الحياة اليومية، وليس فى الإسلام أى فصل بين الدين والسياسة. فعلى الحكومة الإسلامية أن تراعى نفس المبادئ الخلقية التى يراعيها الأفراد عند التعامل فيما بينهم، وذلك فى معاملتها للناس والدول الأخرى، وهكذا فليس فى الإسلام أى مجال للظلم أو الاستغلال مهما كان نوعه، كما أنه لا سبيل فى هذا الدين إلى وجود الاستعمار والرأسمالية والتفريق العنصرى والصراع الطبقي والحروب الجائرة المعتدية.

سُمِّيَ الْإِسْلَامُ حَتَّى فِي الْحَرْبِ:

إن الكمال لله وحده، وكل الناس خطأون لذلك لايد من فرص للدفاع المسلح. إلا أن قوانين الحرب فى الإسلام تعتبر أكثر القوانين إنسانية. فهى تضمن السلامة الكاملة للنساء والولدان وجميع غير المحاربين، وليس هناك أعظم من جريمة قصف المستشفيات والمدارس وأماكن العبادة، ومساكن المدنيين فى المناطق المعادية.

فالإسلام يأذن بالحرب لرفع الاضطهاد كما يأذن بها لإزالة العراقيل التى تقف فى طريق الدعوة والدفاع عن النفس، ولكنه لا يكره أحدا على الدخول فى هذا الدين، كما لا يقر إبادة العزل على يد المستعمرين والمتعصبين، فمن واجب المسلم أن يقبل السلم حتى ولو أراد به العدو خديعته، وهو دين السلام.. السلام مع الله والسلام مع الناس جميعاً.

إن أعظم الفضائل فى الإسلام تتمثل فى محاولة القضاء على الفاقة والألم، كما تتمثل فى خدمة المسلمين. قال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه. ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته.. ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة. ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة» (رواه البخارى ومسلم).

لقد تأثرت أعظم التأثير بمبدأ الأخوة فى الإسلام تلك الأخوة التى تشمل كافة بنى الإنسان بصرف النظر عن اللون أوالعنصر أو الاعتقاد. فالإسلام هو الدين الوحيد الذى استطاع أن يحقق هذا المبدأ فى عالم الواقع. فجميع الناس فى نظر هذا الدين متساوون، والأخوة الإسلامية عالمية تقدم على الوطن، وقد أفلح الإسلام فى إزالة كافة الحواجز التى تفرق بين الناس، وقدم للعالم فكرة أن الخلق عيال الله. قال رسول الله ﷺ:

« كل الخلق عيال الله. وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله» (١)



(١) عيال الله يعنى يتكفل برزقهم ومعاشهم، والحديث ضعيف كما فى تخريج مشكاة المصابيح للشيخ محمد ناصر الدين الألبانى ٢ / ٦١٣. ومعنى الحديث، وهو الإحسان إلى الناس كافة، من بديهيات الإسلام كما دل عليه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً.. ﴾ الآية فإنها شملت الأمر بجميع أنواع الإحسان. وفى الحديث: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره» (حديث صحيح انظر المشكاة ج٢ / ٦١١ تعليق الشيخ ناصر).

الهند:

٢٧ - محمد ضياء الرحمن الأعظمي
طالب بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

تعريف في سطور

هذه قصة شاب هندوكي درس الإسلام كي يطعن فيه فأسلم، لأن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، وهو الآن طالب يدرس الشريعة الإسلامية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وأهم ما يعجب المرء في قصته أنه صمد أمام أهل الكفر، وضحي بكل شيء في سبيل الفرار بدينه، وفيما يلي قصته كما أرسلها بخطه للمؤلف وقد كتبها بعنوان:

من ظلمات الوثنية إلى ضياء الإسلام:

حينما كنت طالباً في كلية شبلي (Shibli College) بمدينة أعظم كرهه Azamgarh بالهند وذلك منذ تسع سنوات تقريبا (١) وقعت يدي على بعض الكتب التي تتعلق بقواعد الإسلام فأقبلت على دراستها بكل رغبة واجتهاد، وأول كتاب قرأته هو «الدين الحق» المترجم إلى اللغة الهندية (٢) لفضيلة الشيخ أبي الأعلى المودودي حفظه الله، وبدأ هذا الكتاب يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] وكنت جاهلاً بمعاني القرآن الكريم ومع ذلك فقد أثرت ترجمة الآية في نفسي تأثيراً شديداً لأنني كنت أعتقد اعتقاداً جازماً أن دين آبائي هو الحق، وكانت العداوة للإسلام والمسلمين راسخة في قلوبنا نتيجة للاتهامات الكاذبة الشائعة عن ملوك المسلمين على لسان المؤرخين الهنالك الذين كنا ندرس كتبهم في المدارس الحكومية، ويزعم هؤلاء المؤرخون أن المسلمين قد حكموا البلاد بالظلم والعدوان، وإذ يتركز هذا في أذهان الطلاب الهنالك يجد الطالب نفسه مدفوعاً إلى معاداة المسلمين وبغضهم.

(١) وصلت هذه القصة إلى المؤلف في ٢٠ يناير ١٩٦٩.

(٢) وهي أقرب اللغات إلى اللغة السنسكريتية وقد صارت الآن لغة رسمية للحكومة الهندية.

وإزدادات تلك العداوة حتى عادى الناس بعضهم بعضاً وكنت ممن يكنُّ البغضاء للمسلمين، فجعلت أبحث عن الإسلام فى الكتب الإسلامية ليلاً ونهاراً لعلى بذلك أستطيع أن أظعن فيه، ولكن الأمر قد انعكس حينما أثرت هذه الكتب تأثيراً جميلاً فى نفسى، مما ألجأنى إلى ترك قراءة الكتب الدراسية التى كنت أطلعها فى ذلك الحين.

وبدأ القلق والاضطراب يأخذ على مجامع نفسى، فمن المعلوم أن الديانة الهندوكية - وأهم مؤلفاتها «ويدك دهرم» وهى عبارة عن أربعة كتب هى (رك ويد) و(وسام ويد) و(أجر ويد) و(أتر ويد) - كانت منذ آلاف السنين المصدر الوحيد للحضارة الهندية وأساس قوانينها، وكنت قد قضيت بضع سنين فى هذه العصبية الجاهلية.

عَدَاوَةُ الْإِسْلَامِ تَرَاثُ هِنْدُوسِيَّ:

فالمؤرخون الهندوكيون يكونون فى صدورهم عداوة شديدة للمسلمين، ويكشفون عنها الحجب فى كتبهم التاريخية، فهم أحياناً يطعنون فى سيرة الرسول ﷺ الطاهرة بقولهم: إنه كان راغباً فى الحياة الدنيا.. إلخ. وهذا الجهل المركب يتركز فى عقول الشباب الهندوكى.

ومهما يكن من أمر فإن معاداة الإسلام كانت من تراث آبائنا، كما أننى حين نظرت إلى أحوال المسلمين لم أجد فيها ما يرغبنى فى مخالطتهم، فهم متخلفون اقتصادياً وخلقياً، لذلك كان معظم الناس يقولون: إن الإنسان اليوم فى أشد حاجة إلى الرشاد والهدى فمن يهديه إليهما بعد أن ضل ضلالاً بعيداً؟! وعلى الجملة فإن جميع الأسباب لمعاداة الإسلام والمسلمين كانت متوفرة لدى الطالب الهندوكى الذى لا يستطيع بمعلوماته القليلة الضيقة الأفق أن يبحث مباحث توصله إلى الدين الحق، ويكشف عن نفسه ظلمات اللبس وسحب الجهل، فليس من المعقول أن تعتبر هذه المعلومات الضيقة كافية لإيجاد حل لمسائل الحياة الإنسانية، فوجدت نفسى مضطراً للرجوع إلى «ويدك دهرم» كى يطمئن قلبى بما أختاره وأسير به على الطريق القويم، ولكنى لم أجد فيه إلا أساطير الأولين عن عبادة النار والبحر والأشجار والأحجار وغيرها من الجمادات والبهائم، التى لا تملك لأنفسها نفعاً ولا ضراً، فكيف بغيرها؟!!

كما يعلل خلق الكون فيها أحيانا بصورة شنيعة قبيحة تنبعث منها رائحة منتنة يفر منها الإنسان اللبيب. ودونك أيها القارئ الكريم بعض الأمثلة:

أَمْثَلَةٌ عَنِ اسَّاطِيرِ الْهِنْدُوسِ الدِّيْنِيَّةِ :

يقول الدكتور تارا جند (TARA CHAND) الفيلسوف الهندوكي في كتابه: «تأثير الإسلام في الثقافة الهندية» (INFLUENCE OF ISLAM ON INDIAN CULTURE) ما يلي: «فكرة ويد: (VAIDICK THOUGHT) إن الأضحية (ذبح الحيوان) آية لصالح العالم، وهي وسيلة القوة للخالق، فإنه إذا تعب من الخلق وذهبت قوته فإن الملائكة تسترد هذه القوة بالأضحية، فينزل بها المطر وتطلع بها الشمس ويأتي بها الطوفان، لأن هذه هي السبب الوحيد الذي تتم به إرادة الخالق» (ص ٣٠).

ويشرح «فكرة وشو» فيقول: «فكرة وشو (VISHWA THOUGHT) هو الإله الثالث وهو خالق السموات والأرض وما بينهما وهو على كل شيء حفيظ، له أعين في جميع الجهات وله وجه في جميع الجهات وله أيد وأرجل كثيرة، وهو وحده لا شريك له. (رك ويد ١٠-٨١-٢-٤). وهو ذات واحدة يسمى «برم برش» (PERAM PURUSH) أي أفضل الناس، له آلاف الرؤوس وآلاف الأعين وآلاف الأرجل. وهو محيط بجميع العالم ومنفصل عنه. وكل ما كان ويكون فهو صادر منه. وهو مالك الحياة الأبدية. ولا يعاقب على أي عمل يعمل لأن أعماله كلها خير.

«فكرة ويدانت» (VAIDANTIC THOUGHT) يقول المفكر الهندوكي وويكانند (VIVEEKANAWD): «خرج هذا العالم من العدم إلى الوجود بإرادة الخالق. المادة والروح والخالق كل منها أزلي وقديم لا يجرى عليها زمان ولا يأتي عليها حدوث، تدوم الحياة كما يدوم الخالق وكذلك تدوم الفطرة ولكنها تتغير بتغير الزمن: أما الخالق فهو موجود في كل زمان ومكان، عالم بكل شيء، ليس له صورة حسية ولن يستطيع أحد أن يصل إلى عليائه. إذا ادعى أحد لنفسه أنه الله فقد كفر به» (HINDUISM). (ص ٦١-٦٤).

العُصْرِيَّةُ الْأَبَدِيَّةُ الْمَلْعُونَةُ :

«فكرة منواسميرتي» (MANUISMIRTY THOUGHT) وهذا عنوان كتاب يعتبر

المصدر الأساسي لقانون الهندوكيين، وفيما يلي جزء من الباب الأول الذي يبحث في الخلق:

«إن هذه الدنيا كانت غامضة لا توجد لها علاقة ولا وسيلة. وليس في مقدرة أحد أن يتوسل إليها بالحجج والبراهين ثم ظهر «بيرميشور» (PERMESHWAR) إله الآلهة بمادة التكوين، وأراد أن يخلق خلقاً من ذاته فخلق الماء وألقى فيه نطفة فصارت هذه النطفة بيضة، فخرج منها «برهما» BRAHMA - الخالق - وكسر البيضة نصفين، فخلق من أحدهما الجنة ومن الثانى الأرض والسموات وما بينهما والجهات الثمان والبحور الهادئة، ثم أخرج من فمه «براهمن» BRAHMAN ومن عضده «كهترى» CHHATTRY ومن فخذة «ويش» VAISHYA ومن رجله «شودرا» SHUDRA. فما دام براهما مستيقظاً فالدنيا باقية. وإذا أخذته النوم تقوم القيامة!!!

المجون والبذاءة بِاسْمِ الدِّينِ :

فكرة «بران» PURANIC THOUGHT يعد بران عند الهندوكيين من الكتب المقدسة وأسفاره أكثر من أن تحصى ولكن الكتاب كله ينسب إلى «ويدوياس» (VAIDVYAS) فاختلف أصحاب بران في خلق العالم وجاءوا بقصص ماجنة بذئبة ودونك بعضاً منها:

يقول أصحاب بران إن «ديوى بهكوت» (DEVIBHGAAWAT) خالق هذا العالم امرأة من «شرى يور» SHRI PUR اسمها SHRI وهى التى خلقت الآلهة الثلاثة المعروفين لديهم وهم: برهما (خالق الحياة) وشنو (الرازق) ومهيسن (قابض الأرواح). ولما أرادت هذه المرأة أن تخلق العالم وضعت إحدى يديها على الأخرى فخرج «برهما». فأمرته أن يتزوجها فأبى لأنه اعتقد أنه ولدها، فغضبت المرأة غضباً شديداً فأحرقته، ثم أعادت عملها فخرج منها «وشنو» فأمرته أن يتزوجها فأبى فأحرقته، ثم أعادت العمل فخرج «مهيسن» فأمرته أن يتزوجها فامتنع إلا بشرط وهو أن تغير صورتها وتأتى بصورة أخرى ففعلت، ثم طلب منها أن تحبب أخويه فأحيتهما، ثم طلب منها أن تخلق امرأتين ليتزوج كل من أخويه بواحدة منهما ففعلت، وتزوج الجميع، وهؤلاء هم الآلهة الثلاثة الذين خلقوا العالم وهم الذين يدبرونه» (ستيارتى بركاش الباب ١١).

الإسلام حصن الأمان:

في هذه الكتب المقدسة عند الهنادك ذكر لأفعال تنسب إلى الخالق مما لا يرضى أحداً من الناس أن تنسب إليه (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) فكان مثلي بعد دراسة «ويدك دهرم» كمثل رجل فر من المطر خوفاً من البلبل فوقف تحت الميزاب. أو كما قال الشاعر:

والمستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار
وبعد ذلك انشرح صدري للخروج من دين آبائي وطرح العقيدة الجاهلية،
والدخول في الإسلام فسجدت شاكرًا لله القائل: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾
[آل عمران: ١٩].

الأمور التي حملني على دخول الإسلام:

- ١- إن الإسلام ليس ديناً موروثاً عن الآباء بل هو دين لكل من يفتح له صدره.
- ٢- ليس في الإسلام أية فوارق جنسية ولا عصبية جاهلية. فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].
- ٣- إن مبدأ الأخوة الإسلامية مقدم على جميع علاقات النسب والوطن كما بين الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].
- ٤- كل من يعتنق الإسلام يصبح فرداً من عشيرة المسلمين لا فرق بينه وبين الذي يولد مسلماً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. كما يكون العالم الإسلامي وطناً حقيقياً له لقوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

٥- إن الإسلام قانون شامل لجميع شئون الحياة الإنسانية وهو يقدم أحسن الحلول

للمشكلات الفردية والجماعية، ومخطيء أعظم الخطأ كل من يحصر الإسلام فى حدود المساجد والمؤتمرات والرابطات.

لقد أدركت حقيقة هذه الأمور المهمة الثابتة قبل تسع سنوات خلت، وذلك فى أيام جاهليتى عندما كنت على دين آبائى، فما كان منى إلا أن اهتديت إلى الإسلام بحمد الله وتركت دين آبائى وأجدادى واتجهت بكيانى كله إلى الإسلام: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

المصائب التى واجهناها عند عينا فى الإسلام:

لقد دخلت الإسلام وأنا أعلم أن لله فى خلقه شئوناً كما قال تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

وفيما يلى المراحل التى مرت بها:

المرحلة الأولى:

ما أن علم والدى بإسلامى حتى حرمنى من التعليم العالى، وأخرجنى من مدينة (أعظم كره) ويعثنى إلى مدينة (كلكته) حيث أصبحت غربياً لا أجد فيها أحدا من المسلمين أعرفه ويعرفنى، ولكن الله يسر لى فى غريتى من أرشدنى وأعارنى ما كنت بحاجة إليه من الكتب وغيرها، ولولا ذلك لكان إسلامى فى خطر عظيم.

والحقيقة أن هذه المرحلة كانت أشد على من أن يتصورها عقل، وبعد أن وصلت إلى (كلكته) أخذت أبحث عن مركز الجماعة الإسلامية فيها فوجدته، وحصلت على بعض الكتب الهندية المترجمة وشرعت فى مطالعتها استعداداً للمراحل التالية. فاطمأنت نفسى بمصاحبة فضيلة الشيخ عبد التواب حفظه الله، وكان أميراً للجماعة الإسلامية فى كلكته آنذاك.

فأحمد الله وأشكره على ما يسر لى من الأمور إلى هذا الحد. كما أشكر إخوانى المخلصين الذين ساعدونى فى لحظات خطيرة، فالله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

المرحلة الثانية:

كانت هذه المرحلة مرحلة بحث ومناظرة مع النساك الهندوكيين رغم صغر سنى وقلة علمى وبعدى عن المسلمين فى ذلك الحين، وكلما أفكر فى المناظرة التى جرت بينى وبينهم فى مدينة الله آباد ALLAHABAD أعجب كل العجب كيف تسنى لى أن أنتصر عليهم، إذ أن تلك القوى الكافرة كانت متألبة على إسلامى على اختلاف مسالكها ومذاهبها، ولا أذكر الآن من أسئلتهم التى وجهت إلى إلا سؤالاً واحداً هو قولهم:

لماذا تختار دين الإسلام مع أن المسلمين اليوم فى شدة وضيق وتفرق وفقر وبعد عن الأخلاق الفاضلة والسيرة الحسنة؟

فأجبتهم قائلاً: ما اخترت الإسلام إلا بعد مطالعة قواعد الإسلام لا بمجرد دراسة أحوال المسلمين، وإن كنتم فى ريب منه فاعرضوا على ما أشكل عليكم من أصوله وعقيدته؟!

إلا أن جهودهم ذهبت أدراج الرياح فبهتوا وسكتوا وانقلبوا خائبين يلومون أنفسهم كما هى عادة المعاندين عند المجادلة فصدق فيهم قول الله عز وجل: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، واستمر هذا البحث والنقد خمسة عشر يوماً متوالية، كنت أرجع خلالها إلى دارى وقلبي مطمئن بالإيمان.

المرحلة الثالثة:

ثم جاءت مرحلة الأذى والتعذيب. فقد حبسوا عنى الماء والطعام وانهاوا على ضرباً بالعصى والنعال واستمروا على ذلك شهرين متتاليين، ولما يشوا من رجوعى إلى دينهم تآمروا على قتلى، ولولا أن الله سبحانه وتعالى نجانى منهم بلطفه الخفى لقتلوني شر قتلة، فيسر الله لى طريق الهجرة فهاجرت إلى مكان هادىء تاركاً والدى ورفقائى وأصدقائى وكثيراً من عشيرتى الأقربين، كى أحافظ على دينى وإيمانى بكل فرح وسرور مثلما هاجر أبونا إبراهيم عليه السلام قائلاً: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

المرحلة الرابعة:

ولما خرجت من وطنى مهاجراً إلى الله ووصلت على بعد ٤٠٠ كيلو متراً غرب مدينة باديوان BADAUN أردت أن أقرأ القرآن وأتعلم اللغة الأوردية فعينت لنفسى مدرساً للغة الهندية والإنجليزية والتاريخ والرياضيات فى مدرسة إسلامية صغيرة، وفى أوقات فراغى كنت أتعلم القرآن، ولكن الهندوكيين علموا بوجودى هناك بعد عام ونصف فعاظتهم حياتى الهادئة المطمئنة، فجازوا بالمؤامرات الأخرى محاولين إلقاء القبض علىّ، فوجدت نفسى مضطراً إلى الخروج من تلك الناحية إلى جهة أخرى بعيدة عنها وهى منطقة مدراس MADRAS فى جنوب الهند.

ولما وصلت إلى مدراس التحقت بمدرسة دينية معروفة تدعى جامعة دار السلام، وهى محاطة بالجبال والأشجار ذات البهجة والمناظر الممتعة التى تسر الناظرين، وأصبحت طالباً رسمياً فى تلك المدرسة، وهى تهتم بالتربية والتعليم ممسكة بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. بذلك عصمنى الله من التعصب للمذاهب واتباع الأهواء والفرق المبتدعة والطرائق الخرافية.

فطقت أتعلم اللغة العربية وآدابها والعلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه. وتعلمت شيئاً من المنطق والفلسفة. وانتظمت فى دراستى ست سنين تخرجت بعدها من دار السلام، وقدمت طلباً للالتحاق بالجامعة الإسلامية إلى صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله نائب رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة كى أنهل العلوم الشرعية من مناهلها الصافية النقية. فقبل الشيخ طلبى بكل إخلاص ومودة وسافرت من بلاد الهند إلى مدينة الرسول ﷺ سائلاً الله تعالى أن يجعلنى من الخفاء المخلصين له الدين، فله العزة ورسوله وللمؤمنين، وأخيراً أرجو الله أن يشبثنى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة، وأن يختم لى بالإيمان. وصلى الله على النبى محمد وسلم تسليماً كثيراً.

محمد ضياء الرحمن الأورمى

طالب بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

٢٣ / ١٠ / ١٣٨٨ هجرية

٢٨- أحمد عبد الله كويسيل
« مانفرد كويسيل سابقاً »

Ahmad Abdullah Kopsel

زار الكويت في النصف الثاني من شهر يناير ١٩٦٩ شاب ألماني مسلم يدعى (أحمد عبد الله كويسيل) قدم إليها بطريق البر من إيران ضمن جولة في بعض البلاد الإسلامية نهاية المطاف فيها مكة المكرمة، وقد كان نصرانيا فأراد الله له أن يعلن إسلامه منذ ثلاث سنوات خلت، كان ذلك في تونس، وفيما يلي ترجمة تسجيل لمقابلة جرت بينه وبين المؤلف باللغة الإنجليزية.

- أهلا وسهلا بالأخ الكريم أحمد عبد الله!

- أهلا بك يا أخى!

هل لى أن أتعرف عليكم؟

- نعم.. أنا أحمد عبد الله كويسيل، واسمى السابق هو مانفرد كويسيل (MANFRED KOPSEL) ولدت فى مدينة برلين فى الخامس من يونيو عام ١٩٣٧، وبلغ عمري الآن حوالى إحدى وثلاثين سنة ونصف.

- نود أن نعرف عن أسرتك وظروف نشأتك فى برلين؟

- لقد عشت مع والدى وإخوتى عيشة هنيئة حتى كانت الحرب العالمية الثانية فقدت على أثرها جميع أفراد أسرتى فى عام ١٩٤٥، ولم يبق لى منهم أحد على الإطلاق. فاحتضنت تربيته أسرة كريمة فى برلين، وعشت بين أعضائها كفرد منها، وذهبت إلى المدرسة مع أبنائها حتى كان عام ١٩٥٥ عندما حصلت على شهادة الدراسة الثانوية فهاجرت إلى الجزء الغربى من برلين، ثم انتقلت إلى بلجيكا فالتحقت بمدرسة المعلمين فيها وقضيت فيها عامين حتى عام ١٩٥٧. ثم عدت إلى ألمانيا واشتغلت فيها برهة

من الزمن غادرتها بعدها فى عام ١٩٦١ إلى تركيا حيث اشتغلت مدة عامين كمدرس للغة الألمانية فى كلية أتاتورك بلواء الإسكندرونه الواقع جنوبى تركيا، ولما انتهى عقدى مع تلك الكلية سافرت إلى تونس حيث يعمل أخ لى بالتبني^(١) اسمه مانفرد (MANFRED) وهو مهندس يعمل فى الحفر والتنقيب عن البترول فى ليبيا وتونس، وهناك - أى فى تونس - افتتحت مدرسة لتعليم اللغات سميتها مدرسة البرلينى لتعليم اللغة (BERLINER LANGUAGE SCHOOL).

- ولكن كيف اعتنقت الإسلام؟

دُعَاةٌ بِأَخْلَاقِهِمْ:

حدث أن التحق بمدرستى المذكورة سبعة من الطلاب كانوا فى فصل واحد، وكلهم من عائلة مشهورة عريقة فى تونس هى عائلة بن غوربال. وكانوا جميعاً على درجة كبيرة من الخلق والذكاء الخارق. فاسترعى ذلك انتباهى كمدرس لهم فأخذت أسألهم عن سر ذلك؟

- إننا مسلمون.

- ولكنى رأيت كثيراً من المسلمين فى كل مكان من أوروبا وتركيا وغيرها فلم يعجبني حالهم.

- نحن نحاول يا أستاذنا الفاضل أن نعيش بالإسلام كمنهج حياة، إننا نحاول تطبيق الإسلام فى الواقع.

- هل لكم أن تحدثوننى عن هذا الدين الذى تؤمنون به؟

- بكل سرور يا أستاذنا! لقد أنزل الله القرآن على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام فدعاهم إلى الإيمان بالله وبرسوله محمد ﷺ وبجميع الأنبياء والمرسلين السابقين، كما دعاهم إلى الإيمان بأن محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، هل لك أن تتقبل نسخة من القرآن هدية كى تقرأ بنفسك وترى مدى صحة ما نقول؟

(١) الإسلام لا يعترف بالتبني. قال تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥].

- يسعدنى ذلك! ولكنى لا أعرف العربية، وعلى كل حال سأبعث رسالة إلى ألمانيا لطلب نسخة من الترجمة الألمانية لمعاني القرآن!

- حسنا تفعل!

تَرْجَمَةُ مَعَانِي الْقُرْآنِ:

وجاءت نسخة القرآن المفسر باللغة الألمانية. فاستلمتها ووضعتها على مكتبي ومضت فترة من الزمن حتى كانت مناسبة عيد رأس السنة الميلادية لعام ١٩٦٦. وكعادة النصارى فى ذلك العيد ذهبت وأخى (مانفرد) إلى حفلة عيد الميلاد فى تونس. وما أن جلست فى الحفل وارتشفت رشفتين من الخمر حتى أحسست بألم شديد لم أستطع عليه صبراً، ثم أصبت بغيبوبة، فما كان من أخى (مانفرد) إلا أن أخذنى بسيارته إلى السكن الذى كنت أعيش فيه، وحاول إعادتى إلى حالتى الطبيعية فلم تفلح مساعيته، ومضى الليل كله حتى إذا كان اليوم الذى يليه استيقظت من غيبوتى وتحسنت صحتى، وكنت أشعر برغبة شديدة وإقبال على القراءة.. قراءة أى شىء، فالتفت حولى فإذا بنسخة القرآن باللغة الألمانية أمامى وكأنها تدعونى إلى قراءتها، فأمسكت بها، وأخذت فى قراءتها بدون توقف، وما تركتها حتى فرغت من قراءتها بأكملها. واستغرق ذلك منى يومين كاملين كان الخدم أثناءهما يقدمون لى الطعام.

أَنَا مُسْلِمٌ:

لقد أحسست حين أكملت قراءة الترجمة الألمانية لتفسير القرآن بروح جديدة تدب فى عروقى، شعرت بحياة متجددة تسرى فى كيانى، كل شىء فى جسمى ونفسى كان يهتف قائلاً: أنا مسلم! أنا مسلم. لقد كنت واثقاً من أننى لا بد أن أعلن إسلامى فتوجهت إلى مفتى تونس الشيخ الفاضل بن عاشور الابن وأشهرت إسلامى أمامه.

- وماذا فعلت بعد أن أعلنت إسلامك!

- لقد ذهبت إلى مدرستى الخاصة وقررت بيعها بأكملها، فقد تغيرت مهمتى فى الحياة، وتبدلت رسالتى فيها، وأحسست برغبة فى تعلم هذا الدين، فساعدنى صديق لى وهو وزير الشباب فى ليبيا على الحضور إلى الدار البيضاء والالتحاق بالجامعة الإسلامية فيها، ومضى عام ١٩٦٧م - ١٩٦٨م وأنا طالب فى تلك الجامعة، ولكننى لم

أوفق كثيرا فانتقلت إلى مصر والتحقت بعد بضعة أشهر بالجامعة الأزهرية، وكان أول فندق نزلت فيه في القاهرة هو فندق فلسطين حيث تأثرت كثيرا بالناس من نزلاء الفندق وهم يصطفون للصلاة الجماعية، وكان موضوع الحديث بينهم الكارثة التي حلت بالمسلمين أخيرا وهي حرب حزيران ١٩٦٧م.

- بهذه المناسبة ماذا كان شعورك حين حدث العدوان الإسرائيلي الأخير على بعض البلاد العربية؟

- منذ أن أعلنت إسلامي وأنا أحس أنني عضو في جسم واحد هو الأمة الإسلامية، فكل ما يصيبها يصيبني، ولقد تمكنت أن تتاح لي الفرصة للمشاركة في معارك الفدائيين الفلسطينيين، فاستغرب ذلك بعض من حدثهم به في مصر قالوا:

- إنك ألماني، وما شأنك بفلسطين العربية؟

- أنا مسلم أولا، وفلسطين قضية المسلمين قبل أن تكون قضية العرب، فكل مسلم في العالم يشعر أن من واجبه الجهاد في سبيل تحرير الأراضي المقدسة، ولقد زرت الأردن وتأثرت كثيرا بحال اللاجئين الفلسطينيين فيها، وبالمناسبة أنشأت في الباكستان داراً لإغاثة اللاجئين.

- في الباكستان! وهل ذهبت إليها أيضا؟

- نعم، كنت أحسب أن الدراسة في الأزهر إسلامية صرفة، ولكنني وجدت غير ذلك فتركت الأزهر وهاجرت إلى باكستان حيث التحقت بمعهد العلمية التابع للاتحاد العالمي للدعوة الإسلامية، ثم استقر بي المقام في أبوت آباد (ABBOIT ABAD) وهي مدينة قريبة من كراتشي يعيش فيها الناس على الفطرة وهم متحمسون للإسلام ولكنهم فقراء من الناحية المادية.

- هل لنا أن نعرف عن نشاطاتك الحالية ومشاريعك في المستقبل؟

- نعم: لقد التقيت في أبوت آباد بدكتور ألماني مسلم يدعى الدكتور علاء الدين شلبي، اعتنق الإسلام منذ نيف وعشر سنوات، وأنشأنا مركزاً للدعوة الإسلامية في تلك المدينة، وكانت إمكاناتنا المادية محدودة رغم تعاون أهل تلك المدينة تعاوناً تاماً،

ويسرنى أن أقول إننا شيدنا المركز المذكور بأيدينا، لقد اشتركنا فى عملية البناء وإعداد كل شىء فيه حتى الموائد الخشبية والدهان، وقد وفقنا الله إلى افتتاح المركز ويوجد فى معهد تدريب المعلمين التابع له الآن حوالى ٣٦ طالباً، حسب ما جاء فى آخر رسالة تسلمتها من أخى الدكتور علاء الدين، وهؤلاء الطلبة يجدون ما يلزمهم من مسكن ومأكل فى المركز، وكلنا أمل أن يوفقنا الله لتخريج دعاة إلى الإسلام على بينة من ربهم ودينهم.

- ما هو هدفك من زيارة الكويت؟

- إن هدفى من زيارة الكويت هو تبليغ الدعوة الإسلامية لإخوانى، أريد أن أذكرهم بواجبهم لحمل لواء هذا الدين، فقد قدمت مع جماعة التبليغ ومعى فرقة مؤلفة من ١٥ رجلاً من ذوى الأعمار المختلفة، كما أننى أأمل أن أجمع بعض التبصرات من إخوانى المسلمين من أجل المركز الإسلامى المذكور، فأنا أعتبر نفسى جندي من جنود الله، وأسأل الله أن يتقبل منى.

هل واجهت أية مشكلة على أثر إسلامك؟

- عندما علم أخى (ما نفرد) بإسلامى غضب غضباً شديداً وقاطعنى واستخف بالأمر، ولكنه لما علم أن المسألة تختلف عن ذلك، وأننى أصبحت رجل عقيدة، بدأ يحترمنى، وتركنى وشأنى، ولا أزال أحافظ على صلة المودة معه، وقد يكون من الممتع لك أن تعلم أنه لما علم أحد القسس الألمان العاملين فى الجزائر باعتناقى للإسلام أخذ يجادلنى، ولما أفحمته عرض علىّ فى إحدى رسائله مبلغاً كبيراً جداً من المال شريطة أن أرتد عن الإسلام وأعمل معه فى سلك التبشير، فأبيت بطبيعة الحال وقلت: ما عند الله خير وأبقى.

- شكراً لك يا أخى، هل تود أن تضيف شيئاً قبل أن نختم لقاءنا؟

- نعم، أود أن أبين أن المسلمين فى باكستان فى خطر، فالإرساليات التبشيرية النصرانية تقوم الآن بتربية أبناء المسلمين فى معاهدها العلمية لإخراجهم عن دينهم وعقيدتهم، وهذه الإرساليات تنفق مئات الألوف من الجنيهات على هذا العمل الخطير،

ولقد آلينا على أنفسنا نحن أعضاء المركز الإسلامي في أبوت أباد أن نتحدى نشاط هؤلاء، وكلنا أمل أن يساعدنا المسلمون في ذلك، كما أود أن أشير إلى أننا أنشأنا - كما ذكرت آنفا - داراً لإغاثة اللاجئين الفلسطينيين، وقد ذهبت إلى الأردن لإحضار بعضهم إلى باكستان لتشغيلهم وإيوائهم، ولقد تحمس المسلمون في باكستان لهذه الفكرة فجادوا بالمال وكل شيء لمساعدة إخوانهم في الدين، حتى إن امرأة مسلمة كبيرة في السن تبرعت بقطعة أرض كبيرة جداً لإقامة مساكن لهم عليها، ولا شك أن ذلك يستحق كل تقدير وإعزاز.

- شكراً لك يا أخى، وأسأل الله أن يكلل مساعيك بالنجاح والتوفيق.

- شكراً. اللهم آمين.



سُورِيَا:

٢٩- أمل الصايغ *

الفَاءُ الأَرْمَنِيَّةُ مَهْنَدِي إِلَى الإِسْلَامِ

قال رسول الله ﷺ: كل مولود يولد على الفطرة. وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.

تَعْرِيف

نشأت أمل الصايغ في عائلة نصرانية كانت تعيش في قلعة ماردين التركية، ثم نزع أهلها من موطنهم ماردين إلى «الحسكة» الواقعة على الحدود السورية، وكان أهلها يعملون في حرفة «الصاغة» صياغة الذهب إلى حلى شتى. وقد حصلت أمل على تعليم عال فتعلمت اللغة التركية والإنجليزية والكرديّة والعربيّة والفرنسيّة، وتدرّجت في حياتها المهنية من ممرضة إلى أن أصبحت رئيسة ممرضات في مستوصف الحسكة العام.

س: متى كانت ولادة أمل؟ وماذا عن حياتها الأولى؟

هي من مواليد ١٩٣١ تقريباً. وكانت منتسبة إلى حزب القوميين السوريين إذ كانت رئيسة لإحدى خلاياهم في الحسكة التي تعتبر مسرحاً كبيراً للنشاطات الحزبية المختلفة، وللأرمن - عائلة أمل - الخطوة الكبرى في هذه النشاطات وكذلك النصارى الشرقيين، كما أن الحسكة تعتبر واحة لطلب الرزق حيث يوجد فيها نهر الخابور الشهير.

س: ومتى بدأت قصة إسلام أمل وكيف؟

شاءت إرادة الله أن يكون في الحسكة في حوالى عام ١٩٥٣ عدد من المدرسين المسلمين والمدرسات المسلمات الذين قدموا من حمص وحماة للعمل في مدارس الحسكة.

(*) كانت هذه القصة نتيجة جلسة طيبة أجراها المؤلف مع الحاج رسلان الخالد من الجالية السورية في الكويت، وقد كانت على شكل سؤال وجواب.

وكانت المسحة الغالبة عليهم هي المسحة الإسلامية والتمسك بتعاليم الدين الحنيف والتقوى، وكان كثير من هؤلاء يراجعون المستوصف العام في الحسكة للتداوى والعلاج، وكان بين المدرسات القاديات من حماة مدرسة مسلمة تقيّة تدعى «عليّة الجواد». وكانت تعيش في الحسكة مع أخيها الصغير الذي جاء معها من حماة كَمَحْرَمٍ لها، وكان طالباً في الصف السابع الابتدائي.

وذات يوم جاءت الأنسة عليّة الجواد إلى المستوصف الذي كانت تعمل فيه أمل، وكان أول لقاء بينهما بمحض الصدفة، فتعارفتا ودار بينهما حوار ودى حول الإسلام والمسيحية، انتهى بأن قدمت المدرسة الفاضلة لرئيسة الممرضات نسختها التي تحملها من القرآن الكريم كهدية منها إليها.

ولما فرغت أمل من عملها أخذت تطالع بشغف آيات القرآن الكريم، فلاحظت الفرق الشاسع بينه وبين الإنجيل، وتكررت زيارات عليّة الجواد لها وتوطدت الصداقة بينهما وكانت في كل مرة تسألها عن بعض المعاني التي لم تكن تفهمها من الآيات والسور، ولما تجلت لها معاني القرآن الكريم وجلاله وصدق رسالته قالت أمل لعليّة الجواد ذات يوم:

- أريد منك يا أختي أن ترشديني إلى رجل في حماة له مكانته وجبروته، ويستطيع أن يحميني إذا نويت الهجرة إلى حماة لاعتناق الإسلام، فقالت لها المدرسة المسلمة عليّة وقد تهلل وجهها فرحاً:

سأتيك برجل موجود هنا من حماة يتم لك على يديه ما تريد.

واتفقتا على موعد لذلك، وجاء الرجل بصحبة عليّة والتقى بالآنسة أمل فقالت له بعد أن تطهرت وأخذت القرآن في يدها:

- إن هذا القرآن بيدي، أحمله بيمينى وأؤمن به في صدري، فإذا كنت ممن يؤمن بهذا القرآن فعاهدني عليه حتى أكون في عداد المسلمين منكم وأذهب معكم إلى حماة.

فقال الرجل:

- ذلك على عهد الله إن شاء الله تذهبين إلى حماة وتكونين في حصن حصين .

ومرت أيام، فإذا بالآنسة أمل تلمس من ذلك الرجل أنه غير صادق، إذ كان ينظر إليها خلسة نظرة غير بريئة. فالتفتت إليه وهي تتلو آية من كتاب الله هي: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] وقالت له:

- يا هذا أنا عاهدتك على هذا القرآن لأكون من المسلمات وأذهب إلى بلدكم. ولكني لم أجد منك هذه الرجولة المطلوبة بمعناها الصحيح. لذلك انصرف عني، والله ما اندفعت لاعتناق الإسلام رغبة في التزوج من شبان وسيمين. فلدينا بين النصارى مثل ذلك وربما أفضل منك، فما أكثر من طلب يدي. ولكني جئت أريد الإسلام أولاً وقبل كل شيء. فانصرف عني.

انصرف ذلك الرجل عن أمل، ورغم ما عانتها من صدمة نتيجة لهذه التجربة ظلت لديها رغبة ملحة لاعتناق الإسلام والهجرة في سبيله إلى حماة في حمى رجل أمين. ومضى عام آخر، وفي ربيع العام التالي ١٩٥٤، وفي بداية السنة الدراسية قدم إلى الحسكة مدرس مسلم أمين ذو نخوة وشهامة يدعى بدر الشواف، وكان تقياً للمعلمين في الحسكة فانتهزت عليه الجواد هذه الفرصة وفتحت بموضوع أمل، فما كان منه إلا أن أبدى اهتماماً كبيراً بأمرها، واستعد أن يضمها إلى أسرته لتكون بمثابة واحدة من أخواته الشقيقات في حماة، وعاهدها الله على الوفاء والصدق، فجمعت بينه وبين أمل وعاهدها بذلك قائلاً:

- والله على ما أقول وكيل.

ومضت الأيام واتفق الأستاذ بدر الشواف مع أمل أن ينقلها إلى حماة، في نهاية السنة الدراسية. وفي غضون ذلك أخذت تتعلم أمور دينها الجديد. وسرعان ما حان الوقت وطويت السنة وكأنها طرفة عين وعاد المدرسون وفيهم بدر الشواف إلى حماة، وما كاد يصل إلى بلاده ويستقر بها قليلاً حتى وصلته برقية من أمل بالحسكة تقول:

« إن القوم قد اقتربوا من زرعكم وكادوا يحصدونه فاجعلوا بحصده ونقله.»

فهم الأستاذ بدر أن أمل فى خطر ولا بد من إنقاذها فوراً، فهب لتوه لنجدتها واتفق مع سائق على السفر فوراً إلى الحسكة. وما هى إلا لحظات حتى كان الاثنان فى السيارة، وهى تطوى الأرض مسرعة إلى الحسكة، ومضت ساعات أخذوا يغذون فيها السير حتى كانوا فى الحسكة قبيل صلاة الظهر بعد سفر طويل، فأوقفوا السيارة أمام أحد المساجد القريبة من المستوصف-حيث تعمل أمل- وجلس الاثنان ينتظران.. وبعد برهة وجيزة خرجت أمل من المستوصف وكأنها كانت على موعد. والتفتت حولها فرأت سيارتهما ولمحت فيها بدر الشواف، فأدركت أنه حضر لأخذها إلى حماة. فسارت فى طريقها حتى كانت بمجاذاة المسجد ثم دخلته وتبعها الأستاذ بدر. فألبسها ملاءة كانت معه فى السيارة. وخرج بها إلى السيارة. ولما ركبت انطلقت السيارة كالصاروخ عائدة إلى حماة.. ومضت ساعات حتى بلغوا حماة قبيل الفجر.. ولكن بعد طلوع الشمس كان والد أمل ووالدتها وأخوها ويصحبهم قسيس فى سيارة فى حماة، وكانوا يتجهون إلى مقر الشرطة للسؤال عن مصير ابنتهم أمل. وكانت فى صدورهم شكوك تحوم حول بدر الشواف. ولما اجتمعوا برئيس الشرطة قالوا له:

- إنا نتهم رجلاً هنا فى حماة كان يعمل مدرساً عندنا فى مدينة الحسكة باختطاف ابنتنا أمل الصايغ.

- فقال لهم رئيس الشرطة:

ومن هو هذا الرجل؟ فأجابوا بقولهم:

- إنه بدر الشواف نقيب المعلمين فى الحسكة.

أمر رئيس الشرطة جنوده باحضار الأستاذ بدر ولما جاء سأله:

- أين وضعت أمل الصايغ؟ فأجابه قائلاً:

- إنها فى عهدة الشيخ محمد الحامد والشيخ توفيق الصباغ رئيس هيئة العلماء فى حماة، فطلب منه احضارها من هناك، ولما جاءت طلب القس السماح له بالاجتماع بها على انفراد، ولما تم له ذلك قال لها:

- يا هذه، لماذا لا تعودين إلى أهلك وإخوانك فى الحسكة وتتركين هذا الدين الذى خدعت لاعتناقه؟

فأجابته قائلة :

– الإسلام دين الفطرة ! ولم يخدعني أحد لاعتناقه بل هداني الله إليه . فالحمد لله على ذلك وأنى أدعوكم أنت ووالدي ووالدتي للدخول في هذا الدين الحنيف لتنقذوا أنفسكم من النار .

عندئذ دهش القس وفغر فاه تعجباً من أمر هذه الفتاة . وأخذته العزة بالإثم فخرج لا يلوى على شيء ، واجتمع بوالدها ووالدتها وأخبرهما بما سمع ، فقرروا جميعاً اتهامها بالسرقه ، وطالبوا بعودتها معهم إلى الحسكة للتحقيق معها .

فأجاب رئيس الشرطة :

– أنا لا أملك هذا ولكن يمكنكم أن ترفعوا ضدها دعوى في الحسكة وتبقى هي هنا في حماة عند الشيخ توفيق الصباغ ، وهنا أسقط في يد أهلها فزعموا أنها مجنونة ، وأنها دخلت دين الإسلام على أثر جنونها لا من جراء تفكير عاقل رزين . لذلك فإنهم أعربوا عن رغبتهم في أخذها إلى الحسكة لمعالجتها . فقال رئيس الشرطة :

– تستطيعون أن تزعموا ما تشاؤون ، قولوا إنها سرقت أو إنها مجنونة . ولكن لا أستطيع أن أمسها بسوء . لأنها في حماة رئيس هيئة العلماء ، وهي فتاة راشدة تقرر مصيرها بنفسها . ويمكنكم أن ترفعوا دعوى ضدها بما تشاؤون . فرفعوا دعوى بأنها مجنونة وشكلت لجنة في دمشق – بعيداً عن حماة – للتحقيق في مدى صحة ذلك . وحدد موعد لانعقاد اللجنة .

لِمَاذَا سَمَّيْتُ ..؟

وفي الموعد المحدد ذهبت أمل إلى دمشق برفقة بدر الشواف وشخص مسلم آخر . ولما مثلت أمام اللجنة وجه إليها أحد الأعضاء السؤال التالي :

حدثيني يا بنتي عن سبب اعتناقك الإسلام ؟

فقال أمل بصوت هادئ :

الأمر في غاية البساطة ، لقد قرأت الإنجيل فوجدت فيه تحريفاً كبيراً وطالعت الكتب

السماوية الأخرى فلمست فيها الأمر نفسه. ثم قرأت كتاب الله- القرآن الكريم- فلم أجد فيه أى شيء من التحريف أو المتشابه. ووجدت أنه يجمع بين دفتيه كل شيء من خلق آدم إلى قيام الساعة. لذلك فقد وجدت أن الإسلام دين الفطرة، دين البساطة، فأمنت به وهجرت دين آبائى وأجدادى.

فقال الطبيب العضو معجباً. شيء رائع حقاً.

ثم التفت إليها عضو آخر فى اللجنة وقال:

إنك تؤمنين باليوم الآخر، أليس كذلك؟

فأجابت: نعم.

فقال:

كيف يمكنك إقناعى بذلك؟

فقالت: يا سيدى، أنا لا أزعم أننى متخصصة فى الدين. ولكن الإجابة عن هذا السؤال أمر فطرى. فلو ظلم إنسان فى الحياة الدنيا، ومات هو والظالم من غير أن يأخذ المظلوم حقه، وحيث إن لهذا الكون ربا عادلاً مدبراً، فلا بد أن يكون هناك يوم آخر يأخذ فيه المظلوم حقه من الظالم. وإلا فلا يكون هناك عدل عند ملك الملوك، قيوم السموات والأرض، وحاشاه من ذلك!

فقال لها: والله يا ابنتى إنك أعقل منى! فلو سئلت أنا هذا السؤال لما استطعت أن أجيب عليه بمثل هذا الوضوح، اذهبوا عنها فما بها من بأس، ولا شأن لكم بها.

قررت اللجنة الطبية فى دمشق أن أمل بريئة من تهمة الجنون وعادت معززة مكرمة إلى حماة. ولكن مؤامرات أهلها لم تنته. فأقاموا ضدها دعوى بأنها فرت من المستوصف العام بالحسكة من غير إذن. والقانون يقضى بحبس الفار من عمله دون إذن شهراً ونصف الشهر. ولما رفع أهلها هذه الدعوى ضدها عادوا إلى بلادهم خائبين. إذ أن ملايسات المحاكم تستغرق زمناً طويلاً قبل أن تقضى فى الحكم.

جاءت بداية العام الدراسى التالى، وأمل تعيش مع عليّة الجواد فى بيتها فى حماة. وجاء أمر بنقل عليّة إلى ضاحية برى الشرقى- وهى قرية شرقى حماة وتبعد عنها حوالى

٥٠ كيلومترًا - فانتقلت معها أمل محاولة الهرب من السجن المذكور، وأملة أن تتغير الأحوال وتحصل على عفو. أما أهلها في الحسكة، فقد لجأوا إلى اتباع كافة السبل التي يمكنهم القيام بها ضدها، فاتصلوا بمدير المستوصف العام وكان رجلاً نصرانياً منصفًا. قالوا له:

- نحن نعلم أن أمل قد سرقت بعض حاجيات المستوصف فهل لك أن تكتب لنا شهادة بذلك؟ فقال الرجل:

- واعجباً إننى رجل نصرانى مثلكم ولا أحب لأمل أن تسلم، ورغم ذلك أقول: إننى لم أعرف امرأة شريفة ولا صادقة ولا أمينة قط مثل ما عرفت أمل! وهذه هى شهادتى بحقها فإن شئتم كتبته لكم.

فى تلك الأثناء كان بعض القوميين السوريين يجتمعون فى حماة فى صيدلية لهم تسمى «صيدلية الجامعة»، وصاحبها شخص لبنانى كان يدعى «الجردينى» وكان هؤلاء القوم يترقبون أخبار أمل وتنقلاتها عن كذب. وذات يوم قام صاحب هذه الصيدلية بإبلاغ أسرة أمل بأنها انتقلت إلى قرية بري الشرقى. ودعاهم إلى القدوم لاختطافها. ولما علم أهلها بذلك سارعوا بالذهاب إلى حماه ثم توجه ثلاثة نفر مع أم أمل وأخيها واستقلوا سيارة إلى بري الشرقى فوصلوها عند الظهر. وأخذوا يتربصون بأمل قريباً من المدرسة التى تعمل بها عليه الجواد. ولما قرع جرس المدرسة الأخير ابدأنا بانتهاء اليوم المدرسى وأخذت الطالبات يتدفقن من المدرسة تبعاً، شوهدت أمل خارجة من المدرسة بصحبة بعض المدرسات وفيهن عليه الجواد. فهاجمها أحد الرجال الثلاثة القادمين بالسيارة وخضها خضة كادت تُكسر أضلاعها، فصرخت ولكن دون جدوى. إذ حملها الرجل إلى السيارة وانطلق الجميع بها ظافرين رغم استنجاد المشاهدين بالشرطة، ورغم توجه بعض المدرسات إلى قرية السلمية وقيامهن بإبلاغ الشرطة بما حدث. هذا بينما كانت السيارة التى تقل أمل منطلقة كالسهم فى طريقها إلى الحسكة وكانت أمل تعاني من غيبوبة تامة على أثر ما حدث.

ومضت ساعة، استيقظت بعدها أمل وأحست بالوضع على حقيقته فأخذت تكيد للتخلص من سخط أهلها عليها فقالت:

- لقد أبطأتم الوصول! إذ أن القوم قد خطفوني رغم أنفى وأخذوني إلى حماة. وكنت انتظر الهروب إلى طرفكم بالحسكة. ولكن دون جدوى. ولقد فرضوا على الإسلام فرضاً.. فقبلته مكرهه، رغم وجود الرغبة الشديدة فى نفسى كى أعود إليكم بالحسكة وكان من الخطأ أن تطلبونى بواسطة المحاكم أو مركز الشرطة. إذ كان بإمكانكم أن تقبلوا أن أعود معكم بحجة دعوتكم جميعاً للإسلام، وهناك فى الحسكة نعود إلى ما كنا عليه.

عند ذلك تبدلت نظرات الغضب إلى حنين وعطف وعناق، وأخذت أمها تغنى وتصفق وأخذت أمل تشاركها فى ذلك . والجميع فرحون مسرورن والسيارة مسرعة إلى الحسكة. ثم وصلت السيارة إلى جسر الرقة فى منتصف الطريق إلى الحسكة تقريباً. وهنا اعترض سبيلهم اثنان من الشرطة المسماة «شرطة الدرك» فأشاروا إلى السيارة بالوقوف. وما كادت السيارة تقف حتى نزلت أمل منها وهرعت إليهم قائلة:

- إن هؤلاء القوم قد خطفوني من سلمية بعد أن أسلمت. وهم أمي وأخي ورجال ثلاثة آخرون، ويريدون أن يذبحوني بعد إعادتى إلى الحسكة، فأنقذوني من أيديهم! فما كان من رجال الدرك إلا أن أمسكوا بالسيارة ومن فيها وقادوهم جميعاً إلى مركز شرطة الرقة.

وفى مخفر الرقة سألت أمل عن رجل مسلم يحميها ويقف جانبيها فاستدعى مختار حى الشراكسة وكان اسمه عبده اليوسف، ولما جاء وعلم بقصتها أخذها إلى بيت أمه وزوجته.

وكلاهما تجيد اللغة التركية. وظل أهل أمل وعصابة الخطف فى المخفر. ثم أرسلت أمل إلى المحتجزين فى المخفر كى يحضروا إلى دار المختار، وأخذت تدعوهم إلى الإسلام فأبوا وامتنعوا، فطلبت من المختار العمل على إطلاق سراحهم جميعاً إذ أن الله أنجاها من بطشهم وهى لا تحمل لهم أى حقد أو ضغينة. وإنما تريد أن تمن عليهم بالفك من الأسر. فأطلق سراحهم. وفى اليوم التالى أرسلت إلى بدر الشواف كى تعود معه إلى حماة.

عادت أمل إلى حماة وفتح لها بيت، وعملت قابلة خاصة للسيدات المسلمات. ولما

شاع خبرها واشتهرت قصتها أقبل عليها الخاطبون وكلهم يطلبون يدها ويخطبون ودها.
ولكنها أبت عليهم وقالت:

ما اعتنقت الإسلام لهذا ولا لغيره. وإن كان ولا بد فلن أتزوج إلا من شقيق عليّة
الجواد التي كانت السبب في هدايتي إلى الإسلام.

وكان هذا الشاب في الصفوف المتوسطة من المدرسة. فانتظرت أمل عامين حتى فرغ
من دراسته وخطبت إليه وزفت، فغبطه كل مسلم كان يتمناها لنفسه من قبل. وهكذا
تنتهى قصة أمل وهي لاتزال تعيش مع زوجها في حماة بعد أن أنجبت منه عدة أبناء
ولاتزال مؤمنة صامدة مصابرة. فسيحان الهادى العظيم!!.



لَبَّان :

٣٠- وليد أحمد أسعد

(مشارك مبرمج تايل رئيس سابقاً)

س : لقد سعدنا يا أخ وليد، بسماع قصة إسلامك من بعض الإخوة الكرام هنا في الكويت، فنرجو أن نسمعها منك حتى نستفيد ونفيد. فتفضل حدثنا عن نشأتك وقصة إسلامك .

نشأت في أسرة ريفية، فأصلنا من قرية تدعى تعنايل في البقاع ثم انتقل أهلي إلى قرية أخرى تدعى الفريديس. وكان والدي يعتبر من المزارعين رغم أنه كان في الوقت ذاته مديراً عاماً للسكك الحديدية في لبنان. وقد وضعني والدي في مدرسة القلبين الأقدسيتين في القسم الداخلي.

س : لطفاً، قبل المدرسة، لو حدثتنا عن تاريخ الميلاد؟

ولدت عام ١٩٣٨م، ونلت الشهادة الابتدائية من مدرسة القلبين الأقدسيتين، ثم انتقلت إلى المدرسة اليسوعية في بيروت- داخلي- وحصلت منها على الشهادة الإعدادية.

ولما انتقل والدي بحكم وظيفته إلى الزبداني، وكانت السكك الحديدية مشتركة بين سوريا ولبنان، التحقت بالكلية الأمريكية بمدينة زحلة وقدر لي أن أعيش فيها في القسم الداخلي كذلك. وكان يقاسمني الغرفة شاب مسلم يدعى محمد الشحيمي، وكان الطالب المسلم الوحيد بيننا نحن أبناء النصاري، ولم تكن لدى أية فكرة عن الإسلام في ذلك الحين. وكل ما كنت أعلمه هو أنني نصراني وحسب.

و ذات يوم وجدت لدى زميلي المسلم كتاباً جديداً لفت نظري فسألته:

ما هذه القصة الجديدة يا محمد؟

هذا هو الجزء الثلاثون من القرآن الكريم، اسمه جزء عم.

(فاقتربت قليلاً وحاولت التقاط الكتاب لأطلع عليه فنهرنى صديقى المسلم بلهجة حازمة).

- لا يمسه إلا المطهرون .

وظننت أنه يمازحنى لما بيننا من مودة ومزاح. ولما علمت أنه كان جاداً فيما يقول، قلت له: حسناً! إننى على استعداد أن أتطهر فالأمر بسيط. وتقدمت نحو الكتاب فمنعنى وقال:

- اذهب وتوضأ كما سأعلمك ثم اغتسل. فقلت له:

- أرنى كيف أتوضأ. ففعل صديقى ذلك أمامى.

فقلدته ثم ذهبت واغتسلت. ولما فرغت أمسكت الكتاب وفى نفسى لهفة لمطالعة ما فيه. فقرأت سورة عم وبعض السور الأخرى. شعرت أن هذا الكلام يلقي حنيناً وتجاوياً من أعماق قلبى. وواصلت القراءة حتى بلغت قوله تعالى:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنْ اسْتَفْتَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكَّى (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ...﴾ [عبس: ١-١١]

فالتفت إلى صديقى متسائلاً:

- هل لك أن تشرح لى مناسبة هذا الكلام؟ فقال:

- لست بمتفقه فى الدين. وكيفيك من تقصيرى أننى لا أصلى. فقلت له:

- ولكنى متشوق لمعرفة سبب هذا العتاب وقصته، ومن هو المخاطب به؟ فقال:

- سأخذك إلى أحد العلماء فى هذه المدينة. فأجبتة:

- سأكون شاكراً لك لو أخذتنى إليه غداً الأحد فى عطلتنا الأسبوعية. وهكذا اتفقنا

على موعد فى اليوم التالى لزيارة الشيخ المسلم المذكور.

وفى اليوم التالى جلسنا إلى الشيخ المسلم فى بيته، فوجدته رجلاً وقوراً متواضعاً

أليفاً، لا يملك المرء نفسه عند مخاطبته من مودته. فقلت له:

- هل لك أن تشرح لي معنى الآيات: «عبس وتولى...» إلى قول القرآن «كلا إنها تذكرة»؟ فقال لي الشيخ الوقور بلسانه العذب:

- يا بنى، إن هذا القرآن من عند الله تبارك وتعالى، نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام على قلب نبينا محمد ﷺ. وفي هذه الآيات يتوجه الله سبحانه إلى معاتبة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام لأنه التفت إلى رهط من سادة العرب طمعاً فى إسلامهم، وترك رجلاً أعمى جاء يسأله عن أمور دينه. ولما قاطعه الأعمى وألح عليه فى السؤال بدا شىء من العبوس على وجه النبى الكريم. فنزلت هذه الآيات لتصحيح الموقف ووضع الأمر فى نصابه فقلت متعجباً:

- الله الله! إذن ليس هذا القرآن من عند نبيكم محمد كما يقول رهباننا. فقال الشيخ:

- هذا زعم باطل يا بنى. فقلت:

- لقد ثبت لى الآن فعلاً أن القرآن لا بد أن يكون من عند الله. فقال الشيخ:

- وماذا سمعت من مزاعم أخرى من هؤلاء الرهبان المضللين؟

- سمعت منهم أن محمداً قد تعلم القرآن من الراهب بحيرا. وقد عرفت الآن أن القرآن ليس من عند بحيرا. وإنما هو من إله الكون الذى يعاتب محمداً هذا العتاب لالتفاته عن الرجل الضعيف الأعمى. فقال الشيخ:

- بهذا ترى أن دين الإسلام هو الدين الحق، وقد جاء به الرسول الكريم من عند الله ليقوم الناس، بالقسط لا فرق بين غنيهم وفقيرهم.

- نعم. نعم. شكراً لك أيها الشيخ الكريم. وأرجو أن تتاح لى فرصة أخرى للقاءك.

- وأنا يسعدنى مثل هذا اللقاء فى أية لحظة.

- وداعاً..

- فى رعاية الله.

هُدَايَةُ اللَّهِ:

عاودت قراءة القرآن. وكان يشدني إليه شعور خفى لم أكن أعرف تفسيراً له. وبدأت أوازن بين ما أقرأه في القرآن وبين ما تعلمته طوال حياتي الدراسية الماضية من العقيدة النصرانية، فشعرت أنني أعيش في دوامة، وجاء يوم الأحد التالي فذهبت إلى الكنيسة واستمعت إلى القداس، وبعد أن فرغ الراهب من تلاوته قلت له:

- يا أبانا!

- نعم ..

- أنا إنسان، أأست كذلك؟ فقال:

- بلى .. فقلت:

- إذا تحولت إلى جماد ألا تذهب عنى صفات الإنسان؟ قال نعم. فقلت:

- فكيف تقولون بأن الله قد تحول من إله إلى إنسان ولم يفقد صفات الألوهية؟! فقال:

- اذهب فإن لك بعل زبول^(١). فقلت له:

- أبانا. أقنعني أن الله عندما أصبح إنساناً وفداناً بدمه قد بقيت فيه صفات الألوهية. فقال بعد صمت:

- تعال عندي بعد غد كي أعطيك الإجابة على ذلك.

وبعد يومين، وبينما كنت أستعد الذهاب إلى الخوري - كما نسميه - حسب الموعد المضروب بيني وبينه جاء تنى الأنباء من بيروت بأن والدتي مريضة، فأسرعت بالسفر إلى بيروت لزيارتها، وهناك التقيت بجار لنا كان يدعى على جاسم الشيخ. وهو رجل سورى الأصل. وكان لاجئاً سياسياً في بيروت. وقد لمست أنه رجل طيب القلب، مسلم فيه

(١) أى شيطان.

رجولة وصدق وإخلاص ولكنه لم يكن مسلماً ملتزماً بالمعنى الصحيح، فقد كان لا يواظب على إقامة الصلاة. ولم يكن ذلك يهمنى كثيراً فى ذلك الحين. وذات يوم التقيت به فى بيتنا ودار بيننا الحوار التالى:

- يا سيد على، أنت رجل مسلم، أليس كذلك؟

- نعم، ولكنى للأسف مسلم عاص.

فقلت له وفى نفسى دهشة من أمره من غير أن أفصح له عنها: هل لك أن تفسر لى مطلع سور عبس وتولى..؟ فقال:

- لا تأخذ بقولى أبداً، وإنما أستطيع أن أحضر لك بعض الكتب الإسلامية الخالية من الشبهات. فقلت له: إننى بحاجة إلى هذه الكتب فقال: ولكن لماذا تريدها؟ فقلت له:

- لقد بدأت أتساءل حول الأقانيم الثلاثة وحول ألوهية المسيح. فقال:

- يا أخى. إن القرآن الكريم يعلمنا كيف نؤمن بالمسيح بكل بساطة ومنطق سليم. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٥٩) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ [آل عمران: ٥٩، ٦٠]. وإننى رغم بُعدى عن تعاطى الخمور وتجنىبى للزنا، لا أصلى ولا أصوم. فقلت له:

- وهل أنت على حق فى ذلك؟ فقال:

- لا والله! لست على حق أبداً. فما أنا بمسلم ما دمت أترك العمل بأركان الإسلام.

الْبَحْثُ عَنِ الْحَقِيقَةِ:

اتفقت مع السيد على جاسم الشيخ أن يأخذنى إلى شيخ يعرفه يدعى الأستاذ فمر الخطيب. ولما ذهبنا إليه رحب بنا وزودنى ببعض الكتب المهمة وشرح لى بعض الآيات وأعطانى نسخة من القرآن.

كنت فى تلك الأثناء أواظب على الذهاب إلى الكنيسة كل يوم أحد. فلما كان يوم الأحد التالى ذهبت إلى الكنيسة كالمعتاد، فوجدت القسيس يتلو القداس. ولما فرغ من أدائه سألته:

- يا أبانا! تقولون في الإنجيل بأن عيسى ينتسب في سلالته إلى الله فهو عيسى بن فلان بن فلان ونهاية السلسلة كما تزعمون هي الله. فأريد منك أن تذكر لي السلسلة كاملة إلى أن تربط لي نسب عيسى بالله. فقال:

- يا بني! هذه معجزة! والمعجزة لا تقاش فيها.

فقلت: تقولون عيسى هو ابن الله. ولكن النسب لا يتعلق إلا بالإنسان.

فقال: هذا كلام غير معقول. ولذلك أومن به من غير بحث.

فقلت له:

- إنك لم تقنعني.

ثم خرجت من الكنيسة وانطلقت إلى بيتنا. ولما جلست مع والدتي قالت لي:

- تعالي يا شاكراً فاجلس معنا - أنا وإخوتك - حول تمثال العذراء هذا لنصلي لمريم أم الرب. فقلت لها:

- لماذا تفعلين ذلك يا أماه؟ فقالت:

- يا بني هذه هي صورة مريم العذراء حامية الجميع وأم الإله.

فقلت: يا أماه! إن المرأة لا تلد إلا إنساناً مثلها. فكيف ولدت مريم إلهها وربها؟

فقلت: لا يا ولدي. هذه مريم العذراء ذات العجائب السبع.

فقلت لها: إذا كانت مريم العذراء أمًا لله، فلماذا تركها الرب وولدها تموت رغم كونها أمه. هل تتصورين لو أن أحداً اعتدى عليك، أيمكن أن أسكت عنه؟ أفلا يجب على أن أدافع عنك؟ فإذا كان المسيح إلهًا فلماذا لم يدرأ الموت عن أمه؟ ولا أريد أن أقول عن نفسه؟

فقلت أمي:

- إن كلامك هذا كلام فارغ.

فأصابني الوجوم وانصرفت من مجلسها، وتوجهت إلى والدي فقلت له:

- يا أبتى! لقد قرأت في الإنجيل أن المسيح يقول: «أستطيع أن ابني الهيكل وأبنيه

فى ثلاث لىال». وفسىر ذلك فى الإنجىل هو أنه إذا قتل المسىح فإنه ىستطىع أن ىعود إلى الحىاة خلال ثلاث لىال. فما دام المسىح قد مات وهو الله، فمن الذى دبر هذا الكون بعده؟ فأجاب والدى بقوله:

- یا بنى، إن الخورى لا ىفهم هذا، فهل أستطىع أنا أن أفهمه؟!

لم أجد فى أسرتى أحداً ىفسر لى ما فى نفسى من تساؤلات حول العقىة النصرانىة فأخذت أزداد لهفة لمقابلة العلماء المسلمىن فى بیروت. وكنت أنتهز فرصة ذهابى إلى بیروت كل یوم سبت لزیارة الشىخ فمر الخطىب، والشىخ حسن قىم، والشاب السورى على جاسم الشىخ. فقال لى أحدهم ذات مرة:

- إذا كنت یا أخی ترى الإسلام فعلىك بالقرآن الكرىم وبالسنّة النبویة المظهرة، ولا تلتفت إلى واقع المسلمىن وما هم فیه من انحراف بعید عن الإسلام. فقلت له:

- إن هذا لشیء مؤسف حقًا. فقال:

- هذا هو واقع كثیر من المسلمىن. وإذا كنت ترى إىباع هذا الدىن فعلىك بالتحلى بصبر آیوب.

فقلت: وما حاجتى إلى صبر آیوب.

فقال: لا تتوقع أیة مساعدة من أحد هنا فى هذا السبىل. ولكنى سأعرفك بعائلة (العیتانى) وهى عائلة مسلمة كبیره فى بیروت لها وزنها، وقد تحتاج إليها إذا فكرت فى اعتناق الإسلام.

بَیْنَ الْعَقْلِ وَالْعَاطِفَةِ :

لقد عرّفنى صدىقى على جاسم الشىخ بالسید مصطفى العیتانى. والحق أنى أصبحت فى ذلك الحىن أعانى من بلبلة فكریة عنیفة. فإذا رجعت إلى القرآن وجدت أنه ىخاطب الفطرة والعقل البشرى، وىخلو من الرموز الغامضة. وإذا عدت إلى نصرانىة الكنيسة وجدتھا تقتصر على مخاطبة العاطفة وتدور فى حلقة مفرغة. وظل الحال على ذلك حتى كان عام ۱۹۵۹ - ۱۹۶۰ حىن حصلت على شهادة الدراسة الثانویة العامة

وقررت الالتحاق بدار المعلمين كى اعتمد على نفسى وأعلن إسلامى. وانتسبت لجامعة دمشق قسم التاريخ، ثم تخرجت من دار المعلمين وعينت مدرساً فى بيروت.

وجاء شهر رمضان فأخذت أصومه وشجعت على جاسم الشيخ على الصيام معى وكنت أفطر معه فى بيته، كما كنت احتفظ بالكتب الإسلامية التى كنت أطلعها فى بيته أيضاً. وذات يوم جلست مع أخى جوزيف وهو عضو فى حزب الكتائب حالياً ويعمل فى سلك المحامين، فأخذت أناقشه فى الوصايا العشر. وقلت له:

- إن هذه الوصايا العشر لسيدنا موسى لا للمسيح عليه السلام. فالمسيح ترك أمثالاً ولم يترك شريعة. ثم جاء الحواريون من بعده وجمعوها.

فقال لى أخى:

- ومن أين لك هذه الكلمة «حواريون»؟ فقلت:

- إنها من القرآن، اقرأ القرآن تعلم أن المسيح لم يترك شريعة أبداً. فقال:

- وكيف ذلك؟ فأجبتة بقولى:

- الأمر بسيط. هل هناك قانون للميراث مثلاً فى الإنجيل. هل هناك نظام اقتصادى سياسى، أو اجتماعى فى النصرانية؟ فأجاب:

- أبداً .. فقلت:

- وهذا معنى قولى بأنه لا توجد شريعة للحياة فى الديانة النصرانية.

جَوَارٌ وَجَدَلٌ طَوِيلٌ:

لم يسكت أخى جوزيف عن هذا النقاش، بل نقله إلى أبيه وأمه. ولما أحس الجميع بتحول أفكارى أخذوا يفكرون فى طريقة تصرفنى عنها. فقرروا أن يزوجونى واختاروا لى ابنة خالى «فوزى المعلوف» فى لبنان فوافقت على ذلك. ولما تمت الخطبة وأخذت أخرج مع خطيبتى صرت أناقشها فى مسائل العقيدة النصرانية.

قلت لها:

- ألا يجوز أن نعبد الله فى أى مكان؟ لماذا نقتصر على عبادته فى الكنيسة؟ ولماذا

نقول: باسم الأب والابن والروح القدس؟ أفلا يكون أقرب إلى المنطق أن نعتقد أن الله واحد لا شريك له؟ فقالت:

- لا أفهم كثيراً مما تقول؟ قلت لها:

- كيف نقول باسم الأب والابن والروح القدس ثم نقول إله واحد آمين؟ فما هذا التناقض؟

لقد صارحت خطيبتى برأى فى الديانة النصرانية. فما كان منها إلا أخبرت والدى حال عودتنا إلى البيت.

فقال لى والدى:

- ما هذا الذى أسمع؟ هل أنت مجنون؟

وجاء أخى جورج وأخى جوزيف.

فقال لى جورج، وهو مهندس طيران:

- هل تريد أن تضيع مستقبلك؟

وقال لى بعد صمت:

- دعك من هذا الأمر وتمتع بما تحب ولتشغل بالك فى شىء آخر.

ثم خرجت من البيت وجلست فى حديقة الدار وأخذت أفكر:

إلى متى أستطيع أن أكتفم أمرى؟ لقد كفرت بالنصرانية المعقدة الغامضة، وآمنت بالله وبالإسلام ديناً. وقلت لنفسى: إننى إن كشفت الحقيقة لأهلى فسوف أحارب بشدة. فنحن فى بلد شرقى ولسنا فى أوربا. لأن لبنان بلد ذو طائفية وتعصب مقيتين. ثم تركت الأمر لله تعالى.

يَوْمَ الْإِكْلِيلِ وَصِيحَتِي بِالْإِسْلَامِ:

وبعد ستة أشهر عين يوم الإكليل فى الكنيسة لى وخطيبتى، فوجهت دعوة إلى أصدقائى المسلمين وخاصة السيدين مصطفى العيتانى وسليمان باعتبار أنهما صديقان لى وحددت لهما موعد الإكليل، وفى الموعد دخلت الكنيسة وجاء القسيس والشاهدان.

وأخذ القسيس يؤدي مراسم الزواج والناس أمامه جلوس يشاهدون. فأحسست أنتى لم أعد حراً، وأخذ جيبنى يتفصد بالعرق فما وجدت نفسى إلا أن قمت واقفاً وقلت بأعلى صوتى:

- اسمعوا أيها الناس، إننى أعلنتها صريحة مدوية كالرعد القاصف فى هذا المكان:
إننى أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأشهد أن عيسى بن مريم عبد الله ورسوله.

فما كان من الخورى الذى كان يوقد الشموع وقد أعطانى ظهره، فما كان منه إلا استدار نحوى ووقع على الأرض، وأخذ ينظر إلى نظرة المغشى عليه من الموت. وأسرع أخى جوزيف وتقدم إلى المنصة التى كنت فيها وصفعنى، فما كان من مصطفى العيتانى إلا أن هب واقفاً وسحب مسدساً كان فى حوزته وأطلق رصاصتين فى سقف الكنيسة سقط على أثرها تمثال معلق. وقال للحاضرين:

- أديروا وجوهكم إلى الحائط. وكل من يمس شاكر بسوء سوف يقتل فى الحال.
فامتثل الجميع لأمره واستداروا نحو الحائط، وسادت برهة من الصمت، ثم أخذنى صديقى مصطفى من يدي وخرجنا من الكنيسة، وركبنا أول سيارة أجرة توقفت لنا وذهبنا إلى بلدة صديقنا سليمان. وقضينا فيها تلك الليلة^(١).

وفى اليوم التالى عدنا إلى بيروت وذهبنا إلى المحكمة الشرعية حيث أعلنت إسلامى وسجلت نفسى فى سجل المسلمين.

عَقَبَاتٌ وَصَعُوبَاتٌ:

س: يا أخى وليد، هل تتكروم بأن تحدثنا عن الصعوبات التى واجهتها بعد ذلك؟

ج: نعم. ولكن أرجو أن تتحلى بالصبر.

لقد علم أهلى بطبيعة الحال فأرسلت الكنيسة مطرانها إلى المحكمة الشرعية وزعم

(١) مع ترحيبنا وفرحنا بإسلام هذا الأخ الكريم إلا أننا نعترض على طريقة إعلانه إسلامه بهذه الكيفية القاسية! لأن الإسلام يفضل دائماً الحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هى أحسن.

أننى مجنون، وحيث أن والدى يتمتع بمكانة مرموقة وله لفيف من الأصدقاء من كبار الشخصيات اللبنانية. فقد استطاع أن يثبت زوراً أنني قد جُنت، فحملونى إلى مستشفى المجانين وقضيت فيه سبعة أيام، حتى استدعانى طبيب المستشفى لأحدثه عن قصتى. فلما سمعها منى قال مستغرباً:

- ما هذه العصبية. إن هذا الأمر لمستغرب.

وقال للمستولين عن المستشفى:

- افتحوا له الباب وأطلقوا سراحه. والتفت إلى وقال:

- أنت يا أخى حر. فلتعتقد بما تشاء.

خرجت من المستشفى وتوجهت إلى المحكمة الشرعية، ورفعت دعوى طلبت فيها إعادة تسجيلى فى سجل المسلمين. فاستدعى الخورى لحضور الجلسة. وعند الباب قال لى:

- خذ هذا الشيك بمبلغ . . . ١٥ ليرة لبنانية بشرط أن تقول للمحكمة أنك كنت سكراناً.

فقلت له:

- هل أنت جاد فيما تقول؟

فقال:

- ولو!؟ خذه من الآن.

فأخذت الشيك منه ودخلت المحكمة.

ولما جلست بين يدى القاضى قلت له:

- يا سيدى الشيخ. ماذا تعطون من يعتنق الإسلام؟

فقال:

- نعطيه الله ورسوله! فقلت:

- لقد أعطاني هذا الخورى شيكاً بمبلغ ١٥.٠٠٠ ليرة لبنانية، وها أنذا أدفعه إليكم متبرعاً به لدار الأيتام.

وهنا أسقط فى يد الخورى. وانفضت الجلسة لصالحى. وتركنى أهلى. فكنت من ذلك الحين فى كنف الأخ مصطفى العيتانى، وأخذت أتردد على المساجد وأجالس الإخوة المسلمين. ومضت فترة من الزمن وأنا بعيد عن أهلى، فتحرك الشوق خلالها فى نفس والدى. فعمل على إلقاء القبض على، فأمسكونى وسلمونى للمطران فوضعنى فى دير صليبيا الواقع على سفح جبل صنين. وكان للدير جدران عالية. وقد حاولت الفرار منه عدة مرات فلم أفلح.

س: هذه هى العقبة الثانية فى طريقك، أليس كذلك؟

المِحْبَسَةُ وَالْفَرَارُ:

ج: نعم. لقد كنت خلال إقامتى فى الدير أحاول استفزاز الرهبان وإثارتهم كى يعملوا على التخلص منى. فكنت أدعوهم بأسماء إسلامية. وكنت أناقشهم فى الدين فلم يجدوا مجالاً لتحويلى عن عقيدتى. فوضعونى فى «المحبسة» - وهى عبارة عن مغارة تحت الأرض وفى مكان رطب، فانتابنى شىء من الخوف فلم أصبر وقلت لهم:

- يا جماعة الخير. أنا لست مسلماً. وإنما أنا نصرانى من منشأى.

فأخرجونى من «المحبسة» وتجنبت مناقشتهم. وكنت أوافقهم فى كل ما يقولون لعلى أجد مخرجاً مما كنت فيه. وذات يوم قدم لزيارة الدير وفد من الرهبان الهنود، ففتح باب الدير على مصراعيه فى تلك المناسبة. والتفتُ فوجدت الملابس الخارجية لأحد الرهبان عند الباب فأخذتها وارتديتها، وخرجت هارباً من الباب، وسرت مسافة عشرين كيلو متراً تقريباً، حتى مرت سيارة فأشرت للسائق فتوقف وقال:

- أين تريد الذهاب يا أبانا؟ فقلت:

- إلى بيروت.

فرحب بى. ولما كان سنى فى ذلك الحين لا يناسب لباس الرهبان قلت له وقد أدت عنه وجهى:

- ليباركك الرب في ملكوته.

وسار بنا حتى وصلنا بيروت فنزلت من السيارة بعد أن عرضت عليه الأجرة فلم يقبل. فصلبت على وجهه ومضيت إلى بيت صديقي المسلم مصطفى العيتاني.

رحب بي الأخ مصطفى واكتشفت بعدها أن على الشيخ جاسم قد عاد من زيارة قصيرة إلى القاهرة. ومضت فترة من الزمن قضيناها سويًا إلى أن كان يوم من أيام الجمع ذهبت فيه لأداء الصلاة بصحبة على الشيخ جاسم في مسجد الجامع العمري. وبعد أن فرغنا من أداء الصلاة وخرجنا من المسجد صادفنا أحد أخوتي في باب أدريس بصحبته ثلاثة نفر من النصارى. فهاجمنى أخى وضربنى بالخنجر فأردانى على الأرض جريحًا. ثم انقض صديقى علىّ عليه وعلى الثلاثة المرافقين واستطاع أن يتغلب عليهم. ولما عدنا إلى بيت العيتانى أخذنا ن فكر فى وضعى. فتقرر أن أذهب إلى حماة مع جماعة من تجار الغنم الحمويين فى بيروت للعلاج. ولما تماثلت للشفاء عدت إلى بيروت. ثم قررت أن أترك بلدى وأهاجر بدينى إلى الله ورسوله حتى يقضى الله فى أمرى كان مفعولاً.

الهجرة والمطاردة:

استحسن أصدقائى فكرة الهجرة وخرجت إلى الحدود ومعى على الشيخ جاسم ولما كنا ببطن الوادى كى نجتاز الحدود قال لى:

- هل لديك استعداد لمواجهة مزيد من الصعاب. أنك بحاجة إلى قوة إيمان تغل الصخور حتى تستمر فى إسلامك. فإذا لم تكن كذلك فعد إلى أهلِكَ وتب ولا تعرض نفسك للهلاك.

فقلت له:

- توكل على الله. وامض بنا.

وسرنا حتى لقينا أحد رعاة الأغنام فنبهنا إلى وجود حقل ألغام أمامنا. فتقدم السيد على أمامى واجتازنا الحقل وسرنا حتى وصلنا إلى الزيدانى. وهناك ودعنى وعاد إلى بيروت بعد أن سلمنى رسائل توصية إلى أصدقاء له فى دمشق وسرت مشيئاً على

الأقدام إلى درعاً بعد أن أمضيت فترة في دمشق. واجتزت الحدود الأردنية حتى وصلت إلى قرية جنين، في الضفة الغربية المحتلة الآن من الأردن. وذهبت إلى صديق قديم لأبى وهو رجل مسلم يدعى أحمد أسعد. فلما قصصت عليه قصتي احتضنني واعتبرني واحداً من أبنائه. فاستخرج لي جنسية أردنية مدعياً أنني واحد من بنيه وهياً لي عملاً مناسباً. وهكذا استراحت نفسي قليلاً.

ومضت سنوات حتى كان يوم من الأيام كنت خلاله في أحد شوارع مدينة نابلس، أمام بلديتها. فإذا بسيارة تقف بالقرب مني ويطلق منها الرصاص نحوى فأصبحت في رجلى. وحاول ركاب السيارة الفرار. إلا أنني تمكنت من أخذ رقمها. وبعد التحقيق في الجريمة تبين أن الجناة من الجيش المرمى بالقدس التابع للكنيسة.

لم أشأ أن أحمل أصدقائي في الأردن مشقة حمايتي من الخطر الذي أصبح يتهددني في الأردن، فعزمت على الهجرة في سبيل الله إلى سوريا. وشرعت في الهجرة فعلاً حتى استقر بي المقام في حماة، معقل الإسلام والمسلمين في سوريا. وتعرفت على فضيلة الشيخ محمد الحامد وغيره من الرجال الأفاضل هناك. وبعد ضيافة دامت فترة من الزمن رأى أصدقائي في حماة على إرسالى إلى الكويت بحثاً عن عمل فيها بمساعدة رجل كريم مضياف يدعى الحاج رسلان الخالد، فاستحسنتم الفكرة وحملوني رسائل توصية إليه، وأعطوني النقود الكافية للرحلة. فسافرت ولما وصلت إلى الكويت ذهبت إلى الحاج رسلان الخالد فوجدته كأحسن ما وصفوه لي، واستطعت بمساعدته أن أحصل على عمل وأن استقر.

الزواج:

كنت حتى هذه اللحظة اعزباً أود التزوج بأبنة خالة لي في لبنان لديها الاستعداد لأن تكون مع المسلمين. وكان أن جاءتنى رسالة منها في أحد الأيام تستنجدني أن أحضر لمساعدتها. إذ أن أهلى يريدون أن يزوجوها من رجل نصرانى وهى تريد الإسلام والمسلمين. فسافرت ابتغى إحضارها .. وبينما كنت مستقلاً سيارة شحن متجهة إلى قريتي وقع صدام مفاجئ لم أشعر به. وفتحت عيني فوجدت نفسي في أحد مستشفيات حلب وقد لفت رجلى بالأربطة من جراء الصدام. وبدلاً من أن أذهب إلى ابنة خالتي

جاءت هي لزيارتي ويصحبها شقيقتي ومعها بعض النقود. فانتقلت وإياهما إلى مستشفى آخر. ولما قدر الله لي الشفاء جئت بهما إلى الكويت. كان ذلك في أواخر عام ١٩٦٧ - أوائل عام ١٩٦٨م. ولما تهيأ لي عمل مناسب تزوجت من ابنة خالتي، وأرسلت شقيقتي إلى حماة. وها أنذا أعيش مع أسرتي بعد أن رزقني الله ولدًا سميته ياسر.

وبعد:

نشكر الأخ وليد أحمد أسعد على تفضله بسرد قصة إسلامه للقراء ونعتذر للإطالة راجين أن تتحقق بها العبرة المرجوة.



بلجيكا:

٣١- إسماعيل
(روجيه سابقاً) (*)
بين رودس وبركسيل

أب عصامي ناجح:

بدأ والد (روجيه) حياته المبكرة عامل كهرباء عند أحد المتعهدين الذين يتولون تمديد الأسلاك وتوقيع مرافقها المختلفة .. ولكنه كان من الفطنة ونفاذ النظر بحيث لا يفوته أن ينتفع بكل لحظة وكل سانحه، لذلك لم يكد يستوثق من قدرته الذاتية وخبرته المكتسبة حتى عمد إلى الاستقلال بعمله، فأحدث لنفسه مركزاً صغيراً في أبرز شوارع (أنفرس) ثم لم يمض سوى القليل من الزمن حتى عرف لدى أصحاب الإنشاءات بأنه من أبرع العاملين في هذه المهنة، وأكثرهم إخلاصاً وإتقاناً، ومن هنا شق الطريق إلى قمة النجاح حتى أصبح اليوم من أكبر تجار الأدوات الكهربائية، ليس فقط في العاصمة بل في مختلف الأنحاء من بلجيكا وما يجاورها من المدن الهولندية والفرنسية، ولعل من حسن حظ (روجيه) أن يلد هذا الرجل العصامي الناجح، وأن يتولى هو نفسه تربيته وتنشئته بالدقة نفسها التي اعتاد أن يبذلها في ميدان العمل والتجارة، وكان من الأسس الأولى لهذه التربية أن يحرر مواهب ولده من كل ضروب التقييد، فيفسح له مجال البحث في كل شيء، ويمكنه من الاطلاع على كل ما من شأنه مساعدة هذه المواهب على الانطلاق..

وقد تعمد بوجه خاص أن يقوى في ولده جانب الاعتماد على النفس، فلم يكرهه على اتجاه محدد، حتى في نطاق الدراسة ترك له أن يقف عند حدود الشهادة الإعدادية دون أن يضغط عليه لملازمة المدرسة .. وربما كان غرضه من ذلك أن يجعله أقرب إلى عمله هو .. الذي لا يتطلب منه انقطاعاً إلى الدراسة قد يحيد به إلى أي اتجاه آخر.

(*) بقلم الأستاذ محمد المجدوب .

السِّيَاحَةُ مَدْرَسَةُ الْحَيَاةِ :

على أن انقطاع (روجيه) عن الدراسة لم يصرفه عن مواصلة الدرس بطريقته الخاصة، فلقد أقبل على المطالعة الحرة يلتهم منها كل ما وصلت إليه يده من الكتب ولاسيما في موضوعات الأدب والتاريخ والآثار القديمة، وقد ركزت ذهنه في هذا الطريق عناية والده بالسياحات الدورية، إذ كان شديد الحرص على هذه الهواية يخصص لها من كل عام شهراً كاملاً، فما أن تشرق شمس الربيع حتى يشحن سيارته الخاصة بضرورة الأمتعة وطيب الزاد، ثم ينطلق مع ولده إلى الجهة المقررة، فلا يزالان يتنقلان بين آثارها حتى يأتيها على إجازتهما، فيعودا وقد ملأ أعينهما، وأترعا صدريهما بالمتع التي لا تنسى.. وحتى الآن لم يدعا جانباً مهماً من أوروبية دون أن يأخذوا بحظ من مشاهدته وقلبي آثاره. وها هما ذان يتمان طوافهما بين آثار اليونان، وقد انتهت بهما الرحلة إلى جزيرة (رودس) حيث مضى عليهما قرابة الأسبوع ..

كان التقدير المبدئي أن لا تزيد إقامتهما في رودس عن اليومين، ولكن رغبة روجيه في تمديدها، واهتمام والده بتحقيق رغبته فرضاً على الوالد أن يعدل تخطيطه السابق ليتيح لولده أن يستكمل مشاهداته في الجزيرة.

المَسْجِدُ وَالْجُمُعَةُ وَالصِّيَاقَةُ :

وكان (روجيه) يقوم بجولة منفردة في بعض شوارع رودس حين وجد نفسه أمام مسجدها الوحيد .. ورأى هيكل المسجد شيئاً طريفاً تقع عليه عيناه لأول مرة خارج نطاق الرسوم السياحية^(١).. فلم يشأ أن يبارح ذلك الموقع قبل أن يطل على ما بداخله، ويشهد حالة رواده أثناء بعض العبادات ..

واتفق أن حدث ذلك ظهر يوم الجمعة إذ رأى أفواج المصلين يتجهون نحو المسجد فلم ينتبه لنفسه إلا وهو بينهم متجهاً إلى مدخله، وهناك خلع نعليه بالطريقة التي رآها من الناس، ثم جلس كما جلسوا وصمت كما صمتوا ولما نهضوا إلى الصلاة وجد نفسه يفعل فعلهم، ولكنه اكتفى بالوقوف ينظر إليهم دون أن يعلم ماذا ينبغي أن يعمل، ولما جلسوا قبل الصلاة يستمعون إلى الخطيب شاركهم في الإصغاء دون أن يفهم حرفاً مما يسمع!!

(١) وكان المسجد ذا قبة بيضاء مستديرة، ومنارة قائمة في الهواء فعرف روجيه ان هذا المكان للعبادة.

وانتظر روجيه حتى غادر معظم المصلين المسجد .. فتقدم صوب المحراب حيث كان الإمام الخطيب لا يزال مشغولاً بالدعاء، فما أن أحس هذا باقترابه حتى أنهى دعاءه ونهض ليصافحه! وكان من حسن حظ روجيه أن الرجل يحسن الفرنسية إلى حد كان كافياً للتفاهم معه، فدارت بينهما المحاوراة القصيرة التالية:

- أنا بلجيكي من أنفرس .. أقوم بسياحة مع والدي .. وقد استهوانى منظر هذا المعبد الشرقى فدخلته وشهدت صلاة الناس فيه ..

- ألف مرحبٍ هل سرك ما رأيت؟

- بل استهوانى.

- وبماذا؟

- بهذه البساطة وذلك الخشوع الذى رأيتَه يغمر الناس. وراح روجيه يحيل عينيه فى جدران المسجد ثم تابع:

- إن خلو هذه الجدران من الرسوم مما يساعد على الاستغراق فى أعماق الخشوع، لأنها لا تجذب حولها ما يصرفها عن الله .. ولقد رأيتك تتحدث إلى الناس فى هيئتك العادية دون مساعدة من المغنين، ودون استعانة بالبخور فتتجاوب معك نفوسهم حتى لتسيل دموع الكثيرين منهم دون تصنع، وهذا ما لا يكاد المصلون الآخرون يحسونه فى معابدهم التى أحالتها أيدي الفنانين إلى متاحف تشغل الناظر عن نفسه وما جاء من أجله، ثم أصارتها حركات الكهنة وجوقات المغنين شبه مسارح لا يكاد المشاهد يفرق بينها وبين أية قاعة للتمثيل!!..

- ذلك هو امتياز الإسلام .. لأنه الدين الذى أنزله خالق العباد لإسعاد عباده، فطبيعى أن لا يكون بينه وبين الفطرة البشرية أى تباين.

- يؤسفنى أن لا أعرف شيئاً ذا بال عن هذا الدين .. الإسلام!!

- أكثر ما يعرف هذا الدين .. الإسلام هو من خلال سلوك المسلمين .. وهذا ما يتعذر على الأوروبي أن يدركه. وهو الذى لا يعرف هذا الدين إلا من خلال أكاذيب .. أعدائه ..

- حقاً إن هناك أشياء سيئة قرأتها عنه في بعض كتب (لامانس) القس اليسوعى البلجيكي، وكم أود لو يتاح لي قضاء بعض الوقت في وسط إسلامي صحيح، لأتبين الحقيقة التي لا تتيسر معرفتها إلا من خلاله.

- كم يسرنا أن نستقبلك ضيفاً كريماً بيننا .. لعلك بذلك تقف على بعض ما تشاء من هذا الأمر، مع العلم بأننا لا نعتبر أنفسنا أهلاً لتمثيل فضائل الإسلام على الوجه الذي يقتضيه.

وهنا صحب روجيه إمام المسجد إلى والده الذي كان ينتظر في حديقة الفندق، وهناك قرّ الرأي على أن يكون الابن في ضيافة الشيخ أياماً ثلاثة، وبهذا قدر لروجيه أن يعيش أحب أيام حياته، في أوساط تلك الجالية التي تعرف من سلوكها وأخلاقها ومعاملاتها الكثير من حقائق الإسلام.

- ٢ -

الذِّكْرَى الثَّابِتَةُ:

لا يتذكر روجيه أنه عاد من رحلة ما خلال عشر سنوات مضت بمثل الشعور الذي يخالجه هذه الأيام التي أعقبت عودته من بلاد اليونان. كان فيما مضى إذا رجع من رحلة أعاد النظر في مذكراته يرتبها وينقح عباراتها ويتحقق من صحتها ثم يطويها فلا يعود إليها، إلا في الأحيان المتباعدة عندما يريد التحدث عن مشاهداته لأحد، أو عندما يقع في مسمعه خبر عن هذه الأماكن التي ألمّ بها أثناء هذه الرحلات، وكلما أوغل الزمن في الكر على هذه الأحداث أسرع النسيان بدوره إلى آثارها في ذهنه، حتى تصبح أخيراً أشتاتاً من الذكريات لا تستيقظ في نفسه إلا تحت ضغط المناسبات المشابهة.

على أن رحلته الأخيرة كانت شيئاً جديداً في وجوده، أشبه بالبذرة الحية صادفت الجو المخصب فإذا هي تروبو وتنمو، ثم تمدّ ساقها وتطلق أوراقها ولا تزال تنتشر هنا وهناك حتى تسمى دوحة ذات كيان وظل وجمال .. ولقد ضمرت في ذهنه آثار (الكروبول) وعبر (بومبي) وقماثيل الآلهة المزعومة وروائع الطبيعة في البندقية وصقلية حتى كادت تغيب أو تمحى .. ولكن شيئاً واحداً من بقايا هذه الرحلة ظل على بساطته ثابتاً لا تزيده الإصباح والإمساء إلا تعميقاً وامتداداً.

ذلك هو مشهد المسجد بقبته المستديرة البيضاء وبمنارته القائمة فى الهواء تشد أعين الناس لتذكركهم بما تحتها من خشوع لله لا يشويه شاغل من زخارف الدنيا .. ثم ذلك الإنسان العجيب الذى ترك حديثه واطمئنانه وسمو روحه فى أعماق (روحيه) فلا يمكن زواله على مر الأيام وتتابع الأحداث.

إنه ليتذكر هيكله الفارع ونظرته الرحيمة وعمامته الناصعة البياض كقلبه النقى، فتتفاعل نفسه بالمعاني التى لا يسعه تحديدها، ولم يكن له بمثلها عهد من قبل .. وتستتبع ذكريات الشيخ صور الأسر التى عاش فى ظلها تلك الأيام الثلاثة، ينتقل من ضيافة كريمة إلى أخرى مثلها وكأنه يعيش فى جنة من غير هذا العالم لا تقع منها العين على سوء، ولا يمس السمع ما يجرح أو يخجل، وإنما هى جلوات سعيدة يغمرها روح الإيمان الذى يستولى على قلوب أفرادها، فيصفيهم من الخطيئة حتى فى الضمير فإذا هم آية فى نقاء الخاطر وسلامة الفطرة وطهارة اليد، لا يأتون أمراً ولا يذرون شيئاً إلا على ضوء من روح إيمانهم، الذى نظم علاقتهم بما حولهم على أساس من تعاليم الوحي، فما من شىء إلا وله فى تعاليمهم هذه حكم الحلال أو الحرام أو الإباحة أو الكراهة، وقد بات انسجامهم مع هذه النظم شيئاً طبيعياً كالملكة الأصيلة، لا سبيل إلى عصيانها، بل إنهم ليجدون أقل انحراف عن سبيلها باعثاً لأكبر الشقاء.

وشىء آخر لا يقل فى الروعة عن كل أولئك: هو ذلك التفتح الروحي الذى يمدهم بالحل المرضى لكل معضلاتهم، فهم يقبلون على أعمال الدنيا بأحفل طاقات النشاط البشرى، وأتم ما يملكون من وسائل الإتقان، فإذا ما انتهوا إلى ثمرات جهودهم تناولوها شاكرين راضين لا يحسد فقير منهم غنياً ولا قروى مدنياً، بل يعتبرون ذلك غاية ما قدر لهم ربه فى عالم الغيب، ومع ذلك فليس ثمة موسر يرضن بالمعونة عن معسر بل إنهم ليعتبرون ثرواتهم الخاصة حقاً للجميع ينال منها كل محتاج ما يعوزه عند الحاجة .. ويكاد لا يوجد بينهم فرد لا يحفظ حكمة نبيه العربى: (ليس منا من بات شبعان وجاره جائع إلى جواره وهو يعلم به) ومن هنا كان مجتمعهم لوثناً جديداً لا مثيل له بين المجتمعات التى يعرفها روجيه، أو يقرأ عنها، فلا حقد ولا بغضاء ولا تحاسد بل أخوة سعيدة تنتظم الكل فى تفاهم عجيب يجعل الجميع كالجسد الواحد لكل فرد منه منزلة العضو الحى، ولا شك أن مثل هذه الجماعة أغنى الناس عن هاتيك النظريات

الفلسفية والاقتصادية التي تخض أوروبا بأجمعها، فتفكك الجماعات وتزلزل الأفراد وتثير حرب الطبقات حتى لتجعل الحياة كلها أشبه بالكرة فى كف عفريت. لا يستريح فيها الفرد إلى واقعة ولا يطمئن إلى مستقبله.

لا بل إن روجيه ليتذكر ما أحسه من سعة الشقة بين واقع تلك الجماعة وواقع الطوائف الأخرى مما يجاورها فى رودس نفسها. إذ ما يكاد المرء يخرج من نطاقها إلى غمار أولئك حتى يخيل إليه أنه انتقل من عالم إلى عالم، من عالم كل شىء فيه متجه إلى الله، مرتبط بتعاليمه، إلى عالم لا يكاد يذكر الله إلا فى أوقات العبادة المعينة، حتى إذا تفلت من طقوسها انطلق إلى أشكال أخرى من العبادات .. مركزها المال والجسد وألوان الشهوات.

ولقد بات قلب روجيه مرتعاً خصباً لموحيات تلك البيئة، فهو اليوم يعيش الكثير من احساساتها، وكأنه قد زود من هناك بطاقة من نوع غريب فيها يطل على الحياة فيرى منها ما لم يكن يرى، ويسمع منها ما لم يكن يسمع إنه اليوم ليقف أمام الزهرة من حديقة فيتفاعل صدره بألوان المشاعر، وينظر إلى أشعة الشمس تنسكب على الأفق وتشحن الوجود بعوامل النشاط، فإذا قشعريرة لاذة تنساب فى كيانه، فيخطفه ذلك إلى ما فوق التراب، حتى ليخيل إليه أنه يسمع من خلاله صوتاً علوياً أو يشاهد فى اليقظة الجلال الإلهى يتبدى على كل المخلوقات.

أجل .. إنها لعين ثالثة لا يعرف مكانها من كيانه، ولكنه يحس فعلها فى أعصابه وخياله .. هى التى جعلته قادراً على تذوق الحياة، وتلقى إشارتها الخفية على هذا الوجه الذى لا يحسن له تحديداً ولا تفسيراً ..

نور الله :

لقد أصبح على أتم اليقين أن الكون بما فيه من الناس شىء تافه يبعث السأم ويهيج الغثيان حين ينفصل عن نور الله، ولكنه بهذا النور وحده يتحول إلى أنشودة ساحرة تنشئ الغبطة وتنبت السعادة وتفجر الإلهام وتنشر فى أعماق البشر روح الأخوة والمحبة والسلام .. وإنه لإدراك لا عهد له بمثله قبل أيام رودس، بل قبل الساعة التى جمعه القدر فيها بشيخ رودس !!

ولكم يؤسف روجيه أن لا يجد فى يده أى كتاب عن الإسلام، يفصل له المزيد عن حقائقه وجيبه على الكثير من أسئلته! لقد كانت أيامه فى رودس محدودة لا تتسع لكل ما يجب معرفته، إذ كل ما حصل عليه من هناك هو كلمات ذلك الإمام التى لا تزال تعمل عملها فى قلبه .. وتلك المشاهد السلوكية التى تبينها فى حياة قومه فعلته الكثير من فضائل ذلك الدين .. لقد أيقظت هذه المؤثرات فى كيان روجيه عطش التطلع إلى الحق .. فلم يعد قادراً على الاكتفاء بما انتهى إليه، بل قد استحالت مبادئ المعرفة هذه عوامل دفع تحته أبداً للمزيد من الاستكشاف.

إن شيخ رودس قد وصله بأسس الإيمان، القائمة على الإقرار بوجود الله واحداً لا شريك له ولا ولد، وبالكتب التى أنزلها على أنبيائه، وبالنشور لأداء الحساب على الأعمال، فلا يضيع سعى مهما يصغر ولا تُغفل ظلامه مهما تستر، ثم بسلطان الله على الكائنات جميعاً بحيث لا يقع فى الكون كله شيء إلا وفق قوانينه التى هى صورة العدل المطلق.

وإنه ليستشعر الاطمئنان الكامل إلى هذه الأسس لأن عقله لا يتصور الإنكار لخالق العالم إلا إذا أمكن للعقل أن يتصور إنكار نفسه وما يحس به من حوله .. وهو لم يقتنع قط بأن هذا الخالق يمكن أن يكون له ند أو ولد ما دام بحقيقته مخالفاً لأجناس الحوادث .. وأما الإيمان بالكتب والنبیین فإنما هو إيمان بوحدة الدين ووحدة الإنسانية ثم ليس فى العقل حقيقة أكبر من النشور والحساب بعد الوجدانية لأنهما السبيل الوحيد إلى ضبط النفوس ضمن حدود الفضيلة العليا، ومن ثم إلى تحقيق العدل المطلق الذى كثيراً ما تنصرف النفوس البشرية عن جادته تحت وطأة الأهواء والمنافع الزائلة، وأخيراً أى جدوى من الدين كله لو رفعت سلطة الله عن مخلوقاته! أو ترك هذا الكون فوضى لا تضبطه سنة ولا قانون! ..

بِحَوَالِدِ الْإِلَهِيَّةِ وَالطَّرِيقِ الصَّحِيحِ :

غير أن هذا كله، على جلال قدره، لا يروى ظمأ روجيه، فهو يريد أن يعلم بتفصيل تام وأمر الله ونواهيه، لأنه مستيقن أن الإنسان أعجز من أن يعرف طريق الحق الخالص، إذا لم يهتد إلى التعاليم الإلهية التى تحدده له معالمه .. ولاسيما بعد التعقيد الكثيف الذى طمس به الإنسان دروب الحياة، وكاد يحجب مسالكها عن العقل المجرد.

و ذات يوم قرأ (روجيه) نبأ حرك فضوله .. نبأ يتحدث عن نشاط مسلم هندي يدعى بشير، يقيم في لاهاي، وقد جعل من داره مركزاً ثقافياً جامعاً يرتاده أساتذة الجامعات وطلاب المعرفة .. وتدعوه بعض جامعات هولندا من حين لآخر للمحاضرة في قضايا الإسلام والتعريف بفضائله.

لقد قرأ هذا في صحيفة بلجيكية معروفة بالتعصب، فهي إذن لم تنشر ذلك الخبر خدمة للعلم، أو تقديراً لعمل هذا الهندي، وإنما تريد بذلك رفعه إلى من يهتمهم الأمر من دعاة التبشير ورجال الاستشراق ليأخذوا حذرهم بإزاء هذه المبادرة غير المأمونة ..!

وساورته الرغبة في زيارة ذلك الهندي، وكانت رغبة قوية لم يستطع مقاومتها فلم يتردد إلا ريشما آذن أباه بالأمر، ثم قاد سيارته (البويك) عبر الحدود ..

ولم يجد روجيه صعوبة في العثور على الرجل إذ ألقى بين عملاء أبيه في لاهاي من يعرفه ويشهد مجالسه، فأخذ هذا بيده إليه، وفي منزل الرجل شاهد روجيه كل مظاهر العلم والثقافة العالية، وحسب الزائر أن يلقي نظرة عابرة على تلك الكتب المذهبة، المألثة جدران قاعة الاستقبال، حتى يدرك أنه تلقاء رجل غير عادي. على أنه لم يلبث هناك إلا قليلاً حتى صدمته الخيبة، فعاد إلى أنفرس في اليوم نفسه، وفي صدره شعور مروع بمرارة الإخفاق.

أين الروح...؟

لقد عبر الحدود إلى لاهاي وفي نفسه لهفة إلى روح كريم، يتعهد مشاعره المتوهجة بمدد من الخير الذي قبس أضواءه لأول مرة في رودس، ولكن سرعان ما فقد ذلك الحلم لأنه وجد في لاهاي العلم، ولم يجد الروح! وجد رجلاً يملك زمام البلاغة فيرد على كل سؤال ويجول في كل ميدان، ولكنه يعجز عن ملامسة القلوب الظمأى إلى الاطمئنان والحب!! ويغلب على ظن روجيه أن موضع النقص في الرجل إنما يتجلى في غروره بوجه خاص، فهو شديد الثقة بنفسه، قوى الاعتزاز بمعرفته لمذاهب الفلاسفة وأصحاب النحل، يتحدث إلى زائريه في كبرياء الكهنة لا في تواضع الريانيين .. وكان هذا وحده كافياً ليملاً نفس روجيه بالنفرة من هذا الإنسان الذي في وسعه أن يعثر على أمثاله في كل

مكان من هذا العالم المترع إلى حلقه بأساطين المنطق المادى، ممن لا يستطيعون مجتمعين أن يمنحوه لحظة من الإشراق الروحى الذى هو بحاجة ماسة إلى المزيد منه!

مَوْعِدَمَعِ الْأَوْدَارِ الْجَلِيلَةِ :

كان روجيه غارقاً فى غمرة هذه التصورات، وهو يقود سيارته فى شوارع أنفوس باتجاه متجر أبيه عندما لمحت عينه ذلك البناء الشرقى الضخم الذى يحمل اسم (مطعم قرطاجنة) وفى انسياق عفوى وجد نفسه يميل إلى ساحة المطعم ليوقف سيارته، ثم يعرج إلى داخله ليأخذ كأساً من الشاي المبرد. وعندما هم بمغادرة المطعم خالجه فكرة فاقترب من صاحبه التونسى ليجرى معه، بعد تردد خجول هذا الحوار:

- أنت مسلم؟! ..
- طبعاً .. والحمد لله.
- ألا تعرف مركزاً أو جماعة يعملون لعرض الإسلام فى هذه البلاد؟
- وأطرق التونسى ملياً قبل أن يجيب على سؤال روجيه هذا .. ثم قال:
- وهل لى أن أعلم الباعث لسؤالك؟
- إنها رغبة خالصة فى تعرف هذا الدين.
- هل قرأت عنه شيئاً؟
- قليلاً .. ولكنى اتصلت ببعض أتباعه من سكان رودس، فاستهوانى ما رأيت لديهم من فضائله ..
- إذن فسأرشدك إلى شابين من الشام يدرسان فى جامعة بروكسل وإنى لأرجو أن تجد لديهما ما ينقصك معرفته عن الإسلام .

وأخذ التونسى يحدد لروجيه الشارع والمنزل والاتجاه .. وذكر له رقم الهاتف الذى يوصله بمسكن الشابين وأشار عليه بكتابه. ولكن القبطة أعجلت روجيه عن كتابة أى شىء ومضى إلى سيارته وهو يردد اسم الشارع، ورقم الهاتف واسم الشاب الشامى الذى لقته إياه. واستمر على ذلك حتى دخل بروكسل غير أنه ما كاد يغيب فى زحامها

حتى فقدت ذاكرته كل علامة ورقم واسم، وراح يدور كاللؤلؤ في دائرة مغلقة، على غير هدى أو تعيين! وكان مستحيلًا أن يستعين بأحد لمعرفة ما يريد، ما دام هو نفسه لا يملك أى إشارة تساعد على تعيين ما يريد..!

وبعد تجوال طويل أوقف سيارته فى زاوية أحد المفارق من شارع (١٠ فيلان ١٩) وفى نيته أن يتصل بهاتف المطعم، ليستعيد من صاحبه التونسي صورة المكان ورقم الهاتف .. وبينما هو متجه ناحية المكتبة المجاورة لاستعمال هاتفها إذا هو بفتى يغادرها وفى سمرة الجذابة هويته العربية فجمد قليلاً يتبين ملامحه كأنه يستعيد بعض الصفات التى سمعها من صاحب المطعم، ورأى الفتى يبتسم له ثم يحييه، فلم يتمالك أن دنا منه ثم صافحه كأنه صديق قديم. وقال فى أدب بالغ:

- إننى افتش عن فتيين من الشام يدرسان فى جامعة بروكسل .. وكنت أردد قبل قليل اسم أحدهما، غير أننى نسيت فى زحام الشوارع ونسيت معه صورة المسكن الذى ينزلانه..!

فابتسم الفتى مجددًا وقال:

- وأنا شامى. فلعلى أستطيع مساعدتك على الاجتماع بمن تقصد .. ألا تذكر بعض حروف الاسم الذى أضعته ..؟

- بلى إنه أ .. أ .. الحرف الذى ليس فى لغة الأوروبيين.

- لعله حرف العين .. عدنان مثلاً.

وصاح روجيه بمثل فرحة الإنسان الذى استرد مفقوداً عزيزاً.

- (أدنان)! هو نفسه.

- وأنا أيضاً اسمى عدنان.

ومرة أخرى يحدق روجيه فى وجه الفتى .. وفى نشوة أسره جعل يهز يده بكلتا راحتيه وهو يقول:

- يجب أن تكونه .. إنك هو حتماً!

وضحك عدنان مشاركة للفتى وقال:

- أرجو أن أكونه .. فلنمض إذن إلى المسكن إنه قريب .. فى هذه البناية المقابلة.

- ٤ -

لم يراود روجيه أى شعور بالغربة وهو يلج مع عدنان مدخل الدور العلوى .. بل لقد صعد الدرج الحجرى الأنيق يده فى يده كأن بينهما ودًا قديمًا، يسقط معه كل تكليف ولما صارا إلى قاعة الاستقبال راح يصافح الحضور بالروح نفسها التى دخل بها المنزل.

وقدم عدنان إليه كلاً من هؤلاء باسمه وجنسيته: هذا أخى محمد يستعد لإجازة الدكتوراه فى الكيمياء والصيدلة، وهذا السيد .. عامل من لاجئى الألبان الهاربين بدينهم من الشيوعية، وهذه هدى أخت لنا فى الله فرنسية الأصل بلجيكية المولد، قد شرح الله صدرها للإسلام، وهذه الأخت فاطمة ابنة سفير السنغال .. وهذه أخت لنا أخرى أندونيسية واسمها فاطمة أيضاً.

الْبَحْثُ عَنِ الْحَقِّ:

وأخذ روجيه محله فى المقعد الذى أخلى له فى صدر القاعة وهنا قدم نفسه للجميع بهذه الكلمات البسيطة! روجيه ابن .. تاجر الأدوات الكهربائية فى شارع .. من انفرس .. أساعد والدى فى تجارته، ولكن مشغلتى الكبرى فى هذه الأيام البحث عن الحق.

وجواباً على بعض الاستيضاحات قص روجيه على الجماعة حكايته فى إيجاز بليغ ثم قال:

- إنى فى التاسعة عشر من سنى الزمنى، ولكن حياتى الروحية والعقلية لم تبدأ إلا منذ ربيع العام الفائت أيام كنت فى رودس .. تلك الرحلة التى قدحت فى صدرى جذوة القلق. فأصبحت تائر الشوق مرهف الشعور إلى حد لا أجد معه قراراً.

ولم ينس أن يحدثهم عن سفره إلى لاهى، والخيبة التى منى بها هناك حتى هداه القدر إلى سؤال التونسى صاحب مطعم قرطاجنة وختم ذلك بقوله: لقد بت على يقين أن يبدأ خفية تقود خطاى إلى مواطن الخير الذى أنا بحاجة إليه .. ولعل عشورى بعد بأس بمقرم هذا من طلائع التوفيق إلى هذا الخير.

وتصاعدت أصوات الحضور فى انسجام حنون: إن شاء الله! .. كان كل ما فى القاعة مساعداً على التركيز حول الهدف الروحي الأعلى .. الكتب المرصوفة على النضد النصفى، والمصحف فى غلافه الحريري الشرقى ذى الوشى المذهب معلقاً فى صدر القاعة .. وجواره تلك القطعة الفنية الأنيقة مرسوماً على جانب منها بخط عربى ساحر آية من القرآن، وعلى جانب آخر ترجمتها بالفرنسية التى تعنى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

مجتمع عجيب وقدوة حسنة :

وليست مظاهر الحضور دون ذلك كله إحياء .. ولا سيما أولئك النسوة الثلاث اللواتى أضفين على المجلس فضلاً من المعانى السامية ضاعف من روعته .. ولقد وجد روجيه نفسه مدفوعاً إلى التفكير بهؤلاء النسوة وما يوحيه منظرهن .. أكثر من أى شىء يتعلق بأولئك الحضور من الرجال.

إن أول ما لفت نظره منهن تلك الوجوه الملائكية التى خلت من كل أثر للصنعة فبدت نسيج وحدها فى بلاد تحرم حضارتها على وجه الأنثى أن يواجه الناس بصورته الطبيعية .. ثم أرديتهن السابغة التى تشبه إلى حد بعيد أردية الرواهب الكاثوليكيات .. لا تكشف منهن أى جزء خارج حدود الوجه والكفين. وهى ظاهرة قد تكون مألوفة بالنسبة للأندونيسية والسنغالية بوجه خاص، ربما حملتاه من تقاليد أوطانهما، ولكنها شىء لا يصدق بالنسبة إلى تلك الفرنسية التى سلخت الأربعين من السنين فى مجتمع يعتبر التبرج، بل التعرى، أول معالم الأنوثة الراقية!!!^(١)

وطبيعى أن يعجب روجيه لهذه المظاهر الغربية فى محيطه، ولكن عجبته لم يكن ليحجب عن وعيه موطن العبرة .. فقد تحقق لديه حتى الآن أن الإسلام نظام كامل متميز، لا يأتلف مع التلفيق والترقيع، يصفى النفس من كل انحراف عن الله، ويؤلف

(١) اعلم يا أخى أن الإسلام منذ ظهوره جعل صيانة المرأة عن الرذيلة من فضائله القيمة فلذلك فرض عليها الحجاب وليست النصرانية ولا الرهبانية وإنما الحجاب من تعاليم الإسلام وليس الحجاب تقاليد مجتمع وإنما هو النص القاطع الذى نزل من السماء بارتداء الحجاب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأُزْجِرْكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ آدَبٌ أَنْ يَعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذَنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٩].

بينها وبين تعاليمه، حتى يصبحاً معاً وحدة لا سبيل إلى تجزئتها. وبذلك يكون اعتناق الإسلام نقطة البدء في هجرة تامة من عالم إلى عالم .. من عالم الظلام التي تمحى فيه معالم الحقائق، وينتهى السالك فيه إلى الضياع، إلى عالم النور الذي وضع فيه كل شيء وفق قوانين الفطرة، فكل سالك في ضوئه موقن أنه على بينة من ربه .. وليس هذا التستر الذي يشهده الساعة في ثياب هذه الفرنسية إلا تأكيداً لهذه الحقيقة، حقيقة الهجرة إلى فضائل الإسلام، وهي بذلك تقرر لكل ناظر فلسفة هذا الدين، من حيث نظره إلى المرأة ككيان إنسانى كامل، عليها من المسؤولية نحو المجتمع مثل الذى على أخيها الرجل، وذلك على النقيض من هذه الحضارة الأوروبية التي زيفت طبيعة الإنسان، حتى جعلت من المرأة أداة للتسلية الفاجرة فشغلت الرجل عن مواهبها وفضائلها بما عرضته لعينه من جسدها ومفاتها.

وشيء آخر لا يقل عن ذلك أثراً في قلب روجيه .. أن الانسجام الذى يطالعه بين هذه الأجناس التي يتألف منها مجتمع القاعة .. أن هنا الأسود والأبيض والأصفر، في وحدة أخوية لا يشوبها شيء مما يجيش به مجتمع البيض خارج هذا المكان .. وهي صورة طالما غُذِيَ بالنفور منها، بعد أن اقتنع بنظرية (مونتسكيو) التي تؤكد أن الله قد حمل الجنس الأبيض رسالته إلى الأرض، فهو وحده الجنس السيد، أما الآخرون فلا يجاوزون منزلة الحيوانات والحشرات، كل مهمتهم خدمة البيض وتوفير الوسائل المحققة لهناهم، حتى إذا ما فاضوا عن حاجتهم كان من حق السادة أن يتخذوا الوسائل الممكنة للتقليل من وجودهم إلى الحد الضرورى .. كما صنع رجال الدين النصرانى فى هنود أمريكا، إذ قتلوا الكثير منهم بوساطة الحصبة التي قدموا إليهم جراثيمها فى الأغذية الموبوءة.

أجل .. إنه لانسجام مدهش ومخالف لكل ما قرأه روجيه وما لقنه، ولكنه على غرابته أصبح شيئاً مقبولاً فى قلبه الذى بات فريسة للارتياح فى كل ما جاءه عن طريق هؤلاء الأوروبيين من فلاسفة أو رجال دين.

- ٥ -

وتناول الدكتور محمد الحديث فقال موجهاً الكلام إلى الضيف: «اليوم الاثنين .. وهو موعدنا الأسبوعى لقراءة بعض ما ينبغى معرفته عن الإسلام وما يفتربه خصومه من

المبشرين والمستشرقين .. وموضوعنا الآن حول النبوة فى كتاب (الوحى المحمدى) المترجم إلى الفرنسية .. ولكن لا بأس أن نؤخر هذه الحصة إذا شئت لنجعل منها فرصة لما عندك من الاستيضاحات .. فلعلنا واصلون بالتعاون إلى الخير الذى افتقدته عند ذلك (القاديانى) فى لاهى!

وشكر روجيه للمتكلم اهتمامه وإخوانه .. وأعلن أن حاجته لا تنحصر فى سؤال أو جانب ولكنها واسعة تتطلب الامام بكل ما أمكن الامام به من حقائق هذا الدين .. ولا شك أن موضوع الوحى من أوليات هذه الحقائق لأنه من الغوامض التى قلما يعيها العقل الأوروبى المحبوس فى نطاق المادة ..! ولهذا فهو يؤثر الآن المشاركة فى الاستماع إلى ذلك البحث!

ولقد كان البحث شائقاً وممتعاً، وتناول موضوع الوحى الإلهى بطريقة لا تدع مجالاً للريبة فى حقيقته، إذ تعتمد فى الدرجة الأولى على موازين الفطرة الإنسانية بكل ما فيها من قوى الفكر والحدس والتصور، حتى ليحس السامع والقارئ أنهما يتحدثان إلى نفسيهما من خلال البحث نفسه، فلا يلبثان أن يستروحا نفحات الاطمئنان. ثم يخرجنا من الحديث وقد أيقنا أن الوحى الإلهى إلى محمد (ﷺ) وإلى إخوانه من سابقى الأنبياء إنما يمثل ذروة الشرف بالنسبة إلى الجنس البشرى، لأنه المظهر الأسمى لعناية الله به ورعايته لمصالحه، واهتمامه بهدايته.

وعلى الرغم من قوة المؤلف فى عرض الموضوع لم يشأ القوم أن يتلقوه بالاستسلام، بل كانت الخطة أن يقرأ أحدهم البحث ثم يعمد الآخر إلى تقسيم فقراته وفق الفكر الرئيسية ثم يأخذوا فى مناقشتها جزءاً جزءاً. وكان الباب مفتوحاً لكل مستوضح .. فلم يحجم روجيه عن اقتحامه بما خالجه من تساؤلات لم تخل من الفائدة.

ولما آذنت حصة البحث بالإنهاء نهض الحضور ليؤدوا صلاة العصر فى جماعة، وخيرهُ الدكتور محمد بين أن يستريح قليلاً بانتظارهم أو ينتقل معهم إلى القاعة الأخرى ليشهد صلاتهم. ولكن روجيه لم يستطع إلا أن يعرب عن شوقه الحار إلى مشاركتهم فى تلك العبادة التى طالما شهدتها فى رودس، فاستهوت لبه، وأسرت قلبه ..

وهنا افتر ثغر الدكتور محمد عن ابتسامه سعيدة وقال لروجيله:

- ذلك حق لكل إنسان عندما يقتنع بحقائق هذا الدين.

فقال (روجيه) فى حماسة لم يطق كتمانها:

- إننى مقتنع .. فما السبيل إلى إعلان هذا الاقتناع؟

- الشهاداتان .. ثم تغتسل وبذلك تنهياً للدخول فى الصلاة التى لا تصلح إلا مع الطهارة.

وسرت رعشة بارزة فى جسد روجيه. ثم نظر إلى محدثه بعينين تنوهجان بروعة الحزن ومضى يقول:

- أود لو أستطيع ذلك لفورى .. فإننى أخشى أن يدركنى الأجل وأنا على هذه الحال.

وخرجت كلماته هذه فى غصة مؤثرة لم تلبث أن هزت أعصاب الحضور جميعاً فإذا هى تلهب مشاعرهم وتفجر فى أعماقهم منابع الغبطة حتى غلبت بعضهم دموعه فراح يزرفها فى صمت وخشوع.

ولم يجد الدكتور محمد فى لسانه القدرة على الكلام فى هذا الجو المشحون بالانفعال فاكتفى بأن تأبط ذراع روجيه، ومضى به نحو مغتسل المنزل وفى جهد استطاع أن يقول له وهو يمسخ جفونه:

- تستطيع أن تستحم، وسأتيك بشربين داخليين طاهرين .. ولسوف تجدنا بانتظارك للصلاة.

وفى القاعة أعلن (روجيه) إسلامه على مسمع من شهود جمعتهم أخوة الإسلام من مختلف أقطار الدنيا وأجناسها .. واختار لنفسه اسم (إسماعيل) جد رسول الله ﷺ، ثم أخذ مكانه فى الصف فى أول صلاة قام بها لله، على نحو من الخشوع لم يحلم بمثله قبل اليوم.



أمريكا:

٣٢- فرانك ستوك الطريق إلى الإسلام:

مقدمة:

لقد أخذ الفرح بمجامع نفسى واستغرقتنى البهجة والسرور حين تسلمت الرسالة التالية من شاب أمريكي كاثوليكي هداه الله للإسلام يدعى فرانك ستوك. فقد أحسست حين قرأتها بأن الجاليات والأقليات المسلمة فى الخارج التى تعيش وسط مجتمعات غير مسلمة. هذه الجاليات لها دور بالغ الخطورة والأهمية. فهى النافذة الحقيقية والترجمة العملية للدعوة إلى الإسلام إن هى استمسكت بعقيدتها ودينها، إذ أنها فى هذه الحالة تقدم للناس القدوة العملية، وتحضهم بلسان الحال والمقال على أن يكونوا مسلمين.

كما أن تلك الجاليات يمكن أن تمثل حاجزاً منفراً للناس صادراً لهم عن الإيمان والهدى إذا هى باعت دينها بدنياها، وتقمصت شخصية المجتمعات المنحرفة التى تعاشها.

هذا شاب أمريكي قدر له الاحتكاك بأفراد من الجالية المسلمة فى نيويورك وانديانا، وكان من حسن طالعه أن هياً الله له شباباً متدينين طبيين. فنشأت بينه وبينهم صداقة متينة وعاش معهم يتأمل حياتهم ويرى ما يذله من إخوة إسلامية تجمع بينهم وتشد أزرهم.

وهنا عاد بى الخيال إلى مئآت من السنين خلت، وساح فكرى فى بلاد كثيرة من العالم انتشر فيها الإسلام على يد فئة قليلة مؤمنة من التجار المسلمين الذين ذهبوا إلى تلك البلاد فاحتكوا بأهلها وكانوا قدوة عملية رائعة أمامهم.

وهنا أيضاً عرفت السبب الجوهري الذى أدى إلى تعثر انتشار دعوة الإسلام .. إن المسلمين وبألسف لا يمثلون قدوة عملية حسنة أمام الآخرين. ها هم أولاء المهاجرون

المسلمون والعرب إلى ديار الغرب والشرق من طلاب وعمال وموظفين وغيرهم، ما يكاد يصل الواحد منهم، وأعنى أغليبيتهم، إلى بلد من بلاد أوربا أو أمريكا أو غيرهما حتى يذوب كيانه فيها ويستغرب في كل جزئية من حياته! فبدلاً من أن يكون مشعل هداية ونبراس نور يهدى إلى الحق وإلى الخير الذي جاء به الإسلام، يتحول هذا المسلم المهزوز إلى عضو جديد في مجتمع الضائعين المنهمكين في الشهوات والملذات.

ولكن لا بد هنا من تحية نوجهها إلى تلك الفئة القليلة المؤمنة المهاجرة بدينها المستمسكة به. فقد دأبت أن تقدم لنا كل يوم أنموذجاً جديداً من المهتدين إلى الإسلام. تحية إلى الشباب الصامد الذي آلى على نفسه أن ينشر النور في الظلمات.

روى لى عن أحد أفراد الفئة الأولى وهم الكثرة الكاثرة للأسف أنه لشدة انغماسه في الحياة الأمريكية ما كان يحب أن يصطدم بشيء يذكره بالعرب والمسلمين. وكان هذا الفتى الغر عربياً مسلماً كما تقول شهادة ميلاده. وحدث ذات يوم أن التقى بشاب عربى مسلم آخر راسخ القدم ثابت الجنان: ذى عقيدة صادقة. فما كان من هذا الشاب المؤمن إلا أن حيا صاحبه بتحية الإسلام قائلاً: السلام عليك يا فلان؟ فما كان من هذا الفتى الغر إلا أن أشاح عنه وجهه وتجاهله. ولما كرر عليه ذلك التفت إليه وخاطبه بحدة باللغة الإنجليزية فقال:

«أما زلت تستمسك بهذه التحية هنا؟!» لماذا أتيت بها من هناك؟! وأشار بيده إلى جهة الشرق.

حين أتذكر هذا الشاب وأمثاله أعرف الجواب على التساؤل: لماذا لا يصل الإسلام إلى العالم؟ فالإسلام بحاجة إلى رجال يحملونه إلى الناس لا بالقول والبيان وحدهما بل بالعمل والقدوة الحسنة.

ونقطة أخرى سيلاحظها القارئ في قصة هذا الشاب الأمريكى فرانك ستوك. وهى نقطة لا تقل إيلاًماً عن سابقتها، وأعنى بها العقبات التى يلقاها المهتدى الجديد إلى الإسلام حين يتصل بالجامعات الإسلامية لاجئاً إليها لينهل منها علم الدين. إذ كان الجواب على اتصاله بالجامعات الإسلامية هو الاعتذار عن قبوله، فلم يجد أى تشجيع

منها. أليس جديراً بنا نحن المنتسبين إلى الإسلام أن نأخذ بيد من يأتينا مسلماً بدلاً من أن نفره ونتركه في مهب الريح؟ اللهم اهد قومي واغفر لهم فإنهم لا يعلمون^(١).

والآن إلى رسالة الأخ الأمريكي التي تشرح طريقه إلى الإسلام:

- ١ -

البَقَالَةُ وَصَاحِبَاهَا:

قبل حوالي خمس سنوات خلت تم بيع البقالة المحلية في ضاحية أوزين ببارك الجنوبية بولاية نيويورك لرجل يدعى عيسى عباسى وأخيه عمر، وهما رجلان عربيان مسلمان من فلسطين هاجرا إلى أمريكا من القدس عبر طريق عمان. وكانت أسرنا تسكن على مقربة من هذه البقالة. فسرعان ما أصبحنا على مودة مع هذين الرجلين إذ أن والدتى ليست من أصل أمريكى، فهى لذلك تقدر الصعوبات التى يواجهها الأجنبى حين يسعى إلى التكيف مع الحياة فى أمريكا.

ولقد تعودت عند عودتى كل يوم من المدرسة أن أتوقف قليلاً لأتحدث مع عيسى، وكنت حينئذ طالباً فى المدرسة العليا. وكان عيسى حريصاً على إحضار أسرته الكبيرة إلى هذه البلاد، ولما كان خطه باللغة الإنجليزية رديئاً فقد كنت أقوم بالكتابة له وملاء النماذج المطلوبة لذلك. فأتيح لى فرصة المناقشة المستفيضة معه تناولت كافة جوانب الحياة الفلسطينية والأمريكية، وكنا فى غالب الأحيان نبحث فى أمور الدين ثم فى السياسة. ولأول مرة عرفنى بالثقافة العربية. إذ كان يشرح لى العادات العربية ويذيقنى الطعام العربى الشهى.

وأول شىء نجم عن هذا الاتصال هو تشوقى الشديد لمعرفة اللغة العربية: فقد كنت حينئذ أجيد الفرنسية والنرويجية بالإضافة إلى اللغة الإنجليزية. وكانت الأصوات والكتابة العربية تخلب لُبى آنذاك.

وأخيراً جاءت أسرة عيسى إلى أمريكا. وأخذت أعلم ابنه دروساً فى الفرنسية يوم

(١) الحمد لله الصورة الآن أحسن كثيراً من ذى قبل وكثير من المسلمين انتبهوا ويقومون بمهمة عظيمة فى العمل بدينهم، ودعوة الناس إليه قولاً وعملاً، مما كان له آثار طيبة ندعو الله أن تزيد باستمرار.

السبت من كل أسبوع، وكان عيسى يعلمنى اللغة العربية فى المقابل. وكان تقدمى فى ذلك بطيئاً إذ إننى لم أكن أعرف الخط العربى، فلم أحفظ سوى عبارات ضرورية معدودة مثل «صباح الخير» و«كيف حالك» و«شكراً». وهكذا أدى إطلاعى الأول على الإسلام إلى اهتمامى باللغة العربية. ولكن هذا كله كان من شأنه أن يتغير عندما ذهبت إلى الكلية للدراسة العليا.

الكليةُ وزملائُها:

كانت الكلية التى التحقت بها للدراسة العالية هى كلية كوينز الواقعة فى منطقة فلاشينج من مدينة نيويورك وهى كلية أهلية، كان حوالى ٩٥٪ من طلابها من اليهود. فتخصصت فى اللغة الفرنسية هنا، إلا أنه تبعاً لآرائى المؤيدة للعرب ونتيجة المجتمع المغلق الذى كان يهيمن على الجالية اليهودية فى نيويورك لم يكن أصدقائى إلا من الطلاب الأجانب. وكان فى الكلية معهد خاص لتعليم اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية للطلاب الأجانب: فقابلت بعض الطلبة الليبيين الذين قدموا لتوهم إلى أمريكا، وكانوا يدرسون فى المعهد المذكور.

كان هؤلاء الطلبة الليبيون ينزلون بيتاً فسيحاً، ولما لمست فيهم الرغبة فى تعلم اللغة الإنجليزية، وأبدت لهم رغبتى فى إجادة اللغة العربية، من أجل ذلك دعونى للإقامة معهم فى منزلهم. فرحبت بذلك، وأخذت أقضى عندهم ثلاث أو أربع ليالى من كل أسبوع أبيت فيها عندهم. فكانت دهشتهم عظيمة حين وجدوا فى شاباً أمريكياً يعرف شيئاً عن الإسلام، كما يعرف شيئاً لا يستهان به عن سياسة بلادهم ولغاتهم وعاداتهم الاجتماعية. ومن هنا نشأت بيننا صداقة ومودة متينة.

الأخوةُ الإسلاميَّةُ:

لقد بدأت أتأمل حياة هؤلاء الطلبة فأدهشنى من أمرهم جانب واحد هو أنهم كانوا خمسة شبان جاءوا إلى أمريكا من خمس مدن ليبية متفرقة، لم يتعرفوا على بعضهم بعضاً ولم يرب بعضهم بعضاً إلا هنا، ولكنهم رغم ذلك كانوا يتعاملون مثل تعامل الأخوة الأشقاء. وكنت شغوفاً جداً لمعرفة الأساس الذى تنبنى عليه هذه الإخوة. وسرعان ما علمت أن ذلك الأساس هو الإسلام. فقد كان الإسلام يهيمن على كل تصرف يأتونه.

فكلما فعل أحدهم شيئاً أو همّ بعمل شيء ما رجع إلى دينه الذي كان بمثابة ميزان حساس لأعماله، فإما أن يحضهم دينهم على ذلك الشيء وإما أن ينهاهم عنه. وكانوا جميعاً على ذلك.

- ٢ -

بَاحِثٌ عَنِ الْإِسْلَامِ:

وبعد، فقد ولدت ونشأت في أسرة نصرانية كاثوليكية، وأرسلت إلى مدرسة ابتدائية ثم مدرسة عليا كاثوليكية. ولقد فهمت مذاهب النصرانية فهماً جيداً وكنت كاثوليكية متعصباً ... ولكن ها هم أولاء المسلمون يتعاملون بروح من الحب الحقيقي، وبمزيد من الإحسان والروح النصرانية الحقّة تجاه بعضهم بعضاً رغم أنهم ليسوا من النصارى، ولكنهم يفوقون كل نصراني رأيت في حياتي. فلئن كان دينهم هو أساس هذا كله فإني قررت البحث في دينهم باستقصاء. ها هم يقدمونني إلى طلاب مسلمين آخرين من ليبيا كان مجموعهم أربعة وعشرين طالباً. فكان منهم ستة طلاب يحافظون على صلواتهم اليومية ... فأخذت أراقب هؤلاء الستة وأتأمل تصرفاتهم .. فوجدتهم يقيمون الصلاة خمس مرات كل يوم دون انقطاع .. فتملكني شعور بأن هؤلاء لابد مؤمنون حقاً بهذا الدين، وأنه لابد من وجود شيء ما في دينهم يلهمهم ويدفعهم إلى الصلوات الخمس اليومية.

لقد بدأت أقرأ كل كتاب أجده في متناول يدي عن الإسلام .. وشيئاً فشيئاً أخذت تتكون لدى فكرة عن حقيقة الإسلام من الناحية النظرية والعلمية. وفي تلك الآونة كان اهتمامي بالإسلام عظيماً، ولكنه كان اهتماماً أكاديمياً - علمياً - صرفاً. ثم تبدل ذلك برمته حين رحل أربعة من الطلبة الليبيين من مسكنهم، وجاء خامسهم ليعيش مع أسرنا لمدة شهرين كاملين.

لقد كان ذلك الشاب الليبي متديناً، ولقد شاركني غرفة نوم واحدة، وكنا نقضي الساعات الطوال نناقش ونبحث موضوع الإسلام وكنا نقارن بينه وبين الديانة الكاثوليكية .. فبحثت معه كل ركن في العقيدة الكاثوليكية وكان يقدم لي التصور الإسلامي المقابل. وكنت أوجه إليه العديد من الأسئلة التي كنت استقيها من قراءاتي.

وهكذا انقضت مدة الشهرين، رحل بعدهما الشاب الليبي المسلم من بيتنا ... وبعد شهر واحد من مغادرته .. كنت ذات مساءً جالساً أفكر بهدوء في الدين الإسلامي.
نداء ضميرى:

وإذا بخاطرة مفاجئة وفكرة غريبة ترد في ذاكرتى .. لقد شعرت فجأة أنني أو من بالإسلام وعقيدته .. وسمعت صوت ضميرى يخاطبنى ويقول لى:
(إذا بقيت نصرانياً فستكون منافقاً لأنك تو من بالإسلام .. لا بد أن تكون مسلماً).

لقد حاولت التهرب من هذا الشعور المخيف المرعب بالنسبة لى آنئذٍ .. فلم تكن لدى أية فكرة البتة حول كيفية اعتناق الإسلام، رغم أنني كنت أعرف أنني لا بد فاعل ذلك لا محالة.

وهنا تذكرت البيت القديم الذى كنت أشارك فيه الطلاب الليبيين فى سكنهم فعدت إليه لأتلمس بعض الذكريات من الواقع .. لقد تغير البيت ونزل فيه بعض الطلاب الإيرانيين الذين كنت أعرف واحداً منهم معرفة طفيفة وهنا أحسست بالرغبة الشديدة فى زيارتهم. فلما لقيتهم وتعرفت عليهم وجدتهم أيضاً متدينين مسلمين رغم اختلاف لغتهم وثقافتهم عن أصدقائى الليبيين الذين كانوا نزلاء البيت نفسه.

لقد جلست مع الشاب الذى كنت أعرفه من قبل منهم، وحدثته عن تجربتى وقلت له: إننى أريد أن أكون مسلماً. وطلبت إليه مساعدتى فى تحقيق تلك الرغبة، والدخول فى دين الله الذى آمنت به.

أَسَلَّمْتُ لِلرَّبِّ العَالَمِينَ:

وهنا سر الفتى الإيرانى المسلم، وقلت له:

ولكن أرجو أن تجيب على بعض الأسئلة المتعلقة بالإسلام قبل الشروع فى اعتناقه. فرحب بذلك وأخذت أسرد عليه أسئلتى واحداً بعد الآخر، وهو يجيب عليها ويبدد الشبهات التى كانت ما تزال عالقة فى ذهنى عن الإسلام. ثم جاءت الخطوة التالية...

فقد أخذ يعلمنى كيفية الصلاة، فلم أستطع بادئ ذي بدء أن أحفظ الكلمات التى يجب أن تقال .. فأخذ يصلى أمامى ويطلب منى أن أقلد أفعاله وأن أردد كلماته بقدر ما أستطيع .. وقد استغرق ذلك جهداً ووقتاً طويلاً حفظت بعده كل ما يجب أن يقال أو يؤدي لإقامة الصلاة ..

وجاءت الخطوة التالية .. فقد كتبت إلى المركز الإسلامى فى مدينة نيويورك، وإلى مديره الدكتور محمد عبد الرؤوف .. فشرحت له رغبتى فى اعتناق الإسلام، فما كان منه إلا أن اتصل بى هاتفياً ورتب لى لقاءً به .. كان ذلك فى السادس عشر من شهر أغسطس عام ١٩٦٧م. ولما تم اللقاء المنشود فى وقته المحدد أخذ الدكتور محمد عبد الرؤوف، مدير المركز الإسلامى فى نيويورك يسألنى عن الإسلام. ولما اقتنع بصحة فهمى له وصدق عزمى على اعتناقه أعلن رسمياً دخولى فى الدين الإسلامى الخفيف فى ١٦/٨/١٩٦٧م فالحمد لله على ذلك.

-٣-

حَمَلَةٌ شَعَوَاءٌ وَدَعْوَةٌ هَادِيَةٌ :

لم يصدق والداى فى بادئ الأمر أننى قد غيرت دينى حتماً، ولكنهم عندما أيقنوا بصحة ذلك استبد بهم الغضب وذهب بهم كل مذهب. فقد كان يعوزهم التسامح والفهم الصحيح للإسلام، ومن ثمة حاولوا منعى من الصلاة بأقسى الطرق، وأخذوا يعملون على إحباط عزمى على أن أظل مسلماً. وأخيراً، وبعد أن يشا من تحولى عن دينى الجديد، طردنى أبى من البيت. فخرجت هائماً على وجهى، لا أدرى ماذا أصنع وإلى أى مكان أتجه؟! ثم هدانى الله إلى فكرة جيدة، وهى أن أحاول تفهيم والدى حقيقة الإسلام الذى آمننت به.

عدت أدراجى إلى البيت وأخذت أحدث والدى عن فضائل الإسلام، ولقد وفقنى الله فى ذلك كثيراً. إذ ما أن شعر والداى بحقيقة ما كنت أريد ولمسوا حاجتى الماسة إلى هذا الدين الذى جعلنى رجلاً أفضل كثيراً فى نظرهم مما كنت فى السابق. هنا .. وفى تلك اللحظة انقلب غضبهما إلى رضا وتحول حقدهما إلى مودة. وأصبحت علاقتى بوالدى

أمتن وأوثق مما كانت عليه من قبل، بل إن جبههم لى قد غدا أكبر من أى وقت مضى ... فالحمد لله على ذلك أيضاً.

اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ ضَرُورَةٌ لِلْإِسْلَامِ:

ولما ازداد مع الأيام فهمى واستيعابى للإسلام قررت أن أكرس جل حياتى لهذا الدين القويم، وأن أبدأ فى دراسة اللغة العربية والقرآن الكريم دراسة جادة. وتملكتنى رغبة شديدة لنيل درجة الماجستير ثم الدكتوراه فى دراسة علوم الدين الإسلامى. فعندها فقط أكون أهلاً لأن أحمل الإسلام للأمريكيين. وفى ظل هذه الرغبة، وتحت راية هذا الهدف تقدمت بطلب الدراسة فى الجامعة الإسلامية فى مدينة البيضا بليبيا، ولكننى للأسف لم أستلم أى رد منها رغم أننى كتبت إليها أربع أو خمس رسائل. كذلك اتصلت بجامعات إسلامية شتى فى المملكة العربية السعودية وفى باكستان، وكلها زعمت بأنها ملأت الشواغر الموجودة لديها.

وأخيراً كان من حسن طالعى أن حصلت على منحة دراسية فى اللغة من جامعة إنديانا لدراسة اللغة العربية خلال عام ١٩٧٠ - ٧١م وإننى سعيد غاية السعادة بهذه المنحة إذ أنها تمكنتنى من تعلم اللغة العربية .. ونحن هنا فى جامعة إنديانا لدينا جالية مسلمة كبيرة، كما لدينا دائرة إسلامية. وأنا الآن أمين سر الدائرة الإسلامية المذكورة. وكلى أمل أن أوفق فى يوم من الأيام للدراسة فى إحدى الجامعات الإسلامية، وأن أتخصص فى موضوع التأويل والتفسير اللذين يشكلان اهتماماً كبيراً لدى. فما يؤسف له أن هذا الفرع من الدراسات الإسلامية لا يدرّس فى الولايات المتحدة الأمريكية. ولم توافق أية جامعة إسلامية حتى الآن على قبولى طالباً بها، رغم أننى على ثقة من أنها لا تضم حالياً سوى عدد ضئيل من الأمريكيين المسلمين الذين يريدون دراسة برنامج فى الدراسات الإسلامية. وإننى أرحب بكل عون واقتراح يقدم إلى فى هذا الخصوص.

-٤-

الَّذِينَ الْوَاضِحُ:

وقبل أن أختتم حديثى هناك نقطة تستحق الذكر وهى أن المبادئ الإسلامية التى

استوقفت نظري واستقطبت جل اهتمامي أكثر من غيرها، كما كانت بارزة واضحة فى فكرى حين أقبلت على الإسلام ... هذه المبادئ هى:

أولاً: كثيراً ما تترك النصرانية جوانب «باهتة» غامضة فى التصور الاعتقادى يملؤها الشك والريب .. نقاط سكت عنها الدين النصرانى .. ولم أكن أدرى ماذا أفعل تجاهها؟ أما الإسلام فكل شىء فيه واضح لا لبس فيه ولا غموض .. وهو يستغرق كافة جوانب الحياة الإنسانية ويشملها فلا أحس بأدنى شك أو ارتياب، كما لا أشعر فى ظله أنى تائه أو ضال. بل أعتقد من صميم قلبى أن الإسلام منهج كامل للحياة يغير النصرانية، والحق أن الإسلام هو الدين الكامل الوحيد: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

ثانياً: إن الإسلام يستقطب العقل والمنطق، فليس فيه أية أسرار أو طلاسم لا سبيل إلى استيعابها، بل كل شىء معروض للاستفسار والسؤال عن حكمته وعلته تحريمه أو تشريعه، وكل شىء يعتبر محلاً لأعمال الفكر وإنعام النظر قبل اعتناق الإسلام. كما أن عقيدة الإسلام عن التوحيد أقرب إلى المنطق والفطرة السليمة من مبدأ التثليث عند النصارى، لأن مذهب التثليث سهل دحضه وإثبات بطلانه بقليل من التأمل وسعة الأفق.

كما أن الإسلام لا يسمح بفصل الدين عن الدنيا، وإنما يزود المرء المسلم بهداية شاملة كاملة تملأ حياته الدنيا وتعهده بالأمان والفوز بالجنة فى الدار الآخرة. وفى الختام نسأل الله أن يثبتنا على دينه الحق، وأن يرزقنا جميعاً العمل الصالح.

فرائدك ستوك

(انديانا - أمريكا)



فهرس الجزء الثاني

الموضوع	الصفحة
مقدمة للصفحات التالية	١٢٩
١٥- فاطمة هيرين	١٤٢
١٦- حسين رؤوف	١٤٨
١٧- الشيخ رحمة الله الفاروق (اللورد هيدلى سابقاً)	١٥٤
١٨- محمد أسد	١٥٧
١٩- الدكتور عبد الكريم جرمانوس	١٦١
٢٠- جوليوس ورفر	١٦٧
٢١- عبد الله آرشيبالد هاملتون	١٧٢
٢٢- وليم بيرشل بشير بيكارد	١٧٥
٢٣- آمنة ناكامورا وأختها	١٧٩
٢٤- محمد عبد الله (دونالد ركويل سابقاً)	١٨٢
٢٥- فاطمة تزفسكن	١٨٤
٢٦- بيجى رودريك	١٩٠
٢٧- محمد ضياء الرحمن الأعظمى	١٩٥
٢٨- أحمد عبد الله كويسيل	٢٠٣
٢٩- أمل الصايغ	٢٠٩
٣٠- وليد أحمد سعد	٢١٨
٣١- إسماعيل (روجه سابقاً)	٢٣٣
٣٢- فرانك ستوك	٢٤٨

السعر ٤ جنيهاً

هذا الكتاب

الإسلام دين الله إلى جميع خلقه وهو فطرة الله التي فطر الناس عليها والإنسان خلق من روح وجسد وقد طغت اليوم الماديات على الروحانيات فأصابت البشرية بأمراض اليأس والعجز واضطرابات نفسية شتى.

وقد جاء هذا الكتاب يروي قصصاً واقعية عن رجال ونساء أسلموا.. فقد ولدوا بعيداً عن ديار الإسلام بل ونشأوا في مجتمعات تتعصب ضد الإسلام وتشوّهه إلا أنهم لفظوا المادية الزائفة وصدقوا مع أنفسهم فتفجرت من صدورهم ينابيع الهداية إلى الدين الحق فأسلموا بعد إيمان ودراسة واقتناع وهذا الكتاب موجه إلى المسلمين في المقام الأول الذين وجدوا الإسلام والعربية بين أيديهم أمراً هيناً سهلاً ففرضوا فيه . فعند مطالعة قصص هؤلاء الذين أسلموا نرى كم العناء والجهد الذي بذلوه ليصلوا إلى الإسلام.

وهذه كلمات جاءت على لسان فتاة إنجليزية أسلمت : "يعيش العالم الغربي اليوم في ظلام دامس وليس هناك أي بصيص أمل في قيام الحضارة الغربية بتوفير سبيل لتخليص الروح والنفس .. والانسجام اللطيف في الإسلام بين مستلزمات الجسد ومتطلبات الروح يمكن أن يمارس تأثيراً قوياً في أيامنا هذه ويوسعه أن يبين للحضارة الغربية السبيل المؤدى للفلاح والخلاص الحقيقيين".

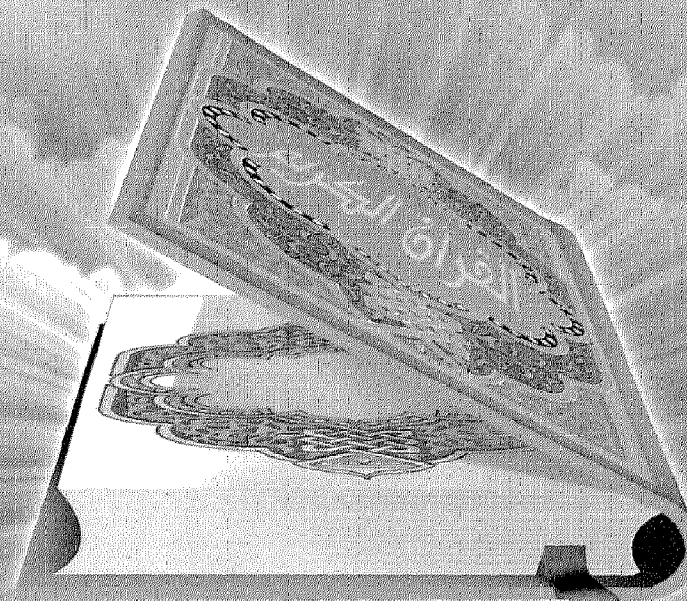
مهندس

ساجد الحمد مجدي

Bibliotheca Alexandrina



0353399

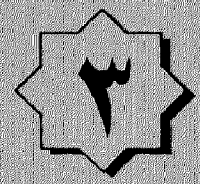


حَالُ الْوَسَاءِ اسْتَأْذَانًا

مراجعة وتعليق
الدكتور عبد الشارف فتح الله سعيد
الأستاذ بجامعة الأزهر وأم القرى سابقاً

إعداد وترجمة
الدكتور عرفات كامل عسّي

الكتبة المصرية الحديثة



رجال ونساء أسلموا ..

أكثر من مائة شخصية - على حلقات

ترقبوا ..

شخصيات الحلقة الرابعة

- | | |
|-----------------------------------|--------------------------|
| الدكتور على سليمان بنوا | بدرية (هيدى مرعى) سابقا |
| السيدة جين اليعقوبى | نجوى آدمون شوفانى |
| علياء ستيرنج | أحمد جيرمان |
| عائشة (جوان لايبير - عائلة الذرة) | عبدالله كوبيتاوا |
| أمين عبد الغنى | فيصل محمد |
| السيدة ايضا ماريا | المنصور بالله الشافعى |
| بول رتشارد هنز | الدكتور عبد الله |
| ثلاثة من زعماء الهنود يسلمون | السيدة سامية وديع |
| ح.ف. فيلويز | عبد الرحمن بن جورد |
| كولونيل نييجيرى من بيافرا | الدكتور عبد الله إبراهيم |
| السيد موسى ريوشين جورا | يوسف عبد السلام |
| مولانا عبيد الله السندي | يلال باهانيا |
| إدريس عبد السلام ميزر | عبد الله ديوك بين جيون |
| السيد خالد لطيف جابا | محمد كومياما |
| بيجى رودريك | عبد الحفيظ محمد |
| الدكتور ر.ل. ميليمبا | الدكتور أحمد سوسة |

٣٣- ك.ل.جاويا محام كبير بالمحاكم العليا

هذه انطباعات رجل هندوكى مثقف .. محام كبير .. درس الإسلام ولم يرض أن يظل على دينه الذى ورثه عن آبائه وأجداده .. كان هندوكياً فلما شب عن الطوق واكتملت لديه أسباب الدراية والفهم أخذ يقارن ويوازن بين الأديان .. إذ أحس أنه لا بد له من دين يضبط سلوكه ويكون ميزاناً لحياته .. وهنا اختار الإسلام فتمثل فيه قول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨].

صحيح أن ما يأتى ليس قصة كاملة يعرف من خلالها القارئ الكريم تفاصيل حياة صاحبها^(١)، إنما هى انطباعات مفيدة سجلها المؤلف عن رجل كبير هداه الله إلى هذا الدين. فلعل فيها درساً للذين ورثوا دينهم وهم لا يعلمون من أمره شيئاً.

المترجم

أحمد الله العظيم الذى اختارنى من بين ملايين كثيرة من الناس ووفقنى لإعلان إسلامى كى أكون مثلاً يحتذى، وعبرة للآخرين أدلهم على الصراط المستقيم الذى يهدى إلى الحق وإلى خير الدنيا والآخرة.

عندما يولد الطفل يكون على الفطرة السوية كامل الخلق. ولكنه لا يعى من أمره شيئاً. وهكذا يستوى الناس مع الجمادات فى هذه الحقبة من حياة البشر. فكل الناس أمام المولود الجديد سواء. ثم يبدأ بالتدرج يتعرف إلى والديه ويميز الأشياء ويشعر بسحر الحياة.

(١) لما توفرت المراجع للمؤلف - بعد ذلك - ذكر قصة إسلامه تفصيلاً (انظر القصة رقم ٨٧).

الطُفُولَةُ الرَّوْحِيَّةُ :

وكما للإنسان طفولة جسدية وعقلية، فإن له طفولة روحية وكلما مرت الأعوام يستقيظ الإنسان حتى تبلغ الناحية الروحية فيه مداها، وعندها يؤمن الإنسان بالمصير الذي ينتظره. ولكن الناس يتفاوتون في مفهوم الروحي مثل تفاوتهم في مفهوم البدني..

لقد أحسست رغم منصبى الكبير كمحامٍ فى المحاكم العليا بالهند أننى مازلت طفلاً من الناحية الروحية .. وكان إيمانى بالهندوكية كمثل الطفل الذى يحبو لا يقدر على شىء .. لذلك رأيت لزماً على أن أبحث عن دين جديد.

لِمَاذَا اخْتَرْتُ الْإِسْلَامَ ..؟

وإذا أراد الناس أن يعرفوا لماذا اخترت الإسلام وفضلته على سائر العقائد الأخرى فهذه هى أهم الأسباب بإيجاز:

إن أول شىء شدنى إلى هذا الدين هو بساطته ووضوحه التام المطلق. فأساس العقيدة الإسلامية قائم على دعامين بسيطتين يستطيع أن يعيهما أبسط الناس. وهاتان الدعامتان هما: أن النبى الكريم مُحَمَّدًا ﷺ قد جاء بالوحى الربانى من عند الله، والثانية أن الله سبحانه وتعالى واحد لا شريك له، لم يلد ولم يولد، ولا يقبل التعدد ولا التشكيل فى طين أو حجارة أو خلافة.

والصفة الثانية التى جذبتنى إلى الإسلام العظيم تلك الروح الديمقراطية الأصلية التى يتميز بها هذا الدين. فالمساواة فى الإسلام تختلف عنها فى الاشتراكية أو البلشفية التى تعمل على سحق الأغنياء لصالح الفقراء والصعاليك، ولا هى كالمساواة عند النصرى حيث يجلد الرجل الزنجى لا لشىء إلا لأنه وقع بصره على امرأة بيضاء، ويعبد الزوج ربهم فى كنائس خاصة بهم مستقلة عن كنائس البيض، أما فى الإسلام فجميع المساجد مفتحة أبوابها لكل مسلم غنياً كان أم فقيراً، أسود كان أو أبيض، ملكاً كان أو عبداً.

وهذه الصفة تقيم صرح وحدة حقيقية راسخة بين المسلمين، ومن أجل ذلك فإن الدين الإسلامى لا يقيم مراسيم خاصة لكل داخل فى الإسلام كما تفعل الأديان الأخرى، وإنما

حسب المرء أن ينطق بالشهادتين حتى يغدو عضواً في أعظم أخوة عالمية، يتساوى في ظلها الناس جميعاً في الواقع العملي الملموس إلى جانب الناحية النظرية المجردة، ويصبح من حق المسلم الجديد أن يقف في المسجد كتفاً إلى كتف وعلى قدم المساواة مع الملك. كما يكون من حقه أن يشاركه طعامه من إناء واحد. وليس في العالم كله أشمل وأصدق من هذه الأخوة الإسلامية.

المنبوذون في دين الهندوك:

هناك خلاف كبير حالياً بين مجتمعات الهندوكية حول دخول فئة منها تعرف باسم «المنوع لمسه» «The untouchables» إلى المعابد الهندوكية. وهناك فئة معينة بين الهندوس تزعم لنفسها أنها تحول هؤلاء «المنوع لمسه» إلى أشخاص عاديين بواسطة ما يسمى «شوذى». وليس بوسع أحد من الهنادك أن ينتقل من طبقة إلى أخرى. كذلك تؤمن الديانة الهندوكية أن في استطاعة إنسان أن يطهر إنساناً آخر.

جَلالَ الدين الإلهي:

أما في الإسلام فإن هذا الدين لا يعرف مبدأ «لا مساس» أو ما يسمى «المنوع لمسه» كما أنه لا يطهر الإنسان فيه أخاه الإنسان. ولا سبيل إلى التطهر إلا بالتقرب إلى الله دون وساطة من أحد من خلقه. إذ كيف يتسنى لبشر أن يطهر بشراً آخر وهو نفسه في حاجة ماسة إلى تطهير نفسه!!

إنني بهذه المناسبة أتوجه بالدعوة إلى كل فرد في الذين يقبلونهم بـ «المنوع لمسه» للدخول في الإسلام الحنيف، فهو وحده الذي يُسَوَّى بينهم وبين بقية الناس. وهو وحده الذي ينتفى فيه الاعتقاد بأن ظل إنسان ما يمكن أن يدنس طعام أو حاجيات إنسان آخر.. وهذا الاعتقاد سائد في الهندوكية.. فلا فضل في الإسلام لأى إنسان على آخر إلا بالتقوى والعمل الصالح.

والأمر الرابع الذي من أجله اخترت الإسلام هو قدرة الإسلام على التلاؤم والتكيف مع متطلبات الحياة الحاضرة. فليس هناك أى دين من الأديان المعاصرة يتمتع بمثل هذه

المقدرة على حل المشكلات الحاضرة التي تواجه الإنسان فى هذا الزمان، فالعالم اليوم يتشدد بالأخوة والمساواة وهذان مبدآن أساسيان صميمان فى الإسلام .. ولكنهما مطبقان عملياً بين المسلمين على النقيض من المبادئ الأخرى الزائفة.

كذلك يتحدث العالم اليوم عن ضرورة الاعتراف بالمؤهلات، والإسلام يعترف بالفضل لذويه .. كما نسمع صيحات حول حقوق المرأة ومآسى الحياة الزوجية المعاصرة، والإسلام يمنح المرأة كل حقوقها واستقلالها، فعلاقتها بالرجل قائمة على أساس عقد كريم، لقد وضعت الشرائع الإسلامية للبشر لا للملائكة، أما ما يحدث اليوم من شغب وفوضى ومهازل وتواطؤ وزنى، وما يسمى بالأم غير الشرعية، فكل هذه المشكلات غريبة عن المجتمع الإسلامى.

اللهم خذ بتأصية عبادك إلى هذا الدين الخنيف!!



السويد:

٣٤- أحمد زيتوني

- لقيته رجلاً يناهز الأربعين من عمره فارح الطول أبيض البشرة أزرق العينين ذا لحية كثة .. كان يرتدى ملابس من الخاكي البسيط الذي ينم عن مهنته .. فهو (ميكانيكي) يعمل لحاماً للأوكسجين .. إذا نظرت إليه شعرت للوهلة الأولى أنه رجل بسيط برئ. لقد قدمه إليّ شاب مسلم من أرتيريا أسود البشرة طويل الوجه له لحية خفيفة. فقال:

- هذا الأخ أحمد زيتوني، مسلم جديد من السويد.

فهمت مرحباً به وسألته:

- هل تجيد الإنجليزية يا أخي؟

فأوما ثم أردف قائلاً:

- قليلاً منها فقط.

فجريت التعرف على أحواله بالإنجليزية فإذا هو لا يعرف منها القدر الذي يمكن به التفاهم معه. وبصعوبة خرجت بما يلي عن هذا الأخ الجديد.

ولدت في عام ١٩٣٤ من ميلاد المسيح في بلدة صغيرة في السويد تدعى «فلين»، وتقع على بعد عشرة كيلو مترات من مدينة استكهولم العاصمة. وكان أبي يعمل راعياً للبقرة. أما أمي فكانت تقوم برعاية شئون البيت.

ولما بلغت من العمر ثلاث سنوات انفصل والداي بالطلاق، وكنت نجلهما الوحيد. فالتحقت بوالدتي وعشت معها بعيداً عن أبي الذي كان يبعث لنا المال اللازم. وقد واجهت والدتي كثيراً من المشكلات فكنت أعيش معها بعض الوقت، ولكنها في أوقات أخرى لم يكن بوسعها الإنفاق عليّ .. من أجل ذلك كنت أعيش بين الغرياء .. وظللت

على تلك الحال حتى بلغت السابعة من عمرى فجاء والدى لزيارتي، وكانت تلك أول مرة أراه فيها فيما أذكر .. ثم توفى فى عام ١٩٥٣، فكانت تلك أيضاً آخر عهدى بأبى.

رَيْنُ السُّوَيْدِ :

وعندما غادرت السويد كانت والدتى على قيد الحياة .. وجميع الناس فى بلادنا يولدون نصارى باستثناء عدد قليل من اليهود. ولكن الدين الحقيقى لجميع سكان السويد هو التحرر والانطلاق من كل قيد. فهم يؤمنون بالأمور المادية فحسب، بحجة أنهم يلمسونها بأيديهم ويشاهدونها بأعينهم.

أما والدتى فهى نصرانية مؤمنة تعتقد أن عيسى عليه السلام هو ابن الله، وأنه الحاكم الذى سيفصل فى أمور العباد وشئونهم!! ولقد كانت أمى تسائل نفسها أحياناً:

-ألا يستطيع الشاب الغض أن يعيش نظيفاً فى حياته؟! وكان هذا السؤال يحيرها لما كانت تراه من انحطاط بين الشباب. وكانت تسعى كثيراً إلى استدراجى للإيمان بالديانة النصرانية. ولكنى كنت دائماً أخيب رجاءها.

أما عن تعليمى فقد أمضيت ست سنوات فى المدارس العادية، ثم التحقت بمدرسة خاصة تعلمت فيها حرفة «ميكانيكى» فقضيت فيها عامين كاملين أخذت بعدها أتمرن وأتدرب فى شتى الورش الميكانيكية كخبير فى لحام الأوكسجين.

رُؤْيَا عَجِيبَةٍ :

عندما كنت صبيّاً يافعاً رأيت فى منامى أن شيئاً ما لا أعرفه يرفعنى إلى أعلى .. ونظرت تحتى فشاهدت حيات وأفاعى وحيوانات قذرة هنا وهناك ولكنى رغم ذلك لم أحس بالخوف منها .. فكان شيئاً قد ملأ قلبى بالاطمئنان.

وكنت أحلق ببسر وسهولة فوق تلك القاذورات .. ولما استيقظت من نومى لم أفهم لتلك الرؤيا أى معنى، فانصرفت عن التفكير فيها.

الوَحْدَانِيَّة :

لقد واجهت مشكلات عديدة فى حياتى، فنبت فى قلبى وعقلى شعور وانبعثت رغبة قوية صادقة للبحث عن منهج مثالى للحياة يناسب جميع الناس ويصلح حالهم. وكنت

على ثقة من أن هذا المنهج الأفضل موجود لا محالة، وفي تلك الآونة - وكان ذلك في عام ١٩٥٨م - وردت في خاطري كلمة «وحدانية». أخذت أقلب هذه الكلمة على وجوهها حتى اكتشفت الحقيقة، فقد أيقنت أنه ليس هناك إلا رب واحد لا تحده حدود، لا شريك له. مستقل عن كل شيء، أحد صمد، وهو من يدعو الناس بكلمة «الله».

عند ذلك شعرت بالطمأنينة ويرد الإيمان يملأ قلبي، فأخذت أبحث عن شيء أقرأه، لأعرف المزيد عن ربي .. أخذت أقرأ القرآن الكريم وسرعان ما علمت أن هذا هو الدين الذي كنت أبحث عنه .. هذا هو الدين الحق الذي يدعو إلى خير السبل.

ثم اتصلت برجل من بلاد الشرق، وكان رجلاً باكستانياً مسلماً يعمل في سفارة باكستان بالسويد، فأخبرته أنني أومن بالإسلام ديناً فدعاني إلى داره وأخذ يعلمني كلمة التوحيد، والصلاة، كما علمني سورة الفاتحة وسورة الإخلاص، وأراني كيف أقيم الصلاة. فأخذت أواظب على ذلك. كذلك أخبرت أنني لا بد أن أتخذ لنفسى اسماً إسلامياً، ولما أتاحت لي فرصة السفر سافرت في عام ١٩٦٤ - ١٩٦٥م إلى تونس فأشهرت إسلامي على مرأى ومسمع من المسلمين.

نور على نور:

وفي إحدى الليالي التي قضيتها في تونس رأيت في منامي رؤيا جميلة .. رأيت نوراً ساطعاً قوياً لا هو حار ولا هو بارد، وإنما كان نوراً جلياً لم يحدث قط أن رأيت مثله في واقع الحياة. فأخذت أتساءل:

- ما هذا؟

وكان الجواب أن تذكرت المنام القديم الذي رأيته أثناء طفولتي. كذلك رأيت أنني لا بد أن أتصل بالناس الذين كنت أبحث عنهم. فانطلقت إلى جامع الزيتونة في تونس، وأطلق على اسم أحمد زيتوني .. «أحمد» تيمناً باسم نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، و«زيتوني» من جامع الزيتونة.

وبعد:

فإنني أحب الإسلام لأنه النور الكامل الذي يناسب كل زمان ومكان، كما أنه منهج

حياة عملى يأخذ بيد الناس إلى الصلاح والاستقامة .. إننى أريد أن أحقق إرادة الله المتمثلة فى هذا الدين - دين الإسلام الحنيف.

لقد هاجرت من بلدى السويد لأنها بلاد كافرة لا تُعجبني طريقة حياة أهلها ، فأنا أشعر أننى غريب بينهم. لذلك جئت إلى بلاد المسلمين كى أتعلم الإسلام. وأنوى السفر إلى باكستان لهذه الغاية. وسأقضى الأشهر الخمسة القادمة فى الكويت استعداداً لبدء العام الدراسى الجديد. وفى هذه الأثناء أرجو أن أتمكن من تعلم اللغمة العربية كى ازداد قريباً من القرآن الكريم.

وأخيراً أتوجه بالشكر إلى إختوتى المخلصين فى الإسلام، الذين أخذوا بيدي وأعانوني على حل المشكلات التى أواجهها فى حياتى، مبتغين بذلك وجه الله عز وجل.



ألمانيا:

٣٥- فاطمة سى لامير (مشيئة ألمانية ترى نصرته إسلامياً)

قال الله تعالى:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾
[فصلت: ٣٣].

لقد جاءنى الإسلام كما يأتى النبع الدافئ إلى الأرض الباردة بعد الشتاء المظلم، فأدفاً روحى وسربلتى بشوب من تعاليمه القشبية. فما أوضح تعاليم الإسلام وأعذبها وما أعظم منطقتها!

« لا إله إلا الله محمد رسول الله »! هل هناك عبارة أسمى وأرفع من هذه العبارة؟ إنك إن تأملتها لا تجد فيها أى أثر للطقوس الغربية المبهمة، كتلك التى تؤمن بالتثليث - الأب والابن والروح القدس - . صحيح أن هذه الطقوس ربما تثير فى النفس الخشبية، إلا أنها لا ترضى العقل المتفتح الذكى.

موازنة بين الإسلام والنصرانية:

فالإسلام دين عصرى صالح للتطبيق فى عالمنا المعاصر .. خذ مثلاً مبدأ المساواة بين البشر الذى تنادى به الكنائس النصرانية أيضاً .. ثم تأمل كيف يسعى البابوات والبطارقة والقسس وغيرهم من رجال الكنيسة إلى استغلال اسم الله الطاهر بغية كسب النفوذ والسلطة .. ثم قارن بين ذلك وبين الإسلام .. تجد عجباً!! تجد اليون الشاسع بينهما. فما أصدق تعاليم النبى محمد ﷺ التى أنزلت عليه من عند الله تعالى. .

لقد كان من الطبيعى بالنسبة لى أن أكون نصرانية بحكم معيشتى فى بلد نصرانى كألمانيا الغربية، إلا أننى لم أكن قط مسيحية بالمعنى الصحيح .. فقد كان الغموض يكتنف الديانة النصرانية .. وكانت فكرة قتل المسيح عليه السلام بالقوة لإنقاذ الآخرين

غير معقولة فى نظرى. وأقل ما يمكن قوله هو أن الديانة النصرانية كانت لغزاً محيراً بالنسبة لى، فهجرت الكنيسة النصرانية منذ زمن طويل، ولا يزيد عمى الآن عن إحدى وثلاثين سنة فقط.. لقد أحسست أننى لم أعد أطيق أن ألعب دور المنافقة باتباع «دين يوم الأحد» - وهذا ما آلت إليه النصرانية فى وقتنا الحاضر -.

الإسلامُ صوتُ ضميرى

ومضى زمن لم أكن أعتنق فيه أى دين من الأديان. إلا أننى لا بد أن أوضح إننى لم أكن قط ملحدة فى يوم من الأيام. وفى مطلع عام ١٩٥١م بدأت أتصل ببعض المسلمين الذين أخذوا يشرحون لى الدين الإسلامى. كان ذلك بطريق المراسلة، بناءً على طلب منى، ولا أستطيع أن أسجل مدى فرحتى بهذا الدين الذى أخذ ينفج أمام ناظرى، فقد أحسست أن هذا هو الدين الذى كنت أنتظره وأنه الدين الذى آمنت به، لقد كان إعلان دخولى فى الإسلام ترجمة ظاهرة لصوت ضميرى. فهل يمكن أن يكون هناك أى شىء أعظم حجة من العقيدة الإسلامية؟

ولا ريب أننى سأواجه اللوم من أفراد أسرتى وأقربائى وأصدقائى إلا أننى على ثقة من أننى عندما أشرح لهم دينى الجديد فسوف يودى ذلك إلى تبديد كافة الشبهات العالقة فى أذهانهم حول الإسلام. وهى شبهات يجرى تدريسها فى هذا البلد، ألمانيا. وأعتقد أن عقولهم مشحونة ببعض هذه التصورات المزعجة.

الإسلامُ دينُ العالمِ:

إن الإسلام هو أقدم وأول الأديان جميعاً، وهو بتصوره الشامل للحياة قد أثر فى ثقافة جل بلاد العالم بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وبصفة كلية أو جزئية. وسبب ذلك أنه دين يساير الفطرة.

وفى الوقت الذى تهاوت تعاليم الأديان الأخرى ومبادئها أمام جبروت العلم أخذ علماء الدنيا فى الوقت الحاضر يتطلعون إلى الإسلام طالبين السلى، لأن تعاليمه أقرب إلى العلم من أى دين آخر، بل إن الإسلام يحض على العلم، وهو دين تقدمى يناسب كافة المناخات والبلاد كما يصلح لجميع العصور.

الإسلام رسالة للعالم:

إنه دين زاخر بالحياة والحركة، وأنه من واجب جميع المثقفين أن يملأوا الفراغ الروحي بالإسلام .. وهذه هي أعظم المهمات الملقة على عاتق العالم الإسلامى بأسره. فالإسلام لديه رسالة لا بد أن يقدمها للعالم .. إنه نور يوسعه أن ينير العالم أجمع، فليقم كل واحد منا ممن يستطيع أن يخدم الدعوة الإسلامية بتبليغ هذا الدين لأهله وذويه أولاً ثم للناس كافة^(١).



(١) عن مجلة «مسلم نيوز» الصادرة فى جنوب أفريقيا.

أمريكا:

٣٦- توماس محمد كلايتون

Thomas Muhammad Clayton

من الغرب أنى كنت أعتقد منذ نعومة أظفاري حين كنت طالباً أذهب إلى مدرسة الأحد أن الديانة النصرانية ليست صادقة في كل ما تزعمه، كما أنها لا تمثل إرادة الله كاملة .. ومضت أيام الأحد تبعاً وكنت خلال ذلك أمشي في موكب إلى مدرسة الأحد وأتلقى القدر اللازم من المعرفة الدينية الذي كانت تقدمه لطلابها، والذي لم يكن يبدو رغم تسليته لي أنه هو نفسه ما يمكن أن يعلمه لنا السيد المسيح الإنسان لو أنه ما زال حياً يرزق ويدب على أديم هذه الأرض.

وهكذا ظلت الكنيسة الأسقفية في إنجلترا تمدني بزيادة الفكر مدة من الزمن تراوحت بين ست وسبع من السنوات، إلا أنها لم تكن تعلمني أبداً كيف أفكر، وبعد هذا القدر الهائل من الطقوس المعقدة غدوت عضواً موثقاً في الكنيسة وأصبحت كغيري من الأمريكيين .. بمعنى أنني لم أعد أهتم بالدين، وأخذت أقضى وقتي في مشاغل بلهاء أو هكذا تبدو إذا أخذنا بعين الاعتبار قضية الإسلام والإذعان لأمر الله سبحانه.

نَفَّحَ عَيْنِي لِلْإِسْلَامِ :

ومضت فترة طويلة كنت خلالها غافلاً عن الدين، إلى أن جاء اليوم الذي قدر لي فيه أن أكتشف شيئاً جديداً كان من شأنه أن يغير حياتي من جذورها ومن حيث لا أدري .. هذا الشيء الذي اكتشفته كان عبارة عن ترجمة لمعاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية بقلم الكاتب الإنجليزي النصراني (جورج سيل) وجدتها صدفة في مكتبة صديق لي. فجلست على انفراد وبدأت في قراءتها .. ولعل يد الله وحدها هي التي أضاعت سراج الوعي الديني في رأسي، فبالرغم من انتقادات المؤلف (جورج سيل) المقذعة المجحفة للإسلام وتبنيه، وعلى الرغم من أوهامه السوداء فقد انسابت كلمات الله إلى عقلي.

وهكذا كانت تلك التجربة إيداناً بفتح الباب الذهبي الذى أدخلنى إلى عالم جديد من السعادة والنور والإحساس بالإرادية الربانية السماوية .. فمن بعد ذلك اشتغلت فى قراءة جميع المؤلفات الإسلامية التى تقع عليها يدي مما يعالج العادات الإسلامية. ورغم أن جميع الكتب التى قرأتها كانت مفيدة فقد تيقنت من حقائق عدة:

أولها: أنه بالرغم من وجود مقدار ما من الحق فى تلك الكتب فإن فيها قدرًا أكبر من الزيف والتشويه.

ثانياً: أن مؤلفي تلك الكتب لا يريدون أن يحب الناس الإسلام ولا أن يفهموه، وهو النتيجة الطبيعية للفطرة السليمة لو ترك الناس وشأنهم. ولكن هؤلاء الكتاب يريدون أن يشيعوا البغضاء إلى درجة غير معقولة.

ثالثاً: أنه بالرغم من احتمال صحة ما نشر فى الكتب المذكورة فقد أحسست أن الأمر ليس كذلك. وأخذت أشعر بمزيد من الحب للإسلام وتعاليمه.

المهرجَانُ الكَشْفِيُّ العَالِمِيُّ :

وبعد ذلك بفترة وجيزة أتاحت لى الفرصة لحضور المهرجان الكشفي العالمى الذى أقيم فى مدينة موبسون - بفرنسا فى صيف عام ١٩٤٧م. وكان ذلك المهرجان يتألف من أربعين ألف شاب - كشاف - كانوا يمثلون اثنين وأربعين بلداً من بلاد العالم. وفى ذلك المهرجان التقيت بكشاف مسلم من الجزائر أحببته ولا يزال صديقاً لى حتى اليوم، رغم أننى لم أراه منذ عامين كاملين. لقد كان اسمه «مجدى جمال» وهو مثال الشاب المسلم الصادق الذى يعتبر قدوة صالحة للناس كافة، أعنى فئة الشباب من أمثاله. ولقد كنت أقضى بصحبته معظم وقتى فتعلمت منه بالقدر الذى كانت تسمح به معرفة كل منا الطفيفة بلغة الآخر .. لا بل بالقدر الذى كانت معرفتى الضئيلة للغة العربية تعيننى على التفاهم معه، فقد كان يجيد اللغة الإنجليزية إجابة تامة ولكننا كنا نتشوق للتخاطب باللغة العربية.

وبالإضافة إلى ما حصلته فى المهرجان من معرفة عن الإسلام بقراءتى لبعض الكتب

الصادرة في الغرب، فقد نلت قدراً من المعرفة الإسلامية من خلال العادات والتصرفات التي لمستها من الأمثلة الحقة للدين الإسلامي. وهنا بيت القصيد حيث بدأت المثل الصحيحة تتخذ قوالب محددة في مخيلتي. فعلمت أنني لا مناص من أن أصبح مسلماً حتى أؤكد اعتقادي في الله.

ولما عدت إلى بلادي عقدت العزم على البحث عن مراجع أصلية لدراسة الإسلام، وأخذت أقلب في شتى فهارس الكتب الأدبية حتى عثرت على عنوان لجمعية إسلامية تدعى «جمعية نشر الدعوة الإسلامية» في لاهور - باكستان. ولما راسلتها تسلمت عدة مؤلفات تعرض الإسلام في صورته الناصعة النقية، فشرعت في الكتابة إلى داعية مسلم طيب أعرفه في الولايات المتحدة الأمريكية، ومن خلال ذلك المثل الصالح والقوة الطيبة للعقيدة الإسلامية وقر في قلبي الإيمان الصادق برسالة الله - الإسلام.

مَعْنَى الْإِسْلَامِ:

هكذا أصبحت مسلماً .. وحتى أبين لماذا؟ لا بد لي أن أناقش بعض المبادئ والشعائر الإسلامية. إذ بعد أن نفهم حقيقة الإسلام يسهل علينا أن نعرف السبب الذي يجذب الإنسان للالتزواء تحت لوائه. فكل مسلم يعرف أن الإسلام معناه الخضوع والإذعان الكامل لمشئته الله. فعندما نولد نكون مسلمين. ولكننا بعد ذلك نترك سبيل الله ونتبع السبل المضلة المفرقة، والإسلام دين الفطرة. وكل مولود يولد على الفطرة قبل أن يشب عن الطوق لنفرض عليه عقيدة أخرى تتنافى وإرادة الله. ويمكن القول بأن الصخور والشجر مسلمة لأنها تخضع لسنة الله في الخلق. ومن ذلك نعلم أننا إذا سعينا إلى صرف المسلم عند عقيدته ودينه وشده إلى أية ملة أخرى فمعنى ذلك أننا نتدخل ضد سنة الله الفطرية. ولا بد للفطرة أن تغلب وتنتصر ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّذِينَ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠] (١).

تَجْرِبَةٌ نَيْرَةٌ:

كانت الشمس قد مالت عن الزوال، وبينما كنا نمشي عبر الطريق الحار المغبر سمعنا غناءً رتيباً عذباً غريباً يملأ الجو حولنا، ولما دخلنا وسط مجموعة من الشجر وقعت

(١) مترجم عن مجلة يقين الدولية - الباكستانية عدد ٢٢/١٢/١٩٦٨م.

أبصارنا على مشهد غريب معجب لم تصدقه عيوننا. فهناك رأينا رجلاً عربياً أعمى، يرتدى ملابس بيضاء نقية وعلى رأسه عمامة بيضاء كذلك، كان الرجل واقفاً على برج خشبي عال يكاد يقرع السماء بترنيمه الساحر، فجلسنا دون أن نشعر بذلك وقد أخذنا بإيقاعه الغريب وكأنه يصدر عن شيخ، لم نكن نفهم الكلمات التي كان يرددها ولكن سحرها انساب إلى آذاننا وقلوبنا: الله أكبر! الله أكبر! لا إله إلا الله!

صلاة الجمعة والجماعة:

قبل ذلك لم نكن نشعر بأى شيء يجرى حولنا، أما الآن فقد بدأنا نرى أعداداً كبيرة من الناس يتجمعون، إنهم أناس من مختلف الأعمار يرتدون ألواناً شتى من الملابس، ويمثلون كافة قطاعات الحياة. لقد أخذوا يقتربون من المكان بانكسار ينم عن خشوع، يفرشون الحصر الطويلة على الأرض. لقد كان مشهداً ممتعاً حقاً يجمع تناقض الألوان، خضرة الأعشاب واصفرار الحصر. وظلت جموع الناس تفد إلى المكان حتى بدأنا نعجب: هل يا ترى سيتم التثام الجمع المحتشد!!

كان الناس يخلعون أحذيتهم أو نعالهم وينتظمون في صفوف طويلة الواحد منها وراء الآخر. وقد أثار دهشتنا ونحن نرقبهم في صمت أنه لا توجد فوارق من أى نوع بين أفراد هذا الاجتماع، فلقد كان البيض والصفرة والسود، إلى جانب الفقراء والأغنياء، والشحاذين والتجار يقفون جنباً إلى جنب دون أدنى التفات إلى العنصر أو المكانة الاجتماعية في الحياة، ولم يحدث أن رجلاً واحداً من ذلك الجمع الحاشد رفع ناظره بعيداً عن الحصر المفروش أمامه مباشرة.

إن روح الأخوة التي تجلت في ذلك الجمع المتباين من الناس قد تركت انطباعاً لا يمكن أن يمحي من نفسى ما حييت. فقد انقضت الآن قرابة ثلاث سنوات على ذلك الحدث منها سنتان كنت فيها مسلماً، وما زلت أجدنى وقد استيقظت أحياناً في منتصف الليل لأستمع وأصغى من جديد إلى ذلك الهداء الجميل الشجي، ولأرى ثانية أولئك الرجال الذين تجلت فيهم الصفات الحقيقية لرجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وأخلصوا في اتجاههم إلى الله.



كُورِيَا:

٣٧- عَبْدُ الْعَزِيزِ كَابَنْجُولِي
(مسلم هيرين من كوريا الجنوبية)

مُقَدِّمَةٌ:

كوريا الجنوبية عبارة عن جزء من شبه الجزيرة الكورية التي كانت ضمن الامبراطورية اليابانية طوال الفترة ما بين عام ١٩١٠ - ١٩٤٥ م. ولما انتهت الحرب العالمية الثانية قسمت كوريا إلى دولتين هما كوريا الشمالية، وهي دولة شيوعية، وكوريا الجنوبية وهي دولة مستقلة. ويبلغ عدد سكان كوريا الجنوبية أكثر من ثلاثين مليون نسمة، وعاصمتها سيئول.

أما عن النشاط الإسلامي في كوريا الشمالية فليس فيها أي نشاط يذكر، تبعاً لانتشار المبدأ الشيوعي فيها، الذي يتسم بالديكتاتورية والإرهاب الفكرى فلا يسمح لأي مبدأ آخر بمنافسته.

أما في كوريا الجنوبية فهناك نواة للنشاط الإسلامي، إذ اهتدى إلى الإسلام عدد من الكوريين معظمهم من المثقفين والجامعيين. وذهب عدد منهم إلى الأقطار الإسلامية الأخرى لدراسة الإسلام في جامعاتها. وعاد بعض هؤلاء إلى كوريا لنشر الإسلام فيها، ومن هؤلاء الحاج محمد وى والحاج صبرى سوه وغيرهم.

وهناك مشروع مركز ومسجد إسلامي بالإضافة إلى مدرسة إسلامية في سيئول العاصمة، وقد جمعت التبرعات الكثيرة للمشروع من بعض الدول العربية والإسلامية، كما حيزت قطعة الأرض اللازمة له، وتمت ترجمة بعض الكتيبات المبسطة عن الإسلام إلى اللغة الكورية، وأخيراً تم تفسير معانى القرآن الكريم إلى تلك اللغة. وهناك أمل كبير في انتشار الدعوة الإسلامية ودخول الإسلام إلى قلوب الكوريين، فكوريا تخلو

من أى دين تقريباً، وهى لذلك تعتبر تربة خصبة لانتشار الإسلام. ويبلغ عدد المسلمين الجدد فى كوريا الجنوبية حوالى عشرة آلاف مسلم كورى فى وقتنا هذا: (١٩٧٥م).

فهلا ينشط المسلمون لتقديم العون المادى والأدبى لإخوانهم فى كوريا وغيرها من البلاد التى بها أقليات مسلمة كاليابان مثلاً؟ حتى يتمكن الإخوة المسلمون الجدد من الثبات على دينهم ونشره بين أبناء وطنهم؟ إذ بهذا النور الريانى وحده - الإسلام - يستطيع المسلمون أن يخدموا العالم كله، وأن يقهروا الطغيان لا بقوة السلاح ولكن بقوة الإيمان ونور الإسلام.

بِدَايَةُ الْقِصَّةِ:

والآن إلى قصة الأخ عبد العزيز كانجولى:

كان كانجولى شاباً جامعياً كورياً يبلغ السادسة والعشرين من عمره، قدم إلى الكويت ومعه زوجته المسلمة الكورية (زينب) التى تزوجته حديثاً. وكان العروسان يقيمان مؤقتاً عند الداعية الباكستانية السيد محمد جميل، الذى سبق أن تعرف عليهما فى كوريا كلاً على أفراد، وأسلم الاثنان على يديه، وهو الذى زوجها من بعضهما البعض، كما أحضرهما تحت إشرافه إلى الباكستان لدراسة الإسلام.

وكان كانجولى يدرس «الإدارة العامة» من قبل بجامعة سول بكوريا الجنوبية، وقد نشأ فى أسرة راقية فأبوه طبيب، وكان الطالب الجامعى شديد الاهتمام بالتنظيمات السياسية الطلابية، وكان من أجل ذلك موضع اهتمام أساتذته، وقد انتخب رئيساً للنشاطات الطلابية فى الجامعة المنبثقة عن اتحاد الطلبة الجامعيين بجامعة سول، الذى كان يضم فى عضويته عشرين ألف طالب، وكان للاتحاد المذكور نشاطات مختلفة ثقافية وسياسية وغيرها.

وفى عام ١٩٦٦م كان كانجولى طالباً فى السنة النهائية، وبصفته مسؤول عن النشاطات الطلابية فى الجامعة التقى بالسيد محمد جميل الداعية الإسلامى المتجول، كان ذلك أول لقاء بينهما، وبعد تبادل عبارات التعارف قام كانجولى بدعوة السيد جميل لإلقاء كلمة عن الإسلام أمام طلاب الجامعة، فلبى السيد جميل الدعوة، وحدد موعداً للمحاضرة وجاء إليها جمع غفير من الطلاب، وكان السيد كانجولى يتولى إدارة الندوة فقدم المحاضر بقوله:

- يتحدث إليكم رجل وقور عن دين لا تعرفونه .. إنه دين الإسلام، وإنني أدعوكم باسم اتحاد طلاب الجامعة أن تنصتوا إلى المحاضرة بكل تدبر واهتمام، وذلك من باب التعرف على هذا الدين.

وتحدث السيد محمد جميل عن الإسلام بلغة إنجليزية سهلة مفهومة واضحة، وكان يعقد مقارنات علمية بين الإسلام وغيره من الأديان السائدة في العالم، ويستعين بإحصاءات علمية دقيقة مما جذب اهتمام الطلاب إليه، وما كادت المحاضرة تنتهي حتى أقبل الطلاب بأسئلتهم الكثيرة عليه. وكانت ندوة ناجحة وعلق كانبجولى فى ختام المحاضرة بقوله:

- وهكذا استمعتم أيها السادة إلى كلمة موجزة عن الإسلام .. ذلك الدين الذى يجهله أكثر الناس هنا فى كوريا، لا بل إن بعضهم لديه فكرة خاطئة مشوهة عنه، ولنا لقاءات أخرى مع السيد جميل .

وأشد من تأثر من محاضرة السيد جميل هو (كانبجولى) الذى أقبل عليه بعد المحاضرة قائلاً:

- كانبجولى .. لقد أصبحت تدعو معى إلى الإسلام .. وضحك الصديقان. ثم افترقا على خير ما يفترق الأصدقاء ..

صَدَاقَةٌ وَدَعْوَةٌ وَإِسْلَامٌ:

وهكذا انعقدت صداقة متينة بين الاثنين تمت بعدها عدة لقاءات أدت إلى اقتناع كانبجولى بالإسلام، فرضية لنفسه ديناً، وكم كان سرور السيد جميل عظيماً حين أنس من كانبجولى ذلك فأسلم على يديه، وسماه باسم «عبد العزيز كانبجولى».

واستأنف عبد العزيز دراسته الجامعية حتى حصل على البكالوريوس فى الإدارة العامة فى شهر فبراير من عام ١٩٦٨م. ولما تخرج أخذ يعمل فى وكالة سفريات فى سول واستمر يعمل بها حتى شهر أكتوبر ١٩٦٨م.

وعاد السيد محمد جميل إلى كوريا للاطمئنان على البذرة التى غرسها، والاطلاع على أحوال أخيه الجديد فى الله «عبد العزيز كانبجولى»، ولما التقى الاثنان ثانية فى شهر يونيو عام ١٩٦٨م دعا الأول أخاه المسلم إلى دراسة الإسلام فى باكستان تحت

إشرافه الشخصى، فرحب عبد العزيز بذلك واستقال من عمله وذهب إلى باكستان فى شهر فبراير ١٩٦٩م. والتحق بجامعة كراتشى للدراسات العليا، وكان لا يزال أعزب. وفى المساء كان عبد العزيز يدرس الإسلام فى جمعية القرآن الكريم التى يرأسها السيد محمد جميل، كما رتب له الأخير مدرساً خاصاً لذلك. وفى شهر سبتمبر عام ١٩٧٠م عاد عبد العزيز إلى بلاده للزواج. فتزوج من فتاة مسلمة تدعى زينب.. وهى التى قدمنا الحديث عنها. وهى فتاة جامعية حاصلة على ليسانس فى اللغة الإنجليزية من جامعة سول.

وعاد الزوجان إلى كراتشى تحت إشراف أبيهما الروحى، إذا جاز التعبير. فأخذت زينب تدرس فى جامعة كراتشى لنيل الماجستير فى اللغة الإنجليزية، هذا بالإضافة إلى تعميق دراستها الإسلامية فى جمعية القرآن الكريم. وبعد، فإن الأخ عبد العزيز سيتخرج قريباً من جامعة كراتشى وقد جاء إلى الكويت على أثر الحرب الهندية التى شنت ضد باكستان الشقيقة، وسيعود إلى كراتشى بصحبة السيد محمد جميل.

تَنْظِيمُ الدَّعْوَةِ:

وقد سئل عن أسرته وهل أسلم أحد من أفرادها غيره؟

فأجاب: بأن والده الطبيب قد التقى بالسيد محمد جميل الذى عرض عليه الإسلام وعلى والدته، فأبديا احترامهما لهذا الدين وأعريا عن تقديرهما للجهود التى بذلها الشيخ جميل لتربية ولدتهما، كما أبديا رضاهما الكامل عن ذلك. ولكنهما اعتذرا عن الإيمان بهذا الدين فى الوقت الحاضر بسبب ضغط التقاليد الكورية التى عاشاها سنوات طوالاً، إذ ليس من السهل على أمثالهما من الكبار فى السن أن يهجرا تقاليد بلادهما مثلما يفعل الشباب الغض.

كما سئل الأخ عبد العزيز عن أمه؟

فقال: إن أملى أن أعود إلى كوريا فى أقرب فرصة بعد الفراغ من دراستى لأنظم العمل للدعوة الإسلامية، لأننى أؤمن أن التنظيم أهم أسباب النجاح، وأعتقد أن من السهل جداً انتشار الإسلام فى كوريا الجنوبية بسبب الفراغ الروحى فيها. والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.



أمريكا :

٣٨- عَبَّ اسْتَبْنِيَامِين
(يهودي) أسلم

هذه قصة شاب أمريكي يهودى الديانة اعتنق الإسلام فى قلب أمريكا، وقصته تستوجب الحديث عن اليهود وموقفهم من الإسلام:

مُعْجَزَةُ الْقُرْآنِ

سئل الأخ عبد الله عن فكرته فى سبب اهتمام القرآن الكريم بذكر اليهود، فهم من أكثر الأقوام ذكراً فى القرآن الكريم؟ وكان الجواب:

إن هذه معجزة من معجزات هذا القرآن، فالله العليم الخبير منزل هذا الكتاب يعلم أن أشد الناس عداوة للمؤمنين إلى يوم القيامة هم اليهود، لذلك كان لا بد من التحذير منهم وبيان ما عَبَّرَ من تاريخهم وموقفهم من أنبيائهم، وتاريخ اليهود مع الإسلام أكبر شاهد على خصومتهم الشديدة للإسلام ونبيه، فقد تأمروا على الرسول ﷺ وحاولوا قتله، وخانوا العهود التى أبرموها معه، ونصروا الكفار عليه، فكان جزاؤهم الطرد والتشريد والقتل لمحاربيهم، وهذه هى اللغة الوحيدة التى يفهمها اليهود، وكان رسول الله ﷺ يناديهم وهو يحاصرهم فى حصونهم: «يا أحفاد القردة والخنازير، انزلوا»، ولن يعصم المسلمين اليوم من كيد يهود إلا تمسكهم بالقرآن الكريم، وعودتهم الصادقة إلى الإسلام من جديد.

دِرَاسَةٌ تَمَّ إِسْلَامُ :

سئل الأخ عبد الله عن تاريخ اعتناقه للإسلام؟ فقال:

كان ذلك فى مكتب رابطة العالم الإسلامى بنيويورك عام ١٩٧٧، أمام الشيخ سليمان بن منيع نائب مدير إدارات البحوث والإفتاء بالسعودية، والشيخ محمد بن ناصر العبودى أمين الدعوة الإسلامية فى الرياض.

لقد درست جميع الأديان وكان اقتناعى بالدين الإسلامى لأن الدعوة الإسلامية دعوة

عالمية، ولأن الإسلام أقام نظامه على أساس أن الناس جميعاً أمة واحدة، كما أنه أعلن موقفه بكل وضوح من جميع مشكلات الإنسان، فأعلن أن صلة الإنسان بربه أساسها الإيمان والتقوى، وأن صلة الإنسان بأخيه أساسها البر والأخوة، وأن صلة الإنسان بحاكمه أساسها السمع والطاعة فيما أحل الله، وأن صلة الحاكم بالمحكومين أساسها العدل والمساواة.

ويضيف الأخ عبد الله بنيامين قائلاً: لقد أكثر القرآن من الحديث عن اليهود لأن تاريخهم امتد زمناً طويلاً، فتعاقب فيهم كثير من الأنبياء، ولم يستأصلهم الله كما استأصل أقواماً كثيرة غيرهم، وإن كانت جرائمهم وآثامهم لا تقل عن جرائم من سبقهم من الأمم الضالة، إذ ظلوا يحاربون الله ورسوله، فحاربوا عيسى عليه السلام، وزعموا أنهم صلبوه، وحاربوا محمداً ﷺ ولكنه هزمهم في النهاية.

تَحْرِيفُ الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ:

بعد ذلك سئل الأخ عبد الله عن رأيه في التوراة الحالية المتداولة اليوم بين اليهود؟ فقال:

إن التوراة تعتمد على أسفار خمسة يسندها اليهود إلى موسى عليه السلام، ولكن الواقع التاريخي ينقض هذا القول من أساسه، لأن الأسفار الخمسة التي هي التوراة كتبت بعد موسى عليه السلام بأزمان. قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ صدق الله العظيم [البقرة: ٧٩].

والبراهين على ذلك تأتينا أيضاً من النصوص ذاتها، فهناك الازدياد التدريجي للشرائع الذي سببته مناسبات عصر (القضاة) ثم عصر (الملوك)، وهناك أسماء قبائل ومدن تتحدث عنها التوراة ولم تكن موجودة في عهد موسى، أضف إلى ذلك النصوص التي تحدثنا عن وفاة موسى، وأنه لم يعد يوجد إنسان يعرف مكان قبر موسى عليه السلام^(١).

(١) نؤمن - نحن المسلمون - بالتوراة المنزلة على موسى عليه السلام، وأن أصولها باقية، ولكن وقع فيها كثير من التحريف والتغيير الذي يتحدث عنه (عبد الله بنيامين) هنا، والله أعلم.

كُتِبَوا بِأَيْدِيهِمْ وَنَسَبُوهَا لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وللمرء أن يتساءل: فمن أين جاءت التوراة الحالية؟

والجواب هو لا بد أن نعود إلى فترة ما بعد الغزو البابلي لمملكة يهوذا سنة ٥٨٦ ق.م. إذ عندما حمل الأسر البابلي أعضاء بيت يهوذا إلى بابل، لم يسعهم إلا الجلوس على ضفة الفرات يبكون ويتباكون على حالهم، فجرت أقلامهم بخيال محموم، وكتبت هذه الأسفار الخمسة التي يجرى فيها شريان واحد ينتقص سائر بني إسرائيل بينما يمجّد يهوذا، وهذا الشريان هو الذي ينبض بيدعة الأرض الموعودة كأرض أبناء يهوذا يرثونها وحدهم، فهذا الوعد كان حلم هؤلاء المبعدين في الأسر البابلي، وحتى يصفوا صفة شرعية على هذه الدعوى رأى مؤلفو هذه الأسفار أن يكون الوعد سابقاً للعهد الذي يعيشون فيه، فبدأوا بإبراهيم عليه السلام، وجعلوا هذا الوعد يأتي إليه يادئ ذي بدء، ثم تسلسلوا به حتى أوصلوه لأنفسهم، إذ حولوه من إبراهيم إلى إسحق إلى يعقوب الذي هو إسرائيل، ومنه لابنه الرابع يهوذا الذي هو جدهم، ولكي يصفوا القدسية على الوعد، نسبوا تلك الأسفار التي كتبوها بأيديهم إلى موسى، وقالوا إنها توراة موسى.

أَسَاطِيرُ الْيَهُودِ الَّتِي أَقَامُوا عَلَيْهَا دَوْلَهُمْ:

ويرد هنا سؤال آخر وهو: كيف آمنت اليهود بهذه التوراة المفتراة على أنها هي توراة موسى عليه السلام؟

والجواب كما يقول الأخ عبد الله بنيامين هو: دعنا نعود إلى ما بعد الغزو الفارسي لبابل قبل الميلاد، هذا الغزو الذي أعاد اليهود إلى فلسطين، فحيث إن عودتهم هذه لم تعد عليهم بفائدة تذكر، وما أرادوه من إعادة دولتهم وبناء هيكل سليمان من جديد، من هنا كان استشعارهم بالحاجة إلى توثيق عرى الرابطة فيما بينهم، واضطلع (عزرا) (١) بهذه المهمة، فدعاهم إلى اجتماع عام، وناولهم هذه التوراة بعد أن قرأ عليهم النصوص الخاصة بالأرض الموعودة، فاحتضن كل يهودي هذه التوراة التي تمنحه فلسطين (من الفرات إلى النيل) لإقامة دولة إسرائيل عليها.

(١) عزرا كاتب التوراة هو أحد أجداد اليهود، وهو غير العزيز الذي زعم اليهود أنه (ابن الله) تعالى الله.

ولنا أن نتساءل: هل حمل اليهود هذا الزعم خُلْفًا عن سلف؟

فكان جواب الأخ عبد الله: نعم، فبعد مذبحه اليهود في روسيا، وكذلك في ألمانيا النازية بدأت فكرة العودة تظهر على مسرح التاريخ الحديث، ووجد الغرب الصليبي المستعمر في ذلك وسيلة لتحقيق غاياته العديدة، فساند الغرب اليهود إما خشية من مكرهم وإجرامهم وتجنباً لأذاهم، وإما استغلالاً لأموالهم المودعة في المصارف الغربية والتي بها يسيطر الغرب على مراكز الصناعة والتجارة والاقتصاد، وإما استغلالاً لأصواتهم في المعارك الانتخابية، وإما لاتخاذهم مطايا للوصول إلى المآرب الامبريالية وإما لذلك كله. ومن هنا كان منطلق الحركة الصهيونية التي ارتكزت على شريعة التوراة المحرّفة في دعوتها السياسية، تلك التوراة المزيفة التي كتبتها مخيلات اليهود في ليالى المنفى البابلي.

البشارة بمحمد ﷺ:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وقال النبي ﷺ مخاطباً اليهود: «والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله وإنى لرسول الله، تجدون ذلك عندكم في التوراة»، فهل يحدثنا الأخ عبد الله عن ذلك؟.

يقول الأخ عبد الله جواباً على هذا السؤال:

الحديث في هذا يطول، ولكني سأوجزه، فقد جاء في التوراة المتداولة أنه عندما طلب الله عز وجل من موسى عليه السلام أن يجمع بني إسرائيل إلى جبل (حوريب) خافوا من الرعد والبرق، وطلبوا من موسى أن لا يحدث هذا مرة ثانية، وقالوا له: إذا أراد الله أن يكلمنا فليكلمنا بواسطة نبي يرسله إلينا، وقد استجاب الله لطلبهم ووعدهم بإرسال نبي إليهم مثل موسى لعلهم يسمعون ويطيعون،.

أوصاف النبي ﷺ:

وهناك نص في التوراة يحدد تسعة أوصاف للنبي الآتي في المستقبل وهي:

١- أنه نبي، ومحمد عليه الصلاة والسلام نبي.

٢- أنه من بين أخوة اليهود، ومحمد من بنى إسماعيل، وإسماعيل وإسحق أخوان.
٣- أنه مثل موسى، والتوراة ذاتها نصت على المماثلة في أمور ثلاثة وهي: الآيات والمعجزات، واليد القديرة في الحروب والانتصار، والمخافة والمهابة والعظمة في قومه.

٤- وأنه نسخ شريعة موسى لقول التوراة « له تسمعون » وعيسى عليه السلام لم ينسخ شريعة موسى وإنما جاء مصدقاً لها، أما نبي الإسلام فمصدق لها ومهيمن عليها.

٥- أنه نبي أمي، لقول التوراة « ألقى كلامي في فيه » وهذه صفة واضحة في نبي الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأْرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨] أما عيسى فقد كان كاتباً وقارئاً وكان دارساً للتوراة.

٦- وأنه أمين على الوحي لقول التوراة « فيكلمهم بكل ما أوصيته به » قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾ [يونس: ١٥].

٧- أنه يقضى على ملك بنى إسرائيل فى الأرض المقدسة وما حولها، والذي قضى على ملك بنى إسرائيل بالحرب هو نبي الإسلام.

٨- أنه لا يُقتل وسيدنا محمد توفاه الله، وأين هذه الصفة من زعمهم عن عيسى عليه السلام!؟

٩- وأخيراً أنه يتحدث عن أمور غيبية وعن مستقبل الأيام، وقد تم ذلك فى عدة مواقف.

تَعْلِيْقُ الْمَوْلَفِ:

وبعد، فإن مظلة الإسلام التى تظل كل يوم قلباً جديداً فى ظلال الإيمان من كل جنس ولون، والتى أظلت فى العام الماضى (١٩٧٩م) هذا الأخ الذى كان يهودياً، فقد آوت من قبل كثيراً من اليهود الذين حسن إسلامهم على مر التاريخ. ومن أوائل هؤلاء

الخصيين بن سلام حبر اليهود وعالمهم الذى كان فى المدينة قبل هجرة الرسول، ولما أسلم أصبح اسمه عبد الله بن سلام.

تروى لنا كتب الحديث النبوى والسيرة العطرة أن (عبد الله بن سلام) طلب من الرسول ﷺ أن يدعو زعماء اليهود إلى اجتماع، ويختبئ هو فى نفس المكان دون علمهم ليسألهم عنه وعن مكاتته فيهم، ففعل، ولما سألهم الرسول عن عبد الله بن سلام قالوا: هو سيدنا وابن سيدنا، وحبرنا وعالمنا.

فخرج إليهم عبد الله بن سلام وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. يا معشر يهود، أدعوكم إلى الإيمان به فإنكم والله تعلمون أنه الحق. فقالوا عن عبد الله بن سلام: هو شرنا وابن شرنا، وانصرفوا.

وهذه هى طبيعة اليهود فى كل زمان ومكان إلا من هدى الله منهم وحسن إسلامه.



أمريكا:

٣٩ - كريم عبد الجبار
(فردينا ليو السندور سابقاً)
(أشهر لاعب كرة سلة)

على طريقة محمد على كلاى.. رياضى آخر من الزوج يتحدى كراهية الأمريكين البيض للسود فى أمريكا ويعتق الإسلام. فمعلوم ما يواجهه بطل العالم السابق للملاكمة فى الوزن الثقيل من عقبات بسبب إسلامه وقوله: أنا من المسلمين. وهذا زنجى آخر من مشاهير لاعبى كرة السلة فى العالم يعتنق الإسلام.. إنه ليو السندور أفضل لاعب كرة سلة فى الولايات المتحدة الأمريكية والعالم. لقد أصبح اسمه الآن كريم عبد الجبار.

أَيُّ الْحَقِيقَةِ؟

- هل أنت ليو السندور؟
- لا! أنت غلطان.
- ظننتك السندور بسبب طولك ومشاهدتى إياك فى إحدى مباريات كرة السلة!
- لا لست أنا ذلك الذى تقصده.
- أحدنا يسأل، والآخر يجيب بالنفى. وكلانا قال الحقيقة!

فالذى يجيب هو ليو السندور ذاته، لاعب كرة السلة الزنجى المشهور فى الولايات المتحدة الأمريكية، لكن لماذا أنكرك السندور ذاته؟

فى الواقع أن السندور لم ينكر ذاته، بل أنكرك اسمه الذى تخلى عنه منذ ثلاث سنوات ونصف. ذلك أن فردينا ليو السندور الذى تلقى علومه فى مدارس نيويورك شب على تعاليم الروم الكاثوليك، ثم اعتنق الإسلام وغير اسمه قانونياً فصار اسمه الجديد: كريم عبد الجبار.

لماذا؟

عُنْصُرِيَّةُ الْأَلْوَانِ الظَّالِمَةِ:

يبدأ كريم عبد الجبار بسرد فقرات من حياة ليو السندور: «كنت أشعر في كل لحظات حياتي أنى غير مقبول فى هذا العالم لكونى أسود. كانوا يذكروننى دائماً فيقولون بأننى زنجى. حتى مدربى فى مراحلى الأولى فى لعبة كرة السلة كان يقول لى دائماً:

- ما زلت تلعب كأى زنجى قدر!

وفى أيام الجامعة كانت إحدى الفتيات من الجنس الأبيض تخرج معى، وكنت أتلقى مكالمات هاتفية بسبب ذلك يقول أصحابها لى:

- أنت عبد قدر!!

وكانت الفتاة تتلقى مكالمات بذيثة!!

وفى إحدى الأمسيات كنت أستقل سيارة فارهة بصحبة اثنين من السود، فاستوقفنا رجال الشرطة وفتشونا بدقة.. وعندما سألتهم عن السبب؟! قالوا أنهم اشتبهوا بنا لأنهم لم يعتادوا رؤية السود فى سيارة فخمة إلا إذا كانت السيارة مسروقة..

هذه الحوادث.. وحوادث غيرها كثيرة جعلتنى أكره البيض قسراً، حتى إننى تشاجرت مرة مع والدتى لسبب من الأسباب، فصرخت فى وجهها قائلاً:

كنت أتمنى لو لم يكن فيك نقطة دم بيضاء واحدة، لأننى أكره كل البيض فى العالم!! (بشرة والدته لم تكن سوداء كثيراً).

الإِسْلَامُ لَيْسَ بَيْنَ الْبَشَرِ:

وبسبب ذلك الشعور المفروض على من المجتمع الأبيض انسحبت من الحياة الاجتماعية، وأصبحت من المؤمنين بتعاليم ما لكولم أكس^(١)، ومنذ ذلك الوقت اعتنقت الإسلام لأنى آمنت بهذا الدين الذى يستطيع فيه الناس أن يعيشوا باخاء حقيقى.

(١) ما لكولم أكس أو (مالك شيباز) شهيد من شهداء كلمة الحق. كان فى مبدأ حياته أحد زعماء حركة المسلمين السود فى أمريكا التى تسمى نفسها اليوم (أمة الإسلام) وهى جماعة يتزعمها شخص يدعى أليجا محمد، يقول أتباعه بأنه رسول الله إلى المسلمين السود فى أمريكا مثلما كان موسى رسول الله إلى اليهود، وعيسى رسول الله إلى النصارى، ومحمد ﷺ رسول الله إلى العرب على حد زعمهم. =

وهل أنتهت متاعب كريم عبد الجبار بعد الإسلام؟
 لقد زادت على متاعب الزنجي، متاعب كريم لأنه غير دينه. فأخذ البعض يصرخون:
 - أيها القزم الحقير ما زلت السندور. جبار جبار إنك لا تساوي شيئاً!!!
 حتى الصحافة لم أنج من تهجمها، ولكن الآن أصبح الجميع مقتنعين أن اسمي الجديد
 هو اسمي الحقيقي.

قد لا يكون كريم عبد الجبار محبوباً من جميع الناس، لكن الجميع يعرفون أن ذلك
 الشاب البالغ من العمر ٢٤ ربيعاً، قد أثبت جدارة أنه أحسن لاعب كرة سلة في العالم
 وذلك عندما حاز على لقب أحسن هداف ونال لقب أحسن لاعب، وجعل الجميع يعترفون
 بأنه يحمل وحده على اكتافه نادي (مليوكي باكس) بل منظمة كرة السلة الأمريكية
 كلها.

ذلك أن كريم يستحوذ على إعجاب ١٧ في المائة من المتفرجين. ورغم أن أولئك
 المتفرجين يكرهونه لأنه أسود، فإنهم يصفقون له لا شعورياً عندما يخلص فريقهم من
 المأزق ويقوده إلى النصر. حتى أنه عندما امتنع عن الاشتراك في الألعاب الأولمبية
 الأخيرة تلقى تهديدات عديدة بالقتل.

وفي مكتب نادي (مليوكي باكس) يتولى رئيس النادي (زاي باترسون) الحديث عن
 كريم وفوق رأسه لوحتان زيتيتان له:

«إن ما يقال عما فعله كريم لمستقبل النادي يجب أن نضاعفه ألف مرة حتى يستوفى

= كما تؤمن هذه الحركة التي لا تزال في أمريكا حتى يومنا هذا أن الله قد ظهر لزعيمة أليجا محمد
 في صورة رجل يدعى قارد، فكلفه بالرسالة ثم اختفى.. يمكن مراجعة ذلك من صحيفة الحركة بالإنجليزية
 وتسمى (محمد يتحدث).

أما مالكوم أكس فقد زار البلاد العربية لأداء فريضة الحج، فأنعم الله عليه بالهداية الحققة، وصحح إيمانه
 وعقيدته، وعاد إلى بلاده فأخذ يدعو قومه إلى الإسلام الحق. فأمن بدعوته الصحيحة عدد قليل من
 الشباب منهم أخونا كريم عبد الجبار. لكن الأغلبية ظلت على تبعيتها للزعيم أليجا محمد، فأخذت
 تكيد له حتى قتل على يد خصومه وهو يخطب. فرحمه الله رحمة واسعة. لكن حركته الصحيحة لم تمت
 بموته إذا لا تزال تنمو في صفوف الشباب.. (وانظر قصة إسلامه برقم ٤٥) المؤلف.

قليلاً من الواقع. ذلك أن النادي فى السنة الأولى التى انضم إليه فيها كريم لم يبرز كما يجب. ولكن فى نهاية عام ١٩٦٩ وطوال موسم ١٩٧٠م فاز النادي بجائزة فلتة الموسم. وفى الموسم الماضى فاز به ٦٦ مباراة من ٨٢ مباراة. وبعد ذلك فاز ببطولة العالم.

ويجب القول أن النادي صار يريح ٨٦٥ ألف دولار كل موسم منذ قدوم كريم إلينا. وإنى لا أستبعد أن تتحقق نبوءات النقاد الرياضيين بأن نادينا سيصبح أحسن فريق عرفه تاريخ كرة السلة إذا بقى كريم معنا».

أما مدرب النادي كوستلو فيقول عن كريم:

«إنه بدون جدال أعظم لاعب رأيناه حتى اليوم. إن وزنه اليوم ١١٠ كيلو جرام، وطوله ٧ أقدام وبوصتان - أى متران و١٨ سم. وإنى أعتقد أن المجال ما يزال مفتوحاً أمامه ليصبح لاعب كرة سلة خارقاً».

آفاتُ المجتمع :

ثم يتولى كريم عبد الجبار الحديث عن نفسه ثانية فيقول:

نشأت فى عائلة محافظة جداً. والذى كان خريج معهد جوليور للموسيقى، لكنه عمل كمرآب لقطارات المترو. ففى ذلك الوقت لم يكن هناك عمل له كقائد أوركسترا لأنه زنجبى!!

أنا إنسان حساس، كثير التأمل، لم تمنعنى الثروة والشهرة اللتان عرفتهما فى سن الخامسة عشرة من التفكير دائماً:

بأن (العنصرية، والجوع، والنفاق) آفات المجتمع الذى أعيش فيه. لقد كنت ألقى الصعوبات بسبب التفرقة العنصرية، وكانت النار لا تنطفىء فى داخلى، تشعلها هذه العيوب، لأجل ذلك كنت أفضل البقاء وحيداً إلى أن اعتدت الوحدة، ومكتفياً بأن أعيش مع أهلى فقط ومع كرة السلة...

إنى أعشق كرة السلة لأنها نوع من الفن، ثم إنها طريقة جيدة لكسب العيش -أليس كذلك؟ باسمًا - فهو يتقاضى مليوناً ونصف المليون دولار سنوياً. هوايتى هى سماع الجاز. أنام ١٢ ساعة وأحلم كثيراً. وكل أحلامى بالألوان! ليس لى أصدقاء

كثيرين. وأنيسى الأول والأخير هو الله، ثم زوجتى (حبيبة) - عمرها ٢٤ سنة، وقد تزوجتها فى شهر أيار الماضى. معها أقضى أوقات اللهو، فهى التى طردت الوحشة من حياتى.

أحب عمل الخير. لقد اشتريت منزلاً فى واشنطن فى الربيع الماضى ثم قدمته إلى الوقف الإسلامى هناك. واشتركت لمدة طويلة فى برنامج يهدف إلى منع الصغار من تعاطى المخدرات، لكنى تركت ذلك العمل لأن اثنين من العاملين معى اعتقلهما رجال البوليس بتهمة الاتجار فى المخدرات^(١).



(١) نقلاً عن ركن الرياضة من مجلة الأسبوع العربى الواسعة الانتشار فلفظاً نستاذن فى نشرها.

إنجلترا :

٤٠- خالد ج. س برونديش

مقدمة :

خالد ج. س برونديش مسلم جديد من مدينة داربي بإنجلترا، أسلم على يد شاب باكستاني في شهر يونيو من عام ١٩٦٧م، وأخذ يعيش وفق التعاليم الإسلامية، وله مراسلات مع كثير من الشباب المسلم في العالم. وكله أمل أن يعينه الله على الثبات على هذا الدين الحنيف.

وهو رجل حساس، رزق رقة العاطفة، وشفافية الحس، ونصاعة الفطرة، تعرض لامتحانات كثيرة وتجارب جمة كانت نهايتها دخوله في دين الله. فسبحان الله رب العالمين.

والآن لنستمع إليه يحدثنا بنفسه عن حياته.

رعاية الله لي :

لعل القارئ الكريم يحس معي أن يد الله تعالى ظلت ترعاني منذ عهد طفولتي المبكرة.

* فقد كنت واحداً من أربعة أخوة، وكنت الوحيد الذي تم (ختانه) بينهم. فهل كان يا ترى تبعاً لتأثير اليهود؟ حيث كان والدي يخالطهم رغم إحداه.

* ولما بلغت السابعة عشر من عمري قدم لى شاب ألماني يهودى نسخة من الترجمة المحرفة لمعاني القرآن. والسؤال المحير هو: لماذا لم أقرأ منها إلا النزر اليسير؟! لقد عرفت الآن أن ذلك خير. فقد صرفنى الله عنها لكونها على تلك الحال التى ذكرت.

* لقد نشأت نشأة نصرانية، وكنت أذهب إلى مدرسة نصرانية ومع ذلك كنت أخالط اليهود، إلى درجة أنني كنت أرافقهم فى الذهاب إلى معابدهم وحضور حفلات الزفاف،

وتعلمت الطقوس المناسبة الواجب أدائها في تلك المناسبات، وقد حسب البعض أنني شاب يهودي حقاً فدعاني إلى الزواج من فتاة يهودية. فقلت له: لست يهودياً. فأجابني بقوله:

- ولكن يمكنك أن تتزوجها وتصبح يهودياً.

وأغرقت بالمال فلم أستجب. ترى هل كانت عناية الله هي التي تمنعني من اغتنام تلك الفرصة التي يتمناها الكثيرون للثراء؟ لقد كنت - بفضل الله - صنفاً فريداً من الشباب. فلم أكن أطمع في شيء من مغريات هذا العالم المادى. لذلك لم أروض للإغراء مهما بلغ.

* ولما كنت في الحادية والعشرين من عمري مالت نفسي إلى اعتناق الديانة الكاثوليكية، وورد في خاطري حيثئذ أنه إذا كانت هناك كنيسة نصرانية بحق منذ العام الأول بعد الميلاد فالكنيسة الكاثوليكية بوسعها أن تزعم لنفسها ذلك، ومن هنا آمنت بالكاثوليكية، لكن والدى الذي كان ملحداً في ظاهر أمره، سرعان ما ثار ضد هذا التصرف من جانبي، وطردي من البيت، ومنع عنى الملابس والنقود، ولم يكتف بذلك بل حرص الآخرين على طردى من عملى إذ أنه كان يتمتع بنفوذ للقيام بذلك.

وهكذا ألقيت في الشارع، فأخذت أنام في حديقة عامة على أحد المقاعد الخشبية فيها، أغسل ثيابى في نافورة بها، وأقتات كل يوم بإنفاق بضع ملائيم (بنسات) فلماذا أصبحت كاثوليكيًا؟ لم أكن مستعداً لطلب العون من أحد من البشر، واعتقدت أن الله لن يتركنى هماً أذوق من العذاب أكثر مما أطيق. لا لن يهملنى ربي.

وهكذا كان. فقد صادف أن شاهدتني والدة صديق كاثوليكي لى فى الحديقة العامة أحاول الاغتسال فى النافورة فسألت عما كنت أفعل؟ فأخبرتها، مما جعل قلبها يغلى غلياناً. وتساءلت: أليس هناك أحد يقدم لك العون؟

وهكذا صحبتنى إلى بيتها كى أبدأ حياة جديدة. فحصلت على عمل أتقاضى منه مرتباً ضئيلاً، وأخذت أكافح بغية أن أكسب المزيد حتى أتمكن من العيش عيشة لائقة. وقد نجحت فى تحقيق ذلك، فأصبحت أملك شقة لى وحدى، وأصبحت قادراً على الإنفاق على نفسى، والتصدق على بعض من هو أسوأ حظاً منى.

* ولعل الله عز وجل كان يختبرني ليرى هل احتمل المزيد من الفتنة. من يدري؟! إذ عندما وقعت الحرب في الشرق الأوسط وذهبت إلى مصر سمعت عند مدينة السويس ملاحظات وتعليقات سيئة وجهها الأجنب ضد المواطنين المصريين. وكنت جندياً إنجليزياً في الحملة الإنجليزية على مصر، فلست أدري لماذا قلت لزملائي الجنود الإنجليز وصرخت فيهم قائلاً:

بالله عليكم هل تحبون أن يخاطبكم أحد بمثل ما تخاطبون به هؤلاء القوم؟.

* وذات مرة أخذ بعض الموظفين الإنجليز ليشاهدوا المساجد في القاهرة، وأعطى كل منهم نعلاً يرتديه فوق حذائه، فلماذا أبيت ذلك وخلعت حذائي وتركته في الخارج تماماً كما يفعل المواطنون؟ إنها هداية الله كذلك.

وذات يوم ذهبت إلى المسجد الأقصى في مدينة القدس ونزعت حذائي وتركته خارج المسجد وذهبت وحدي إلى مكان منعزل وجلست في سلام مع أفكارى، ومع الله. ولم يسألنى أحد، لماذا تجلس أيها الإنجليزى وماذا تفعل هنا؟ لماذا لم يتساءل، لماذا؟ ألا تحدثوننى يا أخوتى ألا تمدون إلى يداً بالأخوة، فأنا رجل إنجليزى أبحث عن شىء ما، لا أدري ما هو؟!

الطَّرِيقُ إِلَى الْإِسْلَامِ:

ثم عدت إلى وطنى، وتزوجت وأصبحت مسئولاً عن أسرة كبيرة، فتلاشت تلك الخواطر تماماً. إلا أن شيئاً غريباً حدث ذات يوم، فقد كنت أفتش فى إحدى المكتبات المحلية عن كتاب مسلّ إذ وقعت يدي على كتاب شاب يهودى المولد، نشأ فى مدينة القدس القديمة، يقول الكاتب:

إنه كان يعجب لماذا كان يمنع من التحدث إلى الصبية العرب الذين كانوا يلعبون ويمرحون فى الخارج.. فى الحارة نفسها؟ لماذا جعله الله مختلفاً عنهم؟ هل هم خلق من نوع مختلف؟ أبداً، كل ما فى الأمر أن أبويه قالوا له ذلك. وهكذا اكتشف الإسلام، وهو بسبيل البحث عما إذا كانوا مختلفين عنه حقاً. أليس إله اليهود وإله النصارى وإله المسلمين إلهاً واحداً؟

ومضت أعوام، حتى جاء عام ١٩٦٧، وكنت فى تلك الفترة مهتمًا بفن المعمار العربى والحضارة العربية، فى ذلك العام قرأت فى إحدى الصحف المحلية خبراً مفاده أن الجمعية الإسلامية ستعقد اجتماعاً تدعو إليه كل من يهتم بذلك. فشعرت أننى من المهتمين وهكذا توجهت لحضور الاجتماع، وكنت الإنجليزى الوحيد بين الحاضرين.

بدأ الاجتماع بتلاوة من القرآن تلاها شاب باكستانى، ثم تحدث رئيس الجمعية حديثاً طويلاً باللغة الأردية لم أفهم منه بالطبع كلمة واحدة، إلا أننى كنت أحس أننى لست وحيداً. وكنت جالساً فى المقعد الخلفى فى صالة الاجتماع، وكلما دخل أحد حبيته بقولى: السلام عليكم، فكانوا يعجبون من أمرى.

وأخيراً انتهى الاجتماع وعدت إلى بيتى، وودعنى رئيس الجمعية إلى باب القاعة: وأعرب لى عن استعداده لتقديم أى عون، وزودنى باسمه وعنوانه للاتصال به عند الحاجة.

ومضت بضعة أيام كنت أحلق خلالها بفكرى بين السحب. فلم أكن أحس أننى أعيش على الأرض. حتى وجدت نفسى ذات يوم واقفاً أبحث عن الرئيس، ولما لم أجده تركت له رسالة قلت فيها: إننى فى انتظاره يوم الجمعة القادم ليلاً عند باب المسجد، أريد أن أدخل المسجد وأعيش بداخله، وجاء الموعد وانتظرت ساعات فى الخارج والمطر يصب فوق رأسى دون أن أبدى حراكاً. حتى جاء شابان فطرحت عليها السلام فأخذنا مدهوشين.. ثم أعدت السلام، فَرَدَّ على وأخذانى إلى مكان الطهور، وكان أول وضوء أمارسه، إذ لا بد من ذلك حتى أدخل المسجد.

جلست فى المسجد وهما يصليان، ولم أكن أفهم كلمة واحدة مما قالوا، إلا أنه تملكنى شعور قوى. هل كان مجرد اهتمام بالصلاة؟ لا، بل أكثر من ذلك.

ثم أخذت أتردد مرتين لكل أسبوع على المسجد، والتقى بالشابين وبدأ الاثنان يوقفانى معهما فى الصلاة، وكنت أمارسها معهما دون أن أفهم ما يقولان.

وبعد شهرين جاء إلى بيتى ذات مساء رجل قال إن الواعظ فى المسجد يريد أن يرانى، وكانت فى انتظارى عند الباب سيارة خاصة.

أَنْتَ الْآنَ مُسْلِمٌ:

وهكذا ذهبت إلى المسجد، وأخذت أردد «لا إله إلا الله.. محمد رسول الله». فقال لى القوم: أنت الآن مسلم، فاختر لنفسك اسماً: ياسر أو خالد، فاخترت اسم خالد سيف الله. وهكذا خرجت من عزلتى وأصبح لى إخوة من كل جنس وفى كل قطر. ولا يستطيع أحد أن يقدر الصعوبات التى يواجهها المرء حين يتعلم الصلاة باللغة العربية. إلا إننى أتقدم مع مرور الزمن. ولكن ببطء.

أما عن الحاضر والمستقبل. فالمستقبل بيد الله والحاضر أتمنى أن أرى فلسطين الحبيبة وقد استعادها إخوانى من أيدي الغزاة الأجانب.

لم يكن إسلامى بالأمر الهين، فعندما اكتشفت زوجتى وأسرتى أننى اهتديت إلى الإسلام بدأت من جديد أقاسى، فكانوا يقولون لى: إن وجودك بيننا غير مرغوب فيه، وأن بوسعى أن أذهب لأعيش مع إخوانى المسلمين. لكن الأمر استقر حالياً ورضى الجميع بالوضع الحاضر، إلا أن هناك بعض المشكلات لا تزال قائمة.

إننى أتوجه إلى ملايين من إخوانى الجدد أن يتوجهوا بالدعاء لى. أن يثبتنى الله على الدين، هذه الجوهرة الغالية.



ألمانيا:

٤١- الحاج أحمد بن عبد الله
رئيس فرن ونفس سابقاً
مفكر ألماني يستسلم للنوچيد (١)

البداية:

عندما كنت بعد يافعاً آمنت بتعاليم الديانة النصرانية، فلم أكن أرتاب فيها؛ إلا إنني لما كبرت قليلاً فبلغت الرابعة عشرة من عمري أو نحو ذلك، بدأت أفكر.

إنني أتذكر الآن أن أكثر ما كان يشوش تفكيري ويشغل بالي لم يكن مجرد الزعم بأن المسيح عيسى عليه السلام هو (ابن) الله، مثلما يزعم النصارى، وإنما قولهم وادعاهم بأن أعدل العادلين وأحكم الحاكمين سبحانه وتعالى قد قتل (ولده) بزعمهم وذلك لإنقاذ البشرية. لم يكن في مقدوري أن أبرر لماذا يقتل الله العزيز أحداً ما؟ لا بل يقتل (ابنه) هو من أجل أن يغفر للناس اعتداءاتهم!!

صِفَاتُ الْإِلَهِ الْحَقِّ:

من هذا المنطلق بدأت أكون نتيجية هي أنه إذا كان هناك إله فليس هو الإله الذي تحدثنا عنه الديانة النصرانية، بل لا بد أن يكون الله فوق حاجات الناس ومفهومهم العقلي المحدود. ورغم ذلك بقيت أعتقد أن الله موجود لا محالة، إذ كنت أفكر دائماً في وجودي نفسه، وفي الطبيعة من حولي وفي الناس، وتطور البشرية من العصر الحجري إلى عصر العقول الألكترونية.

(١) تحت هذا العنوان كتبت نشرة الجهاد الإسلامية الصادرة في جنوب أفريقيا باللغة الإنجليزية قصة إسلام مفكر ألماني. ونشرة الجهاد هذه تنطق بلسان حركة الجهاد الدولية التي تتزعمها مجموعة من المهتمين الجدد من الأوروبيين وغيرهم الذين اهتموا إلى الإسلام وأخذوا يعملون بحماس على نشره. وقد أحرزت الحركة نجاحاً ما في هداية عدد من الشباب، وانتشرت لها فروع في غانا وجزائر القمر وغيرها من البلاد الأفريقية المجاورة.

كنت أشاهد وأأمل الثلج الأبيض يسيح بفعل أشعة الشمس الدافئة، وأرى الأزهار تتفتق وتزهو بعد أن كانت مستورة وبعد أن كانت أزراراً خضراء، وكنت أشاهد الحشرات وهي تطير متنقلة من زهرة إلى زهرة تغذى نفسها، وفي الوقت ذاته تحفظ للأزهار بقاءها فتعمل كوسيط للتلقيح، لقد رأيت الإنسان نفسه وهو يعتمد على الحشرات والأزهار، فهو يأخذ العسل من الجهود المتضافرة التي تبذلها الحشرات كالنحلة مثلاً مع الأزهار، وهكذا يُخرج لنا العسل، لقد لاحظت أن الطبيعة كلها ليست إلا حلقات متعاونة يعتمد بعضها على بعض في استمرار حياته وفي وجوده ذاته، وفهمت أن الإنسان أيضاً جزء من هذه السلسلة من الحلقات المتصلة، ولما كان الإنسان جزءاً من الطبيعة، ولما كانت الطبيعة ذاتها طيبة بعيدة عن الخبث فلا بد أن تكون فطرة الإنسان طيبة، لذلك فلا بد أن قصة قتل المسيح عليه السلام كلها من أجل خلاص الإنسان، لا بد أن هذه القصة مجرد خيال لا حقيقة وراءه.

في هذه المرحلة من تفكيرى وعمرى تكونت في ذاكرتى فكرة جلية واضحة عن الله، فكرة واحدة من بين صفات الله الكثيرة، تلك هي أن الله هو خالق هذا الكون كله، وأيقنت أن الإنسان عندما ينتكس ويصبح شريراً خبيثاً فإنه بذلك يكون متمرداً خارجاً على فطرته، وكان على أن أعرف بنفسى مزيداً من صفات الله تعالى، وأن أتعرف على المزيد من جوانب فطرة الإنسان الحققة والمجتمع المثالى الذى يجب أن يعيش الإنسان فيه.

قِرَاءَاتٌ وَرَحَلَاتٌ :

هنا.. شرعت فى المطالعة والقراءة، فقرأت عن مختلف الديانات فوجدت منها ديانات بدون إله، وأخرى جاءت لقوم مختارين، وثالثة تؤمن بتعدد الآلهة، وتقيم مجتمعاً منافياً لطبيعة البشر، أما الديانة النصرانية فقد نظرت إليها نظرة الشك منذ أمد بعيد.

فى تلك الآونة قرأت عن الإسلام، إلا أننى كَوَّنت عن الإسلام رأياً من خلال ما كُتِبَ عن المسلمين فى العصور الوسطى، إذ شعرت أن المسلمين يمتازون بالعنف مثلهم فى ذلك مثل الصليبيين، وذلك بسعيهم لبناء إمبراطوريات بالدم والعرق الذى يبذله رجال رُحَل بسطاء ورجال فلاحون.

فى ذلك الحين، أى فى صيف عام ١٩٦٦ للميلاد ذهبت إلى تركيا وسوريا وأذكر أننى زرت مسجد السلطان أحمد فى أسطنبول، كما زرت قبر (الرومى) فى مدينة

(قونيه)، وكذلك زرت إفسوس (Ephesus) وهي عبارة عن مكان أثري للرومان، يقع على هضبة قريبة منه معبد صغير يقال إن العذراء مريم توفيت فيه.

وقد اكتشفت هنا شيئاً رائعاً ذلك أن النصارى والمسلمين وجدتهم يصلون سوياً في نفس المكان، ولقد أحببت أن أصلى معهم، إلا أنني لم أكن أعرف الله مثلما عرفه الآخرون، إلا أنني دعوت الله الذي لم أكن أعرفه أن يفرس في قلبي معرفته.

مَشْهُدٌ لِأَنْسَاءِ:

وبعد أيام قليلة وصلت إلى أزمير فشاهدت شيئاً لن أنساه أبداً ما حييت. رأيت في وسط طريق رئيسي في مدينة أزمير برجاً يقع على قطعة أرض صغيرة ومن حوله الأعشاب والأزهار، وحركة المرور قوية تندفع ذات اليمين وذات الشمال. نظرت وتأملت المكان فرأيت رجلاً يفرش سجادة للصلاة على الحشائش، ويرفع يديه إلى مستوى رأسه، ويسكن برهة من الزمن (ليست قصيرة)، ثم يتحنى عند خاصرته (يركع) ثم (يسجد)، بقيت أتأمل الرجل وأنظر إليه حتى طوى السجادة؛ وهم بالانصراف عند ذلك عبرت الطريق إليه وفي نيتي أن أسأله عما فعل، ولم فعل ذلك؟ لكنه كان رجلاً مسناً فلم أستطع محادثته بلغته (التركية) واكتفى بالابتسام لي...

على الرغم من ذلك.. ورغم أنني لم أحظ بتفسير من الرجل ظلت الحقيقة واضحة في ذهني وهي:

أنني رأيت شخصاً يصلي في منتصف النهار، وفي قلب المدينة لا بل في قلب حركة المرور الدائبة المندفعة؛ لقد استقر في اعتقادي أن هذا رجل يعرف ما يفعل ولولا ذلك لما فعله بهذه الطريقة بالذات، فقررت أن أعرف المزيد من الإسلام أكثر مما كنت أعرف عن هذا الدين من قبل.

دِرَاسَةُ الْإِسْلَامِ:

عدت أدراجي إلى ألمانيا فحاولت الحصول على مزيد من الكتب عن الإسلام، فلم أجد إلا النزر اليسير منها، فاشتريت في حدود ما سمحت لي إمكانياتي الضئيلة من كتب رغم انشغالي بالدراسة.

بدأت أقرأ عن الإسلام، ولم أنس أن أقارنه بالعقائد والديانات الأخرى. وأحسست

أننى سأصبح مسلماً إن عاجلاً أو آجلاً، إلا أن سؤالاً واحداً ظل يراودنى ويحيرنى؛ وهو مسألة القضاء والقدر. فكل كتاب وقعت عليه يداى وطالعه كان يقرر أن كل شيء مقدر عند الله للإنسان، وكما كنت أنتقد تصور النصارى بأن الله لا بد أن يقتل (ولده) فى سبيل إنقاذ البشرية، كذلك تصورت أن من المحال أن يعاقب الله الإنسان على ذنب مقدر عليه.

قرأت ترجمة معانى القرآن الكريم مرة إثر أخرى فوجدت فيه آيات كثيرة تشير إلى القدر، كما وجدت آيات كثيرة أيضاً تقرر أن الإنسان له مشيئة خاصة به. هذا هو الإشكال الذى لم أتمكن من إيجاد مخرج منه.

حدث ذلك كله وأنا مازلت عَزَبًا لم أتزوج. وما إن التقيت بزوجة المستقبل وكانت مسلمة ماليزية، كان طبيعياً أن أبحث معها مسألة (التقدير) فهيات لى فرصة لمناقشة أقرائها، وهكذا دارت مناقشات أفدت منها فهماً أفضل للإسلام والقرآن إلا أننى لم أجد فيها حلاً لقضية القضاء والقدر.

دَخَلْتُ فِي الْإِسْلَامِ :

وأخيراً تزوجت وفعلت شيئاً لم أكن أتصور أننى فاعله فقد قررت الدخول فى الإسلام دون أن أحل مشكلتى! فقد تأثرت تأثراً شديداً من زوجتى التى وضعت كل ثقتها بى وغيّرت حياتها كلها دون أن تعلم ما يخبئه المستقبل لها، لقد هزنى هذا الإحساس بموقفها وثقتها بى فبادلتها ثقة بمثلها، كما اطمأنت إلى دينها بالرغم من استمرار قضية (التقدير) شائكة فى مخيلتى.

وهكذا دخلت فى الإسلام رسمياً رغم تدمير أصدقائى وأفراد أسرتى من هذا التصرف الذى وصفوه بأنه تصرف غريب شاذ!

شرعت فى تلاوة القرآن مرة بعد أخرى وبدأت أتعلم الصلاة، وامتنعت عن أكل لحم الخنزير وشرب الخمر.

وبعد ذلك بأشهر قليلة ذهبت إلى سنغافورة ومعى زوجتى لمقابلة أسرتهما؛ وذات صباح بينما كنت أتجاذب أطراف الحديث مع خالة لزوجتى وكنا نتحدث عن الإسلام وكيفية دخولى فيه وعن مسألة (التقدير) وكيف كانت لا تزال لغزاً محيراً بالنسبة لى؟ دخلت حماتى إلى الغرفة التى كنا نجلس فيها وبعد أن استمعت طويلاً لحديثنا قالت:

اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ :

- نعم. صحيح أن هناك تقديرًا؛ إنه في القرآن. إنه كله مسجل في القرآن، فإذا بدأت في قراءة سورة من القرآن فأول كلمات تنطق بها هي ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فالله عز وجل ليس فقط القاضى الحاكم، بل هو الرحمن الرحيم كذلك.

هذه الكلمة السهلة غير المعقدة كانت بمثابة كشف جديد بالنسبة لى، فأيقنت أن (قضية التقدير) التى ظلت تؤرقنى وتشغل فكرى طوال هذه السنوات الكثيرة قد انتهت بشىء واحد، هو ثقته فى الله تمامًا، وهكذا انتهت الشبهة.

إننى أعلم الآن أنه لا جواب على مسألة التقدير إلا بالثقة الكاملة والاطمئنان إلى عدل الله، وهكذا بلغت عملية إسلامى مرحلتها النهائية، ولم يبق أمامى حتى أكون مسلمًا إلا أن أستسلم وأخضع خضوعًا كاملاً لإرادة الله، وحكمة الخالق سبحانه وتعالى.

وبعد، فهكذا انتهت قصة إسلام الأخ الحاج أحمد بن عبد الله (ديتريش فون دنفر سابقًا) من ألمانيا الاتحادية (الغربية) ونحن نشكر مجلة الجهاد الإسلامية الدولية الصادرة فى جنوب أفريقيا لإتاحة الفرصة بنشر هذه القصة. ونتمنى للأخ الجديد استقراراً فى عقيدته وإيماناً راسخاً لا يتزعزع.

والله الموفق والهادى إلى ما يريد.

الاسم والعنوان:

Hajji Ahmad Ibn Abdullah,

655, Bad Kreuznach, Stettinerstrasse 24,

Fed. Republic of Germany

ملاحظة :

لقد من الله على هذا الأخ حين صدق فى عقيدته، فمنحه الله القوة وحصل على (ماجستير) فى الدراسات الإسلامية، وأخذ يؤلف ويترجم الكتب الإسلامية إلى اللغة الألمانية فسبحان الهادى إلى خيرى الدنيا والآخرة.

المترجم

الولايات المتحدة الأمريكية:

٤٢- محمد ظاهر

في الزاوية الجنوبية الغربية من ولاية (ميسوري) تلتقى جبال الأوزارك بالسهول العظيمة ذات المزارع الفسيحة.. هنا قلب أمريكا حيث تمت ولادتي قبل الحرب العالمية الثانية بعشرة أشهر، وهنا قضيت طفولتي المبكرة في مزرعة العائلة بالقرب من خط ولاية كنزاس.

لقد قضى والدي نحيبه بعد ولادتي بوقت قصير فترك والدتي تتحمل مسئولية ضخمة تتمثل في تربية ثلاثة أبناء وابنة واحدة، إلا أن والدتي التي ساهمت إبان طفولتها في فتح المنطقة الهندية كانت تتمتع بشخصية صارمة كما هو حال الفاتحين؛ فأعانها ذلك على أداء مهمتها في تربيتنا.

لأنتمى للكنيسة:

والحق أننا لم نكن ننتمى لأية كنيسة من الكنائس، إلا أن والدتي كانت عميقة التدين تتمتع بإيمان راسخ بالله القوي، فلا زلت أذكر ليالي كثيرة قضيناها حول المدفأة نغني أناشيد الإنجيل بالطريقة الريفية، وباختصار يمكن تلخيص تعليمنا الديني الرسمي بكلمات سمعت والدتي ترددها مرات كثيرة جداً وهي:

« ليس من الضروري أن تذهب للكنيسة حتى تصبح نصرانياً حقاً ».

في تلك الأيام المبكرة من حياتي نشأت في المزارع الفسيحة في ميسوري الغربية وحيداً، وكانت جدتي هي أقرب جار لنا على بعد ميلين اثنين. فتكونت لي شخصية مستقلة استقلالاً شديداً. كنا نعيش في بيت كبير قلّ استخدامنا له بعد أن غادرتنا شقيقتي ثم أخي.

لا زلت أذكر كيف اكتشفتُ العالم الكبير من حولي لأول مرة، كنت آنذاك في الخامسة أو السادسة من عمري، ألعب في إحدى الغرف المهجورة التي لم نكن نستخدمها، فعثرت على موسوعة شاهدت فيها خارطة للعالم بهرتني بسحرها وألوانها

المختلفة التي تميز بها كل بلد عن غيره، ولعلني عقدت العزم حينئذٍ على أن أنطلق لأرى بنفسى بعض البلاد التي صورتها لى تلك الخارطة.

ولقد استقطب اهتمامى بالذات، اللون الوردى الذى رسمت به أرض تسمى (الإمبراطورية العثمانية).. ومضت فترة من الزمن وكنت فى الصف الرابع عندما كنا نعيش فى (كنتاكي) قرأت خارطة أخرى للإمبراطورية العثمانية وكنت مشغوفاً بدراساتى الجغرافية بشعب وادى دجلة والفرات، وظل الحال على ذلك حتى بلغت الصف السادس، وعندها بدأ كل شىء يتبلور أمام ناظرى.

خَطَّاءُ الْمَعَامَّةِ يَدْفَعُونَ لِلْإِسْلَامِ:

كانت معلمتنا المعمدانية تتأجج حماسة، وكان همها أن تنقذ أرواحنا قبل كل شىء أكثر من أن تعلمنا، وفى صباح كل يوم اثنين كنا نُؤمَّر بالوقوف واحداً تلو الآخر لنردد جملة من الإنجيل، ونجيبها عما إذا كنا فى الكنيسة فى يوم الأحد السابق، ولن أنسى أبداً كيف كنت أشعر بالضيق عندما كنت أضطر إلى الإجابة بـ «لا»، وأحياناً كنت أكذب مما كان يبعث فى نفسى خوفاً أكبر بأننى سأذهب إلى جهنم لأننى كذبت.

لقد عرفت الإسلام لأول مرة فى حصة التاريخ حين كنا ندرس العصور الوسطى وكانت هناك - إذا لم تخنى الذاكرة - صفحتان عن محمد وانتشار (المحمدية) فقالت معلمتنا ما يلى:

(فى الوقت الذى نؤمن فيه نحن النصارى أن عيسى ابن الله، فهم يؤمنون أن محمداً (ابن الله).

فتساءلت وفى نفسى خوف من أن ينزل على غضب الله القوى ورغم ذلك رفعت يدي وقلت:

«ولم لا؟ إذا كان المسيح عيسى هو ابن الله فلست أفهم لماذا لا يكون محمد ابن الله أيضاً؟!» وتابعت درس التاريخ فقضينا ما تبقى من الحصة نتحدث عن نظام الإقطاع فى أوربا، المهم أنه ثار فى نفسى اهتمام بالإسلام وقررت أن أعرف كل شىء عن هذا الرجل محمد الذى «زعم أنه هو أيضاً ابن الله» - على حد قول معلمة التاريخ- وبالرغم من صغر حجم المكتبة الموجودة فى مدرستنا مما لم يهيبى لى العون

المطلوب للاطلاع ومعرفة الحقيقة إلا أنني سرعان ما اكتشفت أن المسلمين، على النقيض مما اعتقدت مدرّسة التاريخ في الصف السادس يعتقدون أنه لا محمد ولا عيسى ابن الله، وإنما يؤمنون أنهما رسولان صالحان من عند الله عليهما الصلاة والسلام.

هذه الحقيقة كانت معقولة بالنسبة لصبي في الثانية عشرة من عمره أكثر من صراع النصراري وجلبتهم حول أي من الرجلين ابن الله حقاً!

وفى يوم سبت، بينما كنت أتجول في السوق مع والدتي عثرت على طبعة جيب من كتاب (المحمدية) للمؤرخ الإنجليزي الكبير «جب» فاشتريت الكتاب وقرأته مرات عديدة.

في الكتاب المذكور يورد المؤلف عدداً من الآيات من القرآن الكريم، حفظت كثيراً منها باللغة الإنجليزية ولا أزال أذكر حتى الآن أن آيتي المفضلة بالذات هي الآية التالية:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

كم من ليلة كنت أجلس وحيداً تماماً عند نافذة غرفتي أتأمل السماء المزينة بالنجوم وأردد هذه الآية مرات ومرات، وفي ليلة من هذه الليالي أحسست أنني أصبحت مسلماً! كنت آنذاك شاباً صغيراً في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من عمري، لم يسبق لي أن قابلت أي أخ مسلم، لقد أسلمت نفسي ووضعت مصيري في يد خالقي:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۗ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١ - ٣].

* * *

النشاط العملي:

بهذه الكلمات يختتم الأخ محمد طاهر حديثه عن نفسه، وهذا هو الاسم الذي اتخذته لنفسه بعد أن أسلم، ولقد سافر الأخ محمد طاهر إلى الكويت بعد ذلك تحدوه رغبة لتعلم المزيد عن دينه الجديد، وفي الكويت أصبح تلميذاً لداعية إسلامي معروف في أحد مساجد الكويت، وبعد عام أو يزيد عاد إلى بلدة الولايات المتحدة الأمريكية وأنشأ

جمعية إسلامية سماها (جمعية الفرص الإسلامية اللامحدودة) فى مدينة واشنطن، وأخذ يدافع عن الإسلام والدعوة الإسلامية، وأخذ يصدر نشرة تحت عنوان: (إسلامك أيتمز) (Islamic Items) وفيها يتبنى القضايا العربية الإسلامية ويدافع عنها، ويرد على كتابات الصهاينة فى الصحافة الأمريكية، ويلقى فى سبيل ذلك الكثير من التهديد والمشقة، كل ذلك وحده وعلى نفقته بالتعاون مع بعض الشبان المتحمسين من أمثاله. كما أنه يدعو غير المسلمين إلى الدخول فى الإسلام.

لقد تأسست جمعية (الفرص الإسلامية اللامحدودة) فى ديسمبر عام ١٩٧٠ وهدفها حمل الإسلام إلى الشعب الأمريكى وبخاصة إلى الشبان الأمريكانيين بأسلوب يفهمونه، وهذه أهم أوجه نشاط الجمعية المذكورة:

- برنامج إذاعى أسبوعى مدته خمسة عشرة دقيقة يصدر من سيشل - واشنطن، ويبث من أربع محطات إذاعية مختلفة والبرنامج بعنوان: (الإسلام وماذا يعنى لأمرىكا المعاصرة؟).

- إقامة أجنحة ضيافة إسلامية فى شتى معسكرات الشباب فى الولايات المتحدة الأمريكية.

- نشر وتوزيع مختلف الرسائل والنشرات الإسلامية التى تهتم الشباب، وقد قامت الجمعية بتوزيع ٥٠,٠٠٠ نشرة إسلامية.

- برنامج محاضرات تتحدث عن الإسلام وموجهة لرواد الكنائس وقاعات الدرس فى الجامعات ونوادى رجال المهن ومنظمات الشباب.

ويبلغ أعضاء الجمعية التى بدأت برجل واحد مائتى عضو الآن.

وهذا هو عنوانها الكامل لمن شاء الاتصال بها وبالأخ المذكور:

Mr. Muhammad Tahir,

Executive Director, Islamic Opportunities Unlimited I 000 Connecticut Avenue N. W. Washington D. C. 20036 U.S.A.



إنجلترا:

٤٣ - الدكتور م. ح. دوراني لماذا أصبحت مسلماً؟

رؤيا هادية:

قبل ثلاثين عاماً، وفي مرحلة مبكرة من حياتي أصبحت نصرانياً تحت تأثير إحدى المدارس التبشيرية المسيحية، وقضيت معظم حياتي السابقة في كنيسة إنجلترا حيث كنت قسيساً في الكنيسة الإنجليزية منذ عام ١٩٣٩ وحتى عام ١٩٦٣ للميلاد. وجاءني الإسلام كما يأتي فصل الربيع، فعدتُ إلى دين آبائي وأجدادي السابقين وأعنى به الإسلام.

بهذه الكلمات يبدأ الدكتور (م. ح. دوراني) قصة عودته إلى الإسلام، إذ أنه يمثل نغماً جديداً من الشخصيات، فهو سليل أسرة مسلمة منذ القدم، وكل ما في الأمر أنه تربى في مدارس التبشير فتعلم فيها علوم الدنيا ونجحت المدرسة التبشيرية في إخراجه من دينه، وهذا يذكرني بقصة رئيس السنغال (ليوبولد سنجور) الذي نشأ في أسرة مسلمة وتربى في مدارس المبشرين حتى تخرج قسيساً كبيراً، وعاد إلى بلاد السنغال ليحكمها علماً بأن جميع أفراد عائلته مسلمون، بل إن جميع سكان السنغال تقريباً مسلمون، والفارق الوحيد بين الدكتور دوراني وبين سنجور هو أن الأول عاد إلى الحق المبين.

ويستأنف الدكتور دوراني قصته قائلاً:

إن سبب عودتي إلى دين الإسلام يرجع إلى الإلهام الذي اقتبسته من منام ظهرت لي فيه بركات النبي الكريم محمد ﷺ (يقصد أنه رأى النبي محمداً في المنام) وإنني أحمد الله الآن وأثنى على رسوله، وإن نفسي تهجش بالسعادة لأنني وجدت النبي عليه الصلاة والسلام منقذ الخطائين.

هُدَايَةُ اللَّهِ وَلُطْفِهِ :

فهداية القلب وتحوله بيد الله سبحانه، والحق أننا بدون هداية رب العالمين لا ينفعنا العلم الذي نحصله كله، ولا تفيد جهودنا وبحوثنا عن الحقيقة قيد أمثلة، بل ربما ساقنا ذلك إلى الضلال، فنحن بحاجة إلى العقيدة التي بدونها لا ينفع منطق مهما عظم، ولا تجدى فصاحة مهما اشتدت، كما لا يفيد أى علم مهما كان عميقاً، كل ذلك لن يحقق للإنسان الرضا إلا إذا حظيت روحه بالدليل والبرهان، والسبيل الوحيد لتحقيق ذلك هى فى تلقيه هبة من عند الله.

وإن النقطة التى أود التركيز عليها بالذات هى أن كل واحد منا معشر الناس فى أعماقه بصيص نور هادٍ إذا اتبعناه بصدق وإخلاص أضفى علينا الرضا، وفى وقت من الأوقات، وربما كان ذلك فى ريعان الشباب أو فى سن الشيخوخة يحس المرء بما يشبه الطيف أو الرؤيا أو الإلهام ويشعر بمثل أعلى، وكأن إصبعاً تُشير إليه، وكأن صوتاً يدعو: أن هيا انهض وقم إلى حياة أسمى، هذا هو الطريق، فسر على هديه».

وربما لا نستطيع أن نفسر ذلك، ولكن الله يتجلى لنا بطرق وأساليب كثيرة، فيغرس فى أعماق كل منا حاسة مبصرة يفهمها كل واحد منا نحن البشر...

نُورٌ وَهَدَفٌ أَسْمَى :

هناك نور يشرق فى نفس الإنسان عندما يشعر للمرة الأولى أن هناك أهدافاً وغايات سامية للحياة. ألسنت تذكر تجربة كهذه مرت بها نفسك فى لحظة من لحظات الهم والشعور بخيبة الأمل؟! وروحك كلها تصرخ متمردة ضد وجودك التافه الخاوى من كل معنى وحياتك الرتيبة المملة؟ وقلت لنفسك: ألم يخلقنى الله لهدف أفضل من هذا؟ إذ انهض كل صباح وأذهب إلى عملى لأخدم صاحب العمل الذى يجركرشه ويمتص زبدة عمل رجاله، أو أن أستعبد فى مقعد أو فى حانوت، وأعيش فى دوامة قلق لا نهاية لها ساعياً إلى التوفيق بين غايتين متناقضتين؟ لا بد أن فى الحياة أموراً أفضل من هذه وأكثر إرضاءً، إن لى عقلاً وروحاً وشخصية مستقلة، ومقدرةً على تحقيق شىء سامٍ، إلا أن جبروت الظروف القاسية التافهة قد سحق ذلك كله من نفسى... أعتقد أنك مررت بهذه التجربة ورأيت فى وسط هذا الليل المدلهم من الشقاء النفسى أن نوراً قد سطع

فجأةً من نجم الأمل المتلألئ، لقد شاهدت رؤيا حول ما تعنيه حياتك وما يمكن أن تكون عليه.

لقد خاطب الله روحك، من خلال كلمة في كتاب سماوي، أو صوت داعية يدعو، أو من خلال قصيدة وردت بخاطرك، لقد فتح عينيك لرؤية المعنى والغرض الحقيقي من عملك، لقد أراك أن الحياة الروتينية والشقاء والتعب، وهي أمور كانت تبدو لك أنها تنتزع الحياة منك شيئاً فشيئاً، إلا أنها في الحقيقة وسائل يسخرها الله لتشكيل شخصيتك، وفرص لخدمة بني قومك، يا لها من نقلة رائعة ينتقلها تصور الإنسان الشامل حين يمسك بالحقيقة الكبرى وهي أن الحياة عبارة عن مُهمّة، عبارة عن دعوة جعلت هذا العالم الصغير مكاناً أفضل وأروع وأجمل وأسعد، ما أعظم القوة الكامنة في الخير البسيط، الذي يأخذ بأيدي الناس نحو السماء.

قد يساء فهم الكلمات، وقد تفسر الأفعال تفسيراً سيئاً ولكن النور الذي يسطع في النفس التي تسعى أن تعيش في الآفاق السماوية العليا - هذا النور يلمس وبارك كل من يقترب منه، وهذا هو ما ندين به لله تعالى، ثم للنبي الكريم محمد عليه الصلاة والسلام.

أستطيع أن أقول بكل قوة إنه لا يوجد مسلم جديد وإجد لا يحمل في نفسه العرفان بالجميل لسيدنا محمد ﷺ لما غمره به من حب وعون وهداية وإلهام، فهو القدوة الطيبة التي أرسلها الله رحمة بنا وحباً لنا حتى نفتق أثره.

ولعلنا جميعاً قد مررنا بتجربة هذا العالم لا مرة واحدة بل مرات عديدة، ورأينا نفس المثال، ونفس الإلهام الداخلي العميق الذي يبعثنا من غفلتنا وعدم مبالتنا، فيحيي فينا روح التحرك الروحي، ويأمرنا أن نكرس كافة جهودنا للمضي قدماً على الطريق الذي يفضي بنا إلى الله، أما أنا فلم أكن عاصياً للرؤيا السماوية، وهذا فضل الله عليّ.

دِرَاسَتِي لِحَيَاةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ :

ولكننا نحن البشر ونحن نعود أدراجنا كثيراً ما نجد أنفسنا أننا نسير في الطرق المهجورة، وتقودنا الإلتواءات المفاجئة مرة ثانية إلى الأيام الخوالي، وفجأةً نُضَلِّ، رغم أن الطريق قد يبدو لنا سويّاً ونجد أننا سرنا على الدرب الذي كنا عليه في الأغوام

المنسية... وأخيراً أخذت أدرس حياة النبي محمد ﷺ فأيقنت أن من أعظم الآثام أن تنتكر لذلك الرجل الرباني، الذي أقام مملكة لله بين أقوام كانوا من قبل متحاربين لا يحكمهم قانون، يعبدون الأوثان، ويقتربون كل الأفعال المشينة، فغير طرق تفكيرهم، لا بل بدل عاداتهم وأخلاقهم وجمعهم تحت راية واحدة وقانون واحد ودين واحد، وثقافة واحدة وحضارة واحدة وحكومة واحدة، وأصبحت تلك الأمة، التي لم تنجب رجلاً عظيماً واحداً يستحق الذكر منذ عدة قرون، أصبحت تحت تأثيره وهدية تنجب ألوفاً من النفوس الكريمة التي انطلقت إلى أقصى أرجاء المعمورة تدعو إلى مبادئ الإسلام وأخلاقه ونظام الحياة الإسلامية وتعلم الناس أمور الدين الجديد.

لقد قام النبي محمد ﷺ برسالته لا عن طريق أي إغراء دنيوي، أو اضطرار أو جبروت، بل بفضل خلقه الذي يأسر القلوب وشخصيته الحبيبة وتعاليمه المقتنعة، فهو بأسلوبه وأخلاقه العالية الرفيعة استطاع أن يحول الأعداء أنفسهم إلى أصدقاء، كما استقطب قلوب الناس بحبه لهم.

ولكن عندما بدأ النبي محمد ﷺ دعوته انقلبت الأمة الجاهلية ضده، وألقيت عليه الشتائم والحجارة، كما تعرض شخصه الكريم لكل ما يمكن تصوره من صنوف التعذيب والقسوة. واستمر ذلك لا لمدة يوم أو يومين وإنما ظل بدون انقطاع طوال ثلاثة عشر عاماً كاملة من المتاعب، وأخيراً خرج إلى المنفى، وحتى في المنفى لم ينعم بالراحة، وإنما صادف المتاعب المختلفة، فقد قامت جزيرة العرب كلها قومة رجل واحد ضده، فهددته وهاجمته بدون توقف لمدة ثمان سنوات كاملة، فتحمل ذلك كله، فلم يتزحزح شعرة عن موقفه، وكان صامداً، رابط الجأش صلباً في أهدافه وموقفه، عرضت عليه قبائل مكة أن تنصبه ملكاً عليها وأن تضع عند قدميه كل ثروات البلاد إذا كف عن الدعوة إلى دينه ونشر رسالته، فرفض هذه الإغراءات كلها فاخترار بدلاً من ذلك أن يعاني من أجل دعوته، لماذا؟ لماذا لم يكتثرث أبداً للثروات والجاه والملك والمجد والراحة والدعة والرخاء؟ لا بد أن يفكر المرء في ذلك بعمق شديد إذا أراد أن يصل إلى جواب عليه.

المثل الأعلى للتضحية :

هل بوسع المرء أن يتصور مثلاً للتضحية بالنفس وحب الغير والرأفة بالآخرين أسمى

من هذا المثال، حيث نجد رجلاً يقضى على سعادته الشخصية لصالح الآخرين، بينما يقوم هؤلاء القوم أنفسهم الذين يعمل على تحسين أحوالهم ويبدل أقصى جهده في سبيل ذلك، يقومون برميته بالحجارة والإساءة إليه ونفيه وعدم إتاحة الفرصة له للحياة الهادئة حتى في منفاه، وأنه رغم ذلك كله يرفض أن يكف عن السعى لخيرهم؟ هل يمكن لأحد أن يتحمل كل هذا العناء والألم من أجل دعوة مزيفة؟ هل يستطيع أي متقول غير مخلص، خصب الخيال أن يبدي هذا الثبات والتصميم على مبدئه والتمسك به حتى آخر رمق، دون أدنى وجل أو تعثر أمام الأخطار وصنوف التعذيب التي يمكن تصورها وقد قامت عليه البلاد بأكملها وحملت السلاح ضده؟!

إِنَّهُ حَقَّقَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ :

فهذا الإيمان وهذا السعى الحثيث وهذا التصميم والعزم الذي قاد به محمد ﷺ حركته حتى النصر النهائي، إنما هو برهان بليغ على صدقه المطلق في دعوته، إذ لو كانت في نفسه أدنى لمسة من شك أو اضطراب لما استطاع أبداً أن يصمد أمام العاصفة التي استمر أوارها أكثر من عشرين عاماً كاملة. هل بعد هذا من برهان على صدق كامل في الهدف واستقامة في الخلق وسمو في النفس؟ ... كل هذه العوامل تؤدي لا محالة إلى الاستنتاج الذي لا مفر منه وهو أن هذا الرجل هو رسول الله حقاً. هذا هو نبينا محمد ﷺ، إذ كان آية في صفاته النادرة، ونموذجاً كاملاً للفضيلة والخير، ورمزاً للصدق والإخلاص، إنه رسول الله العظيم، رسول الله للعالمين. فحياته وأفكاره، وصدقه واستقامته، وتقواه وجوده، وشخصه وخلته، وعقيدته ومنجزاته، كل أولئك براهين فريدة على نبوته. فأى إنسان يدرس دون تحيز حياة النبي محمد ورسالته سوف يشهد أنه حقاً رسول من عند الله، وأن القرآن الذي جاء به للناس هو كتاب الله حقاً، وكل مفكر منصف جاد يبحث عن الحقيقة لابد أن يصل إلى هذا الحكم.

الإسلامُ دينُ الحياةِ العمليَّةِ :

أما عن الإسلام فأكثر ما استهوانى إليه كان ولا يزال جوانبه العملية. فإذا أردت أن تشاهد علاقة الحب الحقيقية التي تقول: «أحب جارك مثلما تحب نفسك» فستجدها في

أخوة الإسلام، لا في الكنيسة حيث يسعى البابا والمطارنة والأساقفة وغيرهم وراء السلطة مستخدمين اسم الله كمبرر لما يفعلون.

من تعاليم المسيح: «لا تقاوم الشر، ولا تفكر في الغد» فإيا لهذا من تعليم عظيم للسمو الروحي، ولكنه عند التطبيق فاشل تماماً، قد يكون شعوراً بالرضى الفكري، إلا أن هذا التعليم لا قيمة له على الإطلاق كوسيلة لإحداث ثورة في العالم وتحسين أحوالهم روحياً وفكرياً ومادياً، إنني أكن أعظم إعجاب لأولئك الرجال الذين يتبعون حقاً تعاليم المسيح عليه السلام، ولكنني واثق أيضاً أن هذه التعاليم لا تطبق بحال من الأحوال. فالكنائس النصرانية تعجز عن تحقيق أهدافها لأنها في شئونها الإدارية تحدث فجوة بين الله والعالم، وليس لديها حلول عملية لمشكلات الحياة الإنسانية، فهي لا توفق بين تعاليمها وبين الحياة في هذه الدنيا، من أجل ذلك تفتقر الكنائس باستمرار إلى الناحية الروحية، ورغم أن رجال الكنائس في صحة جيدة وهندام حسن إلا أنهم بين ضلوعهم يضمون نفوساً شقية وأرواحاً تعيسة بائسة.

عَبَقْرِيَّةُ النَّطِّيقِ:

إن الدين الذي ليس لديه إلا الناحية النظرية بينما يفتقر إلى التطبيق لا يمكن أن يكون نافعاً لأحد من الناس، ومن الطبيعي أن يتحول إلى صورٍ وأحلامٍ جوفاء، فالإنسان العادي ليس فيلسوفاً، إذ يحتاج إلى قوانين وإرشادات إيجابية تهديه في حياته، ومن ذلك إفعل كذا ولا تفعل كذا، فالدين الذي ليس فيه مثل هذا القانون لا فائدة منه، لأنه لن يؤثر في الأفراد في حياتهم اليومية ولا يمكنه أن يرشد إلى قواعد الأخلاق العامة.

أما الإسلام، فلديه كل من النظام والقانون، فالشعائر الدينية المفروضة على الأشخاص لها هدف خلقي، وليس القصد منها مجرد الحصول على الرضا من السماء، وإنما تهدف إلى تنظيم الفرد خلقياً وروحياً بطريقة معقولة، كما تهدف إلى تطهير عقله وتنقيته وكذلك تقويته كي يؤدي واجباته تجاه الآخرين الذين يعيشون معه، فالإسلام هو الدين الوحيد من حيث إنه نظرياً وعلمياً لا يطلب من المرء أن يؤمن بمبادئ هامة وأسرار غامضة كما هو الحال في الديانة النصرانية، إذ أن الإسلام يتقبل جوانب الحياة الروحية والمادية على حد سواء، ويضع كلاً في موضعه اللائق به، ويقيم فلسفته على أساس أن تغطي كافة جوانب السلوك الإنساني.

أضف إلى ذلك أن القانون لا بد أن يكون قائماً على أساس العدل والمساواة والضمير الحسن، وليس على أفكار كالمولد والطبقة أو الامتيازات الطائفية، وإنما على المبادئ الخلقية، على المساواة الأساسية بين جميع الناس دون أدنى تمييز بسبب العنصر أو المولد أو الطائفة أو الطبقة أو الغنى.

والإسلام، بادئ ذي بدء يركز أعظم تركيز على النظافة الشخصية والصحية، لا نظافة المناسبات والمراسيم، فالاستحمام الإسلامي كما هو معروف، يختلف كثيراً عن الاستحمام عند الآخرين. والمسلمون يمتنعون عن أطعمة معينة تبعاً لأثرها الضار بأخلاق الناس، ويحرم الإسلام المشروبات المسكرة لأنها تحيل الإنسان إلى وحش!!

والصلوات الخمس اليومية تنأى بالمرء عن الخبث والآثام. ثم هناك شهر للصوم يمتنع المسلم فيه عن الطعام والشراب وحتى التدخين طوال النهار، وهو دورة رائعة للنظام يتدرب فيه المسلم ويقوى نفسه للصمود في وجه الشدائد، فيتحمل الجوع والحاجة بريادة جأش وصبر، ويصير سيداً لشهواته ونزواته. فالرجل الذي تعلم أن ينتصر على شهواته ورغباته وأن يقود نفسه هو رجل قوى.

ولا داعي لأن أنوه أن هذا النظام الديني الإسلامي هو نظام شخصي تماماً لأنه ليس في الإسلام رجال دين.

القانون الإسلامي أوسع وأسبق:

أما على صعيد القانون في مجال العدل والإنسانية وفي مجال الحكمة والشفقة فإن قانون الإسلام لا مثيل له بين أديان العالم. فهو يحدد واجبات الفرد تجاه أقرابه. وذويه وجيرانه وعائلته وتجاه المجتمع والأمة التي ينتمي إليها. والقانون في الإسلام واسع اتساعاً لا سبيل معه إلى شرحه في بضعة سطور. وسأكتفي بإبراز صفتين من صفاته تحققان الغرض المطلوب في هذه العجالة:

● فالدعامة الأولى للقانون الإسلامي تتمثل في أنه يقوم على أساس من المساواة والضمير الحى وليس على أية اعتبارات عقلية غريبة عليه، وهذا يعنى تناسبه وانسجامه مع تغير الزمان وصلاحيته لكل وقت، وهذه صفة كامنة فيه. وبذلك فهو جديد وحديث لا يبلى بمرور الزمان ولا يمكن أن يصبح قديماً أو أن يعفى عليه الدهر.

● وأما الصفة الثانية فهي أن القانون الإسلامى لا يقيم وزناً للأشخاص والذوات الشخصية، ولا يعترف بأية امتيازات أو طبقات أو تمييز بسبب المولد أو الغنى أو المكانة. فالملك والفلاح، والسائل المعدم والرأسمالى العريض الثراء كل هؤلاء يقفون على قدم المساواة أمام القانون الإسلامى.

وهنا أيضاً لا يوجد أى قانون حتى فى القرن العشرين يمكن أن يضاهى القانون الإسلامى، فهناك مئات الشواهد التى يزخر بها التاريخ الإسلامى والتى تذكر لنا كيف كان الملوك والأباطرة المسلمون يأتون مدعنين لأوامر القضاة الذين يطلبونهم للمثول فى المحاكم، والوقوف مع خصومهم جنباً إلى جنب للدفاع عن أنفسهم فى قضايا شتى. حتى أن النبى الكريم ﷺ أعلنها ذات مرة بقوله:

«لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها».



اليابان :

٤٤- الدكتور شوقى فوتاكى

يعتبر إسلام الدكتور شوقى فوتاكى حدثاً بارز الأهمية بالنسبة لتاريخ الدعوة الإسلامية فى اليابان. فقبل إسلامه لم يكن عدد المسلمين اليابانيين يتجاوز الخمسة آلاف على أكثر تقدير، وكثير من هؤلاء قد أسلموا على يد الفرقة التركية التى اشتركت فى الحرب الكورية واستقر بها المقام فى اليابان فأقامت لنفسها مساجد، ومارست شعائر الإسلام فدخل على يديها أفراد من الشعب اليابانى هنا وهناك حتى بلغوا العدد المذكور.

ولكن حرب رمضان الأخيرة (١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م) ساهمت فى إثارة اهتمام الشعب اليابانى بالشعوب العربية، واستعداده للتعرف على ثقافة العرب ودينهم وقضاياهم، وفى ظل هذا الاهتمام جاء إسلام الدكتور شوقى فوتاكى فاتحة خير لدخول آلاف من اليابانيين فى دين الله أفواجاً، وهكذا نرجو أن يكون إسلام هذا الرجل بداية لإسلام أمة بأسرها، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢].

صاحبُ القصة :

الدكتور شوقى فوتاكى طبيب يابانى يبلغ السابعة والستين من العمر، فارح الطول بالقياس إلى اليابانى العادى، تكسو رأسه شبيبة تضىف عليه وقاراً، وهو ذو شخصية اجتماعية محببة وجذابة بحيث يؤثر فى كل من كان على صلة به، وكانت ديانتة (البوذية) وهو مدير مستشفى كبير فى قلب مدينة طوكيو عاصمة اليابان، وهذا المستشفى عبارة عن شركة مساهمة يملكها عشرة آلاف شخص، ولقد أعلن الدكتور فوتاكى منذ أن أسلم أنه سيعمل كل ما فى وسعه لإدخال العشرة آلاف مساهم فى أمة الإسلام. وليسمح لى القارئ الكريم بالعودة إلى القصة من بدايتها.

رَبِّ ضَارَةَ نَافِعَةَ :

فى عام ١٩٥٤م كان الدكتور فوتاكى رئيساً لتحرير مجلة شهرية يابانية تدعى

(سيكامى جيب) وكان مهتماً بقضية تأثير القنبلة الذرية على الضحايا اليابانيين بعد الحرب العالمية، وكان يريد جمع مبلغ من المال لصالح هؤلاء الضحايا، ولما لم يستطع ذلك انتزع ستين مليون (ين) يابانى - عملة اليابان - من عشرة من الشركات اليابانية بعد تهديدها بنشر أخبار داخلية سرية عنها تؤثر على مصالحها، وفى عام ١٩٧١م وبعد محاكمات طويلة قررت المحكمة إدانته وأمرت بحبسه ثلاث سنوات كما سحبت رخصته الطبية!!

ورب ضارة نافعة، فقد كان الدكتور فوتاكى مفكراً بطبعه يحب القراءة، فعكف على التأمل والاطلاع فقرأ عدة كتب فلسفية وسياسية وروحية، وقد وصف شعوره فى تلك الفترة بقوله:

وَحَدَائِنِيَّةَ اللَّهِ :

كنت أشعر حين كنت أخلو لنفسي بأن فكرة الوجدانية لهذا الخلق ترد فى خاطرى طواعية، وكنت أدور فى دوامة التأمل والتفكير فى هذا الوجود وخالقه، ورويداً رويداً بدأت فكرة الوجدانية تتفاعل فى نفسى، وكنت أتساءل عن صاحب الإبداع والخلق لهذا الوجود الدقيق الصنع والتكوين؟ وعند هذا الحد من التفكير انتهت فترة سجنى، فخرجت من السجن وأخذت أستكمل هذه القناعات خارجه من خلال اتصالى بعدد من الشخصيات الإسلامية، فكان من بين أصدقائى رجل مسلم يدعى (أبو بكر مورى موتو) الرئيس السابق لجمعية مسلمى اليابان. فكانت تدور بيننا أحاديث طويلة حول قضايا التوحيد وأمور المسلمين وشريعتهم، وكان يزورنى ضمن حملات التبرع لدعم حركة الدعوة الإسلامية فى اليابان، وكنت أساهم عن اقتناع فى تلك الحملات حتى قال لى ذات مرة:

إن أعمالك هى أعمال المسلمين فلماذا لا تعلن إسلامك؟! ولكن لكل شىء أوان.

أَعْلَنْتُ إِسْلَامِي أَنَا وَأُسْرِي :

وفى إحدى المرات، وفيما كان صديقى أبو بكر مورى موتو يقول: بأنه كلما زاد عدد المسلمين فى العالم كلما انتهت مشكلة المستضعفين فى الأرض، لأن الإسلام دين محبة وإخاء، وما أن سمعت هذه الكلمات حتى نهضت واقفاً وأخبرته بأننى أنا وابنى وصديق

آخر قد اعتزمتنا اعتناق الإسلام، فهتف صاحبنا مكبراً. وأخذنا جميعاً إلى المركز الإسلامى فى طوكيو، وما هى إلا لحظات جلسنا خلالها على الأرض مع إمام المسجد التركى الجنسية ونطقنا الشهادتين، وسميت نفسى (شوقى) وسميت ابنى (خالد)، ودخل باقى أفراد أسرته فى دين الإسلام على الفور.

وَحَدَايَةَ اللَّهِ خَالِقِ الْكَوْنِ:

سئل الدكتور شوقى السؤال التالى:

بصفتكم طبيباً ألا تعتقد أن المعجزات الموجودة فى الجسم والتكوين الإنسانى تدل على وحدانية الخالق كما حدثنا القرآن الكريم؟ فأجاب بقوله:

لقد قرأت لعالم فرنسى كتباً عن أسرار الجسم الإنسانى، وكانت آراؤه دعوة صادقة وصريحة لوحداية الخالق وقوته، وأنه إله عظيم واحد لأن الجسم الإنسانى يدل على وحدة الخالق. وأضاف قائلاً:

إن لهذا الكون نظاماً دقيقاً ليس عفويًا، وأنا بصفتى طبيباً وجراحاً كانت تصدمنى حقائق مذهلة تستدعى التأمل والحيرة، كما أكدت لى هذه الحقائق أن هذا الكون له خالق واحد قادر فوق تصورات البشر، فلا بد من إله واحد وراء عظمة هذا الكون ودقة تنظيمه.

ثم سئل الدكتور فوتاكى عن الفارق بين الله فى الإسلام وبين الآلهة عند البوذيين؟ فقال: إن البوذية تقول بأن الإله موجود كما أن العنصر موجود حتى ولو كان العنصر غير موجود مادياً. فالبوذية تستنتج الإيمان بالله عن طريق الرياضيات والعلوم، أما الإيمان بالله فى الإسلام فهو واضح وجلّى بالعقل، والبوذيون يصلون إلى الإيمان بالله عن طريق الأصنام، بينما يقودنا الإسلام إلى الله بالعقل والإدراك.

يَدْخُلُونَ فِي الْإِسْلَامِ أَفْوَاجًا:

ولعل القارئ الكريم يتساءل:

ولكن لماذا يعتبر إسلام هذا الرجل مبشراً بإسلام اليابان كلها؟

والجواب هو أن الدكتور شوقى فوتاكى ليس رجلاً عادياً، فهو رغم كبر سنه وشيخوخته متوقد الحماس؛ فقد أعلن فور إسلامه بأنه مصمم على نشر الإسلام فى

اليابان كلها، وشرع فعلاً في الدعوة إلى الإسلام، وفي يوم من أيام شهر مارس ١٩٧٥م وكان يوم جمعة كان الدكتور شوقى فوتاكى على رأس ثمانية وستين شخصاً بين رجل وامرأة من كافة مراحل العمر، يدخلون مسجد طوكيو قبيل صلاة الجمعة، وكانوا موشحين بوشاح أبيض مكتوب عليه بخط أخضر اسم (جمعية الأخوة الإسلامية) وهو اسم الجمعية التي أنشأها د. فوتاكى، لقد حضر هؤلاء جميعاً صلاة الجمعة وما أن انتهت الصلاة حتى أعطى كل احد منهم ورقة مكتوب عليها نص الشهادتين وأركان الإيمان بالخط اليابانى، وكان المسجد خاصاً باليابانيين المسلمين وغير اليابانيين وبعض السفراء العرب والمسلمين فى طوكيو، لقد جلس هؤلاء المسلمون الجدد وشرح لهم الإمام معنى الشهادتين ومفهوم الإيمان بالله وبدأ يلقنهم الشهادتين وهم جميعاً يرددونها وراءه، ثم أعدت قائمة بالأسماء الإسلامية ومعانيها باللغة اليابانية فاختار كل واحد منهم الاسم الذى يعجبه، ثم أقبل المسلمون على الترحيب بإخوانهم الجدد والكل يهتف: (الله أكبر. الله أكبر) حقاً إنه يوم من أيام الله فى اليابان، فلأول مرة تشهد طوكيو هذا الدخول الجماعى فى الإسلام ومن كل الطبقات ومختلف الأعمار، وقد نشرت الصحف اليابانية هذا الحدث فى صفحاتها الأولى، وكان الدكتور فوتاكى واقفاً فى مؤخرة الصفوف تعلق وجهه الفرحة وقد أعلن فى نهاية الحفل بأنه لن ينتهى عام ١٩٧٥م حتى يدخل فى الإسلام ثلاثة آلاف شخص آخرون، وسيأخذ العديد منهم معه لأداء فريضة الحج هذا العام.

لم يكن الحفل السابق إلا البداية، ففي يوم الجمعة الموافق ٤/٤/١٩٧٥م جاء الدكتور شوقى إلى مسجد طوكيو على رأس مائتى شخص يابانى آخرين وقد اعتنق هؤلاء جميعاً الإسلام كما فعل إخوانهم من قبل، وهكذا أخذ الدكتور شوقى يقود إخوانه اليابانيين للدخول فى دين الله أفواجاً، حتى بلغ عدد أعضاء جمعية الأخوة الإسلامية التي يرأسها من هؤلاء المسلمين الجدد ما يقارب العشرين ألف مسلم يابانى، وكل ذلك حدث فى أقل من عام واحد، فأنت معى إذن أخى القارئ الكريم أن إسلام هذا الرجل يعتبر نقطة تحول فى تاريخ اليابان، لا بل فى تاريخ منطقة جنوب شرق آسيا بأسرها إن شاء الله تعالى.

وَاجِبُ الدُّعَاةِ :

إلا أن هناك ظاهرة تبرز أحياناً من قبل بعض من يدخلون فى الإسلام، وخاصة من أولئك الذين لا يجيدون اللغة العربية ولا يعيشون فى بلاد المسلمين، وهذه الظاهرة نعى بها بقاء بعض الشوائب فى نفوس المسلمين الجدد من أثر الجاهلية، فقد علمنا مؤخراً أن الدكتور شوقي فوتاكى يتساهل مع بعض المسلمين الجدد من أفراد جمعيته الإسلامية فى مسألة تحريم لحم الخنزير وشرب الخمر، وربما كان له بعض العذر لجهله، وربما كان يريد أن يأخذهم بالتدرج، ولكن ذلك يبين ضخامة المسئولية الملقاة على الدعاة إلى الله فى البلاد العربية والإسلامية، إذ أن من واجبهم تنبيه الدكتور فوتاكى إلى هذا الزلل قبل أن يستفحل الأمر لا سمح الله.

ولقد آن الأوان للدول الإسلامية وفى مقدمتها الدول العربية أن تنهض بواجب الدعوة الإسلام، فتبعث بالدعاة إلى كل أرض، وبالمطبوعات الإسلامية وبالمدرسين لنشر دعوة الله فى الأرض والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.



أمريكا :

٤٥ - مالك شباز

مالكولم إكس سابقاً
قصة رجل يمثل أمة

يستقبل الإسلام كل يوم مهتدين جددًا من شتى أنحاء العالم، وهؤلاء وإن اختلفوا في ذواتهم وأجناسهم وألوانهم وأوطانهم، إلا أنهم رغم كل ذلك إخوة في الدين. فقد وحد الإسلام بينهم برباط وثيق لا انفصام له.

هَذَا الرَّجُلُ :

إن الرجل الذي سنتحدث عنه هذه المرة ليس رجلاً عادياً، بل هو زعيم كبير من زعماء المسلمين السود في أمريكا، إنه (مالكولم إكس) أو (مالك شباز) الذي يقول عنه أحد السفراء العرب المسلمين واصفاً نشاطه الوثاب في خدمة الإسلام في أمريكا:

لو أننا أنفقنا مليون دولار لإحداث نفس الأثر الذي أحدثه هذا الرجل لفشلنا في ذلك، ويقول سفير عربي مسلم آخر: إن هذا الرجل يذكرني بقصة إسلام سيدنا عمر بن الخطاب، ويمكن اعتباره بحق عمر أمريكا.

وللمرء أن يتساءل: فيم كل هذا الثناء على هذا الرجل؟ وقبل الاجابة عن هذا التساؤل لنسرد القصة من بدايتها:

بِدَايَةُ صَعْبَةٍ :

ولد مالكولم إكس أو مالك شباز - كما يحب أن يسمى نفسه بعد أن أسلم - في قلب المجتمع الأمريكي الذي يعتبر الزنجي الأسود مخلوقاً منحطاً لا قيمة له، وقد قضى طفولته خادماً لأسرة أمريكية من البيض، وتلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة للبيض في مدينة مايسون بولاية متشجان، ولكن معاملة البيض زرعت في نفسه بذور الحذر وعدم

الثقة بهم منذ حداثة سنه. وذات مرة سأله مدرس اللغة الإنجليزية عن نوع المهنة التي يرغب في مزاولتها في المستقبل فأجاب مالكولم إكس: (المحاماة) فما كان من مدرسه إلا أن نصحه ساخرًا بالعدول عن هذه الفكرة، والاتجاه نحو تعلم التجارة ومزاولتها، هذا مع أنه كان دائماً أحد الثلاثة الأوائل في فصله!!

نُقْطَةُ تَحْوَلٍ مَرِيْرَة:

وفى صيف عام ١٩٤٠ ترك مالكولم ولاية متشجان وكان فى الخامسة عشرة من عمره، واتجه إلى مدينة بوسطن الواقعة على الساحل الشرقى من الولايات المتحدة الأمريكية ليعيش مع أخت كبرى له هناك، وكانت تلك الرحلة نقطة تحول مهمة فى حياته كما يروى هو عن نفسه فى ترجمته الشخصية.

دخل مالكولم المراهق آنذاك فى بوسطن عالم الليل ينظف الأحذية ويغسل الصحون فى المطاعم والقطارات، كما دخل أيضاً عالم السوق السوداء والقمار والمخدرات وتجارة البغاء حيث يسود قانون الغاب، وحيث تقوم الحياة كلها على الخداع والمالأة والتحايل والمكر والدهاء، دخل مالكولم ذلك الخضم وأخذ نصيبه وافرًا كاملاً، ونزل إلى أعماق مواخير الحياة الأمريكية حتى صار مدمن مخدرات مما دفع به إلى عالم الإجرام والسرقه، وانتهى به إلى السجن، يقول مالكولم واصفصا شعوره فى تلك الآونة:

(لقد صرت أعتقد أن المرء يجب أن يقوم بأى عمل يجد فى نفسه كفاية من المكر والسوء أو الوقاحة تمكنه من القيام به ..، وأن المرأة لا تزيد عن كونها شيئاً من الأشياء)!!

نِعْمَة بَعْدِ مَحْنَة:

قبض على مالكولم إكس فى جريمة سرقه، وحكم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات وذلك فى فبراير عام ١٩٤٦م وهو فى الحادية والعشرين من عمره، ولقد كان السجن نعمة فى صورة نقمة، فرب ضارة نافعة، إذ أنه فى داخل السجن استأنف مالكولم تعليمه بمجهوده الشخصى، وتعلم فن الخطابة والنقاش، وفى السجن تعرف على الإسلام لأول مرة، يقول واصفًا ذلك:

« قبل ذلك الحين لم تذكر أمامي لفظة إسلام ولا مسلمين، وكنت أشاهد كلمة (الله) في دور السينما فحسب» ثم يستطرد قائلاً: « في داخل السجن كنت أعمل في المكتبة وقد أتاح لي ذلك الفرصة للقراءة عن الإسلام، فدرست الحضارة الإسلامية وقرأت كتباً تاريخية عن النبي محمد، ولقد تأثرت أعظم التأثر حين قرأت أن المسلمين كانوا يكسبون المعركة تلو الأخرى، فقد كان هذا هو السبب الحقيقي الذي دفعني إلى اعتناق الإسلام، لأنني أخذت أفكر في سر قوة المسلمين المذهلة، وكنت أتوق لاكتشاف شيء زاخر بالقوة والكرامة والثقة حتى وجدته في الإسلام».

إيمان أمجئون؟!!

وليسمح لي القارئ الكريم بأن أورد مزيداً من كلام مالكولم عن نفسه إذ يقول:

« عندما أيقنت بهذا الدين تركت جميع عاداتي الأمريكية السيئة كشراب الخمر والتدخين والقمار، وأول شيء تعلمته من الإسلام هو سورة (الفاتحة) فكنت أقف في زنزانتي في السجن ميمماً وجهي نحو الشرق ويداي مرفوعتان إلى أعلى فأقرأ الفاتحة مرة بعد أخرى ... ثم اكتشفت سلطات السجن أنني تركت تلك العادات الذميمة فأخذوا يرتابون في سلامة عقلي، حتى أنهم نقلوني إلى عيادة طبيب نفساني!!

اختلاط المفاهيم:

« ولكن الشيء المؤسف هو أنه في أمريكا كلها لا يكاد يوجد أحد يستطيع أن يتكلم باللغة العربية بما في ذلك معظم الأمريكيين السود، ونتيجة لذلك لا يعرض الإسلام عرضاً صحيحاً خالياً من الشبهات، وهذا هو الإسلام الذي عرفته في مبدأ الأمر، فكنا نعلم أن المسلمين هم الأمة السوداء فقط، وأن الرجل الأبيض غريب عن الإسلام، كما كان يلقي في روعنا من جهة من عرفونا بالإسلام أن الشيطان (إبليس) هو الرجل الأبيض وأن الله يأتي إليهم في صورة شخص، وأنه طالبهم بنشر الإسلام لأنه يريد إنقاذنا نحن السود حيث إننا نشكل الجزء المغتصب من مملكته».

لقد تعرف مالكولم إكس على الإسلام من خلال حركة نشطة في صفوف الأمريكيين السود تدعى «أمة الإسلام»، وهي حركة كانت عنصرية إلى عهد قريب جداً، فقائدها وزعيمها المدعو أليجا محمد يصفه أتباعه بأنه رسول الله، ويزعمون أنه رأى الله في

صورة شخص قابله يدعى والاس فارد، وقد برزت هذه الحركة إلى حيز الوجود كرد فعل قوى ضد سياسة التفرقة العنصرية الموجهة ضد الزوج في أمريكا، وقد استطاعت الحركة على كل حال أن تقيم لأفرادها مجتمعاً خاصاً بهم، له نظامه المميز ومشاريعه المستقلة وحياته المنفصلة عن المجتمع الأمريكى، وقد استطاعت الحركة أن تنتشر في صفوف العشرين مليون زنجى أمريكى حتى بلغ أعضاؤها ما يقارب المليون شخص، وللحركة قوتها الخاصة المدوية للدفاع عن نفسها وبلغ عدد أعضائها حوالى مائة ألف شخص، ومن مبادئ الحركة أنه كما أن موسى هو رسول الله إلى اليهود، وعيسى رسول الله إلى النصارى، ومحمد رسول الله إلى العرب، فكذلك أليجا محمد هو رسول الله إلى الزوج الأمريكين.

يقول مالكولم إكس: « هذا هو الإسلام الذى آمنت به حينئذ، ولقد كان مفهوم مالكولم للإسلام حين خرج من السجن بعد صدور عفو عنه مبنياً على ما وصله عن طريق أليجا محمد وأتباعه، فكان أليجا محمد نفسه يكتب الرسائل لمالكولم إكس أثناء سجنه. وهكذا دخل مالكولم إكس (منظمة أمة الإسلام) فكان من أنشط رجالها العاملين حتى أصبح الرجل الثانى بعد أليجا محمد فى المنظمة. وقد زاد عدد أتباع أليجا محمد أضعافاً كثيرة بفضل الجهود التى بذلها مالكولم.

كان عام ١٩٦٤م يؤذن بتحول ضخم فى حياة مالكولم إكس، إذ كانت شخصيته إذ ذاك تطفئ كثيراً على شخصية ومكانة أليجا محمد، فنشاطه وإخلاصه لقضية المستضعفين السود ونفسه الجذابة، وذاكاؤه الوقاد كل ذلك كسب له والحركته سيلاً متدفقاً من الأتباع والمعجبين مما أشعل فى الوقت ذاته نار الحقد والكراهية له فى نفس أليجا محمد، وجعله يتربح فرصة لإزاحة مالكولم إكس من مكانته فى المنظمة، ومن جهة أخرى بدأ مالكولم يعرف أن أليجا محمد رجل مستغل يخالف فى حياته الشخصية كل ما يدعو إليه من أفكار وآراء.

الطَّرِيقُ إِلَى الْإِسْلَامِ الصَّحِيحُ :

وفى تلك الآونة بدأ مالكولم يعرف حقيقة الإسلام الصحيح، وأخذ يتبين سمو هذا الدين، وأنه الطريق الوحيد لبناء مجتمع إنسانى راقٍ لا مجال فيه لتفرقة عرقية ولا

لاستغلال طائفة من الناس طائفة أخرى. ووضحت له الشقة الهائلة بين حقيقة الإسلام وبين تلك الدعوة الشوهاء التي كان يدعو إليها أليجا محمد باسم الإسلام وهي ليست من الإسلام فى شىء. وتفتحت عندئذٍ فى نفسه رغبة أصيلة وقوية لمعرفة هذا الدين معرفة وثيقة كى يصلح ما ساعد هو على بنائه من حركة زائفة تتسمى باسم الإسلام.

وهكذا خرج مالكولم إكس فى عام ١٩٦٤ من الولايات المتحدة الأمريكية قاصداً بيت الله لحرام فى مكة لأداء فريضة الحج، وكان الحج تجربة هزت كيانه من الأعماق، وقد كتب فى مذكراته يقول:

«لقد لقيت هنا أناساً من مختلف الألوان والأجناس، فشاهدت أن الإسلام قد انتزع الكراهية والحقد من نفوس البيض الذين قابلتهم، وأحل محلها روح الأخوة الحقيقية، ولقد عشت أسبوعاً فى خيمة واحدة مع أناس كان شعرهم أشد صفرة من الذهب، وعيونهم كزرقة السماء، فأيقنت أن الإسلام يستطيع القضاء على سرطان التفرقة العنصرية المستحكمة فى صفوف الأمريكيين. فبعثت رسالة بهذا المعنى إلى إخوانى المواطنين فى أمريكا».

قضى مالكولم إكس شهرين بعد الحج فى البلاد الإسلامية حتى تعلم أكبر قدر ممكن عن الإسلام، وعاد إلى بلاده الولايات المتحدة وكتب يقول:

إننى الآن أقوم بشن حملة على الأباطيل التى تسيطر على نفوس أمة الإسلام السوداء فى أمريكا، وإننى أقدر تماماً مسئولية العمل الذى أقوم به.

دَاعِيَةٌ وَشَهِيدٌ وَأَشَارٌ خَيْرٌ:

بلغ نشاط مالكولم إكس ذورته بعد عودته من الحج. ولقد دفع الثمن غالباً حين شن الحملة التى أشار إليها، وفى ٢١ فبراير ١٩٦٥ سقط مالكولم إكس شهيداً برصاص الحقد والغدر بينما كان يلقي خطاباً يدعو الناس فيه إلى الإسلام الصحيح، ويشرح لهم تعاليمه.

ولكن هل ماتت دعوته - رحمه الله - بموته هو؟! أبداً بل أثمرت وآتت أكلها فأمنت طائفة من شباب أمة الإسلام بدعوة الإسلام الحق، وأخذت تدعو إليه فى صفوف

الأمريكيين السود، وهكذا كان مالكولم إكس طليعة ونبراس هدى للأخذ بيد المضللين من إخوانه إلى الصراط المستقيم، وظلت الفئة المؤمنة تجاهد وتلقى المقاومة الشديدة والتأمر والكيد والإرهاب حتى جاء التغيير الكبير حين مات أليجا محمد الزعيم المضلل للحركة، وبوفاته تولى أمر قيادة الحركة من بعده ولد من أولاده يدعى (والاس محمد) وتشاء إرادة الله تعالى أن يكون هذا القائد الجديد على الطريق الصحيح، فكانت عقيدته صافية إذ أنه تلميذ من تلامذة مالكولم إكس رحمه الله تعالى. فأخذ الزعيم الشاب بحكمته يعمل على القضاء على الأباطيل التي كانت سائدة في عهد والده، وبدأ ينشر حديثاً يومياً في صحيفة الحركة المسماة (محمد يتكلم) يعلم فيه إخوانه الإسلام الحق، ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وهو يسعى الآن لتعليم الإسلام لحوالي مليون شخص، وهذه المهمة الضخمة لا يقدر عليها شخص واحد بمفرده مهما أوتى من قوة، بل لابد من دعمه وتقديم كل عون لازم له، فمن أهدافه الآن نشر الإسلام بين العشرين مليون زنجي أمريكي.

ولأول مرة في تاريخ أمريكا قام (والاس محمد) وأتباعه بصيام شهر رمضان المنصرم، وكان على رأس خمسة عشر ألف شخص من أتباعه يشهد صلاة عيد الفطر المبارك مع المسلمين، وهذا يبشر بخير كثير؛ إذ أن أمريكا قد أصبحت الآن على عتبة الإسلام، وهذا يحتاج إلى جهود ضخمة وتلك مسئولية العالم الإسلامي بأسره، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

جَمْعِيَّةُ الطَّلَبَةِ الْمُسْلِمِينَ

ولا ننسى أن نشيد هنا بدور (جمعية الطلبة المسلمين) في أمريكا التي تقودها نخبة ممتازة من الشباب المسلم، فقد كان لهذه الجمعية الفضل بعد الله في الاتصال بحركة المسلمين السود، والتودد لقاداتها وأعضائها، وتعليمهم الإسلام الصحيح ومدّهم بما يتوفر لديها من الكتب الإسلامية باللغة الإنجليزية، وقد بلغ من توفيق الله للجمعية أن تمكنت من غرس الإسلام الصحيح في نفس (والاس محمد) القائد الحالي للحركة، إذ ظل هذا الشاب خمس سنوات كاملة عضواً في جمعية الطلبة المسلمين حتى استقامت عقيدته وصفت رسالته فأصبح أهلاً للمسئولية الحالية الملقاة على عاتقه.

وتتحمل جمعية الطلبة المسلمين في أمريكا وفروعها في جميع الجامعات الأمريكية مسئولية ضخمة في نشر الإسلام في أمريكا. إذ يتصل بها كل يوم ألوف من المسلمين السود الذين اكتشفوا الطريق الصحيح وأرادوا تعلم الإسلام فنسأل الله أن يعين هذه الجمعية على أداء مهمتها والقيام برسالتها على أكمل وجه. كما نسأله سبحانه أن يوفق الحكومات الإسلامية إلى تقديم كل دعم ممكن للجمعية والحركة حتى يسود دين الله في الأرض ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].



٤٦- ميخائيل هيمز

ما الذي جئنا به إلى الإسلام؟

من العسير على رجل أوروبي نشأ في ظل التراث النصراني أن يقدر قيمة الأديان والثقافات الأخرى، إلا أنه في أيامنا هذه بعد أن زادت سرعة السفر عن ذي قبل وكثرت الأسلحة الخطرة، أصبح من الضرورة القصوى الاطلاع على وجهات نظر الشعوب الأخرى في بقية أنحاء العالم المختلفة من أجل تحقيق التعاون والسلام الدولي.

وكثير من الناس في هذا البلد لا يعرفون شيئاً يذكر عن الديانات الشرقية، وينسون أن النصرانية جاءت من الشرق. فهم لا يعرفون عن الإسلام إلا النزر اليسير، ويدعونه في الغالب «المحمدية Mohammdism» وهناك طائفة منهم أحسن حالاً تظن أنها تعلم شيئاً عن الإسلام، وتحمل أفكاراً غريبة جداً كزعمها أن الإسلام انتشر بالسيف، وأن المسلمين يعتقدون أن المرأة لا روح لها، وأن محمداً كان يدعو إلى تعدد الزوجات، ولكن الذين يتحملون عناء البحث المجرد سرعان ما يكتشفون وضعاً مخالفاً لذلك ومغايراً له كل المغايرة، ولعل حب الاستطلاع أو الإيمان بالتسامح العالمي هو الذي يقود إلى البحث الأولي، وهناك طرق شتى للقيام بذلك إلا أن أكثر ما يستهويني هو دراسة القرآن الذي هو على كل حال كتاب الإسلام الأول، وهو وحى سماوى نزل على النبي محمد ﷺ.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمَشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

هذا ما نقرأه في القرآن. ولا شك أن الشاعر والفيلسوف الفارسي جلال الدين الرومي كان يشير إلى هذه الفقرة من الآيات عندما قال:

«المصباح مختلفة ولكن النور واحد، فهو يصدر من أعلى، فإذا أطلت النظر إلى المصباح لا بد أن يُزغَل بصرک، ومن هنا ينشأ العدد والكثرة، ثبت نظرك إلى النور تخلص من الازدواجية الكامنة في الجسم المحدود».

ويقول:

«أنا لست من الشرق ولا من الغرب ولا من الأرض أو البحر، لقد وضعت الازدواج جانباً، لقد رأيت أن العالمين عالم واحد، فأنا أنشد واحداً وأعرف واحداً وأدعو واحداً».

الإِسْلَامُ الدِّينُ العَالِمِيُّ لِلإِنْسَانِيَّةِ :

هذه الآيات الشعرية الرائعة تؤكد الحقيقة الأساسية في الإسلام - وهي الوحدانية - الله واحد، ومحمد رسول الله. أما الشرك فقد وضع جانباً. فلا أب ولا ابن ولا فصل بين ما هو مقدس وما هو دنيوي وما هو شرقي وغربي، فهناك عالم واحد ودين واحد وإنسانية واحدة.

لهذا نجد تركيزاً شديداً على أخوة الإنسان في الإسلام. وليس هذا من الأمثلة التي لم تحقق بعد، بل هو حقيقة واقعة مشهودة. ولا سبيل إلى التفرقة العنصرية في ظل هذه الأخوة. وسواء كانت بشرة الإنسان بيضاء أو صفراء أو حمراء أو برونزية أو سوداء، فليس لذلك أدنى اعتبار أو وزن. فقد جاء لكل من هذه الأمم المتباينة الألوان رسل في أزمان شتى يحملون رسالة واحدة ويعلمون ديناً واحداً، رغم اختلاف اسمه في كل لسان.

ولقد كانت الجزيرة العربية آخر بلاد استقبلت آخر رسول هو محمد خاتم الأنبياء، لأن رسالته تتمثل في إكمال نشر الدين بين من لن تصله الدعوة ولم يسمع بها. إلا أن الحقيقة تظل قائمة وهي أنه لم يدع إلى دين جديد. كما أنه لم يزعم لنفسه ذلك. ولم يدع الألوهية لنفسه، بل كان يعلن دائماً بكل وضوح أنه عبد الله ورسوله. ولم يلمح مجرد تلميح إلى فكرة الوسيط المنقذ فلا تملك نفس لنفس شيئاً. فالمسؤولية الكاملة تقع على عاتق الفرد لعمل الصالحات دون أدنى وساطة من قسيس بينه وبين الله. وقد حطمت التصاور لأنها تركز الاهتمام على الأمر

المحدود بدلاً من اللامحدود، وحرمة الخمر لأنه يغطي العقل والرجل المخمور لا يدري هل هو على الطريق الصحيح أم أنه على الطريق الخطأ؟!

وهذه بعض الأمور التي تجذبني إلى الإسلام، فهناك عقيدة التوحيد بأن الله واحد لا يشبهه شيء، والاعتراف بالأنبياء السابقين كموسى وعيسى الذين جاءوا بالدين نفسه وعدم وجود رجال دين أو صور وهي أمور تخلق فجوة مصطنعة بين السماء والأرض، وهناك توكيد على نظام محدد للأخلاق. فالمسلم الحق هو من وافق كلامه وعمله وفكره، كما جاء في بعض الأحاديث التي تعتبر مهمة جداً لمن أراد أن يدرس الإسلام. ويمكن للإسلام أن يحقق نجاحاً أكبر في هذا البلد - الأوروبي - لو أن بعض الشبهات والأكاذيب الشعبية المتوارثة بين الناس تبدد وتزال من رؤوسهم!!

الحروب الصليبية الجائرة:

فمما يؤسف له أنه في أواخر العصور الوسطى قام سياسيون جشعون تغمرهم الكراهية والخديعة فجيشوا الجيوش تحت راية الصليب وخاضوا الحرب باسم الدين، وفي نفس الوقت تقريباً كانت جحافل التتار - المغول - تكتسح آسيا، ويعد أن دخل المغول في الإسلام اعتقد النصارى اعتقاداً جازماً أن الإسلام انتشر بالسيف. ولا بد أن يكون واضحاً أن الدين الحق لا يرضى عن استخدام القوة للاعتداء، فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول ما معناه: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب».

والإسلام يعتبر الجهاد الأكبر هو جهاد النفس.

ومن السخریات اللاذعة أن تلوم المسلمين بسبب جرائم المغول قبل اعتناقهم الإسلام، لأن حضارة الإسلام نفسها كانت ضحية جرائمهم الوحشية، ولعل هذا هو السبب الذي أدى إلى الدمار والخراب الذي وقع بعد ذلك مباشرة، فقد ظلت البلاد الإسلامية قرونًا عديدة تحقق أعظم المنجزات في مجال الآداب والفنون والعلوم والشعر والطب والرياضيات، وعندما نتحدث عن حضارة القرون الوسطى تقفز إلى أذهاننا فوراً مشاهير كالرازي وابن رشد وابن سينا، وكلمة الجبر والكيمياء اللتين تحملان «ال» التعريف العربية باللغة الإنجليزية دليل واضح على أنهما مستوردتان من الأقطار الناطقة باللغة

العربية والحقيقة أنه أتى زمان كانت اللغة العربية لا اللغة اللاتينية هي لغة دولية إذ انتشرت في عدة أقطار خارج الجزيرة العربية ذاتها، والغريب أن مركز الحضارة (الإسلامية) انتقل من الجزيرة العربية شمالاً إلى العراق وفارس (إيران) والأقطار المجاورة، وكانت هناك أعداد كبيرة من المسلمين من غير العرب، وعلى أيدي هؤلاء تحققت كثير من المنجزات الحضارية العظيمة.

وهذه نقطة مهمة لا بد أن نذكرها عن الإسلام وهي أن الإسلام ليس دين العرب وحدهم، بالرغم من أن اللغة العربية هي لغته الرسمية، فقد دخل في هذا الدين جماهير غفيرة من الناس في إفريقيا وأندونيسيا والشرق الأوسط. وحتى النهضة الأوروبية لا بد أن تعزى لتأثير الإسلام فيها.

لقد بدأنا الآن نرى كيف تتم المحافظة على الحضارة عبر العصور، فأحياناً تقوم إحدى الأمم بذلك، وأحياناً أخرى تتولى الزمام أمة أخرى، فالإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية العثمانية والإمبراطورية البريطانية كلها لها مكانتها في التاريخ الإنساني. ولعله لولا الواحدة منها لما كان قيام الأخرى ممكناً، مع الأخذ بعين الاعتبار بأن القوة السياسية يجب أن لا تختلط في أذهاننا مع الحضارة والدين.

فالإمبراطورية البريطانية لم تعد قائمة اليوم، إذ أن كلاً من باكستان والهند وبورما والملايو وغيرها قد حققت استقلالها. والعالم الإسلامي ينشط في كل من الجزائر ومصر والعراق وإندونيسيا، بالإضافة إلى أقطار أخرى كثيرة وما هذه الأقطار إلا جزء يسير منها. فلا بد أن هناك شيئاً يدبر في العالم. فلا يقتصر العالم اليوم على معسكرين اثنين هما روسيا وأمريكا، بل هناك أطراف أخرى برزت على مائدة الشطرنج، فالأقطار الإسلامية بدأت تنال استقلالها وفي بعض الأحيان تتم وحدة اندماج بين بعضها، وكلما حققت هذه الأقطار استقلالها ووحدها كلما برزت قوة ثالثة في العالم إلى حيز الوجود.

تَحذِيرُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْعَمَانِيَّةِ :

ولكن بالرغم من أن هذه الأقطار تحمل اسم الإسلام رسمياً، فإلى أي مدى يا ترى يؤثر الإسلام في التغييرات الحاضرة؟ إذ أن العمانية تستقر على ما يبدو في بعض هذه الأقطار، ولعل هذه بادرة ليست حسنة، فالبعض يزعم أن الدين يجب أن يقتصر على

الحياة الشخصية لأنه ليس من العملى تطبيقه على شئون الدولة. ولكن المؤكد الذى لا يقبل الشك هو أن الإسلام دين لايد أن يقوم بمهمته فى العالم اليوم، فالإسلام يعلم الناس أن من واجبهم أن يجعلوا الدينا مكاناً أفضل لحياتهم، بدلاً من أن يطالبهم بهجر الدنيا والانزواء فى ركن منها وفى عيونهم الدموع، وهذا هو الجهاد الحق، ومعناه الحق ضد الأتانية والجهل والألم، فإذا قيل إن الإسلام ليس مجرد دين بل هو بالإضافة إلى ذلك نظام اجتماعى وسياسى واقتصادى، هذا القول ليس انتقاداً للإسلام بل هو اعتراف بفكرة التوحيد فيه. فنحن نقرأ فى القرآن الكريم أن (الله حكيم عليم)، (له مقاليد السماوات والأرض) فكيف إذن نفصل جزءاً من الحياة عن الجزء الآخر ونقول أن الدين يتعلق فقط بأمكنة وأزمنة معينة؟

الدين للواقع:

فليس الدين مقتصرأ على المسجد يوم الجمعة، مثلما هو الحال بالنسبة للكنيسة يوم الأحد. فأنجلترا تسمى بلداً مسيحياً، مع أن معظم الناس هناك لا يكادون يشهدون أى اجتماع دينى. وكثير من أولئك الذين يذهبون إلى الكنيسة يفعلون ذلك من قبيل الاعتياد البحث. فهناك إحساس بأن الدين ليس له أية صلة مباشرة بالحياة الواقعية.

فالإسلام كالمسيحية نشأ فى آسيا، وما يبعث الأمل أن تجد دعاة مسلمين فى أوروبا حاملين الرسالة مباشرة من الشرق. والمبشرون النصارى الذين يذهبون إلى الشرق لهداية الوثنيين على حد زعمهم ويتناسون على ما يبدو أن جميع الأديان الأوروبية الأصلية قد ماتت وانقرضت، وأن الدين الذى تملكه أوروبا الآن كله قداًتها من الشرق الأوسط. والإسلام لا ينكر المسيح ولا يعبد محمداً، كما يريدنا بعض الناس أن نعتقد. بل على العكس من ذلك أنه يمضى من حيث توقف النصارى، ولقد أخطأ اليهود حين أنكروا المسيح عيسى، والنصارى أخطأوا بإنكار محمد.

وأخيراً فإن الإسلام يشدنى إليه لأنه يقدم لنا فلسفة كاملة للحياة، ولأنه دين حقيقى صحيح ينتشر ويطبق على أيدي أناس يفهمونه. إننى أعتقد أنه ليس بوسع أحد اليوم أن ينكر الإسلام فى هذا العصر. فعلى كل إنسان على الأقل أن يدرسه بعقل متفتح حتى يكتشف ما هو الإسلام فى حقيقته العملية.



بُولندا:

٤٧- عمير أمين شوارك
راجنهولد هنريك سابقاً

تَسْأُلاتٌ مُبَكَّرَةٌ :

اسمى الرسمى هو راجنهولد هنريك شوارك، لى أبوان وأخوان اثنان وأخت واحدة، وقد أكملت دراستى الثانوية عام ١٩٦٩. ولدت فى مدينة لوتز، فى بولندا فى الثانى عشر من يوليو عام ١٩٤٥ لأسرة بروتستانتية لوثرية. وفى سن مبكرة أصبحت مهتمًا بالقضايا الدينية. فشرعت فى تحليل التعاليم النصرانية ودراستها. فلم أستطع قبولها. إذ أنه لم يكن بمقدورى فهم (عقيدة التثليث) لأنه ليس لها أية إجابة منطقية، فكيف يمكن أن يطالب عيسى عليه السلام بأن يحترمه الناس بصفته ابنًا لله بينما نجده يقول: « لا أملك لنفسى شيئاً » يوحنا ٨/٢٨.

ويقول:

«اعبدوا الله ربكم، ولا تشركوا بعبادته شيئاً» متى ١٠/٤.

كذلك لم أفهم لماذا نعتقد أن الطفل يولد آثمًا؟ فما هو الذنب الذى ارتكبه الطفل حتى يعتبر آثمًا؟ ولماذا يوجد بين الله وبين عباده وسطاء كاليسوع عيسى والقساوسة؟ ولماذا يوجد فى بعض الأقطار كنائس مستقلة للبيض وكنائس أخرى منفصلة عنها للملونين؟

شكوكٌ بِالْأَجَابِ :

لقد ناقشت هذه الشكوك مع بعض القسس فلم يستطع أى واحد منهم أن يعطينى الإجابة المقنعة. فبدأت أقرأ كتبًا عن البوذية والهندوكية وغيرهما من الأديان. أما البوذية فلم أجد فيها إلهًا على الإطلاق، وأما فى الهندوكية فقد وجدت أكثر من ثلاثة

آلهة، وجدت فيها ميثاق من الآلهة، لقد آمنت بدافع من فطرتي بوجود إله واحد، إلا أنني لم أكتشف حتى ذلك الحين الطريق الصحيح الذي يوصلني إليه.

وذاث مرة اشتريت كتاباً عن الإسلام، إلا أنني مع الأسف لم أجد فيه سوى قدر ضئيل جداً من المعلومات المجردة من التعصب والأهواء. والشئ الوحيد الرائع الذي مررت به هو الشهادة:

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله!

فأخذت أردد الشهادة مرة بعد أخرى حتى حفظتها عن ظهر قلب. ومنذ تلك اللحظة بدأت أشعر أن من واجبي أن أعرف المزيد عن الإسلام. ولم يكن ذلك بالأمر الهين لأنه في بولندا لا يكاد يوجد أى كتاب إسلامي، ولم أكن فى ذلك الحين قد تعرفت على أى مسلم.

أصبحت مسلماً:

ولما علمت بوجود بعض الطلبة المسلمين فى (لوتز) نفسها اتصلت بهم وسألتهم عن الإسلام، فأخبروني بالكثير عن هذا الدين العظيم، وهكذا أصبحت مسلماً واتخذت لنفسى اسماً جديداً هو (عمر أمين)، وبهذه المناسبة لا بد أن أعرب عن جزيل شكرى وامتنانى لبعض الطلاب السودانيين المسلمين، وعلى الأخص الأخ هاشم الطيب عمر، والأخ أحمد عبد الله حمدين، وقد قدما لى كل ما كنت أحتاج إليه من مساعدة، كما زودانى بعدة مطبوعات ونشرات يصدرها المركز الإسلامى فى جنيف، وبعث إلى الدكتور سعيد رمضان بنسخة من الترجمة الألمانية لمعانى القرآن الكريم، وأرسل لى الأخ محمد صديق^(١) وهو من برلين الغربية بنسخة من المصحف الشريف مع الترجمة الانجليزية، وأنا مدين بالعرفان بالجميل للشيخ عمر شوبرت الذى هو من سكان برلين الغربية أيضاً لمساعدته الأخوية لى.

أين دعاة الإسلام؟

وأعتقد أنه لولا مساعدة هؤلاء الأخوة لى لكان من العسير علىّ جداً أن أبلغ الصراط

(١) انظر قصة إسلامه برقم (١) سابقاً.

المستقيم. ولكنني لا زلت أشعر بالوحدة والعزلة لأنه لا يوجد مسلمون في بلدي، أعنى مدينتي الصغيرة (لوتز) والجالية المسلمة في بولندا صغيرة للغاية وضعيفة ولا تكاد تفعل شيئاً لمصلحة الإسلام، فمعظم المسلمين هنا في بولندا هم مسلمون بالاسم فقط إذ أنهم رضوا بمنهج الحياة المغايرة للإسلام، كما أنه في بلادى بولندا هناك سوء فهم فظيع للإسلام، من أجل ذلك هناك حاجة ماسة إلى نشر الحقيقة عن ديننا بشكل واضح.

ولقد تمكنت بالاستعانة بكتاب الحاج خواجه كمال الدين «الإسلام وصلاة المسلم» من وضع كتاب للصلاة موجه للناطقين باللغة البولندية، وكل دعاء له مقابله في الترجمة البولندية، ولكن ليست هناك فرصة لنشره في بولندا وهذا أمر مؤسف للغاية حقاً.

الإسلام المنهج الكامل للحياة:

ولو أن أحداً سألني عن أهم شيء أعجبنى وشدني إلى الإسلام؟ فلا بد أن أجيب قائلاً: إنني معجب بتعاليم الإسلام الكاملة فيا لها من تعاليم واضحة منطقية! فالإسلام يمنحنا منهج حياة كامل يشمل كافة الجوانب الروحية والمادية جميعاً، والإسلام معناه الأخوة بين البشر حيث لا مجال لأية حواجز عنصرية أو قومية ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] صدق الله العظيم. «كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى». حديث شريف. ولا شك أنه من الصعب على أن أشرح الحقيقة الكاملة وروعة التعاليم الإسلامية في هذه الكلمات القليلة.

الشُّكْرُ الْأَعْظَمُ لِلَّهِ:

أنا سعيد أنني مسلم عيد لله، وأنا فرح أنني قد غدوت عضواً في الأمة الإسلامية. «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله».

في عام ١٩٦٥ حصلت على منحة دراسية بمساعدة سفارة جمهورية مصر العربية في وارسو لدراسة الإسلام بجامعة الأزهر الشريف بالقاهرة، ولكنني للأسف لم أتمكن في ذلك الحين من مغادرة بولندا. أريد أن أعظم اسم الله تعالى وأن أشكره وأحمده لرحمته بي وإرشادي إلى الطريق المستقيم، لا بالقول والكلام فحسب، وإنما بالأعمال أيضاً. وكل

ما أرغب فيه الآن هو أن أكرس حياتي للإسلام، أسأل الله أن يوفقني لرحمته وأن يأذن لي بدراسة الإسلام والعمل في سبيله كداعية إسلامي. فهناك حاجة ماسة ونقص كبير في حقل الدعوة إلى الإسلام في العالم اليوم.

أمل هذا العام أن أبدأ دراستي للغات العربية والتركية والفارسية بجامعة وارسو، لأنني أود أن أعرف الحرف العربي المقدس، لأن من واجب كل مسلم أن يتعلم اللغة العربية فذلك من شأنه أن يقربه من كلام الله ألا وهو القرآن الكريم.

وفي ختام هذه المكاشفة عما يختلج في صدري أحمد الله كثيراً على نعمه علىّ حيث أعادني إلى دين الفطرة الإنسانية الإسلام^(١).



(١) تلقى المؤلف هذه القصة من كاتبها الأخ عمر أمين شوارك مباشرة بعد مراسلة شخصية جرت بينهما. وقد ذكر في خطاب آخر بعد ذلك أنه شرع فعلاً في دراسة اللغات العربية والأوردية والفارسية.

أوربياً :

٤٨- فرانسيس سترين
ذروة التألم الروحي والفكري

هذه مرحلة روحية لشابة أوروبية لا تذكر اسم بلدها الأصلي، ولا اسمها الإسلامي، ولا حتى أى شىء عن حياتها المادية الدنيوية، إنها قصة فريدة من نوعها فى هذه الحلقات المسلسلة من قصص الذين اهتموا، فالكاتبة التى هى نفسها موضوع هذه القصة مهتمة أولاً وقبل كل شىء بالجانب (الروحي) فقط، ولقد تمكنت من تحقيق السلام والطمأنينة والرضا فى حياتها. وبذلك حققت سعادتها المرجوة فى الحياة.

ولن أطيل على القارئ الكريم، ولنستمع إلى ما تقوله الأخت المسلمة فرانسيس سترين:

أَمَنْتُ بِالْإِسْلَامِ:

لقد أقبل كثير من الأوروبيين على اعتناق الإسلام نتيجة لزيارة أقطار إسلامية، وتأثرهم بإخلاص الشعوب المسلمة وحماسها للإسلام، وهذا ما يتناقض تماماً مع روح اللامبالاة الدينية السائدة فى العالم الغربى، إلا أن ذلك لا ينطبق على حالتى، لأننى لم يحدث بعد أن قمت بزيارة أى بلد مسلم، كما أننى لم أكن قد التقيت بأى مسلم إلا بعد أن آمنتم بالإسلام فى سويداء قلبى. لقد كان اهتدائى للإسلام بكل بساطة ثمرة دراستى الشخصية التى استطعت من خلالها التجوال فى شتى مجالات الروح حتى أتيت إلى نهاية المطاف، واختتمت الرحلة فى ديار الإسلام.

شكوك فى مُعْتَقَدَاتِ الْكَنِيسَةِ :

ولدت وترعرعت فى أسرة رومية كاثوليكية، وتعلمت فى مدرسة تبشيرية مسيحية، إلا أنه قبل مغادرتى للمدرسة بوقت قصير بدأت أرتاب فى حقيقة كثير من معتقدات الكنيسة، كعقيدة التثليث، وربوبية عيسى، والخطيئة الأولى ومبدأ الغفران، لأنها بدت

لى غير معقولة بل ضارة فى الآثار التى تحدثها أحياناً، ولا تبرهن على صحتها حتى الأناجيل والكتب المقدسة ذاتها.

لقد أحسست إحساساً قوياً أنه إذا كان الله موجوداً فعلاً وكان طيباً وعادلاً، فلا يمكن أن يكون قد أعطى الحقيقة كلها لأمة واحدة دون سائر الأقسام، وأن يكون قد ترك جميع بنى الإنسان الآخرين فى ظلام دامس وخطأ جسيم! لذا ظهر أمام ناظرى أحد احتمالين:

الأول هو أن جميع الأديان الكبرى صحيحة فى صورتها الأصلية، والثانى: أن تكون كلها زائفة لا معنى لها البتة.

دراسات روحية عميقة:

ثم تستأنف الأخت فرانسييس سترين حديثها فتقول:

«من الواضح أن كافة المعتقدات الدينية تعتقد بشكل أو بآخر أن روح الإنسان تبقى بعد موت الجسد، وحيث إن علماء الروح يزعمون أنهم قادرون على إثبات هذا البقاء، شرعت فى دراسة مزاعمهم. ومن بين الروحانيين الكثيرين الذين اطلعت على مؤلفاتهم فإن المؤلف الشهير سير «أوليقر لودج» الذى وجه اهتمامه لهذا الموضوع، قد أقنعنى حين قال بأن روح الإنسان تعيش فعلاً بعد القبر. هناك الكثير من الخداع والدجل فى هذا المجال بالطبع، إلا أنه بكل تأكيد كذلك هناك نواة من الصدق لا يمكن تجاهلها أو إنكارها.

العقيدة الهندوكية:

وبعد أن أشبعت رغبتى فى دراسة هذا الجانب، بدأت فى دراسة الأديان التى ظهرت فى العالم الشرقى. ولما كانت تعاليم الديانة الهندوكية - ومنها تعاليم فيدانتا ويوجا - قد لقيت رواجاً كبيراً فى الغرب، فقد شرعت فى دراستها أولاً، وهكذا تعرفت على اليونيشاد واليوجاسوترا والباچفاد جيتا فاستقيت منها الكثير من الإلهام والبهجة النفسية. وعشت عدداً من السنين مستنيرة بضوء هذه الفلسفة وبالممارسة المنتظمة للتأمل. وبالرغم من أننى علمت أن العقيدة الهندوكية بالشكل الذى يمارسها الجمهور تشوهها الطائفية والخرافة، لا بل الوثنية البدائية، إلا أننى أحسست دون أدنى ريب أن المبادئ السامية فى الفكر الهندوكى تحمل طابع الوحي الإلهى.

ثم تنتقل الكاتبة إلى الحديث عن مرحلة أخرى من مرحلتها الروحية فتقول:

إلا أن الفلسفة، مهما بلغت من الشفافية والنبيل، ليست طقوساً دينية قابلة للتطبيق، بل تميل إلى أن تظل مجرد فكر وليست قوة محرّكة في حياة الإنسان، لذلك فبعد أن تزوجت وأنجبت أطفالاً كان عليّ واجب العناية بهم، فأصبح من المحال عليّ أن أحقق السلام والوحدة اللازمة للتأمل، لذلك اضطررت بتلكؤ إلى هجر الفلسفة وسعيت إلى الاهتمام في أداء واجباتي وجولاتي المنزلية.

البُودِيَّةُ:

لم أجد ذلك مُرضياً لنفسى لفترة طويلة من الزمان وسرعان ما انجذبت لدراسة الديانة البوذية التي تلقى هي الأخرى اهتماماً وتعاطفاً في العالم الغربي لكونها عقيدة عالمية، لذلك درست الذمابادا ومختلف المذاهب البوذية كالشيرافادا والمهايانا، ورغم أن تعدد المذاهب كان مربكاً أحياناً، بتفاوته من آفاق الفلسفة الماهايانا إلى عجلة الصلاة الآلية المتمثلة في عبادة بوذا عند الجماهير - رغم كل ذلك شعرت أن الحياة البوذية الغنية بالتأمل والدراسة يمكن أن تكون هدفاً روحياً نبيلاً يستحق الاهتمام.

رَهْبَانِيَّةُ ابْدَعُوْهَا:

ولكنني وجدت أنه في الديانة البوذية، تماماً كما هو الشأن في النصرانية لا يمكن بلوغ ذروة الحياة الروحية إلا من خلال وجود رهباني منعزل في الأديرة، وهو وضع لا يمكن للحياة الإنسانية في الدنيا أن تعادله في المكانة الروحية مهما بلغت من الشفافية والنبيل، لذا بدا لي ذلك الأمر غير واقعي بشكل غريب، صحيح أن الحياة الدينية قد تكون أيسر في ظل عزلة الأديرة، ولكنني لم أستطع أن أفهم كيف يمكن اعتبار ذلك أسمى من الانتصار الروحي الذي يتعمق بمواجهة محن الحياة العائلية، ومعضلاتها الكثيرة، والتغلب عليها والانتصار منها من خلال الحياة اليومية على ظهر كوكبنا الأرضي.

كما أنه من الواضح أن رهبانية الأديرة تفقد الحياة العائلية والأجيال القادمة بعض آثارها المهمة، فقبل كل شيء وجدت من المقلق لي كثيراً أن أتخذ لنفسى هدفاً في الحياة لا يمكنني تطبيقه.

زُهَادُ الْعَالَمِ الْعُظْمَاءِ :

وتستأنف الأخت فرانسييس سترين اعترافاتها فتحدث عن تجربة جديدة وتقول:
من حين لآخر بينما كنت أجرى دراسات عامة في المقارنة بين الأديان، فاستقطبت اهتمامي مؤلفات الزهاد العظماء في الأديان المختلفة من أمثال: دوسبروك، وايكهارت، وجلال الدين الرومي، ومؤلف «حيل طاوتى شنج» العميقة (Tao Te Ching). وقد مكنتني تجربتي الخاصة في التأمل من فهم شيء يسير من أهمية مؤلفاتهم التي تحدثت بوضوح تام عن تجربة عامة تشملهم جميعاً بالرغم من صدورها بلغة أديانهم وعقائدهم المختلفة.

ذروة المثنوى وجلال الدين الرومي :

هذه الدراسات كلها كانت تؤكد وجهة نظري بأن جميع الأديان العظمى تنبثق أساساً من مصدر ومشكاة واحدة، كذلك دفعني هذا الاعتقاد إلى دراسة دين مؤلف «المثنوى» - أي جلال الدين الرومي - بصورة أكثر شمولاً، لأنني كنت أعتقد أحياناً أن قيمة أي دين من الأديان يمكن أن تقاس بعظمة رجاله القديسين الزاهدين، مما يوحي بأن الإسلام قد تكون له مكانة أعظم مما يقره الناس له في الغرب.

وكم حيرني أن أرى أن «المثنوى» الذي ألفه الرومي يمكن اعتباره قمة من أعظم الروائع في هذا المجال، بينما يُقدّم لنا الإسلام في الغرب باعتباره الدين البدائي للقبائل العربية العنيفة المتخلفة. وحكامها الظلمة المتهورين الداعرين!!
ومن هنا قررت أن أكتشف السبب في هذا التناقض الواضح.

نحو الإسلام الدين الشامل :

لقد ذهلت حقاً أن أكتشف في الإسلام ديناً توحيدياً صافياً يحض على إخلاص العبادة لله، ويضع نظاماً كاملاً عملياً كى يتبعه الجميع، وبهذا النظام تتعمق الروح الدينية وتنمو بصورة مستمرة، هنا في الإسلام نجد المبادئ الأساسية للدين الحق مصونة تماماً بصورة مذهشة من كل الإضافات ومحاولات الحذف المعقدة التي فرضت على الأديان الأخرى، حتى غدا من العسير الإيمان بها أو اتباعها بإخلاص وصدق.

الإسلام أولاً وقبل كل شيء هو دين يأمر بالإيمان بأنبياء الله جميعاً ولا يزعم لنفسه

أن يكون خصماً أو أنه المستودع الوحيد للحقيقة، وإنما هو ذكر وتوكيد لجوهر الهدى الصافى الذى جاء به جميع رسل الله السابقين إلى سائر الأمم من بنى الإنسان.

كذلك وجدت أن تعاليم الإسلام عبارة عن تعاليم واقعية إيجابية لا تسعى إلى إيجاد صراع خاطئ بين الجسد والروح، أو تتخذ موقفاً معادياً من حياة الناس العادية وما تحمله فى طياتها من فرص كثيرة للاجتهد والنظام الروحي، فالإسلام ينظر إلى الحياة بكل جوانبها على أنها فرصة لعبادة الله والتوجه الكامل إليه سبحانه، وهى فرصة مفتوحة لجميع الناس بالتساوى دون أدنى وساطة، أو تدخل من أى نوع من جهة كهنوت علوى متسلط!!

حينئذ شعرت أننى كنت دائماً مسلمة بالمعنى الأساسى للكلمة، أو على الأقل منذ أن آمننت بأن كافة أنبياء الله العظماء جاءوا إلى الناس بنفس الرسالة السماوية من عند الله، وما الاختلاف بينهم إلا فى طريقة التعبير، كما أيقنت أن الإسلام قد حافظ على الرسالة الأخيرة فى صورتها الصحيحة الأصلية.

رُوحُ الإِسْلَامِ:

ولما سئلت الأخت فرانسيس عن قراءتها الإسلامية الأخرى والكتب التى أعجبتها من بين ما قرأت؟ قالت:

إن أكثر كتاب كان له عظيم الأثر فى نفسى ضمن دراساتى الإسلامية هو كتاب «روح الإسلام» لسيد أمير على، رغم ما يتعرض له هذا الكتاب من انتقاد فى بعض ما ورد فيه من قبل العالم الإسلامى بالنسبة لكثير من العادات والمواقف التى كان المؤلف يتمنى أن يتحقق إصلاحها، فهو يضع أمام المسلمين والعالم أجمع حقيقة عظمة الإسلام الصافى الملهم، الذى يقع على عاتق كل مسلم محاولة تطبيقه فى مجال الحياة العملية، فهو كتاب من واجب كل طالب مسلم أن يعمل على قراءته ودراسته.

فى عالمنا الحديث الذى تلتقى فيه جميع الأمم وتقترب من بعضها قريباً شديداً، بفضل معجزات النقل السريع التقت الحضارتان الإسلامية والغربية وتخالطت فى نقاط عديدة، وأخذت تؤثر وتتأثر ببعضها البعض. وهذا بلا شك له فائدته إذا تم بالروح الصحيحة. إلا أنه يقال أحياناً أن الشباب المسلم قد سلب لُبُّه التقدم المادى الغربى حتى مال إلى الإعجاب بكل شىء غربى وتقليده إلى درجة أنه ضحى بالإسلام وتخلّى عنه جريئاً وراء المادية الكافرة بالله!!

الحضارة الغربية والعالم الإسلامي:

لست واحدة من أولئك الذين ينفضون أيديهم من الحضارة الغربية على اعتبار أنها شر كلها، وبذلك تستحق عندهم الإدانة بعد الاتهام، وإنما أعتقد على العكس من ذلك بأنها قد حققت الكثير من الخير والفائدة الدائمة لأن جهد سيدنا عيسى عليه السلام لم يضع سدى، وأود أن أقول إن الأمور الطيبة التي تحققت تشمل التقدم العلمي والتكنولوجي والتقدم في مجالات الطب والخدمات العامة، والتعليم وممارسة المساواة بين الجنسين والاعتراف بمبدأ التزوج بواحدة فقط^(١).

ويمكن أن يقال بحق بأن كل هذه المنجزات قد أشار إليها القرآن الكريم منذ أمد بعيد، وإذا كان الغرب قد لحق بالشرق وسبقه في هذه الأمور فليس ذلك ذنب الإسلام، وإنما يرجع إلى عجز المسلمين عن حمل تعاليمه الصحيحة ووضعها موضع التطبيق.

وبعد أن أعريت عن تقديري لمنجزات الغرب فلا بد لي، مع ذلك، أن أعتز بالجوانب المظلمة والمشيئة من الحياة الغربية، وهي الجوانب التي يستنكرها كل المسلمين دون شك. وفي هذا المضمار أذكر الشعور العام باللامبالاة نحو القيم الدينية، والتي حلت محلها عبادة المال والراحة والمتعة، وتدنى المستويات الثقافية وامتهان العفة والكرامة جهاراً والتنكر العام لروابط الأسرة وواجباتها، والانغماس في شرب الكحول ولعب القمار!!

دار الإسلام والقيادة العالمية:

من أجل ذلك، يتهيأ لي أنه تتاح الآن فرصة فريدة كي تنهض (دار الإسلام) وتسلم زمام القيادة في العالم على الصعيدين الأخلاقي والثقافي، وحمل نبراس التقدم مرة أخرى وتسليمه للأجيال القادمة، ولن يتم ذلك على كل حال، بالتقليد الأعمى للغرب، وإنما يتحقق عن طريق استيعاب منجزات الغرب النظيفة، وضمها إلى نظام التقدم الإسلامي الحق، الذي لا سبيل إلى وجوده ونشأته إلا بالفهم العميق والتطبيق الدقيق المخلص لروح الإسلام ومبادئه الصحيحة.



(١) هذه هي وجهة نظر الكاتبة، وهي ليست بالضرورة موقف الإسلام في هذه القضية، لأن الإسلام قد أباح التعدد ولم يعتبره منافياً للفضيلة، وإنما جعله علاجاً حكيماً لمشكلات كثيرة.

مُصْر:

٤٩- الحاج إبراهيم خليل أحمد
القيس إبراهيم خليل فيلربوس سابقاً

تمهيد: مِنْ عَدُوِّ إِلَى دَاعِيَةٍ:

كان الحاج إبراهيم خليل أحمد قساً مبصراً يحمل أرفع الشهادات في اللاهوت من كلية اللاهوت المصرية، ومن جامعة برنستون الأمريكية، وكانت مهمته تزييف حقيقة الإسلام والدعوة ضد مبادئه، وفجأة شاء الله له الهداية فأعلن انقلاباً ذاتياً على مهمته واتخذ موقفاً مغايراً لها تماماً، سبحان الله، كم من خصم لدود للإسلام يناصبه العداء ويتآمر ضده ويكيد له أعظم الكيد، ثم يتحول بإرادة ربانية سماوية إلى داعية مخلص للإسلام ولا يقتصر ذلك على زماننا، فبدأ بعمر بن الخطاب الذي كان ألد أعداء محمد ﷺ والذي كان يريد قتل هذا النبي، ثم أسلم فأصبح الفاروق عمر الذي ملأ الدنيا عدلاً وسعادة، ومروراً بآل أبي سفيان وزوجه هند آكلة الأكباد والتي دفعت ثمناً باهظاً لقتل سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، والتي كانت تقول للرسول بعد أن أسلمت: والله ما كان هناك بيت أبغض إلينا من بيتك، وها نحن الآن والله ما من بيت أحب إلينا من بيتك، وعلى مر العصور يحول الله من شاء من عباده من المحاولة لهدم هذا الدين والإجهاز عليه إلى التضحية بالروح والنفس والنفيس للذود عنه. وقضية القسيس إبراهيم خليل تضيف فصلاً جديداً في هذا الكتاب الرباني الرائع، وسنة الله في حفظ هذا الدين.

القصة من أولها:

يبدأ الحاج إبراهيم خليل أحمد قصته قائلاً والذي كان اسمه من قبل «القس إبراهيم خليل فيلوبوس»:

أنا من مواليد الإسكندرية في ١٣ يناير ١٩١٩م درست في مدارس الإرسالية الأمريكية حتى الثانوية العامة، ثم حصلت على دبلوم كلية أسيوط سنة ١٩٤٢م

وتخصصت في الدراسات الدينية تمهيداً لدخولي (كلية اللاهوت)، ولم يكن الالتحاق بكلية اللاهوت بالأمر السهل، ولا يستطيع أى حاصل على الدبلوم أن يلتحق بهذه الكلية، بل لابد من تزكية الكنيسة واجتياز عدد من الاختبارات الدقيقة، ولقد حصلت على تزكية كنيسة العطارين بالإسكندرية، كما حصلت على تزكية (المجمع الكَنَسَى) للوجه البحرى بعد إجراء اختبارات عديدة ودقيقة للتعرف على مدى استعدادى لأن أصبح رجل دين، ثم حصلت على تزكية المجمع (السنودس) وهو يضم مجموعة قساوسة من السودان ومصر ويعتبر كمؤتمر دينى عام. وقد قرر السنودس الموافقة على دخولي كلية اللاهوت سنة ١٩٤٤ بالقسم الداخلى، ودرست على يد أساتذة أمريكيين ومصريين وتخرجت فى عام ١٩٤٨.

وقد كان المفروض أن أعين فى القدس .. لكن حرب فلسطين نشبت فى ذلك العام فعينت فى بلدة إسنا بالوجه القبلى فى مصر، وسجلت رسالة فى العام نفسه عن طريق الجامعة الأمريكية فى القاهرة، وكانت رسالتى عن العمل التبشيرى بين المسلمين .. وقد بدأ تعرفى على الإسلام من خلال دراستى فى كلية اللاهوت، فتنحن فى هذه الكلية ندرس الإسلام وكل الأساليب التى نستطيع من خلالها زعزعة إيمان المسلمين وتشكيكهم فيه!!!

من الظلمات إلى النور:

وفى سنة ١٩٥٢ حصلت على الماجستير من جامعة برنستون الأمريكية، وعينت أستاذاً بكلية اللاهوت فى أسيوط، وكنت أقوم بتدريس الإسلام والمغالطات والافتراءات والشائعات التى يرددها أعداؤه والمبشرون ضده .. وقد رأيت فى هذه الفترة أن أوسع دراستى لكل جوانب الإسلام، وقررت ألا أكتفى بالاطلاع على كتب المبشرين والمستشرقين التى تقتصر على الطعن فى الإسلام، ولثقتى بنفسى وحبى للعلم قررت أن أقرأ وجهة النظر الأخرى، وأدرس كتب المسلمين أنفسهم بل وقررت أن أدرس القرآن بتعمق.

وكان هدفى من هذا كله أن أصبح متمكناً من مادتى تماماً بحيث أستطيع دفع الحجة بالحجة، وأكون قادراً على أن أضيف إلى حجج المبشرين ضد الإسلام حججاً جديدة من

خلال دراستي وتعمقي .. لكن النتيجة في الواقع كانت عكسية، فقد بدأ موقفى يهتز، وبدأت أشعر بصراع داخلى عنيف بينى وبين نفسى، واكتشفت أن ما درسته من قبل وما كنت أبشر به وأقوله للناس كله زيف وكذب.

لكننى لم أستطع مواجهة نفسى وحاولت التغلب على هذه الأزمة الداخلية والاستمرار فى عملى. وفى سنة ١٩٥٤ نقلت إلى أسوان سكرتيراً عاماً للإرسالية الألمانية السويسرية، وكانت هذه وظيفة صورية، أما حقيقة مهمتى فكانت التبشير ضد الإسلام فى الصعيد الأقصى وخاصة بين المسلمين.

ثورة على نفسى وكذبنى :

وفى تلك الأثناء عقد مؤتمر تبشيري فى فندق «كترأكت» بأسوان ودعيت للكلام فيه، وتكلمت يومها كثيراً، ورددت كل المطاعن المحفوظة ضد الإسلام .. وبعد أن انتهيت من كلامى عاودتنى أزمى الذاتية، وبدأت فى مراجعة موقفى مرة أخرى وعدت أسأل نفسى:

لماذا أقول هذا وأفعله وأنا أعلم أننى كاذب؟ وأن هذا الذى أقوله ليس هو الحق؟ واستأذنت قبل انتهاء المؤتمر وخرجت وحدى متجهاً إلى بيتى، كنت مهزوزاً متأزماً للغاية، وكنت أسير فى حديقة فريال واستمعت ساعتها للآية الكريمة:

﴿ قُلْ أُوْحِيَّ إِلَىٰ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا... ﴾ [الجن: ١، ٢].

إلى قوله تعالى ﴿ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا... ﴾ [الجن: ١٣].

فى تلك الليلة شعرت براحة نفسية عميقة .. عدت إلى بيتى وقضيت الليل كله وحدى فى المكتبة أقرأ القرآن. وسألتنى زوجتى عن سر سهرى وعمأ أقرأ؟ فطلبت إليها أن تتركنى وحدى. ولقد وقفت طويلاً عند الآية الكريمة:

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ... ﴾

[الحشر: ٢١].

كما وقفت طويلاً أتأمل معنى الآية الكريمة:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّرَدَّةً
لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾
وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ
رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا
رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿المائدة: ٨٢ - ٨٤﴾.

وكذلك قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ
يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ
عَنَّهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي
أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿الأعراف: ١٥٧﴾.

والآية الكريمة:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يُوْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ﴿الأعراف: ١٥٨﴾.

قراري النهائي: الإسلام:

في تلك الليلة اتخذت قراري النهائي .. وفي الصباح تحدثت مع زوجتي، وكان لي
منها ثلاثة أولاد وبنات، لكن زوجتي بمجرد أنها سمعت أنني ميال للإسلام وأفكر في
إشهار إسلامي، صرخت واستغاثت برئيس الإرسالية «مسيو شافتز» وهو سويسري وكان
رجلاً داهية، وقد سألتني عن حقيقة موقفي، فأكدت له ما أخبرته به زوجتي فقال لي:
اعتبر نفسك موقوفاً عن العمل حتى نرى حقيقة ما أصابك.

فقلت له: بل هذه هي استقالتي من عملي .. حاول أن يقنعني بتأجيلها لكنني
صممت عليها فأشاع في الناس أنني أصبت بالجنون، وتعرضت وقتها لمحنة شديدة
واضطهاد عظيم، فاضطرت لترك أسوان نهائياً والعودة إلى القاهرة.

كَيْفَ أَعْلَنَ إِسْلَامَهُ؟

وفى القاهرة تعرفت على أستاذ فاضل ساعدنى كثيراً على اجتياز محنتى دون أن يعرف شيئاً عن قصتى، وكان يعاملنى على أننى مسلم لأننى قدمت نفسى إليه كمسلم رغم أننى لم أكن قد أشهرت إسلامى بعد، كان هو الدكتور (محمد عبد المنعم الجمال) الذى كان وكيلاً لوزارة الخزانة، وكان مهتماً بالدراسات الإسلامية وكان يريد إعداد ترجمة لمعانى القرآن لينشرها فى أمريكا.

وقد استعان بى لإتقانى اللغة الإنجليزية ولأننى حاصل على الماجستير من جامعة أمريكية، وعرف أيضاً أننى أقوم بعمل دراسة مقارنة للقرآن والتوراة والإنجيل، وقد تعاوناً معاً فى هذه الدراسة وفى ترجمة معانى القرآن، ولما عرف أننى استقلت من عملى فى أسوان وأننى لا أعمل، ساعدنى على إيجاد عمل فى شركة «ستاندارد ستيشنرى» فى القاهرة.

وهكذا استقرت أمورى فى ذلك الوقت، ولم أكن أتحدث مع زوجتى فى موضوع إشهار إسلامى، فاعتقدت أننى نسيت هذه الحكاية وأنها أزمة وانتهت .. لكننى كنت أعرف أن إشهار إسلامى رسمياً يحتاج إلى إجراءات طويلة معقدة، ومعركة رأيت أن أؤجلها إلى وقت لاحق حتى تستقر أمورى، وحتى أنتهى من دراستى المقارنة للقرآن والإنجيل والتوراة، وقد انتهيت منها فعلاً فى عام ١٩٥٩م كما أن أمورى المادية والمعيشية كانت قد استقرت حيث كنت قد استقلت من الشركة وأنشأت مكتباً تجارياً لاستيراد الأدوات الكتابية، ونجحت فيه ووهبني الله رزقاً حلالاً كان يكفينى ويزيد عن حاجتى.

عَقَبَاتُ هَائِلَةٌ:

وقررت حينئذ أن أشهر إسلامى رسمياً .. وفى يوم ١٩٥٩/١٢/٢٥ أرسلت برقية للدكتور طومسون رئيس الإرسالية الأمريكية فى مصر، أخبرته فيها بأننى اعتنقت الإسلام، كما تقدمت فى اليوم نفسه بطلب إلى محافظة القاهرة لاتخاذ الإجراءات الرسمية لإشهار إسلامى، وأخبرت صديقى الدكتور الجمال بالأمر وقصصت عليه قصتى كاملة لأول مرة فذهل.

أما معركتي الحقيقية فكانت قد بدأت، إذ يقضى نظام المحافظة على أى مسيحي يريد أن يشهر إسلامه أن تنتدب الكنيسة التي يتبعها أحد القساوسة للحضور أمام لجنة المحافظة التي تعقد له جلسة مناقشة علنية بحضور القسيس، فإذا تأكدت اللجنة من صدق نيته وإصراره على إشهار إسلامه برضاً كامل، ودون أية مؤثرات أو عوامل غير طبيعية فإنها تحرر محضراً رسمياً بذلك وتعطيه شهادة بإشهار إسلامه.

مَحَاوَلَاتُ يَأْسَةِ:

بالنسبة لى عندما أرسلت طلبى للمحافظة قامت بإخطار الكنيسة لانتداب أحد القساوسة، وحددوا لى جلسة للمناقشة، ولكن قبل موعد الجلسة بثلاثة أيام عدت إلى بيتى فوجدت سبعة من كبار الشخصيات المسيحية ينتظروننى فى البيت!! تحدثوا إلى طويلاً فى الأمر وبلهجة لينة وكثير من الترغيب، أما أنا فكنت قد انتهيت إلى قرار وتصميم فرفضت كل عروضهم وقلت لهم:

إننى لو كنت أسعى لمغنم لما آمنت، وإن عقيدتى وإيمانى فوق كل العروض والمغريات، فقالوا لى: كيف تترك دينك؟ قلت لهم: إن الإسلام هو الذروة الدينية التي أراها الله للإنسانية كافة وأنتم تعرفون ذلك، فبدأ البعض يهاجم الرسول بكلمات نابية، وانقلبوا على تهديدات أولها أن الزوجة تترك البيت، فقلت لهم: الزوجة حرة، لكنهم استمروا فى تهديدى بالقتل، فقلت لهم أخيراً: ماذا تريدون بالضبط؟ قالوا: نريدك ألا تذهب لحضور الجلسة فى المحافظة، فيسقط طلبك ويعتبر الموضوع منتهياً.. وكان اليوم يوم أحد، فقلت لهم: سأفكر، وتركونى يائسين.

وفى اليوم التالى جاءنى قسيس أكبر منى سنًا، وكانت له صلة وثيقة بى، وظل يبكى فقرأت عليه قوله تعالى:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [المائدة: ٨٣، ٨٤].

وقلت له: أولى بك أن تبكى خشوعاً لله عند سماع القرآن، وأن تؤمن بالحق الذي تعرفه وتنكره، فقام وتركنى بعد أن يئس وأدرك أن لا فائدة.

وعندما ذهبت إلى جلسة المحافظة علمت أنه هو المكلف بحضور الجلسة، لكنه أرسل يعتذر عن عدم الحضور بسبب المرض ويطلب تأجيل الجلسة، وظل يتغيب عن الجلسة بحجة المرض ويقصد التعطيل، لكن اللجنة كان من حقها أن تشهر إسلامي إذا تغيب القسيس أكثر من جلستين، فعلاً وافقوا على إشهار إسلامي، وكان ذلك في يناير ١٩٦٠م.

أَسْمَاءُ أَوْلَادِي جَمِيعًا، وَالزَّوْجَةُ قَارَبَتْ :

ولما سئل الحاج إبراهيم خليل أحمد عن موقف زوجته قال:

في ذلك الوقت تركتني زوجتي وأخذت أثاث البيت، لكن أولادي جميعهم انضموا إلى صفّي وأشهروا إسلامهم، وكان أكثرهم حماساً ابني الكبير إسحق الذي غير اسمه إلى أسامة، ثم ابني يوسف وبقي اسمه على ما هو عليه، وابني صموئيل الذي أصبح اسمه جمال، ثم ابنتي ماجدة وسميها نجوى .. وأسامة اليوم دكتور في الفلسفة ويعمل أستاذاً في جامعة السوربون بباريس في قسم الدراسات الشرقية، ويقوم بتدريس علم النفس وله كتابات في مجلة «لوموند» الفرنسية.

أما زوجتي فقد غابت ست سنوات عن البيت، ثم وافقت على العودة إليّ في سنة ١٩٦٦ على أن تتمسك بدينها، فوافقتها لأن الإسلام دين سماحة ولا إكراه في الدين، وقلت لها: أنا لا أريدك أن تسلمى لإرضائي أو لتبعتي ولكن عن اقتناع وإيمان، والواقع أنها الآن تشعر في أعماقها وقرارة نفسها بالإيمان لكنها لا تستطيع إعلان ذلك خوفاً من عائلتها، ولكنها تتعامل معنا كمسلمة، بل وتصوم رمضان معنا لأن أولادي جميعاً يصومون ويصلون، وابنتي نجوى في كلية التجارة، ويوسف دكتور صيدلي، وجمال مهندس.

اضْطَرَّادُ وَمَقَاطَعَةٌ :

لا أريد أن أشرح تفاصيل ما تعرضت له من اضطهاد ومتاعب، وخاصة من جانب أهلي الذين قاطعوني وحاولوا قتلي، كما أنني اضطرت لتصفية أعمال مكتبي لأن كل البيوتات التجارية التي كنت أتعامل معها في الخارج تضافرت على مقاطعتي، وعدم التعامل معي، وجميع أصحاب هذه البيوتات أجنب، لكنني لم أهتز وقررت أن أصرف

وقتي وبقية عمري في الدعوة للإسلام والكتابة عنه، وساعدني على ذلك أننى عُينت في ١٩٦١م في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بوظيفة سكرتير لجنة الخبراء ولجنة إحياء التراث الإسلامى.

مؤلفات ونشاط في الدعوة:

وقد استطعت خلال هذه الفترة من عام ١٩٦١ حتى الآن أن أصدر عدة كتب تكشف عن حقائق الإسلام، وعن أساليب المبشرين والمستشرقين ضده، وكتبى التى نشرتها فعلاً هى:

- ١- «محمد فى التوراة والإنجيل والقرآن» وهى الدراسة المقارنة للأديان الثلاثة التى بدأتها فى عام ١٩٥٦م وانتهيت منها فى عام ١٩٥٩.
- ٢- المستشرقون والمبشرون فى العالم العربى والإسلامى.
- ٣- إسرائيل والتلمود.
- ٤- «تاريخ بنى إسرائيل» وهو ثلاثة أجزاء هى:
 - (أ) إسرائيل فتنة الأجيال.
 - (ب) إسرائيل فى العصور القديمة.
 - (ج) إسرائيل فى العصور الحديثة.
- ٥- الاستشراق والتبشير وصلتهما بالامبريالية العالمية.
- ٦- المسيح إنسان لا إله.
- ٧- الإسلام فى الكتب السماوية.
- ٨- المخطط التبشيري والإستعمار.
- ٩- أعرف عدوك: إسرائيل عقيدة وسياسة.
- ١٠- وأقوم الآن بإعداد دراسة مقارنة لوضع المرأة فى الأديان الثلاثة وإبراز مكانة المرأة فى الإسلام ..

هذا وقد حججت إلى بيت الله في عام ١٩٧٣ وأديت مناسك العمرة مرتين، وأقوم بنشاط واسع في الدعوة للإسلام، وأجرى ندوات في الجامعات والمساجد والجمعيات الخيرية، وقد جاءتني دعوة من السودان في عام ١٩٧٤ وأحييت عدة ندوات في السودان.. وعمومًا فإن أوقاتي كلها مكرسة لخدمة الإسلام وأرجو الله أن يهدي بي من لم يهتد بعد.

عَنَّا صِرَ الْإِسْلَامِ الَّتِي اسْتَوْقَفْتُهُ:

قلت للحاج إبراهيم خليل: أريد أن تحدثني عن العناصر الأساسية التي استوقفتك في الإسلام وعمقت إيمانك به فقال:

١- صِدْقُ الرَّسُولِ وَإِعْجَازُ الْقُرْآنِ:

إن الإيمان لا بد أن ينبع من القلب أولاً، والواقع أن إيماني بالإسلام تسلسل إلى قلبي خلال فترات طويلة، منذ بدأت دراستي للإسلام في كلية اللاهوت ومن قرأتني للقرآن ودراستي لتاريخ الرسول ﷺ ودعوته أيقنت أنه نبي مرسل من عند الله، وبدأت قناعتني بما كانوا يقولونه لنا من أنه مُدَّعٍ أو أنه كاذب بدأت قناعتني بهذا الكلام تهتز... فكيف لرجل أمي لم يتعلم أبداً على بشر أن يأتي بهذا القرآن الذي بلغ حد الإعجاز؟ وما زال حتى الآن وسيبقى إلى الأبد معجزة؟! إذ لا يمكن لبشر مهما أوتى من موهبة أن يأتي بآية واحدة منه؟ ثم هذا النظام المحكم الذي عالج كل قضايا الدين والإيمان والحياة بمنطق علمي فوق كل علم وفوق كل تصور بشري، هل يمكن لبشر أن يأتي بهذا كله من عنده؟!

سؤال يجب أن يسأله كل مفكر:

ثم قال:

إن البداية تنطلق طبيعاً من هذا التفكير، والسؤال الذي يجب أن يطرحه كل مفكر في هذا الأمر هو:

هل يمكن لمحمد الرجل الأمي أن يؤلف هذا القرآن من عنده بما فيه من إعجاز في الأسلوب وإعجاز في التفكير وشمول موضوعي لكل قضايا الدين والدنيا؟ وهو الأمر الذي يعجز عنه أي مفكر، مهما بلغت درايته وعبقريته وسعة أفقه؟ وقد يكون ممكناً أن

يأتى مفكر بنظام معين فى الاقتصاد، أو بنظرية فى الاجتماع أو فى الفلسفة، أو فى العلوم أو اللاهوت، لكن أن يأتى مفكر واحد بنظام شمولى يجمع كل هذه الجوانب، وفى كتاب محكم شامل معجز، فهذا فوق طاقة وقدرة أى بشر على مر كل العصور.

كنت دائماً أقرأ القرآن الكريم وأقرأ تاريخ الرسول وأحاول أن أجد أساساً واحداً يمكن أن يقنعنى أن محمداً هذا الإنسان الأسمى الفقير اليتيم يستطيع وحده أن يؤلف هذا القرآن، ويحدث كل تلك الثورة التى غيرت تاريخ العالم ولا تزال؟!

وهل يمكن أن تبلغ بلاغة أى إنسان أو قدرته على مناقشة الآخرين الدرجة التى يقول معها:

﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشَى فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (٨) انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٩) تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا (١٠) بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ [الفرقان: ٧-١١].

٢- نظام التوحيد:

استوقفنى كثيراً نظام التوحيد فى الإسلام، وهو من أبرز معالم الإسلام ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ إن التوحيد يجعلنى عبداً لله وحده لست عبداً لأى إنسان، التوحيد فى الإسلام يحرر الإنسان ويجعله غير خاضع لأى إنسان، وتلك هى الحرية الحقيقية فلا عبودية إلا لله وحده.

أما نظام الغفران فى الإسلام فالقاعدة الأساسية للإيمان تقوم على الصلة المباشرة بين العبد وربّه:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [الزمر: ٥٣، ٥٤].

فالإنسان في الإسلام يتوب إلى الله وحده، لا وجود لوسطاء ولا لصكوك غفران أو كراسي اعتراف، لأن العلاقة مباشرة بين الإنسان وربه.

٣- مَوْقِفُ الْإِسْلَامِ مِنَ الْمَرْأَةِ:

كذلك استوقفني كثيراً موقف الإسلام من المرأة، فالإسلام أعطى المرأة مكانة لم تحظ بها في أية ملة أو دين غيره، لقد أعطاه الإسلام حقوقاً كأم و بنت وزوجة كما أعطاه سيادة: استمع إلى الآية الكريمة التي تقول:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

فالعلاقة بين الرجل والمرأة علاقة مودة ورحمة، والاتحاد بين الرجل والمرأة آية من آيات الله تعالى، وليس هناك تكريم للمرأة مثل هذا التكريم في أي دين من الأديان، فالمرأة في الديانة اليهودية تعتبر مجرد متعة ولا حق لها ولا قيمة، وفي النصرانية تعتبر المرأة همماً ومعتلاً للرجل عن العبادة، وانفصال المرأة عن زوجها في المسيحية يمنعها من الزواج وهذا يعرضها للفتنة.

إن نظرة الإسلام للمرأة تأتي في نطاق بناء متكامل لمجتمع حر عادل ليس فيه عبودية ولا طغيان، ولا إكراه ولا كهنوت ولا وسطاء يستغلون الناس باسم الدين أو باسم الدنيا.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا:

وعلى العموم لو أردت أن أتحدث عما جعلني أعتنق الإسلام لاحتاج الأمر لمجلدات أتحدث فيها عن كل ما في الإسلام من مزايا، لكنني أكتفي بقولي: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله^(١).



(١) عن ملحق جريدة القيس الغراء بتاريخ ٣٠ من أغسطس ١٩٧٦م.

إنجلترا:

٥٠- قمر الدين عَسَب

أفكار مشبوهة:

لقد كان أول اتصال لى بالإسلام فى سنغافورة فى شهر مايو عام ١٩٦٤. وكنت نصرانياً آنذاك وكنت أستمسك بدينى تمسكاً شديداً، لم أكن أعرف شيئاً يذكر عن الإسلام، ولم أكن أفكر فى أى دين آخر إلا الدين المسيحى، وكان المسلمون بالنسبة لى مخلوقات غامضة ربما كانت تعبد الأوثان، ويوسع الواحد منهم أن يتخذ أكثر من زوجة فى آن واحد!!

ثم صادقت كثيراً من الأجناس الآسيوية فى سنغافورة ولكنى كنت أحب الملايوين بشكل خاص، إذ كانوا يتحلون بصفة لا أستطيع تتبعها إلا أنها جذبتنى نحوهم، وكنت أفكر - وعقلى يقشعر لهذه الأفكار الآن - بأنه قد يكون من قبيل القسوة الشديدة أن لا يدخل الله بعض هؤلاء على الأقل فى الجنة.

وعدت إلى إنجلترا فى عام ١٩٦٥ لزيارة والدتى التى كانت مريضة مرضاً شديداً. ولما كنت فى إجازة لمدة شهر كامل هناك، رأيت أنه لن يضيرنى أن أقرأ عن الدين الإسلامى، فلعلى أفهم طريقة الحياة التى يعيشها شعب الملايو بصورة أفضل قليلاً.

قراءات فى الإسلام:

وبدأت بقراءة القرآن من طباعة سلسلة «بنجوين» لكتب روائع التراث وهى من ترجمة ن.ج. داود، كما قرأت كتاب و. منتجومرى وات «محمد نبى ورجل دولة». وقد ساعدنى الجمع بين قراءة هذين الكتابين على تحقيق فهم أفضل للإسلام. ولكنى أعترف أننى لم أجلس وأقرأ وأفكر ثم أهضم ما قرأته مثلما يفعل الطالب الدارس، إلا أن الانطباع العام كان من تلك القراءة أن محمداً ليس إلا مجرد مُدَّعٍ للنبوَّة، وأن القرآن لا يعدو أن يكون تقليداً هزلياً لكتبنا النصرانية المقدسة^(١).

(١) مما يؤسف له أن هذا الانطباع المشوه هو ما يحرص على تركيزه المستشرقون حين يكتبون عن الإسلام وعن نبى الإسلام عليه الصلاة والسلام، وما ذلك إلا بسبب الروح الصليبية الحاكمة التى تملى عليهم كتاباتهم. هذه هى الحقيقة فى معظم كتابات المستشرقين. وهى حقيقة مؤسفة على كل حال.

ورغم عدم تأثرى كثيراً من قراءتى الأولى عن الدين الإسلامى، إلا أننى شعرت أننى أصبحت أكثر قريناً من أصدقائى شعب الملايو، إذ أننى عرفت أنهم يعبدون نفس الإله الذى أعبد، ويؤمنون بأمر تشبه ما أؤمن به.

تكاليف الإسلام:

ولقد كنت مسروراً أننى لم أكن مسلماً لأسباب عديدة، إذ أن الإسلام بدا لى حينئذٍ شديد الحركة والجهد قوياً يتدخل كثيراً فى الشؤون الشخصية للإنسان، فمن يستطيع أن يصحو مبكراً كل يوم فى الصباح الباكر ليصلى ثم يستمر فى الصلاة كل يوم خمس مرات بشكل مستمر؟ ومن يوسعه أن يصوم دون أن يتناول قليلاً من الماء فى يوم لافح شديد الحرارة كما هو الحال فى سنغافورة؟

إن من يستطيع ذلك هو بلا شك معقد للغاية، وكان لحم الخنزير بالببيض يمثل وجبة الإفطار المفضلة لى، لا، لم أكن أرى حينئذٍ أى شىء فى الإسلام، فماذا فى الخنزير؟ ألم يخلق الله الخنزير؟ أليست الأناجيل السماوية تخبرنا أنه:

«لا يوجد شىء خلقه الله ربك غير طاهر»؟

حتى ذلك الحين كنت مواظباً على حضور القداس فى الكنيسة، وكنت أشهد فقط درس الوعظ الأول من يوم الأحد، وكان ذلك أهم درس دينى بالنسبة لى حيث يشارك كل نصرانى فى تناول الخبز والنبيد ويرمزان إلى جسد المسيح ودمه، وكنت أشعر أثناء هذا الدرس أننى أقرب ما أكون إلى الله، إذ كنت أرتفع إلى مكان أسمى وأستعلى على نفسى المجردة!!

حوار نفسى هائل:

ولكنى لست أدرى لماذا ظللت أفكر فى الإسلام؟ كل ما أعرفه أن شيئاً ما ظل يتحدث لى كالشريط المسجل، وظلت الأفكار ذاتها تدور فى ذهنى مرة تلو أخرى، وكثيراً ما يطرح عقلى قضايا للحوار ويرد عليها بمثلها، فكنت أسأل نفسى:

لماذا لا تصوم؟ هل تعجز عن ترك الطعام لمدة يوم واحد تكريماً لربك الذى منحك كل

ما ترى؟ وكنت أجد الجواب على ذلك يقول: إن الرب يعلم إذا كان قلبي مخلصاً أم لا، وهو ليس بحاجة إلى دليل على ذلك، لأنه يعلم.

ثم أسمع النداء التالي من أعماق نفسى يخاطبني:

«أنت أيها المعجب كثيراً بنفسك، هل أنت أكبر من بضع صلوات تؤديها لربك؟»
ويأتى الجواب: «أنا أصلى، إننى أصلى كثيراً أنا فقط لا أسجد على يدي وركبتي لإثبات ذلك».

ثم تتردد العبارة التالية فى صدرى لإخماد جميع الشكوك: المسيح ابن الله، المسيح ابن الله، المسيح ابن الله!!

كما كنت أردد العقيدة التى كنت أقولها فى الكنيسة فى صباح كل يوم أحد: أنا وأؤمن بالله، الأب خالق السموات القوى، وخالق الأرض، وأؤمن بالمسيح عيسى ابن الله المقدس الوحيد!!!

ثم جاء وقت بدأت أشعر فيه بصوت خافت من أعماق نفسى يسأل:

«هل كان هو ابن الله، أم كان نبياً؟» ويصرخ عقلى بالجواب قائلاً: لا، لقد كان ابن الله! لقد كان! لقد كان!.

أَيْنَ الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ؟

وفى ذات يوم أحد، وبينما كنت أركع أمام المحراب لأتسلم الخبز والخبز فى الكنيسة أحسست بالدم بصعد إلى وجهى، وشعرت أننى مريض واستحييت من نفسى، كنت أعلم أننى كاذب، وقد عرفنى بذلك شىء آخر فى داخلى، شىء كان يمزقنى جهة قلبى ويصرخ بصمت قائلاً: أيها المنافق!!

لم أذهب إلى الكنيسة ثانية لعدة أشهر بعد ذلك، ومضى الوقت بسرعة بطريقة لاهية ضحلة. وكنت كثيراً ما أحس باكتئاب عميق، لقد آمنت بالله كما كنت دائماً، ولكنى لم أعد أعرف الطريق إليه!!!

ولما جاء شهر رمضان من عام ١٩٦٥ - ١٩٦٦ صُمت مع أصدقائى من أبناء الملايو، ولم يكن ذلك الصيام لمجرد الاستخفاء من النقد الناطق فى نفسى، صحيح أننى لم

ألتزم بشروط الصيام كما يجب أن يكون، ولكن الاستيقاظ فى الساعات الأولى من الصباح، والترنح تجاه المطبخ الإسلامى وأنا ألبس السارى الملايوى والقميص كاد أن يقتلنى، وكنت أتضايق من الطعام الذى يقدمه لى أصدقائى من أبناء الملايو وهم ضاحكون، إلا أننى رأيت النور، لقد وجدت شيئاً ما فى الصيام، شيئاً جعله يستحق العناية والاهتمام.

استمر صومى لمدة ثلاثة أيام فقط حيث أرسلت بعدها فى مهمة مؤقتة إلى (ملقا) فى ماليزيا، وبدلاً من أن أقضى وقتى كله فى المعسكر كنت أسير على الساحل شبه الاستوائى الذى يعشقه جميع الإنجليز ويطربون له كثيراً، وقبل عودتى إلى سنغافورة بأسبوع واحد لقيت مجموعة من شباب الملايو، وكانوا جميعاً يقاربون سنّى فبدأت معهم مناقشة عابرة على سبيل الاهتمام المشترك مما هو مختلف لدى كل منا، وقد دعيت إلى بيوت عديدة وكنت ضيفهم الذى يلقي كل ترحيب، لقد تأثرت من طريقة الحياة الإسلامىة التى يعيشها الناس هناك بصورة طبيعية، وهى طريقة ليست يسيرة دائماً، وكثيراً ما تكون مأساوية إلا أنها تشعر المرء بالراحة والرضا والحب.

الله أكبر:

وعندما عدت إلى سنغافورة تسلمت خطاباً من هؤلاء الأصدقاء الذين صادقهم فى (ملقا) يدعوننى فيه إلى الانضمام إليهم ومشاركتهم الاحتفال بالعيد، فلبيت الدعوة وقضيت ليلة العيد فى منزل إمام القرية، ولقد أيقظنى فى الساعات المبكرة من الصباح نشيد إسلامى، ونظرت فشهدت من الشرفة التى وجدتها فى غرفتى جمعاً من الناس كانوا يرتدون زياً موحداً هو الزى الملايوى، لقد كانت عيونهم ووجوههم وأصواتهم والمحيط كله من حولهم يشع بالسعادة. وكانوا يرددون عبارة واحدة هى «الله أكبر» إنها العبارة الوحيدة التى فهمتها، فقد كانت أذناى تمتلئان بالسعادة والبهجة كلما سمعت هذه الكلمات.

الرجول فى الإسلام:

ومر العام بسرعة دون أن أتخذ أية حركة إيجابية نحو الإسلام. ولكن عندما اقترب

موعد رجوعى إلى إنجلترا أحسست أننى قررت أن أصبح مسلماً دون أن أعرف متى سيكون ذلك. ثم تم اعتناقى الإسلام فى اليوم الثانى عشر من أكتوبر عام ١٩٦٦، فأصبحت فى عداد المسلمين منذ ذلك الحين، رغم أننى أسلمت فى قرارة نفسى قبل ذلك بوقت طويل.

وفى اليوم الرابع من شهر كانون أول - ديسمبر عام ١٩٦٦ عدت إلى إنجلترا فى فصل الشتاء البارد الموحش، ولما علمت أسرتى باعتناقى للإسلام واجهنى أبى بالعداء علناً، ولما علم أن موقفه قد أصبح معروفاً لم يتحدث فى الموضوع ثانية، أما أخى الذى يصغرنى بعامين اثنين فقد رضى بالوضع مع شىء من اللامبالاة، وكانت جدتى متحمسة لرجوع حفيدها إلى درجة أنها كانت حريصة على معرفة ما أحب أن آكله وما لا أحب أكثر من اهتمامها بمسألة الدين.

مَنَاعِبُ الطَّرِيقِ:

وفى الأشهر الأولى من اعتناقى للإسلام فى سنغافورة لم أكن ألتزم بأوامر دينى الجديد التزاماً كاملاً. صحيح أننى كنت أعرف كيفية الوضوء والصلاة، إلا أن هذه المعرفة البسيطة لم تكن لتصد أمام أى انتقاد ولو كان انتقاداً ودياً للغاية. لذا كنت أشعر بنفور شديد حين زرت المركز الإسلامى الثقافى فى لندن للمرة الأولى. خرجت يومها، وكان يوم جمعة فى ساعة مبكرة من الصباح لأداء فريضة الجمعة، لم أكن أعرف المنطقة جيداً وهكذا فقدت طريقى فى منطقة (ريجنت بارك) وأخذت أتجول فى المنطقة وأدور، وكنت أنظر بتفاؤل إلى خط السماء عند الأفق أفتش عن أى شىء يشبه المسجد. ولكن للأسف بدأت السماء تمطر، ولم أتمكن من الوصول إلى المركز إلا وأنا مبلل تماماً، واكتشفت أننى تأخرت عن موعد الصلاة ثلاث ساعات كاملة، وعدت فى الأسبوع التالى فى الوقت المناسب. وشعرت بالراحة حين وجدت أن قليلاً من الحاضرين يعرفون بالضبط ما يجب عليهم عمله، كما أننى عندما هممت بمغادرة المركز سألتنى أحد المسلمين قائلاً: أنت قادم من أى جزء من سوريا؟ لقد دهشت وشعرت بالارتياح حين لم يعتبرننى الحاضرون إنجليزياً، فمن الواضح أننى لست غريباً فى هذا المكان كما كنت أحسب من قبل.

وفي شهر رمضان كنت أشعر في بداية الأمر أنني اعتنقت الإسلام في لحظة غير مناسبة، إذ كان الصيام شاقاً بالنسبة لي، لأنه رغم قصر النهار بالنسبة إلى مثيله في الملايو، كان لدى وقت فراغ طويل وكان صعباً على نفسي أن أجلس وأنتظر، كما أن الجو البارد في انجلترا إذا قيس بالجو الاستوائي في سنغافورة كان شديد البرودة بالنسبة لي ومعدتي خاوية، وكانت أشد ساعة في النهار ما بين الواحدة والثانية بعد الظهر حيث شعرت بالبرد الشديد. والتعب.

الإسلامُ روح الحياة:

ثم بدأت في قراءة ترجمة أخرى لمعاني القرآن الكريم وكانت من إعداد محمد مرمدوك بكنال^(١)، لقد أحببت هذا الكتاب أكثر من الترجمة السابقة، وهكذا فحين جمعت بين الصوم وقراءة القرآن والصلاة، وخاصة صلاة الجمعة بدأت أفهم معنى الإسلام. لقد أحسست بوعى ويقظة في أعماق نفسي، شعرت بحياة جديدة، وإثارة وأمل.

وعندما عدت إلى الجيش ثانية في أواخر شهر يناير سمح لي المسئولون بالعيش في بيتي وحضور صلاة الجمعة. ولم أقض في معسكرات الجيش كمسلم إلا أسبوعين وكنت ملتحقاً بمستشفى ولوش. وهناك قابلني الناس بدهشة واستغراب مسل.

وذاث يوم سألني أحد أصدقائي القدامى في سنغافورة: إلى أي مدى كنت جاداً في اتباع ديني؟ فسألته عن سبب هذا التساؤل؟ فأجاب قائلاً بأن أحد زملائي في الغرفة استفسر منه عما إذا كنت قد اعتنقت ديناً شرقياً غريباً؟ وأضاف وهو لا يكاد يصدق ما يقول: إنه يلبس تنورة طويلة ويقف على حصيرة ويعبد بوصلة. هذا ما قاله الزميل المندهبش. لم أكن أتصور أن يعتبر الناس الساري الملايوي تنورة طويلة، أما الباقي فانتظره من غير المسلم.

لا أستطيع أن أعبر في كلمات عن الفرحة التي أجنبيها من صلاة الجمعة. كما لا يمكنني أن أعرب عن شعوري بالرضا الروحي الذي كسبته من حضور بعض المخيمات

(١) ستأتي قصة إسلامه فيما بعد برقم (١٠٠).

والتجمعات الإسلامية مع بعض إخواني المسلمين في بريطانيا. كما أصبحت الصلاة تعنى بالنسبة لى الكثير حين تعلمت الفاتحة باللغة العربية. لذلك فحين أنظر إلى صلاتى فى بداية إسلامى وأحس بأنها كان ينقصها الإخلاص والخشوع والتركيذ، أخذت أعيد تلك الصلاة ثانية.

وأقوى إحساس ينتابنى هو شعورى بالوحدة مع بقية المسلمين، ويقينى بأننا نفوز باتحادنا، ونخسر بفرقتنا، وأكثر شىء أؤمن به هو ما يتردد كثيراً فى القرآن الكريم بأن الله هو (الرحمن الرحيم) وفى بعض الأحيان وأنا أصلى بالليل تفيض عيناي بالدموع ويهيج قلبى ويتقبض حلقى بدافع من الحب والخجل من نفسى، ولشعورى بالشكر والأمل، الشكر على الصراط الذى اهتديت إليه، والأمل لما أحس به كغيرى من المسلمين بما لدينا من رصيد ضخم لإيماننا بهذا الدين.



النمسا:

٥١- جميلة قرار
مسلمة نمساوية جبرية

هذه قصة فتاة مسلمة نمساوية التقت بشاب أفغانى مسلم وتعرفت على الإسلام ثم آمنت به وتزوجت الشاب، ولنستمع إليها وهي تحكى لماذا أسلمت؟ تقول الأخت جميلة قرار التى ترتدى اللباس الأفغانى:

نشأتُ بلادين !!

ولدت فى النمسا عام ١٩٤٩ ونشأت بلادين لأن والدى كانا ملحدين، وأرادا أن تكون أختى الصغرى وأنا مثلهما. وأذكر أننى منذ أن كنت حديثة السن تقريباً، أى عندما كنت طالبة فى المرحلة الثانوية كنت أحس بعدم الرضا لكونى بلادين، فلم أكن أو من بقوة عظمى بوسعها وحدها أن تقدم العون والأمان بصورة تفوق تصور البشر ومقاييسهم، ولكن لعلى لم أكن أشعر فى ذلك الحين بمثل هذا فى الظروف التى عشتها، إلا أننى أذكر أن العزلة التى كنت نعيشها فى ظل المجتمعات النصرانية كان من الصعب احتمالها.

وعندما بلغت الرابعة عشرة من العمر بدأت أعمل بوظيفة ضاربة على الآلة الطابعة، وكنت أتردد على مدرسة مهنية للتجارة بالإضافة إلى ساعات العمل كطابعة، لقد نشأت فى مجتمع مادى انحطت فيه القيم الدينية، وليس من العجب إذن أن تكون اهتماماتى فى ذلك الحين ذات طابع مادى بحت أيضاً.

وبالرغم من ذلك فقد حاولت أن أعرف شيئاً عن مبادئ المسيحية لأننى مازلت حتى ذلك الوقت أفكر فى أن أكون مسيحية متمسكة بدينى، إلا أن مبادئ المسيحية لم تفلح فى إقناعى بالحقيقة، لأننى كإنسانة ملحدة آنذاك كنت أريد براهين واضحة، لا مجرد مبادئ جامدة غامضة يقدمها لنا البشر، ولا تثبت أمام المنطق الفاحص والدراسة الناقدة.

قِرَاءَاتٌ مُشَوِّهَةٌ عَنِ الْإِسْلَامِ:

ولقد كان عمري ثمانية عشر عاماً حين أصبحت مشكلة الشرق الأوسط - في عام ١٩٦٧ المشنوم - حديث الساعة في العالم كله، ولقد أدى الحديث الكثير عن السياسة في تلك المنطقة إلى اهتمامي بالثقافة والحضارة العربية، فقد أردت أن أعرف المحرك الأساسي للعرب، وأن أطلع على نظرتهم إلى الحياة، لذا أخذت أقرأ عن الإسلام وقرأت ما وقعت عليه يدي، وقد علمت اليوم أن معظم ما قرأته من روايات وتقارير غربية عن الإسلام والمسلمين كان مشوهاً للحقيقة، وبالرغم من ذلك ازداد اهتمامي بالإسلام.

ولقد سعدت كثيراً حين اتصلت بجمعية ثقافية إسلامية في (فيينا) وكم سررت وأنا أقرأ ما يقول المسلمون عن أنفسهم وما يصفون به دينهم، وتأثرت كثيراً بدافع المساواة بين المسلمين، كما أعجبنى أن يكون الإسلام ديناً عالمياً، فقد وجدت في الإسلام ديناً يوحد جميع الأديان والألوان في ظل نظام ديني فريد، فهناك أخوة حقيقية بين المسلمين لا ولم يعرف مثلها المجتمع المادي الغربي على الإطلاق، كما لا تستطيع العبارات الجوفاء كالشيعوية مثلاً أن تقدم مثلها أبداً.

الإسلامُ تغييرٌ وتحريرٌ:

لقد اعتنقت الإسلام وأنا في العشرين من عمري تقريباً، إذ شعرت عندها أنني كمسلمة يمكنني أن أحيي حياةً كاملةً جديرة بالحياة، وأن الإسلام يجعل المرء يشبع حاجاته الروحية والمادية على حد سواء، في توازن يضمن تطور عقلية ثقافية مبدعة، ويحقق اجتهاداً دائماً دائباً لتحسين الوضع المادي للإنسان، على أساس من الإصلاح ليس للإنسان وحده بل لجميع الخلائق.

وغنى عن البيان أن أذكر أن الإسلام قد أحدث تغييراً ثورياً في حياتي كلها، إذ حررتني من اليأس العنيد والتذمر والاستسلام، وهي نتائج نجمت عن النظرة المادية التي تهيمن على كثير من الناس في المجتمعات الغربية. وقد استطعت بفضل الاعتماد على نفسي أن أتعلم الكثير عن الإسلام مما مكنني من الإسهام في الحركات الثقافية الإسلامية، ثم تزوجت من طالب مسلم من أفغانستان وها نحن نعيش الآن في بلاده منذ عام واحد، ومعنا ابنتا والصغيران، بعد أن أكمل زوجي دراسته في النمسا.

نظراتٌ فاحِصةٌ:

وأحب أن أقول على كل حال إننا كمسلمين سواء كنا نعيش في مجتمعات أو بلاد إسلامية أو خارجها علينا أن لا ننظر إلى أنفسنا نظرة مثالية معرضين عن عيوبنا وجوانب الضعف فيها، بل لا بد أن نتحلى بنظرة فاحصة ومواقف ناقدة لمجتمعاتنا، كما أن علينا أن نعتزف بأنه حتى في المجتمعات الإسلامية التي لا يزال أفرادها يعيشون عيشة تقليدية لم تكد تتأثر بالحضارة الغربية، في هذه المجتمعات لا يطبق الإسلام إلا ظاهرياً وبطريقة شكلية، ويقتصر الوعي الإسلامي على الهيمنة فقط على عقول بعض المسلمين التقليديين، ورغم ذلك فحياتهم وأعمالهم لا تتأثر بالإسلام إلا في الظاهر، وليس معنى ذلك أن نياس ويخيب ظننا، بل على العكس تماماً، إذ أننا بالتركيز على النشاطات التربوية لا بد لنا أن نبين لهؤلاء المسلمين التقليديين، وكذلك للمسلمين المستغربين - أي الذين فتنوا بالحضارة الغربية وبريقها الكاذب - أن الإسلام بصفته ديناً عالمياً وعقيدة كونية يعتبر مناسباً لكافة مراحل تطور الحياة الإنسانية في المستقبل. فهو ينسجم مع منجزات الإنسان الحديثة في كافة مجالات النشاط الإنساني.

الإسلامُ دينُ الحركةِ والعملِ:

كذلك من واجب نشاطات المسلمين في ميدان البحث والعلم أن نبرهن لأولئك الذي يظنون أن جمود المجتمعات المسلمة وتخلفها خلال القرون الأخيرة هو تطور ضروري نجم عن تعاليم الإسلام في زعمهم، وأن نثبت لهم أن الإسلام الحقيقي والإسلام الأصيل هو في الحقيقة دين حركة، يستطيع بفضل جهود المسلمين بعد عون الله أن يشكل قوة ثورية تحرر الإنسان من العبودية للقوة، وخاصة المدمرة المهلكة، وأن تقوده إلى التقدم البناء وتمكنه من تطوير قدراته وإمكاناته الإيجابية المختلفة.

ولا شك أن الكلمات الرنانة وحدها لا يمكن أن تحدث أي تغيير نحو الأفضل، وإنما من المهمات الحساسة الملقاة على عاتق المسلمين المستنيرين والمثقفين، أن يكرسوا جهودهم المختلفة للقيام ببحوث بناءة في ظل روح الإسلام، ومبادئه الحقيقية وإحياء وبعث طريقه المستقيم واستخراج كنوزه الحيوية، وأن يبينوا للمسلمين اليائسين الذين يتطلعون إلى العقائد الأخرى وكذلك لغير المسلمين الذين يبحثون عن غايات جديدة وقيم لحياتهم أن الإسلام هو نقطة البدء الجديدة أمام الإنسانية جمعاء.

السُّلُوكُ الْحَسَنُ أَفْضَلُ دَعَايَةِ الْإِسْلَامِ:

وفى سبيل مواصلة هذه الجهود وعلى الأخص بين الجاليات والأقليات المسلمة لا بل حتى فى المجتمعات الإسلامية التقليدية يعتبر السلوك الشخصى للمسلم الواعى أفضل سبيل للتعريف بمزايا الإسلام ونظامه الصالح للإنسانية بحق، فالحياة المستقيمة الصالحة تحقق للفرد السلام الداخلى والتقدم الروحى، كما أن الأعمال الصالحة الملتزمة بأوامر الله يستطيع المسلم عن طريقها أن ينقل هذا السلام إلى مجتمعه وبذلك يتحقق التفاهم والاحترام بين الناس وهو ما نحتاج إليه كثيراً.

ومما يؤكد ذلك قول الله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ومن الأمور المفيدة التى تعيننا على القيام بواجباتنا الإنسانية بطريقة أفضل إجراء الدراسات حول التعاليم الإسلامية، وعلى الأخص أقوال الرسول ﷺ وأفعاله. كما أن نظرة إلى تاريخ الصحابة الكرام ودراسة تحليلية لطريقة فهمهم للرسالة المحمدية من شأنها أن تنير لنا الطريق.

بقى شىء مهم على كل حال وهو مدى استعدادنا الشخصى لتنفيذ هذه التوجيهات الهادية، والحكمة الخلاقة فى حياتنا الفردية وذلك من خلال أعمالنا اليومية، وعن طريق كسبنا للمعرفة وتعليمنا ومحاولاتنا للتطور والتقدم فى كافة المجالات، وأن يهيمن على ذلك كله شعور بالخوف من الله وتقواه بدلاً من الأنانية فى أية صورة من صورها الذميمة.

وعلينا أن نذكر ما وعدنا الله به حين قال سبحانه:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر: ٣٨] صدق الله العظيم.



كندا: ٥٢- خليل شاه

وهذه أول قصة من نوعها في هذه السلسلة الإسلامية، إنها لرجل كندى اهتدى إلى الإسلام عن طريق التصوف، أو الرياضة النفسية، إنه يبدأ قصته بقوله:

ولدت في الخامس من شهر أغسطس عام ١٩٤١ في مدينة لندن الكندية، بمقاطعة أو نتاريو - كندا، وكان والدي يعمل مدرساً في مدرسة ثانوية، ولكنه بعد ولادتي بوقت قصير، اتخذ لنفسه مهنة أخرى فعمل كمصلح أخلاقي ومخرج للكتب المصورة، أما أمي فكانت هي الأخرى مصلحة اجتماعية لها ميول سياسية قوية. إذ أنها ولدت في أسرة عاملة، وانضمت أثناء سنوات الكساد إلى جمعية تسمى C.C.F. والتي عرفت فيما بعد باسم N.D.P.

أسرة متحررة من الدين:

ولقد شعرت وأنا بعد صبي بالضيق والملل من واجبات المدرسة وأعمالها، وكان لي قليل من الأصدقاء، وكنت مشاغباً بصورة مستمرة. ولما بلغت العاشرة من عمري التحقت بفرقة موسيقى كنيسة كانت تبعد ميلاً أو ميلين عن دارنا، ولم يكن والدي مسروراً بذلك، إذ كان أبوه بطريقاً في الكنيسة الإنجيلية، وعندما كان أبي طالباً في قسم التبشير وهو في العشرين من عمره، تمرد على الكنيسة وهجرها بصورة نهائية، لذلك كان يعتبر نفسه من المتحررين ولم يحتفظ بشيء من الدين إلا ما كان في صورة التحرر الإنساني وغيره من الشعارات، وكان يعتقد أن الله هو العالم كله، أو حتى الكون كله والقوانين والسنن التي تحكم سيره، أي أنه كان ينظر إلى العالم على اعتبار أنه نوع من ساعات نيوتن، وبالرغم من ذلك فقد كان أبي يتمسك بشدة بأداب السلوك المسيحية، كما كان يؤمن بضرورة العيش في ظل المحبة.

بهذه المقدمة يبدأ السيد خليل شاه قصته، ولا يفوتني أن أذكر للقارئ الكريم أنني لقيت السيد خليل شاه أثناء زيارته التي قام بها للكويت في مطلع العام الحالي حيث

كان عضواً في وفد يمثل المسلمين الكنديين بقيادة رجل باكستاني الأصل مسلم يدعى الدكتور قدير بيچ، الذي يعمل أستاذاً في إحدى الجامعات الكندية بمنطقة أونتاريو. والملاحظ في قصة الأخ خليل شاه ميله إلى الصوفية والتصوف الإسلامي - إذا صحت التسمية - بشكل خاص. إنه يستأنف قصته بقوله:

حَيَاة بِالْمَعْنَى :

ولما دخلت المدرسة العليا وبلغت سن المراهقة أحسست أن الحياة تكتسحني اكتساحاً، واعترتني تغيرات حاسمة، فقد زاد اهتمامي بالحياة الاجتماعية، وقررت أن أكتسب شعبية كبيرة من غير أن يدفعني أي إحساس أو وازع طبيعي، ووضعت خطة لحملة تكسبني الكثير من الأصدقاء وتمكنني من التأثير في الناس، فعقدت صداقة مدروسة مع كبار المسؤولين في مدرستنا العليا، كما شمل ذلك برنامجاً شاقاً من التدريب الجسمي حسنت فيه من مهاراتي، ثم فقدت كل اهتمام بالحياة الاجتماعية، وربما كان سبب ذلك أنني حققت كل ما أريد، ووجدت أن ذلك كله لا معنى له، ومن هنا بدأت أركز اهتمامي على دراستي، وبعد ستة أشهر من العمل الدائب بلغت درجة جعلت من اليسير عليّ دخول الجامعة.

تَجْرِبَةٌ غَرِيبَةٌ :

وذات صباح، بينما كنت في السنة الأولى بجامعة أونتاريو الغربية تعرضت لتجربة غريبة ومثيرة، فمنذ شهور وأنا أجلس عدة ساعات كل أسبوع محاولاً أن أجد حلاً لأحد الألغاز في لعبة الداما، حيث يطلب من المرء أن يجمع عدداً من القطع الغريبة الشكل على رقعة الداما، وكان أسلوبى في تجميعها يتميز بالتمهل والتسلية حتى جاء اليوم الذي نجحت في المحاولة، إلا أنني في الليلة السابقة لذلك شعرت فجأة بالجدية، فقد درست الموقف وقلت لنفسى إننى لم أنجز شيئاً خلال هذه السنة الأولى من حياتى الجامعية، وقررت أن أفوز بشيء، ولذلك عزم على أن لا أذهب إلى فراشى إلا بعد أن أحل اللغز، فعكفت عليه حتى الساعة الثالثة صباحاً، ولكنى لم أقترب من الحل قيد أنملة، فلجأت إلى فراشى وأنا مرهق حتى العظم، وكنت أبكى من خيبة أملى، وفى اليوم التالي لم أستيقظ بالطريقة المعتادة، بل استيقظت وأنا يتملكنى شعور بأننى أمتلك

شيئاً، لم أكن كعادتي، وإنما كنت كمن يشاهد جسمًا يتحرك، لقد شاهدت هذا الجسم ينهض ويتجه نحو المقعد الملقاة عليه قطع اللغز مبعثرة كما تركتها الليلة، وأخذت أرقب وكلّي إحساس بالثقة والإثارة الغريبة، لقد أمسكت اليدين بسرعة وخفة القطع الملقاة قطعة قطعة وصففتها في مكانها، وحل اللغز! ثم عدت إلى جسدي وأنا أشعر بالنشوة التي تنتابنا في الأحلام.

مَا وَرَاءَ الظَّوَاهِرِ وَالْأَشْيَاءِ :

لقد أدت هذه التجربة وما شابهها من التجارب النفسية إلى تشجيعي على دراسة الرياضيات، فقد بدأت أكتشف نظاماً رياضياً فيما وراء الحقيقة، كما شعرت أن هناك «موجوداً» وراء الحقيقة، ولم أكن أعتقد أن هذا الشيء الموجود (هو الله) وإنما ظننت أنه كائن حكيم جداً جاء ليرشدنا ويهدينا، هذا الكائن كان مستقلاً عني تماماً، وعلى كل حال، كان لدى انطباع بأنني حين أفرغ من دراسة الرياضيات فإنني سأحقق مزيداً من الهداية.

حَرَكَاتُ التَّمَرُّدِ الْاجْتِمَاعِيِّ :

ويتحدث السيد خليل شاه عما جرى له في السنين التالية فيقول:

وفي السنوات القليلة التالية أجدت الرياضيات إجابة تامة، وتخرجت ثم درست في جامعة (واترلو) لمدة عام واحد وحصلت على درجة الماجستير منها، وتزوجت من امرأة تدعى (باتريشيا) وذهبت إلى الولايات المتحدة حيث شرعت في دراسة الدكتوراه في الرياضيات بجامعة متشجن في آن آربر.

وبدا لي أن الأمور ستسير على ما يرام هنا في الجامعة، وفجأة برزت أمامي حركة (الهيبيين) وأخذ أصدقائي يقعون فريسة لهذا العالم الغريب الواحد تلو الآخر، فطلعوا على بشعورهم الطويلة المسترسلة ووجوه باسمة وبدأت أنا نفسي أخوض التجربة في هذا العالم، فأخذت أدخن (الماريجوانا) بانتظام، كما أخذت أخلق في رحلات حبوب (ل.س.د) المخدرة، وغيرها من العقاقير المنتشرة بين الناس. وأخذت أتعلم مع أصدقائي أشياء عن الملاحظة في هذه الأكوان الغريبة التي خضنا غمارها. فشاهدنا حجب الحقيقة

العادية تتساقط وتتلاشى، وحل محلها جمال أخاذ وأحياناً شناعة وقبح شديدان. واكتشفنا نسبة التعبير، كما تعلمنا كيف نقرأ أفكار الناس من خلال تعبيرات وجوههم وغير ذلك من الأمور الغريبة، وهكذا انزوت دراساتي طى الإهمال، وكنت على وشك السقوط نهائياً، وترك زوجتى وطفلى (جوناثان) الذى كان يبلغ من العمر عامين.

ثم تدخلت يد الأقدار فى صورة رئيس قسم علوم الكمبيوتر بجامعة أونتاريو الغربية فعرض على منصباً فى إدارته، وعدنا إلى لندن بكندا وأخذت بالتدرج أعيد ترتيب حياتى فى شكلها الأصلى المتناسك.

الرَّوحِيَّةُ الْغَامِضَةُ:

نسيت أن ذكر أننى قبل ذلك، وبينما كنت فى آن آربر عثرت عند كثير من أعضاء مجموعتنا على كتاب بعنوان «بحثاً عن المعجزة» بقلم ب.د. اوسبنسكى وقد تحدث هذا الرجل عن شخص يدعى جوردييف كان يعلم الناس عن فطرة الإنسان فى أعماقها الداخلية، فطرة الحقيقة المطلقة، وعرفنا أن هذا الأخير هو تلميذ لحركة غريبة غامضة من المتصوفة، وقد طالعنا كل ما استطاعت أيدينا الوصول إليه عن هذا الموضوع.

وفى لندن واصلت هذه المطالعة وبطريق المصادفة البحتة عثرت فى إحدى الصحف على عنوان لسيدة، ولما خاطبتها هاتفياً شجعتنى على زيارتها فما كان منى إلا أن توجهت إليها فى الحال، وكم أثار دهشتى أن أرى امرأة تعيش حياة تقليدية مع عمه لها، وكل رأسمالها الابتسامات والحديث المستمر عن الله لقد تأثرت كثيراً بهاتين السيدتين اللتين ظهرت لى بعض كراماتهما من خلال الأدعية والصلاة. وفى السنة التالية سمعت عن مجموعة من المتصوفين مركزهم سيشل بواشنطن، فطرت إليهم مع صديق لى وقابلت قائد المجموعة وكان يتبع تعاليم حضرة عنايت خان. فدخلت وصديقى وانتسبنا للمجموعة وعدنا إلى بلدنا سعداء. وقد تمسكت بإخلاص بتعاليم هذه الطائفة حتى مطلع عام ١٩٧٤ حين سمعت عن رجل يدعى الدكتور قدبر بيچ فى تورنتو. وكان هو الآخر صوفياً له مجموعته، وكان يدخل الناس فيها، فشرعت فى زيارته فشعرت بالتزام هذا الرجل وإخلاصه، وقربه من الله وانشغاله به. والواقع أننى شعرت أن هذا الرجل متصوف حقاً أكثر من أى رجل آخر قابلته من قبل.

أَهْدَيْتُ إِلَى الْإِسْلَامِ:

بدأ الدكتور قدير بييج فى تعليمى أصول التصوف فى الإسلام، فأحسست أن الصوفية لا معنى لها بعيداً عن الإسلام. وبعد ذلك بزمن يسير انتسبت إلى الطريقة الشستية على يد الدكتور قدير بييج وأصبحت بفضل الله مسلماً منذ ذلك التاريخ وأخذ كل شىء فى حياتى يتغير إلى الأفضل.

بهذه الكلمات ينهى الأخ خليل شاه كلماته واعترافاته عن كيفية دخوله الإسلام، وما أن قام بجولة إلى البلاد العربية والإسلامية حتى تعرف على الإسلام أكثر فأكثر من منابعه الصافية، وهو الآن مسلم مجاهد فى سبيل عقيدته ودينه الجديد.



نيچيريا:

٥٣- زينب توره

ليديا لنسي سابقاً

الآنسة زينب توره، المعروفة من قبل باسم ليديا لنسي فتاة نيچيرية فى العشرين من عمرها، كان أجدادها من عبدة الطبيعة، ثم تحولوا إلى النصرانية على أيدي المنصرين.

تبدأ الآنسة زينب حديثها عن إسلامها فتقول:

أُسْرَةُ نَصْرَانِيَّةٍ:

ولدت وترعرعت فى أسرة مسيحية، وكان أبواي مطبقين للنصرانية، فقد اعتنقا الديانة النصرانية نتيجة للنشاطات المبكرة التى قامت بها الحركة التنصيرية فى شمال نيچيريا، وقد تركا موطنهما الأصلي فى مقاطعة بيرنو وانتقلا إلى جورودوكا بمقاطعة أدماوا، وهذه الأخيرة كانت مركزاً مهماً للنشاط التنصيرى.

وفى موقعة الجديد أصبح والدى مبشراً بالإنجيل، إلا أن ضعف صحته أجبره على ملازمة الفراش فى أيامه الأخيرة، ولكنه مع ذلك نجح فى تنصير عدد كبير من الناس قبل وفاته، أما والدتى، فلا تزال عضواً فى الكنيسة، وقد كانت ذات يرم خادمة فى الكنيسة، وهكذا نشأت فى بيئة مسيحية مئة فى المئة، ولم يحدث قط فى طفولتى أن سمعت شيئاً عن أى دين باستثناء الدين النصرانى.

أَسْئَلَةٌ بِأَجْوَابٍ:

وتستأنف الأخت زينب حديثها فتقول:

وكون والدى من النصارى لا يستلزم بالضرورة أن أكون نصرانية أيضاً، ولذلك فعندما كبرت لم أكن مقتنعة بمعظم التعاليم والمبادئ النصرانية، وبدأت أسأل أسئلة كثيرة، ولكن لسوء الحظ لم أجد إجابة عليها. ومن هذه الأسئلة سؤال عن (الثالوث المقدس) والخلص عن طريق دم (المسيح عليه السلام)، فكلما كنت أوجه هذه الأسئلة

وغيرها كنت أجد جواباً واحداً هو: أن هذه القضايا فوق فهم البشر، وأنها أسرار مقدسة على المرء أن يؤمن بها دون محاولة لمعرفة، وهذا بالطبع لم يقنعني على الإطلاق.

وكان جوابي دائماً هو قولي:

ولكن كيف لي أن أؤمن بما لا أفهم؟! ولقد شعرت أن ذلك لا يعني منطقاً مقبولاً عندي، فلم يقبله عقلي، وإذا سلمت به من غير اقتناع فذلك نوع من خداع النفس، وذات مرة، عندما كنا في المدرسة الثانوية أخبرنا المدرس بأن علينا أن لا نسأل بأي حال من الأحوال عن الكتب المقدسة، لأن ذلك يجعلنا من الآثمين، وهكذا ازدادت شكوكي بصورة مستمرة، وبدأت أترك الكنيسة تدريجياً، وكلما أكثرت من قراءة الكتاب المقدس كلما ازداد ضيقي، حيث إنني لم أستطع حل بعض التناقضات:

فعلى سبيل المثال يقول الكتاب المقدس شيئاً ما، بينما يقول المبشر شيئاً آخر مختلفاً عنه تمام الاختلاف، وتوقفت عن توجيه الأسئلة خشية التعرض للمهاجمة، إلا أنني لم أستطع الإيمان بتلك التعاليم على الإطلاق!!

إِنْعَادُ الْإِيمَانِ:

وعندما كنت في المدرسة الثانوية بلغ عدم إيماني حده الأقصى، لذلك حاولت التغيب عن القداس بقدر الإمكان، لأنني في حال ذهابي إلى سماعه كنت أقع نائمة طوال مدة قراءته بدلاً من متابعة المراسم الدينية، وبقيت على هذه الحالة من عدم الإيمان رغم بقائي نصرانية بالاسم فقط حتى عام ١٩٦٧ حين قررت أن أجرب شيئاً، في ذلك الحين التحقت بالكنيسة الرومية الكاثوليكية، لا بصفة عضو، وإنما كمراقبة فقط، وبعد بضعة أسابيع حضرت خلالها قداسهم بالكنيسة شعرت أن مبادئهم وتعاليمهم أكثر استبداداً وبعيدة عن المنطق. وكرهت فكرة الاعتراف بخطاياي كل أسبوع أمام القسيس. فمهما يكن شخصه أحسست أنه بشر مثلي وكل إنسان خطأ، وأبغضت رؤية الصور والتماثيل في الكنيسة لأنها بدت لي كنوع من عبادة الأوثان!!

ثم تضيف الأنسة زينب إلى قصتها فتقول: وهكذا تركت الكنيسة الكاثوليكية دون أدنى تردد، ومنذ ذلك الحين فقدت كل اهتمام بالدين، وعشت كنصرانية اسماً فقط إذ كنت نادراً ما أحضر القداس.

بَدَايَةُ التَّحَوُّلِ فِي حَيَاتِي:

وقد جرت نقطة التحول في حياتي في شهر فبراير عام ١٩٧٠ عندما لقيت بعض الأصدقاء المسلمين في كادونا، فأخذوا يشرحون لي معنى الإسلام بعد أن عرفوا أنني نصرانية بالاسم فقط، وفي بداية الحديث أبدت قليلاً جداً من الاهتمام، وحتى هذا الاهتمام الطفيف كان لمجرد إظهار مشاركتي لهم خشية أن يصاب أصدقائي بخيبة الأمل، ولم أكن أخشى اعتناقى للإسلام لأننى أوصدت حينئذ قلبي لكل الأديان قاطبة، والسبب في موقفي هذا كان ينبع من فكرة خاطئة لدى وهى أن جميع الأديان سواء، وأن كل دين من الأديان له أسرارهِ المقدسة الغامضة وعقائده البعيدة عن منطق المناقشة الإنساني، وبأله من تغيير عظيم حلَّ في قلبي حين علمت بعد ذلك أننى كنت مخطئة تماماً، لأنه إذا كان هناك دين يخلو من التعاليم التعسفية والمعتقدات الخرافية فذلك الدين هو الإسلام.

الإِسْلَامُ دِينُ السُّهُولَةِ وَالْيُسْرِ:

ولقد سئلت زينب بعد ذلك عن انطباعاتها الأولى عن الإسلام؟ فأجابت قائلة:

عندما سمعت قدراً كافياً عن تعاليم الإسلام وجدت أنها تعاليم بسيطة يسيرة الفهم، واكتشفت أنها خالية من كل معتقد لا يفهمه بنو الإنسان، ولقد غمرتني الدهشة حقيقةً حين لاحظت الاستقامة المطلقة لهذا الدين، فليس هناك أى وسيط بين الله وبين الإنسان في الإسلام، ولا وجود في الإسلام لأية معتقدات تعسفية تفرض على المرء فرضاً دون أدنى نقاش.

«لا إله إلا الله» هى ذلك الشعار العظيم لدين تقبله عقلى، فليس في الإسلام أى شىء لا أستطيع فهمه.

نِعْمَةُ الْإِيمَانِ أَقْوَى مِنَ الصِّعَابِ:

وعلى الرغم من ذلك كله ظللت متلكئة عن اعتناق الإسلام. وقلت لنفسى: ولكن هذا الموقف غير منطقي بتاتاً، إذ كيف لى أن أقبل الإسلام وأؤمن به وأنا نصرانية بحكم

ولادتي، ومن أصل نصراني حيث كان آبائي وأجدادي من النصارى؟ وليس ذلك فحسب بل كان آبائي وأجدادي معروفين بإخلاصهم ووفائهم وثباتهم على الديانة النصرانية؛ كما خشيت أن ينخلع قلب أمي وأخواتي وأن يتنكر لى إخوتي وأصدقائي، لذلك أحسست أنني لا أجرؤ على الإقدام على ذلك، وهكذا استمر تمردى على ضميرى وصوت عقلى، فقد علمت فى أعماق قلبى أنني لم أكن نصرانية بمعنى الكلمة، والآن وبعد أن اكتشفت النور لم أستطع منع نفسى من الإسلام، وفى اليوم التاسع عشر من شهر يونيو عام ١٩٧٠ أعلنت إسلامى أمام حشد كبير من المسلمين، والآن أدعى زينب، وأنا سعيدة بدينى الجديد، إذ لم أتمتع من قبل بمثل هذا السلام بينى وبين نفسى، كما أشعر الآن بالرغم من المصاعب الكثيرة التى أواجهها بسبب ذلك أنني أحمد الله دائماً على نعمة الإيمان.



الدّمّارك:

٥٤- عَمَلِي يُول

ومن نيّجيريا فى غرب القارة الإفريقية حيث الصراع يجرى على أشده بين الإسلام والكنائس، بين المبشرين النصارى الذين شنوا حملة ضخمة وجندوا كل إمكاناتهم لتنصير القارة السوداء، وبين الإسلام وجنوده المهولين تحفهم عناية الله وتأييده، ونصرة الله لدينه، ألا إن حزب الله هم الغالبون.

من نيّجيريا وسط هذا الخضم والمعترك الحاسم، إلى شمال أوربا إلى الدّمّارك حيث نلتقى مع شاب دّمّاركى يدعى على يول ليحدثنا عن كيفية إسلامه. ويبدأ الأخ على حديثه قائلاً:

بدأ تعرفى على الإسلام للمرة الأولى على ما أذكر، من خلال تعرفى على أخ مسلم من المغرب فى عام ١٩٧٣م. هذا الشاب كان متزوجاً من سيدة دّمّاركية، وقد لقيته فى إحدى جولاتى التى قمت بها فى المغرب، كغيرى من الشبان الدّمّاركيين الذين يقومون بجولات فى أنحاء العالم كل عام، هذا اللقاء أدى إلى تعرفى على شاب مسلم آخر من المغرب أيضاً أخذت عنوانه معى فى رحلة عودتى إلى الدّمّارك، حيث كان يقيم فى الدّمّارك وقد طُلب إلى أن أتصل به حتى أبلغ أقاربه عن صحته وأحواله.

وقد قمت فعلاً بالاتصال بالشاب المذكور حال وصولى إلى كوبنهاجن، ومرت الأيام مسرعة حتى جدت لدى الرغبة ثانية لزيارة المغرب، وفى هذه المرة كانت تحدونى رغبة قوية لمقابلة أستاذ جامعى بجامعة القرويين لسؤاله بعض الأسئلة عن الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامى، وكانت معلوماتى عن الإسلام فى ذلك الحين قليلة للغاية.

ثم زرت المغرب بعد ذلك عدة مرات عقدت خلالها العديد من الصداقات مع عدد من الأسر المغربية حيث أحببت الجو العائلى المغربى كثيراً؛ وفى إحدى زياراتى الأخيرة قابلت عدداً من العائلات المغربية المستقرة فى المدن، والذى أدهشنى فعلاً أننى لم ألاحظ أى اختلاف بين طريقتهم فى الحياة وبين أسلوب الحياة فى المدن الأوروبية؛ فلم أستطع أن أميز بين أخلاق هؤلاء الناس وبين أخلاق الأوروبيين. وهكذا كنت أفضل أن أختلف إلى القرى والمدن الصغيرة حيث أجد التقاليد الشرقية الأصيلة.

أَهْدَيْتُ إِلَى الْإِسْلَامِ :

وهكذا كان أول اتصال لى بالإسلام من خلال تعرفى على الأسر المغربية واطلاعى على عاداتها الشرقية التى علمت أن بعضها إسلامى والآخر غير إسلامى، ولما عدت إلى كوينهاجن علمت بوجود المركز الثقافى الإسلامى هناك، فزرت المركز المذكور وتعلمت الكثير عن الإسلام فيه، وقد مضى عامان كاملان واطببت خلالهما على زيارة المركز، وها أنذا أؤدى كل أسبوع صلاة الجمعة فيه بعد أن اهتديت للإسلام طوعاً وبمحض اختيارى.

ولقد أحسست باطمئنان وسلام غامر وأنا أشارك فى صلاة الجماعة، حدث ذلك حتى قبل أن أعلن نفسى رسمياً من المسلمين. وها هو قد مضى عام واحد فقط على إعلان إسلامى رسمياً. وقد تم ذلك فى المركز الإسلامى بكوينهاجن.

وهنا لا بد من كلمة عن المركز الإسلامى الثقافى فى كوينهاجن. هذا المركز أنشأه عدد ضئيل من الشبان المسلمين المقيمين فى الغرب، والمتمسكين بإسلامهم رغم مفاتن وإغراءات الحضارة المادية الغربية، والعاملون فى المركز متطوعون، وهم يمثلون الإسلام فى سلوكهم وأخلاقهم، فيصلحون قدوة حسنة أمام الغربيين، وقد كان لهذه القدوة الحسنة الفضل بعد الله فى هداية عدد من الدفماركيين للإسلام، ومن أخبار المركز أنه بدأ يصدر عدداً من الكتيبات عن الإسلام باللغة الدفماركية التى تفتقر افتقاراً شديداً إلى كتب التعريف بالإسلام، لذلك فإن المركز الثقافى الإسلامى فى كوينهاجن جدير بكل دعم وتأييد باعتباره ثغرة من ثغور الإسلام فى ديار الغرب.

كذلك هناك المدرسة العربية الإسلامية فى كوينهاجن حيث يتعلم عدد من أبناء المسلمين المغتربين والمسلمين الجدد أمور دينهم، وهى مدرسة ناشئة تحتاج للدعم من المسلمين الغيورين حتى تستمر فى أداء رسالتها الإسلامية.

أُسْرُوتِيَّعِبُ بِالْأَدِيانِ :

والآن نعود إلى الأخ على يول لنسأله عن موقف أسرته منه بعد أن علموا أنه بدل دينه. يقول الأخ على: عندما اعتنقت الإسلام أخبرت أسرته دون أدنى تأخير وحيث إنهم لا يتمسكون بأى دين من الأديان، كغيرهم من أبناء الشعب الدفماركى، لم يظهروا لى أى ضيق. ولا زلت أعيش مع والدى فى دارنا، صحيح أننى أواجه أحياناً بعض الصعوبات فيما يتعلق بالطعام والزوار المعتادين والحفلات التقليدية التى اعتاد الدفماركيون إقامتها، ولكن فى الحقيقة أستطيع أن أقول أننى لا أواجه أية مشكلة. إننى أسعى الآن للعيش فى بيت مستقل، وهذا يتوقف على إمكانياتى المالية. والحمد لله على كل حال.

أوربا:

٥٥- دُونَالِدِ س. روكويل

وفيما يلي ضيف آخر من أوربا لم يحدد اسم بلده وكل ما نعرفه عنه أنه اسمه السابق هو دونالد س. روكويل، لذلك سندعه يتحدث إلينا عن بعض انطباعاته عن الإسلام دون أن نفرده له فصلاً مستقلاً. يقول الأخ دونالد س. روكويل:

خِصَائِصُ الْإِسْلَامِ:

إن بساطة الإسلام والتأثير القوي للمساجد وجدية المؤمنين المتمسكين به - هذه العوامل هي التي جذبت انتباهي منذ البداية. إلا أنني عندما عازمت على الدخول في هذا الدين واتباع تعاليمه وجدت أسباباً أكثر عمقاً مما أكد عزمي وشد من أزمي.

فالنظرة الواقعية إلى الحياة، والمشورة الصادقة، والدعوة إلى الإحسان والرحمة، والنزعة الإنسانية الخيرة العريقة وإعلان حق المرأة في التملك - هذه وغيرها من العوامل كانت بالنسبة لي أعظم دليل على صدق هذا الدين الذي يتلخص بشكل رائع في بضع كلمات قالها النبي محمد ﷺ حيث يقول: «إعقلها وتوكل».

فقد جاءنا النبي محمد ﷺ بنظام ديني يصلح للتطبيق في الحياة العادية، ولم يقدم لنا رسول الله ﷺ عقيدة عمياء تحميها قوة غيبية بالرغم من إهمالنا الذاتي، فالثقة في الإسلام عبارة عن ثقة بأننا إذا فعلنا كل شيء على أحسن وجه ممكن عندها يمكننا أن نشق بما تأتي به الإرادة الإلهية.

ويتطرق الأخ روكويل إلى نقطة جوهرية وخاصة مهمة يتميز بها الإسلام فيقول: إن التسامح الواسع الأفق الذي يتسم به الإسلام في معاملة الأديان الأخرى يجعله محبباً لدى جميع من يحبون الحرية. فالنبي محمد ﷺ يأمر أتباعه أن يحسنوا معاملة المؤمنين بالتوراة والإنجيل، كما أن كلاً من إبراهيم وموسى وعيسى أنبياء يؤمن بهم الإسلام وهم جميعاً رسل الله إلى الناس، وهذا موقف كريم بكل تأكيد حقق سبقاً كبيراً على موقف

الأديان الأخرى، كما أن تحرر الإسلام الكامل وخلوه من عبادة الأوثان يعتبر علامة واضحة على قوة العقيدة الإسلامية ونقائها التام.

اللَّهُ الْوَاحِدُ :

ثم إن الاعتدال والتوسط في كل شيء هما الصفة الأساسية للإسلام، وقد رحبت بذلك كل الترحيب. فقد كان النبي ﷺ يهتم بصحة المسلمين إذ كان يدعوهم إلى الاهتمام الشديد بالنظافة كما أمرهم بالصيام وكبح غرائز الجسد، وعندما وقفت في المساجد الرائعة في اسطنبول، دمشق، القدس، القاهرة، الجزائر، طنجة وفاس وغيرها من المدن أحسست بشعور قوى بمدى الرفعة التي يحققها الإسلام للبشر، دون الاستعانة بأى زخارف أو صور أو تماثيل أو موسيقى أو مراسم وتراويل، فالمسجد عبارة عن مكان للتأمل الهادئ وإنكار الذات أمام الحقيقة الأولى، وهى الله الواحد.

النَّاسُ سِوَايَسِيَّةٍ :

بعد ذلك يتحدث السيد روكويل عن الديمقراطية فيقول: لقد جذبتنى ديمقراطية الإسلام - إن صح التعبير - إليها منذ زمن، فالسلطان والفقير لهم نفس الحقوق على أرض المسجد، كلاهما راكع على ركبتيه فى عبادة خاشعة ذليلة. فليس هناك أى مقعد مستأجر أو محجوز كما هو الحال فى الكنائس. والمسلم لا يقبل وساطة أى إنسان بينه وبين ربه، مهما كان ذلك الإنسان، بل يلجأ مباشرة إلى مصدر الخلق والحياة، وهو الله سبحانه دون الاعتماد على مراسيم معينة للتوبة من الآثام، كما لا يعتقد بقوة أو سلطان أستاذ يمكن أن يمنحه الخلاص.

ثم يختم الأخ دونالد روكويل حديثه بقوله:

كما أن الأخوة العالمية فى الإسلام، بصرف النظر عن الجنس أو الانتماء السياسى أو اللون أو البلد قد جذبتنى إليها بشكل قوى عدة مرات فى حياتى، وهذه صفة أخرى للإسلام قربتني إلى هذا الدين.



كندا:

٥٦- السيد إحسان شاه

كندا هي من أجمل بلاد الدنيا قاطبة، فهي أكبر مساحة من الولايات المتحدة، وتغطيها الغابات وبحيرات المياه العذبة.

وقد وصلت دعوة الإسلام إلى كندا على أيدي أفراد مجهولين عملوا متطوعين بإخلاص بوازع من دينهم فأثمرت جهودهم وصدق الله العظيم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥].

وهذه قصة إسلام السيد إحسان شاه، من المهتمدين الكنديين الجدد إلى الإسلام، والملاحظ في هذه القصة أن السيد إحسان سافر إلى كثير من الأقطار، وحصل على خبرات متعددة، وأخيراً استقر به المقام في ديار الإسلام فدخل في دين الله.

يبدأ السيد إحسان حديثه فيقول:

ولدت في مدينة هاملتون - أونتاريو عام ١٩٥١ وكنت أكبر الأولاد في أسرة تتألف من ستة أبناء، وكانت أسرنا من الطبقة المتوسطة. وفي المدرسة تعلمنا التعاطف والقسوة، تعلمنا إخفاء المشاعر الحساسة وإظهار وجه جامد يعلوه الكبرياء وعدم المبالاة. ويوسع الطالب أثناء اليوم المدرسي أن يشتم الأساتذة، ويغيظهم ويقلل من احترامهم لهم، وأن يظهر استخفافه بالتعليم وأن يغتاب قرنا.

أَلْوَانٌ مِّنَ الْخَلَلِ وَالْإِنْجِلَالِ:

أما بعد اليوم المدرسي، فإذا لم ينهمك الواحد منا في الرياضة والألعاب الرياضية لإرضاء نزعاته الأنانية المحضه، فإنه يعود إلى بيته ليشغل نفسه في مشاهدة برامج ضحلة تافهة من التلفاز، أو في معاكسة الجنس الآخر في الشارع، أو المنطقة المجاورة.

أما في أيام العطل الأسبوعية فقد ينقطع بعض الأصدقاء في بيوتهم، ويدعون بعض

الشبان من الجنسين لإحياء حفل تسوده الغرائز والنوازع الحيوانية الطبيعية. وفي المدرسة إذا حدث أن أجاد المرء في الاختبارات والامتحانات فقد كانت قوانين التقبل الاجتماعية تقتضى منه أن يلتمس أعذاراً لهذا الامتياز العلمى، إذ كان يعتبر الإنجاز العالى علامة من علامات الضعف بين الطلاب، ورمزاً للاحترام الزائد للسلطة القائمة.

اِحْتِزَارُ الدِّينِ وَالدِّينِ :

ولقد كان لقائى الوحيد مع الدين أثناء فترة شبابى من خلال القراءات العابرة الآلية غير المؤثرة للإنجيل فى اجتماعات المدرسة أو فى مناسبات متفرقة أخرى. وكان الحديث عن الدين بمثابة شىء محرّم الاقتراب منه، وكان ذكره يرد على الألسنة مع شىء من الضيق فحسب، وكان الدين يعتبر من قبل الأغلبية بمثابة عكاز وركيزة خرافية، وكان كل إنسان ذكى لا يؤمن بالهذيان والعبث الذى يسمى الله (أستغفر الله العظيم) هذا الفكر كان يؤيده آباؤنا ويساندونه، وكذلك المدرسون ورؤوس المجتمع. كان جدى مبشراً وحتى هو كان يواجه أوقاتاً صعبة حين يذكر الله بإخلاص، ففى أوقات وجبات الطعام كان يقرأ صلاة الشكر كإنسان آلى، ولم يحدث قط أن حضنى على البحث عن الله، كما لم يحاول أبداً أن يربط الدين بنشاطات الإنسان اليومية.

عِنَايَةُ اللَّهِ بى :

ثم ينتقل إلى مرحلة جديدة من حياته فيقول:

ولكن الله برحمته الواسعة حفظنى من كل هذه اللامبالاة، وغرس فى نفسى حباً عميقاً للطبيعة والتأمل فى الخلوات، وعندما بلغت الثامنة عشرة من عمري أنهيت السنة الأولى من الدراسة الجامعية بسهولة ويسر، إلا أننى كنت ناقماً غير راضٍ عن كل شىء، كنت بحاجة إلى شىء ما ينقضى، ولكنى لم أكن أعرف حقيقة هذا الشىء، كنت إنساناً كثير الأحلام ميلاً إلى الخيال نزاعاً إليه كثيراً، كان المال ذا قيمة وأهمية ضئيلة بالنسبة لى، حيث إنه من فضل الله كان متوفراً دائماً.

وخلاصة القول أن ألهمنى الله بالسفر، وهكذا ذهبت إلى المكسيك فعشت هناك

عيشة متواضعة لبعض الوقت مع عائلات شتى، وكان الناس مستعدين دائماً لمساعدتي يجذبهم إلى ذلك كوني أجنبياً، وبذلك عشت بسهولة ويسر دون نقود في ظل ظروف مختلفة، وبدأت أستهلك كثيراً من المسكرات من غير أن يضطرنى مضيفي إلى ذلك، فقد كان السكر هو القاعدة المتبعة بين خلطائي، وقد تجولت كثيراً، فسافرت من المكسيك إلى سان فرانسيسكو عدة مرات، وهناك تبلور لدى اهتمام بالكتابات الرمزية الخفية، رغم أنني لم أكن قد قابلت أحداً من الناس ذوى الخبرة العملية في الرمزية الغامضة، ولقد منحني الله حربة عظيمة، فكنت أحياناً أنطلق بدافع من نزعة طارئة في رحلة تمتد بضعة آلاف من الأميال، وقد أجرى لى ربي عدة اختبارات، فكنت أنام على شواطئ البحار، وعملت في البحر، وكنت أستجدي النقود من الناس، وارتكبت الأعمال الشريرة، ورغم ذلك كله فإن الله بفضل رحمته لم يطفى من صدري إعجابي وتأثري بخلقه المدع.

قَوَائِنُ اللَّهِ وَدُمُوعِي :

ولقد واصلت ارتكاب أخطاء الغرور والطمع، ولكن في كل مرة كانت رحمة الله توقفني عند حدى، رغم أنني لم أتوجه إليه، وكان من فضله عليّ أن لا يسمح لى أن أستقر على الغرور والطمع، بل كان دائماً يقطع عليّ ذلك ويضطرنى للتجول، وذات مرة ذهبت إلى إحدى المدن الصغيرة في أواسط المكسيك، وهناك أسرنتى فتاة كانت تتمتع بجمال فائق وعطف وحنان، وكان من نتيجة انجذابنا نحو بعضنا أننا تزوجنا بعد فترة وجيزة. وسرعان ما حملت زوجتى وأخذت أهرج الدنيا شيئاً فشيئاً.

وأعتقد أنني كنت أعلم حينئذٍ أن هناك إلهاً واحداً هو خالق كل شيء إلا أنني لم أكن أطيع قوانينه، بل لم أكن أعرف تلك القوانين، وقد لقيت أعداداً كبيرة من الناس - وكثير منهم مسافرون - وكانت تجرى مناقشات دائمة بيننا حول الدين، وفي إحدى المناسبات تحولت إلى كومة من الدموع وندمت أشد الندم على ما بدر منى من آثام، ودعوت الله أن يمنحني قلباً أستطيع به أن أعيش بسلام ورضا، وأجد فيه ملاذاً من طوفان الأطماع الكثيرة التي كانت تحرمنى من السلام والاطمئنان.

جلال الدين الرومي :

وكنت حينئذ قد اطلعت على بعض الكتابات الصوفية، فتملكني شعور من الاحترام نحوها أكثر من أي شيء آخر، ولما رزقنا أول مولود ذكر أخذت أحيا حياةً عاديةً تمامًا، إلا أنني أصبت بخيبة أمل لأنني خشيت أن لا أستطيع تطبيق نظام الحياة الصوفية، وشعرت بالأسى على ولدي الذي أحسست أنه خاضع لأب جاهل.

لقد أسميته جلال الدين أملاً مني في أن يكتشف شيئاً عن القوم الذين ينتمى إليهم الشاعر الصوفي الكبير جلال الدين الرومي، وأعنى بهم المسلمين، ثم قررت العودة إلى كندا حتى أومن شيئاً من المال لزوجتي وولدي، وقد يسر الله لي ذلك رغم أنني لم أكن أحمل نقوداً ولا أية أوراق تمكّني من مغادرة المكسيك. عدت إلى كندا ومكثت مع والدي، وعبثاً حاولت أن أجد لنفسى عملاً يحقق لي بعض الاستقلال، فعلاني شعور باليأس بسبب ذلك، وذات يوم وبينما كنت ماشياً أبحت بيأس عن عمل ما وصلت إلى حديقة عامة، وجلست في أحد أركانها، ونظرت حولي علّني أجد ما يلهمني بعمل شيء ويخرجني من هيامي على وجهي دون هدف، وفكرت في أنني يمكن أن أكتشف شيئاً قد يقودني إلى الصوفية ويحقق لي الانسجام والتوازن، فعبرت الحديقة ودخلت في محل لبيع الكتب، وقابلتني فجأة لافتة تعلن عن قرب اجتماع سيعقد عن التصوف، فلم أصدق عيني أن الاجتماع سيعقد في نفس ذلك المساء، فأخذت أعدو إلى البيت وقلبي يهتز من الفرح.

لقد سارع ربي في الاستجابة لي، لقد هداني إلى الإسلام، كما فتح قلبي للخير وحقق لي السلام، عسى الله أن يقبلني إليه ويجعلني من المسلمين. آمين.



الدّمّارك:

٥٧- الحاج ولي محمد
فلديمير بيير سابقاً

فلديمير بيير، رجل دمفاركى يبلغ الرابعة والسبعين من عمره، اتخذ لنفسه بعد أن أسلم اسماً جديداً هو الحاج ولي محمد. وهو يحدثنا كيف أسلم قائلاً:
لقد ظل أقربائى وعلى الأخص أشد الناس قرابة لى من أسرته يتمسكون بالديانة النصرانية، ولم يكونوا نصارى بمجرد الاسم، فكان أبى قسيساً، وكان رجلاً فطناً وعالمًا كبيراً؛ وكان محباً لأبنائه متفاهماً معهم، لذلك كنت شغوفاً به كثيراً، فكنت فى شبابى أتبع هداه ولم أكن قط أشك فيما كان يلقنى إياه.

عَقَائِدُ لَانِضْمَدِ لِلتَّفَكِيرِ:

ويضيف السيد فلديمير بيير قائلاً:

ولكن لما كبرت فى السن قليلاً، بدأت استقل فى التفكير فى الموضوعات الدينية، وكانت زوجتى ملحدة لا تؤمن بوجود إله إلا أنها لم تحاول قط أن تؤثر فى عقيدتى، رغم أنها استطاعت أن تفعل ذلك تلقائياً ودون أدنى قصد منها، وعلى كل حال بدأت أرتاب فى كثير من مبادئ الكنيسة، وعبثاً حاولت البحث عن الحقيقة فى عدة كنائس وطوائف نصرانية، ففيها جميعاً يقولون لى: «أنا أو من بالأب والابن والروح القدس»، ثم يقولون: ليس هناك سوى إله واحد، وقد كان ردهم على هذه المسألة وعن كثير غيرها أن زودونى بعدد من التفسيرات والبيانات، ولكننى ظللت أبحث عن الحقيقة، ومن هنا شرعت فى دراسة كتب الأديان الأخرى.

وبهذه الطريقة اكتشفت أن كثيراً من الأديان التى كانت سائدة زمن عيسى المسيح عليه السلام وحتى قبله كانت تسيطر عليها فكرة تقول بأن على الإنسان أن يضحي بنفسه من أجل تخفيف غضب الآلهة، وهذا يعنى أن المسيح عيسى نفسه قد مات من أجل آثام الناس.

ثم قررت أن أذهب إلى اليهود وقلت لنفسى: إنهم يؤمنون بإله واحد ولعلى أحصل على شيء آخر مختلف، ولكن كل ما وجدته كان مزيداً من التشدد ونفرت من ادعائهم وزعمهم بأن إلههم جيهوفا (يهوه) هو إله اليهود فقط دون غيرهم من الناس!!

ويعود بنا الأخ بيير الدماركى الشيخ إلى فترة شبابه فيقول مستذكراً تلك الفترة من حياته: فى شبابى كما هو حال غيرى من الشباب فى الدمارك، لم أكن أعرف شيئاً عن الإسلام ونبيّه محمد - اللهم إلا النزر اليسير - فكانت المادة التى كنا نقرأها عنهما فى المدرسة وكتبها المدرسية عبارة عن مادة مضللة فى معظمها لا بل فى مجملها العام.

أَسَلْتُ بَعْدَ دِرَاسَةِ وَاِعْيَةِ :

وفى الستينات من القرن الحالى جاء إلى البلاد عدد كبير من العمال الضيوف وكان من بينهم كثير من العمال القادمين من الأقطار المسلمة، وقد اعتدت أن أقرأ عنهم وعن دينهم الإسلام، فى الصحافة المحلية، وكنت أحدث نفسى قائلاً: لعل هذا ما تبحث عن وتصبو إليه! لذلك اتصلت ببعضهم فلقيت ترحيباً صادقاً. وقدموا إلى كتباً عنه الإسلام ومحمد ﷺ، وأخذت أحضر اجتماعاتهم وصلواتهم، وعلمونى الشيء الكثير وهكذا قضيت عاماً أو يزيد أدرس الدين الإسلامى، وبعد دراسة واعية قررت اعتناق دين الإسلام.

ولقد سئل السيد بيير عن مشاعره عندما أعلن أنه مسلم؟ فأجاب قائلاً: صحيح أن أمامى طريق طويل قبل أن أكون مسلماً بمعنى الكلمة، إلا أننى الآن سعيد جداً، فأنا أشعر بالسلام بينى وبين نفسى، وهو إحساس ظللت أفتقده طيلة سنوات كثيرة من حياتى.

ثم سئل الأخ بيير عما قام به من نشاط منذ أن دخل فى الإسلام؟ فأجاب قائلاً: قمت بالسفر فى أنحاء العالم الإسلامى، واتصلت بالمسلمين الطيبين فى كل مكان قمت بزيارته، وفى مصر وجدت كثيراً من الأصدقاء والأساتذة الذين ساعدونى فى اجتياز امتحان صعب بجامعة الأزهر، وهناك فى مصر أعلنت إسلامى، وتلقيت وثيقة مكتوبة بذلك.

الحج وأخوة الإسلام:

بعد ذلك كنت المسلم الدنماركى الوحيد الذى شاركت عدداً من الأخوة المسلمين من جنسيات شتى من المقيمين فى الدنمارك فى أداء فريضة الحج، وحُضت هذه التجربة الرائعة التى لا أكاد أصدقها وزرت مكة المكرمة والمدينة المنورة، ومشيت فى نفس الأماكن التى سار فيها وعاش فيها رسول الله ﷺ، وهو يعمل لرفع كلمة الله ولصالح بنى الإنسان.

وما أثار مشاعرى وأثر فى نفسى كثيراً أن ألتقى بإخوانى المسلمين من جميع أنحاء العالم؛ أناس من كل الأمم والأجناس من رؤساء الدول إلى أشد الناس فقراً، والجميع يرتدى لباساً واحداً بسيطاً يدعون رباً واحداً لا شريك له. وأرد هنا أن أذكر بعض الآيات من القرآن الكريم حول معنى الأخوة فى الإسلام:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٢، ١٠٣].

ويقول عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

وفى هذا المعنى يقول النبى الكريم محمد عليه الصلاة والسلام: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر».

بعد هذه المقتطفات الكريمة من الآيات الشريفة والأحاديث النبوية يختتم الأخ بيير قصته قائلاً:

أنا لست شاباً الآن، فعمري يبلغ الرابعة والسبعين لذلك وجدت فى البداية من العسير على جدأ أن أغير دينى فى هذه السن من الشيخوخة، إلا أن إختى المسلمين

الطيبين ساعدوني على ذلك وأخذوا بيدي، لذلك فأنا دائماً أذكرهم وأدعو لهم فى صلاتي، ولقد كانت فترة طفولتي وشبابي طيبة، إلا أنني لم أر ولم أشاهد قط مثل هذه الأخوة الإسلامية وهذا العون الكريم، كما أجد الآن بين المسلمين هنا فى الدنمارك وفى كل بلاد المسلمين التى قمت بزيارتها.

اللهمَّ اهْدِ بلادِي للإِسْلَامِ:

ومن الطبعي أن لا أضيع أصدقائي القدامى من النصارى وأن لا أنسى أسرتي أبداً. فعلى العكس من ذلك، إذ أن الإسلام يأمرني أن أحسن إليهم، وبالرغم من ذلك فلا أحس بالسعادة إلا بين المسلمين الذين أثق بهم. أسأل الله عز وجل أن يهدى بلادى وقومى إلى العقيدة الصحيحة، ألا وهى الإسلام، وأن يعيننى على أن أكون مسلماً حقيقياً بمعنى الكلمة. ومن فضل الله علينا أن لدينا الآن فى الدنمارك مسجداً جميلاً وواسعاً، ومدرسة عربية يعلمنا فيها بعض المدرسين المسلمين نحن وأبناءنا اللغة العربية والقرآن الكريم.

تعليق:

وهنا لا بد من تعليق يسير أرجو أن يأذن لى القارئ الكريم به وهو الشعور بالإكبار والاحترام لهذه الروح الكريمة التى يتمتع بها هذا الأخ بيير، فرغم كبر سنه يشعر وكأنه ولد من جديد حين أسلم، ويبدأ التعلم مع أبنائه أمور دينهم، وليس ذلك عيباً بالطبع بل هو شرف كبير، لأن الحياة مدرسة ممتدة، ولأن الإسلام يأمرنا بطلب العلم من المهد إلى اللحد كما هو معنى حديث شريف.



أوربياً :

٥٨- السَّيِّدَةُ مَارِي أُوليفر

تبدأ السيدة ماري أوليفر قصتها قائلة:

الدِّينُ الْوَحِيدُ الَّذِي يَأْسِرُ الْقُلُوبَ :

بعد أن درست الأديان المختلفة في العالم توصلت إلى الاستنتاج بأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يؤثر في أولئك الذين يؤمنون به، وكذلك الذين لا يؤمنون به على حد سواء، فأعظم فضيلة للإسلام أنه يأسر قلوب البشر بصورة تلقائية، ومن أجل هذا تجد في الإسلام سحراً غريباً وجاذبية عظيمة تجتذب إليها ذوى العقليات المتفتحة من غير المسلمين.

وهذه هي أهم الجوانب في الإسلام التي أثرت في نفسي :

أولاً: بساطة تعاليمه وطريقة الحياة البسيطة المستقيمة التي يحيها المسلمون المتمسكون بتعاليم الإسلام.

ثانياً: أن الإسلام لا يعتبر أحداً خاطئاً منذ ولادته.

ثالثاً: أن الإسلام هو دين السلام، فهو يدعو إلى إشاعة السلام والانسجام بين المسلمين، وليس ذلك فحسب بل يضع المسؤولية على عاتق المسلمين لإقامة السلام في العالم كله:

نَفْصِيلٌ بَعْدَ إِجْمَالٍ :

بعد هذا العرض المفضل لأهم خصائص الإسلام التي أثرت في نفس السيدة ماري أوليفر تبدأ في الحديث المفصل عن كل منها فتقول عن الخطيئة الأولى ما يلي:

لقد شعرت بالقلق دائماً كما عندما ترد في خاطري الفكرة التي تقول:

بأن الأطفال الذين تلدهم أمهاتهم وتربيههم مع تحمل الكثير من المشاق في سبيل ذلك

لا ينجو أحد منهم من الخطيئة الأولى، حسب ما تنص عليه العقيدة النصرانية، وهكذا يأتي كل إنسان إلى هذه الدنيا ويولد على الخطيئة، ويعيش حياته آثماً شقيماً، ويموت على الإثم. ويعتمد خلاصه على القسس والرهبان الذين أشك في براءتهم أنفسهم، لم يستطع ضميري أن يتقبل هذه التعاليم، إلا أنني كنت مضطرة كمسيحية أن أوّمن بها، ومع ذلك كنت متشوقة للتخلص من قيود هذه التعاليم المنافية للمنطق، ولهذا بدأت أدرس الأديان العظمى الأخرى في العالم.

دراسة الأديان:

بدأت بدراسة الهندوسية والبوذية فاكتشفت أن كلتا هاتين الديانتين تدعوان إلى مبدأ تكرر الولادة، وظهور الروح في هذا العالم في أجسام مختلفة بسبب الخطيئة، وهكذا تؤمنان كذلك كالنصرانية أن الخطيئة مركبة في فطرة الإنسان.

هذه الأديان لم تستطع أن تزيل شكوكي ولا أن تحل مشكلاتي، وعلى العكس من ذلك نجد أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يدعو إلى أن الإنسان يولد طاهراً من الذنوب، كما يؤكد أنه بعمل الصالحات يستطيع الإنسان ليس فقط أن يحرر نفسه من الذنوب طوال حياته، بل وأن ينال الخلاص إلى الأبد على هذا الأساس بالذات.

ثم درست أثر هذا المبدأ الإسلامي في حياة المسلمين فوجدت أن كل من يؤمن بصدق وإخلاص بهذا الدين يسعى إلى تحرير نفسه من الذنوب والخطيئة، ويعمل على أن تكون حياته تجسيداً وتعبيراً صادقاً عن كافة هذه الفضائل، وهذه الرغبة من جانب المسلم تورث الانسجام والاعتدال في المجتمع الإنساني، وهذا الاعتدال بدوره يمهد السبيل نحو تقدم الأفراد والمجتمع، وهذا الإكتشاف بالذات هو الذي شجعني على مزيد من الدراسة للإسلام، وأخيراً دفعتني بساطة الإسلام وتعاليمه السهلة على التخلي عن دين أجدادي واعتناق الإسلام.

التفكير فريضة إسلامية:

ومن الأمور المهمة التي جذبتني نحو الإسلام أثناء دراستي لهذا الدين أنه على

عكس الهندوكية والنصرانية، فالإسلام لا يحتفظ بأى جزء من تعاليمه ويجعله حكراً لطبقة معينة خاصة من الناس، بمعنى أنه فى الإسلام لا يوجد كهنوت ولا رجال دين كطبقة منفصلة متميزة لها امتيازاتها مثلما هو الحال بين الرهبان النصارى، ورجال الدين الهندوسى، فالتعاليم الإسلامية موجهة إلى كافة البشر وهى بسيطة سهلة يستطيع كل إنسان أن يفهمها بكل يسر، فالإسلام يؤكد فى تعاليمه أن على الناس أن يفكروا وأن يستخدموا عقولهم فى الأمور الدينية. والذى استنتجته من دراسة الإسلام هو أن هذا الدين هو دين التيسير والفترة، وهذه الخاصية هى دليل صحته، وحيث إن الإسلام هو الدين الحق دون أدنى شك فى ذلك، فإنه يدعو الناس إلى فحص تعاليمه بعيون مفتوحة ناقدة.

مثال نادر للتسامح الدينى:

وهناك مجال للنيات السليمة والمودة فى الإسلام الذى يتسع لدرجة أنه يشمل الذى يرفضون الإيمان بهذا الدين والذين يبيتون العداة له، والإسلام يعتبرهم أعضاء فى إطار الإخوة الإنسانية، ويمنحهم جميع الحقوق والامتيازات الاجتماعية والسياسية، ويضع على عاتق المسلمين مسئولية حماية عاداتهم وتقاليدهم الدينية، مهما اعتبرهم المسلمون مخطئين ضالين، وهذا مثال نادر على التسامح والحب لا يوجد شبيه له حتى فى التاريخ النصرانى، بالرغم من أن النصرانية توصف بأنها دين الرحمة والتسامح، وبالرغم من أنها تأمر أتباعها بأنه من «ضربك على خدك الأيمن فأدر له الخد الأيسر» فالإسلام لا يأمر بهذه المبادئ غير القابلة للتطبيق، وإنما يتمشى مع الكرامة الإنسانية واحترام الذات، لذلك كانت تعاليم الإسلام فى التسامح والسلام فريدة من نوعها، لا يوجد مثيل لها فى أى دين من الأديان.

الإسلام دين اليسر والوضوح:

ويمكن أن نقسم تعاليم الإسلام إلى نوعين:

النوع الأول ويتألف من المبادئ والعبادات.

والقسم الثانى ويشمل علاقة الإنسان ومعاملاته مع أخيه الإنسان ومع بعض

المخلوقات الحية، وليس هناك أى سر غامض أو تعقيد فى هذا الجزء من تعاليم الإسلام ونعنى به الجزء المتعلق بالمعتقدات والمبادئ. فهو يدعو الناس إلى الإيمان بوحداية الله ونبوة محمد ﷺ ويقترح لتقوية هذه العقيدة طرقاً معينة وعبادات سهلة ومؤثرة وعملية فى آن واحد.

فالإنسان الذى يؤمن بإله واحد يصبح متحرراً تماماً من الخوف من كافة القوى الأخرى سواء كانت قوى حقيقية أو وهمية، كما أن ملكاته الفكرية المبدعة تغدو متحررة تماماً فى التعبير عن كل شىء، وهذا التحرر الفكرى والعملى قد أثبت فائدته العظيمة للإنسان، كما أن الاعتراف بنبوة محمد ﷺ ليس إلا تعبيراً عن ذلك الشعور بالاعتراف بالجميل الذى بدونه لا يمكن لأى مجتمع إنسانى أن يحقق الوحدة والانسجام. فليس بوسع أحد أن يتنكر لأعظم نعمة خلقها الله للإنسانية على يد سيدنا محمد ﷺ حين دعاها إلى الإسلام، وما الإيمان بنبوة محمد ﷺ إلا اعتراف متواضع بهذه الحقيقة.

والعبادات فى الإسلام بسيطة سهلة للغاية هى الأخرى، فلا يحتاج تطبيقها إلى أمور معينة أو مكان معين أو جو خاص، والهدف من هذه العبادات هو تحقيق الوحدة الإنسانية وتنمية الشعور بضبط النفس وتعويد النظام فى حياة الإنسان.

وإذا تناولنا جانب العلاقات الاجتماعية فى الإسلام نجد أن الإسلام يطالب الناس بالحياة فى عيشة صادقة كلها سلام، فلا تمييز بين غنى وفقير، ولا بين مسلم وغير مسلم فى النظام الاجتماعى الإسلامى، فالإسلام يبين للناس كيف يحيون متساوين ويتعاملون كأعضاء فى أخوة إنسانية واحدة.

عَشْرَ سِنَوَاتٍ فِي رَاحَةٍ وَرِضَا:

لقد تأثرت بهذه الخصائص التى يتميز بها الإسلام وهى قد مضت عشر سنوات على دخولى فى الإسلام، وأنا أحس الآن براحة ورضا عظيمين، وأنا أقول بأنه لم يحدث قط أن ندمت على تركى لدين آبائى وأجدادى.



فرنسا:

٥٩- عَمَّ السَّبَّ
بِمَاكَ سَابِقًا

أما ضيفنا في هذه الحلقة فهو شاب فرنسي كان يدعى قبل إسلامه (جاك) ثم اتخذ لنفسه اسم عبد الله بعد أن أسلم، لقيته في وزارة الأوقاف حين جاء ليعلن إسلامه أمام لجنة الفتوى، يقول الأخ عبد الله وكان يتحدث بلغة إنجليزية ضعيفة:

لقد اكتشفت الإسلام في المغرب - يقصد بالمملكة المغربية الشقيقة - منذ عام ١٩٦٧م خلال زيارتي لها حيث أمضيت فيها سنة كاملة، لاحظت خلالها المعاملة الإنسانية الطيبة، والعلاقات الإنسانية العاطفية التي تربط بين المسلمين، وقد جعلني ذلك أشعر بخدجات داخلية تشدني نحو الإسلام هذه الإحساسات لا أستطيع شرحها وترجمتها إلى كلمات، لأنها أحاسيس. ولكنني تأكدت بفضل ذلك أن الإسلام هو الدين الوحيد الملائم والكفيل بحل مشكلات العالم المعاصر بأسلوب واقعي وبعدالة لا مثيل لها.

كما أيقنت أن الإسلام هو أقوى ديانة سماوية على وجه الأرض في الوقت الحاضر، إذ تستقطب إليها الملايين من البشر، لا من الشيب والشيوخ بل من الشباب والشواب. قلت للأخ عبد الله: هل أنت متزوج؟ فأجاب قائلًا: لا لست متزوجًا، ولا أفكر الآن في الزواج^(١).

وماذا عن ماضيك في وطنك فرنسا؟ كان ذلك هو السؤال التالي للسيد جاك. فأجاب عليه بقوله:

لقد كنت أعمل في الفترة السابقة في وطني فرنسا موظفًا بقسم الإعلانات والبرامج الخاصة بالتلفزيون، إلا أنني منذ خمس سنوات أصبحت أعمل موسيقيًا، وقد جئت إلى

(١) الإسلام يدعو الشباب إلى الزواج، عفة للنفس، وصيانة للأخلاق، وعمارة للأرض.

الكويت بناء على عقد عمل باسم فندق (ماريوت) حيث أعمل حالياً في إحدى الفرق الموسيقية.

قلت للسيد جاك: ولكن ألا تعتقد معي أن طبيعة عملك تتعارض مع إسلامك؟ فقال:

دعني يا أخي أولاً أقوي إيماني وأدرس ديني الجديد، وبعدها سأعمل على تغيير عملي بما يلائم تعاليم ديني^(١).

ثم قال: أنا لا أعرف كيف أتوضأ ولا كيف أصلي، فهل لديكم أحد يعملني ذلك عملياً؟ فأخذه مترجم الوزارة الفرنسي المسلم وعلمه كيف يؤدي فرائض الوضوء، ثم صلى أمامه وعلمه الصلاة، ووعدنا أن نعطيه المزيد من الدروس العملية في دينه الجديد.



(١) سؤال جميل ومهم ذلك الذي وجهه المؤلف إلى المسلم الجديد (عبد الله)، لأن الإسلام معناه: الاستسلام لأحكام الله تعالى في كل شؤون الحياة، والموسيقى لا تصلح مهنة للكسب الحلال. وجواب (عبد الله) هو أيضاً جميل، لأنه يدل على توفيق الله له بالفقه المبكر في دينه، لأن الإسلام يأخذ الناس بحكمة التدرج في التطبيق، ولا شك أن ترك الموسيقى متفرع من قوة الإيمان، ودراسة الدين، وإقامة الفرائض. وفقنا الله جميعاً للخير والهدى والفقه الصحيح.

فهرس الجزء الثالث

الصفحة	الموضوع
٢٥٧	٣٣-ك.ل. جاويا (محام كبير بالمحاكم العليا)
٢٦١	٣٤- أحمد زيتونى
٢٦٥	٣٥- فاطمة سى لامير
٢٦٨	٣٦- توماس محمد كلايتون
٢٧٢	٣٧- عبدالعزيز كانجولى
٢٧٦	٣٨- عبدالله بنيامين (يهودى أسلم)
٢٨٢	٣٩- كريم عبد الجبار (أشهر لاعب كرة سلة)
٢٨٧	٤٠- خالد ج. س برونديش
٢٩٢	٤١- الحاج أحمد بن عبدالله (مفكر ألمانى يستسلم للتوحيد)
٢٩٧	٤٢- محمد طاهر
٣٠١	٤٣- الدكتور م. ح. دورانى
٣٠٩	٤٤- الدكتور شوقى فوتاكى
٣١٤	٤٥- مالك شياز (قصة رجل يمثل أمة)
٣٢١	٤٦- ميخائيل هيمز
٣٢٦	٤٧- عمر أمين شوارك
٣٣٠	٤٨- فرانسيس ستيرين
٣٣٦	٤٩- الحاج إبراهيم خليل أحمد
٣٤٧	٥٠- قمر الدين عبدالله
٣٥٤	٥١- جميلة قرار (مسلمة نمساوية جديدة)
٣٥٨	٥٢- خليل شاه
٣٦٣	٥٣- زينب توراه
٣٦٧	٥٤- على يول
٣٦٩	٥٥- دونالد س. روكويل
٣٧١	٥٦- السيد إحسان شاه
٣٧٥	٥٧- الحاج ولى محمد
٣٧٩	٥٨- السيدة مارى أوليفر
٣٨٣	٥٩- عبدالله

السعر ٤ جنيهاً

هذا الكتاب

الإسلام دين الله إلى جميع خلقه وهو فطرة الله التي فطر الناس عليها والإنسان خلق من روح وجسد وقد طغت اليوم الماديات على الروحانيات فأصابت البشرية بأمراض اليأس والعجز واضطرابات نفسية شتى.

وقد جاء هذا الكتاب يروى قصصاً واقعية عن رجال ونساء أسلموا.. فقد ولدوا بعيداً عن ديار الإسلام بل ونشأوا في مجتمعات تتعصب ضد الإسلام وتشوّهه إلا أنهم لفظوا المادية الزائفة وصدقوا مع أنفسهم فتفجرت من صدورهم ينابيع الهداية إلى الدين الحق فأسلموا بعد إيمان ودراسة واقتناع وهذا الكتاب موجه إلى المسلمين في المقام الأول الذين وجدوا الإسلام والعربية بين أيديهم أمراً هيناً سهلاً ففرضوا فيه . فعند مطالعة قصص هؤلاء الذين أسلموا نرى كم العناية والجهد الذي بذلوه ليصلوا إلى الإسلام.

وهذه كلمات جاءت على لسان فتاة إنجليزية أسلمت : "يعيش العالم الغربي اليوم في ظلام دامس وليس هناك أي بصيص أمل في قيام الحضارة الغربية بتوفير سبيل لتخليص الروح والنفس .. والإنسجام اللطيف في الإسلام بين مستلزمات الجسد ومتطلبات الروح يمكن أن يمارس تأثيراً قوياً في أيامنا هذه وبوسعه أن يبين للحضارة الغربية السبيل المؤدى للفلاح والخلاص الحقيقيين".

مهندس

ساجد المصري

الناشر : المكتب المصري الحديث

البريد الإلكتروني : almaktabulmasry@hotmail.com

ت : ٣٩٣٤١٢٧

القاهرة : ٢ شارع شريف عمارة اللواء

ت : ٤٨٤٦٦٠٢

الأسكندرية : ٧ شارع نوبار المشية

ت : ٤٤٤١٠٧٠ / ٧٤

المطابع : طريق مصر - اسكندرية الزراعي ك ١٠

<http://kotob.has.it>

Bibliotheca Alexandrina



0353400





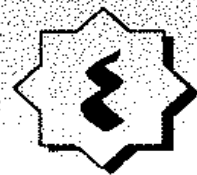
حالة إنشاء الإسلام

مراجعة وتعليق
الدكتور عبد السميع أحمد سعيد
الأستاذ بجامعة الأزهر دَامَ القَوْلُ سَابِقًا

إعداد وترجمة
الدكتور عرفات كامل عسّي

2

الكتبة المصرية الحديثة



رجال ونساء أسلموا

أكثر من مائة شخصية - على حلقات

ترقبوا ..

شخصيات المائة الخامسة

- | | |
|---------------------------------|---------------------------------------|
| ✻ الدكتور جرينيه | ✻ السيد موسى ريوشين جوزا |
| ✻ محمد مارمادوك بكتال | ✻ السيد الله السندي (ابن رام سنج |
| ✻ يوسف علي كاتري (جوزيف سابقاً) | ✻ سابقاً) |
| ✻ عائشة وزوجها (موهني وزوجها | ✻ إدريس عبد السلام ميرز |
| ✻ الهندوسيان سابقاً) | ✻ ح. ف. فيلويز |
| ✻ عبد الغفار أباه (جورج سابقاً) | ✻ الدكتور: رل. ميلما |
| ✻ جاري واندرو أسرته | ✻ البروفسور: هازون مصطفى ليون |
| ✻ السيدة راشيل فيضيان | ✻ بشير أحمد شاد |
| ✻ عامر علي داود | ✻ عمر بيلاقي (بيير جيورجيو سابقاً) |
| ✻ السيدة آن باكستون | ✻ داود إبسن |
| | ✻ د. علاء الدين (ألبرت هردريك سابقاً) |

٦٠- بدرية هيدي مرعى سابقاً

هيدي مرعى - سيدة نمساوية في الخامسة والثلاثين من عمرها فهي من مواليد عام ١٩٤٤، متزوجة من دكتور مسلم مصري يعمل أستاذاً بجامعة الكويت منذ عام ١٩٧٦، وله منها طفلان، وهي تعمل أيضاً أستاذة للغة الإنجليزية بجامعة الكويت كذلك.

جاءت السيدة هيدي مرعى مع زوجها إلى مقر لجنة الفتوى بوزارة الأوقاف لتعلن عن رغبتها في إشهار إسلامها، فالتقت بها وبزوجها مجموعة من علماء الدين وسألوها:
- هل حقاً ترغبين في اعتناق الإسلام، أو أن أحداً ما يريد إكراهك على الدخول في هذا الدين؟

فقالت وقد عقدت ما بين حاجبيها إعراباً عن الجدية فيما تريد قوله:

- لا، لم يكرهني أحدٌ على الدخول في هذا الدين، وإنما أردت دخوله لاقتناعي التام بصدقه.

وهنا تدخل زوجها الدكتور فقال:

- لقد عشت في النمسا سنوات عديدة، وعندما تزوجت من هيدي لم أكن مسلماً بمعنى الكلمة، ثم حضرنا إلى الكويت، فالتقت هيدي بأفراد أسرتي، والدتي وشقيقتي وبعض أقاربي، ولاحظت أنها أسرة متدينة تحافظ على الصلاة، لقد أحببت الأسرة الشرقية الإسلامية، وما تتميز به من حب وبر وتراحم، وعلمت أن هذا كله مصدره الدين الإسلامي، كما أغرمت بحب والدتي الحاجة بدرية، وهي امرأة متدينة للغاية شديدة العطف والود.

ومنذ عام ١٩٧٦ تركت زوجتي وشأنها وانشغلت عنها بأعمال كثيرة، وفجأة لاحظت أن هيدي تقلد والدتي وتصلي، ولما سألتها قالت: أنا مسلمة يا مرعى، إنني

أصلى وأحب الصلاة، ولما جاء رمضان أخذت تصوم معنا.

هنا تدخل أحد العلماء الجالسين فقال:

- قل لها يا أختي أنت مسلمة وعضو في مجموع المسلمين، وهي الآن أخت لنا في الإسلام، ولها علينا الكثير من الحقوق، ونحن في خدمتها.

وهنا شكرته السيدة هيدى وقالت:

- أنا أعلم أنتى مسلمة، ولكنى جئت إلى هنا لإشهار إسلامى وتغيير اسمى.

فتدخل زوجها وقال:

- منذ عدة أسابيع وهيدى تطالبنى أن أحضرها إلى هذه الوزارة، فقلت لها: إن جواز سفرك فى الجامعة، فسكتت، وبعد أيام أهرزت لى جواز سفرها وقالت: ها هو جواز سفرى فخذنى لكى أستريح، لا أحب أن أظل معلقة هكذا، ولما رأيت منها كل هذا الإصرار سألت شاباً كويتياً مسلماً أعرفه، فقام مشكوراً بالاتصال بالوزارة، ولما حصل على المعلومات الكافية حول الطريقة المتبعة فى مثل هذه المناسبة، أبلغنى بذلك، وكانت هيدى متلهفة على معرفة النتيجة، وها نحن قد حضرنا لهذا الغرض.

- أهلاً بكم ومرحباً.

ثم توجه أحد العلماء مخاطباً السيدة هيدى عن طريق المترجم للغة الإنجليزية بالوزارة، فقال لها: هل تؤمنين بأركان الإسلام الخمسة وهى الشهادتان والصلاة والصوم والزكاة والحج؟ فقالت: نعم فقال لها: إذن رددى معى:

«أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وأشهد أن عيسى بن مريم عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم، آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر».

أخذت السيدة هيدى تردّد هذه العبارات باللغة العربية المكسرة، وبعد كل فقرة منها تردّد بالإنجليزية معناها الدقيق، لتكون على علم بما تقول، حتى فرغت من ذلك.

الزى الجديّد:

كانت السيدة هيدى تلبس ملابس محتشمة نوعاً، فثوبها العلوى له أكمام طويلة كما

كانت تلبس جوربين طويلين سميكين فى قدميها يصلان إلى الركبتين، إلا أنها كانت متزينة وشعر رأسها مكشوف وعلى عينيها نظارة، فقال لها أحد العلماء:

- اسمحى لى أن أخاطبك بكلمة يا أختى فى الإسلام! وأن أقدم لك نصيحة الأخ المسلم لأخته المسلمة.

فأبدت اهتماماً بذلك فقال:

- ما دمت قد أصبحت مسلمة فمن واجبك الآن أن تلبسى اللباس الإسلامى الكامل، وأن تخفى زينتك حسب ما يأمرك دين الإسلام الذى آمنت به.

وهنا تدخل زوجها وقال: الحق أنها كثيراً ما تتساءل فى البيت: لماذا تفعلون هذا؟ إن الإسلام يأمر بخلافه، فهى على علم تام بأوامر الإسلام ونواهيها ومتحمسة للالتزام بذلك.

فقال له العالم المسلم:

- إن من واجبك أنت باعتبارك زوجاً لها أن تكون قدوة طيبة أمامها، وأن تشجعها على الالتزام بأداب الإسلام.

فوعد الدكتور الزوج بذلك، وقال:

- لقد أطلعت زوجتى على ترجمة معانى القرآن الكريم باللغة الإنجليزية وباللغة الألمانية، وأخذت فكرة كاملة عن العقيدة الإسلامية وقارنتها بعقيدة النصارى بالنسبة لسيدنا عيسى عليه السلام، فاقتنعت بعقيدة القرآن رغم حاجز الترجمة، وهى تعرف الألمانية والإنجليزية وشيئا يسيراً من اللغة العربية.

فقال أحد العلماء الجالسين: يستحسن أن تطلع على أكثر من ترجمة لمعانى القرآن الكريم حتى تعوض ما فاتها من معانيه، مع أن القرآن الكريم مهما اجتهد المترجمون فلن ينقلوا معناه إلى أية لغة.

فقال الزوج: إننى أفضل أن أقوى إجادتها للغة العربية حتى تقرأ القرآن وتفهمه باللغة العربية، وهنا استحسّن الحاضرون ذلك كثيراً.

كتب إسلامية:

وقبل أن ينتهى اللقاء أهدت لجنة الفتوى للسيدة هيدى مجموعة من الكتب الإسلامية باللغة الإنجليزية، لتعميق فهمها للإسلام، كان من أهمها كتاب (مبادئ الإسلام) للأستاذ المودودى، وكتاب: (التعريف بالإسلام) للدكتور محمد حميد الله وكتاب: (شبهات حول الإسلام) للأستاذ محمد قطب، الذى قالت بأنها سمعت به من قبل، وكتباً أخرى... واتفق على أن تعود إلى الوزارة لإتمام معاملة إشهار الإسلام، بعد بضعة أيام.

وهنا سُئلت السيدة هيدى عن الاسم الإسلامى الذى تختاره لنفسها؟ فهتفت قائلة: بدرية! ولما سُئلت عن السبب قالت: لأننى أحب والدة زوجى الحاجة بدرية، فأريد أن أتسمى باسمها.

وهكذا انفضت الجلسة والكل يقول: سبحان الهادى! سبحان الله!

تعليق (الدين المعاملة)

وبعد، فهذه ليست مجرد قصة تحكى كى يعجب الناس بها ويفرح الغيورون على الدين الإسلامى بما يسمعون أو يقرأون، وإنما هى تفاصيل ما حدث يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول عام ١٣٩٩ هـ، الموافق ٢٢ فبراير عام ١٩٧٩ م. وقد صاحب الزوجين فى زيارة وزارة الأوقاف رجل ثالث هو زوج أخت الدكتور مرعى وهو أيضا وزوجته من المتدينين المتمسكين بالدين الإسلامى الحنيف.

وهكذا نرى أثر القدوة الطيبة فى نشر هذا الدين بين الناس كافة، فإذا رأى الناس مسلماً يحيا بالإسلام دون أن يتكلم بكلمة واحدة، فإنهم يتأثرون به أعظم التأثر، لأن الإسلام هو دين الأمانة والصدق والوفاء فى المعاملة، دين المحافظة على الوعد، هو الدين الذى يأمر التاجر أن يصدق فى تجارته فلا يغش، ويأمر الصانع أن يتقن صناعته، ويأمر الموظف والعامل أن يحسن عمله، كما يأمر صاحب العمل أن يُعين العامل فى عمله وأن يعطيه أجره قبل أن يجفّ عرقه، وأن ينصفه فى ذلك.

فلما عاشت السيدة هيدى فى وسط إسلامى من هذا النوع ورأت كيف يخلص الرجل

لزوجته وكيف تكون المرأة العجوز موضع تكريم وحب من جميع أفراد الأسرة بدلا من أن يُلقى بها في دور العجزة، وعندما شاهدت الروابط الأسرية الوثيقة بين أفراد العائلة المسلمة، وأطلعت على الحياة النظيفة الخالية من السكر والقمار والاختلاط والمجون، عندها أخذت تتساءل في نفسها، ثم بعدها أقبلت هي على الإسلام حتى دخلت فيه راضية سعيدة. وهذا يذكرنا كيف انتشر الإسلام ولا يزال ينتشر كل لحظة بين ملايين البشر، وسيظل ينتشر بهذا الأسلوب في أرجاء المعمورة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ولعل هذا من الوسائل التي يحفظ الله بها هذا الدين، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] فالذكر الذي هو القرآن الكريم والسنة النبوية قد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه، لا في السطور فحسب، بل في القلوب، و مترجماً في أعمال رجال ونساء صالحين، فهو ذكر مترجم إلى عمل، والفائز من اقتبس من هذا النور، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.



لبنان :

٦١- نجوى أدمون شوقاني

سلسلة خالدة :

حين شرعت في تسجيل القصة الأولى من هذه السلسلة عن رجال ونساء أسلموا من كل بلد من بلاد الدنيا، كنت أحسب أنني سأفرغ منها وينتهي بي المطاف عند حلقة نهائية من حلقاتها، وما علمت أنها سلسلة خالدة خلود الحياة، فهي باقية إن شاء الله ما دام على الأرض إنسان.

لقد رأيتني، بعد أن أتيت لي الفرصة لمقابلة شخصيات مختلفة من الذين أسلموا، وكأنني أقف على شرفة عريضة تطل على العالم أجمع، وأمامي أيدي ممتدة من كل مكان في الدنيا تتلهف لحمل كتاب الله، لا في الأيدي فحسب، بل وفي الصدور والقلوب، إنه الزحف الإسلامي، والنور الرياني الذي ينتشر وينتشر حتى يعم نور الله الأرض بأسرها.

والعجيب أيضا أن من يدخل في هذا الدين لا يخرج منه أبداً، وهذا أكبر دليل على أنه دين الله لا دين أحد من البشر. فما أن تخالط بشاشته القلوب حتى يعمرها ويمتزج بكيان الإنسان كله، فسبحان الله العظيم، ألم يكن ذلك ضمن الأسئلة التي وجهها هرقل ملك الروم إلى أبي سفيان قبل إسلامه، عندما التقى به على رأس وفد من قريش ليسأله عن رسول الله ﷺ ؟

قال هرقل يتساءل عن أتباع محمد ﷺ : هل يزيدون أم ينقصون؟ فأجاب أبو سفيان: إنهم يزيدون، فلا يدخل أحد منهم في هذا الدين حتى يشبه عليه ويفديه بحياته، فقال هرقل: فذلك شأن الرسل ودين الله الذي يأتون به إلى الناس.

قصة جديدة :

والآن لنبدأ قصة جديدة، إنها لشابة من لبنان، فقد نشرت جريدة الرأي العام

الكويتية الغراء، في ملحق عددها الصادر يوم الأحد الرابع من شهر فبراير عام ١٩٧٩، قصة إسلام السيدة نجوى آدمون شوفاني، فكتبت تقول: مسيحية مارونية من لبنان تعلن إسلامها في الكويت، وتقول: أحمل لأهلي كل حب، وأدعو الله أن يهديهم إلى الطريق المستقيم كما هداني، لقد وجدت القرآن الكريم يقول: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧] فاستجابت فطرتي لذلك وعلمت أنه الحق.

وقد توجه الأخ محمد رشيد العويد، محرر الرأي العام، إلى السيدة نجوى، مع زوجها، فأجرى معها حواراً حول أسباب إسلامها، وفيما يلي ما قاله الأخ، شيد:

ما أحسبها كانت مصادفة أبداً، فبعد خروجي من لقاء الأخت نجوى آدمون شوفاني، التي حدثتني عن تأثرها بزوجها المسلم، وكيف كان يجادلها بالتى هي أحسن، ويبين لها مبادئ الإسلام الخفيف.. بعد خروجي وجلوسى فى السيارة، امتدّت يدي إلى مفتاح الراديو وأدركته فسمعت القرآن الكريم يرتله شيخ من إذاعة الكويت بلغة الأوردو، وكانت الآية التى سمعتها هى قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، ووجدت نفسى أردد: سبحان الله! الحمد لله، الله أكبر!

البداية.. والتأثر بالزوج الصالح

لقد كان السؤال الأول الذى طرحه محرر الرأي العام على السيدة نجوى هو: ما هى الصورة التى كنت تحملينها عن الإسلام قبل زواجك؟ فأجابت بقولها: لقد كانت صورة مشوهة غير واضحة، وفيها الكثير من التحريف، والمعلومات التى ملئ بها ذهنى عن الإسلام كانت معلومات مغلوطة غير صحيحة، وكنت أجهل كثيراً من مبادئ الشريعة الإسلامية السمحاء، وهى شريعة الله التى أنزلها لخير عباده.

* بعد ذلك سئلت الأخت نجوى متى بدأ اهتمامها بالإسلام ورغبتها فى اعتناقها؟ فأجابت بقولها: كان ذلك بعد زواجى، فزوجى شاب مسلم، أعجبت بأخلاقه وسلوكه، وعرفت أن هذه الأخلاق الحميدة نابعة من تدينه وتمسكه بإسلامه، وكنت أراقبه وهو

يصلى واقفا بين يدي الله في خشوع فأثّر بذلك كثيرا، وكنت بين الفينة والأخرى أسأله عن بعض الأمور في الإسلام فيوضحها لي، ويبين لي حكمتها، ومع مرور الأيام بدأت الصورة الحقيقية للإسلام تتضح أمام ناظري، وبدأ حب الإسلام يشيع في نفسي ويمتلك عليّ قلبي، حتى عزمّت ذات يوم أن أعلن إسلامي، ففاتحت زوجي بذلك، ففرح به كثيرا وأعرب عن سعادته بعد أن تأكد من صدق عزمي، وهكذا ذهبنا إلى وزارة العدل معاً حيث أعلنت اعتناقي للإسلام، وزوّدتُ بإعلان رسمي يُثبت ذلك.

* وهنا سُئلت السيدة نجوى آدمون شوفاني المارونية الأصل: هل تؤدّين العبادات الإسلامية بانتظام؟ فقالت: نعم ولله الحمد، فأنا أصلي الصلوات الخمس اليومية وأحافظ عليها في مواعيدها، وسيكون شهر رمضان القادم أول شهر أصومه، إن شاء الله، بعد إسلامي، وأمنيته أن يوفقني الله سبحانه وتعالى لأداء فريضة الحج وزيارة مسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة.

* ثم كان السؤال التالي: هل قرأت كتباً كافية عن الإسلام لزيادة إطلاعك على دينك الجديد؟ فأجابت السيدة نجوى بقولها: لقد أحضر لي زوجي بعض الكتب عن الإسلام وسيرة الرسول ﷺ، وقرأتها بشغف عظيم.

* وكيف وجدت النبي محمداً ﷺ بعد قراءة سيرته؟ على هذا السؤال أجابت الأخت نجوى قائلة بأسلوب السيدة البسيطة الصادقة: إنه رسول كريم، لا أثر للكبر في نفسه، متواضع، يحب الخير للناس جميعاً ويحرص على هدايتهم، رحيم بالمسلمين.

بَيْنَ الْحَقَائِقِ وَالْأَبَاطِيلِ :

* بعد ذلك قال محرر الرأي العام للأخت نجوى: ما هي الجوانب التي لم تترتاحي لها في دينك السابق، والتي أعجبتك ما يقابلها في الإسلام؟ فقالت: الواقع أن هناك عدداً كبيراً من الأفكار التي لم يطمئن إليها عقلي، ولم يقبلها فكري ولقد عرفت فيما بعد أن كثيراً مما ليس في الإنجيل أصلاً قد أضيف إليه، كما حُرّف ما فيه، قال تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: 79].

ومن هذه الأفكار المحرّفة مثلاً ما يلى قرأت فى الإنجيل الفقرة التى تقول عن سيدنا عيسى عليه السلام أنه «صَلَبَ وَقَامَ»، بينما وجدت القرآن الكريم يقول: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَلْأَلْبُومِينَ بِهٖ قَبْلِ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٩].

كذلك يوضح القرآن الكريم مكانة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فى عدة آيات من سورة المائدة، تلخص عقيدة المسلم بهذا الخصوص، فيقول: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٧].

ويقول أيضاً: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نَبِّئُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة: ٧٢ - ٧٥].

ويمتلك لا يمكن رفضه يخبر القرآن الكريم عن قضية خلق عيسى عليه السلام فيضرب لها مثلاً لا مجال إلا للتسليم به، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٩ - ٦٠].

وهذه آيات أخرى عن سيدنا عيسى عليه السلام من سورة المائدة أيضاً: ﴿ وَإِذْ قَالَ

اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتَ قُلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿[المائدة: ١١٦ - ١١٧].

وأخيراً هذه آيات من سورة النساء حول الاعتقاد الصحيح بعيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَكْفِرَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَكْفِرْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿[النساء: ١٧١ - ١٧٢].

فعندما قرأت الأخت نجوى هذه الآيات الكريمة عن سيدنا عيسى عليه السلام عرفت الحق فأمنت به دون تردد .

وسبب آخر تضيف الأخت نجوى إلى هذا السبب الجوهري في اعتناقها الإسلام سبباً وجيباً آخر فتقول: ومن الدوافع الأخرى التي جعلتني أختار الإسلام ديناً قضية الاعتراف لدى رجل الدين، مع أنه رجل من البشر مثلنا لا يملك لنفسه المغفرة فكيف يملكها لغيره؟! بينما في الإسلام نجد التوبة مفتوحة للناس جميعاً بينهم وبين ربهم، دون أي وسيط من البشر . قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿[الزمر: ٥٣].

وهنا سئلت الأخت نجوى هل علم أهلها بإسلامها؟ وكيف كان موقفهم من ذلك؟ فأجابت بقولها: لقد علموا بإسلامي، وحاولوا أن يقنعوني بالعدول عنه والعودة إلى ديني السابق، ولكن محاولاتهم لم تنجح، فأنا ثابتة على إسلامي بعد أن أنعم الله عليّ بالهداية.

دعاء جميل ورجاء كريم:

أما موقفى أنا منهم فإبنى أحمل لهم فى قلبى كل حب وودّ، وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يهديهم إلى الإسلام، دين الفطرة، كما هدانى إليه.

وأخيراً دُعيت الأخت نجوى إلى توجيه كلمة إلى إخوانها وأخواتها فى الإسلام فقالت: أريد أن أتوجه بالرجاء إلى كل أخ مسلم وإلى كل أخت مسلمة أن يعودوا إلى التمسك بدينهم العظيم، دين الإسلام، لأنه دين الرحمة والعدل، الدين الذى ختم الله به الأديان جميعاً، وجعل فيه الخير والسعادة للناس فى دنياهم وآخرتهم.



ألمانيا الغربية:

٦٢- أحمد جبرمان
 وولده نوري نوربارت سابقاً

هذه قصة إسلام السيد أحمد جبرمان - رئيس المسلمين الألمان فى ولاية رينانيا وست فاليا - وهى الولاية التى تقع فيها مدينة كولون، ويبلغ من العمر ٤٩ عاماً، وهو يعمل فى مكتب ألماني لشئون السياحة.

وقد حصلت عليها من ولده نوري، الذى كان يدعى قبل إسلامه نوربارت والبالغ من العمر ٢٩ عاماً، وذلك أثناء زيارته الأولى للكويت (عام ١٩٨٠م) ضمن وفد المركز الإسلامى فى كولون الذى ضم أربعة من المسلمين برئاسة الأستاذ محمد أحمد رسول وعضوية نوري، ومسلم ألماني آخر ودكتور ألماني مسلم من أصل تركى ترك عمله وعبادته وجاء ضمن هذا الوفد الإسلامى للحصول على العون المالى من الكويت لإنشاء مسجد للعمال الأتراك المسلمين فى كولون ثانية المدن الصناعية الألمانية، والتى يقطنها أكثر من خمسين ألف عامل مسلم من تركيا. كما أن هذا المركز يقوم بجهد مشكور لتعليم أطفال المسلمين أمور دينهم، فلديهم مدرسة لأطفال المسلمين الأتراك، ولكن إمكانات هذا المركز ضئيلة جداً ويحتاج إلى الدعم المالى الكبير حتى يقوم بواجبه على خير وجه ممكن.

وقد حدثنى الأخ محمد رسول رئيس الوفد، أن المسلمين فى أوروبا عامة يواجهون مع الأسف تعصباً وكتباً لحقوقهم، رغم أنهم يعيشون فى أرقى بلاد الدنيا التى تنادى بحرية الاعتقاد وحرية الفكر، ولكنها عندما تواجه الإسلام تتصرف بحقد وتعصب شديدين. وهذا أمر يؤسف له حقاً. كما ذكر لى الأستاذ محمد رسول أن الأتراك المسلمين فى ألمانيا شديداً التمسك بدينهم ولهم أئمتهم الذين يسمى الواحد منهم «خوجه» يقوم على تربية الأبناء تربية إسلامية طيبة وهم بحاجة إلى العون المالى. وقد رأى أحد الزائرين المسلمين طفلة صغيرة فى مدرسة المركز الإسلامى فى كولون، وكانت طفلة صغيرة نحيلة الجسم تحفظ شيئاً من القرآن الكريم وتجيد التلاوة إجابة تامة، فأبدى الزائر تأثره مما

رأى، فقال له الخوجه الإمام التركي المسلم الذى يقوم على تدريسها: «إن لدينا ٤٥ طفلة أخرى مثلها فى المدرسة».

كيف أسلم؟

نعود الآن إلى الأخ أحمد جيرمان وأسرته. يقول ولده الأخ نورى: يبلغ أبى من العمر حالياً ٤٩ عاماً، وله أسرة مكونة من أربعة من الأبناء وزوجة، والأبناء اثنان من الذكور وبناتان. وقد أسلم الأب قبل حوالى ١٢ عاماً، ثم أسلم بعده ولده الأخ نورى، وذلك بعد إسلام الأب بسنتين اثنتين.

سألت الأخ نورى، وهو لا يجيد العربية، قلت له عن طريق مترجم ألماني جلس معنا: كيف أسلم والدك يا أخى؟ فقال:

- لقد كان والدى يعمل فى الأصل مسئولاً فى كنيسة البلدة التى يقيم فيها، وكان عمله عبارة عن رعاية شئون العمال المسلمين الأتراك فى تلك المنطقة، وتقديم العون المالى والمعنوى لهم باسم الكنيسة، وهذا أسلوب من أساليب التبشير النصرانية كما هو معلوم، فكان الوالد يساعد العمال الأتراك المسلمين المهاجرين إلى كولون للعمل، فى تأمين السكن لهم، وإنجاز مصالحهم وتسهيل معاملاتهم لدى سلطات الحكومة الألمانية.

ومن خلال عمله المذكور فى الكنيسة، تعرف الوالد على إمام تركى كان مسئولاً عن مسجد صغير فى بلده منشئ غلادباخ، وكان يدعى الشيخ حسن زاجر، وهو عبارة عن عامل متدين يقوم بالإمامة فى المسجد المذكور للمسلمين الأتراك، وكان حسن زاجر هذا من أسرة يونانية الأصل مهاجرة من شمال اليونان، وكانت أسرته على علاقة واحتكاك بالنصارى اليونانيين.

وهكذا كان الشيخ حسن زاجر يعرف كيف يناقش النصارى فى أمور دينهم ويدحض حججهم، حيث أطلع على تعاليم الديانة النصرانية إبان طفولته وصباه بشكل جيد يؤهله لمثل تلك المناظرات. وهكذا فقد كان السيد أحمد جيرمان، بصفته ممثلاً للكنيسة، يدخل فى مناقشات حامية الوطيس مع الشيخ حسن زاجر، ويشترك معه فى مناقشات كلامية أحياناً، تتضمن مقارنة بين النصرانية والإسلام، وقد استمر ذلك حوالى ثلاث أو أربع

سنوات وانتهى الأمر بعقد صداقة وثيقة بين الرجلين. ومرّت فترة بعد ذلك هدأت فيها نفس السيد جيرمان، فما كان منه إلا أن اعتنق الإسلام على يد الشيخ حسن زاجر نفسه.

شبهة حول لغة القرآن :

تذكرنى هذه الحادثة بقاء تمّ بينى وبين مسئول كبير فى شركة الملاحة العربية المتحدة، وهو مدير العمليات البحرية بالشركة، وهو رجل انجليزى لطيف. ذهبت إلى الشركة لمقابلة صديق لى فيها فلقيت عنده المدير المذكور، فجرى بينى وبينه حوار بدأه هو بالسؤال التالى، بعد أن رأى نسخة من ترجمة معانى القرآن الكريم باللغة الإنجليزية، قال لى: لا شك أن الله سبحانه وتعالى موجود، ولا شك أن هذا الكتاب هو من عند الله، ولكن إذا كان هذا القرآن موجهاً إلى الناس كافة كما يقول المسلمون، فلماذا أنزله الله باللغة العربية بالذات بحيث أحوجنا إلى عناية ترجمته ونقله إلى لغات أخرى كما يفعل الداعون إلى الأديان الرئيسية فى العالم؟ لقد كان بوسع الله القادر على كل شىء، أن ينزل كتابه فى عدة لغات رئيسية فتتضح رسالته للناس كافة، ويقيم الحجة عليهم جميعاً.

وهنا قلت له: إنك تعنى أنه لماذا أنزل القرآن الكريم باللغة العربية بالذات؟

فنظر إلى صديقى (مرؤوسه) نظرة فهمت منها طلبه أن أرفق بمديره الذى أناقشده، فطمأنته بأننى أرحب بالنقاش الحرّ. وقلت للمدير: إن نزول القرآن الكريم باللغة العربية هو تكريم وتشريف للناطقين بهذه اللغة (العرب) كما أن فيه مسئولية ضخمة يحملها الله لهم.

وأعود بك إلى أول قرن من تاريخ انتشار الإسلام، منذ بعثة النبى محمد ﷺ حتى خلافة عمر بن عبدالعزيز تقريباً، ألم تكن رسالة الإسلام منتشرة من الصين شرقاً إلى شواطئ الأطلسى غرباً؟ أى أنه انتشر فى كافة أنحاء العالم القديم، ولم يمنع حاجز اللغة من انتشاره، بل على العكس من ذلك، لقد انتشرت اللغة العربية مع انتشار

الإسلام وأصبحت بلاد كثيرة تنطق بالعربية بعد أن تركت لغتها الأصلية، ألسنت معى فى ذلك؟

ثم أضفت قائلاً: لذلك أعتقد أن من الأفضل تعليم الناس اللغة العربية تمهيداً لنشر الإسلام بينهم بدلاً من ترجمة معانى القرآن الكريم إلى لغات عدة، لأن الترجمة لن تكون هى القرآن أبداً، ولست هنا أدعوك لاعتناق الإسلام، وإنما أدعوك إلى دراسته ومحاولة التعرف عليه، وأطمئنك أن الإسلام ينتشر فى كل بقعة من بقاع العالم اليوم، واللغة العربية هى عامل مهم من عوامل توحيد المسلمين فى العالم، وبهذا انتهى ذلك اللقاء الذى يبين ما فى نفوس الغربيين من شبهات حول الإسلام.

لا إكراه فى الدين :

نعود إلى قصة السيد أحمد جيرمان الذى أسلم لله على يد رجل مؤمن أثر فيه رغم رصيد ذلك الألماني من الحضارة المادية، وفى أرقى بلاد الدنيا - ألمانيا. فرغم ذلك، فقد أسلم الرجل الغربى المتقدم على يد عامل مسلم بسيط، بيده سلاح واحد هو الحق الذى يتهاوى أمامه كل باطل: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

إسلام الابن :

وهنا سألت الولد، واسمه بعد إسلامه نورى: ومتى كان إسلامك؟

فقال: لقد أسلمت بعد والدى بعامين، وقد أمضيت معظم ليلة أمس مع الأستاذ محمد رسول فى الفندق، أتعلم منه كيف أقوم بإمامة الناس فى الصلاة، لأننى أتطلع إلى خدمة هذا الدين والدعوة إليه.

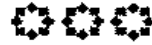
وسألته بعد ذلك: وماذا عن باقى أفراد أسرتك؟

فأجاب: فى الحقيقة إننى أنا الوحيد من إخوانى الذى اعتنق الإسلام، وأملى كبير أن نوفق أنا ووالدى إلى هداية إخوانى الثلاثة الباقين، أما والدتى فلا تزال متمسكة بدينها، وطبيعى أن من العسير إقناع المرأة الكبيرة بتغيير دينها. ونحن بالطبع لا نعمل

أبدأ على إكراهها لأنه لا إكراه في الدين، وستصحبها خير صحبة ونعاملها أفضل معاملة، لأن الإسلام هو دين التسامح.

دعوة إلى الخَيْرِ

وبعد، فلا بد من كلمة نوجهها إلى الغبوريين على نشر هذا الدين في كل مكان من عالمنا الإسلامي، الذين آتاهم الله من الإمكانيات ما يتيح لهم الفرصة لعون إخوانهم المسلمين، نقول لهؤلاء الإخوة: إن من الواجب دعم إخوانكم المسلمين الأتراك المهاجرين إلى ألمانيا، حتى يشبتوا على دينهم ويكونوا سفراء للإسلام في ألمانيا، لأن إقامة مركز إسلامي في كولون بألمانيا مثلاً هو بمثابة وضع حجر أساس لنشر الدعوة الإسلامية هناك. والله يشرح الصدور لكل خير.



غانا:

٦٣ - عبد الله كوينناوا الفريد... سابقاً

هذه هي قصة رجل من غانا كان يدعى قبل إسلامه الفريد كوينناوا، ثم سُمي نفسه بعد أن أسلم عبد الله كوينناوا، هذا الرجل شبَّ على الضلالة، فجرفته الغواية حتى كاد يتشيع بها لولا أن حفظته هداية الله، وحماه نور اليقين من الشك القاتل، فانبج أمامه صبح الإيمان بعد جهاد مرير مع نفسه وعقله.. كان يلحُّ على عقله بأن يفكر ويناقش تلك الأباطيل التي لا يقبلها العقل ولا يساندها المنطق.

أكاذيب وأسرار

رأى الفريد كوينناوا الضلالة أمام عينيه يتلقاها إخوانه على أيدي رجال الدين، وتجمّمت له هذه الأباطيل عندما سمع في دروسه الدينية أن عيسى بن مريم هو الله في زعمهم، وأن السيدة مريم هي أم الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. كانت هذه الترهات شبحاً مخيفاً يقضُّ مضجعه ويؤرق جفنيه. وأراد أن يعترض فلم يسمح له أي إنسان، وأراد أن يناقش فاتهموه بالزندقة والكفر وتوعّدوه بالعذاب، وهدّدوه بالحرمان من الجنة ونعيمها.

قالوا له إن هذه أسرار لا يعلمها إلا رجال الدين وعليه أن يؤمن بها على علاتها دون أدنى اعتراض أو مناقشة. وقد شعر يومها أن شيئاً عظيماً يجب أن يحدث في حياته، فخرج مسرعاً من قاعة الدرس، وقرّر أن لا يعود إلى هؤلاء الناس الذين يمسخون الحقائق ويشوهون معالم الوحدانية، وعاهد نفسه أن يصل إلى الحقيقة وحده مهما كلفه ذلك من ثمن، فأعمل عقله وأجهد نفسه في القراءة والتفكير يريد أن يصل بروحه وكيانه إلى مبدع هذا الكون، لأنه يتحرّق شوقاً إلى الهدى والتور.. فتوسّل هذا العبد القلق الحائر إلى الله أن يهديه إلى طريق الصواب، ويرشده إلى معرفة الحق، فاستجاب الله دعاءه، لأنه قريب بجيب دعوة الداع إذا دعاه، وخرج من ظلمة الشك إلى نور اليقين، وعندها

شعر لأول مرة في حياته بالاطمئنان يغمر قلبه وبالسعادة تملأ جوانحه، وذلك حينما نطق بالشهادتين على يد الحاج شعيب شيخ الإسلام في غانا وأصبح من وقتها مسلماً.

الفريد كوييناوا.. إنه أخ جديد من غانا.. جلست أستمع بشغف بالغ إلى قصة إسلامه، وأتأمل ملامحه الجادة المعبرة التي تدلُّ على الثقة الكاملة والإيمان العميق. أخذ يقصُّ على قصته في رويةٍ ومهمل، وكان يتخلل حديثه لحظات قصيرة من الصمت يقطعها بقوله «الحمد لله»، وكأنه في صمته هذا يسترجع بعض الذكريات أو يمسخ عن نفسه آثار الماضي البغيض.

تناقض وحيرة :

بدأ السيد عبد الله كوييناوا حديثه معي قائلاً: ولدتُ نصرانياً مؤمناً بديني كل الإيمان، وكنت دائم الذهاب إلى الكنيسة منذ أن وعيت، فضلاً عن إيماني بالله وحيي له وتفاني في ذاته، ومناجاتي إياه دائماً في السرِّ والعلن، فقد كنت أبغى الهدى وأنشد الراحة من هذه الخرافات الكاذبة، لأنني - والحق يقال - أحسست في قرارة نفسي أنني غير مطمئن لبعض هذه الأراجيف التي يلقنها لنا رجال الدين.

ثم يضيف الأخ عبد الله كوييناوا الغاني المسلم قائلاً: كنت أعيش في دوامة نفسية قاسية وفراغٍ روحي مملّ يكاد يعصف بكياني كله، وفي الوقت نفسه كنت أرى هاتفاً يهتف بي من داخلي أيضاً ليعترضني ويقول: «لا.. يجب أن لا تشور على دين آبائك وأجدادك..»، فوجدت نفسي بين عاملين يتنازعني كل منهما ويشدني إليه بقوة، فضاقت بي الدنيا حتى كدت أختنق، وقلقتني رغبة عارمة في الفرار منها. ولم أجد مكاناً أذهب إليه، بعد أن التوتُ أمامي الطرق، سوى الكنيسة، فلعل فيها ما يريحني ويدفع عني غوائل الشك والإلحاح، وفعلاً ذهبت إلى الكنيسة كعادتي، وكانت هناك صورة تمثل المسيح مصلوباً، وأحد رجال الدين يشير إليها قائلاً: «هذا هو الله، خالق الكون وأمه السيدة مريم هي أم الله».. فلم أقمالك نفسي ولم أستطع أن أكتم غيظي، وصحتُ معترضاً، ولكن هيهات فقد ضاع صوتي ولم يقبل اعتراضى، ورميت بالكفر والزندقة.. وحينما أردت أن أناقش مناقشة منطقية هددتُ بالحرمان من الجنة ونعيمها، وحينئذٍ لم أجد عوناً على ثورتى هذه إلا الفرار من هذا المكان مسرعاً، فمضيت من

فورى لا ألوى على شىء، وأخلدت إلى نفسى أحدثها وأستلهمها الجواب.. كيف يكون السيد المسيح هو الله، مع أنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً؟ وكيف يكون الله بشراً مثلنا؟ ومن الذى خلقه هو إذن؟ وأيقنت أن خير وسيلة لى هى أن أبتعد عن هؤلاء الناس، فلم أذهب إلى الكنيسة بعد ذلك اليوم.

وهنا صمت الأخ عبد الله كوييناوا برهة، حاشت خلالها نفسه بهشتى الأحاسيس ومختلف الذكريات. وبعد فترة وجيزة من الصمت عاود حمده لله واستأنف حديثه قائلاً:

وفى ليلة لن أنساها ما حييت ظلمت أقرأ وأفكر حتى شعرت أن عقلى يكاد ينفجر، فقمتم مسرعاً واتجهت إلى ربي وصلّيت له، وتوسلت إليه أن يهدينى وأن ينقذنى مما كنت فيه، وأن يأخذ بيدي إلى طريق الحق والخير وبرّ النجاة والأمان.

على غير ميعاد:

وفى أحد الأيام، وبينما أنا أسير فى شارع من شوارع غانا، استوقفتنى جمع كبير من الناس، وبينهم أحد الخطباء، فذهبت إليهم لأستطلع الأمر، فسمعتهم ينشر فيهم بعض التعاليم الفاضلة كالنظافة والوضوء والإخاء والتسامح وحب الخير والخضوع لله وحده والدعاء له باسمه عزّ وجلّ لا شريك معه. فتأقت نفسى لهذه المبادئ السامية وأشرقت روحى من قدسية النور الإلهى ووجدتني أنتبه فجأةً وأصغى بكل جوارحى إلى هذا الحديث العذب الذى نزل على قلبى برداً وسلاماً.

وفى هذه اللحظة بالذات ذقت معنى السعادة لأول مرة فى حياتى وشعرتُ أن هناك قوة خفية تدفعنى إلى هذا الخطيب لأسأله المزيد من هذه النفحات الكريمة وأطلب منه إيضاحها لى، وقد كانت إجاباته تتفق مع ما فى نفسى فتربط إحساسى وتهدهد خاطرى وتمسح عنى ذلك الألم الدفين، فحمدت الله الذى هدانى أخيراً إلى طريق السلام الروحى وغمر قلبى بشعاع من الأمل الباسم، وشكرت هذا الواعظ على ما قدمه لى إذ أوصلنى إلى طريق الله، طريق الإيمان والأمان، فلم أتمالك نفسى وتلوت الشهاداتين، ثم أشهرت إسلامى فى ٣٠ يوليو سنة ١٩٥٣ على يد الحاج شعيب شيخ الإسلام فى غانا آنذاك.

مَاذَا الْإِسْلَامُ؟

قلت للأخ عبد الله: تقول إنك قرأت كثيراً، وبالطبع لم تقتصر قراءتك على دين بعينه، فلماذا أحببت الإسلام واخترتة ديناً لك؟

فردّ قائلاً: يكفي إن الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي لا يشرك مع الله أحداً غيره، ثم إنه يعدُّ الإنسان بالجزء مضاعفاً في الآخرة، وأى مسلم حقيقى لا يذهب أبداً إلى أبعد من هذا، وليس هذا فحسب، بل هناك مئات المزايا الحسنة التي حببت الإسلام إلى نفسى.

سألت الأخ عبد الله: وهل وجدت معارضة من أهلك أو من أحد من الناس على إسلامك؟

أجاب: أنا لا تهمنى إلا معارضة أهلى، وقد ثاروا علىّ فعلاً بادئ الأمر، إلا أننى استطعت أن أثبت لهم عملياً أن هذه الثورة لا معنى لها، وقد رحبوا بدينى الجديد عندما رأوا منى الاستقامة واجتناب المنكر والامتناع عن شرب الخمر، حتى التدخين عافته نفسى لأنه يضرّ بالصحة والمال وهذا لا يتفق مع تعاليم الإسلام، وقد تبعننى فى ذلك أخى الأصغر بإيعاز من أهلى.

هَمَّةٌ عَالِيَةٌ

وسألته أيضاً: هل كانت لك وظيفة فى غانا؟

فقال: نعم، كنت أتعهد الأغذية لمدارس الحكومة.

وسألته: ولماذا تركتها وجمت إلى بلاد العرب؟

فقال: فى الواقع إننى على استعداد لأن أضحي بكل عزيز وغالٍ فى سبيل الوصول إلى مزيد من المعرفة التى تكشف لى حقائق الإسلام، والسبب الرئيسى الذى جعلنى أحضر إلى البلاد العربية هو ظمأ المسلمين وغير المسلمين فى غانا إلى معرفة تعاليم الإسلام الحقّة، وقد استطعت بحمد الله أن أقنع سبعة وخمسين من أبناء غانا وأهديهم إلى الإسلام، ولعلك تعجب من ذلك، رغم أننى فى بداية الطريق ولم أتعمّق فى دراسة الإسلام، فكيف إذا درست الإسلام وعلمت أصوله وحقائقه؟ أملكى كبير فى أن أكون

هادياً إلى هذا الدين الحنيف إن شاء الله كى أفند الأباطيل التى يتشددق بها أعداء الإسلام من مبشرين وغيرهم. ولقد ذهبت إلى جامعة سيلان وتلقيت فيها بعض العلوم، ولكنى أردت أن أتعلم لغة الدين الذى أحببته فنصحتنى أحد أصدقائى المسلمين وأنا فى طريقى إلى مكة سنة ١٩٥٩م بالتوجه إلى القاهرة باعتبارها المعين الفياض والمنهل العذب للعلوم الإسلامية والعريسة. جئت إلى القاهرة لأتعلم الدين الإسلامى فى الأزهر الشريف، وعندما أعود سأجد كثيراً من إخوانى المسلمين والنصارى على السواء ينتظروننى بفارغ الصبر، لا سيما وقد استطعت إقناع أكثرهم باعتناق الإسلام، ولهذا أريد التفقه فى الدين والوقوف على تفاصيله وأسسها العادلة.

ويختم الأخ عبد الله كوينناوا حديثه بقوله: وأول شىء سأفعله بعد تخرجى هو الدعوة إلى الإسلام فى بلدنا ومحاربة المنصرين والعمل على نشر هذا الدين السمح، فقد عاهدت نفسى على أن أكرس وقتى ومالى لرفع راية الإسلام، ومن فضل الله على أن ترك لى والذى مزرعة فأرجو أن يعيننى الله على تحقيق هذه الأمنية الغالية.



هولندا:

٦٤- فيصل محمد
مسترواجنرم رابياً

هذه هي قصة إسلام شاب هولندي كان اسمه قبل الإسلام مستر واجنرم، فاتخذ لنفسه بعد إسلامه اسم فيصل محمد، وقد نشرت قصته وانطباعاته عن الإسلام في إحدى المجلات الإسلامية الواسعة الانتشار تحت عنوان «لماذا أسلمت»؟، كتبت المجلة تقول:

إذا غمرت الهداية قلب إنسان، ملأت صدره بالتور، وملأت فؤاده باليقين، وألبسته ثوباً قشيباً من الإيمان، وخلعت عنه رداء الشك والظلام، فينسأب في روض مشرق من التأمّلات الوردية الشائقة، ويسبح في عالم الفكر والاستنتاج ليجد نفسه أخيراً على شاطئ الأمان والسلام، فيختر ساجداً لتلك القدرة الخارقة، قدرة الخالق العظيم التي تتحدى جميع القوى وتهيمن على سائر المخلوقات. وعندئذ يصيح المرء معترفاً من أعماقه: لا إله إلا أنت سبحانك إنك على كل شيء قدير.. وهذه القصة التي بين أيدينا هي خير شاهد وأعظم دليل عملي ملموس على ذلك.

فيصل محمد أو واجنرم. كما كان يلقب قبل إسلامه هو أخ مسلم أشهر إسلامه في شهر ديسمبر من عام ١٩٥٢ بعد دراسة مستفيضة شغلت كل وقته وتفكيره، ولكنه بعون الله وفضله اجتاز التجربة بنجاح، ووصل إلى الحقيقة بعد أن أعياه البحث والتنقيب، يبدأ الأخ فيصل قصة إسلامه بقوله:

حيرة وبحث

هناك عدة أسباب جعلتني أقرر اعتناق الإسلام، فقد كنت قبل ذلك في حالة ذهنية مضطربة، وهي حالة تسود معظم الشباب في أوروبا الغربية كما هو معلوم. وكنت حينئذ عضواً في الكنيسة الكاثوليكية بهولندا. في ذلك الحين لم تكن لدى الشجاعة الكافية لكي أدعو نفسي نصرانياً حقيقياً بمعنى الكلمة. فقد كنت أعاني صداماً دائماً من جراء تفكيري التقدمي من جهة وإيماني بالعقائد المسيحية التي يجب أن يتقبلها

الإنسان النصراني من جهة أخرى، إلا أن كثره مصالحي المتعددة وأعماله الكثيرة، وبحثى الدائب عن الدين الحق وتطلعي إلى حياة أهنأ وأسعد وأفضل، كل ذلك أدى بي إلى الانفعال بالأدب الإسلامي فتأثرت بالقرآن الكريم، فما أعظم قول الله تعالى:

﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤].

ويعضى الأخ فيصل فيذكر بعض الآيات القرآنية التي استوقفتها أكثر من غيرها. ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى:

﴿ إِن مِثْلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٩، ٦٠]. وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٨].

وكذلك قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران: ١٩]. وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٤٨]. فقد تركت هذه الآيات العظيمة أثراً بالغاً فى نفسى لأن فيها دليلاً على ذلك الطابع العالمى الذى يتميز به الإسلام، فضلاً عما يمتاز به من النظم والتشريعات الأخرى، وبيانه الكامل لحقيقة سيدنا عيسى عليه السلام. فهل هناك أقوى وأصدق من تلك التعاليم المتحررة التى توصينا باحترام كل ما جاء به جميع الرسل والأنبياء؟ لا شك أن الدين الإسلامى هو دين الحق والصدق والبرهان.

الإسلام دين العلم:

ثم يشير الأخ فيصل محمد الهولندى الجنسية إلى دعوة الإسلام إلى طلب العلم وكيف أنه يحض المسلمين على ذلك فيقول: وما هو جدير بالذكر ذلك الاتجاه العلمى الذى جاء على لسان الرسول صلوات الله وسلامه عليه حيث يقول فى الحديث الشريف:

«اطلبوا العلم ولو فى الصين»^(١) ويقول: «مداد العلماء خير من دماء الشهداء»^(٢)، ويقول عليه الصلاة والسلام: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»^(٣). وفى حديث آخر: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة». وغير ذلك كثير من الأحاديث النبوية الشريفة، التى تحض على طلب العلم.

فالإسلام دين العلم، ويكفى أن أول آية فى القرآن أنزلت على ﷺ هى قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ﴾ [العلق: ١]. كما أن الله تعالى يمجّد أدوات القراءة فيقول: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]. وهذا اتجاه فريد يصعب وجوده فى تاريخ الكنائس والأديان الأخرى، ولهذا تجدنى وصلت من خلال هذه الدراسات الإسلامية وما قرأته فى كتاب الله تعالى الذى لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، والذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - وصلت بذلك إلى ما أبعيه لنفسى من الاستقرار والأمان، فالحمد لله على ذلك.

وهو دين شامل:

وهنا يتساءل الآخ الهولندى فيقول: من منا يسمع هذه الآيات البيّنات التى نزلت لتبين الأحكام الربانية وتشرح القوانين وتضع الأسس الكاملة لطريق الخير والرحمة ثم يعرض عنها ولا يؤمن بها؟ لا ينكر ذلك إلا مكابر معاند أعمته الضلالة، وتخبط فى ظلام الشرك.

وعمضى الآخ فيصل فى تساؤلاته فيقول: هل هناك أهدى من هذا الكتاب الذى يشتمل على حل لكل مشاكل الحياة بكل ما تشتمل عليه من نظم دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية؟ إن من يقف على تلك التعاليم السامية يجزم بأنها بمثابة روح الحياة وتعيمها، وأنها بعينها الحقيقة الخالدة التى لا موارد فيها ولا التواء، ولهذا جاء اقتناعى بهذا الدين بعد الدراسة والبحث والتأمل والتفكير.

(١) رواه البيهقى والخطيب وغيرهما وهو حديث ضعيف وله طرق ربما وصل بمجموعها إلى الحسن لغيره (انظر كتاب: كشف الخفا للعجلونى حديث رقم ٣٩٧).

(٢) حديث ضعيف والصحيح أنه من كلام الحسن البصرى (المرجع السابق حديث ٢٢٧٦).

(٣) حديث حسن لغيره (انظر كشف الخفا حديث رقم ١٦٦٥).

داعية جديد :

سُئل الأخ فيصل عن كيفية إشهاره لإسلامه فأجاب قائلاً: لقد أشهرت إسلامي على يد عالم جليل كان يزور بلدي هولندا في ديسمبر عام ١٩٥٢ ثم قررت أن أزور القاهرة لأرى الأزهر الشريف، كعبة العلم وشعاع الأمل الذي يخرج منه عبير الإسلام قوياً ليهدى الحيارى ويسكب في قلوبهم رحيق الحياة، وأنا دائم الإطلاع على الكتب الإسلامية منذ أن أعلنت إسلامي، بل لقد قمت بتأليف بعض الكتب رداً على هؤلاء المكابرين الذين يفترون على الإسلام فينسبون إليه تهماً هو منها براء، وليس هذا فحسب، بل لقد ألقيت محاضرة قيمة حول مزايا الإسلام هناك في المسجد الكبير في امستردام بهولندا، كان لها أثر طيب في نفوس الحاضرين فالحمد لله على ذلك.

وقبل أن ينتهي اللقاء بالأخ فيصل قال:

إن الإسلام في هولندا بخير والحمد لله، فهناك نشاط إسلامي ناشئ، وهناك جالية إسلامية تنمو مع الزمن، وهناك اتحاد إسلامي يعمل على التعريف بالإسلام باللغة الهولندية. عسى الله أن يبارك في هذا الغرس الطيب.

هذه هي قصتي أو على الأصح قصة إسلامي التي أعتبرها بداية طيبة لحياتي الجديدة، تلك الحياة الصحيحة البعيدة عن الزيف والخيال.



فرنسا : ٦٥- المنصور بالله الشافعي فنساي مونتاي سابقاً

(فنساي مونتاي) أو المنصور بالله الشافعي كما يلقب نفسه بعد إسلامه، هو رجل بحث وترحال اختص بدراسة القضايا الإسلامية والعربية عن كثب، قضى سنوات عديدة في المغرب والمشرق العربيين، وفي إيران والسنغال وإندونيسيا، وقام برحلات كثيرة إلى مالي وغانا وساحل العاج والنيجر وموريتانيا وسيراليون، وقد نشر حوالي مائة بحث ومقال، وما يقرب من عشرين كتاباً عن الإسلام والحضارة الإسلامية وعن المسلمين واللغة العربية، كما قضى ست سنوات من عمره في ترجمة مقدمة ابن خلدون إلى اللغة الفرنسية صدرت في ثلاث مجلدات، وكانت نهاية هذه الرحلة الميدانية والفكرية، الإعلان عن إسلامه في مدينة نواكشوط المعروفة بنواكشوط، عاصمة موريتانيا في صيف عام ١٣٩٧هـ الموافق ١٩٧٧م.

وقد نشرت له مجلة (فرنسا والبلاد العربية) في عددها الصادر في أبريل - مايو ١٩٧٨ مقالاً مسهباً يشرح فيه الأسباب والدوافع التي حملته على اعتناق الإسلام، وقد نقلته جريدة (ديالوج) التونسية بحذافيره، ونظراً لما في هذا المقال من مزايا، فإننا ننقله حسب نصه الوارد في جريدة ديالوج مع بعض التعليقات هنا وهناك لإتمام الفائدة.

اختيار واع

يبدأ المنصور بالله الشافعي أو فنساي مونتاي حديثه عن إسلامه بقوله: إذا اعتنق الإنسان الإسلام، فإنه يكون قد اختار ديناً أعنى اختار طريقاً فيه تجاوز للذات، أي أنه اتخذ لنفسه تصوراً للكون ومنهجاً للحياة، والتحق بصفة واضحة بأمة توحيدها عقيدة، ويعنى ذلك بالنسبة لي، وأنا في خريف العمر، أن ألقى بنفسي، رغم الشبهات التي تحيط بالنفط العربي، في صف الفقراء أو معسكر الفقراء، بمنطقة العواصف، وإلى جانب الفلسطينيين، ويعنى ذلك أيضاً أن أضع نفسي على هامش القوى العظمى، وأن أضع المال جانباً دون إفراط في الزهد، أي أن أكون في جانب العدل والحق.

ويضيف الأخ المنصور بالله قائلاً: وفي الوقت الذي نرى فيه العالم المعاصر يجعل من التقنية غاية تبرر الوسطة، ويا للأسف، فإن الالتجاء إلى الإسلام يجعل المرء يرفض هذا المفهوم ويتمسك بقيم أسمى، وعلى كل حال فإنني أبقى فرنسياً شأنى شأن شارل ديغول، وتبقى فرنسا وطنى، أرضى وأرض أجدادى، ولكن (وطنى الروحي) هو العالم العربى.

إن انتمائى للإسلام يمثل بالنسبة لى تحقيق ما فى أعماق نفسى ونهاية المطاف المنطقية لوجودى، وليس هو تمزقاً بين وفاءين، بل يعكس تعمقاً وشعوراً بأن كل الخطوط السامية تتلاقى، حسب عبارة الفيلسوف تيهارد دى شودان.

أسباب التحول:

وقبل أن يستعرض الأسباب التى أدت إلى اعتناقه للإسلام، يقول الأستاذ المنصور بالله: إن اعتناقى للإسلام يرجع لأسباب دينية وخلقية واجتماعية، ودوافع ثقافية، ومقتضيات تضامن دائم.

أما عن الأسباب الدينية فقد جاء فى صحيح البخارى حديث نبوى شريف يذكرنا بحقيقة لا جدال فيها، وهى قول الرسول ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» (كتاب الجنائز) من رواية أبى هريرة. لقد نشأت فى وسط كاثوليكي وتخلّيت فى وقت مبكر عن كافة الشعائر الدينية، فالمعتقدات المسيحية كانت غامضة بالنسبة لى، وأعنى بها التثليث والحلول وصلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر، ويسمونها أسراراً لأنها حسب تعبيرهم لا يفهمها عقل، وبدون الإيمان بها لا يكون الإنسان نصرانياً، والطقوس كانت تبدو لى بلا جدوى، والشعائر والطقوس النصرانية أهمها: التعميد والصلاة، والصوم والعشاء الربانى، وتقديس الصليب وحمله، وفيما يخص رجال الدين فإننى وإن كنت لا أفهم معنى الخلوة والتأمل الفردى أو الزهد، لا أجدنى فى حاجة إلى وسيط بين الخالق والمخلوق.

ويستطرد الأستاذ المنصور بالله الشافعي فى قصته فيقول: وفيما بعد شعرت بوجود حجر عثرة بين الديانة النصرانية والإسلام وأعنى بها ألوهية المسيح عيسى عند النصارى التى برفضها الإسلام ويفندها ويدحضها، ومن جهة أخرى رسالة محمد ﷺ ونبوته التى يعتبرها النصارى مجرد إدعاء لا يؤمنون به، فكل محاولة للتوفيق بين الديانتين كانت

تبدو لي مصدر اضطراب وبلبلة، لذلك تحتم على الاختيار بينهما إما أن أؤمن بالمسيحية أو بالإسلام فاخترت الإسلام.

ثم يقول: لقد اكتشفت القرآن لأول مرة من قراءة ترجمته الفرنسية الصادرة عام ١٦٤٧م، كان ذلك في مدرسة سان سير فيما بين عامي ١٩٣٤ - ١٩٣٦ وهي مدرسة عسكرية لتخريج الضباط توجد في ضواحي باريس (وكان الأستاذ المنصور بالله من طلابها، وجدير بالذكر أن أول ترجمة فرنسية لمعاني القرآن الكريم هي الترجمة المشار إليها، وقد تبعتها عدة ترجمات بلغت أكثر من ٤٠ ترجمة قام بأغلبها مترجمون فرنسيون، ولم تخل هذه الترجمات من تشويه أو تحريف) والمهم أننى كنت كل أسبوع أنسخ باعتناء بضع آيات أختارها من الترجمة.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

بعد ذلك يتحدث عن قضية الإيمان بألوهية المسيح فيقول: وفيما يتعلق بقضية المسيح عليه السلام، فلم أستطع الاعتقاد بأن الله الواحد يمكن أن يكون له ولد، وكان الموقف الوحيد المنطقي والمرضى بالنسبة لي هو موقف القرآن الكريم الذي يقول ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ [النساء: ١٧١]. وفي سورة الإخلاص نقرأ قول الله تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ (٣) ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤].

ثم يعلق الأستاذ المنصور بالله الشافعي على ذلك بقوله: لم يكن النصراني الأوائل بعيدين كل البعد عن هذا المفهوم الإسلامي، فقد ظلوا على العقيدة الإسلامية الصحيحة حتى عام ٣٢٥ ميلادية حين عقد مجمع نيقية وأعلن رسمياً أن المسيح إله ابن وحيد لله!!

وأغرب من ذلك ما صدر عن مجمع روما الرابع الذي عقد في عام ١٢١٥ ميلادية لتحديد كنه الذات الإلهية بقوله عنها: « لا تلد ولم تولد » فهذا الإعلان ليس في حقيقته إلا ترجمة حرفية للآية الثالثة من سورة الإخلاص ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ لذلك كله لم أستطع قبول العقائد المسيحية الكبرى الثلاث وهي التثليث والحلول والصلب. وفيما يخص المعتقد الأخير وهو الصلب فإننى أؤمن بما جاء في القرآن الكريم وهو قول الله

تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]. وقوله تعالى: ﴿بَلْ رَقَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨].

ثم يقول بكل وضوح وجلاء معلناً إسلامه:

إننى لا أشك لحظة فى رسالة محمد ﷺ، وأعتقد أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنه بعث للناس كافة، وأن رسالته جاءت خاتمة الوحي الذى نزل فى التوراة والإنجيل، وأحسن دليل على ذلك هو القرآن المعجزة، فأنا أرفض خواطر بسكال العالم الأوروبى الحاقد على الإسلام والمسلمين إلا خاطرة واحدة وهى قوله: ليس القرآن من تأليف محمد، كما أن الإنجيل ليس من تأليف متى.

ويختتم الأستاذ المنصور حديثه بقوله: لقد وصلتني مؤخراً رسالة من بيروت كتبها لى صديق نصرانى لبنانى يرجونى فيها أن أجتنب إيذاء النصارى، وأن أتفادى إزاءهم كل كلام فيه إثارة وعدوان من شأنه أن يصدر عن إنسان حديث العهد بالإسلام، وأنا عازم على الوفاء بذلك لأن النصارى فى نظر المسلمين هم أهل كتاب، ولأن القرآن الكريم يدعو إلى التسامح، ولأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ [المائدة: ٨٢]. وأخيراً لأن النصارى هم أهل ذمة يوصينا رسول الله بهم خيراً فيقول: من آذى ذمياً فقد آذانى.

ويتابع الأستاذ المنصور الحديث عن الأسباب الخلقية التى جعلته يختار الإسلام ديناً فيقول:

إن الإسلام لم يتاد بالخطيئة الأولى، فالقرآن الكريم يقول: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [١٢١] ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: ١٢١-١٢٢].

وبناءً عليه فإننا لا نجد فى الإسلام أى شعور بالذنب فى مفهومه (الانكلوسكسونى) وهو مصدر العصاب النصرانى حسب تعبير الدكتور (صولينياك) الطبيب الكاثوليكى، ومن جهة أخرى فإن العفة والزهد فى نظر الإسلام ليسا مثلاً بعيدة المنال بالنسبة للبشر. فالله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] ويقول سبحانه: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

شبهات ضد الإسلام وردّها :

ثم يتناول الأستاذ المنصور عدداً من الشبهات الرئيسية التي يثيرها خصوم الإسلام، فيرد عليها ويدحضها ويقندها بالدليل الدامغ فيقول:

أما الشبهات الخمسة الكبرى التي تثار دوماً ضد الإسلام في الغرب، فأنا أراها غير ذات موضوع على الإطلاق، وأعنى بها: الجبرية، والتعصب، والقسوة، والرق، وتعدد الزوجات.

● وهنا يتحدث عن الجبرية فيقول: الجبرية ما هي في الحقيقة إلا التوكل على الله والخضوع بين يديه، فالإرادة الإلهية تتمثل في أوامر القدر، لكن القرآن لا يتعرض لقضية الجبر بمفهومها النظري، يقول الشيخ محمد متولى الشعراوى: ماذا تعنى كلمة أمر الله؟ لنعد إلى القرآن الكريم نجد الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. إذن أمر الله هو إرادة الله، والإرادة هي كلمة كن، وفيما يخص حرية الاختيار فإنه يجدر التأمل في الآيتين التاليتين من سورة الإنسان ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٢٩، ٣٠].

● بعد ذلك يتناول التهمة الأخرى وهي التعصب فيقول:

إن الإسلام لا يوجب استعمال القوة إلا عند الدفاع الشرعى أو الحرب العادلة (الجهاد) جاء في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان». أو ليس الإسلام إذن هو الديانة الحنيفية السمحة؟

● ثم ينتقل إلى الشبهة الثالثة التي تثار ضد الإسلام من قبل أعدائه وهي القسوة فيقول: والمقصود بالقسوة هنا شدة العقوبات الشرعية، وعلى الأخص الرجم والتغريب وقطع يد السارق، فإذا أخذنا بعين الاعتبار أن الإسلام يقدر العلاقات الأسرية، ويحرص أشد الحرص على أن ينسب الأبناء إلى آبائهم الحقيقيين من هنا نرى بشاعة جريمة الزنا في نظر الإسلام مما استدعى عقوبة رادعة في هذا الموضوع الشديد الحساسية، أما عن قطع يد السارق، فاليد لا تقطع إلا إذا ثبت بالأدلة الدامغة على أن الفاعل سرق دون حاجة أو إكراه، وإنما اعتدى على المال المحرم عليه، وحيث أن الإسلام قد كفل

للمسلم ولغير المسلمين دمه وماله، لذلك اعتبر جريمة السرقة بشروطها جريمة نكراء تستحق هذه العقوبة الشديدة، ولو أحصينا عدد الأيدي التي قطعت في صدر الإسلام الأول لما تعدى ذلك أصابع اليد الواحدة. وفي مقابل ذلك أمن الناس على أعراضهم وأموالهم ودمائهم. قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٧٩]. وهكذا تسقط هذه التهمة الباطلة من تلقاء نفسها.

● بعد ذلك يتحدث الأستاذ المنصور بالله عن شبهة الرق، وأن الإسلام يشجع الرق والاسترقاق، وهذه فرية هزيلة، فالإسلام لم يبتدع الرق وإنما كان نظاماً سائداً في العالم كله عند ظهور الإسلام، وعلى العكس من ذلك أخذ الإسلام يقضى على الرق بصورة تدريجية، فكثير من الذنوب جعلت كفارتها تحرير رقبة، وعتق العبيد يعتبر قرية من أعظم القرى عند الله تعالى، والإسلام يعتبر الرقيق أخاً مساوياً لسيده في كل شيء، فهذا رسول الله ﷺ يقول: «إخوانكم خولكم، فأطعموهم مما تطعمون وألبسوهم مما تلبسون»، ويكفي أن نذكر أن الإسلام كرم الأرقاء وجعلهم أسياداً فهذا بلال الحبشي، وصهيب الرومي وسلمان الفارسي جعلهم الإسلام أسياداً على رجال من أشرف العرب، فهل بعد هذا التكريم من تكريم؟

● وأخيراً يتناول الأستاذ المنصور بالله مسألة تعدد الزوجات ويقول بأن الإسلام حدّد التعدد ولم يبتدعه، كما أن التعدد لا يكون إلا حلاً لمواقف معينة ومشكلات كبرى، وقد اشترط الإسلام العدل في التعدد والقرآن الكريم يقول: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ﴾ [النساء: ٣].

وعلى كل فإنني أجد راحة في الإسلام لا أجدها في غيره، لأن الإسلام لا يفرق بين قبضة الطين ونفخة الروح، ويعطى للفكر مكانته وللجسد مكانته. ولم أجد ديناً كالإسلام في إكرام الضيف والوفاء بالوعد. فالرسول ﷺ يقول: «والله لا يؤمن من لا يكرم ضيفه». ويقول: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»، فماذا يريد الناس بعد ذلك؟!

أسباب اجتماعية

ثم ينتقل الأستاذ المنصور بالله إلى الأسباب الاجتماعية التي دعت لاعتناق الإسلام فيقول: إن انتمائي إلى الإسلام يعني التحاقى بأمة تضم أكثر من ٦٠٠ مليون مسلم

دون أن أقطع صلتى بوطنى ومسقط رأسى. لقد عشت أكثر من ٣٠ سنة فى أفريقيا الشمالية وإيران ولبنان وإندونيسيا وتجولت فى الأرض وكأنتى ابن بطوطة جديد فوجدت نفس المنهج فى الحياة ونفس العقيدة، وقد حق للكاتب الفرنسى لوى ماسينيون أن يسمى الإسلام «تيوقراطية المساواة» وكان يرى فى المجتمع الإسلامى مجتمع الشجاعة والبساطة وعدم الكلفة دون إفراط فى التزهّد. فيعجبني أكل التمر واللبن. وليس لى أية علاقة بالدولارات النفطية. أما المنوعات من الأطعمة فهى لا تخرجنى إذ أننى لم يحدث أن تناولت فى حياتى خمراً ولا شربت كحولاً، ويمكننى الاستغناء عن الخنزير ولست من المدخنين.

أسباب أخرى :

ويتحدث عن الشعائر والعبادات فيقول: أما أركان الإسلام الخمسة فإنها تمثل بالإضافة إلى الالتزام الشخصى تضامناً فى الشهادة والصلاة والصوم والزكاة والحج. ثم يتناول الدوافع الثقافية فيذكر ما يدين به العالم أجمع للحضارة الإسلامية العربية وكيف أضفى المسلمون العرب طابعاً عملياً للفكر العلمى. ويشيد بدور القرآن الكريم فى ذلك فيقول: إن مثل الفكر العربى الإسلامى المبعّد عن التأثير القرآنى كمثّل رجل أفرغ من دمه.

وأخيراً يتحدث الأستاذ المنصور بالله عن الدافع الأخير الذى جعله يختار الإسلام ديناً وهو التضامن مع معسكر الفقراء معسكر عالم يمتد من السنغال إلى أندونيسيا وهو فى الحقيقة منطقة العواطف، معسكر العمال المهاجرين الذين يصل عددهم فى فرنسا وحدها إلى مليونى نسمة، وهذا أحد أصدقائى المسلمين من إندونيسيا يقول لى: إن إعتناك للإسلام يجعلك فياً لفكر الفيلسوف الفرنسى لوى ماسينيون، وهذا قس عربى من المشرق يهنئنى أيضاً لانتمائى إلى الإسلام مع احتفاظى بجنسيتى الفرنسية.

وبعد، فهذا هو التفسير الذى جعلنى أشارك فى صلاة الجمعة التى أقيمت فى مسجد الرمال بنوا كشوط يوم ٢٢ يوليو عام ١٩٧٧ وقد سميت نفسى المنصور الشافعى لأن اسم منصور فى العربية يوازى اسمى فنساي، ولا منصور إلا بالله، واتخذت المذهب الشافعى لأنه الأكثر انتشاراً فى العالم الإسلامى، وانتماءً لإخوتى فى إندونيسيا أكثر المسلمين عدداً.



جامايكا :

٦٦- الدكتور عبد الله
الدكتور دوجلاس آرشر سابقاً

هذه هي قصة إسلام الدكتور دوجلاس آرشر الذي يعمل الآن مديراً للمعهد التربوي في منطقة الكاريبي - جامايكا، واسمه الإسلامي عبد الله، وقد جاء إلى الكويت من المملكة العربية السعودية ضمن جولة له قام خلالها بزيارة بعض البلاد العربية والإسلامية، لمس خلالها الكثير من التشجيع من قبل إخوانه المسلمين لدعم مهمته الإسلامية.

والدكتور آرشر شاب وسيم أسود البشرة، يبلغ من العمر حوالي ٤٢ سنة متحفظ نشط، له طموحات كبرى، وقد كان لى اللقاء التالي معه أثناء زيارته الأخيرة لدولة الكويت في مطلع هذا العام ١٩٧٩م.

الإسلام في جامايكا :

يبدأ الدكتور عبد الله آرشر حديثه إلينا بقوله: جامايكا عبارة عن جزيرة صغيرة في البحر الكاريبي تقع إلى الجنوب من جزيرة كوبا وفي مواجهة جواتيمالا وهندوراس وإلى الشمال من بنما وكولومبيا. وهي بهذا تشغل موقعا استراتيجياً ممتازاً في وسط هذه البلاد. ويبلغ عدد سكانها حوالي مليونين ونصف المليون نسمة ٩٨٪ منهم من النصارى. والأغلبية العظمى من سكان الجزيرة (جامايكا) هم من أصل أفريقي، ومن هنا جاء لون البشرة السوداء الغالبة، وهكذا فبالرغم من كون الأغلبية الساحقة للسكان من النصارى إلا أنهم على استعداد لفهم الإسلام وتقبله، وهذا الاستعداد لا يقتصر على جزيرة جامايكا وحدها بل يتعداها إلى منطقة الكاريبي بأسرها، ومن هنا فهناك فرصة ذهبية الآن لنشر الإسلام في تلك المنطقة من العالم.

ويمضى الدكتور عبد الله آرشر في حديثه فيقول:

لقد قدمت استقالتي من عملي كأستاذ لعلم النفس وبناء الأمة في الولايات المتحدة

الأمريكية، حيث كنت أدرس ويعد أن تخرجت كنت أعمل فيها، وعدت إلى بلادى جامايكا لأسهم بدورى وبجهدى المتواضع فى دعوة أبناء وطنى إلى الإسلام، فقد لاحظت أن أبناء بلادى سكان جامايكا يشعرون بخيبة أمل وإحباط تجاه طريقة الحياة الغربية التى تشربوها ونفروا منها تماما، وبدأوا يقبلون على الإسلام ويتجهون إليه، وقد تصاب بالدهشة لو قلت لك أن هناك الآن حوالى أربعين ألف مسلم فى جامايكا.

قصة إسلامي :

ويعد أن أعربت عن إعجابى ودهشتى لهذا العدد الطيب من المسلمين الذين لا يحس بهم أحد فى بلادنا العربية، قلت لهذا البروفسور المسلم المتحمس لدينه: هل لك أن تحدثنا عن قصة إسلامك وكيف حدث ذلك؟ فأجاب قائلا:

قبل أن أعتنق الدين الإسلامى كنت بروتستنتيا من الطائفة المسماة سفنث دى أدفنتست (Seventh Day Adventist) وكنت وما زلت الولد الوحيد لوالدى، فليس لى إخوة، ولى أخت واحدة متزوجة ولها سبعة أبناء وتدعى لينا وهى لا زالت بروتستنتية، أما عن والدى فقد ماتت أمى من ناحية، وأبى البالغ من العمر الآن ٧٧ عاما، هو رجل متدين لا يزال على قيد الحياة، وهو محال على المعاش الآن بعد أن كان يعمل مديراً لأحد البنوك، هذا عن أسرتى.

أما بالنسبة لى فقد كنت أعمل فى جامعة الينوى بأمرىكا وكان بعض زملائى من المسلمين، ويعمل واحد منهم الآن فى معهد الكويت للأبحاث العلمية.

وهنا قاطعت الدكتور عبد الله آرشر قائلا:

نعم، ولكن كيف حدث تحولك إلى الإسلام؟ فقال:

تأثير المقالة

فى الفصول التى كنت أعقدها حول علم النفس بالجامعة كان بعض طلابى من المسلمين، وكانوا من بلاد الشرق الأوسط، وكانت البداية أنهم لم يكونوا يجيدون الحديث باللغة الإنجليزية بطريقة مناسبة، وهكذا لم يكن لى بد من الجلوس معهم بعد المحاضرات للتحدث فى موضوع المحاضرات وغيرها، ومن خلال هذه اللقاءات وهذا

التفاعل أثاروا في نفسى حب الاستطلاع والفضول لمعرفة المزيد عن معتقداتهم ومبادئهم، وكان هؤلاء الطلاب مثالا طيبا في الرقة والأمانة والاحترام لدرجة أنني تأثرت بهم أعماق التأثير، وأحببت شخصياتهم الإسلامية وأعجبت بها إعجابا كبيرا.

ويمضى الدكتور آرشر في حديثه فيقول:

ومن ناحية أخرى كنت أعلم الفلسفة، ومن هذا المنطلق أيضا قرأت شيئا عن الإسلام، ولذلك فلعلني أيضا تأثرت بصورة لا شعورية بهذا الدين، إلا أن اتصالي بهؤلاء الطلبة المسلمين يعتبر البداية التي دفعتني إلى الاهتمام بهذا الدين وأثارت في نفسى حب الاستطلاع لمعرفته أكثر وأكثر.

ثم ينتقل الدكتور عبد الله آرشر ويعود بنا إلى الأيام الخوالي فيقول: قبل تلك الفترة بوقت قصير كان هناك طالب سعودي في قسم الدراسات العليا يسكن في نفس البناية التي كنت أعيش فيها، وكنا نتحدث كثيرا عن الإسلام، وقد أعطاني عددا من الكتب الإسلامية أخذت بقراءتها باهتمام، وقد أخبرني ذلك الصديق السعودي أن هناك أستاذين مسلمين في نفس الجامعة، وقدمني إليهما وتبادلنا الزيارات وأجرينا عدة مناقشات عن الإسلام. كان ذلك في عام ١٩٧٦-١٩٧٧م ثم بدأت في زيارة المساجد لمشاهدة صلاة الجمعة، وبذلك ازداد اهتمامي بالإسلام.

دين فريد :

بعد ذلك يتحدث الدكتور آرشر عن العامل المهم في هذه العملية النفسية التدريجية التي تحول خلالها إلى الإسلام فيقول:

ونقطة أخرى مهمة هي أن بحثي لنيل إجازة الدكتوراه كان عن التربية وبناء الأمة، ومن هنا عرفت ما تحتاج إليه الأمم لبنائها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وكذلك البناء الروحي. واكتشفت أن أركان الإسلام الأساسية تقدم أساساً عظيماً وقاعدة قيمة لإعادة بناء الأمة اجتماعياً واقتصادياً وروحياً، ولذلك فإذا سألتني لماذا اعتنقت الإسلام؟ سأقول لك لأن الإسلام هو دين فريد من نوعه تشكل فيه أركانه الأساسية قاعدة للحكم تهدي كلا من الضمير وكذلك حياة المؤمنين به على حد سواء.

إن تعاليم الإسلام هي تعاليم عملية تقدم نموذجاً لبناء الأمم كما يمنح الإسلام للضالين إحساساً بالأمل؟. ويمكن الفرد المسلم من فهم واجباته نحو الله ونحو بني الإنسان بصورة أفضل.

وفي الوقت الذي نتحدث فيه الأديان الأخرى عن إله واحد، نجدها تعبد ريبين أو ثلاثة، أما المسلمون فيعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئاً وهناك شعور قوى بالأخوة الإسلامية في العالم الإسلامي خاصة بين أولئك الذين يؤمنون بالإسلام حقاً ويطبقونه بصدق.

لماذا الإسلام اليوم؟

سألت الدكتور آرشر السؤال التالي: لماذا يحتاج العالم اليوم في رأيك إلى الإسلام؟ فأجاب قائلاً:

لو أحسن عرض الإسلام على الناس لأمكن به حل كافة المشكلات ولأمكن تلبية الحاجات الاجتماعية والروحية والسياسية للذين يعيشون في ظل الرأسمالية والشيوعية على السواء، فقد فشل هذان النظامان في حل مشكلات الإنسان، أما الإسلام فسوف يقدم السلام للأشقياء والأمل والهدى للحيارى والضالين. وهكذا فالإسلام لديه أعظم الامكانيات لتحدي هذا العالم وتعبئة طاقات الإنسان لتحقيق أعلى مستوى من الانتاج والكفاية.

وأخيراً طلبت من الدكتور عبد الله آرشر أن يحدثني عن المعهد التربوي في الكاربي الذي يرأسه فقال: نحن ملتزمون بنشر الإسلام في جزر الهند الغربية عن طريق البرامج العلمية للمعهد، وسنعتقد مؤمراً لهذا الغرض في ١٢ يوليو - ٢٣ يوليو ٧٩م وسيكون المؤتمر الثاني من نوعه، وقد خرجت من زيارتي للسعودية بتجربة ستفيدني دائماً، فقد عززت زيارتي لمكة والمدينة إيماني بالإسلام. وإننى أتطلع بأمل إلى زيارتي للكويت، فالكويت بلاد تعمل على نشر الإسلام في العالم، ويختم الدكتور آرشر حديثه بالدعاء أن يتفهم المسئولون حاجات الدعوة، وأن يرزقوا روح التعاون معه لصالح الإسلام والمسلمين.



مصر :

٦٧- السيدة سامية وديع وإسلام الأسرة كلها

هذه واحدة من أغرب القصص فى هذه السلسلة. وهى ليست قصة من نسج الخيال، وإنما بقدر ما هى غريبة فهى جزء لا يتجزأ من الواقع الذى نعيشه، فتحت عنوان «أخطر عملية جراحية يجريها الجن» كتبت صحيفة القبس الكويتية الواسعة الانتشار تقص على قرائها كيف اهتدت أسرة قبطية فى مصر بكامل أفرادها إلى الإسلام، وقد نشرت هذه القصة فى ملحق القبس ليوم الاثنين ٢٦ مارس عام ١٩٧٩. قالت الصحيفة:

أعجوبة طبية :

إليك هذه الرسالة من القاهرة، فقد كتب مراسلنا هناك يقول: لقد استأصل الجن السرطان من جسد امرأة أخبرها الأطباء أنها ميتة لا محالة، أفراد أسرة المريضة يعلنون إسلامهم ويقولون بأن هذه الأعجوبة قد تمت على يد جارة مسلمة عادت مؤخرًا من أداء مناسك الحج هذا العام.

وتمضى الصحيفة فى قصتها فتقول:

بعد خمس سنوات كاملة من الآلام المبرحة وعقب إعلان الأطباء عن عجزهم الكامل عن علاج المرأة وتحقيق الشفاء لها، استيقظت المرأة ذات صباح لتجد نفسها، وبأدهشتها الكبيرة، أنها قد أجريت لها عملية جراحية تم فيها استئصال السرطان القاتل من جسدها!

ماذا نعرف عن الجن ؟

وقبل أن ندخل فى تفاصيل هذه القصة المذهلة، لابد أن نعرف شيئًا عن الجن، فهنا الحوادث وغيره من الحوادث الكثيرة المتكررة تثبت بجلاء دون أدنى شك أننا نحن البشر لا نعيش وحدنا فى هذا العالم، فديننا الإسلامى الحنيف يقرر أن الله سبحانه وتعالى قد

خلق الإنس والجن ليعبدوه. قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. فالإنسان مخلوق من الطين، والجان مخلوق من النار، ورغم أننا نحن البشر لا نرى الجن، فإنهم يعيشون بيننا. وهم يتزوجون ويتوالدون، ويموتون، وبعضهم مؤمن والبعض الآخر كافر، وإبليس هو زعيم الكفار من الجن وهم ما سمي بالشياطين، والواقع أن ما يقوم به أفراد الجن من أعمال عادية تعتبر في نظرنا نحن البشر من الأعاجيب، فهذا عفريت من الجن يقول لسيدنا سليمان عن عرش بلقيس الموجود في اليمن: ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ﴾ [النمل: ٣٩]. وقد كان سليمان في مدينة القدس، أضف إلى ذلك ما كان يقوم به عفاريت الجن من مهمات لسليمان تعتبر خوارق في نظرنا نحن بنى الإنسان، فسبحان الخالق العظيم.

والآن تعالوا بنا نبدأ هذا القصة من أولها، ورغم غرابتها الشديدة فإننا نحن المسلمين لا نملك إلا أن نصدقها.

مَرَضٌ مَفَاجِئٌ

بدأت القصة في القاهرة بمنطقة المنيل في صيف عام ١٩٧٤ عندما شعرت السيدة سامية وديع البالغة من العمر ٥٧ عامًا، شعرت بصداغ حاد ناجم عن ألم شديد في معدتها، فما كان من زوجها السيد صفوت جريس إلا أن نقلها على الفور إلى المستشفى، وبعد ثلاثة أيام فاجأه الأطباء بقرار مؤلم مفاده أن زوجته المريضة كانت تعاني من السرطان، وأنه لا فائدة من أية عملية جراحية ما لم يظهر المرض الخبيث الذي يختبئ في العروق الدقيقة من معدتها.

وبناء عليه حملوا السيدة المريضة الميؤوس من علاجها إلى بيتها لتبدأ رحلة طويلة من العذاب انتهت بها بعد عام كامل إلى حالة من الغيبوبة استمرت شهراً واحداً كان الأطباء أثناءه يغذونها بإبر الجلوكوز وحقن جسمها بالدم النقي.

تدهور الحالة:

بعد ذلك استيقظت المرأة المسكينة ذات يوم لتجد نفسها مشلولة تماماً، وهنا لجأ زوجها إلى قس نصح باللجوء إليه، فهرع إليه وشرح له حالة امرأته، ورجاه مساعدته، فأمره القس بالقيام ببعض الطقوس الدينية، ولكن ذلك لم يُجد فتبلا مع المرأة المريضة،

وفى هذه الأثناء وصل المرض الخبيث إلى كبدها الذى بدا منتفخا بشكل واضح، وهكذا صرح الأطباء أن أيام المرأة قد أصبحت معدودة، وأن الموت قادم إليها فى وقت قريب لا محالة.

أثر القرآن :

وهنا تصف الصحيفة التغير الهائل الذى وقع للمرأة المريضة فتقول:

وذات يوم جاءت جارة مسلمة لزيارة المريضة، فنصحتها بتلاوة آيات من القرآن الكريم، فما كان من السيدة سامية إلا أن أطاعتها، فشعرت بشيء من الراحة وخفت آلامها المبرحة، بل لقد استطاعت أن تنام نوما هادئا لأول مرة منذ أشهر طويلة من السهاد والسهر، فما كان من زوجها إلا أن أحضر لها عددا من أشربة القرآن الكريم، أخذت تستمع إليها كثيرا.

وذات ليلة، كان ذلك فى شهر نوفمبر من عام ١٩٧٨ فاجأت المرأة المريضة زوجها وطلبت منه أن يحضر لها زجاجة كولونيا من النوع الممتاز من الحجم الكبير، فلبى لها هذا الطلب على الفور، فطلبت إليه أن يغسل جسدها كله بماء الكولونيا ففعل، ثم رجته أن يخرج من الغرفة بعد أن يطفىء الأنوار تماما، لأنها تريد أن تستمتع بالظلام الدامس فى تلك الليلة. فاستجاب الزوج لكل ذلك وكان يراوده فى ذلك إحساس داخلى بأن نهايتها قد اقتربت جدا، فظل طوال الليل مضطربا قلقا، ولكنه دعا الله سبحانه وتعالى أن يريح زوجته من آلامها.

المُفاجأة :

وفى الصباح قام الرجل من فراشه وتوجه إلى غرفة زوجته، وطرق الباب كعادته ليستأذن منها فى الدخول، فلم يجبه أحد، فأعاد الطرق مرات عديدة دون أن يسمع أى جواب، وهنا فتح الباب ورأى أغرب مشهد مذهل فى حياته، رأى مشهدا لا يصدقه إلا من يؤمن أن لله جنودا أقوياء بوسعهم تحقيق أى شيء يريد الله، فنحن البشر لا نعيش وحدنا فى هذا العالم، بل يشاركنا فيه قوى كثيرة أهمها الجن، والقرآن الكريم يذكر لنا جانبنا من قوى الجن العجيبة التى نستغريها نحن بنو الإنسان، ولنستمع إلى ما يدور من حوار بين سيدنا سليمان عليه السلام وبين جنوده كما يقصه القرآن الكريم:

﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (٣٨) قَالَ عَفْرَيْتَ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿ [النمل: ٣٨-٤٠].

فهذا الاستعداد من جانب بعض جنود سليمان عليه السلام حدث قبل عصر الصواريخ بمئات بل آلاف السنين، لا بل قبل عصر الطائرات وحتى السيارات، حدث ذلك عندما كان الناس يسافرون سيرا على الأقدام أو راكبين الحصان أو الجمل، بينما كان بوسع عفريت من الجن أن يسافر بسرعة توازي سرعة الصوت، فقد كان بإمكانه أن يذهب من بيت المقدس إلى اليمن ويعود ثانية إلى القدس ومعه عرش الملكة بلقيس قبل أن ينهض سليمان من مجلسه، بل هناك عبد من عباد الله كان في مجلس سليمان تمكن بإذن الله من إحضار العرش قبل أن يحرك سليمان رمش عينيه.

كذلك عندما طلب سليمان عليه السلام من ربه أن يرزقه ملكًا لا يكون لأحد من بعده واستجاب الله دعاءه ولبى رغبته. قال تعالى: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَغَوَاصٍ ﴿ (٣٧) وَأَخْرَيْنَ مُقْرِنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿ [ص: ٣٦-٣٩].

ويصف القرآن الكريم واجبات الجن نحو سليمان فيقول:

﴿ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿ (١٧) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿ [سبأ: ١٢-١٣].

ونحن المسلمين رغم اعترافنا بذلك، وبما يستطيع الجن وغيرهم من جنود الله أن ينجزوه من عجائب الأمور، وذلك لإيماننا بعالم الغيب، إلا أننا يجب أن لا نسمح للدجالين والمشعوذين أن ينفذوا من هذا الباب إلى خداع الناس وسلب عقولهم وأموالهم،

وتصديقنا بهذه الخوارق لا يكون إلا بعد التأكد من صحتها، وبعد توفر كافة الأدلة على صدقها وتحققها، وعلى ضوء ذلك فقط نصدق هذه القصة.

مشهد عجيب :

ترى ماذا رأى السيد صفوت جريس، زوج السيدة المريضة سامية وديع عندما فتح باب غرفتها فى صباح اليوم التالى؟ لنترك ملحق القبس يصف لنا ذلك المشهد، يقول مراسل الصحيفة الذى بعث بالقصة من القاهرة مدعمة بالصور:

رأى السيد صفوت جريس زوجته وقد غطى نصفها الأعلى بلفائف طبية بيضاء، وأسدل على نصفها الأسفل ملاءة بيضاء كذلك، وكانت غائبة عن الوعي تماما، فأخذته الدهشة ثم صرخ بأعلى صوته فأيقظ أبناءه وهرعوا إلى غرفة المريضة ليروا ماذا حدث، وكانوا يحسبون أن والدتهم قد توفيت، فلم يصدقوا عيونهم، كذلك أقبل الجيران للاطلاع على ما يجرى، فوقف الجميع حول سرير المرأة المريضة وقد أذهلهم ما يرون، وبعد وقت قصير أفاق الزوج السيد صفوت من ذهوله ودهشته وأسرع بإحضار بعض الأطباء.

سبحان الشافي :

جاء الأطباء المختصون وأجروا فحوصاً طبية ثم أعلنوا أن المرأة قد أجريت لها عملية جراحية دقيقة للغاية، وأوصوا بنقلها فوراً إلى المستشفى، وفعلاً نقلت السيدة سامية وديع إلى المستشفى وهى لا تزال فى حالة من اللاوعى، وهناك قام الأطباء بإجراء المزيد من الفحوص الطبية الكافية، ثم أعلنوا أنه قد تم استئصال السرطان من معدتها وكبدها، وأنها شفيت تماما، وأن العملية الجراحية ناجحة بنسبة عالية وممتازة، وهذه الحقيقة حيرت الأطباء إلى درجة كبيرة، ولكنهم لم يجدوا مناصاً من الاعتراف بها على كل حال.

إسلام الأسرة جميعاً :

وقضى الصحيفة فى روايتها المذهلة لما حدث فتقول:

وبعد ثلاثة أيام من الحدث السار، أعلن جميع أفراد عائلة السيدة سامية وديع

اعتناقهم للإسلام بصورة جماعية، وقد التقى مراسل القبس في القاهرة بالسيدة هـ وديع وهي الآن تتمتع بصحة ممتازة، وسألها عن صحة القصة المنسوبة إليها فأجابته تكفكف دموعها قائلة:

نفاصيل مذهلة:

في الليلة نفسها طلبت من زوجي أن يحضر لى زجاجة كولونيا ورجوته أن يغسل جسدي كله ففعل ذلك في الحال، ثم رجوته أن يطفىء الأضواء وأن يغلق الباب وين وحدى لأستريح حيث كنت أشعر بالتعب، وما أن فعل ذلك حتى استغرقت في بينما كنت أتلو آيات من القرآن الكريم على سبيل طلب الشفاء، وفي حوالي ال الواحدة صباحا شعرت أنني عارية تماما مجردة من جميع ملابسى، وقد وقف حول هـ أشخاص لم أستطع التحقق من وجوههم، فقد كنت في شبه غيبوبة، ومع ذلك كنت بما كان يجري حولي، وأعتقد أنني رأيت بطني يفتح أمام عيني، ولكن دون أى أ أى نوع، وبدأت أيدى هؤلاء الزائرين المجهولين تتناول أعضاء جسدي المريض الما وتقتلع المرض وتستأصله، ثم شعرت بقطعة من القطن توضع على فهمى، بينما بعض الزائرين يضع لفائف بسرعة كبيرة حول جسدي، ورحت في غيبوبة تامة لمدة أيام.

وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ:

سُئلت السيدة سامية وديع عن رأيها فيما حدث ومن هم هؤلاء الزائرين اعتقادها؟ فقالت:

لقد أخبرتني جارتى المسلمة (أم أحمد) أن المؤمنين من الجن يمكن أن يجروا عد جراحية للناس ذوى القلوب الطاهرة النقية، ولعلمهم هم الذين قاموا بذلك، فالحد على فضله، العميم، فقد غمرنى ربي سبحانه وتعالى بعنايته وفضله، ولذلك فقد على نفسى أن أكرس كل لحظة من حياتى الباقية لعبادة الله وحمده وشكره.

بهذه الكلمات اختتمت السيدة سامية وديع واحدة من أغرب القصص التى هـ الإنسان فى العصر الحديث. وقد نشرت الصحيفة صورة للسيدة سامية وقد كشفت بطنها وظهر فيها جلياً موضع العملية الجراحية، والغرز التى أغلق بها بطن الم جنبها الأيمن إلى جنبها الأيسر، إنها لآية عجيبة حقا حيرت الأطباء، ولكنها لا

أى حيرة أو قلق للعالم المسلم الذى يؤمن بقدره الله التى لا تحدها حدود فى عالمنا هذا. وللمرء أن يتساءل: ترى هل بإمكان أى واحد منا أن يستدعى هؤلاء الأطباء من غير بنى آدم بمجرد أن يتلو بضع آيات من كتاب الله تعالى ليقوموا بإجراء عمليات جراحية على المرضى، تماما كما فعلت السيدة سامية وديع؟ أم أنهم يخصون أناسا دون غيرهم بتوجيه من الله سبحانه وعناية منه وكرم؟ الله وحده هو الذى يعلم ذلك إلا أن ما حدث يقع فى هذا الإطار والله أعلم.

الجن فى القرآن :

ولعل من المناسب هنا قبل أن نختم هذه القصة الغريبة أن نذكر أن هناك سورة كاملة فى القرآن الكريم تسمى (سورة الجن) وفيها نقرأ أن عددا من الجن استمعوا للقرآن الكريم من رسول الله ﷺ ، فأمنوا به وأسرعوا إلى قومهم يدعونهم إلى الإسلام، وهذا بالطبع أكبر دليل على وجود الجن المؤمنين، ولنستمع إلى آيات من صدر السورة الكريمة المذكورة، قال الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَانَ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مَلْتَمَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٨﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الجن: ١-١١].

هذا عن الجن المؤمنين وما يمكنهم القيام به وما يعجزون عنه، وهناك مسألة الشفاء بالقرآن الكريم، يقول الله تعالى عن القرآن الكريم: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [فصلت: ٤٤]. فليس غريباً أن يطلب الإنسان الشفاء بتلاوة آيات من القرآن، المهم صدق النية والإخلاص، وهذا لا ينافى الأخذ بالأسباب، والعلاج بالطب البشرى المعروف.

والله الموفق والهادى لكل خير.

الدانمارك : ٦٨- عبد الرحمن بن جورد برين جورد سابقاً

هذه هي قصة إسلام سائق حافلة دانمركي. إنه الأخ عبد الرحمن ابن جورد الذي يحرص على أداء الصلاة في وقتها أكثر من حرصه على أي شيء آخر، وقبل أن نبدأ في قصته لعل من المناسب أن ننقل ما يقوله بعض علماء الغرب عما لاحظوه من أثر العبادة، والصلاة بشكل خاص في المسلمين، يقول الأستاذ (توماس آرنولد) في كتابه «العقيدة الإسلامية» ما يلي:

الصَّلاةُ مِيزةٌ إسلاميةٌ :

هذا الفرض المنظم من عبادة الله هو من أعظم الخصائص المميزة للمسلمين عن غيرهم في حياتهم الدينية، فكثيراً ما لاحظ السائحون وغيرهم في بلاد المشرق ما لكيفية أدائه من التأثير في النفوس، وإليك ما قاله الأسقف (لوفروا) بهذا الخصوص، يقول: لا يستطيع أحد يخالط المسلمين لأول مرة أن لا يدهش ويتأثر بمظهر عقيدتهم، فإنك حينما كنت، سواء أوجدت في شارع مطروق، أم في محطة سكة حديدية أم في حقل، كان أكثر ما تألف عينك مشاهدته أن ترى رجلاً ليس عليه أدنى مسحة للرياء، ولا أقل شائبة من حب الظهور يذر عمله الذي يشغله كائناً ما كان، وينطلق في سكون وتواضع لأداء صلاته في وقتها المحدد.

ثم يقول: ولنتنقل من صلاة الفرد إلى صلاة الجماعة فنقول: أنه لا يتأتى لأحد يرى ولو مرة في حياته ما يقرب من خمسة عشر ألف مصلي في ساحة المسجد الجامع بمدينة دلهي بالهند، يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان وكلهم مستغرقون في صلاتهم، وقد بدت عليهم أكبر شعائر التعظيم والخشية في كل حركة من حركاتهم، نقول: إنه لا يتأتى لأحد يرى ذلك المشهد إلا ويبلغ تأثره به أعماق قلبه، وأن لا يلحظ ببصره القوة التي تمتاز بها هذه الطريقة من العبادة عن غيرها، كما أن توقيت الأذان اليومي للصلاة في

أوقات معينة، حينما يرن به صوت المؤذن في أبكر البكور قبل الإسفار، وعند الظهيرة والناس مضطربون ومصطخبون في أعمالهم، وعند المساء، هذا الأذان الذي يحصل في هذه الأوقات على تلك الصورة كل يوم مشحون هو الآخر بذلك الجلال عينه.

تأثير الصلوة في غير المسلمين :

ويؤثر عن رينان الحكيم الفرنسي الشهير قوله: أنه ما دخل مسجدا قط إلا تأثر تأثرا شديداً بل شعر بشيء من الأسف أن لم يكن مسلماً، وقد كان ذلك المشهد - مشهد الصلاة- من الأسباب المساعدة على دخول رجل يهودى من أهل الإسكندرية في الإسلام كما حكاه هو عن نفسه إذ قال: كنت مريضاً مرضاً شديداً فتمثل لى فى أثنائه أن هاتفا يهيب بى أن أعلن إسلامى، ولما دخلت المسجد، ورأيت المسلمين مصطفين للصلوة وقوا كالملائكة، سمعت فى نفسى صوتا ينادىنى بقوله: هذه هى الجماعة التى أنبأ بها الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولما رأيت الخطيب يتقدم للخطبة وعليه رداء أسود وقع فى نفسى وجدان الرهبة والخشية، ولما ختم خطبته بالآية الكريمة التى يقول الله تعالى فيها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] وأقيمت بعد ذلك الصلاة أنتست من نفسى أنها سمت سموا كبيراً، فقد بدت لى صفوف المسلمين كأنها صفوف الملائكة، وأن الله سبحانه قد تجلى عليهم فى سجودهم وركوعهم، وسمعت فى نفسى مناجيا يناجيني بقوله: إن الله سبحانه إذا كان قد خاطب شعب إسرائيل مرتين فى جميع القرون الخالية، فلا جرم أنه يخاطب هذه الجماعة فى كل وقت من أوقات صلاتها، واقتنعت فى نفسى بأنى ما خلقت إلا لأن أكون مسلماً.

بداية القصة :

هذا ما يقوله بعض الباحثين من غير المسلمين عن مشهد الصلاة، والآن لنبدأ قصة الأخ الدفاركى عبد الرحمن بن جورد الذى كان يعرف قبل إسلامه باسم برين، أنه يبدأ حديثه لإحدى الصحف الأجنبية بعد أن أعلن أنه أثناء عمله كسائق حافلة فى مدينة كوينهاجن لا يهمل أمور دينه، وإنما يقطع عمله فى الوقت المحدد للصلوة أثناء دوامه اليومي ويؤديها فى أوقاتها الخمسة، وذلك بأن يغلق على نفسه باب الحافلة بعد نزول

الركاب منها في نهاية خط السير، وينشر سجادة صلاته ويصلى لله تعالى ضارعاً إليه أن يشبته على دينه الإسلام.

شمول الإسلام:

لقد بدأت علاقة عبد الرحمن بالإسلام عندما كان مبعوثاً لمنظمة ديمقراطية أرسلته إلى كينيا لكي يعمل في أحد المشروعات المتعلقة بتربية الأطفال - وهي مشروعات تنصيرية، وكان هذا منذ سبعة أعوام، وفي عام ١٩٧٥ اعتنق الدين الإسلامى لأن الإسلام كما يصرح هو بقوله: هو إجابة منطقية على أسئلته الكثيرة المتعلقة بالحياة. كما أن الطابع الإسلامى يناسبه ويعجبه. يقول الأخ عبد الرحمن: إن الإسلام ليس فقط عبارة عن دين بالمفهوم التقليدى للكلمة، أو كما يفهمه الديمقراطيون أبناء قومي، ولكن الإسلام يغطى كافة جوانب الحياة القانونية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها.

فهو خاطئ:

ويضيف الأخ عبد الرحمن بن جورد قائلاً: إن الصحافة الديمقراطية قد انشغلت في الآونة الأخيرة بمناقشة موضوعات عن الإسلام، من أهمها موضوع الحدود في الإسلام التي تأتي كصورة طبيعية لوجود دولة إسلامية، إلا أن جميع التعليقات الصحفية حول هذا الموضوع هي عبارة عن تعليقات خاطئة، إذ لا يحق للمرء أن يمسك طرفاً واحداً وخيلاً واحداً من الموضوع ويترك الأطراف والخيوط الأخرى، حيث إن الجلد والرجم وقطع اليد ليست إلا أنواعاً من العقوبة في الإسلام على جرائم شرب الخمر والزنا والسرقة، وهي في حقيقتها أمور فرعية في الدين الإسلامى.

تشريع حكيم:

ويضيف الأخ عبد الرحمن قائلاً: إذا وجد شخصان متهمان بجريمة الزنا دون أن يكونا متزوجين، فعقوبة ذلك هي الجلد، ولكن هذه العقوبة لا تطبق إلا إذا ثبت عليهما الجرم بأدلة قطعية مادية لا تقبل الدحض، وفي هذا كل العدالة، كما أن السارق قد يعفى من العقاب إذا تبين أنه سرق عن حاجة أو اضطرار أو إكراه، ولكن إذا ثبت عليه جرم السرقة دون أى دافع ملجئ إليها هنا تقطع يده، وفي هذا أيضاً الحق والعدل، لأن

السارق في هذه الحالة لا يردعه غير العقاب الصارم الذي يحفظ للناس أموالهم وحقوقهم، ويحقق الطمأنينة والسلام في النفوس.

وهنا سئل الأخ عبد الرحمن عن رأيه في تطبيق حد السرقة في الدفمارك فأجاب قائلاً: إنه في الدفمارك لو طبق هذا الحد فلن تقطع يد مسلم دفماركي، لأن المسلم الحق لا يسرق البضائع من محلات السوبر ماركت - أي الأسواق المركزية - مثلاً كما أن القانون الجنائي الإسلامي لا يطبق على المسلمين إذا كانوا في بلد غير إسلامي، كما أن شرب الخمر مشكلة لا يعرفها المسلم لأنه لا يستعمل الخمر ولا يقربها. لأن الخمر ممنوعة في الشريعة الإسلامية وإذا تناولها المسلم في ظل دولة إسلامية فإنه يعاقب بالجلد.

ويستطرد الأخ الدفماركي في حديثه عن الخمر فيقول: إن شرب الخمر لن يفيد بطبيعة الحال في حل مشكلات الناس كما يتوهم الكثيرون منهم، ولو أن الإنسان المصاب بدلا من ذلك توجه إلى الله وتقرب إليه ودعاه بإخلاص، فإنه يتلقى دفعات روحية تأخذ بيده بعيداً عن مشاكله.

ويختم الأخ عبد الرحمن حديثه بكلمات عن الصيام في الإسلام فيقول:

إن من الأشهر التي يحبها المسلمون وينتظرونها بفارغ الصبر شهر رمضان المبارك، إنني أجد هذا الشهر الفضيل أجمل ما في الحياة لأنني أجد فيه الكثير من العطف والود بين المسلمين، مما لم ألقه قط بين أي أحد غيرهم في أي بلد من الدنيا.



إيطاليا :

٦٩- الدكتور عبد الله إبراهيم
الدكتور لورانس إياكونو سابقاً

بروفسور (لورانس إياكونو) أو (عبد الله إبراهيم إياكونو)، كما يدعى الآن بعد أن أسلم، هو شخصية إسلامية من إيطاليا، ومن جزيرة صقلية على وجه التحديد، ملامحه عربية، يذكرنا بالماضى الإسلامى العريق لتلك الجزيرة، حصل على إجازة الدكتوراه من جامعة السوربون - بياريس - فرنسا. وكان موضوع دراسته الآداب، والفلسفة واللغات الأجنبية، والدكتور لورانس إياكونو يجيد أربع لغات أوروبية هي: الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والأسبانية، وهو متزوج من سيدة فرنسية ولديه منها خمسة من الأبناء والبنات، وقد ولد في جزيرة صقلية عام ١٩٣٦، ويبلغ من العمر ثلاثة وأربعين عاماً، وهو لذلك غاية النشاط والحيوية.

لقيت البروفسور لورانس إياكونو في الكويت بعد أن قدمه لى أحد الأصدقاء فبادرته بالسؤال التالى:

هل لك أن تخبرنا متى كان إسلامك؟

فأجاب قائلاً: كان ذلك فى عام ١٩٧٤، وعلى وجه التحديد فى الخامس والعشرين من مارس عام ١٩٧٤م. كنت روميا كاثوليكياً، ولا تزال زوجتى وأولادى الخمسة من الروم الكاثوليك وحيث إننى أؤمن أنه لا إكراه فى الدين كما علمنى الإسلام، لذلك فإننا نعيش سعادة مع بعضنا البعض، إلا أن زوجتى بدأت تهتم بالإسلام.

أسرة متعددة الجنسيات:

قلت للبروفسور إياكونو:

هل لك أن تحدثنا المزيد عن أسرتك؟

فقال وعلى شفتيه ابتسامة لطيفة: إننى أحمل الجنسية الأمريكية، وكذلك أخى

الأكبر منى سناً، فهو أيضاً مواطن أمريكي يعيش مع أسرته هناك، أما والدائ فلا يزالان يعيشان في إيطاليا مع شقيقتي الصغرى، وموطن إقامتهما هو جزيرة صقلية مسقط رأسى، وهكذا فأنا مواطن أمريكي من أصل إيطالى، ولو سألت عن جزيرة صقلية فهى جزيرة كبيرة أهلة بالسكان، إذ يبلغ عدد سكانها الآن تسعة ملايين نسمة أغليبيتهم العظمى من الكاثوليك. وهناك عدد ضئيل جداً من المسلمين، ولكن ليس فى الجزيرة مسجد واحد، مع أن صقلية كانت قبل حوالى ٢٥٠ عاماً جزيرة إسلامية بكاملها.

بين الأجداد والأحفاد:

ويضيف البروفسور إياكونو قائلاً:

لقد تتبععت أصل عائلتى إياكونو فى الموسوعات العالمية فوجدت أن أجدادى كانوا مسلمين عربياً، وهذا ما كان يقول لى أبى منذ وقت طويل حتى قبل إسلامى، مع أنه لا يزال كاثوليكياً. وهذا ما وجدته فى أحد المراجع التاريخية بمكتبة الكونجرس الأمريكى والذى يقول بأن الملك شريف إدريس من الأسرة الفاطمية كان يحكم صقلية عندما أخذها الصليبيون وأجبروا سكانها على اعتناق الكاثوليكية بالقوة، وأجبروا أفراد الأسرة الإدريسية حتى على تغيير أسمائهم، فاحتفظوا بالحرف الأول من اسم العائلة وهو حرف الألف من كلمة إدريس، واتخذوا لأنفسهم أسماء إيطالية، وهكذا تجد الكثير من أسماء العائلات فى صقلية يبدأ بحرف الألف، ولم يكن للناس خيار، فكان أمامهم إما الموت أو التنصر.

البحث عن الدين:

وهنا ضحك الدكتور أيا كونو وقال: وهكذا تلاحظ أننى أشبه العرب وجميع أهل صقلية مثلى يشهبون العرب. قلت للدكتور أياكونو: ولكن كيف بدأ اهتمامك بالإسلام؟ فقال: لما كنت أدرس الفلسفة كنت أحس بالقلق تجاه الكثير من القضايا التى تتعلق بدينى، فشرعت فى دراسة الأديان العظمى الأخرى فى العالم كاليهودية والإسلام والطوائف المسيحية الأخرى، ولم أكف عن مقارنة هذه الأديان بدينى، فقرأت الكثير، وفكرت كثيراً، وسافرت كثيراً، حتى وجدت الحقيقة والسلام فى الإسلام والحمد لله أننى اليوم من المسلمين، وأننى أعمل للإسلام فى مدينتى سان انطونيو، بولاية تكساس

الأمريكية، وأشغل منصب رئيس الجمعية الإسلامية هناك، وهي جمعية مسجلة رسمية كجمعية خيرية إسلامية.

تطورات العمل :

وهنا سألت الدكتور أياكونو: ما هي الوظائف التي شغلتها بعد تخرجك من جامعة السوربون؟

فقال: عملت أولاً في السلك الدبلوماسي، فشغلت منصب السكرتير الثاني بسفارة إيطاليا في باريس. فقاطعت الدكتور قائلاً: لا بد أنك تزوجت خلال هذه الفترة من السيدة الفرنسية التي هي الآن أم أولادك؟ فعلق بقوله: تماماً. فقد تزوجنا ١٩٦١، ثم نقلت إلى كندا للعمل بالسفارة الإيطالية في أوتاوا، وبعد فترة من الزمن انتقلت إلى فلوريدا بالولايات المتحدة هرباً من برودة الطقس في كندا. وبعد وقت قصير استقلت من عملي في السفارة وأخذت أعمل في الأعمال الحرة، ولدى الآن شركتي الخاصة بي التي تستورد الجرانيت ومختلف أنواع الرخام لأغراض البناء في أمريكا، وهذه الحجارة نستوردها من إيطاليا، والواقع أنني تعاقدت خلال زيارتي الأخيرة للسعودية مع أحد المقاولين هناك الذي يقوم بتشبيد اثنتين من الفنادق الكبرى في جدة على تزويده بالرخام لهذا الغرض، لذلك سأتوجه إلى إيطاليا في طريق عودتي إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وسأتوقف بالطبع لبعض الوقت في صقلية لزيارة والدي وأختي هناك.

الجمعية الإسلامية :

ثم كان سؤالاً التالي للدكتور لورانس أياكونو: هل لك أن تحدثنا المزيد عن الجمعية الإسلامية في سان أنطونيو؟ فأجاب قائلاً: هذه هي الجمعية الإسلامية الوحيدة في المدينة حيث يعيش حوالي ١٥٠٠ من المسلمين بالإضافة إلى عدة مئات أخرى من الجنود العرب المسلمين الذين يتدربون في قواعدها العسكرية بعضهم من الكويت والسعودية، وليس للمسلمين في سان أنطونيو أي مسجد ولا مدرسة على الإطلاق.

وهكذا أنشأنا هذه الجمعية الإسلامية لتلبية حاجات المسلمين الدينية، ونحن الآن بحاجة لإنشاء مسجد ومدرسة ومكتبة، وغير ذلك من الخدمات. لقد بدأنا من الصفر، ومشاريعنا تحتاج لمليون دولار لا أستطيع تأمينها بمفردي، وهكذا فأنا بحاجة إلى

العون من إخواني المسلمين في كل مكان، وقد عينت أحد الشباب المسلم المتحمس للإسلام مديراً لمشروع المركز وسأعمل على إقامته مستعينا بالله سبحانه وتعالى.

جَوْلَانُ دَعْوِيَّةٌ :

وهنا سألت الأخ الدكتور لورانس أياكونو عن جولته الحالية فقال: زرت في البداية المملكة العربية السعودية حيث نزلت ضيفا على فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز العالم الإسلامي المعروف والذي تبرع لمشروع الجمعية الإسلامية بمبلغ عشرة آلاف دولار وذلك للترتيبات الأولية للمشروع، وطلب إليّ عمل تقرير فعلي للتكاليف، وسأعود إليه في شهر نوفمبر القادم بإذن الله ومعى كافة التفاصيل ثم جئت إلى الكويت وبعدها أنوى التوجه إلى إيطاليا تم إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

كَبِّ عَنِ الْإِسْلَامِ بِاللِّغَاتِ :

قلت للأخ الدكتور أياكونو: هل أنتم بحاجة إلى مساعدات أخرى بالإضافة إلى الدعم المالى لمشروعكم الإسلامى؟ فأجاب قائلا: إننا بحاجة إلى الكتب الإسلامية باللغات الإيطالية والإنجليزية والفرنسية، فقد شرعت فى دعوة أفراد عائلتى إلى الإسلام باعتبارهم ميدانى الأول للدعوة، وأنا واثق بعون الله أن أكسبهم إلى هذا الدين الحنيف، ولكننى بحاجة إلى الكتب الإسلامية لإقناعهم بذلك، إننى بحاجة إلى الكتب الإسلامية باللغة الإنجليزية لأقدمها لأخى وأسرتة لعل الله يشرح صدورهم إلى الإسلام، وأحتاج إلى الكتب الإسلامية باللغة الفرنسية لزوجتى وأولادى الكاثوليك، وقد بدأت زوجتى فعلا فى تفهم هذا الدين والإقبال عليه، وأنا بحاجة إلى الكتب الإسلامية باللغة الإيطالية لكى أستعين بها فى دعوتى لأهلى وقومى فى صقلية وكسبهم إلى الإسلام من جديد، دين آبائهم وأجدادهم، وأنها لمهمة ثقيلة أستعين عليها بالله وهو خير معين.

عَوْدَةٌ إِلَى صَقْلِيَّةٍ :

وأخيرا يختتم الدكتور لورانس أياكونو أو عبد الله إبراهيم إياكونو حديثه عن إسلامه بقوله:

أعتقد أن هناك فرصة ذهبية لدعوة تسعة ملايين شخص فى صقلية إلى الإسلام من

جديد. وإنتى أشعر أن هذه هى مسئوليتى التى شرفنى الله بها، فمن واجبى العمل على انقاذ إخوانى من النار. ولذلك فبعد أن أفرغ من مشروع المركز الإسلامى فى سان أنطونيو سأتوجه إلى إيطاليا وأستقر فى جزيرة صقلية لأنشىء فيها أول مركز إسلامى فى العصر الحديث، وإنتى على ثقة من نصر الله لى، فالناس فى صقلية يحبوننى ويعرفون أسرتى جيدا، وهم مستعدون للعودة إلى الإسلام، عسى الله سبحانه وتعالى أن يمنحنى الصحة والقوة وطول العمر للقيام بذلك، إنه على ما يشاء قدير.

اللهم آمين



أمريكا :

٧٠- يوسف عبد السلام

هيزرين.ى. بتركين رابحاً

مسلمون خلف الأسوار :

لأول مرة فى هذه الحلقات سوف نستضيف مسلمين جددًا من الولايات المتحدة الأمريكية، فقد أرسل إلى الأخ قاسم حسن محمود، أمين عام مجلس الجماعات الإسلامية (فى أوتاوا - بكنندا) بعينات من الرسائل من بين كثير غيرها تلقاها من مهتدين أمريكيين جدد للإسلام من المعتقلات الأمريكية، كتب الأخ قاسم حسن محمود فى خطابه يقول: هناك عدة آلاف من المسلمين هم رهن الاعتقال فى سجون أمريكا الشمالية كثير منهم أسلم داخل السجن على يد معتقلين مسلمين، أو من خلال الزيارات التى قام بها بعض الدعاة المسلمين للسجون الأمريكية، ويقومون أثناءها بإلقاء المحاضرات عن الإسلام.

والواقع أن السجن هو أقرب الناس لتقبل دعوة الإسلام، وذلك لتطلعه إلى الحرية والسلام وهما ما يمنحه هذا الدين للنفس الإنسانية.

ويضيف الأخ قاسم حسن محمود قائلاً: إن المنظمات الإسلامية يمكنها أن تعمل فى هذا المجال بصورة جدية، فلو أنها تبعت بالدعاة المتفرغين لزيارة آلاف السجون والالتقاء بالمعتقلين وتقديم بعض المعونات المادية والمعنوية لهؤلاء الناس البؤساء، وهذا بالطبع يتطلب مبالغ كبيرة من المال، حتى يتمكن الدعاة من القيام بهذه المهمة الإسلامية العظمى.

أين المسلمون :

بعد ذلك يشير الأخ قاسم فى رسالته القيمة إلى فئة أخرى من الناس بحاجة ماسة إلى المساعدة والعون ويعنى بها المرضى المسلمين فى المستشفيات الأمريكية ويقول:

فى كل مرة نقوم فيها بزيارة أحد المستشفيات نجد عددًا من القسس والرهبان إلى جانب المرضى يقدمون لهم كل عون ممكن، ولا تقتصر زيارة هؤلاء القسس على النصرارى، بل تتعداها إلى المرضى المسلمين الذين لا يجدون أحدًا من رجال الدين المسلمين إلى جانبهم، وقد تأثر عدد من هؤلاء المرضى بما يقول به القسس، لما لمسوا منهم من المعاملة الطيبة والمساعدة الكريمة.

وقد آن الآوان أن يهب الدعاة المسلمون للعناية بهؤلاء الإخوة المسلمين سواء منهم المرضى فى المستشفيات، أو المعتقلين فى السجون الأمريكية.

من أجل حرىتى :

وهذا مثال واحد لمسلم جديد اعتنق الإسلام فى المعتقل، إنه يبدأ حديثه بقوله: اسمى جوزيف ى. بتركين إلا أننى أفضل أن أدعى يوسف عبد السلام، وإن شاء الله أعترم أن أغير اسمى رسمياً فى المستقبل القريب، وأن الآن رهن الاعتقال فى ولاية جورجيا الأمريكية فى سجن رودزفيل ستيت، إننى بحاجة إلى ثلاثة آلاف دولار أمريكى لرفع قضيتى واستئنافها لدى إحدى المحاكم العليا. إن قلبى يدمى حين أضطر أن أطلب هذا المبلغ من إخوانى المسلمين الذين أكن لهم أعظم مشاعر الشكر والتقدير والاعتراف بالجميل، ولكن الله سبحانه وتعالى سوف يجزيكم كل خير على ذلك، فهذا الرسول محمد ﷺ يقول: أحب لأخيك ما تحب لنفسك».

بعد ذلك يقول الأخ يوسف عبد السلام: هناك حديث نبوى آخر يقول: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»، لقد جاءنا النبى محمد عليه الصلاة والسلام بالقرآن الكريم، لقد علمنا كيف نعيش حياتنا بصورة مستقيمة ملؤها العدل وشعارها الصدق، وهكذا فلن نكون مسلمين حقاً ما لم تكن رغباتنا كلها تبعاً للقرآن الكريم وما جاء به النبى محمد ﷺ، والاختبار الحقيقى هو ما تتجه بنا إليه رغباتنا اليوم، هل تجرنا إلى المتع الدنيوية والشهوات الهابطة أم تقودنا إلى القرآن الكريم؟

ويتحدث الأخ المعتقل يوسف عبد السلام - فك الله أسره- عن مشاعره حين اعتنق الإسلام والظروف التى شهدت هذا التحول فيقول: لقد كان قلبى مفتوحاً تماماً منذ اليوم الأول الذى أعلنت فيه إسلامى ونطقت بالشهادتين، وأنا اليوم أقيم الصلوات الخمس

اليومية فى مواعيدها المحددة، وقد أرفقت طى هذا الخطاب صورة لابنتى الصغيرة نعيمة - الحديشة الولادة، وهى أولى أبنائى، وربما كانت الأخيرة إذا سارت الأمور على ما هى عليه الآن، ولكننى لست يائساً، ولسوف أقبل بكل ما يكتبه الله لى بعد أن أبذل جهدى فى تحسين أوضاعى والخروج من السجن.

سبب المأساة :

ثم يذكر الأخ يوسف عبد السلام السبب الذى جعله يعيش خلف القضبان فيقول: هذه هى أول مرة أصرح بها بالسبب الذى أدى إلى اعتقالى، إن لى أخاً كان يسبب مضايقات عظيمة لوالدتى لسنوات عديدة، وكان أبى قد توفى منذ عام ١٩٦٩ على أثر مرض قلبى نجم عن إفراطه فى تناول المسكرات، بسبب إحساسه بانتهاك كرامته لعدم استطاعته الحصول على عمل لائق كان بحاجة إليه لكى يعول أطفاله الستة، وهكذا ترى أننا ستة من الأبناء، خمسة ذكور وبنات واحدة، وتتناول والدتى حقناً لمعالجة البول السكرى من أجل الإبقاء على حياتها، وسبب هذا المرض كثرة ما تلقاه من قلق نفسى واضطهاد بسبب كونها امرأة سوداء فى أمريكا، تنتمى إلى الآباء العبيد، ولى أخ متخلف عقلياً يعيش هو وآخر مع والدتى، وأخى (جونى) هو الذى سبب الكثير من المتاعب لأمى، وتحت تأثير الخمر أخذ (جونى) يعتدى على والدتى بالضرب المبرح لظنه خطأ أنها السبب فى دمار أسرنا.

وهنا يشير إلى الحادث المؤسف الذى أدخله السجن فيقول: وذات ليلة أخذ (جونى) يضرب والدته بطريقة وحشية قاسية دخلت على أثرها المستشفى، فاعتقل جونى ولم تستطع والدتى أن تراه حسب ما تلقاه نحن السود من معاملة سيئة فى أمريكا، فى الرابع من شهر يونيو ١٩٧٨ ثار (جونى) وهدد بقتل والدتى، وكنت موجوداً أنا وزوجتى. وقد تلقت الوالدة عدة جروح وأجريت لها ١٧ غرزة، وأراد أن يطعن والدتى بالخنجر فأمسكت به وتناولت السكين من يده، ولا أعرف كيف طعنته بها، وهكذا سجنتم بتهمة القتل، ولم يكن أحد من المسئولين مستعداً لسماع الحقيقة، لأنهم يكرهوننا نحن السود، وعلى الأخص المسلمين منا، والآن يريدون القضاء على وإنهاء حياتى.

نداء للمسلمين :

ويعضى الأخ يوسف عبد السلام فيتحدث بلهجة مريرة للغاية فيقول: إن سلطات السجن تعلم تمامًا مع الأسف أن المسلمين لا يساعدون إخوانهم وأخواتهم في السجون، لذلك حكموا على بالسجن لمدة ٢٥ عامًا - أي السجن مدى الحياة، وهذا بالطبع يحطمني تمامًا، إنهم مستعدون لإطلاق سراحى بكفالة مقدارها عشرة الاف دولار، وحماتى مستعدة لبيع منزلها الذى تقيم فيه ولكننى أحتاج بالإضافة إلى ذلك إلى مبلغ ثلاثة آلاف دولار حتى أسترد حريتى، فهل يستجيب إخوانى المسلمين لهذا النداء من أخ لهم فى الله ، وبنحون الحرية والحياة لى ولزوجتى ولطفلتى الأولى نعيمة؟ إنى على استعداد لتسديد هذا المبلغ بعد خروجى من السجن على أقساط مناسبة، إن شاء الله.

وأخيراً يختم الأخ المنكوب يوسف عبد السلام قصته بقوله:

إننى على استعداد لأن أموت فى سبيل الإسلام، فهو الهدف الذى أعيش من أجله، ولكننى لا أفهم لماذا يدير المسلمون ظهورهم لنا، لأننا سود فقراء؟ وزوجتى أيضاً تحس بالقلق تجاه المسلمين فهم لا يزورونها على الإطلاق، وختاماً الله أكبر، فالإسلام دينى والله ربي وخالقى.

بهذه الكلمات يُنهي الأخ يوسف عبد السلام نداءه الذى وجهه لكل مسلم غيور على دينه، ومن أراد التبجح له بشيء فليرسل ذلك إلى مجلس الجماعات الإسلامية فى كندا^(١).



(١) هذه قصة قديمة انتهت بظروفها وآلامها، وإنما أبقينا عليها لأنها تمثل صورة تاريخية لتعاضد بعض المسلمين، ولأنها تلفت أنظار الدعاة والجمعيات الإسلامية إلى هذه الأماكن التى تحتاج إلى المساعدات الخيرية، وإلى الدعوة لدين الله الإسلام، وفقنا الله جميعاً إلى الخير

الهند :

٧١- بلال باهايا

لقيته في مبنى وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت، شاباً في العشرين من عمره عليه أمارات السكينة والهدوء، قال لي بلغة إنجليزية جيدة: لقد جئت إلى هذه الوزارة لأحصل على شهادة رسمية بإعلان إسلامي، وكان في المجلس شاب كويتي هو الذي أحضره إلى الوزارة، وعالم من علماء الوزارة العاملين في الدعوة إلى الله، ومقرر لجنة الفتوى بالوزارة.

رؤياً الخيراً :

فقال لي العالم: قبل أن يردد الشهاداتين ورائك أرجو أن تستوثق من صحة عزمه على الدخول في الإسلام. فقلت للزائر الكريم: إنك تقول بأنك تريد أن تسلم، فهل تعرف معنى الإسلام؟ فأجاب - ونظراته تميل إلى الاكتئاب والتواضع الممزوج بالخشوع والتأثر - قائلاً:

أنا في الكويت منذ سنتين فقط، ديني الهندوكية ولم يخطر قط ببالي أن أغير ديني، ولكنني استيقظت من نومي ذات صباح بعد أن رأيت في منامي رجلاً يقول لي: عليك بالإسلام، وعندما تذكرت ما رأيت عزمت على الاستفسار عن هذا الدين الذي لم أكن أعرف عنه في ذلك الحين إلا التزر اليسير.

كان لي صديق كويتي شاب، فلما لقيته سألته عن الإسلام فشرح لي بإيجاز معنى هذا الدين، فاستراحت نفسي له واطمأن قلبي إليه وقررت أن أدرس هذا الدين لأعرف المزيد عنه.

الصَّلَاةُ أَوَّلًا :

وبعد أيام لقيت بعض الشباب الهنود والباكستانيين المسلمين وصحبتهم إلى معهد خاص يقدم دروساً مسائية عن الإسلام للناطقين باللغتين الأوردية والإنجليزية، فتعلمت

منهم الكثير. وقدموا لى كتاباً بلغتى المسماة الكجراتية، عرفت منه كيف أصلى، وأنا منذ ذلك اليوم أقيم الصلاة والحمد لله.

لم يكن رفاقى فى نفس الغرفة يعرفون ما قاله لى هذا المهتدى الجديد إلى الإسلام، لأنه كان يتحدث باللغة الإنجليزية التى يجهلونها، ولما حدثتهم بما أجاب، استبشروا خيراً، وقالوا: ما شاء الله سبحانه الهادى، إنه مسلم جاهز، فأهلاً وسهلاً به بين إخوانه، وقاموا واحداً واحداً فصافحوه وقالوا له: مبارك، فنظر إلى باستغراب، فقلت له: إنهم يهنئونك على إسلامك. فابتسم، وشكرهم.

قلت لأخى المسلم الجديد: ما هو الاسم الذى اخترته لنفسك وقد أسلمت؟ فقال: سأختار اسم بلال. فقلت له: نعم الاختيار، وأرجو بهذه المناسبة أن تردد معنى النص التالى بالعربية أولاً ثم باللغة الإنجليزية. قل: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وأشهد أن البعث بالجسد والروح حق، وأن الجنة حق والنار حق)، فردد ذلك كله ورائى ثم ردهه باللغة الإنجليزية وقد فهم معناه.

موقف الأسرة :

وهنا سألت الأخ بلال عن موقف أسرته منه بعد إسلامه؟ فقال: إنهم فى الهند، وإننى أكتب لهم كثيراً عن تجربتى الجديدة مع هذا الدين الحنيف، وأنقل لهم أولاً بأول ما أشعر به وألقيه وأجد منهم ردوداً إيجابية. وسأعمل على دعوتهم إلى الإسلام، بعد عودتى إلى الهند ومقابلتى لهم. عسى الله أن يعيننى على التمسك بهذا الدين.

فكرتؤمن

وقبل أن ينتهى لقائى بالأخ بلال سلمته الوزارة مجموعة من الكتيبات الإسلامية باللغة الإنجليزية المبسطة، ووعدته بتزويده بمجموعة أخرى عن الإسلام باللغة الكجراتية حتى يفهم أمور دينه ويشبت عليه لأنه لا يخشى الله من عباده إلا العلماء، فالعلم طريق الإيمان، ولذلك نجد الكثير من آيات القرآن الكريم تقول: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ [النمل: ٦٩]، وهذا ما يميز الإسلام عن غيره من الأديان الأخرى التى

شعارها: (فَكَرَّ تَكْفُرًا)، أما فى الإسلام فالشعار المرفوع هو: (فَكَرَّ تَوْمَنًا).

لأنؤخر الإسلام :

هذا ما حدث اليوم فى وزارة الأوقاف، وبالأمس جاء ثلاثة نفر إلى الوزارة رجلاً وفتاة، وكانوا أيضاً من الهند، جاءت الفتاة معها جواز سفرها وطلبت الدخول فى هذا الدين، وأشارت إليه وقالت بأنها ترغب فى الزواج من أحد الشباب اللذين معها، وكانت كاثوليكية، كان ذلك فى موعد صلاة الظهر التى اعتاد الموظفون إقامتها فى مبنى الوزارة، فقلت للشيخ الوقور الذى جاءت الفتاة لتسلم أمامه: مولانا! لقد حان موعد صلاة الظهر. فقال لى: اسمع يا بنى إن الإمام مالك رضى الله عنه يقول: إياك أن تؤخر إسلام أحد من الخلق مهما كان السبب. فوافقته على تأجيل الصلاة وجلسنا.

ليس إكراهًا :

بدأ الشيخ سؤاله للفتاة فقال: يا بنية إنك كاثوليكية وتريدين الزواج من هذا الشاب المسلم، والإسلام لا يكرهك على الدخول فى هذا الدين من أجل ذلك، بل يمكنك الاحتفاظ بدينك وإتمام الزواج، فأجابت قائلة: أنا لا أريد الإسلام من أجل الزواج، وإنما لأننى أحببت هذا الدين وأريد الدخول فيه عن اقتناع.

الدين المعاملة :

فتوجه الشيخ إلى الشاب المسلم الذى ينوى الزواج منها وقال له: نصيحتى لك يا بنى أن تكون قدوة حسنة أمام هذه الفتاة باعتبارك مسلمًا، لأننى أذكر مرة أن تزوجت فتاة مصرية نصرانية من شاب مسلم، واعتنقت الإسلام فعلاً، ولكن ذلك الشاب أساء معاملتها وكان يئس الزوج بالنسبة لها، ومن هنا فارقته، وارتدت عن الإسلام والعبادة بالله تعالى، ومما يؤسف له أن بعض أهل السوء يستغلونها فى الدعاية ضد الإسلام، ويقول للناس: هكذا يعامل المسلمون زوجاتهم، فإياك يا بنى أن تكون مثل ذلك.

فقال الشاب: أرجو الله أن يوفقني لأكون خير زوج لها، وقال صاحبه: أنا واثق أنك
بخلقك المسلم الذي أعرفه فيك ستكون نعم الزوج إن شاء الله.

فما كان من الشيخ الوقور إلا أن طلب إلى الفتاة تكرار الشهادتين وترجمتهما إلى
الإنجليزية، وطلب منها الحضور في اليوم التالي لاستلام شهادة بذلك (فخرج الثلاثة
مسرورين).

والحمد لله رب العالمين.



كوريا الجنوبية :

٧٢- عبد الله ديوك لين جيون الإسلام في كوريا :

ضيفنا هذه المرة من كوريا الجنوبية، إنه الأخ عبد الله ديوك لين جيون الذي أنعم الله عليه بأن أسلمت قرية بأكملها على يديه بالقرب من مدينة سيئول العاصمة.

وقد التقى به الشيخ سعيد مراكار محرر صحيفة كوريا إسلام هيرالد، الناطقة بلسان اتحاد كوريا الإسلامي في سيئول. وقبل أن نذكر ما دار في تلك المقابلة لا بد أن نقول كلمات ولو قليلة عن المسلمين في كوريا.

يقدر عدد المسلمين الآن في كوريا الجنوبية بحوالي عشرة آلاف مسلم كوري، لهم مركز إسلامي في (سيئول) ويعتزمون إنشاء كلية إسلامية هناك، وسيقيمون مركزاً إسلامياً آخر في مدينة بوسان ثاني أكبر مدينة في كوريا الجنوبية^(١).

قرية كاملة :

كما أن من المناسب أيضاً أن نقول كلمة عن الوضع الجديد المثير في كوريا وتعنى به إسلام قرية بأكملها وهي قرية (سانج ريونج) التي تقع في مقاطعة (كيونج جي) إلى الجنوب الشرقي من العاصمة (سيئول)، حيث تقدر المسافة بينهما بحوالي ٤٧ كيلومتراً. هذه القرية تحيط بها أخصب الأراضي الزراعية وتمتاز بمناظرها الطبيعية الخلابة، ويقدر مجموع سكانها ٦٢١ شخصاً ينقسمون إلى ١٢٣ بيتاً أو أسرة.

لقد عاش هؤلاء الناس عيشة دنيوية بحتة، ولم يكونوا يؤمنون بأي دين من الأديان من قديم. وبالرغم من أن الأكثرية العظمى منهم يعملون إما كمزارعين أو عمال في المزارع الشاسعة، إلا أن ٩٥٪ منهم متعلمون ويجيدون القراءة والكتابة. ومع هذا فإن انهماكهم اليومي التام من الصباح الباكر إلى الغسق لم يمنعهم من البحث عن الحقيقة والوصول إليها.

(١) كان هذا منذ ربع قرن، والحمد لله المسلمون الآن تضاعف عددهم ومؤسساتهم في كوريا الجنوبية.

المدرس الداعية :

أما السيد عبد الله ضيفنا لهذه الحلقة، فهو إحدى الشخصيات البارزة في هذه القرية اعتنق الإسلام في عام ١٩٧٧م بينما كان يُدرّس في إحدى المدارس التجارية الثانوية في ضواحي سيئول. وأخذ يقدّم الإسلام لإخوانه أبناء قريته بطريقة حسنة بالحكمة والموعظة الحسنة، كما هو أدب الإسلام العظيم، فلم يصادف أية مقاومة، وبدأ المزارعون يتعرفون على خالقهم الذي يعينهم دوماً في كل ما يحتاجون إليه في زراعتهم، وأخذوا يلمسون أن ذلك كله من عند الله، ويمرور الزمن اهتدى معظمهم إلى الإسلام بطريق الإقناع البعيد كل البعد عن الإكراه. ولقد حقق الأخ عبد الله هدفه والحمد لله وزود إخوانه أبناء القرية بالتحاد وروح متناسق يجمع بينهم برابطة الإخوة التي حلت محل الصراعات المادية الضيقة.

القرية الإسلامية :

واليوم تعرف قرية (سانج ريونج) بالقرية الإسلامية تسودها روح الأخوة الإسلامية ويرفع فيها صوت المؤذن الله أكبر في مسجد مؤقت خمس مرات كل يوم، ليُعَلِّمَ القرويين بأن هذا هو وقت الوقوف بين يدي الله لشكره على ما هداهم إلى عبادته وحده دون سواه.

إن جميع أهل القرية، كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً وأطفالاً يؤدون الصلوات الخمس اليومية، ويحضرون فصول الدراسة الخاصة عن الإسلام في مدرسة إسلامية مؤقتة بدأت قبل ثلاثة أشهر ونيف. ويخبرنا الأخ عبد الله بأن اتحاد كوريا الإسلامي قد بذل قصارى جهده لمساعدة سكان القرية المسلمين. ويقوم الدعاة المسلمون من كوريا ومن خارجها بإلقاء محاضرات أسبوعية في القرية، وتجرى الآن الترتيبات للتوسع في نشاط الدعوة لتشمل ثلاث قرى أخرى مجاورة للقرية الإسلامية.

كان ذلك التقرير من مجلة كوريا إسلام هيرالد - سيئول.

والآن نأتي إلى مقابلتنا مع ديوك لين جيون، أجرى المقابلة فضيلة الشيخ سعيد مراكار محرر مجلة كوريا إسلام هيرالد، وكان السؤال الأول على النحو التالي:

كيف تعرفت على الإسلام؟

فأجاب السيد عبد الله بلهجة هادئة للغاية قائلاً:

زيارة الإمام يون

كنت معلماً في مدرسة البنات التجارية العليا المسماة مدرسة الملكة (سانج دوك) وكان لي صديق مسلم يدعى معتز بلال هونج، وكان هو الآخر مدرساً في نفس المدرسة. وذات مرة طلب إليّ الأخ بلال أن أتيح الفرصة للحاج (محمد يون) إمام مسجد المسلمين في سيثول لإلقاء محاضرة على الطالبات في المدرسة حول موضوعات إسلامية، وكنت آنذاك مديراً لشئون الطالبات، فوافقت على ذلك وألقي المحاضرة بنجاح. وكانت هذه هي البداية.

ثم يضيف الأخ عبد الله قائلاً: بعد هذه المقدمة الجيدة عن الإسلام، قام الإمام يون بزيارة مدرستنا للمرة الثانية في عام ١٩٧٧ وقدم الإسلام لي من جديد وللطالبات، وهكذا تعرفت على دين الله ثم أسلمت.

وهنا سألت الأخ عبد الله عن دينه السابق؟ فقال بأنه لم يكن يؤمن بأي عقيدة من قبل.

ثم عمدت إلى السؤال الهام التالي: عرفنا منك أن قرية سانج ريونج قد أصبحت قرية إسلامية، فهل لك أن نخبرنا بإيجاز كيف أسلم جميع سكانها؟ عند ذلك سكت الأخ عبد الله برهة ثم ابتسم قائلاً: منذ أن أسلمت في عام ١٩٧٧ كنت على اتصال دائم بالشخصيات البارزة في القرية، فعقدنا عدة اجتماعات ومناقشات، واستطعت من خلالها بفضل الله إقناعهم بأن الإسلام هو الدين الحق، فهداهم الله إلى الصراط المستقيم، ومنذ ذلك الحين ونحن نعمل معاً لنشر ديننا الجديد بين أبناء قريتنا.

قلت للأخ عبد الله: هل بقي في قريتك أحد لم يسلم؟ فأجاب قائلاً: نعم ولكن قليل جداً. فقلت له: ما هي نسبة التعليم بين سكان القرية الإسلامية؟ فقال: هي نسبة عالية للغاية إذ تبلغ ٩٥٪ من السكان. وهناك عدد من خريجي الجامعة أيضاً.

نشعر بالاعتزاز :

سألت الأخ عبد الله : هل لديكم مسجد ومدرسة للدراسات الإسلامية؟ فقال:

لدينا الآن مسجد مؤقت نؤدي فيه الصلاة اليومية، كما أنشأت مدرسة مسائية مؤقتة لتعليم أبنائنا الدراسات الإسلامية، ونحن بحاجة إلى مبنى دائم لمدرسة إسلامية وآخر لاتخاذ مسجداً. ورغم أن ٦٥٪ من سكان القرية هم من العمال والمزارعين إلا أننا عازمون بعون الله على إنجاز هذين المشروعين، وكلنا أمل أن يتمكن اتحاد كوريا الإسلامي من مساعدتنا وإنجاز هذه المشاريع بعد أن يفرغ من مشروع الكلية الإسلامية في سيئول العاصمة، وهو مشروع كبير ساهمت فيه بلاد عربية وإسلامية متعددة، ونحن المسلمون الكوريون نشعر بكل اعتزاز أن لنا إخوة في الله يهتمون لأمرنا ويهبون لمساعدتنا.

الاتحاد الكوري الإسلامي :

بعد ذلك أشار الأخ عبد الله إلى دور اتحاد كوريا الإسلامي في سيئول فقال: إننا أعضاء في الاتحاد، ولذلك نحصل على تعاون كامل ومساعدة جيدة منه. فنتسلم الكتب والمطبوعات الإسلامية باللغة الكورية، وكذلك الكتب الدراسية لمدرستنا، كما يزور القرية أساتذة من الاتحاد يلقون المحاضرات الإسلامية بين سكان القرية، ولا أنسى أن أذكر أننا نتلقى كذلك العون المالي، ولكننا في الوقت ذاته قررنا أن نربي النحل في مزارعنا الرائعة لجنى العسل وبيعده واستغلاله في تخفيف العبء عن الاتحاد.

الداعية النشط :

وأخيراً يختم الأخ عبد الله ديوك لين جيون قصته بقوله:

إن لدينا ثلاث قرى مجاورة لقريتنا الإسلامية، وقد تعرفت على أهم الشخصيات البارزة فيها، فهم من المدرسين مثلي، وقد أتاحت لي عدة مناسبات للالتقاء بهم والتحدث معهم عن الإسلام، وقد أبدى بعضهم اهتماماً عظيماً بهذا الدين الخفيف، وكلني أمل في الله أن نتمكن من كسبهم وكسب الكثير من الكوريين إلى الإسلام.

ويعد: فمن حق سكان هذه القرية الإسلامية على المسلمين القادرين في كل مكان أن يهبوا لزيارتها لرفع الروح المعنوية لدى سكانها وتقديم العون المناسب لهم حتى يشبتوا على دينهم، ومن يدري فقد تقوم للإسلام دولة أخرى في أقصى المشرق، والله غالب على أمره، وناصر دينه بفضله العظيم.



اليابان :

٧٣- محمد كومياما
جوشيرو كومياما ابناً

وزير ياباني :

تحت عنوان: « أول سياسي ياباني اعتنق الإسلام » كتبت صحيفة القبس الكويتية الغراء في عددها الصادر في يوم الاثنين الثامن من كانون ثاني / يناير من العام الحالي (١٩٧٩) عدد رقم ٢٣٨٠ - الملحق تقول:

محمد كومياما يصرح: أفاق واسعة للدعوة الإسلامية في اليابان.

الوزير الياباني السابق للبريد والمواصلات السلوكية واللاسلكية «جوشيرو كومياما» أشهر إسلامه في ١٧ ديسمبر الماضي في طوكيو، وتسمى باسم «محمد كومياما» وهو أول شخصية سياسية بارزة في اليابان تعتنق الدين الحنيف، ويشغل حالياً منصبين مهمين في الحزب الديمقراطي الليبرالي الحاكم وهما: رئيس مجلس أبحاث النقد، ورئيس وكالة العلوم والتكنولوجيا.

السيد محمد كومياما - ٥٢ سنة - من مواليد عام ١٩٢٧ - خصّ القبس بمقابلة مثيرة، تحدث فيها عن أسباب إسلامه ونظرته المستقبلية إلى الإسلام في اليابان والعالم، وذلك رداً على الأسئلة الموجهة إليه.

لماذا أسلمت؟

كان السؤال الأول الموجه للسيد محمد كومياما حول السبب الذي جعله يقرر اعتناق الدين الإسلامي الحنيف؟

قال السيد كومياما: لقد ترسخ لدي الاعتقاد بأن الإسلام هو دين الإنسانية بأجمعها، فربح سكان العالم اليوم مسلمون، وقد أردت أن أشاركهم ذلك، وأنتى أمل في أن تُفيد الدعوة الإسلامية في اليابان من نشاطى السياسى.

وهنا سأل مراسل القيس من طوكيو السيد كومياما قائلاً: ولما يرجع الفضل في هدايتك إلى الإسلام بعد الله سبحانه وتعالى؟ فأجاب قائلاً: يرجع الفضل بعد الله في ذلك للبروفسور الدكتور شوقي فوتاكي رئيس المؤتمر الإسلامي الياباني، وهو صديقي الحميم منذ أيام الدراسة المبكرة، فأنا أحبه وأحترمه كثيراً منذ وقت طويل.

والدكتور شوقي فوتاكي، هو أحد الشخصيات الإسلامية المعروفة في اليابان، فهو رئيس مجلس إدارة مستشفى كبير في قلب مدينة طوكيو، وقد هداه الله إلى الإسلام قبل بضعة أعوام، وأسلم على يديه أعداد كبيرة من اليابانيين، وقد أنشأ جمعية إسلامية برئاسته سماها المؤتمر الإسلامي الياباني، وقد زار الكويت قبل حوالي عامين، أي في عام ١٩٧٧م. وقد أشاد السيد محمد كومياما إلى جهود الدكتور فوتاكي فقال بأنه يكرس كل وقته لخدمة المرضى والمراجعين في مستشفى الواقع في حي «شبيخكو» بطوكيو، وفي نشر الدعوة الإسلامية على مدار أيام السنة بدون يوم إجازة واحد.

ويقول السيد كومياما: وقد بلغ عدد الذين اعتنقوا الإسلام على يده أكثر من ٢٥ ألف ياباني في غضون السنوات الخمس الأخيرة، مئات منهم من مرضاه الذين كتب لهم الشفاء على يديه في مستشفى الذي يسمى العيادة الملكية.

تعليق المؤلف:

ونحن لا نقلل من جهود الدكتور فوتاكي، ولكننا للأمانة نقول بأن هذا العدد مبالغ فيه كثيراً، كما أن الدكتور فوتاكي يحتاج إلى بعض التوجيهات الإسلامية التي تقيه الشطط والزيغ عن الطريق المستقيم والمحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك، وهذه هي مهمة الدعاة المسلمين المخلصين لمساعدة إخوانهم الذين أسلموا حديثاً.

ولكن تكبر في الدكتور فوتاكي جهوده ونشاطه وحماسه المنقطع النظير للدعوة الإسلامية وإتقانه لاستقطاب الجماهير إليها. فقد نظم مؤخراً أكبر مؤتمر إسلامي من نوعه تشهده اليابان، اشترك فيه السيد كومياما، وكان عبارة عن مظاهرة إسلامية رائعة، وعندما أسلم الدكتور فوتاكي اهتزت اليابان بأسرها لما قام به من نشاط، فقط أصبح حديث الصحافة اليابانية البارز بسبب الأعداد التي دخلت في الإسلام أفواجا من اليابانيين على يديه.

وشقيقه أيضاً :

نعود الآن إلى السيد محمد كومياما فنقول له: هل تأثرت في عملية اهتدائك للدين الحنيف الإسلام بغير الدكتور شوقى فوتاكى؟

فيجيب السيد كومياما عن هذا السؤال قائلاً:

نعم، لقد تأثرت أيضاً بشقيقتى ميديتك «هيو ميوتشيال» الذى سبقنى إلى اعتناق الإسلام، فقد شاهدت عن قرب كيف حدث انقلاب كبير فى حياته إلى الأفضل بالطبع، مما كان له أعظم الأثر فى نفسى.

قيل للسيد كومياما: هل قرأت القرآن الكريم قبل إسلامك؟

فأجاب قائلاً: نعم، قرأت معانى القرآن الكريم المترجمة إلى اللغة اليابانية على يد الحاج عمر ميتا، العالم اليابانى المسلم المعروف، وأنا الآن أتعلم المزيد من أمور دينى كل يوم بفضل الله، ثم بفضل الأصدقاء اليابانيين المسلمين وغير المسلمين الذين لا يألون جهداً فى تزويدى بالثقافة الإسلامية.

ثم سئل السيد محمد كومياما عما إذا كان قد زار أيًا من البلدان العربية أو الإسلامية؟

فقال: لم تتح لى مع الأسف زيارة أى بلد عربى حتى الآن، ولكننى سبق أن زرت إيران وآمل أن أتمكن من زيارة الأماكن المقدسة وأداء فريضة الحج.

قيل للأخ محمد كومياما: وما هى مشروعاتك للمستقبل؟

فأجاب قائلاً: آمل أن أزور الدول العربية الشقيقة، وأن أعمق الصداقة مع إخوانى فى الدين، وأزيد معرفتى بالشئون العربية.

ولهذا فإننى مع بعض الإخوة المسلمين اليابانيين نسعى لتأسيس (المعهد الثقافى الإسلامى اليابانى) بغية دراسة شئون الثقافة والتعليم الإسلامى، ومساعدة الطلاب المسلمين اليابانيين وغيرهم على دراسة هذا الدين، وسوف يتم الإعلان، عن تأسيس هذا المعهد قريباً خلال العام الجديد (بإذن الله)، ولما كان معظم اليابانيين لا يعرف شيئاً عن العرب والمسلمين فسوف يكون هذا المعهد تطوراً مهماً فى هذا السبيل، وأعنى بذلك

سيتحقق للشعب الياباني فهم أفضل للعرب والمسلمين في جميع أقطارهم، فلا يخفى أن الدول العربية والإسلامية هي دول بعيدة من حيث المكان عن اليابان، ولهذا نأمل أن نوفق في التقريب.

الإسلام والمستقبل :

وهنا سئل الزعيم الياباني المسلم عن أهمية الإسلام ودوره في المستقبل بالنسبة للبشرية بأسرها؟ فقال بنظرة السياسي المتفحص: إن القرن الحادي والعشرين الذين نطل عليه الآن هو قرن الدين بلا جدال.. بمعنى أن الناس يعودون إلى الدين كمنقذ لهم من شقائهم المادي المهلك. وهذا يعني أيضاً تنمية القيم الروحية بعد مراجعة الحضارة المادية التي أعلنت إفلاسها من حيث زعمها تحقيق السعادة لبنى الإنسان، والإسلام هو دين الإنسانية بأجمعها، وهو دين القرن العشرين، إذ أن المليار مسلم الذين يقطنون كافة أنحاء المعمورة سوف يتضاعفون، وستدخل ملايين كثيرة من البشر في هذا الدين بإذن الله تعالى تحقيقاً لقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣) ﴾ [النصر: ١ - ٣]، وتنفيذاً لوعده رسول الله ﷺ حين قال: بأنه لا يظل بيت مدر ولا وبر إلا ويدخله الإسلام. فهذه بشرى من رسول الله ﷺ بأن يعم الإسلام الكرة الأرضية بأكملها.

ثم يختتم محمد كومياما حديثه بقوله: إننى أؤمن بالتضامن الإسلامى العالمى، وبالنسبة للدعوة الإسلامية فى اليابان فهى تتطور تطوراً متحركاً، وأنا أرى أن آفاق هذه الدعوة سوف تتسع كثيراً فى المستقبل القريب بإذن الله. والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.



غويانا (أمريكا الجنوبية) ٧٤- عبد الحفيظ مجتهد

زار الكويت في الشهر الماضي - سبتمبر ١٩٧٩ الإمام عبد الحفيظ محمد، إمام المسلمين في غويانا بأمريكا الجنوبية، وهذه هي أول زيارة يقوم بها لدولة الكويت ضمن جولة إسلامية شملت القاهرة، حيث قضى شهراً كاملاً معظمه في جامعة الأزهر الشريف تدرّب خلاله على أيدي أساتذة متخصصين على ترتيل القرآن الكريم، وهي ليست مهمة سهلة بالنسبة له، فاللغة العربية لا تزال جديدةً عليه. فهو حتى الآن يعرف أقل من عشر سور من القرآن الكريم يقرأها؟ وهو يؤدي الصلاة.

ورغم أن السيد عبد الحفيظ محمد هو إمام المسلمين في غويانا منذ أربع سنوات، إلا أنه حديث عهد بالإسلام، فقد أسلم قبل ثمان سنوات كان قبلها مسيحياً ينتمي لكنيسة الميثودست، وعمره الآن ٣٥ عاماً، ولد وقضى الشطر الأول من حياته في وطنه (غويانا) ثم سافر إلى أمريكا للدراسة الجامعية، فدرس الهندسة ونال دبلوماً في الهندسة الميكانيكية من أحد المعاهد في (ميلان)، بكارولينا الشمالية، كما حصل على دبلومات أخرى من أحد المعاهد في شيكاغو في النظام الإلكتروني.

كلمة عن غويانا:

وقبل أن نسأله كيف أسلم، لا بدّ هنا من كلمة عن بلده غويانا.

غويانا هي إحدى البلاد الواقعة شمال أمريكا الجنوبية تحدها فنزويلا من الغرب، وسورينام من الشرق، والبرازيل من الجنوب، وتطل على البحر الكاريبي الذي يحدها من الشمال، وعاصمتها (جورج تاون)، وتبلغ مساحتها ٨٣٠٠ ميل مربع، وعدد سكانها حوالي مليون نسمة منهم مائة ألف مسلم، أي ١٠٪ من مجموع السكان، وهناك عشر جمعيات إسلامية عاملة في (غويانا)، والمسلمون هناك من أصل هندي وباكستاني، بالإضافة إلى المسلمين الذين جلبوا إليها من أفريقيا السودان.

مَازَا اسَلَّمْتُ ؟

ثم يتحدث الإمام عبد الحفيظ عن سبب إسلامه فيقول:

منذ أن كنت صغيراً لم يكن للديانة المسيحية أى وقع فى قلبى، وأذكر أننى وأنا طفل لم تكن تروق لى فكرة الذهاب إلى الكنيسة كل يوم أحد، وكانت لى مع والدتى بسبب ذلك مشاجرات كثيرة.

وعندما كبرت، ذهبت إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وأخذت أتنقل بين شيكاغو ونيويورك وغيرها فأحسست بالفراغ الروحى الذى يعانىه الجميع وبدأت أسأل نفسى أسئلة كثيرة حول دور الإنسان، وأهميته ومصيره وسط هذه الدوامة الطاحنة من الحياة المادية اللاهثة دوماً بلا سبب والشديدة التعقيد!!!

حَبَّ اسْتِطْلَاعٍ :

ويعضى الإمام عبد الحفيظ فى حديثه الشائق فيقول:

وفى عام ١٩٧٢ ذهبت بصحبة أحد الأصدقاء لسماع محاضرة عن الإسلام، أقامتها جماعة إسلامية فى شيكاغو، وكان ذهابى من باب حب الاستطلاع والفضول، ولم أكن أفكر قط فى تغيير دينى، كما أننى خرجت دون أن أتأثر بشيء مما سمعت، إلا أننى حملت معى عدداً من مجلة (محمد يتكلم) وهى المجلة الناطقة بلسان جماعة المسلمين السود التى كان يرأسها أليجا محمد، والتى تحول اسمها الآن إلى جماعة (أمة الإسلام فى الغرب) ويتزعهما الآن السيد وريث الدين محمد، وقد تغير اسم مجلتها فأصبح «مجلة البلالين»، وهى أكبر جماعة إسلامية فى أمريكا الآن، وتعمل بنشاط كبير فى أوساط العشرين مليون مواطن زنجى بأمريكا، وتلقى هذه الجماعة كل تأييد وعون من مختلف الأقطار الإسلامية.

أَثَرُ الْإِخْوَةِ :

نعود الآن إلى الإمام عبد الحفيظ الذى يستأنف حديثه بقوله: خرجت من المحاضرة كما قلت لك ومعى عدد من مجلة (محمد يتكلم) وبعض المجلات والكتب الأخرى عن الإسلام، وبدأت أقرأ وأقرأ، لقد أعجبنى شيء واحد من المسلمين الذين لقبتهم، أعجبنى

فيهم النظام والإخلاص وصفاء القلب والحب الذي يمارسونه فيما بينهم، إلا أن قراءتي حتى ذلك الحين كانت لمجرد البحث عن المعرفة ومن باب الفضول فقط.

أثر العنصرية:

ثم يعود بنا الإمام عبد الحفيظ إلى الماضي فيتذكر ما كان يحس به، يقول: لست عنصرياً، ولكنني منذ أن كنت صغيراً كنت أعرف جيداً أن البيض قد أساؤوا معاملة السود، وأذكر الكثير من صور المعاناة التي قاساها السود على أيدي البيض، لهذا ارتبطت الديانة المسيحية في نفسي بالبيض، فلم أكن أحس بأي ميل قلبي نحو هذا الدين الذي هو دين البيض، الذين يستعيدون السود ويذلونهم، وقد أعانني هذا الشعور على فهم الإسلام، فأخذت أقرأ وأقرأ.

هداية الله:

وذاث يوم، كنت أقوم ببعض الأعمال في منزلي، وكانت زوجتي وأطفالي بالداخل، وكنت متهمكاً فيما كنت أعمل به، وإذا بإحساس قوي يملكني، لقد أحسست برغبة قوية ملحة بأن أكون مسلماً، وكأني كنت أرزح تحت عبء ثقيل أريد التخلص منه، وكأن شيئاً ما يدق عنقي، وفي الحال ذهبت إلى حيث كانت تجلس زوجتي مع أطفالنا وقلت لها: أريد أن أكون مسلماً، فلم تمنع في ذلك بل شجعتني عليه، وقالت لي في الحال: وأنا معك، وهكذا ذهبنا معاً في وقت لاحق وأعلننا إسلامنا. وهكذا أصبح اسمي (عبد الحفيظ محمد) واسم زوجتي (أمينة) وهي أمريكية حاصلة على ماجستير في التربية وتعمل ناظرة مدرسة في غويانا، وقد دخلت الإسلام عن اقتناع بحقيقة هذا الدين.

زيارة للزعيم الروحي:

قلت للأخ عبد الحفيظ محمد الذي لقيته أكثر من مرة أثناء زيارته للكويت مؤخراً: ماذا فعلت بعد أن أسلمت؟ فقال: لم يكن اعتناقي للإسلام إلا البداية لتغيير كامل شامل في حياتي. فرغم أنني كنت مهندساً ناجحاً في مجال التبريد، أكسب الكثير من المال، وأعيش حياة مرفهة للغاية أنا وأسرتي، إلا أنني لم أكن أحس بالسعادة التامة،

كنت أشعر أن شيئاً ما ينقصني، فلما جاء الإسلام إلى قلبي جاء معه تصميم من جانبي على أن أعمل على نشر الإسلام، فقابلت عدداً من أئمة المسلمين في منطقة كارولينا الشمالية حيث كنت أعمل وأسكن، وأبلغتهم أنني أسلمت وأريد أكثر من ذلك، أريد أن أعمل على نشر الإسلام.

وهكذا انتقلت من إمام إلى آخر ومن جامع إلى جامع حتى وصلت إلى شيكاغو حيث كان يقيم الزعيم الروحي السابق للمسلمين السود أليجا محمد، ذهبت إليه ومعى خطاب من إمام آخر، ولكن أليجا محمد كان مريضاً جداً، وتوفى قبل أن أتمكن من مقابله، وهكذا مكثت فترة من الزمن في مدينة شيكاغو، قابلت خلالها خليفة أليجا محمد واسمه وريث الدين محمد، وقضيت معه فترة من الزمن تعلمت منه الكثير عن الإسلام.

تكليف بالدعوة :

سألت الأخ عبد الحفيظ عن رأيه في الإمام وريث الدين زعيم المسلمين البلاليين الجديد في أمريكا فقال: لقد أحببته وارتاحت له نفسى كما وثق هو بى كذلك، فكلفنى بالذهاب إلى وطنى (غويانا) لنشر الإسلام هناك، وعيّننى إماماً للمسلمين فى غويانا، فعدت إلى كارولينا الشمالية، فبعت منزلى وسيارتى وكل ما أملك وجمعت ما عندى من مال وتوجهت مع أسرتى إلى غويانا.

قلت للأخ عبد الحفيظ: متى كان ذلك؟ فأجاب قائلاً: كان ذلك قبل أربع سنوات تقريباً. ومنذ ذلك الحين وأنا أعمل على نشر الإسلام.

بدأت عملى وحدى، اتصلت بالناس، وأخذت أَدعوهم إلى هذا الدين، ولم تكن المهمة سهلة فى البداية، لكننى - بفضل الله - كنت مصمماً على ما أريد، وخلال أربع سنوات من العمل فى غويانا انضم أربعة آلاف مواطن فى غويانا إلى الإسلام بفضل الله ثم بفضل جهودى المتواضعة، ولا زلت أواصل جهدى فى هذا المجال.

ويضيف الإمام عبد الحفيظ: هذا بالرغم من الحريق الذى التهم متجراً كان لدى، وكنت أنفق من ريعه على نشاط الدعوة الإسلامية.

الداعية المهندس :

قلت للأخ عبد الحفيظ: كيف استطعت أن توفق بين تخصصك العلمي الأكاديمي وبين نشاطك في الدعوة إلى الإسلام وعملك كرئيس للمنظمة الإسلامية في غويانا؟ فقال رداً على ذلك:

لقد كنت منذ صغرى وحداثة سنى ولا أزال ميالاً إلى النواحي الدينية، وكان تخصصي الجامعي في أجهزة التسخين والتبريد والتكثيف وأجهزة التبريد عامة والأجهزة الكهربائية والإلكترونية التي تحافظ على الأمن والسلامة، وما زلت أقوم بعمل دراسات كثيرة في مجال تخصصي الذي ذكرته، وقد أنعم الله عليّ بنعم كثيرة والحمد لله، فكنت دائماً من الأوائل في دراستي بالجامعة، حتى عند تقديمي للامتحان النهائي كانت نتيجتي الأول على مجموعتي في التخصص.

لقد غبر الإسلام من طبيعة ذاتي وأصبحت منصرفاً كلياً للدعوة إلى التوحيد، ولا غرابة في ذلك، فلقد تمكّن الإسلام من نفسي والحمد لله الذي هداني للإسلام. أما عملي كداعية فهو شيء مفروغ منه ويجب أن يكون، لأنه يحقق السعادة في الدنيا والآخرة، وهذا ما يجب أن يسعى إليه كل مسلم عاقل.

المراكز والمساجد الإسلامية

يتابع الأخ عبد الحفيظ حديثه قائلاً: ليس في غويانا إلا مركزان إسلاميان و٥٢ مسجد. فقلت متعجباً: سبحان الله ٥٢ مسجد في غويانا، ونحن لا نسمع عنها وعن إخواننا المسلمين فيها أي شيء؟

فقال المسلمون يا أخي يوجدون في كل مكان وهم أمة واحدة، ولا يكاد يخلو أي مكان على وجه الأرض إلا وفيه مسلمون يذكرون الله عز وجل، ونحن في غويانا لدينا نشاط إسلامي جيد، إلا أننا بحاجة إلى تأسيس مكتبة إسلامية وتدعيم وسائل الاتصال بالدول الإسلامية في جميع أنحاء العالم.

أحببت مصر :

وعن زيارته لمصر الشقيقة التي بدأ بها جولته يقول الأخ عبد الحفيظ: إن إقامتي في مصر أعطتني مفاهيم جديدة ومسئوليات كبرى، كما أن مفهوم التقوى قد ازداد عمقاً

فى نفسى، لقد أحبت هذا البلد إلى درجة جعلت من الصعب على نفسى التفكير فى مغادرته بعد أن أمضيت بين أهله شهراً ونصف ولكن لا بد لى من ذلك لأداء فريضة الحج، لقد تأثرت كثيراً بإخوانى المسلمين فى مصر، إذ أن ثلاثة أشخاص منهم فى أماكن متفرقة، حينما عرفوا أننى مسلم من غويانا قام كل واحد منهم وعانقنى وتقنى لى حياة طيبة فى ظل الإسلام.

وبعد أن أمضى الأخ عبد الحفيظ المدة المتاحة له فى مصر درس خلالها اللغة العربية والقرآن الكريم، وساعده فى ذلك المراقب العام للبحوث الإسلامية بالأزهر الشريف توجه إلى المملكة العربية السعودية.

أداء الحج :

قبيل له وهو يظاً أرض الجزيرة العربية لأول مرة: ما هو شعورك وأنت تأتي للأراضى المقدسة فى زيارتك الأولى لها؟ فقال:

جئت لتأدية فريضة الحج والعمرة. وشعورى كشعور كل مسلم مؤمن بالله سبحانه وتعالى إيماناً لا تشوبه أية شائبة، لقد حضرت مع عائلتى وأحس بالسعادة والشكر لله عز وجل الذى هباً لنا هذه الزيارة وأثار قلوبنا وهدانا للإسلام.

محتاج لمساعدة إخواننا

ويمضى الأخ عبد الحفيظ فيقول: جئت إلى البلاد العربية لأستطلع إمكانية مد يد العون للمسلمين فى غويانا - بأمريكا اللاتينية. فنحن بحاجة ماسة إلى المساعدة من إخواننا المسلمين. إننا منظمة إسلامية نرعى شئون المسلمين ويوماً بعد يوم يعتنق الكثيرون من مواطنى غويانا الإسلام، لا عن طريق الإكراه، ولكن عن اقتناع وحب وعن هداية من الله سبحانه وتعالى. إننى أتكلم كإمام للمسلمين فى غويانا ونيابة عن كافة المنظمات الإسلامية، فنحن بحاجة إلى الكتب الإسلامية وإلى المدرسين والوعاظ الدينيين حتى نحافظ على الجالية الإسلامية الكبيرة فى غويانا، وننشئ أبناءنا تنشئة إسلامية صحيحة. واللغة العربية هى لغة القرآن الكريم، فلا بد من تدريسها لأبناء المسلمين فى غويانا حتى يفهم المسلمون دينهم وقرآنهم.

ويضيف الأخ عبدالحفيظ قائلاً:

لدينا مشاريع كثيرة كبناء المساجد والمراكز الثقافية الإسلامية والمدارس، وهذه تحتاج إلى عون مالى كبير، كما تفتقر إلى إذاعة مستقلة ليث الدروس والمواعظ الإسلامية لمن لا يتمكن من الحضور إلى المركز الإسلامى، واعتقد أن حكومة غويانا لا تعارض مثل هذا الإجراء.

الدعوة في غويانا :

ويتحدث عن نشاطه الإسلامى فيقول:

إننى عضو فى المجلس الإسلامى فى غويانا، وفى المجموعة التى تقوم بزيارة نزلاء السجون فنقوم بعمل ندوات إسلامية كثيرة داخل السجون لتوعية نزلائها وتعريفهم بمبادئ الإسلام وبقيمه الخالدة، كما نمدّ العون المالى لهم بقدر استطاعتنا، ونساعد الكثير من المحتاجين والفقراء، ونحن كمسلمين نساعد جميع الناس من مختلف الديانات، وهذه الأموال نحصل عليها من بعض المشاريع التجارية الخاصة التى تباع المأكولات، إلا أن واحداً من أكبر هذه المشاريع قد تعرّض فى الآونة الأخيرة لحريق كبير سبب لنا خسارة كبيرة، وقد أثبتت التحقيقات أنه كان نتيجة لعمل تخريبى قامت به منظمات ضد الإسلام والمسلمين فى غويانا، ولكن بالرغم من ذلك فإن عدد المسلمين هنا فى ازدياد مستمر، وهذا يضايق بعض الأوساط فى غويانا مما يجعلها تقوم بهذه الأعمال التخريبية لمشاريعنا.

ويعلق الإمام عبدالحفيظ بحماس كبير فيقول:

لقد تركت عملى الأساسى فى مجال الهندسة ووهبت نفسى كلياً لدينى وعقيدتى الإسلامية، لإرشاد الناس وهذا شرف عظيم لى ولعائلتى، إننى أسعى دائماً لعمل مشاريع تجارية تعود بالنفع على إخوانى المسلمين.

ماذا عن موقف المواطن الغويانى من الإسلام؟ هذا هو السؤال التالى الموجه للإمام عبدالحفيظ الذى أجاب عليه قائلاً:

إن المواطنين فى غويانا لديهم الرغبة الأكيدة للدخول فى الإسلام، فنحن نلاحظ حالياً

انتشار الإسلام يوماً بعد يوم، إلا أننا بحاجة إلى المساعدة، فلا توجد أية قوة تستطيع أن توقف المد الإسلامي في غويانا. ولكن هناك بعض العقبات في الطريق، ونحن نريد أن نكسب أكبر عدد من أبناء البلاد للإسلام.

قلت للأخ عبدالحفيظ: وما هي قصة دخول الإسلام إلى غويانا؟ فقال: لقد كان دخول الإسلام إلى غويانا على يد المهاجرين الأفارقة الذين هاجروا قسراً من أفريقيا إلى دول أمريكا اللاتينية، وخاصة الذين أحضروا من السودان وأثيوبيا وتشاد وغيرها من دول شرق ووسط أفريقيا وغربها أيضاً. فعندما جاؤا إلى غويانا استطاع شعب غويانا من خلال مخالطته لهم ومعاملته معهم أن يتعرف إلى الدين الإسلامي، فقد لمس الناس منهم معنى التسامح والحب والسلام والوفاء وإنكار الذات، لقد عرفوا كل معاني الحق التي كانوا يفتقدونها، لذلك اعتنق الكثير منهم الإسلام عن حب وعقيدة راسخة دون إكراه أو إغراء.

وبعد فترة من الزمن حضر مهاجرون آخرون من الهند وباكستان، وقد أعطت هذه الدفعة من المهاجرين المسلمين مزيداً من القوة للإسلام في غويانا. كما أن حكومة غويانا لم تمنع من إقامة الشعائر الإسلامية، بل سمحت للمسلمين بحرية العبادة والتحدث والدعوة إلى الإسلام، وهكذا تضاعف عدد المسلمين. والمهم أن الإسلام لا يعترف بالعنصرية ولا بالطائفية، فالجالية الباكستانية المسلمة في غويانا لديها مرشد من السود هو من أعضائها البارزين، حيث لا فرق في الإسلام بين أسود وأبيض إلا بالتقوى، ولقد عملت الكثير لإنشاء رابطة إسلامية تضم كافة المسلمين في غويانا من مختلف الجنسيات، وقد وفقت في عملي هذا والله الحمد.

الإسلام والأديان الأخرى:

قلت للأخ عبدالحفيظ الذي امتنع أن يذكر لي دينه السابق واسمه قبل إسلامه، لأنه لا يريد أن يتذكر هذا الماضي، قلت له: هل درست الأديان الأخرى؟ فقال:

إلى جانب دراستي للإسلام والقرآن الكريم درست الأديان الرئيسية الأخرى، فعرفت الفارق الكبير بينها وبين الإسلام والقرآن. لقد وجدت في القرآن الكريم الطريق السليم لعبادة الخالق الأحد، لقد اكتشفت أن الديانات الأخرى قد حرفت كتبها وأنها تمارس في

الواقع العملى أشباء مغايرة تمامًا تنادى به وتدعو إليه، إضافة إلى أن الدين الإسلامى لا يقتصر على العبادة فحسب، بل يعلمك كيف تعيش حياتك الدنيوية وتنظمها على أساسه فى كل صغيرة وكبيرة، ويرشد الإنسان إلى أفضل الوسائل لمعاملة غيره. فالإسلام نظام شامل للحياة الإنسانية كلها وهو الدين الحق الصالح لكل زمان ومكان، كنت دائم التفكير والتأمل، فالذى خلق الإنسان ووهبه هذه النعم الكثيرة هو الذى خلق الحيوان والشجر وأنزل من السماء ماء، والقرآن الكريم يدعونا دائماً إلى التفكير فى ملكوت السموات والأرض ويربط بيننا وبين الكون من حولنا، بعكس الأديان الأخرى التى تفرض الإيمان على أتباعها فرضاً.

مشروعات إسلامية :

وأخيراً قلت للأخ عبدالحفيظ: ما هو أهم مشروع إسلامى لديكم الآن؟ فقال: أهم مشروع لدينا هو إكمال مركز الدعوة الإسلامية فى «جورج تاون» الذى يتألف من قاعة محاضرات، ومسجد ومكتبة، ومدرسة إسلامية، ومكاتب للإدارة، ولدينا جمعية لمساعدة الشيوخ والعجزة والمساكين، كما أن لدينا مشروعاً زراعياً يحقق لنا الاكتفاء الذاتى، عسى الله أن يشرح صدور المسلمين لدعم العمل الإسلامى فى غويانا وغيرها حتى يهبّ العملاق الإسلامى الجبار من غفلته، والله الموفق لكل خير.



العراق :

٧٥- الدكتور أحمد سوسة

اسم هو وأبنتها

من اليهودية إلى الإسلام

الدكتور أحمد سوسة.. عضو المجمع العلمي العراقي، مرجع بارز في دراسات الحضارة العربية ووادي الرافدين على وجه الخصوص. أسلم قبل عدة سنوات بعد أن تأثر بالقرآن الكريم، وأولع به ولعاً شديداً، كان يهودياً عراقياً ثم شرح الله صدره للإسلام: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وللدكتور «سوسة» عدة مؤلفات معتمدة في مختلف المجالات العلمية. وقد ركز في العديد منها على تفنيد ادعاءات الصهيونية العالمية من الناحية التاريخية. وقد نال الجزء الأول من كتابه «فيضانات بغداد في التاريخ» جائزة دولة الكويت لعام ١٩٦٣ وهي الجائزة التي تُمنح عادةً لأفضل دراسة تعالج جانباً من التاريخ العربي والحضارة العربية.

طريقي إلى الإسلام :

وفي كتابه «في طريقي إلى الإسلام»، يذكر الدكتور أحمد سوسة سبب إسلامه، وهو دكتور في الفلسفة من إحدى جامعات الولايات المتحدة الأمريكية، يقول:

- يرجع مَبْلِي إلى الإسلام إلى ما قبل ثلاث عشرة سنة، حينما شرعت في مطالعة القرآن الكريم للمرة الأولى في عهد دراستي في الجامعة الأمريكية ببيروت، فولعت به ولعاً شديداً، وانصرفت إلى تلاوته مستعيناً بالكتب المزودة بحواشي التفسير لفهم معناه، حتى أهملت البعض من دروس المدرسية الأخرى، وكنت أطرب لتلاوة آيات القرآن، وكثيراً ما كنت أنزوي في مصيفي تحت ظل الأشجار وعلى سفح جبال لبنان، فأمكث هناك ساعات طوالاً أترنم بقراءته بأعلى صوتي، إلا أنني لم أفكر في أمر

اعتناقى للإسلام إلا بعد أن قضيت فى أمريكا بضع سنوات، ودرست فلسفات الأديان، وتوغلت فى المواضيع التاريخية الاجتماعية، حتى أدركت كثيراً من الأمور الغامضة التى كان يصعب علىّ حلها.

ثم يشير الدكتور سوسة إلى طبيعة الحياة الأمريكية وأثرها فى اتخاذ قراره الحاسم، فيقول:

- وفى الوقت نفسه، فإننى أعتقد بأن محيط أمريكا الذى تتجلى فيه الحياة الديمقراطية بأجلى بيان، قد يستميل المرء الذى فُطر على حب الحرية والسذاجة، إلى الانتقال إلى تعاليم الدين الإسلامى المشبع بروح الديمقراطية الحقة والحرية والبساطة، فأستطيع أن أقول بدون تردد بأننى مسلم شعوراً وموطناً منذ نعومة أظفارى، وقد يكون لتأثير ذلك النصيب الأكبر فيما دفعنى لأن أنفض عنى غبار الميراث من الدين والعنصر، وأن أسير أغوار الحقيقة لأهتدى بأنوارها إلى المذهب الصحيح الخفيف.

الإسلام دين الفطرة والعلم

- إلا أنى يجب أن أعترف - فى الوقت نفسه - بأن الميل لم يكن مستنداً على ما يقره الاستقراء العلمى والتمحيص الفكرى والتجارب الشخصية. وما أعظم سرورى الآن، حين جاء الاستدلال العلمى الصحيح مؤيداً للميل الفطرى، فاتممت إلى الدين الإسلامى بدافع طبيعى غريزى، ويتأييد علمى تمحيصى، فأصبحت بذلك مسلماً شعوراً وموطناً ودينياً.

ثم يردّ الدكتور أحمد سوسة على الفرية السائدة بأن الإلحاد هو الطراز الشائع بين المثقفين، فيقول:

- ومن الغريب أن العقيدة السائدة بأن كل من تعلم تعليماً راقياً أصبح ملحداً بطبيعة الحال، قد تمكنت فى أذهان شبابنا المثقفين، بحيث أصبح الكثير منهم يستغرب ويدهش إذا أظهر أحد المتعلمين ظاهرة دينية، أو تطرق إلى البحث فى هذا الموضوع. وأنا أرى لزاماً علىّ أن أبحث فى مقدمتى هذه - ولو بصورة مقتضبة - فيما أورده بهذا الصدد أحد أصدقائى، بعد أن أعلنت له رغبتى فى اعتناق الإسلام، إذ قال فى كتابه: «إنى لأشعر بخطورة رغبتك هذه، لا سيما أنها جاءت فى القرن العشرين، فى القرن

الذى طغت فيه المادة وسادت فيه الملموسات، وهى بنت فكر شخص عاش فى بيئة أمريكية، وأنه من حملة الدكتوراه».

العلم ضد الإلحاد :

يجيب الدكتور أحمد سوسة، العالم المؤمن الذى لا يفره ما أفسد إبليس من غرور، فيقول:

- وكأنى يصاحبى قد يخيل له أن من اكتسب علماً حديثاً يحب عليه طرح ناحية الدين جانباً، والانصراف إلى ما فى الحياة الدنيا من أعمال مشمرة ملموسة. وما أخطأ هذا الظن وأخطره على مصير مجتمعنا. فما هو العلم؟ هل يقتصر العلم على تدريبنا لإنشاء المشاريع العمرانية فحسب؟ أنا لا أنكر أن العلم قد نستفيد منه ونستعين به فى مشاريعنا الفنية، ولكن أهى هذه الغاية من العلم؟! أليست هذه المشاريع واسطة لا غاية؟! إذن، للعلم غاية سامية يرمى إليها صاحبه هى غير الأعمال الآلية المادية.

ويتساءل الدكتور أحمد سوسة عن الغاية من العلم، فيقول:

- وما هى هذه الغاية؟ إن الغاية المهمة من العلم الراقى فى نظرى هى تنبيه حس الطموح فى صاحبه إلى استكشاف الحقائق والتدقيق والتحخيص، سواء فى مجالات التفكير الروحى المعنوى أو فى منطقة الأعمال الملموسة لإدراك هذه الحقائق وإذاعتها، فيستفيد منها المجتمع فى سبيل التعاون والتعاوض، للنهوض بالإنسانية إلى أسنى درجات الكمال.

هذا ما كتبه الدكتور سوسة، فى مقدمة كتابه «فى طريقى إلى الإسلام».

وفى الآونة الأخيرة، طالعنا صحيفة «القبس» الكويتية الغراء، بمقابلة نشرتها مع الدكتور سوسة تحت عنوان: اليهود دونوا فى بابل تاريخاً مزيفاً وتوراة مزيفة، ولا أصل لهم لا فى العراق ولا فى فلسطين. ثم يقول:

حضارة العرب تعود إلى ما قبل ٢٠ ألف سنة، وهم أول من أسس الزراعة الاصطناعية فى العالم.

وقبل أن ندخل فى تفاصيل ما ذكر الدكتور سوسة عن اليهود والتاريخ، نود أن ننقل

المزيد عن قصة إسلامه. فعندما سُئل عن نظرتَه إلى اليهود في الإطار الإسلامي، قال:
 - منذ الصغر كانت تدور في ذهني قضية الأديان، وكنت أتعجب لهذه الاختلافات وأنا في محيط مسلم وأصدقائي مسلمون. فلماذا مسلم ومسيحي ويهودي؟ وكانت هذه الأمور تشغلني وأنا من عائلة يهودية الأصل، وقد أسلم قسم من أفراد هذه العائلة. وبعد أن عكفت مدة على الدراسات الدينية توجهت إلى الأزهر الشريف في مصر حيث درست هناك فترة من الزمن. وانتهت تلك الحيرة، إذ أعلنت إسلامي بعد إيمان وفهم عميقين.

العرب واليهود في التاريخ :

لقد بدأ هذا الحوار مع الدكتور سوسة، في داره التي تضم مكتبة تُعتبر من أندر المكتبات الخاصة في بغداد. وكان السؤال التالي للدكتور سوسة حول كتابه المعروف «العرب واليهود في التاريخ» وماذا عنه؟ يقول الدكتور سوسة:

- خلال دراساتي وأبحاثي، وجدت أن الصهيونية تستند على الدين اليهودي في المطالبة بفلسطين، فتزعم أن التوراة قد منحتهم أرض فلسطين من ربهم «يهوه» لتكون وطنًا لشعبه المختار. وعلى هذا الأساس يزعم اليهود أنهم يمتلكون الحق المقدس لاحتلالها بالقوة، وطرد سكانها وأصحابها الشرعيين، بل إبادتهم، ليستقروا هم فيها. وهذا ما تنفذه الصهيونية استناداً لذلك الزعم الباطل.

ثم يستطرد في الحديث عن هذا الزعم، فيقول:

- ولما كان هذا الزعم يستند على التوراة التي بين أيدي اليهود اليوم، وهي التي كتبها الحاخامون في بابل في وقت لاحق تحقيقاً لأغراض سياسية معينة، فلا بد من تفهم تاريخ التوراة على حقيقته، مَنْ دُونَهَا؟ وكيف ومتى دُونَتْ؟ وما هي الأهداف الرئيسية من تدوينها؟ لقد أوضحت من خلال كتابي: «العرب واليهود في التاريخ» زيف الصهيونية واستنادها إلى التوراة التي هي أصلاً محرّفة ومدوّنة حسب رغباتهم وأهوائهم وأطماعهم، وليست هي التي أنزلت على سيدنا موسى عليه السلام، بل أضافوا إليها وحرفوا فيها كما يحدثنا بذلك القرآن الكريم نفسه، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ

الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم
وويل لهم مما يكسبون ﴿ [البقرة: ٧٩].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا
عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ
عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ
وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وبمضى الدكتور سوسة في حديثه عن التوراة المحرفة الموجودة بين أيدي الناس
اليوم، وما أعد من دراسات لكشف زيفها وبيان عوارها، فيقول:

- هذه الدراسات، كما يرى معي كثير من العلماء والمؤرخين، جاءت رداً ولطمة
كبيرة لفضح زيف الصهاينة وبطلان ادعاءاتهم. فأرض فلسطين عربية إسلامية وستبقى
كذلك إن شاء الله مهما طال أمد الاحتلال الغاصب.

نعود إلى الدكتور أحمد سوسة لنسأله عن قصة الحضارة العربية؟ فيجيب على هذا
السؤال بقوله:

إن دراسة تاريخ العراق القديم قادتني إلى دراسة تاريخ الأقطار العربية جميعها،
ومنها فلسطين، البلد العربي العريق في تاريخه، فقد درست الحضارة العربية القديمة
كيف نشأت؟ ومتى بدأت؟ وأين؟ فتوصلت في دراستي إلى الكثير حول هذا الموضوع:

إن حضارة العرب قديمة وعريقة جداً تعود إلى ما قبل عشرين ألف سنة قبل الميلاد،
فجزيرة العرب التي كان مناخها حينذاك غير ما هو عليه الآن، كانت تمر بالعصر الجليدي
الأخير الذي يتميز بالأمطار الغزيرة، وكانت الوديان الموجودة الآن في الجزيرة أنهاراً
تجري فيها المياه طيلة مواسم السنة، ولهذا بدأت الحضارة في الجزيرة، وكان العرب أول
من أسس الزراعة الاصطناعية في العالم، وهم أول من استعمل وسائل اصطناعية للرى
والإرواء.

ثم يقول: وبانتهاء الدور الجليدي جاء دور الجفاف الذي اضطر أهالي الجزيرة إلى
الهجرة فنقلوا الحضارة منها وهاجروا إلى الهلال الخصيب حيث وجدوا الأنهر، وعلى

الأخض وادى الرافدين، فاستقروا هناك مؤسسين أول امبراطورية سامية فى العالم، وهى الإمبراطورية «الأكادية» ثم تلتها الأمبراطورية «الأشورية» «والكلدانية»، وهؤلاء كلهم عرب هاجروا من الجزيرة. ثم جاءت الإمبراطورية العربية الإسلامية التى نقلت حضارة العرب المسلمين إلى أنحاء العالم.

تعليق المؤلف :

وقبل أن نغضى فى هذا الحديث مع الدكتور سوسة نقول: بأن الإسلام وجد العرب فى حالة من التخلف والتفكك لا مثيل لها، وأنهم قبيل ظهور الإسلام لم تكن للعرب حضارة، وإنما كان الفضل ولا يزال للإسلام العظيم الذى حول العرب من بدو رحل يقتل بعضهم بعضًا بالثأر، الذى استمرت حروبه بينهم عشرات السنين، ويأكل القوى فيهم الضعيف، جاء الإسلام فأحال العرب من هذا الوضع الشائن إلى أمة موحدة متحاببة حملت النور والهداية والحضارة الإسلامية إلى الناس كافة، وهذا هو فضل الإسلام على العرب. لأن العرب لم يعزوا إلا بالإسلام إذ لم يكن لهم ذكر قبله. قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠].

تاريخ اليهود :

بعد هذا التعليق الذى لأبد منه سئل الأخ الدكتور أحمد سوسة عن حقيقة اليهود فى التاريخ فقال:

لقد دون اليهود أثناء الأسر فى بابل تاريخًا زائفًا لأهلهم ذكروا فيه نسبهم وصلتهم بالأقوام الآخرين وبالعالم القديم، وحرروه وفق أهوائهم ورغباتهم الدنيوية ونزعاتهم الدينية، وقد قبل العالم مع الأسف هذا الزيف، وظل الباحثون والكتّاب يرددونه وكأنه حقائق تاريخية حتى ظهرت الاكتشافات الأثرية الحديثة فكشفت للناس زيف الادعاءات اليهودية كحقهم فى أرض العرب، وما إلى ذلك من الادعاءات الوهمية، وهذه المدونات المكتشفة تسجل أحداثًا بلغات الأقوام القديمة التى عاصرت تلك الأحداث ذاتها كالسومريين، والأكاديين، والكنعانيين، والفينيقيين، والحيتيين وأهل بابل، والأشوريين، والكلدانيين، كل ذلك قبل تدوين التوراة بعدة قرون. وهذه المراجع تزودنا بالمعلومات والبيانات التى كانت تعوز من سبقنا من الباحثين للتوصل إلى بعض الحقائق

التاريخية عن العصور القديمة، والخروج بها من دائرة الحدس والظن إلى صلب الحقيقة الواقعة.

بعد ذلك يقول الدكتور أحمد سوسة، المؤرخ العراقي المسلم: ولا توجد حسب علمي أية دراسة علمية لتاريخ يهود العراق القديم، فالمصدر الوحيد الذي يعول عليه الباحثون هو ما يلقنه لهم الصهاينة عن تاريخ اليهود القديم، وهو ادعاهم خلافاً للواقع التاريخي بأن العراق هو وطن اليهود الأصلي لأنهم هاجروا مع إبراهيم الخليل من العراق إلى فلسطين قبل أربعة آلاف سنة قبل الميلاد، وكان عددهم أربعة آلاف نسمة، وهكذا ربطوا نسبهم وأصلهم بإبراهيم وبالعراق، هذا في حين أن المعلومات التي تركها لنا الأقدمون تدل على أن اليهود قد ظهوروا في العراق لأول مرة في عهد الآشوريين بصفة أسرى في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن السابع قبل الميلاد، أي بعد عصر إبراهيم الخليل بألف ومائتي سنة، لأن إبراهيم الخليل ظهر حسب التقدير التاريخي الراجع في القرن التاسع عشر قبل الميلاد. هذا ما يقوله الخبراء المحدثون.

ومن جهة أخرى يقول الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [آل عمران: ٦٦ - ٦٧].

لا قيمة للعرب إلا بالإسلام :

قيل للدكتور سوسة: ما الجديد في أبحاثكم؟

فأجاب قائلاً: لقد أعددت بحثاً جديداً حول إعادة كتابة تاريخ الأمة العربية، وهو بحث وثائقي يظهر مدى تطور حضارة العرب منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا.

لا بد أن نكرر هنا أن الحرص على إبراز عظمة العرب قبل الإسلام هي دعوة ساذجة غير دقيقة علمياً، إذا افترضنا حسن الظن، وهي دعوة خبيثة مأكرة إذا علمنا حقيقة النوايا التي تخطط من ورائها، فالإسلام هو الذي أوجد العرب كأمة، صاروا بالإسلام خير أمة أخرجت للناس. والعرب بدون الإسلام يعودون إلى مكانتهم المنزوية على هامش التاريخ. هذا ما يقرره الواقع وهو ما ينص عليه القرآن الكريم. وقد آن للعرب أن يعتزوا

بنسبهم ونسبتهم إلى مصدر عزهم ومجدهم، وهو الإسلام ولا داعى لإضاعة الوقت والتنقيب في الحفريات البالية. فالحاضر خير شاهد.

قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَوَكَّلُوا يُسْتَبَدَّلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].
نعود الآن للدكتور أحمد سوسة الذي يقول:

تلقيت دعوة للمشاركة في المؤتمر العلمي عن تاريخ الجزيرة العربية تقيمه جامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية في الربيع القادم. وقد بعثت بخلاصة بحثي للمؤتمر على أن أبعث التفصيل الوثائقي من البحث بعد انتهاء طبعه ليوزع على المؤتمرين من كل الأقطار العربية، كما وجهت لى دعوة من المؤسسات العلمية لزيارة تونس.

حَيَاتِهِ الْخَاصَّة :

بعد ذلك سئل الدكتور سوسة عن حياته الخاصة فقال:

كنت متزوجاً من أمريكية، ولكنها مع إخلاصها وتعلقها بى لم تستطع البقاء ومرضت، فطلبها أهلها فأخذتها إليهم، وكان لى منها طفل اسمه «جميل».
وهناك فى أمريكا قررت العودة إلى العراق مهما كانت الظروف لأنى وجدت الابتعاد صعباً، وعدت.

هذا قبل إسلامك، فماذا بعد أن أسلمت؟

قال الدكتور سوسة جواباً على هذا السؤال:

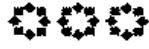
بعد أن أسلمت تزوجت من فتاة تنتمى إلى عائلة متدينة وعشنا معاً مدة ١٦ عاماً، لم نرزق خلالها بأولاد، ثم رزقنا بفتاة أسميناها «عالية» التى تنهياً الآن لمناقشة أطروحتها للدكتوراه فى جامعة السوربون بباريس وعنوانها: «العراق من عام ١٩٢٢م إلى ١٩٣٩» وهى دراسة اجتماعية وسياسية باللغتين الفرنسية والإنجليزية، وعالية الآن (١٩٨٠م) مدرسة فى جامعة بغداد لتاريخ الشرق الأدنى الحديث، وهى أيضاً عضوة عاملة فى اتحاد المؤرخين العرب.

كما رزقنا بولد اسمه (على) وهو موظف بالشركة العراقية التجارية.

ثم يختمم الدكتور أحمد سوسة حديثه بقوله:

إننى أميل الآن إلى الراحة، أكثر من ذى قبل، بحكم سنى، وكلما شعرت بالتعب أذهب إلى منزل صغير لى فى الجبل، حيث أستريح فترة لأستعيد شيئاً من النشاط يساعدى على الاستمرار فى العمل والبحث.

نتمنى للدكتور سوسة أن يختم الله له بالخير إنه سميع مجيب، ونشكر «القبس» الغراء على هذه المقابلة الجيدة، وإلى اللقاء.



فرنسا:

٧٦- الدكتور علي سلمان بنوا

نشرت مجلة «إسلامك ريفيو» الصادرة في المجلتر في عددها الصادر في شهر مايو ١٩٥٤ القصة التالية عن مهتد جديد إلى الإسلام من فرنسا وهو الدكتور علي سلمان بنوا. يبدأ الدكتور (علي) قصته بقوله:

بداية القصة:

لما كنت طبيباً بحكم المهنة، ومن أسرة فرنسية كاثوليكية، فإن هذه المهنة ذاتها قد منحتني ثقافة علمية رصينة مما جعلني بعيداً عن الحياة الصوفية الروحية، وليس معنى ذلك أنني لم أكن أوؤمن بالله الواحد الأحد خالق هذا الكون، ولكن المبادئ والطقوس التي لاحظتها في ديانتى لم تكن تشعرني بوجوده، وهكذا فإن إحساسى بوحدانية الله، الخالق الوحيد للكون قد حال دون تقبلي لمبدأ (التثليث، والاعتقاد بالوهية عيسى) المسيح عليه السلام.

ثم يضيف الدكتور علي سلمان بنوا، المسلم الفرنسي قائلاً:

وحدانية الله تعالى:

وهكذا فقد كنت أوؤمن بالقسم الأول من الشهادتين وهي «أشهد أن لا إله إلا الله دون أن أعرف شيئاً يذكر عن الإسلام، وكذلك آمنت بكل ما تقرره السورة رقم ١١٢ من القرآن وهي قول الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾ [الإخلاص].

وهكذا تمسكت بالإسلام - بادئ ذي بدء - لأسباب وراء الطبيعة، ولكن أسباباً أخرى أيضاً دفعتني إلى ذلك، فعلى سبيل المثال:

كنت أرفض ما يزعمه الرهبان لأنفسهم بأنهم يملكون صلاحية الغفران للذنوب نيابة عن الله سبحانه وتعالى.

كما أنني لم أستطع أبداً أن أتقبل مبدأ العشاء الرباني وهو الخبز المقدس الذي يرمز إلى جسد السيد المسيح عليه السلام، وهذا من الطقوس التي بدت لي بأن لها علاقة بالطقوس الوثنية التي كان يؤديها البدائيون من بنى الإنسان الذين يعتقدون أنه لا بد من أكل المعبود التقليدي بعد وفاته من أجل تقمص شخصيته.

طَهَارَةُ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ :

ومضى الدكتور على سلمان في شرحه للدوافع التي هداه الله بها إلى الإسلام بعد أن هجر الدين الذي وجد فيه نفسه عند ولادته فيقول:

وناحية أخرى جعلتني أترك ديني السابق الذي ولدت فيه هو سكوت هذا الدين سكوتاً تاماً ومطلقاً عن النظافة الجسدية، وعلى الأخص قبل أداء الصلاة، فقد أحسست دائماً أن هذه من المخالفات والاعتداءات على حرمان الله.

وقلت لنفسي: إذا كان الله سبحانه وتعالى قد وهبنا الروح، فإنه قد أعطانا أيضاً الجسد الذي لا يحق لنا بأى حال من الأحوال أن نهمله، بل علينا أن نعتني بنظافته وطهارته.

تعليق من المؤلف :

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: ٦].

من هذه الآية الكريمة نفهم أن أساس الصلاة والعبادة بصورة عامة في الدين الإسلامي النظافة أو الطهارة، النظافة الحسية، والطهارة المعنوية والروحية، وهذه في الحقيقة هي إحدى خصائص هذا الدين العظيم المميّزة له عن سائر الأديان. وقد يتبادر لسائل أن يسأل في هذا المقام: ولماذا كانت الطهارة شرطاً للصلاة في الإسلام؟ وقد يبدو لأول وهلة أن هذا سؤال وجيه. ولكننا إذا تأملنا الحكمة من الوضوء نجد أنه بالإضافة إلى أنه أمر من الله سبحانه وتعالى لا بد من طاعته وامتثال أمره، نجد أنه له فوائد جمّة. منها أن

الوضوء قبل الصلاة يومياً إلى أن الصلاة ليست عملاً اعتيادياً يؤديه الإنسان كيفما اتفق، بل هو عمل ذو بال يستلزم نقاوة الجسد وطهارته هو والملبس والمكان الذي تقام فيه الصلاة، كما أنه يستلزم نقاء الشعور والإحساس. يروى أن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه كان إذا أقبل على الوضوء ترتعد فرائصه لإحساسه بأنه يستعد للوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى.

هذا من جهة، ومن ناحية أخرى فإن استخدام الماء في عملية الوضوء قبل الصلاة يجعل المسلم في قمة النشاط في جسمه وعقله، وهكذا يكون المسلم بعد القيام بالوضوء في أحسن حال من التنبيه واليقظة وهما لازمان لكل عبادة لله سبحانه، وهكذا كان رسول الله ﷺ يحض على الوضوء قبل كل صلاة، فهذا من سنته ﷺ، فإذا تذكرنا أن المسلم يؤدي خمس صلوات كل يوم؛ نجد أنه يغسل وجهه ويديه وقدميه ضمن عملية الوضوء، خمس مرات يومياً، فهل هناك وسيلة أفضل من هذه لتحقيق النظافة؟!

كذلك، لا بد أن نتذكر هنا أن هذه النظافة والطهارة ليست مجرد طهارة حسية أو جسدية، بل هي كذلك طهارة روحية وجسدية في آن واحد. فالرسول ﷺ يقول: «الطهور شطر الإيمان». وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام: رأيتم لو أن نهراً عند باب أحدكم، يغتسل منه خمس مرات كل يوم، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فكذلك الصلوات الخمس يحو الله بهن الخطايا. أو كما قال رسول الله ﷺ. فهذه لعمرى هي صفة مميزة لهذا الدين لا تكاد توجد في أي دين آخر.

عود إلى قصة المسلم الجديد :

وبعد هذه الكلمة التي لا بد منها عن أهمية الوضوء في الإسلام، نعود إلى الدكتور على سلمان بنوا المسلم الفرنسي الذي أعجب بالنظافة والطهارة كمبدأ أساسي في الإسلام بعد أن قارنه بغيره فلم يجد مثيلاً له في ديانته يضيف الدكتور على قائلاً:

إن هذا السكوت عن طهارة الجسد نجده أيضاً في الأدب الأخرى غير الإسلام، بل يخالطه كذلك شعور بالعداوة فيما يتعلق بالحياة الجسدية للإنسان. بينما اتضح لي أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يتمشى مع الفطرة الإنسانية.

القرآن معجزة الدهور

بعد هذه الملاحظة المهمة التي أبدتها الدكتورة (علي) نجده يتحدث بعد ذلك عن

القرآن الكريم على اعتبار أنه العامل الأساسي الذي أدى إلى اعتناقه الإسلام. يقول:
لقد كان القرآن هو العامل الأول الذي دفعني إلى الإيمان بالإسلام. فقد بدأت بدراسته قبل إسلامي، بروح ناقدة فاحصة وكما هو موقف رجال الفكر الغربيين، وأتني مدين كثيراً للكتاب الرائع الذي ألفه الأستاذ المرحوم مالك بن بنى بعنوان «الظاهرة القرآنية» وهو بالفرنسية^(١) إذ أنه أقنعني بأن هذا القرآن هو من عند الله سبحانه وتعالى، فالكتاب يتضمن صفحات رائعة وخاصة في الفصل الذي أطلق عليه الأستاذ مالك بن بنى «المصادفات» حيث يبرهن أن هناك آيات معينة من كتاب الله تعالى، الذي أنزل على محمد قبل ثلاثة عشر قرناً ونيف، تطابق تماماً أحدث النظريات التي توصل إليها الباحثون والعلماء في عصرنا الحاضر، وهذا أقنعني بالقسم الثاني من الشهادتين وهو أشهد أن محمداً رسول الله.

أعلنت إسلامي :

ثم يختم الدكتور علي سلمان بنوا اعترافاته اللطيفة بقوله:

وهذا هو السبب الذي جعلني أقدم نفسي في يوم ٢٠ فبراير ١٩٥٣ إلى المركز الإسلامي في باريس وأعلنت إيماني بالإسلام، وقام مفتي المسجد بتسجيلي رسمياً من المسلمين، ومنحني اسماً إسلامياً هو (علي سلمان) وهو مركب من اسمين لصاحبين جليلين أحببتهما وهما: علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه، ابن عم رسول الله ﷺ ورفيقه في الجنة، وزوج ابنته السيدة فاطمة. أما الاسم الثاني فهو سلمان تيمناً بسلمان الفارسي المستشار المسلم للرسول ﷺ والذي أقبل من بلاده فارس طوعاً ليعلم إسلامه. لقد كان سلمان واحداً من عدد من المستشارين عند رسول الله ﷺ وكانوا يجيدون اللغات الأجنبية. فسلمان يعرف الفارسية، وصهيب الرومي كان يعرف اللغة الرومية - اللاتينية - وبلال الحبشي كان يعرف لغة الأحباش. وهذا يشير إلى طبيعة هذا الدين العالمية.

يقول الدكتور علي سلمان:

اننى الآن سعيد جداً بديني الجديد، وأننى أعلن مرة أخرى: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

(١) ترجمه إلى اللغة العربية الدكتور عبد الصبور شاهين.

أمريكا :

٧٧- السيدة جين اليعقوبى

ضيفنا هذه المرة من أمريكا. إنها السيدة جين اليعقوبى التى كتبت خطاباً عاجلاً إلى إخوانها المسلمين القادرين تطلب فيه مساعدتها بمنحة دراسية لإكمال رسالة (الدكتوراه) وهى سيدة لامعة تريد أن تخدم الإسلام من خلال تخصصها الأكاديمي. ولنستمع إلى ما تقوله فى رسالتها.

رسالة :

تقول: أنا أمريكية مسلمة، أسلمت قبل ست سنوات، وإننى أحمد الله سبحانه وتعالى أن هدانى إلى الصراط المستقيم الصراط الوحيدة للبشرية، وهو الإسلام.

طالبة الدكتوراه :

ثم تتحدث عن مشكلتها التى تحتاج من أجلها المساعدة من إخوانها المسلمين القادرين فتقول: أنا طالبة فى قسم (الدكتوراه بجامعة كولورادو) قبلت بعد صراع دام عدة سنوات مع العناصر المعادية للإسلام فى القسم المذكور فقد حاولت تلك العناصر الحيلولة دون قبولي لأسباب خلاصتها أننى مسلمة ليس إلا، وقد حصلت على درجات ممتازة ونلت درجة (الماجستير) مع مرتبة الشرف، وأنا الآن فى سبيل دراسة الدكتوراه، وآمل أن اكتب بحشى عن الإسلام، وعلى الرغم من حماسى الشديد لإكمال دراستى وتعليمى فإننى أحس أن النفقات المالية الضخمة التى تستلزمها هذه الدراسة أكبر مما احتمل بكثير، فقد ارتفع مستوى المعيشة وتكاليفها إلى درجة لن تمكنى من مواصلة تعليمى ما لم أحصل على مساعدة مالية لتغطية مصاريف الجامعة والحياة اليومية.

الإسلام هو البديل الوحيد :

وقضى الأخت جين اليعقوبى فى شرح مشكلتها فتقول:

وإنه من العسير على، بل من المحال أن أحصل على منحة دراسية هنا فى أمريكا. لذلك ها أنذا أتوجه إلى إخوانى المسلمين طالبة منهم العون لأختهم فى الإسلام. فأنا أول سيدة أمريكية مسلمة من ذوات البشرة البيضاء أوصل تعليمى لنيل إجازة الدكتوراه فى العلوم السياسية، وسوف أكتب عن الإسلام فى بحثى باعتباره البديل الوحيد أمام العالم وأمام أمريكا اليوم.

ثم تختتم الأخت الأمريكية المسلمة خطابها قائلة:

إذا استلزم الأمر أرجو إرسال خطابى هذا إلى جهة الاختصاص التى تقدم لى منحة دراسية كاملة، وهذا طلب عاجل جداً حيث أننى سأبدأ دراستى فى هذا الشهر سبتمبر ١٩٧٩. وسوف يكون تفهمكم لمشكلتى ومساعدتى عليها اعظم الأثر فى نفسى. وتجدون طيه كافة الأوراق والوثائق اللازمة لإثبات ما أقول.

بهذه الكلمات تختتم الأخت جين اليعقوبى رسالتها المؤثرة التى تخاطب بها ضمير كل مسلم غيور. وعنوانها الكامل هو (ص ب ٤٠٩٤ بولدر - كولورادو أمريكا) لمن أراد التبرع لها لتمكينها من الدفاع عن الإسلام من الشفرة التى تقف عليها، وحتى تثبت على قدميها، وتحس بالأخوة الإسلامية الحققة بين المسلمين. ولعل من المناسب فى هذا المقام أن ننقل ما كتبه عنها أساتذتها المشرفون على دراستها فى مراحلها الجامعية المختلفة فهى خير شاهد على صحة ما قالته هذه الأخت.

تزكيات وتفوق :

١- أما التزكية الأولى فقد صدرت عن الدكتور فيليب ميور، بجامعة كولورادو الذى كتب فى ملفها السرى قائلاً: لقد كانت جين تلميذتى فى علم النفس التربوى قبل تخرجها، وذلك فى عام ١٩٧٤. وقد عرفتها جيداً، وأحب أن أبين أولاً وقبل كل شىء أن انجازها العلمى كان جيداً جداً. فهى طالبة مجتهدة، تشعر بالمسئولية، ناضجة، ولا ريب أنها تتمتع بملكه عقلية ممتازة، كذلك وجدت أنها شخصية مخلصه، عظيمة الاهتمام بتطوير تربية الأطفال، فهى تكشف عن اهتمام صادق بالطفل كفرد، وهى تتمتع بإحساس إنسانى قوى أثناء أدائها لعملها مما سيكون له أثره الفعال فى إجادتها لمهنتها كمدرسة، وبالإضافة إلى ذلك فهى شخصية قديرة

للفاية، وتتمتع بقيم ذاتية قوية، إلا أنها مستعدة للتفاهم والتعايش مع من يخالفها.

٢- أما التزكية الثانية فتصدر عن الدكتور كورتيس مارتن، الأستاذ في قسم العلوم السياسية بجامعة كولورادو والذي كتب، يقول:

لقد بقيت لمدة ثلاث سنوات كاملة مرشداً للسيدة جين اليعقوبى إذ كانت طالبة في جميع الفصول التي علمتها، لذلك فأنا واثق من حكمى على مؤهلاتها ومقدراتها العلمية، فالسيدة جين عالمة ممتازة في ميدان العلوم السياسية وتتمتع بكفاءة خاصة في مجال السياسة، ويشير سجلها أنها طالبة جيدة جداً، أضف إلى ذلك أنها تجيد اللغة الإنجليزية، وتتمتع بخيال خصب حين تعالج الموضوعات الموكولة إليها، ولديها أفكار جيدة عن موضوعات عديدة. إلا أنها مستعدة دائماً لتغيير أفكارها إذا قدم لها الدليل الكافى على عكس ما تعتقد وأتوقع لها النجاح الكبير كمدرسة وكباحثة.

٣- ثم ننتقل إلى التزكية الثالثة، وهي من جمعية الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة وكندا فرع كولورادو التي تقول: نشهد بأن جين اليعقوبى مسلمة من حيث المعتقد حسب الإعلان الذي صدر عنها فى التاسع والعشرين من شهر يوليو عام ١٩٧٣م. هذه الشهادة موقعة من رئيس لجنة العلاقات الدينية بالجمعية وشهادة اثنين من المسلمين.

٤- نأتى الآن إلى التزكية الرابعة من السيدة كونى ستل جى، عضو الكلية التي كانت تدرس فيها السيدة جين. تقول السيدة كونى:

لقد وجدت جين ممتازة ومتفوقة حقاً أثناء عملها فى المؤسسات الاجتماعية، فهى تحسن التعبير عن رأيها، مرهفة الإحساس سريعة الفهم، بليغة. وقد أبدت الكثير من النضج والذوق والمواقف الواقعية وهى صفات لا تجدها كثيراً بين صغار السن من أمثالها، فهى تفكر وتتصرف بشكل مستقل، وتحسن الاختيار بعد تفكير كاف فى المشكلات التي تعرض لها.

وتضيف الأستاذة قائلة: لقد وجدت جين شخصية يمكن الاعتماد عليها تشعر

بالمسئولية فى أداء مهماتها. كما أن شخصيتها وإيمانها بعملها يمنحانها فرصة أفضل للنجاح، إننى أزيها دون أى تحفظ وأشعر أنها ستكون مرجعاً فى أى موقع تشغله.

٥- وأخيراً تأتى تزكية أخرى من البروفسور بولس إياد الأستاذ بجامعة كولورادو الذى أعطى الشهادة التالية عن السيدة جين. يقول: إن السيدة جين اليعقوبى طالبة متحمسة تحب العلم من أجل العلم، إننى أجد فيها مقدرةً فكية وتحليلية تمكنها من تناول أية مشكلة بكل موضوعية وتجرد وجد. وهى تلتزم بأى مشروع يوكل إليها ولا تستطيع أية عقبة أن تقف فى طريقها أو تمنعها من تحقيق أهدافها السامية. فهى مجدة دقيقة فى عملها حتى آخر لحظة، ويتبدى من عملها ومنجزاتها ما تتمتع به من كفاءة عالية وذكاء خلاق.

امتياز فى اللغة العربية :

ثم يضرب الدكتور بولس إياد مثلاً على ما يقول، فيبين أن السيدة (جين) حضرت الفصل الأول من الدروس العربية فنجحت فى الفصلين التمهيدي والمتقدم معاً، وحصلت على درجة امتياز فيهما، وكانت أحسن طالبة فى الفصلين. وبدأت تتكلم اللغة العربية قراءة وكتابة ومخاطبة، ولم يقتصر اهتمامها على الدروس فى الفصل، بل اتخذت من الفصل نقطة انطلاق لتوسيع فهمها للغة العربية وللظروف السياسية والاقتصادية والنفسية والثقافية للعرب وللشرق الأوسط وللعالم الإسلامى كذلك، وكانت بذلك كسباً كبيراً للفصول الدراسية التى شاركت فيها، وقد كنا نبحت فى عدة مناسبات عدداً من القضايا الراهنة المتعلقة بدراسة (جين) فكانت تظهر أثناء تلك المناقشات خلفية جيدة من المعلومات حول شتى الموضوعات، وأبدت تفهماً أوسع للاتجاهات والتصورات المختلفة، وهى تحترم آراء الآخرين وتستمع إليها باهتمام، وتعبّر عن رأيها الراجع بهدوء وثقة وبأسلوب أخاذ وموضوعية فائقة، وهى ودودة للغاية، محترمة، تملك مؤهلات القيادة.

وبعد هذه التزكيات حول دين السيدة جين اليعقوبى^(١)، وتفوقها العلمى لم يبق إلا

(١) لم يكتب المؤلف قصة إسلام (جين) تفصيلاً، ولكن ما نقله يدل على شىء غاية فى الأهمية، وهو: أن الذين يقبلون على الإسلام إنما هم غالباً من صفوة المثقفين والدارسين والباحثين .. إلخ.

أن يتحمس الأخوة الغيورون على دينهم لمساعدة هذه الأخت المسلمة التي تناشدنا باسم الأخوة الإسلامية التي تؤمن بها كي تتمكن من إكمال دراستها ونيل درجة (الدكتوراه) حتى تخدم من موقعها الإسلام والمسلمين، وأيم الله لو أن هذه الكفاءة عرضت على أعدائنا من دعاة المبادئ الأخرى لسارعوا إلى احتضانها وكسبها لعلمهم أنها تخدم قضاياهم الباطلة، فأحرى بنا ونحن دعاة حق أن نقوم بذلك، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.



أمريكا: ٧٨ - علياء ستيرلنج

هذه هي قصة إسلام فتاة أمريكية ولدت وتربت في قلب المجتمع الأمريكي، في عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية على وجه التحديد، حيث لا تزال تعيش أسرتها في إحدى ضواحي واشنطن الراقية، إنها الآنسة (سندار ستيرلنج) أو علياء استيرلنج كما تحب أن تدعى، لقد بحثت الأخت علياء عن الحقيقة بإخلاص فهداها الله إليها، بحثت عن الخالق جل جلاله، الرب الواحد، رب العالمين الذي لا يفرق بين الناس إلا على أساس ما يقدم كل منهم من عمل صالح فدلها على طريقه. وهي حيث تحدثك لا تتمالك من إبداء دهشتك لأنها تجيب بهلجة خليجية صرفة وكأنها قد ولدت تتكلمها.

شاطئ النجاة

تقول الأخت علياء عن قصة إسلامها:

لقد أسلمت لأنى وجدت الإجابة عن السؤال المحير في الإسلام، ثم تضيف قائلة: وجدت في حوزة والدتي بعض الكتب عن اللغة العربية وعن الدين الإسلامي، كانت قد اشترتها منذ سنوات طويلة أثناء تواجدها في القاهرة، حيث كان جدي لأمي يعمل في السفارة الأمريكية هناك وتعيش معه أسرته ومنها والدتي. وبين هذه الكتب وجدت مصحفاً مترجماً إلى اللغة الإنجليزية، ومع أن الذي قام بترجمته مستشرق إنجليزي من الطراز التقليدي الحاقد الذي يحاول أن ينال من دين الإسلام الحنيف، فقد أدى إلى إثارة اهتمامي بهذا الدين.

وتضيف الأخت علياء استيرلنج قائلة:

بعد ذلك قرأت كتاباً عن إعجاز القرآن مما زاد اهتمامي بالإسلام، فذهبت إلى المركز الإسلامي بواشنطن كسائحة عادية، وهناك أخذت عدداً من المنشورات والكتيبات التي تشرح معنى الإسلام وتاريخه وسيرة الرسول الكريم ﷺ، فأخذت أقرأها، وكانت هذه هي البداية.

التوحيد في الإسلام :

وتمضى الأخت علياء في قصتها فتقول: لقد أجابت العقيدة الإسلامية على كافة الأسئلة التي كانت تدور في ذهني، وأنا الآن أؤمن بالإله الواحد لا شريك له، لقد عرفت أن الإسلام أساسه التوحيد، ولكن التوحيد في الإسلام لم أجد مثيلاً له في الأديان السماوية التي تربيت على معرفتها. فاليهودية مثلاً تنادي بالتوحيد ولكن حسب ما يقول أتباع هذه العقيدة فإن الرب الواحد عندهم قد اختص شعباً واحداً بالذات يفضله وهم اليهود الذين يزعمون أنهم شعب الله المختار، وهذا ليس من المنطق في شيء، إذ كيف يفضل الله خالق كل شيء بعضاً من خلقه سواء أكانوا مسيئين أم محسنين على سائر الخلق؟ لم يستطع عقلي قبول هذا المنطق.

ثم تشير الأخت علياء إلى الديانة النصرانية فتقول: والديانة النصرانية هي بالفعل دين عالمي، إلا أن فكرة التوحيد فيها تشير أكثر من تساؤل، إذ كيف يكون عيسى بن مريم عليه السلام ابناً لله سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً؟ فهذا شرك بالله مناف تاماً لعقيدة التوحيد ومناقض لها من الأساس. ولذلك، فعلى الرغم من أن الديانة النصرانية هي دين الكثير من الشعوب والأمم إلا أنها لا يمكن أن تزعم بحق أنها تنادي بعقيدة التوحيد، وهنا يأتي الإسلام دون سائر الأديان الأخرى المتزلة ليكون بحق دين التوحيد الخالص لله رب العالمين. وهذا يجعله دين الناس جميعاً.

قلت للأخت علياء: حين اقتنعت بذلك ماذا فعلت. هل غيرت من خط سير حياتك وفقاً لاعتقادك الجديد أم ماذا فعلت؟ فقالت:

الواقع إنني بالرغم من أن قلبي كان مقتنعاً تماماً بذلك مطمئناً إليه كل الاطمئنان، إلا أنني تمهلتم ولم أتخذ قرارى إلا قبل عامين فقط حيث أعلنت إسلامي على الملأ.

تشويه الإسلام في الغرب :

ولقد واجهتني بعض الصعاب في البداية وخاصة أن مفهوم الإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية مشوه جداً مع الأسف تماماً كما هي الصورة في الغرب، فمثلاً لا يعرف الغربيون أن الإسلام يدعو إلى التوحيد، ويجهلون تماماً حقيقة شخصية الرسول محمد ﷺ، فليس سراً أن طلاب المدارس في الولايات المتحدة الأمريكية يدرسون في المرحلة

الإبتدائية وحتى نهاية المرحلة الثانوية أن الإسلام دين بدائى متخلف انتشر بالسيف وأن المنادى به - ويقصدون النبى محمد ﷺ - كان تاجراً غنياً... إلى آخر هذا الكلام الذى شَبَتْ عليه أجيال هنا فى أمريكا. لذلك كان من الصعب جداً على أهلى وأصدقائى أن يتفهموا الخطوة التى أقدمت عليها. واعتقدوا فى مبدأ الأمر أنها نزعة عارضة سريعاً ما تزول وأنساها تماماً.

ثم تقول: ولكن بعد أن مر عامان ورأى الجميع من حولى أننى أصبحت أكثر تمسكاً بدينى، الذى أخذ يزيد إيمانى به كلما ازدادت اطلاعاً ودراسة لتعاليمه، عندها بدأ الأصدقاء يسألون أسئلة جديدة حول طبيعة الإسلام بعد أن كانت أسئلتهم السابقة مجرد محاولات استهزاء وسخرية.

وَسَائِلُ لِلْعَلَّاجِ :

وعن الصورة المشوهة للإسلام فى الغرب سألت الأخت علياء عن رأيها فى كيفية تغيير هذه الصورة فردت على ذلك بقولها:

يجب أولاً: أن يكون هناك اهتمام حقيقى من جانب العرب والمسلمين المتواجدين بصفة دائمة فى الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا فى اعتقادى غير متوفر الآن بصورة منظمة وشاملة. فوسائل الإعلام فى أمريكا مثلاً حساسة جداً تجاه رأى العام الأمريكى، وردد فعله. وهذه نقطة تستغلها الحركة الصهيونية فى أمريكا. فإذا قامت إحدى الصحف بنشر مقال أو قامت محطة من محطات الإذاعة أو التلفزيون بعرض برنامج يهدد المصالح الصهيونية، فإن المكالمات الهاتفية لا تنقطع بل تنقض عليها من كل صوب، كما تنهمر آلاف الخطابات والبرقيات من كافة أنحاء أمريكا على المسئولين فى الصحيفة أو محطة الإذاعة أو التلفزيون، هذا بالإضافة إلى توجيه شتى التهم حقيقية كانت أم مزورة للصحيفة أو محطة الإرسال المعينة مما يهدد كيانها ذاته.

وهنا تعقد الأخت علياء مقارنة بين هذا النشاط الصهيونى المتحفز وما يقابله على الصعيد الإسلامى فتقول: ولكن هذا المجهود الجماعى، والاهتمام المتيقظ لا يوجد مثله بين المسلمين مع الأسف تجاه القضايا الإسلامية المصرية ولا حتى القضايا العربية. وإذا كان ثمة نشاط أو اهتمام فهو لا يعدو أن يكون نشاطاً فردياً لا يمكن أن يحقق تأثيراً

يذكر، وأعتقد أن اللوم هنا يقع على المسلمين والعرب الأمريكيين وغيرهم من الجماعات الإسلامية في أمريكا. فلو أن كل فرد أو جماعة من هؤلاء قام بإرسال خطاب احتجاج، أو أجرى مكالمة هاتفية كلما نشر شيء يسيء للإسلام والمسلمين، لو تم ذلك بصورة منظمة لتغيرت الصورة تماماً، ولتحسنت فكرة الغربيين كثيراً عن الإسلام والمسلمين وعن القضايا العربية والإسلامية بشكل عام، عما هي عليه الآن.

العربية لغة القرآن :

وأخيراً سئلت الأخت علياء عن قصتها مع اللغة العربية وكيف تم لها إتقانها بهذا الشكل المعجب؟ فأجابت بقولها:

منذ الصغر وأنا اهتم، وأملك القدرة علي تعلم اللغات الأجنبية، ففي المرحلة الابتدائية درست اللغة الفرنسية، وأتقنتها، وفي المرحلة الثانوية درست اللغة الأسبانية، أما اللغة العربية فقد بدأت قصة اهتمامي لها منذ خمس سنوات حين عثرت بين كتب والدي التي أحضرتها من القاهرة على كتاب لتعليم اللغة العربية بالأحرف اللاتينية، وحين سجلت في الجامعة لدراسة الطب سجلت أيضاً لأخذ بعض فصول اللغة العربية التي تدرس في نفس الجامعة بأمريكا، وقد أثارت العربية اهتمامي بشكل كبير مما جعلني أغير اختصاصي من الطب إلى اللغة العربية.

وأخيراً تقول الأخت علياء، معلقة على ظاهرة إتقانها لهجة الكويتية وكأنها ولدت كذلك: أما عن لهجتي الكويتية فقد شاركتني أخت كويتية كانت تدرس بواشنطن شاركتني السكن فترة من الزمن، فتعلمت منها هذه اللهجة، كما تعلمت منها أشياء أخرى كثيرة، فقد كنا نقوم معاً بإعداد الطعام على الطريقة الكويتية ونأكله معاً على الطريقة الكويتية كذلك.

نحية للأخت واعتزاز :

ولا بد هنا من كلمة نحيي فيها إيجابية الأخت المسلمة الجديدة علياء التي شعرت بمسئولية كل مسلم في أمريكا تجاه قضايا الإسلام والمسلمين، والحق أن الإسلام بحض كل مسلم على القيام بواجبه، فكل واحد منا على ثغره على قدر المسئولية التي

يتحملها، ولو أن كل مسلم في العالم، لا بل لو أن عشر المسلمين في العالم فقط أحس بمسئوليته وقام بواجبه على قدر طاقته، لأصبح المسلمون اليوم أكبر قوة في الدنيا، ومن هنا يعتبر مرض السلبية الذي يصيب الكثير من المسلمين اليوم آفة خطيرة يجب محاربتها والتخلص منها في أسرع وقت ممكن. والله هو الهادي إلى كل خير.

ناحية أخرى تعزز بها الأخت علياء الأمريكية التي نشأت في ظل عائلة أرستقراطية في أرقى الأحياء الأمريكية، هذه الظاهرة هي شعورها بالسعادة وهي تتناول الطعام على الطريقة الشرقية، هذا الاعتزاز أيضاً هو ظاهرة صحية تستحق الإكبار والتشجيع، فعلينا كمسلمين أن نعزز بالحق الذي وهبنا الله إياه، وأن نعتبره خيراً ما في هذا الكون، لأننا لن نتخلص من السلبية إلا بالاعتزاز بما في أيدينا. عندها لن نستحي من الجهر بالحق والدعوة إليه علناً وعلى رؤوس الأشهاد.

حَدِيثٌ عَنِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ :

نعود الآن إلى الأخت علياء التي انتهت من إعداد رسالة (الماجستير) في الأدب العربي، والتي تقوم بتدريس اللغة العربية لطلبة الجامعة التي درست فيها - وهي إحدى الجامعات الأمريكية - تتابع الأنسة علياء حديثها عن العربية بقولها:

لقد أثرت معرفتي للغة العربية وساهمت في فهم وتقدير الحضارة العربية بوجه عام، ففي العام الثاني من دراستي الجامعية ذهبت في بعثة على حساب الحكومة الأمريكية إلى تونس، وكانت لغتي العربية آنذاك ضعيفة للغاية، هناك في تونس وجدت العرب كرماء، واجتماعيين بشكل عام، وقد تحسنت لغتي كثيراً بفضل هذه الرحلات، كما تحسنت معرفتي للثقافة العربية، إذ أن اللغة كما هو معلوم هي الباب الذي يتعرف الإنسان من خلاله على شعب بأكمله، واللغة العربية لغة حية تملك تراثاً من الأدب العربي لا يقل عمره عن أربعة عشر قرناً، مما يجعلها واحدة من أغنى اللغات وإنني حين أقوم بتدريس اللغة العربية للطلبة المبتدئين في الجامعة أحاول التأكيد على هذه النقاط، والتركيز على رؤية قيمة اللغة من عدة جوانب، كمصدر للمعلومات حول حضارة العرب وكافة خصائصهم الاجتماعية.

القدوة العملية :

وأخيراً قيل للآنسة علياء:

هل تعتقدين أن معرفتك بالأخوات والإخوة المسلمين قد أثرت على فهمك للإسلام واقتناعك به بنفس الطريقة التي أثرت معرفتك للغة العربية على فهمك لثقافة المنطقة وحضارتها؟ فأجابت تقول بصوت هادئ رزين وابتسامة لم تفارقها طيلة هذا الحديث:

لا. بل أستطيع أن أقول بأن العكس هو الصحيح. إذ أن اقتناعي بالإسلام واعتناقي لهذا الدين قد زاد مع ازدياد تعرفي على الكثير من الإخوة المسلمين، فهناك الكثير من الإخوة المسلمين الذين يعتبرون أمثلة ممتازة وقدوة عملية للمسلم، وقد ساهم ذلك في توكيد قوة إيماني بالإسلام.



فرنسا، ٧٩- جاشنة

(بموانع للبير - عالمة الزرة)

نأتى الآن إلى ضيفتنا فى هذه الحلقة وهى من فرنسا إنها الآنسة (جوان لابير) عالمة الذارة الفرنسية التى تحضر لنيل إجازة الدكتوراه فى هذا التخصص المهم. وقد تحدثت بإيجاز عن قصة إسلامها فقالت:

بداية الفصّة

لقد قررت أن اعتنق الإسلام من خلال بحوثى ودراساتى العلمية والإسلامية. وعندها قررت أن أتعلم اللغة العربية، فبدأت فى دراستها حتى أتقنتها فى وقت قصير. ثم توجهت إلى مصر حيث أعلنت إسلامى على يد شيخ الجامع الأزهر. ومنذ ذلك اليوم سميت نفسى باسم إسلامى هو (عائشة).

قيل للأخت جوان لابير: إنك فى اختيارك للإسلام قد سلكت طريقاً مغايراً تماماً للميول الاعتيادية للشباب الغربى الذى يميل إلى الإلحاد واللا دينية. فما هو تعليقك على ذلك وما تفسيرك له؟ فقالت:

إن الإسلام هو خير دين يأخذ بعين الاعتبار مصلحة الشباب، ويضع الحلول الناجعة للمشكلات التى تواجههم فى حياتهم، فنحن كشباب فى الغرب نرفض (رومانسية) الدين، وكذلك الأوضاع المادية الراهنة، والمخرج الوحيد من هذا المأزق المعقد الصعب لا يتم إلا بالإيمان بالله الواحد الأحد. فقد بلغ شبابنا فى رفضه لقضية الإيمان بالله حداً جعلهم يسقطون تماماً كما سقط إبليس. وقليل جداً منهم أتاحت له مثلى فرصة الإيمان، فرصة التأمل والبحث والدراسة التى هدتنى إلى حل تلك المعضلة بالدخول فى هذا الدين.

يقول الله تعالى فى القرآن الكريم:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].. ويقول عز وجل: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ

وَلَهُ اسْتَلَمَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿ [آل عمران: ٨٣] ﴿ قُولُوا
آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا
أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿
[البقرة: ١٣٦].

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل
عمران: ٨٥].

وأخيراً تختم الأنسة عائشة أو جوان لابيير عالمة الذرة الفرنسية المسلمة حديثها عن
إسلامها بقولها:

إن الغرب لا يعرف إلا القليل عن الإسلام، ومعظم ما يقال عن الإسلام في الغرب لا
يعدو أن يكون شبهاً وأباطيل، لذلك فقد آن الأوان أن تقوم المراكز الإسلامية في
أوروبا، والعلماء المسلمون، بواجبهم لنشر الإسلام وإنقاذ البشرية من الضلال.

اللهم حقق هذا الرجاء، ووفق عبادك إلى خير ما تحب وترضى



أمريكا،

٨٠- أمين عبد الغنى

هذه هي قصة إسلام عضو بارز من أعضاء الجالية المسلمة فى إنديانا يولس بالولايات المتحدة الأمريكية. إنه الأخ أمين عبد الغنى الذى يبدأ قصته بقوله:

الإيمان السلي:

نشأت فى أسرة تلتزم تعاليم الكنيسة ولم يكن والدائى من الأثرياء، إلا أنه كانت لنا دار نعيش فيها بأمان، وكنا نلقى الاحترام كأسرة فاضلة فى المجتمع من حولنا فكان أبى يعمل فى هيئة التدريس فى كلية لاهوتية. وبطبيعة الحال كان الجو من حولنا مفعما دائما بالمبادئ، والقيم الدينية المسيحية، ولكننى وأنا أتذكر ذلك كله الآن أجد أن الخوف من الله والإحساس بوجوده كان غائبا عنا تماما.

أقوال بلا أعمال:

بعد ذلك يضيف الأخ أمين عبد الغنى، الأخ الأمريكى المسلم الجديد قائلاً: وكنا نقطن فى الجنوب وهو معقل تقليدى للديانة النصرانية، فكنت أسمع كثيراً عن الحب النصرانى وغير ذلك من الفضائل، إلا إننى كلما نظرت من حولى وجدت أن هذه الفضائل ذاتها مفقودة من حياة الناس، فكان الحب النصرانى بلاغة لفظية ليس إلا، أكثر مما هو حقيقة واقعة، أما معبود الناس حقاً فهو العنصرية، فكنت أشاهد هذه الازدواجية فى حياتهم، ومرار الزمن ازداد غضبى وغما مع الأيام حتى ضقت ذرعاً بتلك العنصرية المكشوفة، وهكذا بدأت أسير فى حياتى بلا معنى، وأتحرك بلا محور، بل كنت أبحث عن الملذات وانغمس فى مزيد من الشهوات الحسية. إلا إن شيئاً ما كان يضايقنى ويقض مضجعى.

لا بد هنا من تعليق ضرورى ونحن نستمتع إلى الأخ أمين عبد الغنى، إذ أن الناس حين تفقد القدوة الطيبة والمثال الحسن تضيع فى المتاهات، فبنو آدم يتأثرون بالأعمال أكثر من الأقوال. فإذا تحدثت ألسنتنا عن فضائل مفقودة فى حياتنا، عندها يسقط كل شىء، ولا يبقى أى إيمان بالمبادئ والمثل ولو لحظة واحدة، هذا هو بيت القصيد.

قلوب وسقوط :

نعود الآن إلى السيد أمين عبد الغنى فنجده يقول: لقد تخرجت من المدرسة العليا والتحققت بجامعة بيردو بإنديانا ولأول مرة فى حياتى أصبحت أعيش بعيداً عن منزل أسرتى. فشعرت بالقلق والاضطراب، بل حتى داهمنى شعور بالعداء لمن حولى، لقد أحسست أن شيئاً ما مفقود من حياتى، فتركت جامعة بيردو وأقمت لنفسى عملاً حراً خاصاً بى وأسميته : «السوق السوداء». كنت حينئذ متطرفاً وثورياً إلى درجة أننى كنت على استعداد لإشعال النار فى العالم كله . وأدمنت على تناول المخدرات وتعاطى الجنس!!

ثم يضيف السيد أمين عبد الغنى معلقاً على الدرك الذى وصل إليه من السقوط والانحراف فيقول:

لقد مضت فترة قصيرة فقط كنت أظن خلالها أننى حصلت على ما أريد. إذ تهباً لى آنذاك أن لى فلسفة أحيأ بها، وأن لى أصدقاء على درجة كبيرة من شفافية الإحساس والرفعة فى نظرتهم إلى الحياة، كما حسبت أننى أمتلك حرىتى، ولكن سرعان ما تبدد سحر ذلك كله وبهجته الزائفة، واكتشفت أن البغضاء ذلك الشعور السلبى لا يكفى أن يكون أساساً للحياة، وما حسبت أنه حرية أخذ يثقلنى بنوع جديد من العبودية، وهكذا أخذت أتوق إلى العفة والطهارة، وإلى شىء إيجابى أقيم حياتى على أساسه، لقد اكتشفت أن كل ما حولى لم يكن سوى هباءً وحطاماً، وأن الثوريين يفتقدون الإحساس والمبادئ والأخلاق. لقد كانوا يحتاجون إلى الشعور بأنه لا مناص من الموت.

بداية الاستقامة :

ويستمر الأخ أمين عبد الغنى فى سرد مزيد من التفاصيل حول التغير الجذرى الذى حدث فى حياته فيقول: فى صراعى ضد العنصرية البيضاء كنت أعتنق العنصرية السوداء ولكن اكتشفت أن من الضرورى أن أجد حلاً أفضل. فشرعت فى إعادة دراسة الفروض الأساسية من حياتى، وهكذا اكتشفت أنها جميعاً كانت مغلوطة، وذات يوم دعانى بعض أصدقائى إلى احتفالات عيد الميلاد التى يقيمها السود، وهناك التقيت لأول مرة فى حياتى بالمسلمين، وهؤلاء كانوا مسلمين جداً اعتنقوا الإسلام مؤخراً،

وكانوا يرتدون الملابس التقليدية للمسلمين فى الشرق، ودون أن يلتفتوا إلى تلك المناسبة وما يصاحبها عادة من روح المرح والبهجة عندما يلتقى الناس فى حفلات عيد الميلاد أخذ هؤلاء المسلمون الجدد يرتلون آيات من القرآن الكريم، وقد بدأ كل شىء غريباً فى تلك المناسبة، إلا أن شجاعتهم وإخلاصهم أثرا فى نفسى كثيراً، بل إن بعض المحاضرين اعتنق الإسلام على أيديهم فى الحقل نفسه.

دراسة الأديان :

ثم يصف الأخ أمين تأثير ذلك الجمع فى حياته كلها فيقول:

لم يمض إلا وقت قصير على تلك الأمسية حتى هجرت عملى باشمزاز، وتركت منزلى وتوجهت إلى (أفونز فيل بإنديانا). وهناك حصلت على عمل جديد، وفى ساعات الفراغ كنت أقوم بدراسة مقارنة للأديان. لم أكن أبحث إلا عن الحقيقة، فشرعت فى دراسة الهندوكية والبوذية. فوجدت فيها كثيراً من الفلسفة وقليلاً من الحياة، وحيث إننى كنت قد اطلعت على الإنجيل بحكم كونى نصرانياً، فقد راجعته على عجل خلال تلك الدراسة المقارنة، فلم أجد تعاليمه موافقه للعقل والمنطق.

مُحجزة القرآن والأديان :

أما القرآن الكريم، فقد وجدته على العكس من ذلك تماماً، وجدته واضحاً، صريحاً يخاطب العقل بأسلوب غاية فى المنطق. وذات يوم قدمنى صديق لى إلى جمعية الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة، فكتبت إليها وطلبت بعض المؤلفات المبسطة عن الإسلام باللغة الإنجليزية، وسرعان ما جاءت تلك المؤلفات، وبعد دراسة دقيقة لها دامت قرابة تسعة أشهر قررت أن أصبح مسلماً.

وهنا يشير الأخ أمين إلى التغير الذى طرأ على حياته بعد أن أسلم فيقول:

عندما عدت إلى إنديانا بولس وجدت رفيقى الذى كان يشاطرنى غرفة السكن قد أسلم هو الآخر، فأدى ذلك إلى تقوية إيمانى وتثبيتى على دينى الجديد، ولكن كان على أن أواجه مشكلة جديدة هذه المرة، فقد بدأت أعمل فى وظيفة لحكومة الولاية كخبير فى برنامج التنمية، وكان عملى يتطلب وضع برامج لتنمية الشباب، ولما كنت قد أطلقت

لحيثى عملاً بالسنة النبوية الشريفة، وهجرت الملابس الحديثة وانسحبت من المجتمع الأمريكي وتخلت عن مبادئه لذلك أصبحت إنساناً منعزلاً تماماً، وكانت الحكومة الاتحادية تدفع ملايين الدولارات لبرامج الشباب، فاكتشفت الكثير من حوادث النهب وكان البرنامج سيئاً فى تطبيقه، وهكذا تعطلت عن العمل، وكانت زوجتى حاملاً فى أشهرها الأخيرة، وكان انسابى أهل زوجتى يكادون يجنون من الغضب لأنهم ظنوا أننى أجريت غسيل مخ لابنتهم. وهكذا فعندما رزقنا مولودنا الأول لم يكن أحد من أقاربنا يقف إلى جانبنا. ولكن الله بالإسلام منحنا القوة، وأعاد إلينا إحساسنا بالكرامة والعزة.

ضغوطاً وثبات :

وأخيراً سئل الأخ أمين عبد الغنى عن التغييرات التى أحدثها الإسلام فى حياته فقال:

لقد آمنت بعد إسلامى بضرورة كسب رزقى بطريق شريف، فأخذت أعمل فى صبح المنازل وأعمال الحدائق، وهذه أعمال لم أكن ارضى القيام بها قبل إسلامى، وقد أدى تغيير اسمى إلى تقلص فرص العمل أمامى، إذ سبب لى اسمى الإسلامى مزيداً من العداوات الغريبة، وذات مرة استخدمت اسمى القديم فى طلب للعمل فحصلت عليه، وهنا بددت ذلك الشعور وحسبت أنه نوع من الوهم ولكن سرعان ما اقتنعت بوجوده حين طردت من عملى بسبب اسمى، ولكنى رغم ذلك كله معتز لكونى مسلماً فالحمد لله على ذلك.

لقد دفع الأخ أمين الكثير من أجل إسلامه، فتحمله واحتسبه عند الله الذى لا تضيع عنده الودائع، وتقبله بكل هدوء وسكينة. وهو يختم حديثه بقوله:

« فى ثلاث مناسبات مختلفة تسلمت بطاقات مخالقات مرور، فعندما توجهت بها إلى المحكمة ووقفت أمام القاضى أمر بتغريمى ثلاثمائة دولار أمريكى، فأعريت عن دهشتى الشديدة لذلك حيث أن أقصى غرامة فى مثل هذه المخالقات لا تزيد عادة على مائة وخمسين دولاراً، فأخذت أعترض على ذلك وأناقش القاضى، فاستاء من ذلك وأمر بحبسى رهن التحقيق وتأديباً لى على اعتراضى على قرار المحكمة، وفى المساء

عندما فرغت المحكمة من النظر فى القضايا المعروضة عليها فى اليوم نفسه أخرجت من الزنزانة ومثلت أمام القاضى فى المحكمة ثانية، فسألنى قائلاً: هل أنت موافق على دفع الغرامة؟ ، «فأجبتته قائلاً : نعم. ولكن ليس ٣٠٠ دولار. لأن ذلك ليس من العدل، وهنا سجلت المحكمة ملاحظة ضدى مفادها أننى أبديت التمرد والعصيان، وأننى لا التزم بقوانين المجتمع ولا أومن بقيمه ومثله، وأننى غيرت حتى إسمى نفسه.

ثم يبين الأخ أمين كيف خرج من تلك الأزمة فيقول:

أخذت أمسح حبات العرق الذى أخذ يتصبب من جبينى ودفعت الغرامة وخرجت من المحكمة، ولكننى لم أشعر بالأسف على ما حدث لى أبدأ. فأنا سعيد بإسلامى حتى ولو غيرت مجرى حياتى كلها، فإننى أفضل أن أكون مسلماً وأن أظل مسلماً. اهـ.

تعليق المؤلف :

يقول الأستاذ سيد قطب فى تفسيره «فى ظلال القرآن» خاطرة لطيفة يحسن أن نوردتها هنا: إذا كان الموت فى سبيل الله وهو أمنية كل مسلم صادق، إذا كان أمراً يسيراً على المخلصين، فإن الحياة فى ظل الإسلام أمر صعب يحتاج إلى مكابدة النفس وجهادها، لأنها الجهاد الأكبر، والقتال فى سبيل الله هو الجهاد الأصغر. فالله أمتنا على هذا الجهاد وشرفنا للعيش فى ظلال القرآن.



المانيآ : ٨١- السيدة إيفاماريا

ضيفنا فى هذه الحلقة هو السيدة إيفا ماريا من المانيا الغربية. إنها تبدأ قصتها بقولها: عندما عرفت الإسلام لأول مرة كنت بعيدة كل البعد عن أى نوع من المعتقدات الدينية، وقد يكون مرد ذلك إلى أننى أنتمى إلى أسرة لم تكن مهتمة بالمسائل الدينية، كما قد يكون السبب أيضاً هو أن ديانتى المسيحية قد بدت لى غير واقعية على الإطلاق، وليس بمقدورها حل أى من المشكلات التى كنت أراجها.

تحريفان البشرى الدين :

بعد ذلك تتحدث السيدة إيفا ماريا بمزيد من التفصيل عن هذه الناحية فتقول:

لقد وجدت بادية ذى بدء أن صورة المعبود عند النصارى قريبة جداً منا معشر البشر، وقد أضيفت عليها صفات الإنسان إلى درجة لا تجعلها تنطبق على خالق كل شىء، كما أن صورة السيد المسيح عليه السلام التى يجمع فيها بين الإنسان وصفة الخالق، هذه الصورة لا يمكن تصديقها أبداً.

ثم تضيف قائلة: وإلى جانب ذلك فقد ورد بخاطرى أن الديانة المسيحية ليست إلا علاقة بين الإنسان وربه، ولا شأن لها بأى حال من الأحوال بشئون الناس الاعتيادية كالثقون المالية مثلاً أو العمالة أو أى نوع من أنواع التقنين لحياة الناس، أضف إلى ذلك التوجيهات العامة، التى وجدت أنها عسيرة التطبيق. ومن ذلك مبدأ المحبة، محبة الإنسان لأخيه الإنسان، هذا المبدأ لا يمكن أن تطبقه جماهير الناس فى ظل العقيدة النصرانية.

الإسلام دين الحق الشامل :

وهنا تتحدث عن نقطة التحول فى حياتها فتقول:

هذه الأفكار التى كانت ترد بخاطرى وقعت إبان الفترة التى تسمى فترة تمرد الطلاب على الرأسمالية، فعندما بحثت هذه القضايا مع زميل مسلم أصبح فيما بعد زوجاً لى،

وجدت أن الإسلام قد وضع في اعتباره كل هذه المشكلات، واهتم بها أعظم الاهتمام كمشكلة الاستغلال أو القوانين العامة الديمقراطية، وغير الديمقراطية ومشكلة المال والاقتصاد.. إلخ. فقد أوجد الإسلام الحلول المناسبة لكافة هذه المشكلات الدنيوية. وكم كان تأثير عظيمًا حين علمت أن الإسلام يعترف بالإنسان باعتباره مخلوقًا له روح وجسد في آن واحد، كما أحببت مبدأ الاتصال المباشر بين الإنسان وخالقه دون أية وساطة من أي نوع بينهما، فقد شعرت أن من اللائق جداً للإنسان أن يخضع لخالقه فقط لا لأى أحد من خلقه!!

وقضى السيدة إيفا ماريا في قصتها فتقول:

كذلك شرح لى زميلى المسلم بأنه فى الإسلام لا يوجد أى فصل بين الدين والدولة، فافتنعت بذلك تمامًا، حيث وجدت من الضرورى أن لا يقتصر الإيمان والاعتقاد الدينى على الشئون الشخصية فحسب، بل لابد أن يشمل كافة جوانب الحياة الإنسانية. وهذه صفة مميزة وخاصية فريدة للدين الإسلامى الخفيف. فهو لا يرفع شعار دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله، بل على العكس من ذلك تمامًا إذ أن العبادة فى الإسلام لا تقتصر على المساجد بل تمتد لتشمل الحياة البشرية بأسرها

ضغوط الواقع وحياة المرأة :

بعد هذا البيان النير والفهم الصحيح لطبيعة هذا الدين تضيف السيدة إيفا قائلة:

عندما كنت أمر فى هذه المرحلة من تجميع المعلومات والقيام بدراسات دينية فقد صادقت بعض المصاعب والعقبات، وكان عسيراً على نفسى أن أتقبل القيود التى يفرضها الإسلام على المرأة، والتى ظننت خطأ حينذاك أنها تحد من حريتها الشخصية، وهذه على كل حال هى نفس الحرية والتسيب الذى اعتدت أن انتقده فى ديانتى السابقة، وهى حرية يساه فهمها واستخدامها فقد اكتشفت أن الفهم النظرى شىء والتطبيق العملى شىء آخر تمامًا، وأذكر هنا أن اللباس الإسلامى للمرأة كان فى البداية مشكلة كبرى بالنسبة لى، وأظن أن هذا ينطبق على معظم السيدات الألمانيات المسلمات. فإلى جانب الإحساس بعدم الارتياح والشعور بالحر الشديد والمرأة فى لباس كامل فى الصيف، فقد كان من العسير على أن أصمد أمام أسئلة التهكم والاحتقار

التي كانت توجه لى، وقد استمر ذلك حتى وفقنى الله إلى الرد بإجابات كريمة ردت لى اعتبارى أمام نفسى وأمام الناس، دون أن أحس بأننى قد أوذيت أو خدش حياتى.

يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ

وهنا تقول السيدة إيفا: ثم تعرفت على مجموعة من الشابات المسلمات، فكم كان تأثيرى عظيماً لما لمستته بين أفرادها من حب وجو أخوى يسود بين الجميع، وهو جو يختلف تماماً عما هو سائد بين أى جماعة عرفتها من قبل، فقد منحنى الانضمام إلى هذه الجماعة الإسلامية إحساساً بالسعادة والثقة، وهكذا اقتنعت أننى اتخذت القرار الصحيح حين أصبحت مسلمة، وقد كان ذلك الإحساس بمشابة تعويض مناسب لكل ما لقيته من عقبات نتيجة لهذا القرار.

ولدينا الآن اجتماع أسبوعى للمرأة المسلمة مع أطفالنا حيث نتعلم المزيد عن ديننا الإسلامى الجديد.

ثم تختم السيدة إيفا ماريا قصتها بقولها:

لقد وقع اختيارى على كتاب باللغة الإنجليزية بقلم الإمام وهبى إسماعيل إمام المسلمين الألبان فى أمريكا، وهو عن سيرة النبى محمد ﷺ وترجمته إلى اللغة الألمانية. وهو مؤلف خصيصاً للطفل الألمانى المسلم.

وبعد، فإن جالية إسلامية جديدة قد بدأت بالظهور فى ألمانيا الغربية مكونة من الألمان أنفسهم إلى جانب الأتراك المسلمين المهاجرين إلى ألمانيا، هذه الجالية تحرص على تطبيق الإسلام والعيش فى ظلاله، والسيدة إيفا ماريا عضو فى هذه الجالية. سائلين الله أن يبارك فى هذا الجمع الطيب.



أمريكا : ٨٢- بول رتشارد هتر

نستضيف في هذه الحلقة شاباً من أمريكا يدعى «بول رتشارد هنز» جاء إلى الكويت قادماً من السعودية بعد أن أشهر إسلامه أمام الندوة العالمية للشباب المسلم في الرياض، وحصل منها على شهادة بذلك، كما زودته ببعض الكتب الإسلامية، والسيد بول شاب في الثلاثين من عمره يعمل «مهندس ميكانيكي» في بغداد، وقد أبدى رغبة في الزواج من فتاة عراقية مسلمة، فاشتراط أهلها عليه أن يأتيهم بشهادة رسمية من إحدى الوزارات في إحدى البلاد الإسلامية تثبت أنه مسلم، فلما قَدَّم لهم شهادة الندوة رفضوها وقالوا له لا نعرف هذا الاسم، وهكذا جاء إلى الكويت وراجع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.

قلت لأخي المسلم الجديد: هل تريد أن تسلم حتى تتزوج من هذه الفتاة العراقية؟ فقال مستنكراً. لقد أسملت قبل أن أعرفها، ولكن أبي أهلها إلا أن آتيهم بشهادة رسمية فأنا الآن مسلم.

قلت له: لماذا أسلمت؟ فقال: لقد أحببت الإسلام لسببين: أولاً أنه دين يدعو إلى الإيمان بآله واحد لا شريك له، على العكس من الأديان الأخرى التي تشرك مع الله أحداً من خلقه، وتجعل بين الناس وريهم واسطة أما الإسلام فيدعو إلى عبادة الله وحده، دون أية واسطة. كما أحببت في هذا الدين إيمانه بالأديان السماوية الأخرى مع أنها مع الأسف لا تؤمن به.

وقد قال لي صديق مسلم من السعودية محاوراً طريفة بهذا الخصوص. قال: اجتمع ثلاثة نفر يمثلون الأديان الرئيسية الثلاثة: الإسلام والمسيحية واليهودية. فقال المسلم للأول: أنا أو من بما جاء به نبيكم عيسى عليه السلام؟ فقال نعم. وقال لليهودي: وأنا أو من بما جاء به سيدنا موسى عليه السلام؟ فقال نعم. فقال المسلم: ولكنكما لا تؤمنان بما جاء به محمد ﷺ، وليس ذلك فحسب بل لا يؤمن الواحد منكما بما جاء في دين الآخر، فأنا الوحيد الذي أو من بالأديان الثلاثة كما أنزلت على أنبياء الله موسى وعيسى ومحمد، فانظرا إلى هذا الفارق.

متى سمعت عن الإسلام؟

قلت للأخ بول هنز: متى كان أول ما سمعت عن الإسلام؟ فأجاب قائلاً: عندما كنت في متشجن وهو موطنى الأصلي بالولايات المتحدة الأمريكية سمعت أن اللاعب الشهير كريم عبدالجبار، أشهر لاعب كرة سلة في العالم قد غيّر اسمه من «ليو السندور» إلى «كريم عبدالجبار» لأنه اتخذ الإسلام ديناً^(١). كما سمعت أن الملاك الشهير كاسيوس كلاي قد أصبح اسمه محمد على فتساءلت عن الإسلام؟ ولما قدمت للعمل كمهندس ميكانيكى في العراق عرفت المزيد عن هذا الدين حتى آمنت به، ولكن قومي في أمريكا لا يعرفون شيئاً يذكر عن الإسلام.

ويضيف الأخ بول: أريد أن أقرأ المزيد عن الإسلام. وهنا قدمت له مجموعة من الكتب الإسلامية باللغة الإنجليزية فأخذها وأهدى اهتماماً كبيراً لقراءتها.

قلت للسيد بول: هل سبق أن نطقت بالشهادتين؟ فقال: نعم، وعندي استعداد أن أرددها في أى وقت. فأخذ يردد الشهادتين باللغة العربية ثم باللغة الإنجليزية وشهد أن عيسى عليه السلام هو عبدالله ورسوله، وكلمته التى ألقاها إلى مريم وروح منه، كما شهد أن البعث بالجسد والروح وقال إننى برىء من كل دين يخالف الإسلام.

وقبل أن يغادر مبنى الوزارة زود بعناوين بعض المراكز والجمعيات الإسلامية فى متشجن ليقوم بالاتصال بها والتعرف عليها عند عودته إلى أمريكا.

قلت للسيد بول رتشارد هنز: هل اتخذت لنفسك اسماً إسلامياً جديداً؟ فقال: لا لم أفكر فى ذلك، لأن هذا يسبب لى الكثير من المتاعب فى أمريكا، لأنه يقتضى أن أغير اسمى فى كافة شهادتى ومعاملتى الرسمية، ولكن أحسب أن تغيير الاسم هو أمر شكلى، والعبرة فى الحقيقة والجوهر.

وهنا قلت للسيد بول: لا شك فى ذلك شريطة أن لا يتعارض اسمك مع مبادئ الإسلام، وعلى كل حال فاسمك لا بأس به، وهنا استأذن السيد بول رتشارد على أن يعود إلى الوزارة فى اليوم التالى ليأخذ شهادة رسمية بإسلامه.



(١) انظر قصة إسلامه سابقاً رقم (٣٩).

الهند : ٨٣-٨٥ - شهادة من زعماء الهنود يسلمون

ومن أقصى المغرب ننتقل إلى أقصى المشرق إلى الهند حيث أعلن ثلاثة من زعماء الهنود إسلامهم. جاء ذلك في مجلة إسلامية كانت تصدر في مصر قبل عدة أعوام تحت عنوان «البلاغ» تقول المجلة المذكورة.

علم القراء الكرام من الكتاب الذي نشرناه قبل بضعة أيام، للزعيم الهندي الكبير المسلم الأستاذ خالد لطيف جابا^(١) «عضو المجلس التشريعي» خاصاً بالمنبوذين في الهند، أن الهيئات الإسلامية هناك ألقت وفداً كبيراً برياسة هذا الزعيم لدعوة المنبوذين وغيرهم من الطوائف الهندية المضطهدة بسبب اعتقاداتها الدينية إلى اعتناق الديانة الإسلامية، ولحضور المؤتمرات التي يعقدها هؤلاء للنظر في اختيار دين لهم يحقق المساواة بينهم وبين الطوائف الهندية الأخرى.

وتضيف المجلة الإسلامية قائلة:

وقد استطاع هذا الوفد الإسلامي أن يثير في المنبوذين والتمييزيين والأنجاس (وهم الممنوع لمسه عند بعض الطوائف لاحتقارهم إياهم دينياً) استطاع الوفد الإسلامي أن يثير في هؤلاء جميعاً الرغبة في اعتناق الدين الإسلامي، بما أوضحه لهم من مزايا هذا الدين العظيم التي تكفل لهم المساواة التامة التي يطلبونها من الهندوكيين وغيرهم من أمم العالم.

ثم تقول المجلة: ونزيد على هذا أننا تلقينا اليوم كتاباً خاصاً من الهند جاء فيه أن الزعيم الكبير خالد لطيف جابا رئيس وفد الدعوة الإسلامية بين المنبوذين والتمييزيين والأنجاس اجتمع هو وافر من العلماء بأحد كبار الزعماء الهندوكيين يدعى:

١- المستر (كيمبلر) ودارت بينهما مناقشات ومباحثات طويلة، انتهت بإعلان المستر (كيمبلر) عن رغبته في اعتناق الدين الإسلامي وفي أن يتولى الدعوة للإسلام بين المنبوذين وغيرهم بدل الدعوة إلى ديانتهم السابقة.

(١) انظر قصة إسلامه رقم: «٨٧».

بعد ذلك تقول مجلة البلاغ:

وقد احتفلت جمعية تبليغ الإسلام في بونا بهذا المسلم الجديد احتفالاً كبيراً، وقد تلقينا من مراسل البلاغ في منتوجمري: (البنجاب) التقرير التالي:

تزداد الحركة الإسلامية في جنوب الهند قوةً وانتشاراً بنجاح الوفد الإسلامي الهندي، برئاسة الزعيم خالد لطيف جابا في إقناع زعماء المنبوذين ورؤساء التمييزين وغيرهم من الطبقات المضطهدة بسبب عقائدها الدينية، بأن الدين الإسلامي يحقق المساواة المطلقة بين جميع الطبقات والشعوب والأجناس، وقد نجح المسلمون في منتوجمري نجاحاً جديداً، إذ أقنعوا بهذا:

٢- الزعيم الهندوكي الكبير (بنديت لاله كاشي رام) فأعلن إسلامه، وقد كان هذا الزعيم من أشد الزعماء الهنادك بأساً في مناهضة الحركة التي يقوم بها الوفد الإسلامي الهندي لإقناع المنبوذين والتمييزيين باعتراف الإسلام.

ثم تختتم المجلة حديثها عن إسلام هؤلاء الزعماء بقولها:

ومن أهم ما يذكر في نجاح المسلمين استطاعة خطيب مسجد منتوجمري (البنجاب) المسجد الكبير فيها وهو مولانا محمد عبد الله التأثير على:

٣- المستر (جهندا سكي) أحد زعماء طائفة السيخ حتى اعتنق الإسلام وقد كان هذا الزعيم موقفاً من مجلس السيخ لدعوة المنبوذين لاختيار العقيدة السيخية بدلاً من عقيدتهم.

جَوْرًا لِادِيَانٍ وَفَضْلُ اللَّهِ:

وللمرء أن يتساءل: ومن هم هؤلاء المنبوذين الذي يلقبون بالأنجاس في الهند؟ إنهم طائفة من الهنادك الذين يحظر الدين لمسهم أو حتى الاقتراب من ظلمهم، فإذا وقع ظل أحدهم على شيء يملكه رجل آخر فقد أدى ذلك إلى وقوع النجاسة على هذا الشيء، ولا بد من تطهيره، فهي طائفة منبوذة بحكم دينها الجائر لا بسبب معاملتها أو أخلاقها، وإنما حكم عليها الاعتقاد الديني هذا الحكم. فعندما عرض الإسلام على هؤلاء

المضطهدين ورأوا أن الناس في الإسلام كلهم لآدم وآدم من تراب، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، اقبلوا على الإسلام. قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

فلا غرابة أن يدخل الناس في دين الله أفواجًا من أقصى الدنيا إلى أقصاها ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١].



نيجيريا،

٨٦- كولونيل نيجيري من بيافرا

مِنَ الظُّلْمَانِ إِلَى النُّورِ:

أما ضيفنا في هذه الحلقة فهو من نيجيريا من منطقة (بيافرا) التي انفصلت عن نيجيريا في الحرب الأهلية التي دارت رحاها قبل بضع سنوات.

فتحت عنوان: «كولونيل نيجيري يعلن إفلاس الفكر الأوروبي المادي ويعتقد الإسلام» كتبت مجلة البلاغ الإسلامي الأسبوعية الغراء في عددها الصادر في الرابع عشر من شهر يناير مطلع العام الحالي ١٩٧٩ تقول:

كان ضابطاً في جيش بيافرا، ثم وقع في الأسر وحكم عليه بالسجن مدة طويلة من الزمن قضى منها سبع سنوات وتسعة أشهر في غياب المعتقل حتى أطلق سراحه في العام الماضي. وقد درس الكولونيل داخل السجن اللغات والثقافات المختلفة، وكذلك العقائد الرئيسية في نيجيريا وكان همه في ذلك البحث عن سبيل لتوحيد بلاده نيجيريا، وفي غضون هذا البحث درس الإسلام، الإسلام النقي الصافي بصورته الواضحة المقنعة فلم يملك إلا أن يؤمن به وأن يتخذه ديناً. وهذا حديث أجراه معه مراسل مجلة سبير (الحرية). وجه المحرر سؤاله الأول للكولونيل النيجيري المسلم فقال له: إنك تتحدث وكأنك أصبحت مسلماً، فهل هذا صحيح؟ فأجاب الكولونيل النيجيري المسلم قائلاً:

قبل اعتناقي للإسلام كعقيدة قرأت كتباً كثيرة عن الإسلام، منها ترجمات معاني القرآن الكريم التي كتبها بالإنجليزية علماء نصارى كبار يظهرون في كتاباتهم تحيزاً واضحاً ضد الإسلام والمسلمين، ولم أكن آنذاك مدركاً لهذا التحيز، ولكني أثناء قراءتي وبحثي في تقاليد قبيلة الهاوسا تمكنت من قراءة القرآن الكريم وكتب الحديث وسيرة النبي محمد عليه الصلاة والسلام، فأدركت أن تصوري السابق للإسلام كان خطأ وغير

صحيح، وهكذا فقد مكنتني معرفتي للغة العربية من فهم المعنى الكامل لكل كلمة كانت غامضة أو غريبة على في الدين الإسلامي.

مصطلح الإسلام:

وهنا يضرب بعض الأمثلة على ما يقصده فيقول:

فعلى سبيل المثال كلمة (إسلام) تعنى إسلام المرء إرادته لله سبحانه وتعالى، وأنا واثق من أن هذا هو أساس كل دين سماوي، وكذلك وجدت أن كلمة «مسلم» لا تعنى شيئاً أكثر من الإيمان بإله واحد لا شريك له، ولهذا فإن كل من يؤمن بإله واحد باللغة العربية يطلق عليه لقب مسلم. فهذا فهم تحدده اللغة العربية في النهاية، وقد يخفى معناه على من يجهلها^(١).

تعليق المؤلف:

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧] وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]. فأنبياء الله جميعاً جاءوا يدين واحد هو الإسلام، وكان كل نبي يأمر قومه كما نص على ذلك القرآن الكريم أن يقيموا الصلاة وأن يكونوا من المسلمين، فهذا سيدنا يعقوب عليه السلام يقول لأبنائه لحظة أن حضرته الوفاة، ويسألهم ليطمئن على دينهم من بعده: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]. فدين الله واحد منذ أن أرسل آدم عليه السلام مروراً بنوح وإبراهيم إلى أن ختم الرسالات كلها وأتمها وأكملها برسالة نبينا محمد ﷺ.

دين الفطرة والحياة كلها:

يقول الكولونيل النيجيري المسلم: عندما اكتشفت هذا قررت أن أدرس القرآن الكريم لأرى بنفسى الجوانب التى يخالف فيها ما تعلمته منذ نشأتى، وكم كانت سعادتى

(١) كلمة (الإسلام، أو مسلم) مصطلح ديني لا لغوي فقط، ولذلك لا يُطلق إلا على من آمن بالله الواحد، وآمن بأنبيائه، وبالوحي الذى أوحاه الله إليهم.

عظيمة حين اكتشفت أنه الدين الوحيد الذى يستطيع تحقيق الوئام بين الإنسان وبين فطرته، وبينه وبين بيئته وثقافته ونشأته، يقول النبى عليه الصلاة والسلام فى هذا المعنى: كل مولود يولد على الفطرة.. أى على الإسلام. فالإسلام دين الفطرة. وتحضرنى هنا الآية الكريمة التى يقول الله سبحانه وتعالى فيها: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فهذه الآية تبين بجلاء كيف أن الإنسان بفطرته يهتدى إلى الإسلام.

إفلاس المادية والإلحاد:

ثم يختم الكولونيل النيجيرى قصته قائلاً:

لقد أسلمت لأننى اكتشفت أيضاً وبوضوح صريح إفلاس الثقافة الأوروبية الأجنبية، وتصوراتها المادية التى فرضت على الشعوب المستضعفة فى أفريقيا وآسيا وغيرها، والتى تحاول اقتلاع الشعوب الأخرى من ثقافتها وبيئتها، وتجعلها تنكر لطبيعتها، وهى بهذا تنشىء شرخاً كبيراً وفصاماً فى شخصية الفرد المقلد فى مجال القيم والاعتقاد.

هذه هى العوامل التى جعلتنى أعتقد بالديانة الإسلامية، وأن أشارك الاعتقاد مع كل من يسلم إرادته لله الواحد، ويلتزم بمبادئ التوحيد.



الهند :

٨٧- السيد خالد لطيف جابا (*) كوفه لال جابا - سابقاً

السيد كوفه لال جابا أو خالد لطيف جابا كما أصبح يعرف بعد إسلامه هو رجل سياسة، ومؤلف وصحفي، ولد في مدينة لاهور وينحدر من أسرة هندوكية عظيمة الثراء، عالية التعلم، لها مكانتها وشرفها بين الهندوس. وبعد أن أعلن إسلامه انتقل للحياة في (بومبي) حيث إنه لم يكن من أنصار إقامة دولة مستقلة للمسلمين في شبه القارة الهندية ينفصل عن بقية الأمة الهندية التي ظلت تحت الحكم الإسلامي قروناً عدة، ومن أشهر مؤلفاته كتاب بعنوان «الأصوات العاجزة» وآخر بعنوان «رسول الصحراء» تم نشرهما باللغة الأوردية.

الحمد لله على اختياره لي :

يبدأ السيد خالد اعترافاته التي نشرتها له إحدى المجلات الإسلامية الصادرة باللغة الأوردية بقوله:

أولاً وقبل كل شيء أتوجه إلى الله بالشكر الجزيل على اختياره لي من بين آلاف مؤلفه من الناس من بنى قومي الذين يسرون على الطريق المنحرف، وجعلني مثلاً طيباً أمامهم بأن جعلني مسلماً فأصبحت قدوة لهم كي يتبعوني، وحتى يعلم الناس جميعاً أن الإسلام وحده هو الطريق المستقيم.

ثم يقول: عندما يولد أي إنسان فلا بد له من المرور بمراحل عديدة، يكون في المرحلة الأولى باسم بريئاً، بوسعه أن يلمس الأشياء ويشم الروائح، فتنشأ حواسه الخمسة، إلا أنه لا يتمتع بالكثير من الإحساس. صحيح أنه يستطيع أن يرى كافة الأشياء، ولكنه لا يمكنه التمييز بين الخير والشر، وبعد وقت يسير يتعرف إلى والديه ثم يعرف طعم

(*) سبق للمؤلف (تحت رقم ٣٣) تسجيل بعض الإلتطباعات الفكرية الرائعة لهذا المسلم، ولما توافرت له المراجع ذكر قصته هنا تفصيلاً، وقد رأينا بقاء الموضوعين لقائدة كل منهما في موضعه.

الأشياء المختلفة وعواقبها، وهكذا يبدأ في التمتع بالحياة وبهذه الطريقة يكتشف الحياة من حوله شيئاً فشيئاً.

ويمضى السيد خالد لطيف جايا في حديثه قائلاً:

وكذلك حياة الإنسان الروحية لها هي الأخرى طفولتها المشابهة، التي يصل في نهايتها إلى النضج وكامل النمو الروحي، بعد سنوات عديدة فيبلغ إلى الحياة الناصعة الحققة بعد أن يهجر طريقة الحياة الزائفة الخاطئة.

موقف الأسرة من إسلامه :

ثم يشير إلى سرقف أسرته من إسلامه فيقول:

عندما اعتنقت الإسلام أعرب أقربائي من الهندوس عن ضيقهم الشديد حين علموا بذلك، وأصبحوا مناوئين لي يعادونني في كل مكان، وأخذوا ينتقدون هذا التحول من جانبي ويهاجمونه. ولكنني لا بد أن أضيف هنا، كما ذكرت الصحف الهندوكية، أنني لم أكن قط متمسكاً بالديانة الهندوكية في يوم من الأيام.

ويخاطب السيد خالد لطيف جايا جمهوراً غفيراً من المسلمين في بومبي فيقول:
إخوتي المسلمين! في هذه المرحلة الراهنة مثلي كمثّل شاب وقع في حب أميرة، فقال أناس في دنيا الناس القاسية هذه بأنه يسعى إلى السلطة والثروة، وزعم آخرون بأنه مجنون، بينما الحقيقة هي غير ذلك تماماً. إلا أن الناس ليسوا على استعداد لتقبل الحق.

شعلة الإيمان :

ثم يقول: إن حبي هذا للإسلام ليس بالشىء الجديد، أن الشعلة الأولى التي قبستها من الإيمان بهذا الدين جاءتني قبل قرابة خمسة عشر عاماً. وذلك حين كنت في مصر، وهناك تركت الحضارة والثقافة الإسلامية انطباعاً لا ينمحي من نفسي. فتأثرت على وجه الخصوص ببساطة المجتمع الإسلامى وإحساسه بكرامته، وبالحب الإنسانى المتبادل بين أفرادها، كما شدني إليه ذلك الاحترام ومبدأ المساواة المطبق فيه. وظلت شعلة الإيمان بالإسلام متقدة في قرارة نفسي بشكل مضطرد وبطيء. وأخيراً نجحت حرارة الإيمان في كسبي نهائياً إلى الإسلام. وهكذا فإن كلاً من قلبي وعقلي اليوم هما بفضل الله يشرقان بحقيقة الإسلام.

ثم يتناول السيد خالد جابا بالحديث الفترة التي أعقبت عودته عن مصر فيقول: بعد عودتي إلى الهند من زيارة مصر كلما مررت بأحد المساجد للمسلمين في الهند كان قلبي يفعم بالإحساس بعظمة هذا المكان وقديسيته، وكنت أشعر دوماً أن المؤذن وهو ينادى إلى الصلاة، كان يقصدني أنا بالذات في نداءه ذلك، وكأن هاتفاً من داخلي يجيبه قائلاً: هيا بنا إلى الصلاة، هيا بنا إلى الفلاح. كان قلبي يريد الانضمام إلى جماعة المؤمنين في المسجد، وكان النداء والدافع قوياً إلى درجة أنني لم أملك نفسي من الدخول إلى المسجد والوقوف في صف المصلين، والحقيقة أنني لم أستطع مقاومة ذلك وظللت أفعله فترة طويلة من الزمن.

لماذا أسلمت؟

قيل للأخ خالد: ولكن لماذا أسلمت؟ هل كان الأمر ببساطة مجرد استجابة لذلك النداء الخفى في داخل نفسك؟ أم ماذا كان وراء هذا القرار المهم في حياتك؟

يجيب الأخ خالد جابا عن هذا السؤال قائلاً:

إذا أراد الناس أن يعرفوا لماذا فضلت الإسلام على سائر الأديان الأخرى بما فيها دين آبائي وأجدادي فسوف أقول لهم ببساطة:

١- إن أول ما جذبني إلى الإسلام هو بساطته وصراحته التامة، ونحن بطبيعة الحال لا نستطيع أن نعدده على أصابعنا كافة المميزات والخصائص العظيمة لهذا الدين الحنيف، ولكنني أستطيع أن أوكد بكل ثقة واطمئنان أن الإسلام يقوم على مبدئين أساسيين من اليسير جداً فهمهما وتقبلهما بالنسبة لرجل الشارع العادي.

المبدأ الأول هو أن الله واحد لا شريك له، والمبدأ الثاني هو أن محمداً عبده ورسوله.

ومضى الأخ خالد في شرح هذين المبدئين فيقول: الله واحد لا شريك له لم يلد ولم يولد، وهذا واضح في سورة معبرة من القرآن الكريم وهي قول الله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص].

٢- بعد لك يتحدث الأخ خالد جابا عن السبب الثاني الذي دعاه إلى اعتناق الإسلام فيقول:

والدافع الثانى إلى اعتناق الإسلام هو عدالة الإسلام أو مبدأ المساواة فى الإسلام. فهذا المبدأ لا يوجد مثيل له لا فى الاشتراكية، ولا فى البلشفية ولا فى أى من المبادئ الأخرى، فالشيوعية تدعو أتباعها إلى قتل الاغنياء لصالح الفقراء، كما أن المساواة الإسلامية تغيّر تماماً الأديان الأخرى التى تجعل للسود أماكن مستقلة للعبادة، وإذا جرؤ أحد منهم على خطبة امرأة بيضاء أو حتى مجرد اتباع خطواتها فلا بد أن يشنق جزاء له على ذلك!!

أما فى الإسلام فالناس جميعاً سواسية كأسنان المشط. فالملك والفقير، والغنى والمعدم، والكبير والصغير يقفون جميعاً كتفاً إلى كتف فى صف واحد مستقيم بين يدي الله سبحانه وتعالى فى المسجد، خمس مرات كل يوم، يعبدون رباً واحداً لا شريك له. وهذا هو أعظم مظهر من مظاهر الأخوة الحقة بين البشر والمساواة المطلقة كما يجب أن تكون بين الناس، وهذا لا وجود له إلا فى الإسلام. والإسلام وحده.

بهذه الكلمات المضيئة النيرة يبين الأخ خالد لطيف جابا المهتدى الجديد إلى الإسلام لماذا أسلم؟ وقد أصبح فيما بعد من أنشط دعاة الإسلام فى الهند إذ أسلم على يديه مئات من الناس.

وقد استطاع السيد خالد بتوفيق من الله أن يكسب إلى الإسلام عدداً من قادة الفرق الدينية المختلفة فى الهند، وأعداداً أكبر من الأفراد الاعتياديين.

يواصل خالد لطيف جابا اعترافاته التى أدلى بها ضمن حديث ألقاه باللغة الأوردية على حشد كبير من المسلمين قال فيه:

لما كانت الأخوة فى الإسلام قائمة على أساس من مبادئ العدل والمساواة فليس هناك أية شعائر وطقوس معينة ولا إجراءات معقدة يقوم بها المرء عند اعتناق الإسلام، إذ يكفى أن ينطق بالشهادتين فيقول: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) حتى يصبح واحداً من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم.

وهكذا فعندما ينطق الإنسان بهذه الشهادة ينضم إلى الأمة الإسلامية الضخمة التى يتساوى فيها الناس جميعاً، وليست هذه المساواة نظرياً فقط، بل وعملياً كذلك، فمن الحقائق التى لا تخفى على أحد أن الملك والمسكين، والكبير والصغير والغنى والفقير

يقفون جميعاً في صف مستقيم واحد في الصلاة بين يدي الله يركعون ويسجدون للواحد الديان، وهذه المساواة تزداد وضوحاً في الحج، الركن الخامس من أركان الإسلام، حيث يتحد اللباس في الحج إلى مكة المكرمة وعرفات فلا ترى إلا بياضاً حيثما وجهت ناظريك.

ثم يضيف السيد خالد قائلاً:

المساواة في الإسلام :

ومن اليسير أن ترى في البلاد الإسلامية كيف يجلس الملوك مع خدمهم علي بساط واحد، لأن هذا أمر من النبي الذي يعلم المسلمين أن السيد والمسود أخوان لا بد أن يأكلا نفس الطعام، ويلبسا نفس اللباس دون أدنى تمييز من أي نوع، وقد جرت بذلك السنة مئات السنين حتى ابتعد الناس بعد ذلك عن تعاليم الإسلام فشقوا وأشقوا.

ويضرب السيد خالد جابا مثلاً على ما يقول:

فهذا خليفة رسول الله الثاني عمر بن الخطاب عندما دخل بيت المقدس بصحبة خادمة، لم يستطع الذين كانوا في انتظاره لتسليمه مفاتيح المدينة أن يميزوا الخليفة من خادمة حتى سألوا أي الرجلين هو؟

فهل هناك عدالة ومساواة أفضل من هذه؟

٣- بعد ذلك يذكر الأخ خالد لطيف جابا السبب الثالث الذي دعاه إلى اعتناق الإسلام فيقول:

والسبب الثالث الذي جعلني أفضل الإسلام يقوم أيضاً على مبدأ الأخوة ولكن من زاوية مختلفة. ففي نفس الوقت الذي اكتشفت فيه الأخوة الإسلامية نظرياً وعملياً وقع شجار بين مختلف الطوائف التي يتشكل منها دين الأكثرية في الهند، فيما يتعلق بدخول ما يسمى (بالمندر) وهو مكان العبادة عندهم. إذ قالت إحدى الطوائف إن ما يسمى (بالشودرز) قد مسهم شوذي ولذلك أصبح من المحظور لمسهم، فيجب أن لا يسمح لهم بدخول المندر.

اللَعْنَةُ الْأَبَدِيَّةُ :

ثم يعلق السيد خالد على هذا التصرف فيقول:

لقد وجدت ذلك منافياً للمنطق قاماً، والسبب هو أولاً أن الشخص الهندوكى يولد كذلك ولا يربى أو يجعل، فهو لم ينتسب إلى ذلك الدين باختياره، وإنما وجد نفسه كذلك، ويكتشف الواحد منهم لدهشته وجود طوائف متعددة فى الدين الواحد إلا أن هذه الطوائف تعانى الآن من خلافات جذرية، فعلى سبيل المثال لا يستطيع (الشودر) أن يصبح (خاترى) ولا يمكن للخاترى أن يكون (براهمن) (١) بينما نجد على الصعيد السياسى أن الخلافات الدينية يجرى التغاضى عنها مؤقتاً لأسباب نفعية، ويزعم كاذب يتردد وهو لإنقاذ المهاتما غاندى من الانتحار، وهكذا يتحقق التأييد المؤقت سياسياً. ولكن يظل الشودرز منبوذين فى الحياة الاجتماعية، ولا يمكن أبداً كذلك أن يصبح الشودر زعيماً دينياً، وبذلك فكل مولود يولد لأسرة من الشودرز سيظل شخصاً دينياً مدى الحياة!!

ثم يقارن ذلك بالإسلام فيقول: أما فى الإسلام فيمجرد أن يرضى الإنسان بهذا الدين يتمتع فى الحال بنفس الحقوق التى يتمتع بها المسلمون، فالإسلام لا يعرف قدسية بعض الناس وعدم قدسية بعضهم الآخر، ولكن المسلمين سواء عند الله لا فضل بينهم إلا بالتقوى، وأحب هنا أن أوجه رسالة إلى (الشودرز) أدعوهم فيها إلى اعتناق الإسلام، هذا الدين الذى يفتح المجال أمامهم، هنا فى ظل الإسلام يمكنهم أن يلمسوا جيمع الناس، وأن يجالسوا من شاعوا وأن يتفقهوا فى الدين كما يريدون، فليس فى الإسلام أى قييد أمامهم ولا أمام أحد من الناس. يقول الله تعالى فى القرآن الكريم: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

٤- بعد ذلك يتحدث الأخ خالد لطيف جابا عن السبب الرابع الذى جعله يتخذ الإسلام ديناً فيقول:

ومما جعلنى أختار الإسلام ديناً كذلك أن الإسلام بوسعه تلبية كافة حاجات الإنسان

(١) هذه أسماء الطبقات فى ديانة الهندوس، وهى تعنى الذل الأبدى للطبقة الدنيا (الشودر).

فى العصر الحاضر، فليس هناك أى دين كالإسلام يستطيع أن يقدم أنجح الحلول للمشكلات والقضايا المعاصرة. فمثلاً أشد ما يحتاج إليه العالم اليوم الأخوة والمساواة، وهذه وجميع الفضائل لا تجتمع إلا فى الإسلام. لأن الإسلام لا يفضل بين الناس إلا على أساس العمل والبذل.

الإسلام والأنظمة الجائرة:

ثم يعقد الأخ خالد جابا مقارنة بين الإسلام والقوانين الحديثة فيقول: فى عالمنا اليوم هناك دعوة لحقوق الإنسان، ننظر إلى ما حولنا فماذا نجد؟

نجد العلاقات الأسرية وقد دمرت، بينما نجد الإسلام يمنح كافة الحقوق للمرأة، ويقيم نظام الزواج على أساس عقد حكيم عادل بين طرفين متكافئين، وميزة التشريع الإسلامى هو أنه وضع ليوائم طبيعة البشر الحفظائين لا الملائكة المعصومين. فليس هناك إرهاب ولا مؤامرات فى الإسلام، ومشكلات الأمهات غير المتزوجات غريبة تماماً عن المجتمع الإسلامى وهذه واحدة من المظاهر الصحية الكثيرة فى التشريع الإسلامى، إذ أن الإسلام قد وضع عقوبات صارمة لجريمة الزانى على العكس من القوانين الحديثة التى تتساهل كثيراً فى ذلك، ومن هنا نجد المجتمع الإسلامى نظيفاً طاهراً من كل ذلك.

ثم يتحدث الأخ خالد لطيف جابا بروح المؤمن الصادق فيقول:

إن الإسلام هو أفضل دين للبشرية، فبينما نجد أماكن العبادة فى الأديان الأخرى خاوية فى أغلب الأحيان، نرى أن المساجد تزخر بالمؤمنين وخاصة من الشباب الذين يعبدون الله خمس مرات فى اليوم بأعداد كبيرة، وهذا أكبر دليل على أن الإسلام لا يزال بخير تماماً كما كان دائماً فى الماضى، فالإسلام يتغلغل فى حياة المسلم بكل تفاصيلها، بل له الكلمة الفصل فى كل نشاط يقوم به المسلم، وليس هناك أى دين آخر غير الإسلام لديه إمكانية لحل كافة مشكلات الناس فى العالم الحديث، وهذا هو امتياز الإسلام وحده.

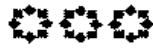
سَعَادَتِي الْقَصُورِي بِإِسْلَامِي:

بعد ذلك يقول الأخ خالد جابا، الداعية المسلم الهندى: فلنكرس حياتنا كلها لهذا

الهدف وهذه الغاية التي جاء بها النبي محمد ﷺ قبل أكثر من ثلاثة عشر قرناً، وأخيراً
يختم الأخ خالد حديثه بقوله:

أريد أن أعلن مرة أخرى عن سعادتى القصوى باعتناق الإسلام، عسى الله أن يرزقنى
الفرصة المناسبة لأرد هذه الهبة العظمى التى منحنى إياها بهدايتى إلى هذا الدين، آملاً
أن أكون فى خدمته حتى آخر لحظة من حياتى.

بهذه الكلمات ينهى الأخ خالد جابا كلماته، وقد ظل مسلماً صادقاً حتى آخر لحظة
من حياته، رحمه الله ورضى عنه فى الصالحين من عباده المؤمنين.



فهرس الجزء الرابع

الصفحة	الموضوع
٢٨٥	٦٠- بدرية هيدى مرعى
٢٩٠	٦١- نجوى آدمون شوفانى
٣٩٦	٦٢- أحمد جيرمان (ولده نورى...)
٤٠٧	٦٣- عبد الله كويناروا
٤٠٦	٦٤- فيصل محمد
٤١٥	٦٥- المنصور بالله الشافعى (فتساي سابقًا)
٤١٧	٦٦- الدكتور عبد الله (دوجلاس سابقًا)
٤٣٢	٦٧- السيدة سامية وديع (وإسلام الأسرة)
٤٣٨	٦٨- عبد الرحمن بن جورد
٤٣٧	٦٩- الدكتور عبد الله إبراهيم
٤٣٧	٧٠- يوسف عبد السلام
٤٤١	٧١- بلال باهايا
٤٤٥	٧٢- عبد الله ديوك لين جيون
٤٥٠	٧٣- محمد كومياما
٤٥٤	٧٤- عبد الحفيظ محمد (هوانا أمريكا الجنوبية)
٤٦٣	٧٥- الدكتور أحمد سوسة (يهودى أسلم هو وأسرته)
٤٧٧	٧٦- الدكتور على سلمان بنوا
٤٧٦	٧٧- السيدة جين اليعقوبى
٤٨٢	٧٨- علياء ستيرلنج
٤٨٧	٧٩- عائشة (جوان لابير - عالمة الذرة)
٤٨٩	٨٠- أمين عبد الغنى
٤٩٤	٨١- السيدة إيغا مازيا
٤٩٧	٨٢- بول رتشارد هنز
٤٩٩	٨٣- ٨٥- ثلاثة من زعماء الهنود مسلمون
٥٠٢	٨٦- كولونيل نيجهرى من بيافرا
٥٠٥	٨٧- السيد خالد لطيف جايا

هذا الكتاب

الإسلام دين الله إلى جميع خلقه وهو فطرة الله التي فطر الناس عليها والإنسان خلق من روح وجسد وقد طغت اليوم الماديات على الروحانيات فأصابت البشرية بأمراض اليأس والعجز واضطرابات نفسية شتى.

وقد جاء هذا الكتاب يروي قصصاً واقعية عن رجال ونساء أسلموا.. فقد ولدوا بعيداً عن ديار الإسلام بل ونشأوا في مجتمعات تتعصب ضد الإسلام وتشوهه إلا أنهم لفظوا المادية الزائفة وصدقوا مع أنفسهم فتفجرت من صدورهم يتابع الهداية إلى الدين الحق فأسلموا بعد إيمان ودراسة واقتناع وهذا الكتاب موجه إلى المسلمين في المقام الأول الذين وجدوا الإسلام والعربية بين أيديهم أمراً هيناً سهلاً ففرطوا فيه . فعند مطالعة قصص هؤلاء الذين أسلموا نرى كم العناية والجهد الذي بذلوه ليصلوا إلى الإسلام.

وهذه كلمات جاثت على لسان فتاة إنجليزية أسلمت : "يعيش العالم الغربي اليوم في ظلام دامس وليس هناك أي بصيص أمل في قيام الحضارة الغربية بتوفير سبيل لتخليص الروح والنفس .. والإنسجام اللطيف في الإسلام بين مستلزمات الجسد ومتطلبات الروح يمكن أن يمارس تأثيراً قوياً في أيامنا هذه ويوسعه أن يبين للحضارة الغربية السبيل المؤدى للفلاح والخلاص الحقيقيين".

مهندس

ماجد محمد يحيى

الناشر : المكتب المصري الحديث

البريد الإلكتروني : almaktabalmasry@hotmail.com

ت : ٣٩٣٤١٢٧

القاهرة : ٢ شارع شريف عمارة اللواء

ت : ٤٨٤٦٦٠٢

الأسكندرية : ٧ شارع نوبار المشية

ت : ٤٤٤١٠٧٠ / ٧٤

المطابع : طريق مصر - اسكندرية الزراعي ك ١٠

Bibliotheca Alexandrina



0353401

عرفات كامل العشي



MUSLIM

رجال
ونساء

اعلموا

١٦٦
٢١

الطبعة



جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

« دار القلم » - الكويت - شارع السور - عمارة السور
ص. ب : ٢٠١٤٦ - هاتف : ٤٢٥١٦٠ - برقياً : توزيعكو

الحلقة الخامسة

رجال و نساء المواهب

إعداد وترجمة
عرفات كامل العشي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ - هيدى مرعى - النما

هيدى مرعى - سيدة نمساوية فى الخامسة والثلاثين من عمرها ،
فهي من مواليد عام ١٩٤٤ ، متزوجة من دكتور مسلم مصري
يعمل استاذاً بجامعة الكويت منذ عام ١٩٧٦ ، وله منها طفلان .
وهي تعمل أيضاً استاذة للغة الانجليزية بجامعة الكويت كذلك .

جاءت السيدة هيدى مرعى مع زوجها إلى مقر لجنة الفتوى
بوزارة الأوقاف لتعلن عن رغبتها فى إشهار إسلامها . فالتقت
بها وبزوجها بمجموعة من علماء الدين وسألوها :

- هل حقاً ترغبين فى اعتناق الاسلام . أم أن أحداً ما يريد
إكراهك على الدخول فى هذا الدين ؟

فقالت وقد عقدت ما بين حاجبيها إعراباً عن الجدية فى ما
تريد قوله :

- لا ، لم يكرهني أحدٌ على الدخول فى هذا الدين ، وإنما
أردت دخوله لاقتناعي التام بصدقه .

وهنا تدخل زوجها الدكتور فقال :

- لقد عشت في النمسا سنوات عديدة ، وعندما تزوجت هيدي لم أكن مسلماً بمعنى الكلمة ، ثم حضرنا إلى الكويت ، فالتقت هيدي بأفراد أسرتي ، والدتي وشقيقتي وبعض أقاربي ، ولاحظت أنها أسرة متدينة تحافظ على الصلاة . لقد أحببت الأسرة الشرقية الاسلامية ، وما تتميز به من حب وبر وتراحم ، وعلمت أن هذا كله مصدره الدين الاسلامي . كما أغرمت بحب والدتي الحاجة بدرية ، وهي امرأة متدينة للغاية شديدة العطف والود .

ومنذ عام ١٩٧٦ تركت زوجتي وشأنها وانشغلت عنها بأعمالي الكثيرة . وفجأة لاحظت أن هيدي تقلد والدتي وتصلي . ولما سألتها قالت : أنا مسلمة يا مرعي ، إنني أصلي وأحب الصلاة . ولما جاء رمضان أخذت تصوم معنا .

هنا تدخل أحد العلماء الجالسين فقال :

- قل لها يا أخي أنت مسلمة وعضو في مجموع المسلمين ، وهي الآن أخت لنا في الاسلام ، ولها علينا الكثير من الحقوق ، ونحن في خدمتها .

وهنا شكرته السيدة هيدي وقالت :

- أنا أعلم أنني مسلمة ، ولكنني جئت إلى هنا لإشهار إسلامي وتغيير اسمي .

فتدخل زوجها وقال :

- منذ عدة أسابيع وهيدي تطالبي أن أحضرها إلى هذه الوزارة ، فقلت لها : إن جواز سفرك في الجامعة . فسكتت ، وبعد أيام أبرزت لي جواز سفرها وقالت : ها هو جواز سفري فخذني لكي أستريح . لا أحب أن أظل معلقة هكذا . ولما رأيت منها كل هذا الإصرار سألت شاباً كويتياً مسلماً أعرفه ، فقام مشكوراً بالاتصال بالوزارة ، ولما حصل على المعلومات الكافية حول الطريقة المتبعة في مثل هذه المناسبة ، أبلغني بذلك ، وكانت هيدي متلهفة على معرفة النتيجة . وهما نحن قد حضرنا لهذا الغرض .

- أهلاً بكم ومرحباً .

ثم قال أحد العلماء مخاطباً السيدة هيدي عن طريق المترجم الانجليزي بالوزارة ، فقال لها : هل تؤمنين بأركان الاسلام الخمسة وهي الشهادتان والصلاة والصوم والزكاة والحج ؟ فقالت : نعم . فقال لها : إذن رددي معي :

« أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ،
وأشهد أن عيسى بن مريم عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم ،
آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر » .

أخذت السيدة هيدي تردّد هذه العبارات باللغة العربية المكسرة ، وبعد كل فقرة منها تردّد بالانجليزية معناها الدقيق ، لتكون على علم بما تقول ، حتى فرغت من ذلك .

كانت السيدة هبيدي تلبس ملابس محتشمة نوعاً ، فقميصها العلوي له أكمام طويلة كما كانت تلبس جرابات طويلة سميكة في قدميها تصل إلى ركبتيها ، إلا أنها كانت متزينة وشعر رأسها مكشوف وعلى عينيها نظارة . فقال لها أحد العلماء :

— اسمحي لي أن أخاطبك بكلمة يا أخي في الاسلام ! وأن أقدم لك نصيحة الأخ المسلم لأخته المسلمة .
فأبدت اهتماماً بذلك . فقال :

— ما دمت قد أصبحت مسلمة فمن واجبك الآن أن تلبسي اللباس الاسلامي الكامل وأن تخفي زينتك حسب ما يأمرك دين الاسلام الذي آمنت به .

وهنا تدخل زوجها وقال : الحق أنها كثيراً ما تتساهل في البيت : لماذا تفعلون هذا ؟ إن الاسلام يأمر بخلافه . فهي على علم تام بأوامر الاسلام ونواهيها ومتحمسة للالتزام بذلك .
فقال له العالم المسلم :

— إن من واجبك أنت باعتبارك زوجاً لها أن تكون قدوة طيبة أمامها ، وأن تشجعها على الالتزام بأداب الاسلام .
فوعد الدكتور الزوج بذلك ، وقال :

— لقد أطلعت زوجتي على ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الانجليزية وترجمته باللغة الالمانية ، وأخذت فكرة عن العقيدة الاسلامية وقارنتها بعقيدة النصراني بالنسبة لسيدنا عيسى عليه السلام ،

فاقتنعت بمقيدة القرآن رغم حاجز الترجمة . وهي تعرف
الامانية والانجليزية وشيئا يسيراً من اللغة العربية .

فقال أحد العلماء الجالسين : يستحسن أن تطّلع على أكثر
من ترجمة لمعاني القرآن الكريم حتى تعوّض ما فاتها من معانيه ،
مع أن القرآن الكريم مهما اجتهد المترجمون فلن ينقلوا معناه إلى
أية لغة .

فقال الزوج : إنني أفضل أن أقوّي إجادتها للغة العربية
حتى تقرأ القرآن وتفهمه باللغة العربية . وهنا استحسن الحاضرون
ذلك كثيراً .

وقبل أن ينتهي اللقاء أهديت للسيدة هيدي مجموعة من
الكتب الاسلامية باللغة الانجليزية ، لتعميق فهمها للاسلام ،
كان من أهمها كتاب : (شبهات حول الاسلام) للاستاذ محمد
قطب ، الذي قالت بأنها سمعت به من قبل ، وكتاب : (مبادئ
الاسلام) للاستاذ المودودي ، وكتاب : (التعريف بالاسلام)
للدكتور محمد حميد الله ، وكتباً أخرى ... واتفق على أن تعود
إلى الوزارة لإتمام معاملة إشهار الاسلام ، بعد بضعة أيام .

وهنا سُئلت السيدة هيدي عن الاسم الاسلامي الذي تختاره
لنفسها ، فهتفت قائلة : بدرية ! ولما سُئلت عن السبب قالت :
لأنني أحب والدة زوجي الحاجة بدرية ، فأريد أن أتسمى
باسمها .

وهكذا انقضت الجلسة والكل يقول : سبحان الهادي !

سبحان الله !

وبعد ، فهذه ليست مجرد قصة تحكى كي يعجب الناس بها ويفرح الغيورون على الدين الاسلامي بما يسمعون أو يقرأون ، وإنما هي تفاصيل ما حدث يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول عام ١٣٩٩ هـ ، الموافق ٢٢ فبراير عام ١٩٧٩ م . وقد صاحب الزوجين في زيارة وزارة الأوقاف رجل ثالث هو زوج أخت الدكتور مرعي زوج السيدة هيدي ، وهو أيضاً وزوجته من الناس المتدينين المتمسكين بأهداب الدين الاسلامي الحنيف .

وهكذا نرى أثر القدوة الطيبة في نشر هذا الدين بين الناس كافة . فإذا رأى الناس مسلماً يحمي بالاسلام دون أن يتكلم بكلمة واحدة ، فإنهم يتأثرون به أعظم التأثر ، لأن الاسلام هو دين الأمانة والصدق والوفاء في المعاملة ، دين المحافظة على الوعد ، هو الدين الذي يأمر التاجر أن يصدق في تجارته فلا يفسد ، ويأمر الصانع أن يتقن صناعته ، ويأمر الموظف والعامل أن يحسن عمله ، كما يأمر صاحب العمل أن يُعين العامل في عمله وأن يعطيه أجره قبل أن يحف عرقه ، وأن ينصفه في ذلك .

فلما عاشت السيدة هيدي في وسط إسلامي من هذا النوع ورأت كيف يخلص الرجل لزوجته وكيف تكون المرأة المعجوز موضع تكريم وحب من جميع أفراد الأسرة بدلاً من أن يُلقى

بها في دور العجزة ، وعندما شاهدت الروابط الأسرية الوثيقة بين أفراد العائلة المسلمة ، واطلعت على الحياة النظيفة الخالية من السكر والقمار والاختلاط والسفور . عندها أخذت تتساءل وعندها أقبلت هي على الاسلام حتى دخلت فيه راضية سعيدة . وهذا يؤكد لنا كيف انتشر الاسلام ولا يزال ينتشر كل لحظة بين ملايين البشر ، وسيظل ينتشر بهذا الاسلوب في أرجاء المعمورة حتى يرث الله الأرض ومن عليها . ولعل هذا من الوسائل التي يحفظ الله بها هذا الدين . قال تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » . صدق الله العظيم . فالذكر الذي هو القرآن الكريم قد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه ، لا في السطور فحسب ، بل في القلوب و مترجماً في أعمال رجال ونساء صالحين ، فهو ذكر مترجم إلى عمل ، والفائز من اقتبس من هذا النور . والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم .

٢ - نجوى أرمون سوفاني - لبنان

حين شرعت في تسجيل القصة الاولى من هذه السلسلة عن رجال ونساء أسلموا من كل بلد من بلاد الدنيا ، كنت أحسب أنني سأفرغ منها وينتهي بي المطاف عند حلقة نهائية من حلقاتها ، وما علمت أنها سلسلة خالدة خلود الحياة . فهي باقية إن شاء الله ما دام على الأرض إنسان .

لقد رأيتني ، بعد أن أتيتحت لي الفرصة لمقابلة مختلف الدين أسلموا ، وكأني أقف على شرفة عريضة تطل على العالم أجمع ، وأمامي أيدي ممتدة من كل مكان من الدنيا تتلفف لملم كتاب الله ، لا في الأيدي وحسب ، بل وفي الصدور والقلوب . إنه الزحف الاسلامي ، والنور الرباني الذي ينتشر وينتشر حتى يعم نور الله الأرض بأسرها .

والعجيب أيضاً أن من يدخل في هذا الدين لا يخرج منه أبداً ، وهذا أكبر دليل على أنه دين الله لا دين أحد من البشر . فما أن تخالط بشاشته القلوب حتى يعمرها ويمتزج بكيان

الانسان كله . فسبحان الله العظيم . ألم يكن ذلك ضمن الأسئلة التي وجهها هرقل ملك الروم إلى أبي سفيان قبل إسلامه ، عندما التقى به على رأس وفد من قريش ليسأله عن رسول الله ﷺ ؟ قال هرقل يتساءل عن أتباع محمد ﷺ : هل يزيدون أم ينقصون ؟ فأجاب أبو سفيان : إنهم يزيدون ، فلا يدخل أحد منهم في هذا الدين حتى يثبت عليه ويفديه بحياته . فقال هرقل : فذلك شأن الرسل ودين الله الذي يأتون به إلى الناس .

والآن لنبدأ قصة جديدة . إنها لشابة من لبنان . فقد نشرت جريدة الرأي العام الكويتية الغراء ، في ملحق عددها الصادر يوم الأحد الرابع من شهر فبراير عام ١٩٧٩ ، قصة إسلام السيدة نجوى ادمون شوفاني ، فكتبت تقول : مسيحية مارونية من لبنان تعلن إسلامها في الكويت . وتقول : أحمل لأهلي كل حب ، وأدعو الله أن يهديهم إلى الطريق المستقيم كما هداني . لقد وجدت القرآن الكريم يقول : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ... » فاستجابت فطرتي لذلك وعلمت أنه الحق .

وقد توجه الأخ محمد رشيد العويد ، محرر الرأي العام ، إلى بيت السيدة نجوى ومعه زوجها ، فأجرى معها حواراً حول أسباب إسلامها . وفيما يلي ما قاله الأخ رشيد :

ما أحسبها كانت مصادفة أبداً . فبعد خروجي من لقاء الأخت نجوى ادمون شوفاني ، التي حدثتني عن تأثرها بزوجها

المسلم ، وكيف كان يجادلها والتي هي أحسن ، ويبين لها مبادئ
الاسلام الحنيف .. بعد خروجي وجلوسي في السيارة ، امتدت
يدي إلى مفتاح الراديو وأدّرتّه فسمعت القرآن الكريم يرتله
شيخ من إذاعة الكويت بلغة الاوردو . وكانت الآية التي سمعتها
هي قول الله تعالى : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي
أحسن ، إلا الذين ظلموا منهم » . صدق الله العظيم . ووجدت
نفسي أردّد : سبحان الله ! الحمد لله ، الله أكبر !

لقد كان السؤال الأول الذي طرحه محرر الرأي العام على
السيدة نجوى هو: ما هي الصورة التي كنت تحملينها عن الاسلام
قبل زواجك ؟ فأجابت بقولها : لقد كانت صورة مشوهة غير
واضحة ، فيها الكثير من التحريف . والمعلومات التي ملئ بها
ذهني عن الاسلام كانت معلومات مغلوبة غير صحيحة . وكنت
أجهل كثيراً من مبادئ الشريعة الاسلامية السمحاء ، وهي
شريعة الله التي أنزلها لخير عباده .

بعد ذلك سُئلت الأخت نجوى متى بدأ اهتمامها بالاسلام
ورغبتها في اعتناقه ؟ فأجابت بقولها : كان ذلك بعد زواجي ،
فزوجني شاب مسلم ، أعجبت بأخلاقه وسلوكه ، وعرفت أن
هذه الأخلاق الحميدة نابعة من تدينه وتمسكه بإسلامه . وكنت
أراقبه وهو يصلي واقفاً بين يدي الله في خشوع فأتأثر بذلك
بذلك كثيراً . وكنت بين الفينة والأخرى أسأله عن بعض الأمور
في الاسلام فيوضحها لي ، ويبين لي حكمتها . ومع مرور الأيام

بدأت الصورة الحقيقية للإسلام تتضح أمام ناظري" ، وبدأ حب الإسلام يشيع في نفسي ويمتلك علي" قلبي ، حتى عزمت ذات يوم أن أعلن إسلامي ، ففاتحت زوجي بذلك ، ففرح به كثيراً وأعرب عن سعادته بعد أن تأكد من صدق عزمي . وهكذا ذهبنا إلى وزارة العدل معاً حيث أعلنت اعتناقي للإسلام ، وزوّدتُ بإعلان رسمي يُثبت ذلك .

وهنا سُئلت السيدة نجوى ادمون شوفاني المارونية الأصل: هل تؤدّين العبادات الإسلامية بانتظام ؟ فقالت: نعم والله الحمد ، فأنا أصلي الصلوات الخمس اليومية وأحافظ عليها في مواعيدها ، وسيكون شهر رمضان القادم أول شهر أصومه ، إن شاء الله ، بعد إسلامي . وأمنيتي أن يوفقني الله سبحانه وتعالى لأداء فريضة الحج وزيارة مسجد رسول الله ﷺ ومشواه الأخير في المدينة المنورة .

ثم كان السؤال التالي : هل قرأت كتباً كافية عن الإسلام لزيادة اطلاعك على دينك الجديد ؟ فأجابت السيدة نجوى بقولها : لقد أحضر لي زوجي بعض الكتب عن الإسلام وسيرة الرسول ﷺ ، وقرأتها بشغف عظيم .

وكيف وجدت النبي محمداً ﷺ بعد قراءة سيرته ؟ على هذا السؤال أجابت الأخت نجوى قائلة بأسلوب المرأة البسيطة الصادقة : إنه رسول كريم ، لا أثر للكبر في نفسه ، متواضع ، يحب الخير للناس جميعاً ويحرص على هدايتهم ، رحيم بالمسلمين .

بعد ذلك قال محرر الرأي العام للأخت نجوى : ما هي الجوانب التي لم تراحي لها في دينك السابق ، والتي أعجبتك ما يقابلها في الاسلام ؟ فقالت : الواقع أن هناك عدداً كبيراً من الأفكار التي لم يطمئن إليها عقلي ، ولم يقبلها فكري . ولقد عرفت فيما بعد أن كثيراً مما ليس في الإنجيل أصلاً قد أُضيف إليه ، كما حُرِّف ما فيه . قال تعالى : « فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ، فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون » . صدق الله العظيم .

ومن هذه الأفكار المحرّفة مثلاً ما يلي . قرأت في الإنجيل الآية التي تقول عن سيدنا عيسى عليه السلام أنه « صلبَ وقام » ، بينما وجدت القرآن الكريم يقول : « وقولهم إنا قتلنا المسيح بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبهَ لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شكٍ منه ، ما لهم به من علمٍ إلا اتّباع الظن ، وما قتلوه يقيناً ، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً . وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمننّ به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً » . صدق الله العظيم .

كذلك يوضح القرآن الكريم مكانة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام في عدة آيات من سورة المائدة ، تلخص عقيدة المسلم بهذا الخصوص ، فيقول : « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم

وأمه وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ، وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

ويقول أيضاً : « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم ، وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ . لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا إله واحد ، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسَّنَّ الذين كفروا منهم عذاب أليم . أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم . ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، وأمه صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ، انظر كيف نبَّيْنَا لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظر أنْتَى يُوَفِّكُونِ » . صدق الله العظيم .

ويعنطق لا يمكن رفضه يقول القرآن الكريم عن قضية خلق عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيضرب لها مثلاً لا مجال إلا للتسليم به . يقول تعالى : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك فلا تكن من الممترين » . صدق الله العظيم .

وهذه آية أخرى عن سيدنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من سورة المائدة أيضاً : « وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأميَ إلهين من دون الله ، قال سبحانه ، ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلتَه فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما

أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ، و كنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد . صدق الله العظيم .

وأخيراً هذه آية من سورة النساء حول الاعتقاد الصحيح بعيسى عليه السلام . قال تعالى : « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى بن مريم رسولُ الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورُسُله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم ، إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد ، له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً . لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ، ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً » . صدق الله العظيم .

فعندما قرأت الأخت نجوى هذه الآيات الكريمة عن سيدنا عيسى عليه السلام عرفت الحق فأمنت به دون تردد . وتضيف الأخت نجوى إلى هذا السبب الجوهرى في اعتناقها الاسلام سبباً وجيهاً آخر فتقول : ومن الدوافع الأخرى التي جعلتني أختار الاسلام ديناً قضية الاعتراف لدى رجل الدين ، مع أنه رجل من البشر مثلنا لا يملك لنفسه المغفرة فكيف يملكها لغيره ؟! بينما في الاسلام نجد التوبة مفتوحة للناس جميعاً بينهم وبين ربهم ، دون أي وسيط من البشر . قال تعالى : « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ،

إنه هو الغفور الرحيم . صدق الله العظيم .

وهنا سُئلت الأخت نجوى هل علم أهلها بإسلامها ، وكيف كان موقفهم من ذلك ؟ فأجابت بقولها : لقد علموا بإسلامي ، وحاولوا أن يقنعوني بالعدول عنه والعودة إلى ديني السابق . ولكن محاولاتهم لم تنجح ، فأنا ثابتة على إسلامي بعد أن أنعم الله عليّ بالهداية .

أما موقفي أنا منهم فإنني أحمل لهم في قلبي كل حب وودّ ، وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يهديهم إلى الاسلام ، دين الفطرة ، كما هداني إليه .

وأخيراً دُعيت الأخت نجوى إلى توجيه كلمة إلى إخوانها وأخواتها في الاسلام فقالت : أريد أن أتوجه بالرجاء إلى كل أخ مسلم وإلى كل أخت مسلمة أن يعودوا إلى التمسك بدينهم العظيم ، دين الاسلام ، لأنه دين الرحمة والعدل ، الدين الذي ختم الله به الأديان جميعاً ، وجعل فيه الخير والسعادة للناس في دنياهم وآخرتهم .

٣ - أحمد جيرمان - المانيا الغربية

هذه قصة إسلام السيد أحمد جيرمان - رئيس المسلمين الالمان في ولاية رينانيا وست فاليا - وهي الولاية التي تقع فيها مدينة كولون، ويبلغ من العمر ٤٩ عاماً ، وهو يعمل في مكتب الماني لشؤون السياحة .

وقد حصلت عليها من ولده نوري ، الذي كان يدعى قبل إسلامه نوربارت والبالغ من العمر ٢٩ عاماً ، وذلك أثناء زيارته الاولى للكويت ضمن وفد المركز الاسلامي في كولون الذي ضم أربعة من المسلمين برئاسة الاستاذ محمد أحمد رسول وعضوية نوري ، ومسلم الماني آخر ودكتور الماني مسلم من أصل تركي ترك عمله وعبادته وجاء ضمن هذا الوفد الاسلامي للحصول على العون المالي من الكويت لإنشاء مسجد للعالم الأتراك المسلمين في كولون ثانية المدن الصناعية الالمانية ، والتي يقطنها أكثر من خمسين الف عامل مسلم من تركيا . كما ان هذا المركز يقوم بجهد مشكور لتعليم أطفال المسلمين امور دينهم ، ف لديهم مدرسة

لأطفال المسلمين الأتراك ، ولكن إمكانات هذا المركز ضئيلة جداً ويحتاج إلى الدعم المالي الكبير حتى يقوم بواجبه على خير وجه ممكن .

وقد حدثني الأخ محمد رسول رئيس الوفد ، أن المسلمين في اوربا عامة يواجهون مع الأسف تعصباً وكتباً لحقوقهم ، رغم أنهم يعيشون في أرقى بلاد الدنيا التي تنادي بحرية الاعتقاد وحرية الفكر ، ولكنها عندما تواجه الإسلام تتصرف بحقد وتعصب شديدين . وهذا أمر يؤسف له حقاً. كما ذكر لي الاستاذ محمد رسول أن الأتراك المسلمين في المانيا شديداً التمسك بدينهم ولهم أمتهم الذين يسمى الواحد منهم « خوجه » يقوم على تربية الأبناء تربية إسلامية طيبة وهم بحاجة إلى العون المالي . وقد رأى أحد الزائرين المسلمين طفلة صغيرة في مدرسة المركز الإسلامي في كولون ، وكانت طفلة صغيرة نحيلة الجسم تحفظ شيئاً من القرآن الكريم وتحميد التلاوة إجابة تامة ، فأبدى الزائر تأثره مما رأى ، فقال له الخوجه الإمام التركي المسلم الذي يقوم على تدريسها : « إن لدينا ٤٥ طفلة أخرى مثلها في المدرسة » .

نعود الآن إلى الأخ أحمد جيرمان وأسرتة . يقول ولده الأخ نوري : يبلغ أبي من العمر حالياً ٤٩ عاماً ، وله أسرة مكونة من أربعة من الأبناء وزوجة ، والأبناء اثنان من الذكور وبنتان . وقد أسلم الأب قبل حوالي ١٢ عاماً ، ثم أسلم بعده ولده الأخ نوري ، وذلك بعد إسلام الأب بسنتين اثنتين .

سألت الأخ نوري ، وهو لا يجيد العربية ، قلت له عن طريق مترجم الماني جلس معنا : كيف أسلم والدك يا أخي ؟ فقال :

– لقد كان والدي يعمل في الأصل مسؤولاً في كنيسة البلدة التي يقيم فيها ، وكان عمله عبارة عن رعاية شؤون العمال المسلمين الأتراك في تلك المنطقة ، وتقديم العون المالي والمعنوي لهم باسم الكنيسة . وهذا أسلوب من أساليب التبشير النصرانية كما هو معلوم . فكان الوالد يساعد العمال الأتراك المسلمين المهاجرين إلى كولون للعمل ، في تأمين السكن لهم ، وإنجاز مصالحهم وتسهيل معاملاتهم لدى سلطات الحكومة الألمانية .

ومن خلال عمله المذكور في الكنيسة ، تعرف الوالد على إمام تركي كان مسؤولاً عن مسجد صغير في بلده منشن غلادباخ ، وكان يدعى الشيخ حسن زاجر ، وهو عبارة عن عامل متدين يقوم بالإمامة في المسجد المذكور للمسلمين الأتراك . وكان حسن زاجر هذا من أسرة يونانية الأصل مهاجرة من شمال اليونان ، وكانت أسرته على علاقة واحتكاك بالنصارى اليونانيين . وهكذا كان الشيخ حسن زاجر يعرف كيف يناقش النصارى في أمور دينهم ويدحض حججهم ، حيث اطلع على تعاليم الديانة النصرانية إبان طفولته وصباه بشكل جيد يؤهله لمثل تلك المناظرات . وهكذا فقد كان السيد أحمد جيرمان ، بصفته ممثلاً للكنيسة ، يدخل في مناقشات حامية الوطيس مع الشيخ حسن

زاجر، ويشترك معه في مشادات كلامية أحياناً، تتضمن مقارنة بين المسيحية والإسلام، وقد استمر ذلك حوالي ثلاث أو أربع سنوات انتهى بعقد صداقة وثيقة بين الرجلين. ومرّت فترة بعد ذلك هدأت فيها نفس السيد جيرمان، فما كان منه إلا أن اعتنق الإسلام على يد الشيخ حسن زاجر نفسه.

تذكرني هذه الحادثة بلقاء تمّ بيني وبين مسؤول كبير في شركة الملاحة العربية المتحدة، وهو مدير العمليات البحرية بالشركة، وهو رجل انجليزي لطيف. ذهبت إلى الشركة لمقابلة صديق لي فيها فلقيت عنده المدير المذكور، فجرى بيني وبينه حوار بدأه هو بالسؤال التالي، بعد أن رأى نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الانجليزية، قال لي: لا شك أن الله سبحانه وتعالى موجود، ولا شك أن هذا الكتاب هو من عند الله، ولكن إذا كان هذا القرآن موجّهاً إلى الناس كافة كما يقول المسلمون، فلماذا أنزله الله باللغة العربية بالذات بحيث أحوجنا إلى عناء ترجمته ونقله إلى لغات أخرى كما يفعل الداعون إلى الأديان الرئيسية في العالم؟ لقد كان بوسع الله القادر على كل شيء، أن ينزل كتابه في عدة لغات رئيسية فتتضح رسالته للناس كافة، ويقيم الحجة عليهم جميعاً.

وهنا قلت له: إنك تعني أنه لماذا أنزل القرآن الكريم باللغة العربية بالذات؟

فنظر إلى صديقي مرؤوسه نظرة فهمت منها طلبه منه أن

أرفق بمديره الذي أناقشه ، فطمأنته بأنني ارحب بالنقاش الحرّ . وقلت للمدير : إن نزول القرآن الكريم باللغة العربية هو تكريم وتشريف للناطقين بهذه اللغة ، العرب ، كما ان فيه مسؤولية ضخمة يحمّلها الله لهم . وأعود بك إلى أول خمسين سنة من تاريخ انتشار الإسلام ، منذ بعثة النبي محمد ﷺ حتى خلافة عمر بن عبد العزيز تقريباً . ألم تكن رسالة الإسلام منتشرة من الصين شرقاً إلى شواطئ الأطلسي غرباً ؟ أي انه انتشر في كافة أنحاء العالم القديم ، ولم يمنع حاجز اللغة من انتشاره . بل على العكس من ذلك ، لقد انتشرت اللغة العربية مع انتشار الإسلام وأصبحت بلاد كثيرة تنطق بالعربية بعد أن تركت لغتها الأصلية . ألسنت معي في ذلك ؟

ثم أضفت قائلاً : لذلك أعتقد أن من الأفضل تعليم الناس اللغة العربية تمهيداً لنشر الإسلام بينهم بدلاً من ترجمة معاني للقرآن الكريم إلى لغات عدة ، لأن الترجمة لن تكون هي القرآن أبداً ، ولست هنا أدعوك لاعتناق الاسلام ، وإنما أدعوك إلى دراسته ومحاولة التعرف عليه . وأطمئنك أن الإسلام ينتشر في كل بقعة من بقاع العالم اليوم ، واللغة العربية هي عامل هام من عوامل توحيد المسلمين في العالم . وبهذا انتهى ذلك اللقاء الذي يبين ما في نفوس الغربيين من شبهات حول الاسلام .

نعود إلى قصة السيد أحمد جيرمان الذي أسلم لله على يد رجل بسيط أثر عليه رغم رصيد ذلك الالمانى من الحضارة المادية وفي

أرقى بلاد الدنيا - المانيا . فرغم ذلك ، فقد أسلم الرجل الغربي المتقدم على يد عامل مسلم بسيط ، بيد سلاح واحد هو الحق الذي يتهاوى أمامه كل باطل : « وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » . صدق الله العظيم .

وهنا سألت الولد ، واسمه بعد إسلامه نوري : ومتى كان إسلامك ؟

فقال : لقد أسلمت بعد والدي بعامين ، وقد أمضيت معظم ليلة أمس مع الاستاذ محمد رسول في الفندق ، أتعلم منه كيف أقوم بإمامة الناس في الصلاة ، لأنني أتطلع إلى خدمة هذا الدين والدعوة إليه .

وسألته بعد ذلك : وماذا عن باقي أفراد اسرتك ؟

فأجاب : في الحقيقة إنني أنا الوحيد من إخواني الذي اعتنق الإسلام ، وأملي كبير أن نوفق أنا والدي إلى هداية إخواني الثلاثة الباقين . أما والدي فلا تزال متمسكة بدينها ، وطبيعي ان من العسير إقناع المرأة الكبيرة بتغيير دينها . ونحن بالطبع لا نعمل أبداً على إكراهها لأنه لا إكراه في الدين ، وسنصحها خير صحبة ونعاملها أفضل معاملة ، لأن الإسلام هو دين التسامح .

وبعد ، فلا بد من كلمة نوجهها إلى الغيورين على نشر هذا الدين في كل مكان من عالمنا الإسلامي ، الذين آتاهم الله من

الإمكانات ما يتيح لهم الفرصة لعون إخوانهم المسلمين ، نقول لهؤلاء الإخوة : إن من الواجب دعم إخوانكم المسلمين الأتراك المهاجرين إلى المانيا ، حتى يثبتوا على دينهم ويكونوا سفراء للإسلام في المانيا ، لأن إقامة مركز إسلامي في كولون بألمانيا مثلا هو بمثابة وضع حجر أساس لنشر الدعوة الإسلامية هناك . والله يشرح الصدور لكل خير .

٤ — عبد الله كوينناوا — غانا

هذه هي قصة رجل من غانا كان يدعى قبل إسلامه الفريد كوينناوا ، ثم لقب نفسه بعد أن أسلم عبد الله كوينناوا . هذا الرجل شبَّ على الضلالة ، فجرفته الغواية حتى كاد يتشبع بها لولا أن حفظته هداية الله ، وحماء نور اليقين من الشك القاتل ، فانبلج أمامه صبح الإيمان بعد جهاد مرير مع نفسه وعقله .. كان يلحُّ على عقله بأن يفكر ويناقش تلك الأباطيل التي لا يقبلها العقل ولا يساندها المنطق .

رأى الفريد كوينناوا الضلالة أمام عينيه يتلقاها إخوانه على أيدي رجال الدين ، وتجسَّمت له هذه الأباطيل عندما سمع في دروسه الدينية ان عيسى بن مريم هو الله في زعمهم ، وأن السيدة مريم هي أم الله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . كانت هذه الترهات شبحاً خفيفاً يقضُّ مضجعه ويؤرق جفنيه . وأراد أن يعترض فلم يسمع له أي إنسان ، وأراد أن يناقش فاتهموه بالزندقة والكفر وتوعَّدوه بالعذاب ، وهدَّدوه بالحرمان من

الجنة ونعيمها .

قالوا له إن هذه أسرار لا يعلمها إلا رجال الدين وعليه أن يؤمن بها على علاتها دون أدنى اعتراض أو مناقشة . وقد شعر يومها أن شيئاً عظيماً يجب أن يحدث في حياته ، فخرج مسرعاً من قاعة الدرس ، وقرّر أن لا يعود إلى هؤلاء الناس الذين يسخون الحقائق ويشوّهون معالم الوجدانية ، وعاهد نفسه أن يصل إلى الحقيقة وحده مهما كلفه ذلك من ثمن ، فأعمل عقله وأجهد نفسه في القراءة والتفكير يريد أن يصل بروحه وكيانه إلى مبدع هذا الكون ، لأنه يتحرّق شوقاً إلى الهدى والنور . . فتوسّل هذا العبد القلق الحائر إلى الله أن يهديه إلى طريق الصواب ، ويرشده إلى معرفة الحق ، فاستجاب الله دعاءه ، لأنه قريب يجيب دعوة الداع إذا دعاه ، وخرج من ظلمة الشك إلى نور اليقين ، وعندها شعر لأول مرة في حياته بالاطمئنان يغمر قلبه وبالسعادة تملأ جوانحه ، وذلك حينما نطق بالشهادتين على يد الحاج شعيب وأصبح من وقتها مسلماً .

الفريد كوبيناوا . . إنه أخ جديد من غانا . . جلست أستمع بشغف بالغ إلى قصة إسلامه ، وأتأمل ملامحه الجادة المعبرة التي تدلّ على الثقة الكاملة والإيمان العميق . أخذ يقصّ عليّ قصته في رويّة وتمهل ، وكان يتخلل حديثه لحظات قصيرة من الصمت يقطعها بقوله « الحمد لله » ، وكأنه في صمته هذا يسترجع بعض الذكريات او يمسح عن نفسه آثار الماضي البغيض .

بدأ السيد عبدالله كوبيناوا حديثه معي قائلاً : ولدتُ مسيحياً مؤمناً بديني كل الإيمان ، و كنت دائم الذهاب إلى الكنيسة منذ أن وعيت ، فضلاً عن إيماني بالله وحيي له وتفاني في ذاته ، ومناجاتي إياه دائماً في السر والعلن ، فقد كنت أبغى الهدى وأنشد الراحة من هذه الخرافات الكاذبة ، لأنني - والحق يقال - أحسست في قرارة نفسي انني غير مطمئن لبعض هذه الأراجيف التي يلقنها لنا رجال الدين .

ثم يضيف الأخ عبدالله كوبيناوا الغساني المسلم قائلاً : كنت أعيش في دوامة نفسية قاسية وفراغٍ روحي مملّ يكاد يعصف بكياني كله ، وفي الوقت نفسه كنت أرى هاتفاً يهتف بي من داخلي أيضاً ليعترضني ويقول : لا .. يجب أن لا تثور على دين آباءك وأجدادك .. فوجدت نفسي بين عاملين يتنازعني كل منهما ويشدّني إليه بقوة ، فضاقت بي الدنيا حتى كدت أختنق ، وتملكتني رغبة عارمة في الفرار منها . ولم أجد مكاناً أذهب إليه ، بعد أن التوت أمامي الطرق ، سوى الكنيسة ، فلعل فيها ما يريحني ويدفع عني غوائل الشك والإلحاح . وفعلاً ذهبت إلى الكنيسة كعادتي ، وكانت هناك صورة تمثل المسيح مصلوباً ، وأحد رجال الدين يشير إليها قائلاً : هذا هو الله ، خالق الكون وأمه السيدة مريم هي أم الله !.. فلم أتمالك نفسي ولم أستطع أن أكنم غيظي ، وصححتُ معترضاً ، ولكن هيهات فقد ضاع صوتي ولم يقبل اعتراضي ، ورُميت بالكفر والزندقة .. وحينما

أردت أن أناقش مناقشة منطقية 'هددت' بالحرمان من الجنة ونعيمها . وحينئذ لم أجد عوناً على ثورتي هذه إلا الفرار من هذا المكان مسرعاً ، فضيت من فوري لا ألوي على شيء ، وأخذت إلى نفسي احدتها وأستلهمها الجواب .. كيف يكون السيد المسيح هو الله ، مع انه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرراً ؟ وكيف يكون الله بشراً مثلنا ؟ وامن الذي خلقه هو إذن ؟ وأيقنت ان خير وسيلة لي هي ان أبتعد عن هؤلاء الناس ، فلم أذهب إلى الكنيسة بعد ذلك اليوم .

وهنا صمت الأخ عبدالله كوبيناوا برهة ، جاشت خلالها نفسه بشتى الأحاسيس ومختلف الذكريات . وبعد فترة وجيزة من الصمت عاود حمده لله واستأنف حديثه قائلاً :

وفي ليلة لن أنساها ما حيت ظلمت أقرأ وأفكر حتى شعرت ان عقلي يكاد ينفجر ، فقامت مسرعاً واتجهت إلى ربي واصلت له وتوسلت اليه ان يهديني وأن ينقذني مما كنت فيه ، وأن يأخذ بيدي إلى طريق الحق والخير وبرّ النجاة والأمان . ثم يحدثنا الأخ عبدالله عن تجربة مثيرة في حياته فيقول :

وفي أحد الأيام ، وبيننا أنا أسير في شارع من شوارع غانا ، استوقفني جمع كبير من الناس ، وبينهم أحد الخطباء ، فذهبت اليهم لأستطلع الأمر ، فسمعته ينشر فيهم بعض التعاليم الفاضلة كالنظافة والوضوء والإخاء والتسامح وحب الخير والخضوع لله

وحده والنداء باسمه عزّ وجلّ لا شريك معه . فتساقت نفسي
لهذه المبادئ السامية وأشرفت روحي على قدسية النور الإلهي
ووجدتني أنتبه فجأةً وأصغي بكل جوارحي إلى هذا الحديث
العذب الذي نزل على قلبي برداً وسلاماً. وفي هذه اللحظة بالذات
ذقتُ معنى السعادة لأول مرة في حياتي وشعرتُ ان هناك قوة
خفية تدفعني إلى هذا الخطيب لأسأله المزيد من هذه النفحات
الكريمة وأطلب منه إيضاحها لي ، وقد كانت إجابته تتفق مع
ما في نفسي فتحدّر إحساسي وتهدهد خاطري وتمسح عني ذلك
الأمّ الدفين ، فحمدت الله الذي هداني أخيراً إلى طريق السلام
الروحي وغمر قلبي بشمع من الأمل الباسم ، وشكرت هذا
الواعظ على ما قدمه لي إذ أوصلني إلى طريق الله ، طريق
الإيمان والأمان . فلم أتمالك نفسي وتلوت الشهادتين ، ثم أشهرت
إسلامي في ٣٠ يوليو سنة ١٩٥٣ على يد الحاج شعيب شيخ
الإسلام في غانا .

قلت للأخ عبدالله : تقول انك قرأت كثيراً ، وبالطبع لم
تقتصر قراءتك على دين بعينه ، فلماذا أحببت الإسلام واخترته
ديناً لك ؟

فردّ قائلاً : يكفي ان الدين الإسلامي هو الدين الوحيد
الذي لا يشرك مع الله أحداً غيره ، ثم انه يعبّد الإنسان بالجزاء
مضاعفاً في الآخرة ، وأي مسلم حقيقي لا يذهب أبداً إلى أبعد

من هذا ، وليس هذا فحسب ، بل هناك مئات المزايا الحسنة التي حبّبت الإسلام إلى نفسي .

سألت الأخ عبدالله : وهل وجدت معارضة من أهلك او من أحد من الناس على إسلامك ؟

أجاب : أنا لا تهمني إلا معارضة أهلي ، وقد ثاروا عليّ فعلاً بادىء الأمر ، إلا أنني استطعت أن أثبت لهم عملياً أن هذه الثورة لا معنى لها . وقد رحبوا بديني الجديد عندما رأوا مني الاستقامة واجتناب المنكر والامتناع عن شرب الخمر ، حتى التدخين عافته نفسي لأنه يضرّ بالصحة والمال ، وهذا لا يتفق مع تعاليم الإسلام . وقد تبعني في ذلك أخي الأصغر بإيعاز من أهلي .

وسألته أيضاً : هل كانت لك وظيفة في غانا ؟

فقال : نعم ، كنت أتعهد الأغذية لمدارس الحكومة .

وسألته : ولماذا تركتها وجئت إلى بلاد العرب ؟

فقال : في الواقع انني على استعداد لأن أضحّي بكل عزيز وغالي في سبيل الوصول إلى مزيد من المعرفة التي تكشف لي حقائق الإسلام . والسبب الرئيسي الذي جعلني أحضر إلى البلاد العربية هو ظمأ المسلمين وغير المسلمين في غانا إلى معرفة تعاليم الإسلام الحقّة . وقد استطعت بحمد الله أن أقنع سبعة وخمسين من أبناء غانا وأهديهم إلى الإسلام ، ولعلك تعجب من

ذلك، رغم أنني في بداية الطريق ولم أتعتمّق في دراسة الإسلام، فكيف إذا درست الإسلام وعلمت أصوله وحقائقه؟ أملي كبير في أن أكون هادياً إلى هذا الدين الحنيف إن شاء الله كي أفند الأباطيل التي يتشدد بها أعداء الإسلام من مبشرين وغيرهم . ولقد ذهبت إلى جامعة سيلان وتلقيت فيها بعض العلوم، ولكنني أردت أن أتعلّم لغة الدين الذي أحببته فنصحني أحد أصدقائي المسلمين وأنا في طريقي إلى مكة سنة ١٩٥٩ م بالتوجه إلى القاهرة باعتبارها المعين الغياض والمنهل العذب للعلوم الإسلامية والعربية . جئت إلى القاهرة لأتعلّم الدين الإسلامي في الأزهر الشريف ، وعندما أعود سأجد كثيراً من إخواني المسلمين والنصارى على السواء ينتظرونني بفارغ الصبر ، لا سيما وقد استطعت اقناع أكثرهم باعتناق الإسلام ، ولهذا أريد التفقه في الدين والوقوف على تفاصيله وأساسه العادلة .

ويختم الأخ عبدالله كوبيناوا حديثه بقوله: وأول شيء سأفعله بعد تخرجي هو الدعوة إلى الإسلام في بلدنا ومحاربة المبشرين والعمل على نشر هذا الدين السمح ، فقد عاهدت نفسي على أن أكرّس وقتي ومالي لرفع راية الإسلام . ومن فضل الله أن ترك لي والدي مزرعة فأرجو أن يعينني الله على تحقيق هذه الأمنية الغالية .

٥ - فيصل محمد - هولندا

هذه هي قصة إسلام شاب هولندي كان اسمه قبل الإسلام مستر واجنر م . فاتخذ لنفسه بعد إسلامه امم فيصل محمد . وقد نشرت قصته وانطباعاته عن الإسلام في إحدى المجلات الإسلامية الواسعة الانتشار . تحت عنوان «لماذا اسلمت» كتبت المجلة تقول:

إذا غمرت الهداية قلب إنسان، ملأت صدره بالنور، وملأت فؤاده باليقين، وألبسته ثوباً قشيباً من الإيمان، وخلعت عنه رداء الشك والظلام، فينسب في روض مشرق من التأمّلات الوردية الشيقة، ويسبح في عالم الفكر والاستنتاج ليجد نفسه أخيراً على شاطئ الأمان والسلام، فيختر ساجداً لتلك القدرة الخارقة، قدرة الخالق العظيم التي تتحدى جميع القوى وتهيمن على سائر المخلوقات . وعندئذٍ يصبح المرء معترفاً من أعماقه : لا إله إلا أنت سبحانك إنك على كل شيء قدير .. وهذه القصة التي بين أيدينا هي خير شاهد وأعظم دليل عملي ملموس على ذلك .

فيصل محمد أو واجنر م . كما كان يلقب قبل إسلامه هو أخ

مسلم أشهر إسلامه في شهر ديسمبر من عام ١٩٥٢ بعد دراسة مستفيضة شغلت كل وقته وتفكيره ، ولكنه بعون الله وفضله اجتاز التجربة بنجاح ، ووصل إلى الحقيقة بعد أن أعياه البحث والتنقيب . يبدأ الأخ فيصل قصة إسلامه بقوله :

هناك عدة أسباب جعلتني أقرر اعتناق الإسلام ، فقد كنت قبل ذلك في حالة ذهنية مضطربة ، وهي حالة تسود معظم الشباب في أوروبا الغربية كما هو معلوم . وكنت حينئذٍ عضواً في الكنيسة الكاثوليكية بهولندية . في ذلك الحين لم تكن لديّ الشجاعة الكافية لكي أدعو نفسي مسيحياً حقيقياً بمعنى الكلمة . فقد كنت أعاني صداماً دائماً من جراء تفكيري التقدمي من جهة وإيماني بالعقائد المسيحية التي يجب أن يتقبلها الإنسان النصراني من جهة أخرى . إلا أن كثرة مصالح المتعددة وأعمال كثيرة ، وبحثي الدائب عن الدين الحق وتطلعي إلى حياة أهنأ وأسعد وأفضل ، كل ذلك أدى بي إلى الانفعال بالأدب الإسلامي فتأثرت بالقرآن الكريم ، فما أعظم قول الله تعالى : « وان من أمة إلا خلا فيها نذير » .

ويمضي الأخ فيصل فيذكر بعض الآيات القرآنية التي استوقفتها أكثر من غيرها . ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى :

« ان مَثَلَ عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين » . وقوله تعالى : « وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني

وأمي إلهين من دون الله؟ قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق . إن كنت قلته فقد علمته . تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك . إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتني به . أن اعبدوا الله ربي وربكم . وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم . فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم . وأنت على كل شيء شهيد . ان تعذبهم فإنهم عبادك . وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم .

وكذلك قول الله تعالى : إن الدين عند الله الإسلام . وقوله سبحانه : وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً . صدق الله العظيم . فقد تركت هذه الآيات العظيمة أثراً بالغاً في نفسي لأن فيها دليلاً على ذلك الطابع العالمي الذي يتميز به الإسلام ، فضلاً عما يمتاز به من النظم والتشريعات الأخرى ، وبيانه الكامل لحقيقة سيدنا عيسى عليه السلام . فهل هناك أقوى وأصدق من تلك التعامل المتحررة التي توصينا باحترام كل ما جاء به جميع الرسل والأنبياء؟ لا شك أن الدين الإسلامي هو دين الحق والصدق والبرهان .

ثم يشير الأخ فيصل محمد الهولندي الجنسية إلى دعوة الإسلام إلى طلب العلم وكيف أنه يحض المسلمين على ذلك فيقول : ومما هو جدير بالذكر ذلك الاتجاه العلمي الذي جاء على لسان الرسول صلوات الله وسلامه عليه حيث يقول في الحديث الشريف : اطلبوا العلم ولو في الصين . ويقول : مداد العلماء خير من دماء

الشهداء . ويقول عليه الصلاة والسلام: طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . وفي حديث آخر : من سلك طريقاً يبتهغي فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة . وغير ذلك كثير من الأحاديث النبوية الشريفة ، التي تحض على طلب العلم . فالإسلام دين العلم . ويكفي أن أول آية في القرآن أنزلت على محمد ﷺ هي قوله تعالى : اقرأ . كما أن الله تعالى يمجّد أدوات القراءة فيقول : ن والقلم وما يسطرون . وهذا اتجاه فريد يصعب وجوده في تاريخ الكنائس والأديان الأخرى . ولهذا تجدني وصلت من خلال هذه الدراسات الإسلامية ومما قرأته في كتاب الله تعالى الذي لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - وصلت بذلك إلى ما أبغيه لنفسه من الاستقرار والأمان . فالحمد لله على ذلك .

وهنا يتساءل الأخ الهولندي فيقول : من منا يسمع هذه الآيات البينات التي نزلت لتبين الأحكام الربانية وتشرح القوانين وتضع الأسس الكاملة لطريق الخير والرحمة ثم يعرض عنها ولا يؤمن بها ؟ لا ينكر ذلك إلا مكابر معاند أعمته الضلالة وتخبط في ظلام الشرك .

ويمضي الأخ فيصل في تساؤلاته فيقول : هل هناك أهدي من هذا الكتاب الذي يشتمل على حل لكل مشاكل الحياة بكل ما تشتمل عليه من نظم دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية ؟ ان من يقف على تلك التعاليم السامية يحزم بأنها بمثابة روح الحياة

ونعيمها ، وأنها بعينها الحقيقة الخالدة التي لا موارد فيها ولا التواء ، ولهذا جاء اقتناعي بهذا الدين بعد الدراسة والبحث والتأمل والتفكير .

سئل الأخ فيصل عن كيفية إظهاره لإسلامه فأجاب قائلاً : لقد أشهرت إسلامي على يد عالم جليل كان يزور بلدي هولندا في ديسمبر عام ١٩٥٢ ثم قررت أن أزور القاهرة لأرى الأزهر الشريف ، كعبة العلم وشعاع الأمل الذي يخرج منه عبير الإسلام قوياً ليهدي الحيارى ويسكب في قلوبهم رحيق الحياة . وأنا دائم الاطلاع على الكتب الإسلامية منذ أن أعلنت إسلامي ، بل لقد قمت بتأليف بعض الكتب رداً على هؤلاء المكابرين الذين يفترون على الاسلام فينسبون إليه تهماً هو منها براء . وليس هذا فحسب ، بل لقد أقيمت محاضرة قيمة حول مزايا الاسلام هناك في المسجد الكبير في امستردام بهولندا، كان لها أثر طيب في نفوس الحاضرين فالحمد لله على ذلك .

وقبل أن ينتهي اللقاء بالأخ فيصل قال :

ان الاسلام في هولندا بخير والحمد لله . فهناك نشاط إسلامي ناشئ وهناك جالية إسلامية تنمو مع الزمن ، وهناك اتحاد إسلامي يعمل على التعريف بالاسلام باللغة الهولندية . عسى الله أن يبارك في هذا الغرس الطيب .

هذه هي قصتي أو على الأصح قصة إسلامي التي اعتبرها بداية

طيبة لحياتي الجديدة ، تلك الحياة الصحيحة البعيدة عن الزيف
والخيال .

وبعد ، فهذه القصة تحمل في طياتها أنبل المعاني وأنصح
البراهين وفيها نبضة حية من نبضات الايمان الصادق إن شاء الله
الذي تحرك به قلب هذا الرجل الهولندي . فسبحان الهادي .
فهل هناك بعد ذلك أي مجال لمن يتخرص أو يفترى على هذا
الدين القويم ؟ دين العدالة والرحمة والإخاء ، دين الحق والحرية
والمساواة ؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .

٦ - فنساي مونتاي - فرنا
أو المنصوب بالله الشافعي

- ١ -

فنساي مونتاي أو المنصور بالله الشافعي كما يلقب نفسه بعد إسلامه ، هو رجل بحت وترحال اختص بدراسة القضايا الإسلامية والعربية عن كُتب ، قضى سنوات عديدة في المغرب والمشرق العربيين ، وفي إيران والسنغال واندونيسيا ، وقام برحلات كثيرة إلى مالي وغانا وساحل العاج والنيجر وموريتانيا وسيراليون . وقد نشر حوالي مئة بحث ومقال ، وما يقرب من عشرين كتاباً عن الإسلام والحضارة الإسلامية وعن المسلمين واللغة العربية ، كما قضى ست سنوات من عمره في ترجمة مقدمة ابن خلدون إلى اللغة الفرنسية صدرت في ثلاث مجلدات ، وكانت نهاية هذه الرحلة الميدانية والفكرية ، الاعلان عن إسلامه في مدينة نواكشوط المعروفة بنواكشوط ، عاصمة موريتانيا في صيف عام ١٣٩٧ هـ الموافق ١٩٧٧ م .

وقد نشرت له مجلة (فرنسا والبلاد العربية) في عددها الصادر في أبريل-مايو ١٩٧٨ مقالة مسهباً يشرح فيه الأسباب والدوافع التي حملته على اعتناق الإسلام . وقد نقلته جريدة (ديالوج) التونسية بحذافيره ، ونظراً لما في هذا المقال من مزايا ، فإننا نقله حسب نصه الوارد في جريدة ديالوج مع بعض التعليقات هنا وهناك لإتمام الفائدة .

يبدأ المنصور بالله الشافعي أو فنساي مونتاي حديثه عن إسلامه بقوله : إذا اعتنق الإنسان الإسلام ، فإنه يكون قد اختار ديناً أعني اختار طريقاً فيه تجاوز للذات ، أي أنه اتخذ لنفسه تصوراً للكون ومنهجاً للحياة ، والتحق بصفة واضحة بأمة توحيدها عقيدة ، ويعني ذلك بالنسبة لي ، وأنا في خريف العمر ، أن ألقى بنفسي ، رغم الشبهات التي تحيط بالنفط العربي ، في صف الفقراء أو معسكر الفقراء ، بمنطقة العواصف ، وإلى جانب الفلسطينيين ، ويعني ذلك أيضاً أن نفسي على هامش القوى العظمى ، وأن أضع المال جانباً دون إفراط في الزهد ، أي أن أكون في جانب العدل والحق .

ويضيف الأخ المنصور بالله قائلاً : وفي الوقت الذي نرى فيه العالم المعاصر يجعل من التقنية غاية تهرر الواسطة ، وبالأسف ، فإن الالتجاء إلى الإسلام يجعل المرء يرفض هذا المفهوم ويتمسك بقيم أسمى . وعلى كل حال فإنني أبقى فرنسياً شأني شأن شارل ديغول ، وتبقى فرنسا وطني ، أرضي وأرض أجدادي ، ولكن

« وطني الروحي » هو العالم العربي . إن انتائي للإسلام يمثل بالنسبة لي تحقيق ما في أعماق نفسي ونهاية المطاف المنطقية لوجودي ، وليس هو تمزقاً بين وفاءين ، بل يعكس تعمقاً وشعوراً بأن كل الخطوط السامية تتلاقى ، حسب عبارة الفيلسوف تيهارد دي شودان .

وقبل أن يستعرض الأسباب التي أدت إلى اعتناقه للإسلام ، يقول الأستاذ المنصور بالله : إن اعتناقي للإسلام يرجع لأسباب دينية وخلقية واجتماعية ، ودوافع ثقافية ومقتضيات تضامن دائم . أما عن الأسباب الدينية فقد جاء في صحيح البخاري حديث نبوي شريف يذكرنا بحقيقة لا جدال فيها ، وهي قول الرسول ﷺ : ما من مولود إلا يولد إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه (كتاب الجنائز) من رواية أبي هريرة . لقد نشأت في وسط كاثوليكي وتخلّست في وقت مبكر عن كافة الشعائر الدينية . فالمعتقدات المسيحية كانت غامضة بالنسبة لي ، وأعني بها التثليث والحلول وصلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر ، ويسمونها أسراراً لأنها حسب تعبيرهم لا تفهم عقلاً ، وبدون الإيمان بها لا يكون الانسان مسيحياً . والطقوس كانت تبدو لي بلا جدوى . والشعائر والطقوس المسيحية سبعة أهمها : التعميد والصلاة والصوم والعشاء الرباني وتقديس الصليب وحمله . وفيما يخص رجال الدين فإنني وإن كنت لا أفهم معنى الخلوة والتأمل الفردي أو الزهد ، لا أجدني في حاجة إلى وسيط بين

الخالق والمخلوق .

ويستطرد الأستاذ المنصور بالله الشافعي في قصته فيقول :
وفيما بعد شعرت بوجود حجر عثرة بين الديانة المسيحية والإسلام
وأعني بها ألوهية المسيح عيسى عند النصارى التي يرفضها الإسلام
ويفندها ويدحضها ، ومن جهة أخرى رسالة محمد ﷺ ونبوته
التي يعتبرها النصارى مجرد ادعاء لا يؤمنون به . فكل محاولة
للتوفيق بين الديانتين كانت تبدو لي مصدر اضطراب وبلبلة ،
لذلك تحتم عليّ الاختيار بينها اما أن أؤمن بالمسيحية أو بالإسلام
فاخترت الإسلام .

ثم يقول : لقد اكتشفت القرآن لأول مرة من قراءة ترجمته
الفرنسية الصادرة عام ١٦٤٧ م . كان ذلك في مدرسة سان سير
فيما بين عامي ١٩٣٤ - ١٩٣٦ وهي مدرسة عسكرية لتخريج
الضباط توجد في ضواحي باريس ، وكان الأستاذ المنصور بالله من
طلابها . وجدير بالذكر أن أول ترجمة فرنسية لمعاني القرآن الكريم
هي الترجمة المشار إليها ، وقد تبعتها عدة ترجمات بلغت أكثر من
٤٠ ترجمة قام بأغلبها مترجمون فرنسيون ، ولم تخل هذه الترجمات
من تشويه أو تحريف . المهم أنني كنت كل أسبوع أنسخ باعتهاء
بضع آيات أختارها من الترجمة .

بعد ذلك يتحدث عن قضية الإيمان بألوهية المسيح فيقول :
وفيما يتعلق بقضية المسيح ﷺ ، فلم أستطع الاعتقاد بأن الله
الواحد يمكن أن يكون له ولد ، وكان الموقف الوحيد المنطقي

والمرضي بالنسبة لي هو موقف القرآن الكريم الذي يقول : إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله و كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه . سورة النساء ، آية ١٧١ . وفي سورة الاخلاص نقرأ قول الله تعالى : « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » .

ثم يعلق الأستاذ المنصور بالله الشافعي على ذلك بقوله : لم يكن المسيحيون الأوائل بعبيدين كل البعد عن هذا المفهوم الإسلامي . فقد ظلوا على العقيدة الإسلامية الصحيحة حتى عام ٣٢٥ ميلادية حين عقد مجمع نيقية وأعلن رسمياً أن المسيح إله ابن وحيد لله . وأغرب عن ذلك ما صدر عن مجمع روما الرابع الذي عقد في عام ١٢١٥ ميلادية لتحديد كنه الذات الإلهية بقوله عنها : لا تلد ولم تولد . فهذا الاعلان ليس في حقيقته إلا ترجمة حرفية للآية الثالثة من سورة الاخلاص « لم يلد ولم يولد » . لذلك كله لم أستطع قبول العقائد المسيحية الكبرى الثلاث وهي التثليث والحلول والصلب . وفيما يخص المعتقد الأخير وهو الصلب فإنني أؤمن بما جاء في القرآن الكريم وهو قول الله تعالى : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » . وقوله تعالى : « بل رفعه الله إليه » . النساء آية ١٥٧ .

بعد ذلك ينتقل الأستاذ المنصور بالله إلى نقطة أخرى فيقول : والملاحظ أيضاً أن كلام الله هو القرآن الكريم عند المسلمين في حين أنه المسيح لا الإنجيل عند النصارى .

ثم يتحدث عن أصل كلمة مسيحي ومسيح فيقول : إن لفظه

مسيح بالعربية تعود إلى أصل آرامي ، ثم ترجمت إلى اليونانية فأصبحت كريستوس .

ثم يقول بكل وضوح وجلاء معلناً إسلامه :

إنني لا أشك لحظة في رسالة محمد ﷺ . وأعتقد أنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأنه بعث للناس كافة ، وأن رسالته جاءت لحتم الوحي الذي نزل في التوراة والإنجيل . وأحسن دليل على ذلك هو القرآن المعجزة . فأنا أرفض خواطر بسكال العالم الأوروبي الحاقده على الإسلام والمسلمين إلا خاطرة واحدة وهي قوله : ليس القرآن من تأليف محمد ، كما أن الإنجيل ليس من تأليف متى .

ويختم الأستاذ المنصور حديثه بقوله : لقد وصلتني مؤخراً رسالة من بيروت كتبها لي صديق نصراني لبناني يرجوني فيها أن أجتنب إيذاء المسيحيين ، وأن أتفادي ازاءهم كل كلام فيه إثارة وعدوان من شأنه أن يصدر عن إنسان حديث العهد بالاسلام ، وأنا عازم على الوفاء بذلك لأن النصراني في نظر المسلمين هم أهل كتاب شأنهم شأن المسلمين أنفسهم ، ولأن القرآن الكريم يدعو إلى التسامح ولأن الله تعالى يقول : ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصراني . وأخيراً لأن النصراني هم أهل ذمة يوصينا رسول الله بهم خيراً فيقول : من آذى ذمياً فقد آذاني .

وإلى الحلقة القادمة لتكمل قصة إسلام الأستاذ المنصور بالله الشافعي .

٧ - فنساي مونتاي - فرنا
أو المنصور بالله الشافعي

- ٢ -

قدمنا في الحلقة الماضية قصة إسلام الأستاذ فنساي مونتاي أو المنصور بالله الشافعي من فرنسا . وقد تحدث عن الأسباب الدينية التي دعته إلى اعتناق الإسلام . وفي هذه الحلقة يبدأ الأستاذ المنصور بالحديث عن الأسباب الخلقية التي جعلته يختار الاسلام ديناً فيقول :

إن الاسلام لم يناد بالخطيئة الأولى ، فالقرآن الكريم يقول :
« وعصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » .
صدق الله العظيم .

وبناءً عليه فإننا لا نجد في الاسلام أي شعور بالذنب في مفهومه الانكلوسكسوني وهو مصدر العصاب المسيحي حسب تعبير الدكتور صولينياك الطبيب الكاثوليكي . ومن جهة أخرى

فإن العفة والزهد في نظر الاسلام ليسا مثلاً بعيدة المنال بالنسبة للبشر . فالله تبارك وتعالى يقول : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً » ، ويقول سبحانه : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » . (المائدة : ٦) .

ثم يتناول الأستاذ المنصور عدداً من الشبهات الرئيسية التي يثيرها خصوم الاسلام ، فيرد عليها ويدحضها ويفندها بالدليل الدافع فيقول :

أما الشبهات الخمسة الكبرى التي تثار دوماً ضد الاسلام في الغرب ، فأنا أراها غير ذات موضوع على الاطلاق ، وأعني بها : الجبرية ، والتعصب والقسوة ، والرق وتعدد الزوجات .

وهنا يتحدث عن الجبرية فيقول : الجبرية ما هي في الحقيقة إلا التوكل على الله والخضوع بين يديه . فالارادة الإلهية تتمثل في أوامر القدر . لكن القرآن لا يتعرض لقضية الجبر بفهومها النظري . يقول الشيخ محمد متولي شعراوي : ماذا تعني كلمة أمر الله . لنعد إلى القرآن الكريم نجد الآية الكريمة : « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » . إذن أمر الله هو إرادة الله ، والارادة هي كلمة كن . وفيما يخص حرية الاختيار فإنه يجدر التأمل في الآيتين التاليتين من سورة الانسان « فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً ، وما تشاؤون إلا أن يشاء الله » .

بعد ذلك يتناول التهمة الأخرى وهي التعصب فيقول :

إن الإسلام لا يوجب استعمال القوة إلا عند الدفاع الشرعي أو الحرب العادلة الجهاد . جاء في صحيح مسلم ان رسول الله ﷺ يقول : من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان . أوليس الإسلام إذن هو الديانة الحنيفية السمحة ؟

ثم ينتقل إلى الشبهة الثالثة التي تثار ضد الإسلام من قبل أعدائه وهي القسوة فيقول : والمقصود بالقسوة هنا شدة العقوبات الشرعية ، وعلى الأخص الرجم والتغريب وقطع يد السارق . فإذا أخذنا بعين الاعتبار أن الإسلام يقدس العلاقات الأسرية ، ويحرص أشد الحرص على أن ينسب الأبناء إلى آبائهم الحقيقيين من هنا نرى بشاعة جريمة الزنا في نظر الإسلام مما استدعى عقوبة رادعة في هذا الموضوع الشديد الحساسية . أما عن قطع يد السارق ، فاليد لا تقطع إلا إذا ثبت بالأدلة الدامغة على أن الفاعل سرق دون حاجة أو إكراه ، وإنما اعتدى على المال المحرم عليه ، وحيث أن الإسلام قد كفّل للمسلم ولغير المسلمين دمه وماله ، لذلك اعتبر جريمة السرقة بشروطها جريمة نكراء تستحق هذه العقوبة الشديدة ، ولو أحصينا عدد الأيدي التي قطعت في صدر الإسلام الأول لما تعدى ذلك أصابع اليد الواحدة . وفي مقابل ذلك أمن الناس على أعراضهم وأموالهم ودمائهم . قال تعالى : « ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب » صدق الله العظيم . وهكذا تسقط هذه التهمة الباطلة من تلقاء نفسها .

بعد ذلك يتحدث الاستاذ المنصور بالله عن شبهة الرق، وأن الإسلام يشجع الرق والاسترقاق . وهذه فرية هزيلة ، فالإسلام لم يبتدع الرق وإنما كان نظاماً سائداً في العالم كله عند ظهور الإسلام ، وعلى العكس من ذلك أخذ الإسلام يقضي على الرق بصورة تدريجية ، فكثير من الذنوب جعلت كفارتها تحرير رقبة . وعتق العبيد يعتبر قرينة من أعظم القربات عند الله تعالى . والإسلام يعتبر الرقيق أخاً مساوياً لسيدته في كل شيء . فهذا رسول الله ﷺ يقول : إخوانكم خولكم ، فاطعموهم مما تطعمون والبسوهم مما تلبسون . ويكفي أن نذكر أن الإسلام كرم الأرقاء وجعلهم أسياداً فهذا بلال الحبشي ، وصهيب الرومي وسلمان الفارسي جعلهم الإسلام أسياداً على رجال من أشرف العرب . فهل بعد هذا التكريم من تكريم ؟

وأخيراً يتناول الاستاذ المنصور بالله مسألة تعدد الزوجات ويقول بأن الإسلام حدد التعدد ولم يبتدعه . كما أن التعدد لا يكون إلا حلاً لمواقف معينة ومشكلات كبرى . وقد اشترط الإسلام العدل في التعدد والقرآن الكريم يقول : « فإن لم تعدلوا فواحدة » . وعلى كل فإنني أجد راحة في الإسلام لا أجدتها في غيره ، لأن الإسلام لا يفرق بين قبضة الطين ونفخة الروح ، ويعطي للفكر مكانته وللجسد مكانته . ولم أجد ديناً كالإسلام في إكرام الضيف والوفاء بالوعد . فالرسول ﷺ يقول : والله لا يؤمن من لا يكرم ضيفه . ويقول : آية المنافق ثلاث : إذا

حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان . فماذا يريد
الناس بعد ذلك !؟

ثم ينتقل الاستاذ المنصور بالله إلى الأسباب الاجتماعية التي
دعته لاعتناق الإسلام فيقول: ان انتماي إلى الإسلام يعني التحاق
بأمة تضم أكثر من ٦٠٠ مليون مسلم دون أن أقطع صلتى بوطني
ومسقط رأسي. لقد عشت أكثر من ٣٠ سنة في أفريقيا الشمالية
وإيران ولبنان واندونيسيا وتجولت في الأرض وكأني ابن
بطوطة جديد فوجدت نفس المنهج في الحياة ونفس العقيدة ،
وقد حق للكاتب الفرنسي لوي ماسينيون أن يسمي الإسلام
« تيوقراطية المساواة » وكان يرى في المجتمع الإسلامي مجتمع
الشجاعة والبساطة وعدم الكلفة دون إفراط في التزهّد .
فيمعجبي أكل التمر واللبن . وليس لي أية علاقة بالدولارات
النفطية . أما المنوعات من الأطعمة فهي لا تخرجني إذ أنني لم
يحدث أن تناولت في حياتي خمرأ ولا شربت كحولاً ، ويمكنني
الاستغناء عن الخنزير ولست من المدخنين .

ويتحدث عن الشعائر والعبادات فيقول : أما أركان الإسلام
الخمسة فإنها تمثل بالإضافة إلى الالتزام الشخصي تضامناً في الشهادة
والصلاة والصوم والزكاة والحج . ثم يتناول الدوافع الثقافية
فيذكر ما يدين به العالم أجمع للحضارة الإسلامية العربية وكيف
أضفى المسلمون العرب طابعاً عملياً للفكر العلمي . ويشيد بدور
القرآن الكريم في ذلك فيقول : ان مثل الفكر العربي الإسلامي

المبعد عن التأثير القرآني كمثّل رجل أفرغ من دمه .

وأخيراً يتحدث الاستاذ المنصور بالله عن الدافع الأخير الذي جعله يختار الإسلام ديناً وهو التضامن مع معسكر الفقراء معسكر عالم يمتد من السنغال إلى أندونيسيا وهو في الحقيقة منطقة العواطف ، معسكر العمال المهاجرين الذين يصل عددهم في فرنسا وحدها إلى مليوني نسمة . وهذا أحد أصدقائي المسلمين من أندونيسيا يقول لي : إن اعتناقك للإسلام يجعلك وياً لفكر الفيلسوف الفرنسي لوي ماسينيون . وهذا قس عربي من المشرق هينثني أيضاً لانتائي إلى الإسلام مع احتفاظي بجنسيتي الفرنسية .

وبعد ، فهذا هو التفسير الذي جعلني أشارك في صلاة الجمعة التي أقيمت في مسجد الرمال بنواكشوط يوم ٢٢ يوليو عام ١٩٧٧ وقد سميت نفسي المنصور الشافعي لأن اسم منصور في العربية يوازي اسمي فنساي ، ولا منصور إلا بالله . واتخذت المذهب الشافعي لأنه الأكثر انتشاراً في العالم الإسلامي وانتماءً لإخوتي في أندونيسيا أكثر المسلمين عدداً .

٨ - الذكورد وجلاس آرشر - جامايكا

هذه هي قصة إسلام الدكتور دو جلاس آرشر الذي يعمل الآن مديراً للمعهد التربوي في منطقة الكاريبي - جامايكا . واسمه الإسلامي عبد الله . وقد جاء إلى الكويت من المملكة العربية السعودية ضمن جولة له قام خلالها بزيارة بعض البلاد العربية والإسلامية ، لمس خلالها الكثير من التشجيع من قبل إخوانه المسلمين لدعم مهمته الإسلامية .

والدكتور آرشر شاب وسيم أسود البشرة ، يبلغ من العمر حوالي ٤٢ سنة متحفظ نشط ، له طموحات كبرى . وقد كان لي اللقاء التالي معه أثناء زيارته الأخيرة لدولة الكويت في مطلع هذا العام ١٩٧٩ م . يبدأ الدكتور عبد الله آرشر حديثه إلينا بقوله :

جامايكا عبارة عن جزيرة صغيرة في البحر الكاريبي تقع إلى الجنوب من جزيرة كوبا وفي مواجهة جواتيمالا وهندوراس وإلى الشمال من بنما وكولومبيا . وهي بهذا تشغل موقعاً استراتيجياً

ممتازاً في وسط هذه البلاد . ويبلغ عدد سكانها حوالي مليونين ونصف المليون نسمة ٩٨ ٪ منهم من النصارى . والأغلبية العظمى من سكان الجزيرة (جامايكا) هم من أصل أفريقيا ، ومن هنا جاء لون البشرة السوداء الغالبة . وهكذا فبالرغم من كون الأغلبية الساحقة للسكان من النصارى إلا أنهم على استعداد لفهم الإسلام وتقبله . وهذا الاستعداد لا يقتصر على جزيرة جامايكا وحدها بل يتعداها إلى منطقة الكاريبي بأسرها ، ومن هنا فهناك فرصة ذهبية الآن لنشر الإسلام في تلك المنطقة من العالم .

ويضي الدكتور عبدالله آرشر في حديثه فيقول :

لقد قدمت استقالاتي من عملي كأستاذ لعلم النفس وبناء الأمة في الولايات المتحدة الأميركية حيث كنت أدرس وبعد أن تخرجت كنت أعمل فيها ، وعدت إلى بلادي جامايكا لأسهم بدوري ويجهدي المتواضع في دعوة أبناء وطني إلى الإسلام . فقد لاحظت أن أبناء بلادي سكان جامايكا يشعرون بخيبة أمل وإحباط تجاه طريقة الحياة الغربية التي تشربوها ونفروا منها تماماً ، وبدأوا يُقبلون على الإسلام ويتجهون إليه . وقد تصاب بالدهشة لو قلت لك أن هناك الآن حوالي أربعين ألف مسلم في جامايكا .

وبعد أن أعربت عن إعجابي ودهشتي لهذا العدد الطيب من المسلمين الذين لا يحس بهم أحد في بلادنا العربية ، قلت لهذا البروفسور المسلم المتحمس لدينه : هل لك أن تحدثنا عن قصة

إسلامك وحيث حدث ذلك ؟ فأجاب قائلاً :

قبل أن أعتنق الدين الإسلامي كنت بروتستنتياً من الطائفة المسماة سفنت دي أدفنتست (Seventh Day Adventist) وكنت وما زلت الولد الوحيد لوالدي . فليس لي إخوة ، ولي أخت واحدة متزوجة ولها سبعة أبناء وتدعى ليننا وهي لا زالت بروتستنتية . أما والداي فقد ماتت أمي من ناحية ، وأبي البالغ من العمر الآن ٧٧ عاماً ، هو رجل متدين لا يزال على قيد الحياة ، وهو محال على المعاش الآن بعد أن كان يعمل مديراً لأحد البنوك ، هذا عن أسرتي .

أما بالنسبة لي فقد كنت أعمل في جامعة الينوي بأميركا وكان بعض زملائي من المسلمين . ويعمل واحد منهم الآن في معهد الكويت للأبحاث العلمية .

وهنا قاطعت الدكتور عبدالله آرشر قائلاً :

نعم ، ولكن كيف حدث تحولك إلى الإسلام ؟ فقال :

في الفصول التي كنت أعقدها حول علم النفس بالجامعة كان بعض طلابي من المسلمين ، وكانوا من بلاد الشرق الأوسط . وكانت البداية أنهم لم يكونوا يجيدون الحديث باللغة الإنجليزية بطريقة مناسبة . وهكذا لم يكن لي بدّ من الجلوس معهم بعد المحاضرات للتحدث في موضوع المحاضرات وغيرها . ومن خلال هذه اللقاءات وهذا التفاعل أثاروا في نفسي حب الاستطلاع والفضول

لمعرفة المزيد عن معتقداتهم ومبادئهم ، وكان هؤلاء الطلاب مثلاً طيباً في الرقة والأمانة والاحترام لدرجة أنني تأثرت بهم أعق التأثر ، وأحببت شخصياتهم الإسلامية وأعجبت بها إعجاباً كبيراً .

ويعني الدكتور آرشر في حديثه فيقول :

ومن ناحية أخرى كنت أعلم الفلسفة ، ومن هذا المنطلق أيضاً قرأت شيئاً عن الإسلام . ولذلك فلعملي أيضاً تأثرت بصورة لاشعورية بهذا الدين . إلا أن اتصالي هؤلاء الطلبة المسلمين يعتبر البداية التي دفعتني إلى الاهتمام بهذا الدين وأثارت في نفسي حب الاستطلاع لمعرفة أكثر وأكثر .

ثم ينتقل بنا الدكتور عبد الله آرشر ويعود بنا إلى الأيام الخوالي عبر ذاكرته فيقول : قبل تلك الفترة بوقت قصير كان هناك طالب سعودي في قسم الدراسات العليا يسكن في نفس البناية التي كنت أعيش فيها . وكنا نتحدث كثيراً عن الإسلام ، وقد أعطاني عدداً من الكتب الإسلامية أخذت بقراءتها باهتمام . وقد أخبرني ذلك الصديق السعودي أن هناك استاذين مسلمين في نفس الجامعة ، وقدمني إليهما وتبادلنا الزيارات وأجرينا عدة مناقشات عن الإسلام . كان ذلك في عام ١٩٧٦ - ١٩٧٧ م ثم بدأت في زيارة المساجد لمشاهدة صلاة الجمعة ، وبذلك ازداد اهتمامي بالإسلام .

بعد ذلك يتحدث الدكتور آرشر عن العامل الهام في هذه

العملية النفسية التدريجية التي تحول خلالها إلى الإسلام فيقول :

ونقطة أخرى هامة هي أن بحشي لنيل إجازة الدكتوراه كان عن التربية وبناء الأمة . ومن هنا عرفت ما تحتاج إليه الأمم لبنائها الاجتماعي والإقتصادي والسياسي وكذلك البناء الروحي . واكتشفت أن أركان الإسلام الأساسية تقدم أساساً عظيماً وقاعدة قيمة لإعادة بناء الأمة اجتماعياً واقتصادياً وروحياً. ولذلك فإذا سألتني لماذا اعتنقت الإسلام؟ سأقول لك لأن الإسلام هو دين فريد من نوعه تشكل فيه أركانه الأساسية قاعدة للحكم تهدي كلا من الضمير وكذلك حياة المؤمنين به على حد سواء .

إن تعاليم الإسلام هي تعاليم عملية تقدم نموذجاً لبناء الأمم كما يمنح الإسلام للضالين إحساساً بالأمل والإتجاه . ويمكن الفرد المسلم من فهم واجباته نحو الله ونحو بني الإنسان بصورة أفضل . وفي الوقت الذي تتحدث فيه الأديان الأخرى عن إله واحد، إلا أنها تعبد ربين أو ثلاثة . أما المسلمون فيعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئاً . وهنا شعور قوي بالاخوة الإسلامية في العالم الإسلامي وخاصة بين أولئك الذين يؤمنون بالإسلام حقاً ويطبقونه بصدق .

سألت الدكتور آرشر السؤال التالي : لماذا يحتاج العالم اليوم في رأيك إلى الإسلام ؟ فأجاب قائلاً :

لو أحسن عرض الإسلام على الناس لأمكن به حل كافة المشكلات ولأمكن تلبية الحاجات الإجتماعية والروحية والسياسية للذين يعيشون في ظل الرأسمالية والشيوعية على السواء . فقد فشل هذان النظامان في حل مشكلات الإنسان . أما الإسلام فسوف يقدم السلام للأشقياء والأمل والهدى للحيارى والضالين . وهكذا فالإسلام لديه أعظم الإمكانيات لتحدي هذا العالم وتعبئة طاقات الإنسان لتحقيق أعلى مستوى من الإنتاج والكفاية .

وأخيراً طلبت من الدكتور عبد الله آرشر أن يحدثني عن المعهد التربوي في الكاربيبي الذي يرأسه فقال : نحن ملتزمون بنشر الإسلام في جزر الهند الغربية عن طريق البرامج العلمية للمعهد . وسنعمد مؤتمراً لهذا الغرض في ١٢ يوليو - ٢٣ يوليو ٧٩ م وسيكون المؤتمر الثاني من نوعه ، وقد خرجت من زيارتي للسعودية بتجربة ستفيدني دائماً . فقد عززت زيارتي لمكة والمدينة إيماني بالإسلام . وإنني أتطلع بأمل إلى زيارتي للكويت . فالكويت بلاد تعمل على نشر الإسلام في العالم . ويختم الدكتور آرشر حديثه بالدعاء أن يتفهم المسؤولون حاجاته وأن يرزقوا روح التعاون معه .

٩ - السّيدة سامية ودّيع - مصر

- ١ -

هذه واحدة من أغرب القصص في هذا البرنامج . وهي ليست قصة من نسج الخيال ، وإنما بقدر ما هي غريبة فهي جزء لا يتجزأ من الواقع الذي نعيشه . فتحت عنوان « أخطر عملية جراحية يجريها الجن » كتبت صحيفة القبس الكويتية الواسعة الانتشار تقص على قرائها كيف اهتدت أسرة قبطية في مصر بكامل أفرادها إلى الإسلام . وقد نشرت هذه القصة في ملحق القبس ليوم الاثنين ٢٦ مارس عام ١٩٧٩ . قالت الصحيفة :

إليك هذه الرسالة من القاهرة ، فقد كتب مراسلنا هناك يقول : لقد استأصل الجن السرطان من جسد امرأة أخبرها الأطباء أنها مية " لا محالة . أفراد أسرة المريضة يعلنون إسلامهم ويقولون بأن هذه المعجزة قد تمت على يد جارة مسلمة عادت مؤخراً من أداء مناسك الحج هذا العام .

وتمضي الصحيفة في قصتها فتقول :

بعد خمس سنوات كاملة من الآلام المبرحة وعقب إعلان الأطباء عن عجزهم الكامل عن علاج المرأة وتحقيق الشفاء لها ، استيقظت المرأة ذات صباح لتجد نفسها ، ويا لدهشتها الكبيرة ، أنها قد أجريت لها عملية جراحية تم فيها استئصال السرطان القاتل من جسدها !

وقبل أن ندخل في تفاصيل هذه القصة المذهلة ، لا بد أن نعرف شيئاً عن الجن ، فهذا الحادث وغيره من الحوادث الكثيرة المتكررة تثبت بجلاء دون أدنى شك أننا نحن البشر لانعيش وحدنا في هذا العالم . فدينا الإسلامي الحنيف يقرر أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنس والجن ليعبدوه . قال تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » صدق الله العظيم . فالإنسان مخلوق من الطين ، والجان مخلوق من النار . ورغم أننا نحن البشر لا نرى الجن ، فإنهم يمشون بيننا . فهم يتزوجون ويموتون ويتوالدون وبعضهم مؤمن والبعض الآخر كافر . وإبليس هو زعيم الكفار من الجن وهم ما يسمى بالشياطين . والواقع أن ما يقوم به أفراد الجن من أعمال عادية يعتبر في نظرنا نحن البشر من المعجزات . فهذا عفریت من الجن يقول لسيدنا سليمان عن عرش بلقيس الموجود في اليمن : أنا آتية بك قبل أن تقوم من مقامك ، وقد كان سليمان في مدينة القدس . أضف إلى ذلك ما كان يقوم به عفاريت الجن من مهمات لسليمان تعتبر

خوارق في نظرنا نحن بني الإنسان . فسبحان الخالق العظيم .

والآن تعالوا بنا نبداً هذه القصة من أولها . ورغم غرابتها
الشديدة فإننا نحن المسلمين لا نملك إلا أن نصدقها .

بدأت القصة في القاهرة بمنطقة المنيل في صيف عام ١٩٧٤
عندما شعرت السيدة سامية وديع البالغة من العمر ٥٧ عاماً ،
شعرت بصداق حاد ناجم عن ألم شديد في معدتها . فما كان من
زوجها السيد صفوت جريس إلا أن نقلها على الفور إلى المستشفى .
وبعد ثلاثة أيام فاجأه الأطباء بقرار مؤلم مفاده أن زوجته
المريضة كانت تعاني من السرطان ، وأنه لا فائدة من أية عملية
جراحية ما لم يظهر المرض الخبيث الذي يختبئ في العروق الدقيقة
من معدتها .

وبناءً عليه حملت السيدة المريضة الميؤوس من علاجها إلى
بيتها لتبدأ رحلة طويلة من العذاب انتهت بها بعد عام كامل إلى
حالة من الغيبوبة استمرت شهراً واحداً كان الأطباء أثناءه
يغذونها بأبر الجلو كوز وحقن جسمها بالدم النقي .

بعد ذلك استيقظت المرأة المسكينة ذات يوم لتجد نفسها
مشلولة تماماً . وهنا لجأ زوجها إلى قس نصح باللجوء إليه ، فهرع
إليه وشرح له حالة امرأته ، ورجاه مساعدته . فأمره القس
بالقيام ببعض الطقوس الدينية ، ولكن ذلك لم يُجدِ فتيلاً مع
المرأة المريضة . وفي هذه الأثناء وصل المرض الخبيث إلى كبدها

الذي بدا منتفخاً بشكل واضح. وهكذا صرح الأطباء أن أيام المرأة قد أصبحت معدودة وأن الموت قادم إليها في وقت قريب لا محالة .

وهنا تصفِ الصحيفة التغير الدرامي الذي وقع للمرأة المريضة فتقول :

وذات يوم جاءت جارة مسلمة لزيارة المريضة ، فنصحتها بتلاوة آيات من القرآن الكريم ، فما كان من السيدة سامية إلا أن أطاعتها ، فشعرت بشيء من الراحة وخفت آلامها المبرحة ، بل لقد استطاعت أن تنام نوماً هادئاً لأول مرة منذ أشهر طويلة من السهاد والسهر . فما كان من زوجها إلا أن أحضر لها عدداً من أشربة القرآن الكريم ، أخذت تستمع إليها كثيراً .

وذات ليلة ، كان ذلك في شهر نوفمبر من عام ١٩٧٨ فاجأت المرأة المريضة زوجها وطلبت منه أن يحضر لها زجاجة كولونيا من النوع الممتاز من الحجم الكبير . فلبى لها هذا الطلب على الفور ، فطلبت إليه أن يغسل جسدها كله بماء الكولونيا ففعل ، ثم رجته أن يخرج من الغرفة بعد أن يطفىء الأنوار تماماً ، لأنها تريد أن تستمع بالظلام الدامس في تلك الليلة . فاستجاب الزوج لكل ذلك وكان يراوده في ذلك إحساس داخلي بأن نهايتها قد اقتربت جداً . فظل طوال الليل مضطرباً قلقاً ، ولكنه دعا الله سبحانه وتعالى أن يريح زوجته من آلامها .

وفي الصباح قام الرجل من فراشه وتوجه إلى غرفة زوجته ،

وطرق الباب كمادته ليستأذن منها في الدخول ، فلم يجبه أحد ، فأعاد الطرق مرات عديدة دون أن يسمع أي جواب . وهنا فتح الباب ورأى أغرب مشهد مذهل في حياته . رأى مشهداً لا يصدقه إلا من يؤمن أن الله جنوداً أقوياء بوسعهم تحقيق أي شيء . فنحن البشر لا نعيش وحدنا في هذا العالم ، بل يشار كنا فيه قوى كثيرة أهمها الجن . والقرآن الكريم يذكر لنا جانباً من قوى الجن العجيبة التي نستغريها نحن بنو الإنسان . ونستمع إلى ما يدور من حوار بين سيدنا سليمان عليه السلام وبين جنوده كما يرويه القرآن الكريم :

« قال يا أيها الملائكة أتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ؟ قال عفريت من الجن أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك . وإني عليه لقوي أمين . قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك . فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر . ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم ، صدق الله العظيم .»

فهذا الاستعداد من جانب بعض جنود سليمان عليه السلام حدث قبل عصر الصواريخ بمئات بل آلاف السنين . لا بسل قبل عصر الطائرات وحق السيارات . حدث ذلك عندما كان الناس يسافرون سيراً على الأقدام أو راكبين الحصان أو الجمل ، بينما كان بوسع عفريت من الجن أن يسافر بسرعة توازي سرعة

الضوء . فقد كان بإمكانه أن يذهب من بيت المقدس إلى اليمن ويعود ثانية إلى القدس ومعه عرش الملكة بلقيس قبل أن ينهض سليمان من مجلسه . بل هناك عبد من عباد الله كان في مجلس سليمان تمكن من القيام بالرحلة وإحضار العرش قبل أن يحرك سليمان رمش عينيه .

كذلك عندما طلب سليمان عليه السلام من ربه يرزقه ملكاً لا يكون لأحد من بعده واستجاب الله دعاءه ولبى رغبته . قال تعالى : فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب . والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد . هذا عطاؤنا فأمّنن أو أمسك بغير حساب .

ويصف القرآن الكريم واجبات الجن نحو سليمان فيقول :

ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه . ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير . يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب ، وقدور راسيات . اعملوا آل داود شكراً ، وقليل من عبادي الشكور ، صدق الله العظيم .

وبعد ، ففي الحلقة القادمة سنرى ما حدث للسيدة سامية وديع ونحن كمسلمين لانستغرب ذلك . والله على كل شيء قدير وما يعلم جنود ربك إلا هو .

١٠ - السَّيِّدَةُ سَامِيَّةٌ وَدَيْعٌ - ص

- ٢ -

هذا هو القسم الثاني من قصة السيدة سامية وديع ، السيدة المصرية القبطية التي أسلمت بعد أن عاشت معجزة ملموسة ، فقد أجرى لها الجن عملية جراحية ناجحة شفيت بواسطتها من مرض السرطان الخبيث بعد أن يئس الأطباء المتخصصون من شفاؤها . وقالوا لزوجها أن أيامها معدودة . وهي تتمتع الآن بصحة جيدة وتقوم بنشاطها بعد أن أصيبت بالغيوبة التامة لمدة شهر كامل والشلل الذي أقعدها أكثر من عام كامل . فسبحان القادر على كل شيء قدير . وما يعلم جنود ربك إلا هو .

ونحن كمسلمين رغم اعترافنا بذلك ، وبما يستطيعه الجن وغيرهم من جنود الله أن ينجزوه من خوارق العادات ، وذلك لإيماننا بعالم الغيب ، إلا أننا يجب أن نسمع للدجالين والمشعوذين أن ينفذوا من هذا الباب إلى خداع الناس وسلب عقولهم

وأموالهم . وتصديقنا بهذه الخوارق لا يكون إلا بعد التأكد من صحتها وبعد توفر كافة الأدلة على صدقها وتحققها . وعلى ضوء ذلك فقط نصدق هذه القصة .

ترى ماذا رأى السيد صفوت جريس ، زوج السيدة المريضة سامية وديع عندما فتح باب غرفتها في صباح اليوم التالي؟ لنترك ملحق القبس يصف لنا ذلك المشهد . يقول مراسل الصحيفة الذي بعث بالقصة من القاهرة مدعماً بالصور: رأى السيد صفوت جريس زوجته وقد غطي نصفها الأعلى بلفائف طبية بيضاء ، وأسدل على نصفها الأسفل ملاءة بيضاء كذلك . وكانت غائبة عن الوعي تماماً . فأخذته الدهشة ثم صرخ بأعلى صوته فأيقظ أبناءه وهرعوا إلى غرفة المريضة ليروا ماذا حدث ، وكانوا يحسبون أن والدتهم قد توفيت . فلم يصدقوا عيونهم كذلك أقبل الجيران للاطلاع على ما يجري . فوقف الجميع حول سرير المرأة المريضة وقد أذهلهم ما يرون . وبعد وقت قصير أفاق الزوج السيد صفوت من ذهوله ودهشته وأسرع باحضار بعض الأطباء .

جاء الأطباء المختصون وأجروا فحوصاً طبية ثم أعلنوا أن المرأة قد أجريت لها عملية جراحية دقيقة للغاية . وأوصوا بنقلها فوراً إلى المستشفى . وفعلاً نقلت السيدة سامية وديع إلى المستشفى وهي لا تزال في حالة من اللاوعي . وهناك قام الأطباء بإجراء المزيد من الفحوص الطبية الكافية ، ثم أعلنوا أنه قد تم استئصال السرطان من معدتها وكبدتها ، وأنها شفيت تماماً ،

وأن العملية الجراحية ناجحة بنسبة عالية وممتازة. وهذه الحقيقة حيرت الأطباء إلى درجة كبيرة . ولكنهم لم يجدوا مناصاً من الاعتراف بها على كل حال .

وتضي الصحيفة في روايتها المذهلة لما حدث فتقول :

وبعد ثلاثة أيام من الحادث السار ، أعلن جميع أفراد عائلة السيدة سامية وديع اعتناقهم الإسلام بصورة جماعية . وقد التقى مراسل القبس في القاهرة بالسيدة سامية وديع وهي الآن تتمتع بصحة ممتازة وسألها عن صحة القصة المنسوبة إليها فأجابت وهي تكفكف دموعها قائلة :

في الليلة نفسها طلبت من زوجي أن يحضر لي زجاجة كولونيا ورجوته أن يغسل بها جسدي كله ففعل ذلك في الحال . ثم رجوته أن يطفىء الأضواء وأن يغلق الباب ويتركني وحدي لأستريح حيث كنت أشعر بالتعب . وما أن فعل ذلك حتى استغرقت في النوم بينما كنت أتلو آيات من القرآن الكريم على سبيل طلب الشفاء . وفي حوالي الساعة الواحدة صباحاً شعرت أنني عارية تماماً مجردة من جميع ملابسني ، وقد وقف حول سريري أشخاص لم أستطع التحقق من وجوههم . فقد كنت في شبه غيبوبة . ومع ذلك كنت أشعر بما كان يجري حولي . وأعتقد أنني رأيت بطني يفتح أمام عيني ، ولكن دون أي ألم من أي نوع . وبدأت أيدي هؤلاء الزائرين المجهولين تتناول أعضاء جسدي المريض المصابة وتقتلع المرض وتستأصله ، ثم شعرت

بقطعة من القطن توضع على فمي ، بينما كان بعض الزائرين يضع لفائف بسرعة كبيرة حول جسدي. ورحت في غيبوبة تامة لمدة ثلاثة أيام .

سُئِلَت السيدة سامية وديع عن رأيها فيما حدث ومن هم هؤلاء الزائرون في اعتقادها فقالت : لقد أخبرتني جارتى المسلمة (أم احمد) أن المؤمنين من الجن يمكن أن يُجروا عمليات جراحية للناس ذوي القلوب الطاهرة النقية. ولعلمهم هم الذين قاموا بذلك. فالحمد لله على فضله العميم . فقد غمرني ربي سبحانه وتعالى بعنايته وفضله . ولذلك فقد آليت على نفسي أن أكرّس كل لحظة من حياتي الباقية لعبادة الله وحمده وشكره .

بهذه الكلمات اختتمت السيدة سامية وديع واحدة من أغرب القصص التي سمعها الإنسان في العصر الحديث . وقد نشرت الصحيفة صورة للسيدة سامية وقد كشفت عن بطنها وظهر فيها جلياً موضع العملية الجراحية والفرز التي أغلق بها بطن المرأة من جنبها الأيمن إلى جنبها الأيسر ، إنها لمعجزة ربانية حقاً حيرت الأطباء ، ولكنها لا تسبب أي حيرة أو قلق للعالم المسلم الذي يؤمن بمعجزات الله التي لا تحدّها حدود في عالمنا هذا. وللعمء أن يتساءل: ترى هل بإمكان أي واحد منا أن يستدعي هؤلاء الأطباء من غير بني آدم بمجرد أن يتلو بضع آيات من كتاب الله تعالى ليقوموا بإجراء عمليات جراحية على المرضى ، تماماً كما فعلت السيدة سامية وديع ؟ أم أنهم يخصوصون أناساً دون

غيرهم بتوجيه من الله سبحانه وعناية منة وكرم ؟ الله وحده هو الذي يعلم ذلك إلا أن ما حدث يقع في هذا الإطار والله أعلم .

ولعل من المناسب هنا قبل أن نختم هذه القصة الغريبة أن نذكر بأن هناك سورة كاملة في القرآن الكريم تسمى سورة الجن . وفيها نقرأ أن عدداً من الجن استمعوا للقرآن الكريم من رسول الله ﷺ ، فأمنوا به وأسرعوا إلى قومهم يدعونهم إلى الإسلام . وهذا بالطبع أكبر دليل على وجود الجن المؤمنين . ولنستمع إلى آيات من صدر السورة الكريمة المذكورة . قال الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم : قل أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن ، فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجيباً ، يهدي إلى الرشد فآمننا به ولن نشرك بربنا أحداً . وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبةً ولا ولدأ . وأنه كان يقول سفيهاً على الله شططاً . وأنا ظننا أن لن نقول الإنس والجن على الله كذباً . وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجالٍ من الجن فزادوهم دهقاً . وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً . وأننا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً . وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً . وأنا لا ندرى أشراً أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً . وأننا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائقٍ قدّداً ، صدق الله العظيم .

هذا عن الجن المؤمنين وما يمكنهم القيام به وما يعجزون

عنه . وهناك مسألة الشفاء بالقرآن الكريم . يقول الله تعالى عن القرآن الكريم : « قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء » . فليس غريباً أن يطلب الإنسان الشفاء بتلاوة آيات من القرآن ، المهم صدق النية والإخلاص .
والله الموفق والهادي لكل خير .

هذه هي قصة إسلام سائق حافلة دانمركي . إنه الأخ عبدالرحمن ابن جوردي الذي يحرص على أداء الصلاة في وقتها أكثر من حرصه على أي شيء آخر . وقبل أن نبدأ في قصته لعل من المناسب أن ننقل ما يقوله بعض علماء الغرب عما لاحظوه من أثر العبادة ، والصلاة بشكل خاص في المسلمين . يقول الاستاذ توماس آرنولد في كتابه « العقيدة الإسلامية » ما يلي :

هذا الفرض المنظم من عبادة الله هو من أعظم الأمارات المميزة للمسلمين عن غيرهم في حياتهم الدينية ، فكثيراً ما لاحظ السائحون وغيرهم في بلاد المشرق ما لكيفية أدائه من التأثير في النفوس ، وإليك ما قاله الأسقف لوفروا بهذا الخصوص . يقول : لا يستطيع أحد يخالط المسلمين لأول مرة أن لا يدهش ويتأثر بمظهر عقيدتهم . فإنك حينما كنت ، سواء أوجدت في شارع مطروق أم في محطة سكة حديدية أم في حقل ، كان أكثر ما تألف عينك مشاهدته أن ترى رجلاً ليس عليه أدنى مسحة

للرياء ، ولا أقل شائبةٍ من حب الظهور يَدْرُ عمله الذي يشغله
كائناً ما كان وينطلق في سكون وتواضع لأداء صلاته في وقتها
المحدد .

ثم يقول : ولنتقل من صلاة الفرد إلى صلاة الجماعة فنقول :
أنه لا يتأتى لأحد يرى ولو مرة في حياته ما يقرب من خمسة
عشر ألف مصلي في ساحة المسجد الجامع بمدينة دلهي بالهند يوم
الجمعة الأخيرة من شهر رمضان وكلهم مستغرقون في صلاتهم ،
وقد بدت عليهم أكبر شعائر التعظيم والخشية في كل حركة من
حركاتهم ، نقول : إنه لا يتأتى لأحد يرى ذلك المشهد أن لا يبلغ
تأثره به أعماق قلبه ، وأن لا يلحظ ببصره القوة التي تمتاز بها
هذه الطريقة من العبادة عن غيرها . كما أن توقيت الأذان اليومي
للصلاة في أوقات معينة ، حينما يرن به صوت المؤذن في أبكر
البكور قبل الإسفار ، وعند الظهيرة والناس مضطربون
ومضطربون في أعمالهم ، وعند المساء ، هذا الأذان الذي يحصل
في هذه الأوقات على تلك الصورة كل يوم مشحون هو الآخر
بذلك الجلال عينه .

ويؤثر عن رينان الحكيم الفرنسي الشهير قوله : أنه ما دخل
مسجداً قط إلا تأثر تأثراً شديداً بل شعر بشيء من الأسف أن
لم يكن مسلماً . وقد كان ذلك المشهد - مشهد الصلاة - من
الأسباب المساعدة على دخول رجل يهودي من أهل الاسكندرية
في الإسلام كما حكاه هو عن نفسه إذ قال : كنت مريضاً مرضاً

شديداً فتمثل لي في أثناءه أن هاتفاً هيب بي أن أعلن إسلامي ،
ولما دخلت المسجد ، ورأيت المسلمين مصطفين للصلاة وقوفاً
كالملائكة ، سمعت في نفسي صوتاً يناديني بقوله . هذه هي الجماعة
التي أنبأ بها الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ولما رأيت
الخطيب يتقدم للخطبة وعليه رداء أسود وقع في نفسي وجدان
الرهبة والخشية ، ولما ختم خطبته بالآية الكريمة التي يقول الله
تعالى فيها : **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى**
وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون ،
وأقيمت بعد ذلك الصلاة آنستُ من نفسي أنها سمت سمواً
كبيراً ، فقد بدت لي صفوف المسلمين كأنها صفوف الملائكة ،
وأن الله سبحانه قد تجلى عليهم في سجودهم وركوعهم . وسمعت
في نفسي مناجياً يناجيني بقوله : **إن الله سبحانه إذا كان قد**
خاطب شعب إسرائيل مرتين في جميع القرون الخالية ، فلا جرم
أنه يخاطب هذه الجماعة في كل وقت من أوقات صلاتها . واقتنعت
في نفسي بأني ما خلقت إلا لأن أكون مسلماً .

هذا ما يقوله بعض الباحثين من غير المسلمين عن مشهد
الصلاة . والآن لنبدأ قصة الأخ الدناركي عبد الرحمن بن جورد
الذي كان يعرف قبل إسلامه باسم برين . أنه يبدأ حديثه لإحدى
الصحف الأجنبية بعد أن أعلن أنه أثناء عمله كسائق حافلة في
مدينة كوبنهاجن لا يهمل أمور دينه ، وإنما يقطع عمله في الوقت
المحدد للصلاة أثناء دوامه اليومي ويؤديها في أوقاتها الخمسة ،

وذلك بأن يفلق على نفسه باب الحافلة بعد نزول الركاب منها في نهاية خط السير ، وينشر سجادة صلاته ويصلي لله تعالى ضارعاً إليه أن يثبته على دينه الإسلام .

لقد بدأت علاقة عبد الرحمن بالإسلام عندما كان مبعوثاً لمنظمة دنماركية أرسلته إلى كينيا لكي يعمل في أحد المشروعات المتعلقة بتربية الأطفال - وهي مشروعات تبشيرية ، وكان هذا منذ سبعة أعوام ، وفي عام ١٩٧٥ اعتنق الدين الإسلامي لأن الإسلام كما يصرح هو بقوله : هو إجابة منطقية على أسئلته الكثيرة المتعلقة بالحياة. كما أن الطابع الإسلامي يناسبه ويعجبه . يقول الأخ عبد الرحمن : إن الإسلام ليس فقط عبارة عن دين بالمفهوم التقليدي للكلمة ، أو كما يفهمه الدنماركيون أبناء قومي . ولكن الإسلام يغطي كافة جوانب الحياة القانونية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها .

ويضيف الأخ عبد الرحمن بن جورد قائلاً : ان الصحافة الدنماركية قد انشغلت في الآونة الأخيرة بمناقشة موضوعات عن الإسلام من أهمها موضوع الحدود في الإسلام التي تأتي كصورة طبيعية لوجود دولة إسلامية ، إلا أن جميع التعليقات الصحفية حول هذا الموضوع هي عبارة عن تعليقات خاطئة ، إذ لا يحق للمرء أن يمسك طرفاً واحداً وخيطاً واحداً من الموضوع ويترك الأطراف والخيوط الأخرى حيث أن الجلد والرجم وقطع اليد ليست إلا أنواعاً من العقوبة في الإسلام على جرائم شرب الخمر

والزنا والسرقه ، وهي في حقيقتها أمور فرعية في الدين الإسلامي .
ويضيف الأخ عبد الرحمن قائلاً : إذا وجد شخصان متهمان
بجريمة الزنا دون أن يكونا متزوجين ، فعقوبة ذلك هي الجلد ،
ولكن هذه العقوبة لا يطبق إلا إذا ثبت عليها الجرم بأدلة قطعية
مادية لا تقبل الدحض . وفي هذا كل العدالة . كما أن السارق قد
يعفى من العقاب في المرة الأولى والثانية إذا تبين أنه سرق عن
حاجة أو اضطرار أو إكراه ، ولكن إذا ثبت عليه جرم السرقة
دون أي دافع ملجئ ، إليها هنا تقطع يده ، وفي هذا أيضاً الحق
والعدل ، لأن السارق في هذه الحالة لا يردعه غير العقاب الصارم
الذي يحفظ للناس أموالهم وحقوقهم ، ويحقق الطمأنينة والسلام
في النفوس .

وهنا سئل الأخ عبد الرحمن عن رأيه في تطبيق حد السرقة
في الدنمارك فأجاب قائلاً : أنه في الدنمارك لو طبق هذا الحد فلن
تقطع يد مسلم دنماركي لأن المسلم الحق لا يسرق البضائع من محلات
السوبر ماركت - أي الأسواق المركزية - مثلاً كما أن القانون
الجنائي الإسلامي لا يطبق مع الأسف على المسلمين إذا كانوا في
بلد غير إسلامي كما أن ثمر الخمر مشكلة لا يعرفها المسلم لأنه
لا يستعمل الخمر ولا يقربها لأن الخمر ممنوعة في الشريعة الإسلامية
وإذا تناولها المسلم في ظل دولة إسلامية ، فإنه يقع تحت طائلة
السوط فيعاقب بالجلد .

ويستطرد الأخ الدنماركي في حديثه عن الخمر فيقول : إن

شرب الخمر لن يفيد بطبيعة الحال في حل مشكلات الناس كما يتوهم الكثيرون منهم ، ولو أن الإنسان المصاب بدلاً من ذلك توجه إلى الله وتقرب إليه ودعاه بإخلاص ، فإنه يتلقى دفعات روحية تأخذ بيده بعيداً عن مشاكله .

ويختم الأخ عبد الرحمن حديثه بكلمات عن الصيام في الإسلام فيقول :

إن من الأشهر التي يحبها المسلمون وينتظرونها بفارغ الصبر شهر رمضان المبارك ، إنني أجد هذا الشهر الفضيل أجمل ما في الحياة لأنني أجد فيه الكثير من العطف والود بين المسلمين مما لم آلفه قط بين أي أحد غيرهم في أي بلد من الدنيا .

١٢ — الدكتور لورانس إياكونو - إيطاليا

بروفسور لورانس إياكونو أو عبدالله ابراهيم إياكونو، كما يدعى الآن بعد أن أسلم، هو شخصية إسلامية من إيطاليا، ومن جزيرة صقلية على وجه التحديد، ملاحه عربية مئة بالمئة، يذكرنا بالماضي الإسلامي العريق لتلك الجزيرة، حصل على إجازة الدكتوراه من جامعة السوربون - بباريس - فرنسا. وكان موضوع دراسته الآداب، والفلسفة واللغات الأجنبية. والدكتور لورانس إياكونو يجيد أربع لغات أوروبية هي: الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والأسبانية. وهو متزوج من سيدة فرنسية ولديه منها خمسة من الأبناء والبنات. وقد ولد في جزيرة صقلية عام ١٩٣٦، ويبلغ من العمر ثلاثة وأربعين عام، وهو لذلك في غاية النشاط والحيوية.

لقيت البروفسور لورانس إياكونو في الكويت بعد أن قدمه لي أحد الأصدقاء فبادرته بالسؤال التالي:

هل لك أن تخبرنا متى كان إسلامك؟

فأجاب قائلاً: كان ذلك في عام ١٩٧٤ ، وعلى وجه التحديد في الخامس والعشرين من مارس عام ١٩٧٤ م . كنت رومياً كاثوليكياً، ولا تزال زوجتي وأولادي الخمسة من الروم الكاثوليك وحيث أنني أو من أنه لا إكراه في الدين كما علمني الإسلام، لذلك فإننا نعيش سعادة مع بعضنا البعض ، إلا أن زوجتي بدأت تهتم بالإسلام .

قلت للبروفسور إياكونو :

هل لك أن تحدثنا المزيد عن أسرتك ؟

فقال وعلى شفثيه ابتسامة لطيفة : انني أحمل الجنسية الأميركية ، وكذلك أخي الأكبر مني سنأ ، فهو أيضاً مواطن أميركي يعيش مع أسرته هناك . أما والداي فلا يزالان يعيشان في ايطاليا مع شقيقتي الصغرى ، وموطن إقامتها هو جزيرة صقلية مسقط رأسي . وهكذا فأنا مواطن أميركي من أصل ايطالي . ولو سألت عن جزيرة صقلية فهي جزيرة كبيرة أهلة بالسكان ، إذ يبلغ عدد سكانها الآن تسعة ملايين نسمة أغلبيتهم العظمى من الكاثوليك . وهناك عدد ضئيل جداً من المسلمين ، ولكن ليس في الجزيرة مسجد واحد ، مع أن صقلية كانت قبل حوالي ٢٥٠ عاماً جزيرة إسلامية بكاملها .

ويضيف البروفسور إياكونو قائلاً :

لقد تتبععت أصل عائلتي إياكونو في الموسوعات العالمية

فوجدت أن أجدادي كانوا مسلمين عرباً ، وهذا ما كان يقوله لي أبي منذ وقت طويل حتى قبل إسلامي ، مع ما أنه لا يزال كاثوليكياً . وهذا ما وجدته في أحد المراجع التاريخية بمكتبة الكونجرس الأميركية والذي يقول بأن الملك شريف إدريس من الأسرة الفاطمية كان يحكم صقلية عندما أخذها الصليبيون وأخبروا سكانها على اعتناق الكاثوليكية بالقوة . وأجبر أفراد الأسرة الإدريسية حتى على تغيير أسمائهم . فاحتفظوا بالحرف الأول من اسم العائلة وهو حرف الألف من كلمة إدريس واتخذوا لأنفسهم أسماءً إيطالية ، وهكذا تجد الكثير من أسماء العائلات في صقلية يبدأ بحرف الألف . ولم يكن للناس خيار ، فكان أمامهم إما الموت أو التنصر .

وهنا ضحك الدكتور أياكونو وقال : وهكذا تلاحظ أنني أشبه العرب وجميع أهل صقلية مثلي يشبهون العرب . قلت للدكتور أياكونو : ولكن كيف بدأ اهتمامك بالإسلام ؟ فقال : لما كنت أدرس الفلسفة كنت أحس بالقلق تجاه الكثير من القضايا التي تتعلق بديني . فشرعت في دراسة الأديان العظمى الأخرى في العالم كاليهودية والإسلام والطوائف المسيحية الأخرى . ولم أكف عن مقارنة هذه الأديان بديني . فقرأت الكثير ، وفكرت كثيراً ، وسافرت كثيراً ، حتى وجدت الحقيقة والسلام في الإسلام والحمد لله أنني اليوم من المسلمين ، وأنني أعمل للإسلام في مدينتي سان انطونيو ، بولاية تكساس الأميركية ، وأشغل منصب رئيس

الجمعية الإسلامية هناك ، وهي جمعية مسجلة رسمية كجمعية خيرية إسلامية .

وهنا سألت الدكتور أياكونو : ما هي الوظائف التي شغلتها بعد تخرجك من جامعة السوربون ؟ فقال : عملت أولاً في السلك الدبلوماسي ، فشغلت منصب السكرتير الثاني بسفارة إيطاليا في باريس . فقاطعت الدكتور قائلاً : لا بد أنك تزوجت خلال هذه الفترة من السيدة الفرنسية التي هي الآن أم أولادك . فعلق بقوله : تماماً . فقد تزوجنا في عام ١٩٦١ . ثم نقلت إلى كندا للعمل بالسفارة الإيطالية في أوتاوا ، وبعد فترة من الزمن انتقلت إلى فلوريدا بالولايات المتحدة هرباً من برودة الطقس في كندا . وبعد وقت قصير استقلت من عملي في السفارة وأخذت أعمل في الأعمال الحرة . ولدي الآن شركتي الخاصة بي التي تستورد الجرانيت ومختلف أنواع الرخام لأغراض البناء في أميركا . وهذه الحجارة نستوردها من إيطاليا . والواقع أنني تعاقدت خلال زيارتي الأخيرة للسعودية مع أحد المقاولين هناك الذي يقوم بتشديد اثنين من الفنادق الكبرى في جدة على تزويده بالرخام لهذا الغرض . لذلك سأوجه إلى إيطاليا في طريق عودتي إلى الولايات المتحدة الأميركية . وسأتوقف بالطبع لبعض الوقت في صقلية لزيارة والدي وأختي هناك .

ثم كان سؤالاً التالي للدكتور لورانس أياكونو : هل لك أن تحدثنا المزيد عن الجمعية الإسلامية في سان انطونيو ؟ فأجاب

قائلاً: هذه هي الجمعية الإسلامية الوحيدة في المدينة حيث يعيش حوالي ١٥٠٠ من المسلمين بالإضافة إلى عدة مئات أخرى من الجنود العرب المسلمين الذين يتدربون في قواعدها العسكرية بعضهم من الكويت والسعودية. وليس للمسلمين في سان انطونيو أي مسلم ولا مدرسة على الإطلاق. وهكذا أنشأنا هذه الجمعية الإسلامية لتلبية حاجات المسلمين الدينية. ونحن الآن بحاجة لإنشاء مسجد ومدرسة ومكتبة، وغير ذلك من الخدمات. لقد بدأنا من الصفر، ومشاريعنا تحتاج لمليون دولار لا يستطيع تأمينها بمفردي. وهكذا فأنا بحاجة إلى العون من إخواني المسلمين في كل مكان. وقد عينت أحد الشباب المسلم المتحمس للإسلام مديراً لمشروع المركز وسأعمل على إقامته مستعيناً بالله سبحانه وتعالى.

وهنا سألت الأخ الدكتور لورانس أياكونو عن جولته الحالية فقال: زرت في البداية المملكة العربية السعودية حيث نزلت ضيفاً على فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز العالم الإسلامي المعروف والذي تبرع لمشروع الجمعية الإسلامية بمبلغ عشرة آلاف دولار وذلك للترتيبات الأولية للمشروع وطلب إليّ عمل تقرير فعلي للتكاليف، وسأعود إليه في شهر نوفمبر القادم بإذن الله ومعني كافة التفاصيل ثم جئت إلى الكويت وبعدها أنوي التوجه إلى إيطاليا ثم إلى الولايات المتحدة الاميركية.

قلت للأخ الدكتور أياكونو: هل أنت بحاجة إلى مساعدات

أخرى بالإضافة إلى الدعم المالي لمشروعكم الإسلامي ، فأجاب قائلاً : إننا بحاجة إلى الكتب الإسلامية باللغات الإيطالية والإنجليزية والفرنسية . فقد شرعت في دعوة أفراد عائلتي إلى الإسلام باعتبارهم ميداني الأول للدعوة ، وأنا واثق بعون الله أن أكسبهم إلى هذا الدين الحنيف . ولكنني بحاجة إلى الكتب الإسلامية لاقتناعهم بذلك . إنني بحاجة إلى الكتب الإسلامية باللغة الإنجليزية لأقدمها لأخي وأسرته لعل الله يشرح صدورهم إلى الإسلام . وأحتاج إلى الكتب الإسلامية باللغة الفرنسية لزوجتي وأولادي الكاثوليك ، وقد بدأت زوجتي فعلاً في تفهم هذا الدين والإقبال عليه . وأنا بحاجة إلى الكتب الإسلامية باللغة الإيطالية لكي أستعين بها في دعوتي لأهلي وقومي في صقلية وكسبهم إلى الإسلام من جديد ، دين آبائهم وأجدادهم . وأنها لمهمة ثقيلة أستعين عليها بالله وهو خير معين .

وأخيراً يجتتم الدكتور لورانس إياكونو أو عبدالله ابراهيم إياكونو حديثه عن إسلامه بقوله :

أعتقد أن هناك فرصة ذهبية لدعوة تسعة ملايين شخص في صقلية إلى الإسلام من جديد. وإنني أشعر أن هذه هي مسؤوليتي التي شرفني الله بها ، فمن واجبي العمل على إنقاذ إخواني من النار. ولذلك فبعد أن أفرغ من مشروع المركز الإسلامي في سانت أنطونيو سأوجه إلى إيطاليا واستقر في جزيرة صقلية لأنشيء

ففيها أول مركز إسلامي في العصر الحديث وإني على ثقة من نصر
الله لي . فالناس في صقلية يحبونني ويعرفون أسرتي جيداً وهم
مستعدون للعودة إلى الإسلام . عسى الله سبحانه وتعالى أن
يمنحني الصحة والقوة وطول العمر للقيام بذلك . إنه على ما
يشاء قدير .

والسلام ...

١٣ - يوسف عبد السلام - أمريكا

لأول مرة في هذه الحلقات سوف نستضيف مسلمين جددًا من سجون الولايات المتحدة الأميركية . فقد أرسل إليّ الأخ قاسم حسن محمود، أمين عام مجلس الجماعات الإسلامية في أوتاوا- بكندا بعينات من الرسائل من بين كثير غيرها تلقاها من مهتدين أميركيين جدد للإسلام من المعتقلات الأميركية . كتب الأخ قاسم حسن محمود في خطابه يقول : هناك عدة آلاف من المسلمين هم رهن الاعتقال في سجون أميركا الشمالية كثير منهم أسلم داخل السجن على يد معتقلين مسلمين أو من خلال الزيارات التي قام بها بعض الدعاة المسلمين للسجون الأميركية ، ويقومون أثناءها بإلقاء المحاضرات عن الإسلام .

والواقع أن السجين هو أقرب الناس لتقبل دعوة الإسلام ، وذلك لتطلعه إلى الحرية والسلام وهما ما يمنحه هذا الدين للنفس الإنسانية . ويضيف الأخ قاسم حسن محمود قائلاً : ان المنظمات الإسلامية يمكنها أن تعمل في هذا المجال بصورة جدية ، فلو أنها

تبعث بالدعاة المتفرغين لزيارة آلاف السجون والالتقاء بالمعتقلين وتقديم للنزلاء بعض المعونات المادية والمعنوية لهؤلاء الناس البؤساء. وهذا بالطبع يتطلب مبالغ كبيرة من المال حتى يتمكن الدعاة من القيام بهذه المهمة الإسلامية العظيمة .

بعد ذلك يشير الأخ قاسم في رسالته القيمة إلى فئةٍ أخرى من الناس بحاجة ماسة إلى المساعدة والعون ويعني بها المرضى المسلمين في المستشفيات الأميركية ويقول : في كل مرة نقوم فيها بزيارة أحد المستشفيات نجد عدداً من القسس والرهبان إلى جانب المرضى يقدمون لهم كل عون ممكن . ولا تقتصر زيارة هؤلاء القسس على النصارى ، بل تتعداها إلى المرضى المسلمين الذين لا يجدون أحداً من رجال الدين المسلمين إلى جانبهم . وقد تأثر عدد من هؤلاء المرضى بما يبشر به القسس ، لما لمسوا منهم من المعاملة الطيبة والمساعدة الكريمة . وقد آن الأوان أن يهب الدعاة المسلمون للعناية بهؤلاء الإخوة المسلمين سواء منهم المرضى في المستشفيات أو المعتقلين في السجون الأميركية .

وهذا مثال واحد لمسلم جديد اعتنق الإسلام في المعتقل . إنه يبدأ حديثه بقوله : اسمي جوزيف ي . بتركين إلا أنني أفضل أن أدعى يوسف عبد السلام . وإن شاء الله أعتزم أن أغير اسمي رسمياً في المستقبل القريب . وأنا الآن رهن الاعتقال في ولاية جورجيا الأميركية في سجن رودزفيل ستيت . إنني بحاجة إلى ثلاثة آلاف دولار أميركي لرفع قضيتي واستئنافها لدى إحدى

المحاكم العليا . إن قلبي يدمى حين أظطر أن أطلب هذا المبلغ من إخواني المسلمين الذين أكن لهم أعمق مشاعر الشكر والتقدير والاعتراف بالجميل . ولكن الله سبحانه وتعالى سوف يجزيكم كل خير على ذلك . فهذا الرسول محمد ﷺ يقول : أحبب لأخيك ما تحب لنفسك .

بعد ذلك يقول الأخ يوسف عبدالسلام : هناك حديث نبوي آخر يقول : لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به . لقد جاءنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام بالقرآن الكريم ، لقد علمنا كيف نعيش حياتنا بصورة مستقيمة ملؤها العدل وشعارها الصدق . وهكذا فلن نكون مسلمين حقاً ما لم تكن رغباتنا كلها تبعاً للقرآن الكريم وما جاء به النبي محمد ﷺ . والاختبار الحقيقي هو ما تتجه بنا إليه رغباتنا اليوم . هل تجرنا إلى المتع الدنيوية والشهوات الهابطة أم تقودنا إلى القرآن الكريم ؟

ويتحدث الأخ المعتقل يوسف عبدالسلام - فك الله أسره - عن مشاعره حين اعتنق الإسلام والظروف التي شهدت هذا التحول فيقول : لقد كان قلبي مفتوحاً تماماً منذ اليوم الأول الذي أعلنت فيه إسلامي ونطقت بالشهادتين . وأنا اليوم أقيم الصلوات الخمس اليومية في مواعيدها المحددة . وقد أرفقت طي هذا الخطاب صورة لابنتي الصغيرة نعيمة الحديثة الولادة . وهي أول أبنائي ، وربما كانت الأخيرة إذا سارت الأمور على ما هي عليه الآن . ولكنني لست يائساً ، واسوف أقبل بكل ما يكتبه

اللهلي بعد أن أبذل جهدي في تحسين أوضاعي والخروج من السجن .

ثم يذكر الأخ يوسف عبد السلام السبب الذي جعله يعيش خلف القضبان فيقول : هذه هي أول مرة أصرّح بها بالسبب الذي أدى إلى اعتقالي . إن لي أخاً كان يسبب مضايقات عظيمة لوالدتي لسنوات عديدة . وكان أبي قد توفي منذ عام ١٩٦٩ على أثر مرض قلبي نجم عن إفراطه في تناول المسكرات بسبب إحساسه بانتهاك كرامته لعدم استطاعته الحصول على عمل لائق كان بحاجة إليه لكي يعول أطفاله الستة . وهكذا ترى أننا ستة من الأبناء ، خمسة ذكور وبنت واحدة . وتتناول والدتي حقناً لمعالجة البول السكري من أجل الإبقاء على حياتها ، وسبب هذا المرض كثرة ما تلقاه من قلق نفسي واضطهاد بسبب كونها امرأة سوداء في أميركا، تنتمي إلى الآباء العبيد . ولي أخ متخلف عقلياً يعيش هو وأخ آخر مع والدتي . وأخي جوني هو الذي سبب الكثير من المتاعب لأمي . وتحت تأثير الخمر أخذ جوني يعتدي على والدتي بالضرب المبرح لظنه خطأ أنها السبب في دمار أسرتنا .

وهنا يشير إلى الحادث المؤسف الذي أدخله السجن فيقول : وذات ليلة أخذ جوني يضرب والدته بطريقة وحشية قاسية دخلت على أثرها المستشفى . فاعتقل جوني ولم تستطع والدتي أن تراه حسب ما تلقاه نحن السود من معاملة سيئة في أميركا . في الرابع من شهر يونيو ١٩٧٨ ثار جوني وهدد بقتل والدتي ،

وكنت موجوداً أنا وزوجتي . وقد تلقت الوالدة عدة جروح وأجريت لها ١٧ غرزة ، وأراد أن يطعن والدتي بالخنجر فأمسكت به وتناولت السكين من يده ، ولا أعرف كيف طعنته بها . وهكذا سجنتم بتهمة القتل . ولم يكن أحد من المسؤولين مستعداً لسماع الحقيقة ، لأنهم يكرهوننا نحن السود ، وعلى الأخص المسلمين منا . والآن يريدون القضاء عليّ وانتهاء حياتي .

ويضي الأخ يوسف عبد السلام فيتحدث بلهجة مريرة للغاية فيقول : إن سلطات السجن تعلم تماماً مع الأسف أن المسلمين لا يساعدون إخوانهم وأخواتهم في السجن . لذلك حكوا عليّ بالسجن لمدة ٢٥ عاماً - أي السجن مدى الحياة . وهذا بالطبع يحطمني تماماً . إنهم مستعدون لإطلاق سراحي بكفالة مقدارها عشرة آلاف دولار . وحماتي مستعدة لبيع منزلها الذي تقيم فيه ولكنني أحتاج بالإضافة إلى ذلك إلى مبلغ ثلاثة آلاف دولار حتى أسترد حريقي . فهل يستجيب إخواني المسلمين لهذا النداء من أخ لهم في الله ، ويمنحونه الحرية الحياة لي ولزوجتي ولطفلي الأولى نعيمة ؟ إنني على استعداد لتسديد هذا المبلغ بعد خروجي من السجن على أقساط مناسبة .

وأخيراً يختم الأخ المنكوب يوسف عبد السلام قصته بقوله :
إنني على استعداد لأن أموت في سبيل الإسلام . فهو الهدف الذي أعيش من أجله . ولكنني لا أفهم لماذا يدير المسلمون

ظهورهم لنا، ألأننا سود فقراء؟ وزوجتي أيضاً تحس بالقلق تجاه المسلمين فهم لا يزورونها على الإطلاق. وختاماً الله أكبر، فالإسلام ديني والله ربي وخالقي.

بهذه الكلمات يُنهي الأخ يوسف عبد السلام نداءه الذي وجهه لكل مسلم غيور على دينه، ومن أراد التبرع له بشيء فليرسل ذلك إلى مجلس الجماعات الإسلامية في كندا.

والسلام ...

لقيته في مبنى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت ، شاباً في العشرين من عمره عليه إمارات السكينة والهدوء. قال لي بلغة الإنجليزية جيدة: لقد جئت إلى هذه الوزارة لأحصل على شهادة رسمية بإعلان إسلامي. وكان في المجلس شاب كويتي هو الذي أحضره إلى الوزارة ، وعالم من علماء الوزارة العاملين في الدعوة إلى الله ، ومقرر لجنة الفتوى بالوزارة .

فقال لي العالم : قبل أن يردد الشهادتين وراءك أرجو أن تستوثق من صحة عزمه على الدخول في الإسلام . فقلت للزائر الكريم : إنك تقول بأنك تريد أن تسلم ، فهل تعرف معنى الإسلام ؟ فأجاب قائلاً : ونظراته تميل إلى الاكتئاب والتواضع المزوج بالخشوع والتأثر . قال لي :

أنا في الكويت من سنتين فقط ، ديني الهندوكية ولم يخطر قط ببالي أن أغير ديني. ولكنني استيقظت من نومي ذات صباح بعد أن رأيت في منامي رجلاً يقول لي : عليك بالإسلام . وعندما

تذكرت ما رأيت عزمت على الاستفسار عن هذا الدين الذي لم أكن أعرف عنه في ذلك الحين إلا النزر اليسير .

كان لي صديق كويتي شاب . فلما لقيته سألته عن الإسلام فشرح لي بإيجاز معنى هذا الدين . فاستراحت نفسي له واطمأن قلبي إليه وقررت أن أدرس هذا الدين لأعرف المزيد عنه .

وبعد أيام لقيت بعض الشباب الهنود والباكستانيين المسلمين وصحبتهم إلى معهد خاص يقدم دروساً مسائية عن الإسلام للناطقين باللغتين الأوردية والإنجليزية ، فتعلمت منهم الكثير . وقدموا لي كتاب بلغتي المسماة الكجراتية ، عرفت منه كيف أصلي ، وأنا منذ ذلك اليوم أقيم الصلاة والحمد لله .

لم يكن رفاقي في نفس العرفة يعرفون ما قاله لي هذا المهتمدي الجديد إلى الإسلام ، لأنه كان يتحدث باللغة الإنجليزية التي يجهلونها ، ولما حدثتهم بما أجاب ، استبشروا خيراً ، وقالوا : ما شاء الله سبحانه الهادي ، إنه مسلم جاهز . فأهلاً وسهلاً به بين إخوانه . وقاموا واحداً واحداً فصافحوه وقالوا له : مبروك . فنظر إليّ باستغراب ، فقلت له : إنهم يهنئونك على إسلامك . فابتسم ، وشكرهم .

قلت لأخي المسلم الجديد : ما هو الاسم الذي اخترته لنفسك وقد أسلمت؟ فقال : سأختار إسم بلال . فقلت له : نعم الاختيار . وأرجو بهذه المناسبة أن تردد معي النص التالي بالعربية أولاً ثم

باللغة الإنجليزية . قل : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وأشهد أن عيسى بن مريم عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأشهد أن البعث بالجسد والروح حق ، وأن الجنة حق والنار حق ، فردد ذلك كله ورائي ثم رده باللغة الإنجليزية وقد فهم معناه .

وهنا سألت الأخ بلال عن موقف أسرته منه بعد إسلامه . فقال: إنهم في الهند، وإنني أكتب لهم كثيراً عن تجربتي الجديدة مع هذا الدين الحنيف وانقل لهم أولاً بأول ما أشعر به وألقيه وأجد منهم ردوداً إيجابية . وسأعمل على دعوتهم إلى الإسلام ، بعد عودتي إلى الهند ومقابلتي لهم . عسى الله أن يعينني على التمسك بهذا الدين .

وقبل أن ينتهي لقائي بالأخ بلال سلمته الوزارة بمجموعة من الكتيبات الإسلامية باللغة الإنجليزية المبسطة ووعدته بتزويده بمجموعة أخرى عن الإسلام باللغة الكجراتية حتى يفهم أمور دينه ويثبت عليه لأنه لا يخشى الله من عباده إلا العلماء . فالعلم طريق الإيمان . ولذلك نجد الكثير من آيات القرآن الكريم تقول : قل سيروا في الأرض فانظروا . وهذا ما يميز الإسلام عن غيره من الأديان الأخرى التي شعارها : فكر تكفر ، أما في الإسلام فالشعار المرفوع هو : فكر تؤمن .

هذا ما حدث اليوم في وزارة الأوقاف، وبالأمس جاء ثلاثة نفر إلى الوزارة رجلان وفتاة ، وكانوا أيضاً من الهند . جاءت

الفتاة ومعها جواز سفرها وطلبت الدخول في هذا الدين . وقالت بأنها ترغب في الزواج من أحد الشابين اللذين معها ، وكانت كاثوليكية . كان ذلك في موعد صلاة الظهر التي اعتاد الموظفون إقامتها في مصلى الوزارة ، فقلت للشيخ الوقور الذي جاءت الفتاة لتسلم أمامه : مولانا ! لقد حان موعد صلاة الظهر . فقال لي : إسمع يا بني إن الإمام مالك رضي الله عنه يقول : إياك أن تؤخر إسلام أحد من الخلق مهما كان السبب . فوافقته على تأجيل الصلاة وجلسنا .

بدأ الشيخ سؤاله للفتاة فقال : يا بنية إنك كاثوليكية وتريدين الزواج من هذا الشاب المسلم ، والإسلام لا يكرهك على الدخول في هذا الدين من أجل ذلك . بل يمكنك الاحتفاظ بدينك وإتمام الزواج . فأجابت قائلة : أنا لا أريد الإسلام من أجل الزواج . وإنما لأنني أحببت هذا الدين وأريد الدخول فيه عن اقتناع .

فتوجه الشيخ إلى الشاب المسلم الذي ينوي الزواج منها وقال له : نصيحتي لك يا بني أن تكون قدوة حسنة أمام هذه الفتاة كمسلم . لأنني أذكر مرة أن تزوجت فتاة مصرية قبطية من شاب مسلم ، واعتنقت الإسلام فعلاً ، ولكن ذلك الشاب أساء معاملتها وكان بنس الزوج بالنسبة لها ، ومن هنا فارقت ، وارتدت عن الإسلام والعياذ بالله تعالى ، ومما يؤسف له أن بعض أهل السوء يستغلونها في الدعاية ضد الإسلام . ويقول للناس : هكذا يعامل

المسلمون زوجاتهم . فأياك يا بني أن تكون مثل ذلك .

فقال الشاب: أرجو الله أن يوفقني لأن أكون خير زوج لها.
وقال صاحبه : أنا واثق أنك بخلقك المسلم الذي أعرفه فيك
ستكون نعم الزوج إن شاء الله .

فما كان من الشيخ الوقور إلا أن طلب إلى الفتاة تكرار
الشهادتين وترجمتها إلى الإنجليزية ، وطلب منها الحضور في اليوم
التالي لاستلام شهادة بذلك . فخرج النفر الثلاثة مسرورين .

إنه تيار متواصل .. ودخول جماعي في دين الله أفواجا ،
ليس في هذا البلد المسلم الكويت ، بل في كل مكان وبعضه من
هذا العالم . الناس يقبلون على هذا الدين حتى بدون داعٍ يدعوهم
إليه فسبحان الله الهادي . إنك لا تهدي من أحببت ، ولكن
الله يهدي من يشاء . ولقد آن الأوان للبشرية المعذبة أن تدخل
في هذا الدين لأنه السبيل الوحيد للخروج من عذابها والله يهدي
من يشاء إلى صراط مستقيم .

١٥ - عبدالله ديوك لين جيون

كوريا الجنوبية

ضيفنا هذه المرة من كوريا الجنوبية ، إنه الأخ عبد الله ديوك لين جيون الذي أنعم الله عليه بأن أسلمت قرية بأكملها على يديه بالقرب من مدينة سيئول العاصمة . وقد التقى به الشيخ سعيد مراكار محرر صحيفة كوريا إسلام هيرالد، الناطقة بلسان اتحاد كوريا الإسلامي في سيئول . وقبل أن نذكر ما دار في تلك المقابلة لا بد أن نقول كلمات ولو قليلة عن المسلمين في كوريا . يقدر عدد المسلمين الآن في كوريا الجنوبية حوالي عشرة آلاف مسلم كوري لهم مركز إسلامي في سيئول ويعتزمون إنشاء كلية إسلامية هناك . وسيقومون مركزاً إسلامياً آخر في مدينة بوسان ثاني أكبر مدينة في كوريا الجنوبية .

كما أن من المناسب أيضاً أن نقول كلمة عن الوضع الجديد المثير في كوريا ونعني بها إسلام قرية بأكملها وهي قرية سانج

ريونج التي تقع في مقاطعة كيونج جي إلى الجنوب الشرقي من العاصمة سيئول ، حيث تقدر المسافة بينها بجوالي ٤٧ كيلومتراً. هذه القرية تحيط بها أخصب الأراضي الزراعية وتمتاز بمناظرها الطبيعية الخلابة. ويقدر مجموع سكانها ٦٢١ شخصاً ينقسمون إلى ١٢٣ بيتاً أو أسرة .

لقد عاش هؤلاء الناس عيشة دنيوية بحتة ، ولم يكونوا يؤمنون بأي دين من الأديان منذ فجر التاريخ . وبالرغم من أن الأكترية العظمى منهم يعملون إما كمزارعين أو عمال في المزارع الشاسعة ، إلا أن ٩٥ ٪ منهم متعلمون ويجيدون القراءة والكتابة . وهكذا فإن انها كمهم اليومي التام من الصباح الباكر إلى الفسق لم يمنعهم من البحث عن الحقيقة والوصول إليها .

أما السيد عبدالله ضيفنا لهذه الحلقة ، فهو إحدى الشخصيات البارزة في هذه القرية اعتنق الإسلام في عام ١٩٧٧ م بينما كان يُدرّس في إحدى المدارس التجارية الثانوية في ضواحي سيئول. وأخذ يقدم الإسلام لإخوانه أبناء قريته بطريقة حسنة بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما هو أدب الإسلام العظيم . فلم يصادف أية مقاومة ، وبدأ المزارعون يتعرفون على خالقهم الذي يعينهم دوماً في كل ما يحتاجون إليه في زراعتهم . وأخذوا يلمسون أن ذلك كله من عند الله. وبمرور الزمن اهتدى معظمهم إلى الإسلام بطريق الاقناع البعيد كل البعد عن الإكراه . ولقد حقق الأخ عبدالله هدفه والحمد لله وزود إخوانه أبناء القرية باتحاد روحي

متناسق يجمع بينهم برابطة الإخوة التي حلت محل الصراعات
المادية الضيقة .

واليوم تعرف قرية سانج ريونج بالقرية الإسلامية تسودها
روح الأخوة الإسلامية ويرفع فيها صوت المؤذن الله أكبر في
مسجد مؤقت خمس مرات كل يوم ، ليعلم القرويين بأن هذا هو
وقت الوقوف بين يدي الله لشكره على ما هداهم إلى عبادته
وحده دون سواه . إن جميع أهل القرية ، كباراً وصغاراً ،
رجالاً ونساءً وأطفالاً يؤدون الصلوات الخمس اليومية، ويحضرون
فصول الدراسة الخاصة عن الاسلام في مدرسة إسلامية مؤقتة
بدأت قبل ثلاثة أشهر ونيف . ويخبرنا الأخ عبد الله بأن اتحاد
كوريا الاسلامي قد بذل قصارى جهده لمساعدة سكان القرية
المسلمين . ويقوم الدعاة المسلمون من كوريا ومن خارجها بإلقاء
محاضرات اسبوعية في القرية، وتجري الآن الترتيبات للتوسع في
نشاط الدعوة لتشمل ثلاث قرى أخرى مجاورة للقرية الإسلامية .

كان ذلك التقرير من مجلة كوريا إسلام هيرالد - سينول .
والآن نأتي إلى مقابلتنا مع ديوك لين جيون، أجرى المقابلة فضيلة
الشيخ سعيد مراكار محرر مجلة كوريا إسلام هيرالد . وكان
السؤال الأول على النحو التالي : كيف تعرفت على الإسلام ؟
فأجاب السيد عبدالله بلهجة هادئة للغاية قائلاً :

كنت معلماً في مدرسة البنات التجارية العليا المسماة مدرسة
الملكة سانج دوک، وكان لي صديق مسلم يدعى مماتز بلال هونج،

وكان هو الآخر مدرّساً في نفس المدرسة. وذات مرة طلب إليّ الأخ بلال أن أتيح الفرصة للحاج محمد يون إمام مسجد المسلمين في سينول لإلقاء محاضرة على الطالبات في المدرسة حول موضوعات إسلامية. وكنت آنذاك مديراً لشؤون الطالبات، فوافقت على ذلك وألقيت المحاضرة بنجاح، وكانت هذه هي البداية.

ثم يضيف الأخ عبدالله قائلاً: بعد هذه المقدمة الجيدة عن الإسلام، قام الإمام يون بزيارة مدرستنا للمرة الثانية في عام ١٩٧٧ وقدّم الإسلام لي من جديد وللطالبات. وهكذا تعرفت على دين الله ثم أسلمت. وهنا سألت الأخ عبدالله عن دينه السابق فقال بأنه لم يكن يؤمن بأي عقيدة من قبل. ثم عمدت إلى السؤال الهام التالي: عرفنا منك أن قرية سانج ريونج قد أصبحت قرية إسلامية، فهل لك أن تخبرنا بأيجاز كيف أسلم جميع سكانها؟ عند ذلك سكن الأخ عبد الله برهة ثم ابتسم قائلاً: منذ أن أسلمت في عام ١٩٧٧ كنت على اتصال دائم بالشخصيات البارزة في القرية، فمعقدنا عدة اجتماعات ومناقشات، واستطعت من خلالها بفضل الله اقناعهم بأن الإسلام هو الدين الحق. فهداهم الله إلى الصراط المستقيم. ومنذ ذلك الحين ونحن نعمل معاً لنشر ديننا الجديد بين أبناء قريتنا.

قلت للأخ عبد الله: هل بقي في قريتك أحد لم يسلم؟ فأجاب قائلاً: نعم ولكن قليل جداً. فقلت له: ما هي نسبة التعليم بين سكان القرية الإسلامية، فقال: هي نسبة عالية للغاية

إذ تبلغ ٩٥ ٪ من السكان. وهناك عدد من خريجي الجامعة أيضاً. سألت الأخ عبدالله : هل لديكم مسجداً ومدرسة للدراسات الإسلامية فقال : لدينا الآن مسجد مؤقت نؤدي فيه الصلاة اليومية. كما أنشأت مدرسة مسائية مؤقتة لتعليم أبنائنا الدراسات الإسلامية . ونحن بحاجة إلى مبنى دائم لمدرسة إسلامية وآخر لاتخاذ مسجداً . ورغم أن ٦٥ ٪ من سكان القرية هم من العمال والمزارعين إلا أننا عازمون بعون الله على إنجاز هذين المشروعين. وكلنا أمل أن يتمكن اتحاد كوريا الإسلامي من مساعدتنا وإنجاز هذه المشاريع بعد أن يفرغ من مشروع الكلية الإسلامية في سيئول العاصمة ، وهو مشروع كبير ساهمت فيه بلاد عربية وإسلامية متعددة. ونحن المسلمون الكوريون نشعر بكل اعتزاز ان لنا إخوة في الله يهتمون لأمرنا ويهبون لمساعدتنا .

بعد ذلك أشار الأخ عبد الله إلى دور اتحاد كوريا الإسلامي في سيئول فقال : اننا أعضاء في الاتحاد ، ولذلك نحصل على تعاون كامل ومساعدة جيدة منه . فنتسلم الكتب والمطبوعات الإسلامية باللغة الكورية ، وكذلك الكتب الدراسية لمدرستنا ، كما يزور القرية أساتذة من الاتحاد يلقون المحاضرات الإسلامية بين سكان القرية . ولا أنسى أن أذكر أننا نتلقى كذلك العون المالي ، ولكننا في الوقت ذاته قررنا أن نربي النحل في مزارعنا الرائعة لجني العسل وبيعه واستغلاله في تخفيف العبء عن الاتحاد. وأخيراً يختم الأخ عبدالله ديوك لين جيون قصته بقوله :

أن لدينا ثلاث قرى مجاورة لقريتنا الإسلامية ، وقد تعرفت على أهم الشخصيات البارزة فيها ، فهم من المدرسين مثلي . وقد أتيجت لي عدة مناسبات للالتقاء بهم والتحدث معهم عن الإسلام . وقد أبدى بعضهم اهتماماً عظيماً بهذا الدين الحنيف . وكلي أمل في الله أن نتتمكن من كسبهم وكسب الكثير من الكوريين إلى الإسلام .

وبعد ، فمن حق سكان هذه القرية الإسلامية على المسلمين في كل مكان أن يهبوا لزيارتها لرفع الروح المعنوية لدى سكانها وتقديم العون المناسب لهم حتى يثبتوا على دينهم . ومن يدري فقد تقوم للإسلام دولة أخرى في أقصى المشرق . والله غالب على أمره .

١٦ — محمد كومياما — اليابان

تحت عنوان : « أول سياسي ياباني اعتنق الإسلام » كتبت صحيفة القبس الكويتية الغراء في عددها الصادر في يوم الاثنين الثامن من كانون ثاني/يناير من العام الحالي (١٩٧٩) عدد رقم ٢٣٨٠ - الملحق تقول :

محمد كومياما يصرّح : آفاق واسعة للدعوة الإسلامية في اليابان .

الوزير الياباني السابق للبريد والمواصلات السلوكية واللاسلكية « جوشيرو كومياما » أشهر إسلامه في ١٧ ديسمبر الماضي في طوكيو ، وتسمى باسم « محمد كومياما » وهو أول شخصية سياسية بارزة في اليابان تعتنق الدين الحنيف . ويشغل حالياً منصبين مهمين في الحزب الديمقراطي الليبرالي الحاكم وهما : رئيس مجلس أبحاث النقد ، ورئيس وكالة العلوم والتكنولوجيا .

السيد محمد كومياما - ٥٢ سنة - من مواليد عام ١٩٢٧ -
خصّ القبس بمقابلة مثيرة ، تحدث فيها عن أسباب إسلامه ونظراته

المستقبلية إلى الإسلام في اليابان والعالم ، وذلك رداً على الأسئلة الموجهة إليه .

كان السؤال الأول الموجه للسيد محمد كومياما حول السبب الذي جعله يقرر اعتناق الدين الاسلامي الحنيف . قال السيد كومياما : لقد ترسخ لدي الاعتقاد بأن الاسلام هو دين الانسانية بأجمعها ، فربع سكان العالم اليوم مسلمون ، وقد أردت أن أشاركهم ذلك ، وأنني آمل في أن تُفيد الدعوة الاسلامية في اليابان من نشاطي السياسي .

وهنا سأل مراسل القبس من طوكيو السيد كومياما قائلاً : ولئن يرجع الفضل في هدايتك إلى الاسلام بعد الله سبحانه وتعالى؟ فأجاب قائلاً : يرجع الفضل بعد الله في ذلك للبروفسور الدكتور شوقي فوتاكي رئيس المؤتمر الاسلامي الياباني ، والذي هو صديقي الحميم منذ أيام الدراسة المبكرة ، فأنا أحبه وأحترمه كثيراً منذ وقت طويل .

والدكتور شوقي فوتاكي ، هو أحد الشخصيات الاسلامية المعروفة في اليابان ، فهو رئيس مجلس إدارة مستشفى كبير في قلب مدينة طوكيو، وقد هداه الله إلى الاسلام قبل بضعة أعوام، وأسلم على يديه أعداد كبيرة من اليابانيين ، وقد أنشأ جمعية إسلامية برئاسة سماها المؤتمر الاسلامي الياباني. وقد زار الكويت قبل حوالي عامين ، أي في عام ٧٧ م . وقد أشار السيد محمد كومياما إلى جهود الدكتور فوتاكي فقال بأنه يكرّس جل وقته

لخدمة المرضى والمراجعين في مستشفى الواقع في حي «شبخيكو» بطوكيو ، وفي نشر الدعوة الاسلامية على مدار أيام السنة بدون يوم إجازة واحدة .

ويقول السيد كومياما : وقد بلغ عدد الذين اعتنقوا الاسلام على يده أكثر من ٢٥ ألف ياباني في غضون السنوات الخمس الأخيرة. مئات منهم من مرضاه الذين كتب لهم الشفاء على يديه في مستشفى الذي يسمي العيادة الملكية . ونحن لا نقلل من جهود الدكتور فوتاكي ، ولكننا للأمانة نقول بأن هذا العدد مبالغ فيه كثيراً . كما أن الدكتور فوتاكي يحتاج إلى بعض التوجيهات الاسلامية التي تقيه الشطط والزيغ عن الطريق المستقيم والمهجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك . وهذه هي مهمة الدعاة المسلمين المخلصين .

ولكن تكبر في الدكتور فوتاكي جهوده ونشاطه وحماسه المنقطع النظير للدعوة الاسلامية واثقانه لاستقطاب الجماهير إليها . فقد نظم مؤخراً أكبر مؤتمر إسلامي من نوعه تشهده اليابان ، اشترك فيه السيد كومياما ، وكان عبارة عن مظاهرة إسلامية رائعة . وعندما أسلم الدكتور فوتاكي اهتزت اليابان بأسرها لما قام به من نشاط ، فقد أصبح حديث الصحافة اليابانية البارز بسبب الأعداد التي دخلت في الاسلام أفواجا من اليابانيين على يديه .

نعود الآن إلى السيد محمد كومياما فنقول له : هل تأثرت في

عملية اهتدائك للدين الحنيف الإسلام بغير الدكتور شوقي فوتاكي؟
فيجيب السيد كومياما عن هذا السؤال قائلاً :

نعم ، لقد تأثرت أيضاً بشقيقي ميدبنك « هيو ميو تشيال »
الذي سبقني إلى اعتناق الإسلام . فقد شاهدت عن قرب كيف
حدث انقلاب كبير في حياته إلى الأفضل بالطبع ، مما كان له
أعظم الأثر في نفسي .

قيل للسيد كومياما : هل قرأت القرآن الكريم قبل
إسلامك ؟

فأجاب قائلاً : نعم ، قرأت القرآن الكريم المترجمة معانيه
إلى اللغة اليابانية على يد الحاج عمر ميتا ، العالم الياباني المسلم
المعروف . وأنا الآن أتعلم المزيد من أمور ديني كل يوم بفضل الله
ثم بفضل الأصدقاء اليابانيين المسلمين وغير اليابانيين الذين لا يألوا
جهداً في تزويدي بالثقافة الإسلامية .

ثم سئل السيد محمد كومياما عما إذا زار أياً من البلدان
العربية أو الإسلامية . فقال : لم تتح لي مع الأسف زيارة أي بلد
عربي حتى الآن ، ولكنني سبق أن زرت إيران وآمل أن أتمكن
من زيارة الأماكن المقدسة وأداء فريضة الحج .

قيل للأخ محمد كومياما : وما هي مشروعاتك للمستقبل ؟
فأجاب قائلاً : آمل أن أزور الدول العربية الشقيقة وأن أعمق
الصدقة مع إخواني في الدين ، وأزيد معرفتي بالشؤون العربية .

ولهذا فإنني مع بعض الإخوة المسلمين اليابانيين نسعى لتأسيس المعهد الثقافي الإسلامي الياباني بغية دراسة شؤون الثقافة والتعليم الإسلامي ومساعدة الطلاب المسلمين اليابانيين وغيرهم على دراسة هذا الدين . وسوف يتم الإعلان عن تأسيس هذا المعهد قريباً إن شاء الله ، خلال العام الجديد بإذن الله . ولما كان معظم اليابانيين لا يعرف شيئاً عن العرب والمسلمين فسوف يكون هذا المعهد تطوراً مهماً في هذا السبيل ، وأعني بذلك سيتهقق للشعب الياباني فهم أفضل للعرب والمسلمين في جميع أقطارهم . فلا يخفي أن الدول العربية والإسلامية هي دول بعيدة من حيث المكان عن اليابان ، ولهذا نأمل أن نوفق في التقريب .

وهنا سئل الزعيم الياباني المسلم عن أهمية الإسلام ودوره في المستقبل بالنسبة للبشرية بأسرها فقال بنظرة السياسي المتفحص: ان القرن الحادي والعشرين الذين نطل عليه الآن هو قرن الدين بلا جدال .. بمعنى أن الناس يعودون إلى الدين كمنقذ لهم من شقايم المادي المهلك . وهذا يعني أيضاً تنمية القيم الروحية بعد مراجعة الحضارة المادية التي أعلنت إفلاسها من حيث زعمها تحقيق السعادة لبني الإنسان . والإسلام هو دين الإنسانية بأجمعها، وهو دين القرن العشرين . إذ أن المليار مسلم الذين يقطنون كافة أنحاء المعمورة سوف يتضاعفون ، وستدخل ملايين كثيرة من البشر في هذا الدين بإذن الله تعالى تحقيقاً لقول الله سبحانه وتعالى :

« بسم الله الرحمن الرحيم : إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت

الناس يدخلون في دين الله أفواجا. فسمح بحمد ربك واستغفروه.
إنه كان تواباً ، . صدق الله العظيم ، وتنفيذاً لوعده رسول الله ﷺ
حين قال : بأنه لا يظل بيت مدر ولا وبر إلا ويدخله الإسلام .
فهذه بشرى من رسول الله ﷺ بأن يعم الإسلام الكرة الأرضية
بأكملها .

ثم يختم الأخ محمد كومياما حديثه بقوله : إنني أوْمِنُ بالتضامن
الإسلامي العالمي . وبالنسبة للدعوة الإسلامية في اليابان فهي
تتطور تطوراً ديناميكياً ، وأنا أرى أن آفاق هذه الدعوة
سوف تتسع كثيراً في المستقبل القريب بإذن الله .
والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

١٧ - عبد الحفيظ محمد - غويانا

- ١ -

زار الكويت في الشهر الماضي - سبتمبر ١٩٧٩ الإمام عبد الحفيظ محمد ، إمام المسلمين في غويانا بأمريركا الجنوبية . وهذه هي أول زيارة يقوم بها للدولة الكويت ضمن جولة إسلامية شملت القاهرة حيث قضى شهراً كاملاً معظمه في جامع الأزهر الشريف تدرب خلاله على أيدي أساتذة متخصصين على ترتيل القرآن الكريم . وهي ليست مهمة سهلة بالنسبة له ، فاللغة العربية لا تزال جديدة عليه . فهو حتى الآن يعرف أقل من عشر سور من القرآن الكريم يقرأها وهو يؤدي الصلاة .

ورغم أن السيد عبد الحفيظ محمد هو إمام المسلمين في غويانا منذ أربع سنوات ، إلا أنه حديث عهد بالاسلام ، فقد أسلم قبل ثمان سنوات كان قبلها مسيحياً ينتمي لكنيسة الميثودست . وعمره الآن ٣٥ عاماً ، ولد وقضى الشطر الأول من حياته في وطنه غويانا ثم سافر إلى أميركا للدراسة الجامعية . فدرس الهندسة ونال دبلوماً في الهندسة الميكانيكية من أحد المعاهد في

ميلان ، بكاروليننا الشمالية ، كما حصل على دبلومات أخرى من أحد المعاهد في شيكاغو في النظام الالكتروني .

وقبل أن نسأله كيف أسلم ، لا بدّ هنا من كلمة عن بلده غويانا . غويانا هي إحدى البلاد الواقعة شمال أميركا الجنوبية تحدها فنزويلا من الغرب وسورينام من الشرق ، والبرازيل من الجنوب وتطل على البحر الكاريبي الذي يحدها من الشمال وعاصمتها جورج تاون ، وتبلغ مساحتها ٨٣٠٠ ميل مربع ، وعدد سكانها حوالي مليون نسمة منهم مئة ألف مسلم ، أي ١٠٪ من مجموع السكان . وهناك عشر جمعيات إسلامية عاملة في غويانا ، والمسلمون هناك من أصل هندي وباكستاني بالإضافة إلى المسلمين الذين جلبوا إليها من أفريقيا السوداء .

ثم يتحدث الإمام عبد الحفيظ عن سبب إسلامه فيقول :

منذ إن كنت صغيراً لم يكن للديانة المسيحية أي وقع في قلبي . وأذكر أنني وأنا طفل لم تكن تروق لي فكرة الذهاب إلى الكنيسة كل يوم أحد ، وكانت لي مع والدتي بسبب ذلك مشاجرات كثيرة . وعندما كبرت ، ذهبت إلى أميركا - يعني الولايات المتحدة الأميركية - وأخذت أتنقل بين شيكاغو ونيويورك وغيرها فأحسست بالفراغ الروحي الذي يعانیه الجميع وبدأت أسأل نفسي أسئلة كثيرة حول دور الانسان ، وأهميته ومصيره وسط هذه الدوامة الطاحنة من الحياة المادية اللاهثة دوماً بلا سبب الشديدة التعقيد .

ويعضي الإمام عبد الحفيظ في حديثه الشيق فيقول :

وفي عام ١٩٧٢ ذهبت بصحبة أحد الأصدقاء لسماع محاضرة عن الاسلام ، أقامتها جماعة إسلامية في شيكاغو ، وكان زهابي من باب حب الاستطلاع والفضول ، ولم أكن أفكر قط في تغيير ديني . كما أنني خرجت دون أن أتأثر بشيء مما سمعت . إلا أنني حملت معي عدداً من مجلة (محمد يتكلم) وهي المجلة الناطقة بلسان جماعة المسلمين السود التي كان يرأسها أليجا محمد والتي تحول اسمها الآن إلى جماعة أمة الاسلام في الغرب ويتزعمها الآن السيد وريث الدين محمد ، وقد تغير اسم مجلتها فأصبح «مجلة البلايين» . وهي أكبر جماعة إسلامية في أميركا الآن . وتعمل بنشاط كبير في أوساط العشرين مليون مواطن زنجي بأميركا . وتلقى هذه الجماعة كل تأييد وعون من مختلف الأقطار الإسلامية .

نعود الآن إلى الإمام عبد الحفيظ الذي يستأنف حديثه بقوله : خرجت من المحاضرة كما قلت لك ومعني عدد من مجلة (محمد يتكلم) وبعض المجلات والكتب الأخرى عن الإسلام . وبدأت أقرأ وأقرأ . لقد أعجبنى شيء واحد من المسلمين الذين لقيتهم . أعجبنى فيهم النظام والإخلاص وصفاء القلب والحب الذي يمارسونه فيما بينهم . إلا أن قراءتي حتى ذلك الحين كانت لمجرد البحث عن المعرفة ومن باب الفضول فقط .

ثم يعود بناء الإمام عبد الحفيظ إلى الماضي فيتذكر ما كان يحس به . يقول : لست عنصرياً . ولكفي منذ أن كنت صغيراً

كنت أعرف جيداً أن البيض قد أسأؤوا معاملة السود ، واذكر الكثير من صور المعاناة التي قاساها السود على أيدي البيض . لهذا ارتبطت الديانة المسيحية في نفسي بالبيض ، فلم أكن أحس بأي ميل قلبي نحو هذا الدين الذي هو دين البيض ، الذين يستعبدون السود ويذلونهم . وقد أعانني هذا الشعور على فهم الإسلام . فأخذت أقرأ وأقرأ . وذات يوم ، كنت أقوم ببعض الأعمال في منزلي ، وكانت زوجتي وأطفالي بالداخل . وكنت منهمكاً فيما كنت أعمل به ، وإذا بإحساس قوي يملكني . لقد أحسست برغبة قوية ملحة بأن أكون مسلماً . وكأني كنت أرزح تحت عبء ثقيل أريد التخلص منه . وكان شيئاً ما يدق عنقي . وفي الحال ذهبت إلى حيث كانت تجلس زوجتي مع أطفالنا وقلت لها : أريد أن أكون مسلماً . فلم تمنع في ذلك بل شجعتني عليه . وقالت لي في الحال : وأنا معك ، وهكذا ذهبنا معاً في وقت لاحق وأعلننا إسلامنا . وهكذا أصبح اسمي عبد الحفيظ محمد واسم زوجتي أمينة وهي أميركية حاصلة على ماجستير في التربية وتعمل ناظرة مدرسة في غويانا . وقد دخلت الإسلام عن اقتناع بحقيقة هذا الدين .

قلت للأخ عبد الحفيظ محمد الذي لقيته أكثر من مرة أثناء زيارته للكويت مؤخراً : ماذا فعلت بعد أن أسلمت؟ فقال : لم يكن اعتناقي للإسلام إلا البداية لتغيير كامل شامل في حياتي . فرغم أنني كنت مهندساً ناجحاً في مجال التبريد ، أكسب

الكثير من المال ، وأعيش حياة مرفهة للغاية أنا وأسرتي ، إلا أنني لم أكن أحس بالسعادة التامة . كنت أشعر أن شيئاً ما ينقصني . فلما جاء الإسلام إلى قلبي جاء معه تصميم من جانبي على أن أعمل على نشر الإسلام . فقابلت عدداً من أئمة المسلمين في منطقة كارولينا الشمالية حيث كنت أعمل وأسكن ، وأبلغتهم أنني أسلمت وأريد أكثر من ذلك . أريد أن أعمل على نشر الإسلام . وهكذا انتقلت من إمام إلى آخر ومن جامع إلى جامع حتى وصلت إلى شيكاغو حيث كان يقيم الزعيم الروحي السابق للمسلمين السود أليجا محمد ، ذهبت إليه ومعني خطاب من إمام آخر . ولكن أليجا محمد كان مريضاً جداً ، وتوفي قبل أن أتمكن من مقابله ، وهكذا مكثت فترة من الزمن في مدينة شيكاغو قابلت خلالها خليفة أليجا محمد واسمه وريث الدين محمد . وقضيت معه فترة من الزمن تعلمت منه الكثير عن الإسلام .

سألت الأخ عبد الحفيظ عن رأيه في الإمام وريث الدين زعيم المسلمين البلابين الجديد في أميركا فقال : لقد أحببته وارتاحت له نفسي كما وثق هو بي كذلك ، فكلفني بالذهاب إلى وطني غويانا لنشر الاسلام هناك ، وعينني إماماً للمسلمين في غويانا . فعدت إلى كارولينا الشمالية ، فبعت منزلي وسيارتي وكل ما أملك وجمعت ما عندي من مال وتوجهت مع أسرتي إلى غويانا .

قلت للأخ عبد الحفيظ : متى كان ذلك؟ فأجاب قائلاً : كان ذلك قبل أربع سنوات تقريباً . ومنذ ذلك الحين وأنا أعمل على

نشر الاسلام . بدأت عملي وحدي . اتصلت بالناس . وأخذت
أدعوم إلى هذا الدين ، ولم تكن المهمة سهلة في البداية . لكنني
كنت مصمماً على ما أريد . وخلال أربع سنوات من العمل في
غويانا انضم أربعة آلاف مواطن في غويانا إلى الاسلام بفضل الله
ثم بفضل جهودني المتواضعة . ولا زلت أوصل جهدي في هذا
المجال .

ويضيف الإمام عبد الحفيظ : هذا بالرغم من الحريق الذي
التهم متجراً كان لديّ و كنت أنفق من ريعه على نشاط الدعوة
الاسلامية .

قلت للأخ عبد الحفيظ : كيف استطعت أن توفق بين
تخصصك العلمي الأكاديمي وبين نشاطك في الدعوة إلى الاسلام
وعملك كرئيس للمنظمة الاسلامية في غويانا؟ فقال رداً على ذلك :

لقد كنت منذ صغري وحادثة سني ولا أزال ميالاً إلى
النواحي الدينية . وكان تخصصي الجامعي في أجهزة التسخين
والتبريد والتكثيف وأجهزة التبريد عامة والأجهزة الكهربائية
والإلكترونية التي تحافظ على الأمن والسلامة . وما زلت أقوم
بعمل دراسات كثيرة في مجال تخصصي الذي ذكرته ، وقد أنعم
الله عليّ بنعم كثيرة والحمد لله ، فكانت دائماً من الأوائل في
دراستي بالجامعة ، حتى عند تقديمي للامتحان النهائي كانت
نتيجتي الأولى على مجموعتي في التخصص .

لقد غير الاسلام من طبيعة ذاتي وأصبحت منصرفاً كلياً
للدعوة إلى التوحيد . ولا غرابة في ذلك ، فلقد تمكن الاسلام
من نفسي والحمد لله الذي هداني للإسلام . أما عملي كداعية فهو
شيء مفروغ منه ويجب أن يكون . لأنه يحقق السعادة في الدنيا
والآخرة . وهذا ما يجب أن يسعى إليه كل مسلم عاقل .

١٨ - عبد الحفيظ محمد - غويانا

- ٢ -

هذه تكملة قصة الإمام عبد الحفيظ محمد - إمام المسلمين في غويانا . ذلك المهندس الشاب الذي لا يزيد عمره عن ٣٥ عاماً ، والذي ترك الهندسة وتفرغ للدعوة الإسلامية ليقف إلى جانب إخوانه المسلمين في غويانا ، وقد قام بجولة حول بعض الأقطار الإسلامية شملت مصر ، والمملكة العربية السعودية والكويت .

يبدأ الأخ عبد الحفيظ حديثه قائلاً : ليس في غويانا إلا مركزان إسلاميان و٥٢ مسجد . فقلت متعجباً : سبحان الله ٥٢ مسجد في غويانا ، ونحن لا نسمع عنها وعن إخواننا المسلمين فيها أي شيء . فقال : المسلمون يا أخي يوجدون في كل مكان وهم أمة واحدة ، ولا يكاد يخلو أي مكان على وجه الأرض إلا وفيه مسلمون يذكرون الله عز وجل . ونحن في غويانا لدينا نشاط إسلامي جيد ، إلا أننا بحاجة إلى تأسيس مكتبة إسلامية

وتدعيم وسائل الاتصال بالدول الإسلامية في جميع أنحاء العالم .
وعن زيارته لمصر الشقيقة التي بدأ بها جولته يقول الأخ
عبد الحفيظ : إن إقامتي في مصر أعطتني مفاهيم جديدة
ومسؤوليات كبرى ، كما أن مفهوم التقوى قد ازداد عمقاً في
نفسي . لقد أحببت هذا البلد إلى درجة جعلت من الصعب علي
نفسي التفكير في مغادرته بعد أن أمضيت بين أهله شهراً ونصف
ولكن لا بد لي من ذلك لأداء فريضة الحج . لقد تأثرت كثيراً
بإخواني المسلمين في مصر إذ أن ثلاثة أشخاص منهم في أماكن
متفرقة ، حينما عرفوا أنني مسلم من غويانا قام كل واحد منهم
وعانقني وتمنى لي حياة طيبة في ظل الإسلام .

وبعد أن أمضى الأخ عبد الحفيظ المدة المتاحة له في مصر
درس خلالها اللغة العربية والقرآن الكريم ، وساعده في ذلك
المراقب العام للبحوث الإسلامية بالأزهر الشريف توجه إلى
المملكة العربية السعودية .

قبيل له وهو يطمأ أرض الجزيرة العربية لأول مرة : ما هو
شعورك وأنت تأتي للأراضي المقدسة في زيارتك الأولى لها؟ فقال:
جئت لتأدية فريضة الحج والعمرة . وشعوري كشعور كل
مسلم مؤمن بالله سبحانه وتعالى إيماناً لا تشوبه أية شائبة . لقد
حضرت مع عائلتي وأحس بالسعادة والشكر لله عز وجل الذي
هباً لنا هذه الزيارة وأنار قلوبنا وهدانا للإسلام .

ويضي الأخ عبد الحفيظ فيقول : جئت إلى البلاد العربية لاستطلع إمكانية مد يد العون للمسلمين في غويانا - بأميركا اللاتينية . فنحن بحاجة ماسة إلى المساعدة من إخواننا المسلمين . إننا منظمة إسلامية ترعى شؤون المسلمين ويوماً بعد يوم يعتنق الكثيرون من مواطني غويانا الإسلام ، لا عن طريق الإكراه ، ولكن عن اقتناع وحب وعن هداية من الله سبحانه وتعالى . إنني أتكلم كإمام للمسلمين في غويانا ونيابة عن كافة المنظمات الإسلامية ، فنحن بحاجة إلى الكتب الإسلامية وإلى المدرسين والوعاظ الدينيين حتى نحافظ على الجالية الإسلامية الكبيرة في غويانا ، وننشئ أبناءنا تنشئة إسلامية صحيحة . واللغة العربية هي لغة القرآن الكريم ، فلا بد من تدريسها لأبناء المسلمين في غويانا حتى يفهم المسلمون دينهم وقرآنهم .

ويضيف الأخ عبد الحفيظ قائلاً :

لدينا مشاريع كثيرة كبناء المساجد والمراكز الثقافية الإسلامية والمدارس ، وهذه تحتاج إلى عون مالي كبير . كما تقتقر إلى إذاعة مستقلة لبث الدروس والمواعظ الإسلامية لمن لا يتمكن من الحضور إلى المركز الإسلامي . واعتقد أن حكومة غويانا لا تعارض مثل هذا الإجراء ..

ويتحدث عن نشاطه الإسلامي فيقول :

إنني عضو في المجلس الإسلامي في غويانا ، وفي المجموعة التي

تقوم بزيارة نزلاء السجون فنقوم بعمل ندوات إسلامية كثيرة داخل السجون لتوعية نزلائها وتعريفهم بمبادئ الإسلام وبقيمه الخالدة ، كما نمد العون المالي لهم بقدر استطاعتنا . ونساعد الكثير من المحتاجين والفقراء . ونحن كمسلمين نساعد جميع الناس من مختلف الديانات . وهذه الأموال نحصل عليها من بعض المشاريع التجارية الخاصة التي تباع المأكولات . إلا أن واحداً من أكبر هذه المشاريع قد تعرض في الآونة الأخيرة لحريق كبير سبب لنا خسارة كبيرة . وقد أثبتت التحقيقات أنه كان نتيجة لعمل تخريبي قامت به منظمات ضد الإسلام والمسلمين في غويانا . ولكن بالرغم من ذلك فإن عدد المسلمين هنا في ازدياد مستمر . وهذا يضايق بعض الأوساط في غويانا مما يجعلها تقوم بهذه الأعمال التخريبية لمشاريعنا .

ويعلق الإمام عبد الحفيظ بجماس كبير فيقول :

لقد تركت عملي الأساسي في مجال الهندسة ووهبت نفسي كلياً لديني وعقيدتي الإسلامية ، لإرشاد الناس وهذا شرف عظيم لي ولعائلتي . إنني أسمى دائماً لعمل مشاريع تجارية تعود بالنفع على إخواني المسلمين .

ماذا عن موقف المواطن الغوياني من الإسلام ؟ هذا هو السؤال التالي الموجه للإمام عبد الحفيظ الذي أجاب عليه قائلاً:
إن المواطنين في غويانا لديهم الرغبة الأكيدة للدخول في

الإسلام . فمنحن نلاحظ حالياً انتشار الإسلام يوماً بعد يوم . إلا أننا بحاجة إلى المساعدة ، فلا توجد أية قوة تستطيع أن توقف المد الإسلامي في غويانا. ولكن هناك بعض العقبات في الطريق، ونحن نريد أن نكسب أكبر عدد من أبناء البلاد للإسلام .

قلت للأخ عبد الحفيظ : وما هي قصة دخول الإسلام إلى غويانا؟ فقال : لقد كان دخول الإسلام إلى غويانا على يد المهاجرين الأفارقة الذين هاجروا قسراً من أفريقيا إلى دول أميركا اللاتينية ، وخاصة الذين أحضروا من السودان وأثيوبيا وتشاد وغيرها من دول شرق ووسط أفريقيا وغيرها أيضاً . فعندما جاءوا إلى غويانا استطاع شعب غويانا من خلال مخالطته لهم ومعاملته معهم أن يتعرف إلى الدين الإسلامي . فقد لمس الناس منهم معنى التسامح والحب والسلام والوفاء وإنكار الذات . لقد عرفوا كل معاني الحق التي كانوا يفتقدونها . لذلك اعتنق الكثير منهم الإسلام عن حب وعقيدة راسخة دون إكراه أو إغراء .

وبعد فترة من الزمن حضر مهاجرون آخرون من الهند وباكستان ، وقد أعطت هذه الدفعة من المهاجرين المسلمين مزيداً من القوة للإسلام في غويانا . كما أن حكومة غويانا لم تمنع من إقامة الشعائر الإسلامية ، بل سمحت للمسلمين بحرية العبادة والتحدث والدعوة إلى الإسلام ، وهكذا تضاعف عدد المسلمين . والطريف أن الإسلام لا يعترف بالعنصرية ولا بالطائفية بالجمالية

الباكستانية المسلمة في غويانا لديها مرشد من السود هو من أعضائها البارزين . حيث لا فرق في الاسلام بين أسود وأبيض إلا بالتقوى . ولقد عملت الكثير لإنشاء رابطة إسلامية تضم كافة المسلمين في غويانا من مختلف الجنسيات ، وقد وفقت في عملي هذا والله الحمد .

قلت للأخ عبد الحفيظ الذي امتنع أن يذكر لي دينه السابق واسمه قبل إسلامه ، لأنه لا يريد أن يتذكر هذا الماضي ، قلت له : هل درست الأديان الأخرى ؟ فقال :

إلى جانب دراستي للإسلام والقرآن الكريم درست الأديان الرئيسية الأخرى ، فعرفت الفارق الكبير بينها وبين الإسلام والقرآن . لقد وجدت في القرآن الكريم الطريق السليم لعبادة الخالق الأحد . لقد اكتشفت أن الديانات الأخرى قد حرقت كتبها وأنها تمارس في الواقع العملي أشياء مغايرة تماماً لما تنادي به وتدعو إليه . إضافة إلى أن الدين الإسلامي لا يقتصر على العبادة فحسب ، بل يعلمك كيف تعيش حياتك الدنيوية وتنظمها على أساسه في كل صغيرة وكبيرة ، ويرشد الانسان إلى أفضل الوسائل لمعاملة غيره . فالاسلام نظام شامل للحياة الانسانية كلها وهو الدين الحق الصالح لكل زمان ومكان . كنت دائم التفكير والتأمل ، فالذي خلق الانسان ووجهه هذه النعم الكثيرة هو الذي خلق الحيوان والشجر وأنزل من السماء ماء ، والقرآن الكريم يدعونا دائماً إلى التفكير في ملكوت السموات والأرض

ويربط بيننا وبين الكون من حولنا ، بعكس الأديان الأخرى التي تفرض الإيمان على أتباعها فرضاً .

وأخيراً قلت للأخ عبد الحفيظ : ما هو أهم مشروع إسلامي لديكم الآن ؟ فقال : أهم مشروع لدينا هو اكتمال مركز الدعوة الإسلامية في جورج تاون الذي يتألف من قاعة محاضرات ومسجد ومكتبة ومدرسة إسلامية ومكاتب الإدارة . ولدينا جمعية لمساعدة الشيوخ والعجزة والمساكين . كما أن لدينا مشروعاً زراعياً يحقق لنا الاكتفاء الذاتي ، عسى الله أن يشرح صدور المسلمين لدعم العمل الإسلامي في غويانا وغيرها حتى يهبّ المارد الإسلامي الجبار من غفلته ، والله الموفق لكل خير .

١٩ - الدكتور أحمد سوسة - العراق

- ١ -

الدكتور أحمد سوسة .. عضو المجمع العلمي العراقي ، مرجع بارز في دراسات الحضارة العربية ووادي الرافدين على وجه الخصوص . أسلم قبل عدة سنوات بعد أن تأثر بالقرآن الكريم ، واولع به ولعاً شديداً ، كان يهودياً عراقياً ثم شرح الله صدره للإسلام : « فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ » . صدق الله العظيم .

والدكتور سوسة عدة مؤلفات معتمدة في مختلف المجالات العلمية . وقد ركز في العديد منها على تفنيد ادعاءات الصهيونية العالمية من الناحية التاريخية . وقد نال الجزء الأول من كتابه « فيضانات بغداد في التاريخ » جائزة دولة الكويت لعام ١٩٦٣

وهي الجائزة التي تُمنح عادةً لأفضل دراسة تعالج جانباً من التاريخ العربي والحضارة العربية .

وفي كتابه « في طريقي إلى الإسلام » ، يذكر الدكتور أحمد سوسة سبب إسلامه ، وهو دكتور في الفلسفة من جامعات الولايات المتحدة الأميركية ، يقول :

- يرجع ميني إلى الإسلام إلى ما قبل ثلاث عشرة سنة ، حينما شرعت في مطالعة القرآن الكريم للمرة الأولى في عهد دراستي في الجامعة الأميركية ببيروت ، فولمت به ولماً شديداً ، وانصرفت إلى تلاوته مستعيناً بالكتب المزودة بحواشي التفسير لفهم معناه ، حتى أهملت البعض من دروسي المدرسية الأخرى . وكنت أطرب لتلاوة آيات القرآن ، وكثيراً ما كنت أنزوي في مصيفي تحت ظل الأشجار وعلى سفح جبال لبنان ، فأمكنك هناك ساعات طوالاً أترنم بقراءته بأعلى صوتي ، إلا أنني لم افكر في أمر اعتناقي للإسلام إلا بعد أن قضيت في أميركا بضع سنوات ، ودرست فلسفات الأديان ، وتوغلت في المواضيع التاريخية الاجتماعية ، حتى أدركت كثيراً من الأمور الغامضة التي كان يصعب عليّ حلّها .

ثم يشير الدكتور سوسة إلى طبيعة الحياة الأميركية وأثرها في اتخاذ قراره الحاسم ، فيقول :

- وفي الوقت نفسه ، فإنني أعتقد بأن محيط أميركا الذي تتجلى فيه الحياة الديمقراطية بأجلى بيان ، قد يستميل المرء الذي

فطر على حب الحرية والسداجة ، إلى الانقياد إلى تعاليم الدين الإسلامي المشبع بروح الديمقراطية الحقة والحرية والبساطة ، فأستطيع أن أقول بدون تردد بأنني مسلم شعوراً وموطناً منذ نعومة أظفاري ، وقد يكون لتأثير ذلك النصيب الأكبر فيما دفعني لأن أنفض عني غبار الميراث من الدين والعنصر، وأن أسبر أغوار الحقيقة لأهتدي بأنوارها إلى المذهب الصحيح الخفيف .

ويضيف الدكتور سوسة قائلاً :

– إلا أنني يجب أن أعترف – في الوقت نفسه – بأن الميل لم يكن مستنداً على ما يقرّه الاستقراء العلمي والتمحيص الفكري والتجارب الشخصية . وما أعظم سروري الآن ، حين جاء الاستدلال العلمي الصحيح مؤيداً للميل الفطري ، فانتقلت إلى الدين الإسلامي بدافع طبيعي غريزي ، وبتأييد علمي تمحيصي ، فأصبحت بذلك مساماً شعوراً وموطناً وديناً .

ثم يردّ الدكتور أحمد سوسة على الفرية السائدة بأن الإلحاد هو المودة بين المثقفين ، فيقول :

– ومن الغريب أن العقيدة السائدة بأن كل من تعلّم تعليماً راقياً أصبح ملحداً بطبيعة الحال ، قد تمكنت في أذهان شبابنا المثقفين ، بحيث أصبح الكثير منهم يستغرب ويدهش إذا أظهر أحد المتعلمين ظاهرة دينية أو تطرّق إلى البحث في هذا الموضوع . وأنا أرى لزاماً عليّ أن أبحث في مقدمتي هذه – ولو بصورة مقتضبة – فيما أورده بهذا الصدد أحد أصدقائي ، بعد أن أعلنت

له رغبتي في اعتناق الإسلام ، إذ قال في كتابه : « إني لأشعر
بخطورة رغبتيك هذه ، لا سيما أنها جاءت في القرن العشرين ، في
القرن الذي طغت فيه المادة وسادت فيه الملعوسات ، وهي بنت
فكر شخص عاش في بيئة أميركية ، وأنه من حملة الدكتوراه . »

يجيب الدكتور أحمد سوسة ، العالم المؤمن الذي لا يعرفه ما
أفسد إبليس من غرور ، فيقول :

- وكأني بصاحبي قد يخيل له أن من اكتسب علماً حديثاً
يجب عليه طرح ناحية الدين جانباً ، والانصراف إلى ما في الحياة
الدنيا من أعمال مثمرة ملموسة . وما أخطأ هذا الظن وأخطره
على مصير مجتمعنا . فما هو العلم ؟ هل يقتصر العلم على تدريبننا
لإنشاء المشاريع العمرانية فحسب ؟ أنا لا أنكر أن العلم قد
نستفيد منه ونستعين به في مشاريعنا الفنية ، ولكن أهي هذه
الغاية من العلم ؟! أليست هذه المشاريع واسطة لا غاية ؟!
إذن ، للعلم غاية سامية يرمي إليها صاحبه هي غير الأعمال
الميكانيكية المادية .

ويتساءل الدكتور أحمد سوسة عن الغاية من العلم ، فيقول :

- وما هي هذه الغاية ؟ إن الغاية المهمة من العلم الراقى في
نظري هي تنبيه حس الطموح في صاحبه إلى استكشاف الحقائق
والتدقيق والتمحيص ، سواء في مجالات التفكير الروحي المعنوي
أو في منطقة الأعمال الملموسة لإدراك هذه الحقائق وإداعتها ،

فيستفيد منها المجتمع في سبيل التعاون والتعاقد ، للنهوض
بالإنسانية إلى أسنى درجات الكمال .

هذا ما كتبه الدكتور سوسة، في مقدمة كتابه « في طريقي
إلى الإسلام » .

وفي الآونة الأخيرة ، طالعنا صحيفة « القبس » الكويتية
الغراء ، بمقابلة نشرتها مع الدكتور سوسة تحت عنوان : اليهود
دوّنوا في بابل تاريخاً مزيفاً وتوراة مزيفة ، ولا أصل لهم لا في
العراق ولا في فلسطين . ثم يقول : حضارة العرب تعود إلى ما
قبل ٢٠ ألف سنة ، وهم أول من أسّس الزراعة الاصطناعية
في العالم .

وقبل أن ندخل في تفاصيل ما ذكر الدكتور سوسة عن
اليهود والتاريخ ، نود^١ أن ننقل المزيد عن قصة إسلامه . فعندما
سُئِل عن نظرته إلى اليهود في الإطار الإسلامي ، قال :

– منذ الصغر كانت تدور في ذهني قضية الأديان ، وكنت
أتعجب لهذه الاختلافات وأنا في محيط مسلم وأصدقائي مسلمون .
فلماذا مسلم ومسيحي ويهودي ؟ وكانت هذه الأمور تشغلني وأنا
من عائلة يهودية الأصل ، وقد أسلم قسم من أفراد هذه العائلة .
وبعد أن عكفت مدة على الدراسات الدينية توجهت إلى الأزهر
الشريف في مصر حيث درست هناك فترة من الزمن . وانتهت
تلك الحيرة ، إذ أعلنت إسلامي بعد إيمان وفهم عميقين .

لقد بدأ هذا الحوار مع الدكتور سوسة ، في داره التي تضم مكتبة تُعتبر من أندر المكتبات الخاصة في بغداد . وكان السؤال التالي للدكتور سوسة حول كتابه المعروف « العرب واليهود في التاريخ » وماذا عنه ؟ يقول الدكتور سوسة :

– خلال دراساتي وأبحاثي ، وجدت أن الصهيونية تستند على الدين اليهودي في المطالبة بفلسطين ، فتزعم أن التوراة قد منحتهم أرض فلسطين من ربهم « يهوه » لتكون وطناً لشعبه المختار . وعلى هذا الأساس يزعم اليهود أنهم يمتلكون الحق المقدس لاحتلالها بالقوة وطردها سكانها وأصحابها الشرعيين ، بل أبادتهم ، ليستقروا فيها . وهذا ما تنفذه الصهيونية استناداً لذلك الزعم الباطل .

ثم يستطرد في الحديث عن هذا الزعم ، فيقول :

– ولما كان هذا الزعم يستند على التوراة التي بين أيدي اليهود اليوم ، وهي التي كتبها الحاخامون في بابل في وقت لاحق تحقيقاً لأغراض سياسية معينة ، فلا بد من تفهم تاريخ التوراة على حقيقته ، مَنْ دَوَّنَهَا ؟ وكيف ومتى دُوِّنت ؟ وما هي الأهداف الرئيسية من تدوينها ؟ لقد أوضحت من خلال كتابي « العرب واليهود في التاريخ » زيف الصهيونية واستنادها إلى التوراة التي هي أصلاً محرّفة ومدوّنة حسب رغباتهم وأهوائهم وأطماعهم ، وليست هي التي أنزلت على سيدنا موسى عليه السلام ، بل أضافوا إليها وحرّفوا فيها كما يحدثنا بذلك القرآن الكريم

نفسه ، قال تعالى : « فويلٌ للمذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ، ليشتروا به ثمناً قليلاً ، فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون . »

ويقول سبحانه وتعالى: « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلُّ لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون » (الأعراف / ١٥٧) .

ويضي الدكتور سوسة في حديثه عن التوراة المحرّفة الموجودة بين أيدي الناس اليوم ، وما أعدّ من دراسات لكشف زيفها وبيان عوارها ، فيقول :

– هذه الدراسات ، كما يرى معي كثير من العلماء والمؤرخين ، جاءت ردّاً ولطمّة كبيرة لفضح زيف الصهاينة وبطلان ادعاءاتهم . فأرض فلسطين عربية إسلامية وستبقى كذلك مهما طال أمد الاحتلال الفاصب .

ولنا لقاء آخر إن شاء الله مع الدكتور أحمد سوسة .

٢٠ - الدكتور أحمد سوسة - العراق

- ٢ -

هذه هي تكملة المقابلة التي أجريت من الدكتور أحمد نسيم سوسة المهتدي الجديد إلى الإسلام من القطر العراقي الشقيق، بعد أن كان يهودياً إسرائيلياً وهو الآن عضو في الجمع العلمي العراقي فسبحان الهادي. وبعد أن كان في صف أشد الناس عداوةً للذين آمنوا أصبحوا اليوم مع المؤمنين يدافع عن قضاياهم . وأهم ثغرة يقوم عليها هي رده على إدعاءات الصهيونية وأباطيلها، وسنتابع في هذه المرة ما يقوله في ذلك ، كما سنلتقي بابنته المسامة عالية وهي عضوة عاملة في اتحاد المؤرخين العرب ومدرسة في جامعة بغداد لتاريخ الشرق الأدنى الحديث ، وهي تستعد هذا العام لمناقشة رسالتها للدكتوراه في جامعة السوربون بباريس ، واطروحتها بعنوان « العراق من عام ١٩٢٢ ميلادية إلى عام

١٩٣٩ ، وهي عبارة عن دراسة اجتماعية وسياسية باللغتين الفرنسية والإنجليزية .

نعود الآن إلى الدكتور أحمد سوسة لنسأله عن قصة الحضارة العربية ، فيجيب على هذا السؤال بقوله : ان دراسة تاريخ العراق القديم قادتني إلى دراسة تاريخ الأقطار العربية جميعها ، ومنها فلسطين ، البلد العربي العريق في تاريخه . فقد درست الحضارة العربية القديمة كيف نشأت ومتى بدأت وأين فتوصلت في دراستي إلى الكثير حول هذا الموضوع .

إن حضارة العرب قديمة وعريقة جداً تعود إلى ما قبل عشرين ألف سنة قبل الميلاد . فجزيرة العرب التي كان مناخها حينذاك غير ما هو عليه الآن ، كانت تمر بالعصر الجليدي الأخير الذي يتميز بالأمطار الغزيرة ، وكانت الوديان الموجودة الآن في الجزيرة أنهاراً تجري فيها المياه طيلة مواسم السنة ، ولهذا بدأت الحضارة في الجزيرة ، وكان العرب أول من أسس الزراعة الاصطناعية في العالم ، وهم أول من استعمل وسائل اصطناعية للري والارواء .

ثم يقول : وبانتهاء الدور الجليدي جاء دور الجفاف الذي اضطر أهالي الجزيرة إلى الهجرة فنقلوا الحضارة منها وهاجروا إلى الهلال الخصيب حيث وجدوا الأنهر ، وعلى الأخص وادي الرافدين ، فاستقروا هناك مؤسسين أول امبراطورية سامية في العالم وهي الامبراطورية الأكادية ثم تلتها الامبراطورية الآشورية

والكلدانية . وهؤلاء كلهم عرب هاجروا من الجزيرة . ثم جاءت
الامبراطورية العربية الاسلامية التي نقلت حضارة العرب المسلمين
إلى أنحاء العالم .

وقبل أن ننضي في هذا الحديث مع الدكتور سوسة نقول بأن
الاسلام وجد العرب في حالة من التخلف والتفكك لا مثيل لها
وأهم قبيل ظهور الاسلام لم تكن للعرب حضارة ، وإنما كان
الفضل ولا يزال للاسلام العظيم الذي حول العرب من بدو رحل
يقتل بعضهم بعضاً بالثأر الذي استمرت حروبه بينهم عشرات
السنين ، ويأكل القوي فيهم الضعيف ، جاء الاسلام فأحال العرب
من هذا الوضع الشائن إلى أمة موحدة متحاببة حملت النور
والهداية والحضارة الاسلامية إلى الناس كافة . وهذا هو فضل
الاسلام على العرب . لأن العرب لم يفروا إلا بالاسلام إذ لم يكن
لهم أي ذكر قبله . قال تعالى : « لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم
أفلا تعقلون » . صدق الله العظيم .

بعد هذا التعليق الذي لا بد منه سئل الأخ الدكتور أحمد
سوسة عن حقيقة اليهود في التاريخ فقال : لقد دون اليهود أثناء
الأسر في بابل تاريخاً زائفاً لأهلهم ذكروا فيه نسبهم وصلتهم
بالأقوام الأخرى وبالعالم القديم ، وحرروه وفق أهوائهم
ورغباتهم الدنيوية ونزعاتهم الدينية . وقد قبل العالم مع الأسف
هذا الزيف ، وظل الباحثون والكتّاب يرددونه وكأنه حقائق
تاريخية حتى ظهرت الاكتشافات الأثرية الحديثة فكشفت للناس

زيف الادعاءات اليهودية كحقيهم في أرض العرب ، وما إلى ذلك من الادعاءات الوهمية . وهذه المدونات المكتشفة تسجل أحداثا بلغات الأقوام القديمة التي عاصرت تلك الأحداث ذاتها كالسومريين والأكاديين والكنعانيين والفينيقيين والحيتيين وأهل بابل والآشوريين والكلدانيين . كل ذلك قبل تدوين التوراة بعدة قرون . وهذه المراجع تزودنا بالمعلومات والبيانات التي كانت تعوز من سبقنا من الباحثين للتوصل إلى بعض الحقائق التاريخية عن العصور القديمة والخروج بها من دائرة الحدس والظن إلى صلب الحقيقة الواقعة .

بعد ذلك يقول الدكتور أحمد سوسة ، المؤرخ العراقي المسلم: ولا توجد حسب علمي أية دراسة علمية لتاريخ يهود العراق القديم ، فالمصدر الوحيد الذي يعول عليه الباحثون هو ما يلقنه لهم الصهاينة عن تاريخ اليهود القديم ، وهو ادعاءهم خلافاً للواقع التاريخي بأن العراق هو وطن اليهود الأصلي لأنهم هاجروا مع ابراهيم الخليل من العراق إلى فلسطين قبل أربعة آلاف سنة قبل الميلاد، وكان عددهم أربعة آلاف نسمة . وهكذا ربطوا نسبهم وأصلهم بابراهيم وبالعراق . هذا في حين أن المعلومات التي تركها لنا الأقدمون تدل على أن اليهود قد ظهوروا في العراق لأول مرة في عهد الآشوريين بصفة أسرى في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن السابع قبل الميلاد أي بعد عصر ابراهيم الخليل بألف ومائتي سنة لأن ابراهيم الخليل ظهر حسب التقدير التاريخي

الراجح في القرن التاسع عشر قبل الميلاد . هذا ما يقوله الخبراء المحدثون .

ومن جهة أخرى يقول الله تعالى : « ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ، ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين . ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه ، وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين » (آل عمران ٦٦ ، ٦٧) .

قيل للدكتور سوسة : ما الجديد في أبحاثكم ؟ فأجاب قائلاً : لقد أعددت بحثاً جديداً حول إعادة كتابة تاريخ الأمة العربية . وهو بحث وثائقي يظهر مدى تطور حضارة العرب منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا .

لا بد أن نكرر هنا أن الحرص على إبراز عظمة العرب قبل الإسلام هي دعوة ساذجة غير دقيقة علمياً ، إذا افترضنا حسن الظن . وهي دعوة خبيثة ماكرة إذا علمنا حقيقة النوايا التي تخطط من ورائها . فالإسلام هو الذي أوجد العرب كأمة ، صاروا بالإسلام خير أمة أخرجت للناس . والعرب بدون الإسلام يعودون إلى مكانتهم المنزوية على هامش التاريخ . هذا ما يقرره الواقع وهو ما ينص عليه القرآن الكريم . وقد آن للعرب أن يعتزوا بنسبهم ونسبتهم إلى مصدر عزمهم ومجدهم ، وهو الإسلام ولا داعي لإضاعة الوقت والتنقيب في الحفريات البالية . فالحاضر خير شاهد .

قال تعالى : « وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

نعود الآن للدكتور أحمد سوسة الذي يقول :

تلقيت دعوة للمشاركة في المؤتمر العالمي عن تاريخ الجزيرة العربية تقيمه جامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية في الربيع القادم . وقد بعثت بخلاصة بحثي للمؤتمر على أن أبعث التفصيل الوثائقي من البحث بعد انتهاء طبعه ليوزع على المؤتمرين من كل الأقطار العربية . كما وجهت لي دعوة من المؤسسات العلمية لزيارة تونس .

بعد ذلك سئل الدكتور سوسة عن حياته الخاصة فقال :

كنت متزوجاً من أميركية ، ولكنها مع إخلاصها وتعلقها بي لم تستطع البقاء ومرضت ، فطلبها أهلها فأخذتها إليهم ، وكان لي منها طفل اسمه « جميل » .

وهناك في أميركا قررت العودة إلى العراق معها كانت الظروف لأني وجدت الابتعاد صعباً ، وعدت .

هذا قبل إسلامك ، فماذا بعد أن أسلمت ؟

قال الدكتور سوسة جواباً على هذا السؤال :

بعد أن أسلمت تزوجت من فتاة تنتمي إلى عائلة متدينة وعشنا معاً مدة ١٦ عاماً ، لم نرزق خلالها بأولاد ثم رزقنا بفتاة

أسميناها عالية التي تنهياً الآن لمناقشة أطروحتها للدكتوراه في
جامعة السوربون بباريس . كما رزقنا بولد اسمه علي وهو موظف
بالشركة العراقية التجارية .

ثم يختم الدكتور أحمد سوسة حديثه بقوله :

إنني أميل الآن إلى الراحة ، أكثر من ذي قبل ، بحكم سني ،
وكلما شعرت بالتعب أذهب إلى منزل صغير لي في الجبل حيث
أستريح فترة لأستعيد شيئاً من النشاط يساعدي على الاستمرار في
العمل والبحث .

نتمنى للدكتور سوسة أن يختم الله له بالخير إنه سميع مجيب ،
ونشكر « القبس » الغراء على هذه المقابلة الجيدة ، وإلى لقاء .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	١ - هيدى مرعى - النمسا
١٢	٢ - نجوى ادمون شوفانى - لبنان
٢٠	٣ - أحمد جبرمان - المانيا الغربية
٢٧	٤ - عبد الله كوبيناوا - غانا
٣٤	٥ - فيصل محمد - هولندا
٤٠	٦ - فنساي مونتاي - فرنسا - ١ -
٤٦	٧ - » - » - ٢ -
٥٢	٨ - الدكتور - دوغلاس آرشر - جاماىكا
٥٨	٩ - السيدة سامية وديع - مصر - ١ -
٦٤	١٠ - » - » - ٢ -
٧٠	١١ - عبد الرحمن بن جورى - الدانمارك
٧٦	١٢ - الدكتور لورنس إياكونو - إيطاليا
٨٣	١٣ - يوسف عبد السلام - أمريكا

